BOBST LIBRARY
3 1142 01258 5264

DATE DUE

29

IR-AR-85-930751

V,1-2,

Fayḍ al-Kāshī, Muḥammad ibn Murtaḍá

/al-Maḥajjah al-bayḍāʾ fī tahdhīb al-Iḥyāʾ/

المحجة البيضاء

في تهذيب الأحياء

تأليف

المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو

بالمولى محسن الكاشاني ره

المتوفى ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري

طبع على نفقة

دفتر انتشارات اسلامي

وابسته بجامعه مدرسين حوزه علميه قم

الجزء الأول

الطبعة الثانية

B
753
.G33
I54
1960
V.1-2
C.1

شكرٌ جميل

الحمدلله الّذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر ، نشكره ونحمده على عظيم إحسانه ، و نيّر برهانه ، و نوامي فضله وامتنانه .

أمّا بعد فقد أبرأ الله تعالى ذمّتي و عهدتي عن هذا الخطب الفادح مع كثرة أشغالي ، وخفّف كاهلي عن أعباء هذا الحمل الّذي بهظني و ملك أعنّة نفسي أربع سنين فآدني وقطع مطاي ، وذلك أمر أوجبت على نفسي في مهمّة تحقيق الكتاب ، و ركبت الصعب باختيار منّي دون أيّ قهر أو جبر ، ولات حين مناص .

فله الحمد على ما يسّر لي اُهبته ، وأتاح لي الفرصة حتّى جئت على آخره و رضت في هذا السفر الطويل شعابه وأوديته ، وخضت غماره ، و اقتحمت عقباته ، و استخرجت كنوز أخباره ، و أشرت إلى مصادره و مآخذه ، و أوضحت مايشقّ على الذّهن من عباراته ، و أفصحت عمّا دقّ من إشاراته ، ولم أرم الإكثار و الإطناب فيما علّقت عليه إلّا ما دعت ضرورة البيان إليه ، راجياً من المولى سبحانه القبول فإنّه خير منعم و مسئول .

وفي الختام نمدّ أكفّ الضّراعة بذلّ وخشوع إلى من يجيب دعوة المضطرّين أن يفرّج عنّا غمرات الكروب ، وما أصبحنا فيه من الفتن والهنابث والكوارث الّتي قلب المؤمن فيها يذوب ، فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل في الشدّة والرّخاء .

علي اكبر الغفّاري ۱۳۸۳ ـ هـ

حقوق الطبع والتقليد بهذه الصورة الموشّحة بالتعاليق والتقدمة محفوظة

تقدمة

بسمه تعالى وله الحمد، والصلاة على نبيّه وآله.

كان في هواجس ضميري أن أعقد جرياً على ماتداول اليوم فصلاً في أوّل هذا الكتاب القيّم الفخم، وأسبح في لُجَج هذا البحر اللّجيّ، وأبسط القول في أبحاثه الرَّجْراجَة بالحقائق، غير أنّي قصير الباع لم أهتد إلى مايهمّ بيانه سبيلاً، وبينما كنت أغدو وأروح في فجوة الخيال تجَحَّز طبع الجزء الأوّل من الكتاب، فأخذت كراريسه بيدي وساقني الحظّ السعيد إلى دارشيخنا الأكبر، عَلَمِ العلم الخفّاق، رجلِ التحقيق والبحث والتنقيب، سماحة الحجّة المجاهد مولانا الأميني صاحب كتاب «الغدير» الأغرّ، فسألني عمّا بيدي فجرى ذكر الكتاب وأعربت عمّا في خَلَدي، فقال: قد ركبتَ الصعب المصعب، وإنّما يركب الصعب من لاذلول له، ومن المستساغ أن نجنح في عرفان مبلغ الكتب من الصحّة والسقم، ومالها من القيمة في سوق الاعتبار إلى مقياس كلّي يوزن به كلُّ كتاب وهوالفارق الوحيد بين «إحياء العلوم» وتهذيبه «المحجّة البيضاء» فارتجيت بيان ذلك، فتصفّح المطلب وأملى عليّ ما هذا لفظه حرفياً:

إنّ سعادة الإنسان، وحياته الرّوحيّة، وقيمته في سوق الاعتبار إنّما نيطت باصول ودعائم، ومعارف ومعالم متّخذة من الكتاب والسنّة، والدّعوة النبويّة هي الّتي تتكفّل بتلكم الغايات، وتوجّه البشر إلى الحياة السعيدة، والإنسانيّة السامية، والفوز مع الأبد، والبعثة النبويّة الخاتمة بها تتمّ مكارم الأخلاق، وتعرف مسالك السعادة، وتحدو إلى سبل السلام، ومهيع السعد الخالد، ولايتأتّى شيء من ذلك بالمزاعم، ولايتطرّق إليه بالوهم والخيال.

والناسك الجاهل كالعالم المتهتّك قاصم الظهر، لايهتدي إلى السعادة والشقاوة

سبيلاً ، حتّى يولّي وجهه شطر الحقيقة ، وينحو نحوها ، ولا تقرب عليه الخطوة ، بل تقع منه في مرمى سحيق ، ويخاف عليه الوبال ، وهو منقادٌ بأهوائه و ميوله وشهواته السائدة ، يخلق له الجهل مهيّة مزعومة تجاه الحقيقة الراهنة ، و يزحزحه عن مناهج السعد ، ولا يرمي برأيه الشواكل ، ولا يصيب وجوه الصواب ، وهو يحسب أنّه يحسن صنعاً ، فينهمك في غمرة الشقاء ، وتستعبده نفسه طيلة حياته إلى آخر نفس لفَظه .

والعلم يهدي إلى الحقّ ، و يعبّد طريق الصدق ، ويتوطّد أُصول السعد ، ويدلُّ على الصراط الواضح ، ويدعو إلى المحجّة البيضاء ، ويحدو إلى المنهج القويم ، ويقود إلى جدد الصّدق و العدل ، ويرى الناسك خاتمة الأُمور ناصعة الجبين ، سافرة الوجه ، واضحة المعالم .

والطريق الوحيد إلى السعادة مع الخلود هو ما مهّده النبيُّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأُمّته وعبّده بوصيّته المتعاقبة المكرّرة حيناً بعد حين ، وآونة بعد أُخرى من استخلافه كتاب الله وعترته أهل بيته ، ولن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض . فمن اتّبعهما فقد اهتدى وأدرك رشده ، ومن حاد عنهما فقد ضلّ وهلك .

و هذا هو الباب المفتوح بمصراعيه الّذي منه يؤتى ، ليس إلّا . وهذا هو باب مدينة العلم فَحَسْبُ . فمن أراد المدينة فليأت الباب . فهنالك الحقيقة والطريقة و الحكمة والفقه و العرفان والرواية والدراية والعلم والأدب والفضيلة . وقد صدّق الخُبر الخَبر ، خبر أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها ، أنا دار العلم وعليٌّ بابها ، أنا مدينة الفقه وعليٌّ بابها ، أنا ميزان العلم وعليٌّ كفّتاه ، أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه ، عليٌّ باب علمي ، ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي ، إلى أمثالها الكثير الطيّب .

وحرصاً على صلاح الملأ الدّيني ، و رغبة في الصالح العام ، وشرهاً في نجح الأُمّة وتسييرها إلى ما يُحمد عقباه كان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يُعرب عن بعض ما أُوتي به أهل بيته الطاهر ولم يؤت به أحد من العالمين بقوله :

نعم : آل محمّد هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبر كم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخالفون الحقّ ، ولا يختلفون فيه ، هم دعائم

الإسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحقّ في نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدّين عقل وعاية ورعاية ، لاعقل سماع ورواية ، فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل .

وبقوله : نحن شجرة النبوّة ، و محطّ الرسالة ، و مختلف الملائكة ، و معادن العلم و ينابيع الحكم ، ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة ، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة .

وبقوله : نحن الشعار والأصحاب ، والخزنة والأبواب ، ولاتؤتى البيوت إلّا من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقا .

وبقوله : فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا .

وبقوله : هم موضع سرّه ، ولجأ أمره ، و عيبة علمه ، و موئل حكمه ، و كهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصه .

وبقوله : لايقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله من هذه الأُمّة أحدٌ ، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدّين ، وعماد اليقين .

وبقوله : نحن أهل بيت النبوّة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وعنصر الرحمة ، و معدن العلم والحكمة .

وبقوله : أين الّذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا ؟ كذباً وبغياً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ، و يستجلى العمى ، إنّ الأئمّة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم .

وبقوله : فأين يتاه بكم ؟ و كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم ؟ وهم أزمّة الحقّ ، و أعلام الدّين ، وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن .

وبقوله : قد ركزت فيكم راية الإيمان ، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام ، وألبستكم العافية من عدلي ، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي ، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي ، فلا تستعملوا الرأي فيما لايدرك قعره البصر ، ولايتغلغل إليه الفكر .

هذا غيضٌ من فيض ، فالسعيد الصدق ، و الآلهيّ الصادق ، و الأخلاقي الناجع

الناصح الناجح ، والسالك العارف الصحيح ، والحكيم البصير الناقد النابه ، و الناسك الصالح من اتّبع آل الله ، واقتفى أثرهم ، وحذا حذوهم ، ولبّى دعوتهم ، واتّخذ بسيرتهم و اقتدى بهديهم .

والحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، والعلم النافع ، و العرفان التامّ ، و الخلق السجحة ، والمعالم و المعارف ، والظرائف والطرائف ، والغرر والدّرر . والأنوار والأزهار، والعدل والصدق ، والورع والتقى ، والحقّ والحقيقة ، والأصول والفروع المتّبعة ، والحِكم والآثار ، والكلم الطيّب ، والقول البليغ ، و المنطق السليم ، و الصوب المستقيم ، و الرأي الصائب ، والفكرة الناضجة ، كلّها في مقال إنسان يغترف من بحار علوم آل الله ، ويقتبس من تلكم الأنوار ، ويتّخذ المعالم من معادنها ، ولا يتّبع السبل ، و يقتفي آثار أولئك الأئمّة ، ويرى السعادة والفوز و الفلج في الاقتداء بهم ، و الاستنارة برشدهم ، و المضيّ وراء ضوئهم .

فالمتكلّم بغير هداهم أخبط من حاطب ليل يخبط خبط عشواء ، و يختلط الحابل بالنابل ، والمصلح بغير هديهم متطلّبٌ في الماء جذوة نار ، والعارف الناسك بغيرمناسكهم يتيه في واد السّدر ، والسائر إلى الله بغيرسيرتهم يضلّ عن رشده ، ويقوده الهوى السائد ، ويستحوذ عليه الشيطان ، ويجرّ عليه الويلات ، ويدخله إلى حضيض التعاسة ، ومأزق الشقاء والدمار ، ويسفّه إلى العار والشنار .

خذ مثالاً يلمسك الحقيقة باليد كتاب « إحياء العلوم » للغزّالي ، و تهذيبه « المحجّة البيضاء » لمولانا الفيض القاشانيّ .

ونحن لانمضي إلّا على ضوء الحقيقة ، ونتّبع موازين القسط ، ولا نصغي حقّ ذي فضل ، ويهمّنا جدّاً النزوع إلى حكم الأدب ، أدب العلم والدّين ، أدب الحجاج ، أدب الكتاب ، أدب المقال ، ولسنا ممّن يبخس الناس أشياءهم ، ولانستسيغ الوقيعة في عالم من الأمّة المسلمة ، والتقوّل والاجتراء عليه والغرّة به ، ولايروقنا الكلام في مؤلّف بمايمسّ كرامته ، أو يحطّ شيئاً من مكانته ، بل نكبر رجال العلم والفضيلة كائناً من كان ، من أيّ عنصر ، من أيّ شعب ، من أيّ مذهب ، من أيّ بيئة ، ونعطي كلّ ذي قدر حقّه ،

ولكلٍّ منهم مقام معلوم ، غير أنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع ، والتمويه على الحقائق ، والصفح عنها ، والسكوت عن ردّ الباطل ، والغضّ عن لفت نظر الملأ الديني إلى الواقع لا يرتضيه الدّين والعقل والمنطق والاعتبار الصحيح ، ولا مندوحة لنا عن الإصحار بالحقّ ، والإجهار بالصواب ، وإماطة الستر عن وجه الشُبه ، فنقول :

أمّا « إحياء العلوم » فإنّه مهما كان مؤلّفه متضلّعاً من الفقه و العلم و العرفان والحكمة و البيان والفكرة و الرواية و الأخلاق تراه قد اقتحم مزاعم حرجة ، أحرجته المآزق ، واستشكلت عليه المواقف ، و أعضل به البحث ، وتعايا عليه المخرج كما أعيى الداء الطبيب ، تجده يعلّي اُسس الحقّ على شفا جرف هار ، ويدعم دعواه المجرّدة بتافه القول ، ويرميه على عواهنه ، ويتمسّك بالسُفر والبُقر وبيّنات غير ، فجاء كتابه عيبة السقطات ، و سفط السفسطات ، مشحوناً بالخرافات ، بين دفّتيه ترّهات ، و ملء غضونه تافهات ، و قد أفرد الحافظ ابن الجوزي في الرّدّ عليه كتاباً أسماه « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » ، و فصّل القول في الرّد عليه في الجزء التاسع من «المنتظم» وفي «تلبيس إبليس» ص ٣٥٧ وذكرنا جملة ممّا أورد عليه في الجزء الحادي عشر من كتابنا الغدير .

أقول - و أنا مصحّح الكتاب - : فمن الضروري أن نورد ههنا بعض ما أشار إليه شيخنا الأميني من عثرات أبي حامد الغزّالي في إحيائه ثمّ نرجع إلى بقيّة ما أملاه .

قال في كتاب رياضة النفس من الإحياء : كان بعض الشيوخ في ابتداء إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول اللّيل ليسمح بالقيام على الرّجل .

أقول : هل مساغ لهذا العمل الفادح عند العقل والطبيعة و الاعتبار ؟ وهذا كتاب الله العزيز يخاطب نبيّه الأقدس بقوله : «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » ونحن نحيل الحكم في هذا التره و فيما يليه من قصص خرافة إلى العقل السليم ، و الشريعة السهلة السمحة ، و الطبيعة المطّردة ، وقبل كلّها إلى سنّة الله الّتي لا تبديل لها .

و قال أيضاً في الكتاب : عالج بعضهم حبّ المال بأن باع جميع ماله و رمى به في البحر .

و قال في كتاب ترتيب الأوراد : إنّ إبراهيم التيميّ يمكث أربعة أشهر لم يطعم

و لم يشرب و ذلك لرؤيا رآها ، و نقل قصّتها .

و قال أيضاً : إنّ كهمس بن منهال يختم القرآن في كلّ شهر تسعين مرّة ، و ما لم يفهمه رجع و قرأه مرّة أُخرى .

و قال أيضاً : كان كرز بن وبرة مقيماً بمكّة فكان يطوف في كلّ يوم سبعين أُسبوعاً ، و في كلّ ليلة سبعين أُسبوعاً ، و كان مع ذلك يختم القرآن في اليوم و الّليلة مرّتين . فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ، و يكون في كلّ أُسبوع ركعتان فهو مائتان و ثمانون ركعة ، و ختمتان للقرآن وعشرة فراسخ .

و قال في كتاب التوحيد و التوكّل : قال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغيرزاد فأصابني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد ، فسررت بأن وصلت ، ثمّ فكّرت في نفسي أنّي سكنت و اتّكلت على غيره و آليت أن لا أدخل المرحلة إلّا أن احمل إليها ، فحفرت لنفسي في الرمل حفرة و واريت جسدي فيها إلى صدري فسمعت صوتاً في نصف الّليل عالياً : يا أهل المرحلة إنّ الله تعالى وليّاً حبس نفسه فيهذا الرمل فالحقوه ، فجاء جماعة فأخرجوني إلى القرية .

و قال أيضاً : قال أبو حمزة الخراساني : حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر ، فنازعني نفسي أن أستغيث ، فقلت : لا و الله لا أستغيث فمااستتممت هذا الخاطر حتّى مرّ برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر : تعال حتّى نسدّ رأس هذا البئر لئلّا يقع فيه أحدٌ ، فأتوا بقصب و بارية و طمّوا رأس البئر فهممت أن أصيح ، فقلت في نفسي : إلى من أصيح ؟ هو أقرب منهما و سكنت ، فبينا أنا بعد ساعة إذا أنا بشيء جاء و كشف عن رأس البئر وأدلى رحله و كأنّه يقول : تعلّق بي فيهمهمة له كنت أعرف ذلك ، فتعلّقت به فأخرجني فاذا هو سبع .

و قال أيضاً : فقد حكي عن عابد أنّه عكف في مسجد و لم يكن له معلوم ، فقال له الإمام : لو اكتسبت لكان أفضل لك ، فلم يجبه حتّى أعاد عليه ثلاثاً ، فقال في الرابعة : يهوديٌّ في جوار المسجد قد ضمن لي كلّ يوم رغيفين ، فقال : إن كان صادقاً في ضمانه فعكوفك في المسجد خيرٌ لك ، فقال : يا هذا لولم تكن إماماً تقف بين يدي الله

و بين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيراًلك ، إذ فضّلت وعد يهوديّ على ضمان الله تعالى بالرزق .

و قال : قال إمام المسجد لبعض المصلّين : من أين تأكل ؟ فقال : يا شيخ اصبر حتّى أُعيد الصلاة الّتي صلّيتها خلفك ثمّ أُجيبك .

و قال في باب أعمال المتوكّلين : أعلى درجات التوكّل هو أن يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه و تقويته على الصبر أُسبوعاً و ما فوق ، أو تيسير حشيش له أو قوت ، أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسّر له شيء .

و قال أيضاً :كان بشر يعمل بالمغازل فتركها ، و ذلك لأنّ البعاري كاتبه قال : بلغني أنّك استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت إن أخذ الله سمعك و بصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها .

و قال أيضاً : قال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره : رأيت الخضر - عليه السلام - ورضي بصحبتي ولكنّي فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكّلي .

و قال أيضاً : الاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدّين و هو بالعلماء أقبح لأنّ شرطهم القناعة ، و العالم القانع يأتيه رزقه و رزق جماعة كثيرة كانوا معه إلّا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس و يأكل من كسبه ، فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الّذي سلوكه بظاهر العلم و العمل و لم يكن له سير بالباطن ، فإنّ الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرّب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنّه تفرّغ لله عزّ وجلّ ، و إعانة للمعطي على نيل الثواب .

و قال في كتاب الزهد : أرباب الأحوال قد تغلبهم حالة يقتضي أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة إلى حالهم فإنّ مثل هذه « الأعمال بالنيّات » و ذلك كما روي أنّ بعضهم رأى أبا إسحاق النوري يمدّ يده و يسأل الناس في بعض المواضع ، قال : فاستعظمت ذلك واستقبحته له فأتيت الجنيد فأخبرته بذلك فقال : لا يعظم هذا عليك ، فإنّ النوري لم يسأل الناس إلّا ليعطيهم و إنّما سألهم ليثيبهم في الآخرة

فيوجرون من حيث لا يضرّهم .

و اشترط في صحّة التوكّل إذا كان الإنسان منفرداً أن يصيب يقيناً بالموت إن لم يأت رزقه ، علماً بأنّ رزقه الموت و الجوع ، و قال : و هذا و إن كان نقصاناً في الدنيا فهو زيادة له في الآخرة ، فيرى أنّه سيق إليه من خير الرازقين له وهو رزق الآخرة ، وأنّ هذا هو المرض الّذي يموت به ، فيكون راضياً بذلك و أنّه كذا قضى وقدّر فبهذا يتمّ التوكّل .

و قال : كان أبو تراب النخشبي نظر إلى صوفيّ مدّ يده إلى قشر بطّيخ ليأكله بعد ثلاثة أيّام ، فقال له : لا يصلح لك التصوّف ألزم السوق . أي لا تصوّف إلّا مع التوكّل ولا يصحّ التوكّل إلّا لمن يصبر على الطعام أكثر من ثلاثة أيّام .

وقال : قال أبو عليّ الروذباري : إذا قال الفقير بعد خمسة أيّام : أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فإذن بدنه عياله و توكّله فيما يضرّ بيدنه كتوكّله في عياله ، و قال : قد انكشف لك من هذا أنّ التوكّل ليس انقطاعاً عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدّة والرضا بالموت إن تأخّر الرزق نادراً وملازمة البلاد والأمصار أو البوادي الّتي لا تخلوا عن حشيش و كلّ ذلك من الأسباب إلّا أنّ الناس لم يعدّوا تلك أسباباً لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم و قلّة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظنّ وطول الأمل .

أقول : هذه أقاويل إنسان خبّطه الشيطان من المسّ فقد فنّدها مولانا الفيض - رحمه الله - كما يأتي في بابه .

و قال في كتاب الزهد : الاضطرار إن انضمّ إليه الزهد و تصوّر ذلك فهو من أقصى درجات الزهد .

و عدّ الزهد في ما يضطرّ إليه الإنسان إذا حصل له و الكفّ عنه و عدم تناوله في حالة الاضطرار مع ماله من الاحتياج المبرم إلى ذلك الشيء من أعلى درجات الزهد ، و ردّ عليه شيخنا الفيض و قال : الاضطرار المنضمّ إليه الزهد إن تصوّر فليس من الخصال المحمودة بل ولا من شيم العقلاء فضلاً عن أن يكون من أقصى درجات الزهد ، فإنّ الجائع المضطرّ إلى الخبز ، الفاقد له لو آتاه الله الخبز عفواً صفواً فتأذّى به فهرب من أخذه

عدّ من المجانين .

و قال في كتاب المراقبة والمحاسبة : إنّ رجلاً من العباد كلّم امرأة فلم يزل حتّى وضع يده على فخذها ، ثمّ ندم فوضع يده على النار حتّى يبست .

وقال أيضاً : كان في بني إسرائيل رجلٌ يتعبّد في صومعته فمكث كذلك زماناً طويلاً فأشرف ذات يوم ، فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهمّ بها ، فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة ، فقال : ما هذا الّذي اريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه و عصمه الله تعالى فندم ، فلمّا أراد أن يعيد رجله إلى صومعته قال : هيهات هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي ، لايكون و الله ذلك أبداً ، فتركها معلّقة من الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتّى تقطّعت فسقطت ، فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره .

ونقل في الكتاب أيضاً عن الجنيد أنّه قال : سمعت ابن الكريبي يقول : أصابتني ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخّراً وتقصيراً فحدّثتني نفسي بالتأخير حتّى أصبح و أسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعني على نفسي فقلت : وا عجباه أنا أُعامل الله في طول عمري فيجب له عليّ حقّ فلا أجد في المسارعة و أجد الوقوف والتأخّر ، آليت أن لا أغتسل إلّا في مرقعتي هذه ، و آليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس .

وقال أيضاً : يحكى عن تميم الداري أنّه نام ليلة لم يقم فيها فيتهجّد ، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للّذي صنع .

وقال أيضاً : أنكر وهيب بن الورد شيئاً على نفسه فنتف شعرات على صدره حتّى عظم ألمه ، ثم جعل يقول لنفسه : ويحك إنّما أُريد بك الخير .

وقال أيضاً : إنّ عمر كان يضرب قدميه بالدرّة كلّ ليلة و يقول : ماذا عملت اليوم .

ونقل عن مجمع أنّه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا .

وقال في كتاب معاتبة النفس : إنّ صفوان بن سليم إذا جاء الشتاء اضطجع على

السطح ليضرّ به البرد ، و إذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحرّ فلاينام .

وقال أيضاً : إنّ عطاء السلمي مكث أربعين سنة فكان لاينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فخرّ مغشياً عليه فأصابه فتق في بطنه .

وقال في كتاب مراقبة النفس : قال أبوعبدالله بن خفيف : خرجت من مصر أُريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري الزاهد : إنّ في صورشاباً و كهلاً قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما نظرة لعلّك تستفيد منهما ؟ فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء ، فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلّمت عليهما فما أجاباني ، فسلّمت ثانية و ثالثة فلم أسمع الجواب ، فقلت : نشدتكما بالله إلّا رددتما عليّ السلام ، فرفع الشابّ رأسه من مرقعته فنظر إليّ وقال : يا ابن خفيف ! الدنيا قليل ومابقي من القليل إلّا القليل فخذ من القليل الكثير ، يا ابن خفيف ! ما أقلّ شغلك حتّى تتفرّغ إلى لقائنا - إلى أن قال -: فبقيت عندهما ثلاثة أيّام لاآكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئاً ولاشربا إلى آخرما قال .

و قال في كتاب قواعد العقائد : إنّه يجوز على الله سبحانه أن يكلّف الخلق مالا يطيقونه .

و قال أيضاً : إنّه يجوز على الله إيلام الخلق و تعذيبهم من غير جرم سابق .

وقال : في كتاب المحبّة قيل لأبي يزيد البسطامي مرّة : حدّثنا عن مشاهدتك من الله تعالى ؛ فصاح ثمّ قال : ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك ، قيل : فحدّثنا بأشدّ مجاهدتك لنفسك في الله تعالى ، فقال : وهذا أيضاً لايجوز أن أُطلعكم عليه . قيل : فحدّثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال : نعم ، دعوت نفسي إلى الله فجمحت عليّ فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك . - ثمّ قال : - و يحكى عن يحيى بن معاذ أنّه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ، مستوفزاً على صدور قدميه ، رافعاً أخمصيه مع حقبيه عن الأرض ، ضارباً بذقنه على صدره ، شاخصاً بعينيه لايطرف ، قال : ثمّ سجد عند السحر فأطاله ثمّ قعد فقال : اللّهمّ إنّ

قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وإنّي أعوذ بك من ذلك ، و إنّ قوماً طلبوك فأعطيتهم طيّ الأرض فرضوا بذلك و إنّي أعوذ بك من ذلك ، وإنّ قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإنّي أعوذ بك من ذلك ، حتّى عدّ نيّفاً وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء ، ثمّ التفت فرآني فقال : يحيى ! قلت : نعم يا سيّدي ، فقال : مذ متى أنت ههنا ؟ قلت : منذ حين ، فسكت ، فقلت : يا سيّدي حدّثني بشيء فقال : أُحدّثك بما يصلح لك ، أدخلني في الفلك الأسفل ، فدوّرني في الملكوت السفلى ، و أراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ، ثمّ أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات ، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثمّ أوقفني بين يديه فقال : سلني أيّ شيء رأيت حتّى أهبه لك ؟ فقلت : يا سيّدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسألك إيّاه ، فقال : أنت عبدي حقاً ، تعبدني لأجلي صدقاً ، لأفعلنّ بك ولأفعلنّ - فذكر أشياء - قال يحيى : فهالني ذلك وامتلأت به و عجبت منه فقلت : يا سيّدي لم لا سألته المعرفة به ، و قد قال لك ملك الملوك : سلني ما شئت ، قال : فصاح بي صيحة وقال : اسكت ويلك ، غرت عليه منّي حتّى لا أُحبّ أن يعرفه سواه .

أقول : و تأتي قصّة خرافيّة أُخرى له في كلام ابن الجوزي فيما ردّ على الغزّالي : وذكر في كتاب التفكر باب سكرات الموت أقاويل الصحابة و التابعين وطائفة من الصوفيّة عند موتهم ، وبكاء بعضهم حينذاك ، وضحك بعضهم ، و نسب إلى بعضهم السرور والابتهاج والطرب والاستبشار عند الموت وحال النزع مع أنّه ذكر في باب وفاة النبيّ ﷺ أنّه اشتدّ في النزع كربه ، وظهر أنينه ، وترادف قلقه ، وارتفع حنينه ، وتغير لونه ، وعرق جبينه ، و اضطرب في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتّى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب لشدّة حاله من شاهد منظره . رأى أنّ ذلك لاستيلاء الخوف عليه ، وقال : لم يمهله ملك الموت ساعة وما أخّره لحظة .

و ذكر قبله بصحيفة أنّ ملك الموت لقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلّم عليه فردّ عليه السلام فقال : إنّ لي إليك حاجة أذكرها في أُذنك فقال : هات ، فسارّه ، وقال : أنا ملك الموت ، فقال : أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته عليّ فوالله ماكان في الأرض غائب أحبّ

إليّ أن ألقاه منك فقال ملك الموت : اقض حاجتك الّتي خرجت لها ، فقال : مالي حاجة أكبر عندي ولا أحبّ من لقاء الله تعالى ، قال : فاختر على أيّ حال شئت أن أقبض روحك ؟ فقال : تقدر على ذلك ؟ فقال : نعم إنّي اُمرت بذلك ، قال : فدعني حتّى أتوضّأ و اُصلّي ثمّ اقبض روحي و أنا ساجدٌ ، فقبض روحه و هو ساجد .

أقول : هلمّوا معي أيّها المسلمون نسائل هذا المستحوذ عليه الشيطان عن حطّه نبيّ الاسلام عن ذروة القداسة و العظمة إلى أن نزّله عن درجة صحابته و تابعيهم وطائفة من الصوفيّة هل هكذا كان نبيّنا نبيّ العظمة ، فمن أين حقّ لنا القول بأنّه أفضل خلق الله قد اختاره من بريّته واصطفاه ممّن خلق ، والله يعلم ما خلق ؟ نعوذ بالله من تسطير القول بلا تعقّل .

ولا مندوحة لنا في المقام عن ذكر نصّ ما حكاه شيخنا الأمينيّ في «الغدير» ج ١١ ص١٦٣ إلى ١٦٦ و ما أردفه من كلامه قال :

قال ابن الجوزي في المنتظم ج ٩ ص١٦٩ : أخذ في تصنيف كتاب الاحياء في القدس ثمّ أتمّه بدمشق إلّا أنّه وضعه على مذهب الصوفيّة وترك فيه قانون الفقه مثل أنّه :

ذكر في محو الجاه ومجاهدة النفس : أنّ رجلاً أراد محو جاهه فدخل الحمّام فلبس ثياب غيره ، ثمّ لبس ثيابه فوقها ، ثمّ خرج يمشي على محلّ حتّى لحقوه فأخذوها منه و سمّي سارق الحمّام . و ذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لأنّ الفقه يحكم بقبح هذا فإنّه متى كان للحمّام حافظ وسرق سارق قطع ، ثمّ لا يحلّ لمسلم أن يتعرّض بأمر يأثم الناس به في حقّه .

و ذكر أنّ رجلاً اشترى لحماً فرأى نفسه تستحيي من حمله إلى بيته فعلّقه في عنقه ومشى .

وهذا في غاية القبح ، و مثله كثير ليس هذا موضعه ، و قد جمعت أغلاط الكتاب وسمّيته [إعلام الأحياء بأغلاط الاحياء] و أشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمّى بتلبيس إبليس .

مثل ما ذكر في كتاب النكاح : أنّ عائشة قالت للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : أنت الّذي تزعم

أنك رسول الله ؟ و هذا محال - إلى أن قال - :

و ذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة و ما لا يصح غير قليل ، و سبب ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف ، و إنما نقل نقل حاطب ليل . و كان قد صنف للمستظهر كتاباً في الرد على الباطنية ، و ذكر في آخر مواعظ الخلفاء .

فقال : روي أن سليمان بن عبد الملك بعث إلى أبي حازم : ابعث إلي من إفطارك فبعث إليه نخالة مقلوة فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يأكل ، ثم أفطر عليها وجامع زوجته، فجاءت بعبد العزيز ، فلما بلغ ولدله عمر بن عبدالعزيز ، وهذا من أقبح الأشياء لأن عمر ابن عم سليمان وهو الذي ولاه ، فقد جعله ابن ابنه ، فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً أصلاً . الخ .

و قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٥٢ : قد حكى أبوحامد الغزالي في كتاب الإحياء قال : كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع ، قال : و عالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذا خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل .

قال : وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعود نفسه الحلم . قال : وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً . ثم قال :

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندي أبوحامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها ؟ و كيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم ؟ وقال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدي فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير ، وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه . وإن رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال و المواظبة على ذلك . وإن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء و تنظيفه و كنس المواضع القذرة و ملازمة المطبخ ومواضع الدخان . و إن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم ، وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز، وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً . فقال :

قلت : وإنّي لأتعجّب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء الّتي تخالف الشريعة؟ وكيف يحلّ القيام على الرأس طول اللّيل فينعكس الدّم إلى وجهه و يورثه ذلك مرضاً شديداً ؟ وكيف يحلّ رمي المال في البحر ؟ و قد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال ، وهل يحلّ سبّ مسلم بلاسبب ؟ وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك ؟ و كيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه ؟ وذاك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحجّ ، و كيف يحلّ السؤال لمن يقدر أن يكتسب ؟ فما أرخص ما باع أبو حامد الغزّالي الفقه بالتصوّف ؟ .

وقال : وحكى أبو حامد : أنّ أباتراب النخشبي قال لمريد له : لورأيت أبايزيد مرّة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرّة . فقال : قلت : و هذا فوق الجنون بدرجات .

هذه جملة من كلمات ابن الجوزي حول «إحياء العلوم» ومن أمعن النظر في أبحاث هذا الكتاب يجده أشنع ممّا قاله ابن الجوزي . وحسبك ما جاء به من حلّيّة الغناء والملاهي و سماع صوت المغنّية الأجنبيّة و الرقص واللّعب بالدرق و الحراب و نسبة كلّ ذلك إلى نبيّ القداسة رسول الله ﷺ فقال : بعد سرد جملة من الموضوعات تدعيماً لرأيه السخيف : فيدلّ هذا على أنّ صوت النساء غير محرّم تحريم صوت المزامير ، بل إنّما يحرم عند خوف الفتنة ، فهذه المقاييس و النصوص تدلّ على إباحة الغناء . و الرقص ، والضرب بالدّف ، واللّعب بالدرق والحراب ، و النظر إلى رقص الحبشيّة و الزنوج في أوقات السرور كلّها قياساً على يوم العيد فإنّه وقت سرور و في معناه يوم العرس ، و الوليمة ، و العقيقة ، و الختان ، ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح ، و هو كلّ مايجوز به الفرح شرعاً ، و يجوز الفرح بزيارة الإخوان و لقائهم و اجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضاً مظنّة السماع ثمّ ذكر سماع العشّاق تحريكاً للشوق وتهييجاً للعشق و تسلية للنفس . وفصّل القول في ذلك بما لاطائل تحته ، وخلط الحابل بالنابل و جمع فيه بين الفقه المزيّف و بين السلوك بلافقاهة .

ومن طامّات كتاب « الإحياء » أومن شواهد جهل مؤلّفه المبير ومبلغه من الدين والورع ورأيه الساقط في اللّعن قال في ج ٣ ص ١٢١ : وعلى الجملة ففي لعن الأشخاص

خطر فليجتنب . ولاخطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره ، فإن قيل : هل يجوز لعن يزيد لأنّه قاتل الحسين أو أمر به ؟ قلنا : هذا لم يثبت أصلاً ، فلايجوز أن يقال : إنّه قتله ، أو أمر به مالم يثبت فضلاً عن اللّعنة ، لأنّه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق . ثمّ ذكر أحاديث في النهي عن لعن الأموات فقال :

فإن قيل : فهل يجوز أن يقال : قاتل الحسين لعنه الله ، أوالآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا : الصواب أن يقال : قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله . لأنّه يحتمل أن يموت بعد التوبة ، فإنّ وحشياً قاتل حمزة عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتله وهو كافر ، ثمّ تاب عن الكفر والقتل جميعاً ، ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ، ولا تنتهي إلى رتبة الكفر ، فإذا لم يقيّد بالتوبة و اُطلق كان فيه خطر ، وليس في السكوت خطر فهوأولى . اه .

فهلمّ معي أيّها القارىء الكريم إلى هذه التافهات المودوعة في غضون « إحياء العلوم » هل يراها النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حسناً ، وحلف بذلك[1] ؟ وهل سرّه دفاع الرجل عن إبليس اللّعين أوعن جروه يزيد الطاغية الّذي أبكى عيون آل الله وعيون صلحاء اُمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ريحانته إلى الأبد ؟!

وهل يحقّ لمسلم صحيح ينزّه عن النزعة الاُمويّة الممقوتة ، و يطلّع على فقه الإسلام وطقوسه ، ويعلم تاريخ الاُمّة ، ويعرف نفسيّات أبناء بيت اميّة الساقط ، ولا يجهل أولا يتجاهل بما أتت به يد يزيد الطاغية الأثيمة ، و ما نطق به ذلك الفاحش المتفحّش و ما أحدثه في الإسلام من الفحشاء والمنكر ، وما ثبت عنه من أفعاله وتروكه ، وما صدرعنه من بوائق و جرائم وجرائح أن يدافع عنه بمثل ما أتى به هذا المتصوّف الثرثار البعيد عن العلوم الدينيّة وحياتها ؟ و هولا يبالي بمايقول ، ولا يكترث لمغبّة ماخطّته يمناه الخاطئة ، والله من ورائه حسيب ، وهونعم الحكم العدل ، والنبيّ الأعظم ، ووصيّه الصدّيق ، والشهيدالسبط المفدّى هم خصماء الرجل يوم يحشر للحساب مع يزيد الخموروالفجور ـ ومن أحبّ حجراً حشره الله معه ـ وسيذوق و بال مقاله و يرى جزاء محاماته : انتهى مانقلناه من كتاب الغدير .

---

(١) اشارة الى مايأتى من قصة أبى الحسن المعروف بابن حرزم فى الصفحة الاتية .

✡(عودٌ الى بَدء)✡

ههنا نعود إلى بقيّة ما أملاه شيخنا الأميني . قال :

و من أمعن النظر في كثير من أبحاث الكتاب يعطي الحقّ لشيخنا المولى الفيض في حذفه منه أبواباً و كتباً و فصولاً برمّتها ، و صفحه عنها ، و تهذيب الكتاب منها ، و عدم الخوض و بسط الكلام في تفنيدها ، محتجاً بأنّها وليدة الأهواء الضالّة ، ونسيجة الآراء المضلّة ، لا يذهب إليها إلّا من صُفّد بسلاسل البدع و النزعات الكاسدة الفاسدة المدلهمّة ، يحقّ للمسلم الصحيح أن يسكت عنها ، و لا يدنو منها ، و لا يحوم حولها ، ونعمّا فعل ، فإنّها تعمي القلوب ، ولا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور.

ولا يغرنّك من يلهج بالثناء على « إحياء العلوم » جهلاً بما فيه ، أو ذهولاً عن معرّته ، أو ابتهاجاً لما فيه من الحكايات الّتي يستروح بها ، أو نزوعاً إلى حكم العاطفة ، أو غضّاً و غمضاً عن حكم العقل و الشرع و المنطق و الاعتبار ، أو تشويهاً لسمعة الاسلام المقدّس بتلكم المحبوكات على نول الخيال ، و بثّ ما فيه من الآراء و المعتقدات الّتي تضادّ الكتاب الكريم و السنّة الثابتة . قل لي : بأيّ كتاب أم بأيّة سنّة يصح ما نشرته يد الإفك و الاختلاق و قصص الخرافة في الذبّ عن كتاب سوّد صحيفة تاريخ مؤلّفه و أبقى عليه عاراً مع الأبد ، و أثنى عليه لسان الوضع و الافتعال ممّا ذكره الإمام أبوالحسن المعروف بابن حرزم و كان مطاعاً في بلاد المغرب إنّه لمّا وقف على « إحياء العلوم » للغزّالي أمر بإحراقه . وقال : هذا بدعة مخالف للسنّة فأمر بإحضار ما في تلك البلاد من نسخ الإحياء ، فجمعوا و أجمعوا على إحراقها يوم الجمعة ، و كان إجماعهم يوم الخميس فلمّا كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن في المنام كأنّه دخل من باب الجامع و رأى في ركن المسجد نوراً ، و إذا بالنبيّ ﷺ و أبي بكر و عمر جلوس و الإمام الغزّالي قائم و بيده « الإحياء » و قال : يا رسول الله هذا خصمي ، ثمّ جثا على ركبتيه و زحف عليها إلى أن وصل إلى النبيّ ﷺ فناوله « كتاب الإحياء » وقال : يا رسول الله انظر فيه فإن كان فيه بدعة مخالفة لسنّتك كما زعم تبت إلى الله ، و إن كان شيئاً تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفني من خصمي ، فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقة ورقة

إلى آخره، ثمّ قال : و الله إنّ هذا شيء حسن ، ثمّ ناوله أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فنظر فيه كذلك، ثمّ قال : نعم و الّذي بعثك بالحقّ يا رسول الله إنّه لحسن ، ثمّ ناوله عمر ـ رضي الله عنه ـ فنظر فيه كذلك ، ثمّ قال كما قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فأمر رسول الله ﷺ بتجريد أبي الحسن و ضربه حدّ المفتري ، فجرّد و ضرب ، ثمّ شفع فيه أبوبكر بعد خمسة أسواط ، و قال : يا رسول الله إنّما فعل ذلك اجتهاداً في سنّتك و تعظيماً ، فعفا عنه أبو حامد عند ذلك . فلمّا استيقظ أبو الحسن من منامه و أصبح أعلم أصحابه بما جرى و مكث قريباً من الشهر متألّماً من الضرب ، ثمّ سكن عنه الألم و مكث إلى أن مات ، و أثر السياط على ظهره و صار ينظر كتاب « الإحياء » و يعظّمه و ينتحله أصلاً أصيلا .

وفي لفظ اليافعي قال : وبقيت متوجّعاً لذلك خمساً و عشرين ليلة ثمّ رأيت النبيّ ﷺ جاء و مسح عليّ و توّبني فشفيت ونظرت في « الإحياء » ففهمته غير فهم الأوّل ، و ذكره السبكي في طبقاته ج ٤ ص ١٣٢ : و قال : هذه حكاية صحيحة حكاها جماعة من ثقات مشيختنا عن الشيخ العارف وليّ الله سيّدي ياقوت الشاذلي عن شيخنا السيّد الكبير وليّ الله أبي العبّاس المرسي ، عن شيخه الشيخ الكبير وليّ الله أبي الحسن الشاذلي قدس الله تعالى أسرارهم .

و ذكره المولى أحمد طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٠٩ و اليافعيّ في مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٣٢ :

و قال السبكي في طبقاته ج ٤ ص ١١٣ : كان في زماننا شخص يكره الغزالي و يذمّه و يستغيبه في الديار المصريّة فرأى النبيّ ﷺ في المنام و أبا بكر و عمر ـ رضي الله عنهما ـ بجانبه و الغزاليّ جالس بين يديه و هو يقول : يا رسول الله هذا يتكلّم فيّ و إنّ النبيّ ﷺ قال : هاتوا السياط ، و أمر به فضرب لأجل الغزالي ، و قام هذا الرجل من النوم و أثر السياط على ظهره ، و لم يزل كان يبكي و يحكيه للناس ، و سنحكي منام أبي الحسن ابن حرزم المغربي المتعلّق بكتاب « الإحياء » و هو نظير هذا . انتهى

هذه الشناشن الأفنة، و العقليّات الطائشة، و التافهات المزخرفة، و الأباطيل المفوتة، و الآراء السخيفة، و الأفكار الضئيلة، و الطريقة النائية عن الحقيقة.

و هذا الفقه المزيّف، و العلمُ المردود، و العرفانُ الذّميم، و النسجُ المزوّر على نَوْلِ الزور، و الحكم البات الباطل، و الزهدُ الباردُ المزهودُ عنه، و النسكُ الفارغ الخلق البالي.

كلٌّ هذه معرّة الاستبداد بالرأي، و الصفح عن الوسيلة المأمور باتّخاذها في كتاب الله العزيز، و عن وصيّة الرسول الأمين صلّى الله عليه و آله المتكرّره، و البعد عن آل الله وعن علومهم و حكمهم، و هي ذنب التقاعس عن الإقتداء بهديهم، و الأخذ منهم، و نتاج الجموح و عدم العناية بشأنهم، و الاخبات إليهم و الإصاخة إلى قولهم، و جناية النزوع إلى حكم العاطفة.

هذا مجمل القول في «الإحياء» و أمّا تهذيبه «المحجّة البيضاء» و ما أدراك ما المحجّة البيضاء، فقد وافق الاسم المسمّى، و هو كتاب مكتنزٌ بالفوائد، ممتلىء من النوادر و الكلام اللّطيف، مفعم برقيق المعاني و سديد القول، يطفح بطرائف الحديث، و طوارف القرائح، و مستظرفات الخواطر، و غرر النوادر، و درر الحكم و الآثار، تفتّح منه أبواب من العلوم الراسخة، تدلّ على وضح الطريق، و ترشد إلى مهيع السبل عند مفترقها، و تهدي إلى سواء السبيل.

يتراءى للباحث في طيّ تلكم الصحائف المكرّمة طريقة معبّدة، و حقيقة راهنة، وفقه مستدلّ، و حكمة بالغة، و موعظة حسنة، و حجّة داحضة، و رواية مع الدراية، و نواميس من الدين ناصعة، و دعوى مدعومة بالبرهنة.

يتراءى لكلّ من طالع ذلك السفر القيّم نسكٌ معقول، و زهدٌ غير مفتعل، و عرفان غير منسوج، و منهج لاحب، و قولٌ سديد، و برهانٌ قويٌّ، و دليلٌ رصيف، و رأيٌ حصيف، و بيانٌ متين، و مقالٌ بليغ، و كلامٌ وزين، و مسلكٌ جدَد، و من سلك الجدَد أمن العثار. و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام: من سلك الطريق الواضح ورد الماء، و من خالف وقع في التيه.

يتراءى من المحجّة البيضاء لكلّ من سلكها أبحاث ضافية من عظات و عبر ، وبيّنات من صحيح الأثر ، و دروس عالية ممّا يهمّ السائر إلى الله عرفانه من المنجيات و المهلكات .

يتراءى لمن أطلّ عليها و استطلعها إثارة من العلم الناجع ، و قد أتاه المؤلّف من مأتاه ، و أخذه من لسان الصدق و العدل ، من لسان كتاب الله الناطق ، و السنّة المأثورة عن أئمّة بيت الوحي والرسالة و الإمامة ، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنّة الله تحويلاً .

فخطّت تلك الصحائف البيضاء يمنى إيمان راسخ في العلم ، و هذّبته يد ولاء إنسان صادق في ولائه ، و نمّقته يراعة حَبر براها العلم الصحيح ، ونحتها من تخبّر السير إلى الله و اختبره ، و عرف من أين تؤكل الكتف .

فما قلّدته أنامل الفضيلة و الكرامة جيد هذا الإنسان معلّم الأخلاق من سمط اللّئالي ، أو ما خطّه يراع العلم في صحيفة سفره ممّا يذكر ويحمد ، و يقرء وينتفع به ، أو ما سجّل في ديوانه من معروف و قول حسن جميل ، أو ما حوته طيّات كتبه من سديد الرأي ، و لطيف الكلام ، و جزيل المعاني ، و جودة السرد ، إلى حقائق و دقائق و رقائق كلّها من بركة آل الله و الاغتراف من بحار فضلهم .

وما أزاحه عن جميع ما في «الإحياء» من الزلّة والعثرة إلّا الأخذ من العترة الهادية .

و ما نحّاه عن كلّ تلكم السقطة و الهفوة إلّا التمسّك بالعروة الوثقى و حبل الله المتين .

و ما صانه عن مدانس التره و الشّبه إلّا الإصاخة إلى داعية الحقّ .

و ما دلّه على رشده إلّا السير و راء هدي أهل البيت الطاهر ، و هذا هو الفارق الوحيد بين الكتابين : «الإحياء» و «تهذيبه» . و كذلك بين كلّ كتاب و كتاب ، و صحيفة وصحيفة ، و مقال ومقال ، و الحمد لله أوّلاً وآخراً .

انتهى ما أملاه شيخنا الأجلّ اسوتنا و قدوتنا في المذهب مولانا الأميني حيّاه الله و بيّاه .

المؤلّف

محمّد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود ، المدعوّ بالمولى محسن القاشاني ، المعروف بالفيض أحد نوابغ العلم في القرن الحاديعشر ، كان نشؤه في بلدة قم المشرّفة ، فانتقل إلى قاشان ، ثمّ ارتحل إلى شيراز بعد ما سمع بورود السيّد ماجد بن عليّ البحراني [١] تلك البلدة للأخذ من منهل علومه ، ومن المولى صدر الدين الشيرازي وتخرّج عليهما وتزوّج ابنة المولى الصدر المعظّم ، ثمّ غادرها إلى قاشان [٢] و كان هنالك مرجعاً فذّاً لا ندّ له إلى أن توفّي بها سنة ١٠٩١ و هو ابن أربع و ثمانين [٣] ، و دفن هناك و قبره مشهور يُزار .

جُمَل الثناء عليه

إطباق العلماء على فضله و تقدّمه و براعته في العلوم يغنينا عن سرد جمل الثناء عليه و تسطير الكلم في إطرائه .

قال المحدّث المتبحّر الشيخ الحرّ العاملي : محمّد بن المرتضى المدعوّ بمحسن الكاشاني كان فاضلاً ، عالماً ، ماهراً ، حكيماً ، متكلّماً ، محدّثاً ، فقيهاً ، محقّقاً ، شاعراً ، أديباً ، حسن التصنيف من المعاصرين ، له كتب - ثمّ عدّ بعضاً من كتبها ثمّ قال : - قدذكره السيّد عليّ بن ميرزا أحمد في السلافة و أثنى عليه ثناءً بليغاً [٤]

و قال الرجاليّ الكبير محمّد بن عليّ الأردبيليّ : محسن بن المرتضى - رحمه الله -

(١) هو السيد ماجد بن على بن المرتضى بن على بن ماجد ابو على الحسينى البحرانى من أجل فضلاء البحرين وادبائها كان أوحد زمانه فى العلوم وأحفظ أهل عصره و هو أول من نشر الحديث فى دار العلم شيراز المحروسة . قال الشيخ سليمان الماحوزى فى الفصل الذى ألحقه بالبلغة فى ذكر علماء البحرين : السيد العلامة الفهامة - الى أن قال - تلمذ عليه أعيان العلماء مثل مولانا العلامة محمد محسن الكاشانى صاحب الوافى . راجع ترجمته أمل الامل ص٤٩٣ سلافة العصر ص ٥٠٠ ، خلاصة الاثر ج ٣ ص ٣٠٧ للمولى محمد المحبى . مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٢) راجع لؤلؤة البحرين ص ١٣٢ .

(٣) المستدرك ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٤) أمل الامل ص ٥٠٧ من طبعه الملحق بمنهج المقال .

العلّامة المحقّق المدقّق جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة فاضل كامل، أديب متبحّر في جميع العلوم (١).

و قال السيّد نعمة الله الجزائري الشوشتري كان أستاذنا المحقّق المولى محمّد محسن القاشاني صاحب الوافي و غيره ممّا يقرب مائتي كتاب ورسالة (٢).

و قال الشيخ يوسف البحراني: المحدّث القاشاني كان فاضلاً، محدّثاً، أخبارياً صلباً (٣).

و قال السيّد محمّد شفيع الحسيني في الروضة البهيّة في ترجمته: إنّه صرف عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة، و العلوم الإلهيّة، و كلماته في كلّ باب في غاية التهذيب والمتانة وله مصنفات كثيرة.

و أثنى عليه صاحب الروضات بقوله: أمره في الفضل و الفهم و النبالة في الفروع و الأصول و كثرة التأليف مع جودة التعبير و الترصيف أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد (٤).

و قال المحدّث النوريّ: من مشايخ العلّامة المجلسي العالم الفاضل المتبحّر المحدّث العارف الحكيم المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني (٥).

و قال المحدّث القمّيّ بعد عنوانه نحواً ممّا مرّ: أمره في الفضل و الأدب، وطول الباع و كثرة الاطّلاع، وجودة التعبير، و حسن التحرير، و الإحاطة بمراتب المعقول و المنقول أشهر من أن يخفى (٦).

وقال العلّامة الأميني في الغدير ج ١١ ص ٣٦٢ في ترجمة علم الهدى ابن المؤلّف: هو ابن المحقّق الفيض علم الفقه، وراية الحديث، و منار الفلسفة، و معدن العرفان، وطود الأخلاق، و عباب العلوم والمعارف، هو ابن ذلك الفذّ الّذي قلّ ما أنتج شكل

(١) جامع الرواة ج ٢ ص ٤٢.
(٢) كذا في زهر الربيع ص ١٦٤ طبع طهران حسبما رقمناه
(٣) لؤلؤة البحرين ص ١٣٣.
(٤) الروضات ص٥١٦.
(٥) خاتمة المستدرك ص ٤٢٠.
(٦) الكنى والالقاب.

الدّهر بمثيله، و عقمت الأيّام عن أن تأتي بمشبهه.

و أورده البحّاثة، الأستاذ (مرتضى المدرّسي چهاردهي) المدرّس في دار المعلّمين العالية بجامعة طهران في كتابه المسمّى بطبقات المفسّرين و أطراه و عظّمه و بجّله بكلام يعجبني ذكره قال:

كان الفيض - رحمه الله - من كبار علماء الإماميّة الّذين كانت لهم عناية بالغة بالقرآن و الحديث، له مسلك خاصّ في التفسير جمع بين الطريقة و الشريعة.

ألّف في الحقائق القرآنيّة الّتي أسّست على أصول الفطرة، والحكمة العالية الّتي تنطبق على نواميس الطبيعة، والعرفان الصحيح الّذي يلائم الفطرة و العقل تفسيريه: الصافي، و الأصفى.

ونقل في كتابه «المحجّة البيضاء» الّذي ألّفه في تهذيب إحياء العلوم أخباراً كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في علم الأخلاق و علم النفس و أدبها بوجه رائق، والحقّ أنّه تفسير للقرآن وشرح لأحاديث الإماميّة، وهو يبحث في هذا الكتاب بحثاً تحليليّاً عن عقائد الغزّالي وآرائه ثمّ شرع في نقدها وتهذيبها معتمداً في كلّ ذلك على الكتاب والسنّة.

واستشهد في آرائه في جميع تآليفه بالقرآن والحديث الصادر عن أهل بيت الوحي.

وإذا قسنا بينه و بين أبي حامد في فهم آيات الكتاب الحكيم و الأخبار الصادرة عن منبع الوحي نرى تقدّمه الباهر على الغزّالي مع ما كان له من الشهرة العالميّة واشتهار الفيض في جامعة الشيعة فحسب.

ولو أنّ الدعايات المبثوثة حول الغزّالي في العالم بثّت حول الفيض لظهر عبقريّته وعلم المحقّقون من أعلام الغرب مبلغ عظمته العلميّة وتوجّهوا نحو آرائه القيّمة وعقائده الحقّة في علم التفسير والحديث من ناحية الأخلاق وعلم النفس وأدبها. انتهى

❁(مشايخه و الراوون عنه)❁

روى عن جمع من الفطاحل و جماعة من الأعلام منهم:

١ - الشيخ البهائي محمّد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي.

٢ - المولى محمّد طاهر بن محمّد حسين الشيرازي ثمّ النجفي ثمّ القمّي.

٣ ـ المولى خليل الغازي القزويني شارح الكافي .

٤ ـ الشيخ محمد بن الشيخ الحسن بن الشهيد الثاني .

٥ ـ المولى محمد صالح شارح الكافي .

٦ ـ السيّد الجليل النبيل السيّد ماجد بن السيّد هاشم الحسيني البحراني .

٧ ـ الحكيم المتألّه الفاضل محمد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بمولى صدرا .

٨ ـ أبوه الشاه مرتضى بن الشاه محمود .

و يروي عنه جماعة من الأعاظم منهم .

١ ـ العلاّمة المجلسي ـ محمد باقر بن محمد تقي صاحب بحار الأنوار .

٢ ـ السيّد نعمة الله الجزائري الشوشتري .

٣ ـ القاضي سعيد القمّي .

٤ ـ ولده الزكي المعروف بعلم الهدى .

(تآليفه القيمة وآثاره الثمينة)

قال الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني بعد ترجمته و الثناء عليه : له تصانيف أفردلها فهرساً عليحدة ونحن ننقل ذلك عنه ملخّصاً [(١)].

١ ـ الصافي في تفسير القرآن يقرب من سبعين ألف بيت ، فرغ من تأليفه في سنة خمس وسبعين بعد الألف [(٢)] .

٢ ـ الأصفى منتخب منه ، أحد وعشرين ألف بيت تقريباً .

٣ ـ الوافي في خمسة عشر جزءاً كلّ منها كتاب برأسه ، يقرب مجموعه من مائة و خمسين ألف بيت ، ووقع الفراغ من تصنيفه في سنة ثمان وستّين بعد الألف .

٤ ـ الشافي ، وهو منتخب من الوافي ، في جزأين جزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق ، وجزء هو من قبيل الشرائع والأحكام ، في كلّ منها اثنا عشر كتاباً ، يقرب من ستّة و عشرين ألف بيت ، ووقع الفراغ منه في سنة اثنتين و ثمانين بعد الألف .

---

(١) راجع لؤلؤة البحرين ص ١٢٥ .

(٢) طبع مرارا عدة بطهران .

٥ ـ النوادر ، في جمع الأحاديث الغير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف بيت [طبع أخيراً بطهران بعناية مدير مكتبة «الشمس»] .

٦ ـ معتصم الشيعة ، في أحكام الشريعة ، قد خرج منه كتاب الصلاة و مقدّماتها ، مجلّد يقرب من أربعة عشر ألف بيت ، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف.

٧ ـ النخبة ، يشتمل على خلاصة أبواب الفقه في ثلاثة آلاف بيت و ثلاثمائة تقريباً في سنة خمسين بعد الألف .

٨ ـ التطهير ، وهو نخبة من النخبة لبيان علم الأخلاق يقرب من خمس مائة بيت .

٩ ـ علم اليقين في اصول الدّين ، أربعة عشر ألف بيت وخمس مائة تقريباً ، في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف .

١٠ ـ المعارف ، وهو ملخّص من كتاب علم اليقين و لبابه ، في ستّة آلاف بيت تقريباً في سنة ستّ وثلاثين بعد الألف .

١١ ـ اُصول المعارف ، و هو ملخّص مهمّات عين اليقين ، يقرب من أربعة آلاف بيت ، وقد صنّف في سنة تسع وثمانين بعد الألف .

١٢ ـ المحجّة البيضاء ، في إحياء الإحياء ، ومجموعه ثلاثة وسبعون ألف بيت تقريباً ، وقع الفراغ منه في سنة ستّ و أربعين بعد الألف . [أقول : كأنّه تصحيف والصحيح تهذيب الإحياء كما في الأصل] .

١٣ ـ الحقائق في أسرار الدّين ، ملخّص كتاب المحجّة و لبابه في سبعة آلاف بيت في سنة تسعين وألف .

١٤ ـ قرّة العيون ، ثلاثة آلاف وخمس مائة بيت في سنة ثمان وثلاثين وألف .

١٥ ـ الكلمات المكنونة في بيان التوحيد ، في ثمان مائة بيت ، صنّف في سنة ألف و تسعين .

١٦ ـ جلاء العيون في بيان أذكار القلب ، في مائتي بيت .

١٧ ـ تشريح العالم ، في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه و كيفيّته وحركات الأفلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركّبات ، في ثلاثة آلاف بيت .

١٨ ـ أنوار الحكمة ، وهو مختصر من كتاب علم اليقين مع فوائد حكميّة اختصّت

به ، تقرب من ستّة آلاف بيت ، في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف .

١٩ ـ اللّباب ، و هو لباب القول في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء مائتي بيت .

٢٠ ـ اللّب ، و هولبّ القول في معنى حدوث العالم ، في ثلاث مائة وسبعين بيت .

٢١ ـ ميزان القيامة ، ذكرفيه تحقيق القول في كيفيّة ميزان يوم القيامة ، يقرب من ستّ مائة بيت في سنة أربعين بعد الألف .

٢٢ ـ مرآة الآخرة ، تنكشف فيه حقيقة الجنّة والنّار ووجود هماالآن ومحلّهما من الدّنيا ، في تسع مائة بيت ، و قد صنّف في أربع وأربعين بعد الألف .

٢٣ ـ ضياء القلب ، في تحقيق حقيقة أحكام الخمسة الّتي تحكم على الإنسان في باطنه ، يقرب من خمس مائة بيت ، في سنة سبع وخمسين بعد الألف .

٢٤ ـ تنويرالمذاهب ، و هو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي ، الموسوم بالمواهب ، يقرب من ثلاثة آلاف بيت .

٢٥ ـ شرح الصحيفة السجّاديّة ، شرح منها ما لعلّه يحتاج إلى الشرح بإيجاز واختصار ، يقرب من ثلاثة آلاف بيت وثلاث مائة .

٢٦ ـ سفينة النجاة في أنّ مأخذ الأحكام الشرعيّة ، ليس إلّا محكمات الكتاب و السنّة ، يقرب من ألف وخمس مائة بيت وقد صنّف في سنة ثمان وخمسين بعد الألف.

٢٧ ـ الرسالة الموسومة بالحقّ المبين في تحقيق كيفيّة التفقّه في الدّين يقرب من مائتين وخمسين بيتاً ، وقد صنّف سنة ثمان وستّين بعد الألف .

٢٨ ـ الاصول الأصليّة ، يشتمل على عشرة اُصول مستفادة من الكتاب و السنّة يقرب من الألف وثمان بيت ، في سنة أربعة وأربعين بعد الألف .

٢٩ ـ تسهيل السبيل في الحجّة في انتخاب كشف المحجّة ، للسيّدبن طاؤوس العلويّ ، يقرب من تسع مائة بيت ، في سنة أربعين بعد الألف .

٣٠ ـ نقدالأصول الفقهيّة يشتمل على خلاصة علم اُصول الفقه ، صنّف في عنفوان الشباب و هو اوّل تصنيف له ، يقرب من ألفين وثلاث مائة بيت .

٣١ ـ اصول العقائد في تحقيق الاصول الخمسة الدينيّة ، يقرب من ثمان مائة بيت ، في سنة ستّ وثلاثين بعد الألف .

٣٢ ـ منهاج النجاة ، في بيان العلم الّذي طلبه فريضة على كلّ مسلم ، و يقرب من ألفي بيت صنّف سنة اثنتين و أربعين بعد الألف .

٣٣ ـ خلاصة الأذكار يقرب من ألفي بيت و ثلاث مائة بيت ، و قد صنّف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف .

٣٤ ـ ذريعة الفراغة في جميع الأدعيّة المتضمّنة للمناجاة المنقوله عن الأئمّة عليهم السلام ، يقرب من خمس مائة آلاف بيت ، وقد صنّف في سنة نيّف وخمسين بعد الألف .

٣٥ ـ مختصر الأوراد ، يشتمل على الأذكار والدعوات المتكرّرة في اليوم و الّليلة والاسبوع والسنّة ، يقرب على خمسمائة آلاف وخمسمائة بيت ، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة سبع وستّين و ألف .

٣٦ ـ أهمّ ما يعمل ، يشتمل على مهمّات ماورد في الشريعة المطهّرة من العمل بها ، يقرب من خمسمائة بيت .

٣٧ ـ الخطب يشتمل على مائة خطبة ونيّف لجمعات السنة والعيدين ، يقرب من أربعة آلاف بيت ، وقدتمّ جمعه في سنة سبع وستّين بعد الألف .

٣٨ ـ شهاب الثاقب في تحقيق عينيّة وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة ، صنّف في سنة سبع و خمسين وألف .

٣٩ ـ أبواب الجنان ، في بيان وجوب صلاة الجمعة و شرائطها وآدابها و أحكامها بالفارسيّة لعامّة الناس في خمسمائة بيت ، و صنّف في سنة خمس و خمسين وألف .

٤٠ ـ ترجمة الصلاة ، يترجم فيه أذكار الصلاة بالفارسيّة في أربعمائة وخمسين بيتاً تقريباً ، صنّف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف .

٤١ ـ مفاتيح الخير ، ممّا يتعلّق بفقه الصلاة ولواحقها بالفارسيّة ، يقرب من مائتين وخمسين بيتاً .

٤٢ ـ ترجمة الطهارة وفقهها وما يتعلّق بها بالفارسيّة في مائتين وثمانين بيتاً .

٤٣ ـ أذكار الطهارة ، من الأذكار المتعلّقة بها ، في خمسين بيتاً .

٤٤ ـ ترجمة الزكاة بالفارسيّة ، في مائتين وستّين بيتاً .

٤٥ ـ ترجمة الصيام ، و هو مثل ترجمة الزكاة ، يقرب من ثلاث مائة بيت .

٤٦ ـ ترجمة العقائد بالفارسيّة .

٤٧ ـ الرسالة الموسومة بالسانح الغيبي في تحقيق معنى الإيمان والكفر ومراتبهما .

٤٨ ـ الرسالة الموسومة براه صواب يذكر فيها بالفارسيّة سبب اختلاف أهل الإسلام في المذاهب و انبعاثهم على تدوين الأُصولين ، و تحقيق معنى الإجماع في خمسمائة بيت صنّف في سنة نيّف وأربعين وألف .

٤٩ ـ الرسالة الموسومة بشرائط الإيمان و هومنتخب من راه صواب .

٥٠ ـ كتاب ترجمة الشريعة بالفارسيّة ، فيه معنى الشريعة و فائدتها و كيفيّة سلوكها وبيان أقسام كلّ من الحسنات والسيّئات .

٥١ ـ الأذكار المهمّة ، مختصر من خلاصة الأذكار فارسيٌ في ثلاث مائة وأربعين بيتاً.

٥٢ ـ الرفع والدفع ، في رفع الآفات و دفع البليّات بالقرآن و الدّعاء و العوذ والرقى والدّواء ، فارسيٌ في أربعمائة وعشرين بيتاً .

٥٣ ـ الرسالة الموسومة بآئينهٔ شاهي ، وهومنتخب من ضياء القلب ، فارسيٌ ، تقرب من ثلاث مائة بيت ، في سنة ستّ وستّين وألف .

٥٤ ـ الرسالة الموسومة بوصف الخيل ، وذكر ماورد من اتّخاذ الخيل و معرفتها وعلاماتها من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ، فارسيّة ، تقرب من مائتي بيت ، قد صنّف في سنة سبع و ستّين و ألف .

٥٥ ـ الرسالة الموسومة بزاد السالك ، يذكر فيها كيفيّة سلوك طريق الحقّ وشروطه و آدابه [طبع بعناية الأُستاد الشريف السيّد جلال الدين المعروف بمحدّث] .

٥٦ ـ الرسالة الموسومة بالنخبة الصغرى تشتمل على لباب فقه الطهارة و الصلاة والصيام ، في لفظه متعلّقات النخبة الصغرى وفيها تفصيل ما أجملته وتبيين ما أبهمته .

٥٧ ـ الرسالة الموسومة بالضّوابط الخمس في أحكام الشكّ والسهو والنسيان في الصلاة .

٥٨ ـ الرسالة الموسومة بحرمان الأموات تشتمل على أُمّهات المسائل الشرعيّة المتعلّقة بالجنائز .

٥٩ ـ و رسالة في بيان أخذ الأُجرة على العبادات و التغاير الدينيّة ، تقرب من مائة وخمسين بيتاً .

٦٠ ـ رسالة في تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج و ما يتعلّق بذلك إلى مائة و ثمانين بيتاً .

٦١ ـ الرسالة الموسومة بغنية الأنام في معرفة الأيّام و الساعات ، ممّا هومستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام .

٦٢ ـ الرسالة الموسومة بمعيار الساعات ، و هوغريبة من الغنية ، إلّا أنّها بالفارسيّة .

٦٣ ـ والرسالة الموسومة بالأحجار الشداد و السيوف الحداد في إبطال الجواهر الافراد .

٦٤ ـ الرسالة الموسومة بالمحاكمة ، تشتمل على محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التقيّة في الدين .

٦٥ ـ والرسالة الموسومة برفع الفتنة في بيان حقيقة العلم و العلماء ، وشيء من معنى الزهد و العبادة وأصحابها .

٦٦ ـ فهرست العلوم شرحت فيها أنواعها وأصنافها .

٦٧ ـ رسالة في أجوبة مكتوبات و سؤالهنّ منتزعات من كتب العلماء و أهل المعرفة وأشعارهم .

٦٨ ـ الرسالة الموسومة بشرح الصور تشتمل على مجمل ما مضى من الحالات والنوائب في أيّام عمري من ظعني وإقامتي واستفادتي وإفادتي ومكارمي ومقاماتي وخمولي وشهرتي وخلوتي وصحبتي ومفارقة إخواني المحبوبين و مخالطة أصحابي المكرمين ، وهي نفثة من نفثاتي ، وقد صنّف في خمس وستّين و ألف .

أقول : إلى هنا منقول من لؤلؤة البحرين النسخة المطبوعة ولايخفى مافيه من الاشتباه والتصحيف والسقط والخلط .

و ذكر العالم المتبحّر الخبير الشيخ محمّد عليّ المدرّس التبريزي في ريحانة الأدب ج ٣ ص ٢٤٢ له كتب أخرى وهي :

٦٩ - آب زلال ، مثنويٌّ ، يخاطب به نفسه في شطر وربّه الأعلى في شطر آخر ، فارسي .

٧٠ - الأربعون حديثاً في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام .

٧١ - الفت نامه في ترغيب المؤمنين إلى الأنس والاتّحاد ، فارسيّة .

٧٢ - الأمالي .

٧٣ - رسالة الانصاف في طريق العلم بأسرار الدين .

٧٤ - انموذج أشعار أهل العرفان يحوي سبعين غزلاً في التوحيد ، فارسي .

٧٥ - بشارة الشيعة .

٧٦ - كتاب التوحيد .

٧٧ - ثناء المعصومين .

٧٨ - الجبر والاختيار .

٧٩ - الكلمات المخزونة مختصر من الكلمات المكنونة .

٨٠ - حاشية على رواشح السماويّة لمير الداماد .

٨١ - حاشية على صحيفة السجّاديّة .

٨٢ - ديوان شعره [طبع أخيراً في طهران بعناية مدير مكتبة « الشمس»] .

٨٣ - شوق الجمال وشوق العشق وشوق المهدي كلّها من منظوماته .

٨٤ - فهرست مصنّفاته [كما عرفت سابقاً] .

٨٥ - گلزار قدس [طبع مع ديوانه] .

٨٦ - المصفّى في تفسير القرآن [أقول : ولم يثبت وفيه كلام] .

٨٧ - مثنويّات يسمّي تسنيم و سلسبيل وندبة العارف وندبة المستغيث إلى غير ذلك .

٨٨ - مفاتيح الشرايع في الفقه .   ٨٩ - عين اليقين .

قال في اللّؤلؤة : و قد انتقل من بلدة كاشان إلى شيراز للتحصيل على يد السيّد ماجد البحراني والمولى صدر الدين الشيرازي .

حكى السيّد السعيد السيّد نعمة الله الجزائريّ الشوشتري ـ رحمه‌الله ـ قال: كان أُستادنا المحقّق المولى محمّد محسن الكاشاني صاحب الوافي وغيره ممّا يقارب مائتي كتاب و رسالة، و كان نشؤه في بلدة قم فسمع بقدوم الشيخ الأجلّ المحقّق المدقّق الإمام الهمام السيّد ماجد البحراني‌ّ الصادقي إلى شيراز، فأراد الارتحال إليه لأخذ العلوم منه، فتردّد والده في الرخصة له ثمّ بنوا الرخصة و عدمها على الاستخارة فلمّا فتح القرآن جاءت الآية «فلو لا نفر من كلّ فرقة طائفة منهم ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون» ولا آية أصرح و أنصّ وأدلّ على هذا المطلب مثلها، ثمّ تفأّل بعدُ بالديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام فجاءت الأبيات هكذا:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى ... و سافر ففي الأسفار خمس فوائدِ

تفرّج همّ واكتساب معيشة ... و علم و آداب و صحبة ماجدِ

فإن قيل في الأسفار ذلّ و محنة ... و قطع الفيافي و ارتكاب الشدائدِ

فموت الفتى خير له من معاشه ... بدار هوان بين واشٍ و حاسدِ

وهذه أيضاً أنسب بالمطلوب ولاسيّما قوله: «وصحبة ماجد» فسافر إلى شيراز وأخذ عنه العلوم الشرعيّة وقرء العلوم العقليّة على الحكيم الفيلسوف المولى صدر الدين الشيرازيّ وتزوّج بابنته.

علي أكبر الغفاريّ

(تذكرة)

قوبل هذا المجلد على ثلاث نسخ نفيسة ثمينة:

١ ـ نسخة مصحّحة حدّاً موشّحة بالحواشي و التعاليق للسيّد الشريف المحقّق السيّد محمّد عليّ الروضاتي دامت فيوضاته، إليك صورتها الفتوغرافيّة تحت رقم ١.

٢ ـ نسخة مصحّحة لخزانة كتب الحبر العلم النسّابة، سماحة آية الله، السيّد شهاب الدين النجفيّ المرعشي دام ظلّه العالي، راجع صورتها الفتوغرافيّة تحت رقم ٢.

٣ ـ نسخة نفيسة لمكتبة الأستاذ مرتضى المدرّسي چهار دهي، و إليك صورتها الفتوغرافيّة تحت رقم ٣.

١ ـ نسخة السيّد الشريف الروضاتي

واستغواهم الطغيان فاصبح كل واحد منهم بعاجل حظه مشغوفاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل
علم الدين مندرساً ومنار الهدى في اقطار الارض منطمساً ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة يستعين
بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام
او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للعوام وحبالة
الحرام وشبكة الحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة و
علماً وضياءً ونوراً وهداية ورشداً فقد اصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً قال ولما كان هذا ثلماً في
الدين ملماً وخطباً مدلهماً رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً احياءً لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الائمة
المتقدمين وايضاحاً لما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين اقول ولهذا السبب بعينه مع ما كرثني
من الامور اشتغلت بتهذيب كتابه واحياء احيائه احياء لعلوم الدين بحبوة اخرى وكشفاً عن مناهج ائمة الدين
بهداية ارفع واعلى وسميته بالمحجة البيضاء في تهذيب الاحياء وان شئت قلت واحياء الاحياء وتقريباً لطالب
الى الله سبحانه نفع الله به السالكين وجعله الى الطريق ذخراً ليوم الدين ووفقني للعمل به واشركني في اجر سائر
العاملين بمنه وكرمه آمين قال ابو حامد رحمه الله ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات
وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولاً عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الاعيان
بطلبه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة واميز فيه العلم
النافع من الضار اذ قال نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع
السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب فاما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم كتاب
قواعد العقايد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة كتاب اسرار الزكوة كتاب اسرار الصيام كتاب اسرار

الحج

٢ ـ نسخة سماحة آية الله المرعشي

هذا كتاب المحجة البيضاء في إحياء الإحياء من تصانيف مولانا
محمد محسن الكاشاني بسم الله الرحمن الرحيم ربع العبادات

احمد الله تعالى اولاً حمداً كثيراً دائماً متوالياً وان كان دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي
على رسوله واوصيائه ثانياً صلوة تستغرق مع سيد المرسلين عترته المعصومين
سائر النبيين واستخير بجنابه ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في تهذيب احياء
علوم الدين من تصانيف ابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله سره فانه وان اشتهر في
الاقطار اشتهار الشمس في رابعة النهار واشتمل من العلوم الدينية المهمة النافعة في الآخرة على ما
يمكن التوصل به الى الفوز بالدرجات الفاخرة مع حسن البيان والتحرير وجودة الترتيب والتقرير الا ان ابا
حامد لما كان حين تصنيفه عامي المذهب ولم يتشيع بعد وانما رزقه الله هذه السعادة في آخر عمره كما
اظهره في كتابه المسمى بسر العالمين وشهد به ابن الجوزي الحنبلي كان قد فاته بيان ركن عظيم من الايمان
وهو معرفة الائمة المعصومين الذين جاءت الوصية بالتمسك بهم وبالقرآن من سيد الانس و
الجان صلوات الله عليه وعليهم وكان كثير من مطالبه خصوصاً ما في فن العبادات منه مبتنياً على
اصول عامية فاسدة ومبتدعات لاهل الاهواء كاسدة وكان اكثر الاخبار المروية فيه مستندة

٣ ـ نسخة الأستاذ (المدرسي چهار دهی)

﴿ مصادر التعليق والتصحيح فى هذا المجلد ﴾

١ ـ الاتقان للسيوطى .
٢ ـ الاحتجاج للطبرسى .
٣ ـ احياء علوم الدين للغزالى .
٤ ـ الاختصاص للشيخ المفيد الطبعة الاولى .
٥ ـ الارشاد « ط ١٣٧٧ .
٦ ـ ارشاد السارى للقسطلانى .
٧ ـ الاستبصار للشيخ الطوسى ط النجف .
٨ ـ الاستغاثة لاحمد بن موسى القمى .
٩ ـ الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الاصابة .
١٠ ـ اسد الغابة لابن أثير الجزرى .
١١ ـ أسرار الصلاة للشهيد الثانى .
١٢ ـ الاصابة لابن حجر العسقلانى ط ١٣٥٩
١٣ ـ اعتقادات الصدوق .
١٤ ـ اعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسى ط ١٣٧٩ .
١٥ ـ الامالى للشيخ الصدوق .
١٦ ـ الامالى للشيخ الطوسى .
١٧ ـ الامالى للشيخ المفيد .
١٨ ـ الامامة والسياسة لابن قتيبة ط ١٣٧٧ .
١٩ ـ الانساب للبلاذرى .
٢٠ ـ بحار الانوار للمجلسى .
٢١ ـ بصائر الدرجات للصفار الطبع الحجرى
٢٢ ـ البيان والتعريف لابن حمزة الحسينى ط الحلب .
٢٣ ـ التاج الجامع الاصول .
٢٤ ـ تاريخ الخطيب طبع مصر .
٢٥ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى .
٢٦ ـ تاريخ الذهبى .
٢٧ ـ تحف العقول لابن شعبة ط ١٣٧٦ .
٢٨ ـ التذكرة لسبط ابن جوزى الطبع الحجرى
٢٩ ـ الترغيب والترهيب للمنذرى ط ١٣٧٣
٣٠ ـ تفسير ابن كثير .
٣١ ـ تفسير على بن ابراهيم القمى ط ١٣١٣ .
٣٢ ـ التفسير الكبير لفخر الدين الرازى .
٣٣ ـ التوحيد للصدوق ط ١٣٢١ .
٣٤ ـ تفسير الانوار للبيضاوى .
٣٥ ـ التهذيب للشيخ الطوسى ط ١٣١٧ .
٣٦ ـ تيسير الوصول لابن الديبع الدمشقى .
٣٧ ـ ثواب الاعمال للصدوق ط ١٣٧٥ .
٣٨ ـ جامع الاخبار .
٣٩ ـ جامع الرواة للاردبيلى .
٤٠ ـ الجامع الصغير للسيوطى .
٤١ ـ الجعفريات والاشعثيات الطبع الحجرى .
٤٢ ـ حلية الاولياء لابى نعيم .

٤٣ ـ الخصال للصدوق الطبعة الاولى .
٤٤ ـ الخصائص للنسائى طبع النجف .
٤٥ ـ الدر المنثور للسيوطى .
٤٦ ـ رجال النجاشى .
٤٧ ـ الرسالة الذهبية (طب الرضا عليه السلام) .
٤٨ ـ الرسالة المعراجية لابن سينا .
٤٩ ـ روضات الجنات للخوانسارى الطبعة الثانية .
٥٠ ـ روضة الواعظين للفتال النيشابورى .
٥١ ـ السرائر لابن ادريس .
٥٢ ـ سر العالمين .
٥٣ ـ سفينة البحار للمحدث القمى .
٥٤ ـ السنن الكبرى لابى بكر أحمد بن الحسين البيهقى .
٥٥ ـ السنن لابى عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائى .
٥٦ ـ السنن لابى عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى .
٥٧ ـ السنن لابى محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الدارمى .
٥٨ ـ السنن لسليمان بن الاشعث السجستانى .
٥٩ ـ السيرة النبوية لابن هشام .
٦٠ ـ الشافى للسيد الشريف المرتضى .
٦١ ـ شرح احياء العلوم للزبيدى .
٦٢ ـ شرح التجريد للقوشجى .
٦٣ ـ شرح النهج لابن أبى الحديد .
٦٤ ـ شرح النهج لابن ميثم البحرانى .
٦٥ ـ الصحاح للجوهرى .
٦٦ ـ الصحيح لابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى .
٦٧ ـ الصحيح لابن عيسى محمد بن عيسى الترمذى الطبعة الاولى .
٦٨ ـ الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخارى طبع محمد على صبيح .
٦٩ ـ صحيفة الرضا عليه السلام .
٧٠ ـ الصواعق المحرقة للهيتمى .
٧١ ـ طبقات لابن سعد طبع ليدن .
٧٢ ـ الطرائف لابن طاؤوس .
٧٣ ـ عدة الداعى لابن فهد الحلى .
٧٤ ـ عقاب الاعمال للصدوق ط ١٣٧٥ .
٧٥ ـ علل الشرائع للصدوق ط ١٣١١.
٧٦ ـ علم اليقين للمؤلف (الفيض).
٧٧ ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام للصدوق .
٧٨ ـ عيون الاخبار لابن القتيبة .
٧٩ ـ الغدير للعلامة الامينى طبع طهران .
٨٠ ـ الغيبة للنعمانى .
٨١ ـ الفقيه (من لا يحضره الفقيه) ط ١٣٧٦.
٨٢ ـ الفهرست للشيخ الطوسى .
٨٣ ـ قاموس المحيط للفيروزآبادى .
٨٤ ـ قرب الاسناد للحميرى الطبع الحجرى.
٨٥ ـ الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة فى شروحه للسيد جواد المصطفوى .
٨٦ ـ الكافى للكلينى الطبع الحروفى الحديث .
٨٧ ـ الكافى الشاف للعسقلانى بهامش الكشاف .

٨٨ ـ الكشاف للزمخشري .
٨٩ ـ كشف المحجة لثمرة المهجة لابن طاؤوس .
٩٠ ـ كمال الدين للشيخ الصدوق .
٩١ ـ كنز العمال لعلى متقى .
٩٢ ـ كنز الفوائد للكراجكى .
٩٣ ـ كنوز الحقائق لعبد الرؤوف المناوى.
٩٤ ـ الكنى والالقاب للمحدث القمى .
٩٥ ـ المجازات النبوية للشريف الرضى .
٩٦ ـ مجمع البيان للطبرسى .
٩٧ ـ مجمع الزوائد و منبع الفوائد للهيثمى.
٩٨ـ المحاسن لاحمد بن محمد بن خالد البرقى .
٩٩ ـ المختصر (مختصر بيان العلم) لاحمد عمر المحمصانى البيروتى طبع مصر .
١٠٠ ـ مرآة العقول للمجلسى .
١٠١ ـ مراصد الاطلاع لعبد المؤمن البغدادى .
١٠٢ ـ مروج الذهب للمسعودى الطبعة الثالثة .
١٠٣ ـ المستدرك لابن البيع الحاكم النيشابورى .
١٠٤ ـ مستدرك الوسائل للنورى .
١٠٥ ـ المسند لابى عوانة .
١٠٦ ـ المسند لابى عبدالله أحمد بن حنبل.
١٠٧ ـ المسند لابى داود الطيالسى .
١٠٨ ـ مشكاة المصابيح لولى الدين محمد ابن عبدالله الخطيب التبريزى .
١٠٩ ـ مصابيح السنة لابى محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوى .
١١٠ ـ مصباح الشريعة .
١١١ ـ مصباح المنير للفيومى .
١١٢ ـ معالم التنزيل للبغوى .
١١٣ ـ معانى الاخبار للصدوق ط ١٣٧٩.
١١٤ ـ المعارف للدينورى .
١١٥ ـ المغنى عن الاسفار للعراقى برمز (م).
١١٦ ـ مفتاح الفلاح للشيخ البهائى طبع مصر.
١١٧ ـ مفردات القرآن للراغب .
١١٨ ـ مقاييس اللغة لاحمد بن فارس .
١١٩ ـ مكارم الاخلاق للطبرسى ط ١٣٧٦.
١٢٠ ـ منتخب كنز العمال بهامش المسند .
١٢١ ـ منية المريد للشهيد الثانى .
١٢٢ ـ الموضوعات لمولى على القارى .
١٢٣ ـ النوادر فى جمع الاحاديث للفيض .
١٢٤ ـ النهاية لابن الاثير الجزرى .
١٢٥ ـ نهج البلاغة .
١٢٦ ـ نيل الاوطار للشوكانى .
١٢٧ ـ وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملى .
١٢٨ ـ الوافى لمولانا الفيض .
١٢٩ ـ الهداية للصدوق .

هذه المصادر الّتي نقلت عنها بلا واسطة و بقي غير هذه من المصادر المنقولة عنها مع الواسطة و هي كثيرة كما هو المشاهد في الكتاب .

المحجة البيضاء

في تهذيب الإحياء

تأليف

المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو

بالمولى محسن الكاشاني ره

المتوفى ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري

حمداً لك يا من جعل الحمد مفتاحاً لذكره، و طريقاً من طرق الاعتراف بوحدانيّته، وسبباً لمزيد فضله و نعمه، و محجّة بيضاء لطالبي فضله و إحسانه.

و صلاة على رسولك الأعظم، والهادي إلى صراطك الأقوم وعلى آله أئمّة الهدى، ومصابيح الدّجى.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى أولاً حمداً كثيراً دائماً متوالياً ، و إن كان يتضاءل دون حقّ جلاله حمد الحامدين (١) ، و أُصلّي على رسوله و أوصياء رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيّد المرسلين و عترته المعصومين سائر النبيّين ، و أستخيره سبحانه ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في تهذيب إحياء علوم الدّين من تصانيف أبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي الطوسيّ - قدّس الله سرّه - فإنّه و إن اشتهر في الأقطار اشتهار الشمس في رائعة النهار ، و اشتمل من العلوم الدّينيّة المهمّة النافعة في الآخرة على ما يمكن التوصّل به إلى الفوز بالدّرجات الفاخرة ، مع حسن البيان والتحرير ، وجودة الترتيب والتقرير إلّا أنّ أباحامد لمّا كان حين تصنيفه عامّيّ المذهب ولم يتشيّع بعد ، و إنّما رزقه الله هذه السعادة في أواخر عمره - كما أظهره في كتابه المسمّى بسرّ العالمين وشهد به ابن الجوزيّ الحنبليّ - (٢) كان قدفاته بيان ركن عظيم من الإيمان ، وهو معرفة الأئمّة المعصومين الّذين جاءت الوصيّة بالتمسّك بهم و بالقرآن من سيّد الإنس والجانّ - صلوات الله عليه وعليهم - .

و كان كثيرٌ من مطالبه خصوصاً ما في فنّ العبادات منها مبتنياً على أُصول عامّيّة فاسدة ، و مبتدعات لأهل الأهواء كاسدة .

و كان أكثر الأخبار المرويّة فيه مسندة عن المشهورين بالكذب و الافتراء على الله و رسوله صلّى الله عليه وآله ممّن لا وثوق بأقوالهم مع وجود ما يطابق العقل منها و الدّين في

---

(١) تضاءل أى صغر و ضعف ، وسقطت الكلمة من بعض النسخ .

(٢) اى شهد بأن كتاب سر العالمين له ، والظاهر المراد سبط ابن الجوزى حيث صرح فى التذكرة ص٣٦ بان كتاب سر العالمين للغزالى .

أحاديثنا المرويّة عن أهل العصمة والطهارة وأهل بيت الوحي والسفارة - صلوات الله عليهم أجمعين - ببيان أحسن وطريق أتقن.

و كان فيه من الحكايات العجيبة و القصص الغريبة المرويّة عن الصوفيّة ـ الايتلقاه أكثر العقلاء بالقبول لبعدها عن ظواهر العقول مع قلّة فائدتها و نزارة عائدتها [1] إلى غير ذلك من الأُمور الّتي كان يشمئزّ عنها قلوب أهل الحقّ من الفرقة الناجية الإماميّة وينبو [2] بسببها عن مطالعته والانتفاع به طباع أكثرهم.

فرأيت أن أُهذّب به تهذيباً يزيل عنه ما فيه من الوصمة و العيب، و أبني مطالبه كلّها على أُصول أصيلة محكمة لا يتطرّق إليها شكٌّ و لا ريب، و أُضيف إليها في بعض الأبواب ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في ذلك الباب من الأسرار و الحكم المختصّة بهم عليهم السلام وأختصر بعض مباحثه بنظم فرائده وحذف زوائده لكي يزيد فيه رغبة متناوليه، و أُفصّل أبوابه الطويلة بفصول قصيرة [3] لئلّا يملّ متعاطيه من دون تصرّف في ترتيب أبوابه و فصوله بتأخير ما قدّم أو تقديم ما أخّر، و لا في تقرير ألفاظه و عباراته مهما تيسّر، لأنّها كانت في غاية الجودة و الإحكام، و نهاية المتانة و الإبرام، و مثل هذا الكتاب ممّا لابدّ منه للأنام، ينتفع بتذكّره الخواصّ والعوامّ، لاسيّما في هذه الأعصار و الأيّام الّتي عمّت فيها الجهالة، و فشت الضلالة، و صار الأمر كما قاله أبو حامد - رحمه الله - في زمانه: «إنّ الدّاء عمّ الجمّ الغفير، بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر و الجهل بأنّ الأمر إدٌّ [4]، و الخطب جدٌّ، و الآخرة مقبلة، و الدّنيا مدبرة، و الأجل قريب، و السفر بعيد، و الزّاد طفيف [5]، والخطر عظيم، و الطريق سدٌّ، و ما سوى الخالص لوجه الله من العلم و العمل عند الناقد البصير ردٌّ، و سلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل و لارفيق صعبٌ، متعبٌ، مكدٌّ،

---

(١) أى قلة ثمرتها.

(٢) فى النهاية «نباعنه بصره ينبو اى تجافى ولم ينظر اليه، ونبابه منزله اذا لم يوافقه، ونبا حدالسيف اذا لم يقطع كانه حقرهم ولم يرفع بهم رأساً».

(٣) فى بعض النسخ [بفصول فيه].

(٤) الاد - بالكسر و الشد - : الامر الفظيع.　　(٥) الطفيف: القليل.

فأدلّة الطريق هم العلماء الّذين هم ورثة الأنبياء و قد شغر عنهم الزمان [١] ولم يبق إلّا المترسّمون ، و قد استحوذ على أكثرهم الشيطان ، و استغواهم الطغيان ، فأصبح كلّ واحد منهم بعاجل حظّه مشغوفاً ، فصار يرى المعروف منكراً و المنكر معروفاً ، حتّى ظلّ علم الدّين مندرساً ، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ، و لقد خيّلوا إلى الخلق أن لاعلم إلّا [علم] فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام [٢] أو جدل يتذرّع به طالب المباهاة إلى الغلبة و الإفحام [٣] ، أو سجع مزخرف يتوسّل به الواعظ إلى استدراج العوامّ ، إذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للعوامّ و مجلبة للحرام ، و شبكة للحطام .

فأمّا علم طريق الآخرة و ما درج عليه السلف الصالح ممّا سمّاه الله سبحانه في كتابه فقهاً ، وحكمة ، وعلماً ، وضياء ، و نوراً ، وهداية ، ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطويّاً ، وصار نسياً منسيّاً .

قال [٤] : « ولمّا كان هذا ثلماً في الدّين ملمّاً ، وخطباً مدلهمّاً [٥] رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهمّاً ، إحياءً لعلوم الدّين ، و كشفاً عن مناهج الأئمّة المتقدّمين ، و إيضاحاً لماهي [٦] العلوم النافعة عند النبيّين ، والسلف الصالحين » .

أقول : و لهذا السبب بعينه مع ما ذكرت من الأمور اشتغلت بتهذيب كتابه و إحياء إحيائه ، إحياءً لعلوم الدّين بحياة أخرى ، و كشفاً عن مناهج أئمّة الدّين بهداية أرفع وأعلى ، وسمّيته **بالمحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء** وإن شئت قلت : في إحياء الإحياء و تقرّبت بذلك إلى الله سبحانه ، نفع الله به السالكين وجعله لي ذخراً ليوم الدّين

(١) شغر البلد أي خلا من الناس (الصحاح) .

(٢) التهارش : التواثب ، في القاموس « تهارشت الكلاب بعضها بعضاً تواثبت » . والطغام : اوغاد الناس وسفلتهم .

(٣) « يتذرع » من الذريعة وفي بعض النسخ بالدال وتدرع و ادرع : لبس الدرع . و أفحمه : أسكته بالحجة في خصومة .

(٤) يعني قال صاحب الاحياء .

(٥) اى مظلماً . (٦) كذا وفي أكثر نسخ الاحياء وشرح الزبيدي أيضاً [المناهي] .

و وفّقني للعمل به و أشركني في أجر سائر العاملين بمنّه و كرمه آمين .

قال أبوحامد ـ رحمه‌الله ـ : «و قد أسّسته على أربعة أرباع : رُبع العبادات ، وربع العادات ، و ربع المهلكات ، و ربع المنجيات ، و صدّرت الجملة بكتاب العلم لأنّه نهاية المهمّ (١) لأكشف أوّلاً عن العلم الّذي تعبّد الله عزّ و جلّ الأعيان بطلبه على لسان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله إذ قال : «طلب العلم فريضةٌ على كلّ مسلم ومسلمة(٢)» ، و اُميّز فيه العلم النافع عن الضارّ إذ قال : « نعوذ بالله من علم لاينفع(٣)» ، و اُحقّق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب ، و اقتناعهم من العلوم بالقشر من اللّباب .

فأما رُبع العبادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب العلم ، كتاب قواعد العقائد ، كتاب أسرار الطهارة ، كتاب أسرار الصلاة ، كتاب أسرار الزكاة ، كتاب أسرار الصيام ، كتاب أسرار الحجّ ، كتاب آداب تلاوة القرآن ، كتاب الأذكار و الدّعوات ، كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما رُبع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل ، كتاب آداب النكاح ، كتاب أحكام الكسب ، كتاب الحلال و الحرام ، كتاب آداب الصحبة و المعاشرة مع أصناف الخلق ، كتاب العزلة ، كتاب آداب السفر ، كتاب آداب السماع والوجد ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة » .

أقول : وأنا أضع بدل كتاب آداب السماع و الوجد فيما بعد كتاب آداب المعيشة و أخلاق النبوّة كتاب آداب الشيعة وأخلاق الإمامة لأنّ السماع والوجد ليسا من مذهب أهل البيت عليهم‌السلام .

---

(١) في الاحياء [غاية المهم] .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٠ بدون « و مسلمة » و معها في مصباح الشريعة باب ٦٠ و أيضاً في البحار ج ١ ص ١٧٧ من غوالي اللئالي ، و هكذا أيضاً في مقدمة المعالم وليست في نسخ الاحياء .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٥٠ ، والنسائي في سننه أيضاً و فيه «أعوذ بك من علم لاينفع» في حديث طويل ج ٨ ص ٢٦٤ . وهكذا في مستدرك الحاكم : ج ١ ص ١٠٤ وفي مصباح الشريعة باب ٦٠ كما في المتن .

قال : « وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب ، كتاب رياضة النفس ، كتاب كسر الشهوتين:[1] شهوة البطن وشهوة الفرج ، كتاب آفات اللّسان ، كتاب ذمّ الغضب [2] و الحقد و الحسد ، كتاب ذمّ الدّنيا ، كتاب ذمّ المال و البخل ، كتاب ذمّ الجاه و الرّياء ، كتاب ذمّ الكبر والعجب ، كتاب ذمّ الغرور .

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب التوبة ، كتاب الصبر و الشكر ، كتاب الخوف و الرجاء ، كتاب الفقر و الزهد ، كتاب التوحيد والتوكّل ، كتاب المحبّة و الاُنس و الشوق و الرضا ، كتاب النيّة و الصدق و الإخلاص ، كتاب المراقبة و المحاسبة ، كتاب التفكّر ، كتاب ذكر الموت و ما بعده .

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها و دقائق سننها و أسرار معانيها ما يضطرّ العالم العامل إليه ، بل لايكون من علماء الآخرة من لم يطّلع عليه و أكثر ذلك ممّا اُهمل في فنّ الفقهيّات .

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق و أغوارها ، و دقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها ، وهي ممّا لايستغني متديّنٌ عنها .

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كلّ خلق مذموم ورد القرآن بإماطته[3] ، وتزكية النفس عنه و تطهير القلب منه ، و أذكر في كلّ واحد من تلك الأخلاق حدّه و حقيقته ثمّ أذكر سببه الّذي منه يتولّد ؛ ثمّ الآفات الّتي عليها يترتّب ؛ ثمّ العلامات الّتي بها تتعرّف ؛ ثمّ طرق المعالجة الّتي بها منها يتخلّص ، كلّ ذلك مقروناً بشواهد الآيات و الأخبار و الآثار .

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كلّ خلق محمود و خصلة مرغوب فيها من خصال المقرّبين و الصدّيقين الّتي بها يتقرّب العبد من ربّ العالمين ، و أذكر في كلّ خصلة

---

(١) فى الاحياء [كتاب آفات الشهوتين] .

(٢) فى الاحياء [كتاب آفات الغضب] . (٣) أماطه : أبعده وأذهبه .

حدّها وحقيقتها وسببها الّتي بهاتجتلب(١) ، و ثمرتها الّتي منها تستفاد ، و علامتها الّتي بها تتعرّف ، وفضيلتها الّتي لأجلها فيها يرغب ، مع ماورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنّف في مثل هذه المعاني كتب كثيرة(٢) ولكن يتميّز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور :

الأوّل حلّ ما عقدوه ، و كشف ماستروه ، و تفصيل ما أجملوه ؛ الثاني ترتيب ما بدّدوه ، و نظم ما فرّقوه ؛ الثالث إيجاز ما طوّلوه و ضبط ما قرّروه ؛ الرابع حذف ما كرّروه(٣) ؛ الخامس تحقيق اُمور غامضة اعتاصت على الأفهام(٤) و لم يتعرّض لها في كتاب أصلاً إذ الكلّ و إن تواردوا على منهج واحد فلامستنكر أن يتفرّد كلّ واحدمن السالكين بالتنبّه لأمر خفيّ بزيادة تخصّه(٥) و يغفل عنه رفقاؤه ، أو لايغفل أحدهم عن التنبّه له ولكن يسهوعن إيراده في الكتب ، أولايسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف ، فهذه خواصّ هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم .

و إنّما حملني على تأسيس الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما ـ و هو الباعث الأصليّ ـ أنّ هذا الترتيب في التحقيق و التفهيم كالضروري(٦) لأنّ العلم الّذي يتوجّه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة و إلى علم المكاشفة ؛ وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ؛ وأعني بعلم المعاملة مايطلب منه مع الكشف العمل به ، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة الّتي لارخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصدّيقين(٧) ، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن

(١) فى الاحياء [الذى به تجتلب] .

(٢) فى الاحياء [و لقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتباً كثيرة] .

(٣) زاد فى الاحياء [واثبات ما حرروه] .

(٤) اعتاص اعتياصاً الامر عليه اشتد وامتنع والتاث عليه ، فلم يهتد الى الصواب .

(٥) فى الاحياء [بأمر يخصه] .

(٦) فى الاحياء [كالضرورة] .

(٧) طمح بصره الى شىء أى ارتفع ، وفى الدعاء «طموح الامال قد خابت الا لديك» اى الامال المرتفعة خابت الا لديك .

لم يتكلّم الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ مع الخلق إلّا في علم الطريق والإرشاد إليه ، وأمّا علم المكاشفة فلم يتكلّموا فيه إلّا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال ، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال « و العلماء ورثة الأنبياء[١] » فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسّي و الاقتداء ؛ ثمّ إنّ علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر ـ أعني العلم بأعمال الجوارح ـ و إلى علم باطن ـ أعني العلم بأعمال القلب ـ و الجاري على الجوارح إمّا عبادة أو عادة ، و الوارد على القلوب الّتي هي بحكم الاحتجاب عن الحواسّ من عالم الملكوت إمّا محمود وإمّا مذموم[٢] فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذّ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام .

الباعث الثاني أنّي رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الّذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه للتذرّع[٣] به إلى المباهاة ، والاستظهار بجاهه و منزلته في المنافسات و هو مرتّب على أربعة أرباع ـ و المتزيّي بزيّ المحبوب محبوب ـ فلم أبعد أن يكون تصوير هذا الكتاب بصورة الفقه تلطّفاً في استدراج القلوب ولهذا تلطّف بعض من رام استمالة قلوب بعض الرؤساء إلى الطبّ فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول و الرّقوم و سمّاه تقويم الصحّة ليكون اُنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة ، والتلطّف في اجتذاب القلوب إلى العلم الّذي يفيد حياة الأبد أهمّ من التلطّف في اجتذابها إلى الطبّ الّذي لا يفيد إلّا صحّة الجسد ، فثمرة هذا العلم طبّ القلوب و الأرواح المتوصّل به إلى حياة تدوم أبد الآباد ، فأين منها الطبّ الّذي يعالج به الأجساد و هي معرضة بالضرورة إلى الفساد[٤] في أقرب الآماد[٥] . فنسأل الله سبحانه التوفيق والإرشاد و السداد إنّه الكريم الجواد » .

---

(١) الكافى ج ١ ص ٣٢ و أخرجه أبو داود فى سننه ج ٢ ص ٢٨٥ ، و ابن ماجه فى سننه تحت رقم ٢٢٣ وهو جزء من حديث أبى الدرداء .

(٢) فى الاحياء ههنا زيادة [فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن ، و الشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عادة و عبادة و الشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم الى مذموم و محمود] .

(٣) اى التوسل : تفعل من الذريعة . و فى الاحياء [المتدرع به الى المباهاة] .

(٤) فى الاحياء [بالضرورة للفساد] .

(٥) جمع أمد أى الوقت .

﴿ كتاب العلم ﴾

و هو الكتاب الأوّل من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء .

(و فيه سبعة أبواب)

الباب الأوّل - في فضل العلم والتعليم و التعلّم .

الباب الثاني - في بيان فرض العين، وفرض الكفاية من العلوم ، وبيان حدّ الفقه ، والكلام من علم الدّين ، وبيان علم الآخرة ، وعلم الدّنيا .

الباب الثالث - فيما يعدّه العامّة من علوم الدّين و ليس منها ، و فيه بيان جنس العلم المذموم وقدره .

الباب الرابع - في سبب إقبال الخلق على المناظرة ، وشروطها ، وآدابها ، وآفاتها .

الباب الخامس - في آداب المعلّم و المتعلّم .

الباب السادس - في آفات العلم و العلماء ، و العلامات الفارقة بين علماء الدّنيا و الآخرة .

الباب السابع - في العقل وفضيلته وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الاول

في فضل العلم و التعليم والتعلّم و شواهده من النقل والعقل

﴿ فصل ﴾

« أمّا شواهده من القرآن فقوله عزّ وجلّ : « شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة و أولوا العلم قائماً بالقسط[1] » فانظر كيف بدأ بنفسه تعالى ، و ثنّى بملائكته ، و ثلّث بأهل العلم ، و ناهيك بهذا شرفاً و فضلاً و جلالاً و نبلاً .

قال الله عزّ وجلّ : « يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أُوتوا العلم درجات[2] » .

---

(١) آل عمران : ١٨ .

(٢) المجادلة : ١١ .

قال ابن عبّاس : « للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدّرجتين مسيرة خمسمائة عام» .

و قال عزّ وجلّ : «قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون[١]» وقال عزّ وجلّ : «إنّما يخشى الله من عباده العلماء[٢]» .

و قال عزّ و جلّ : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب[٣]» .

و قال عزّ وجلّ : « قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به[٤] » تنبيهاً على أنّه اقتدر عليه بقوّة العلم .

و قال تعالى : « وقال الّذين أُوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير[٥] » بيّن أنّ عظم قدر الآخرة يُعلم بالعلم .

و قال عزّ و جلّ : « و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها إلّا العالمون[٦]» .

و قال تعالى : « و لو ردّوه إلى الرّسول و إلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم[٧] » ردّ حكمه في الوقايع إلى استنباطهم و ألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله ، و قيل في قوله عزّ و جلّ : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم[٨] » يعني العلم و « ريشاً » يعني اليقين و «لباس التقوى» يعني الحياء .

و قال عزّ وجلّ : «و لقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم[٩]» .

و قال عزّ وجلّ : «فلنقصّنّ عليهم بعلم[١٠]» .

و قال تعالى: «بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم[١١]» .

و قال تعالى : « خلق الإنسان علّمه البيان[١٢] » و إنّما ذكر ذلك في معرض الامتنان .

---

(١) الزمر : ٩ . (٢) الفاطر : ٢٨ .
(٣) الرعد : ٤٣ . (٤) النمل : ٤٠ .
(٥) القصص : ٨٠ . (٦) العنكبوت : ٤٣ .
(٧) النساء : ٨٣ . (٨) الاعراف : ٢٦ .
(٩) الاعراف : ٥٢ . (١٠) الاعراف : ٧ .
(١١) العنكبوت : ٤٩ . (١٢) الرحمن : ٣ .

و قال عزّ وجلّ في فضيلة التعلّم : « فلو لانفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين (١) » .

و قال : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون (٢) » .

و في فضيلة التعليم : « و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٣) » و المراد هو التعليم و الإرشاد .

و قال عزّ و جلّ : « و إذ أخذ الله ميثاق الّذين أُوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولاتكتمونه (٤) » و هو إيجاب للتعليم .

و قال عزّ وجلّ : « و إنّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون (٥) » و هو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة : « ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه (٦) » .

و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : « ما آتى الله سبحانه عالماً علماً إلّاأخذ عليه من الميثاق ماأخذ على النبيّين أن يبيّنه للناس ولايكتمه (٧) » .

و قال عزّ وجلّ : « و من أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله و عمل صالحاً (٨) » .

وقال تعالى : « ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة (٩) » .

و قال تعالى : « و يعلّمهم الكتاب والحكمة (١٠) » .

أقول : هذا ما ذكره أبو حامد من الآيات .

فصل

و قال بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ (١١) : اعلم أنّ الله سبحانه جعل العلم هو

(١) التوبة : ١٢٢ . (٢) النحل : ٤٣ .
(٣) التوبة : ١٢٢ . (٤) آل عمران : ١٨٧ .
(٥) البقرة : ١٤٦ . (٦) البقرة : ٢٨٣ .
(٧) أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود
(٨) فصلت : ٣٣ . (٩) النحل : ١٢٥ .
(١٠) الجمعة : ٢ .
(١١) يعنى به الشهيد ـ رحمه الله ـ فى كتابه منية المريد ص ٣ من طبعه الملحق بروض الجنان .

السبب الكلّيّ لخلق هذا العالم العلويّ والسفليّ طرّاً . و كفى بذلك جلالة و فخراً ، قال الله تعالى في محكم الكتاب تذكرة و تبصرة لأولي الألباب : « الله الّذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير و أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً[١] » و كفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم لاسيّما علم التوحيد الّذي هو أساس كلّ علم و مدار كلّ معرفة ، وجعل الله سبحانه العلم أعلى وأشرف ، وأوّل منّة امتنّ بها على ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من ظلم العدم إلى ضياء الوجود فقال سبحانه في أوّل سورة أنزلها على نبيّه محمّد ﷺ : « اقرء باسم ربّك الّذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرء و ربّك الأكرم * الّذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم[٢] » فتأمّل كيف افتتح كتابه الكريم المجيد - الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد - بنعمة الإيجاد ، ثمّ أردفها بنعمة العلم ، فلوكان ثمّة منّة أو توجد نعمة بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم لما خصّه الله تعالى بذلك وصدّر به نور الهداية وطريق الدّلالة على الصراط المستقيم الآخذ بحجزة البراعة و دقائق المعاني وحقائق البلاغة ، وقد قيل في وجه التناسب بين الآي المذكورة في صدرهذه السورة الّتي قد اشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق و في بعضها تعليمه مالم يعلم ليحصل النظم البديع في ترتيب آياته : إنّه تعالى ذكر أوّل حال الانسان و هو كونه علقة مع أنّها أخس الأشياء وآخر حاله وهو صيرورته عالماً وهو أجلُّ المراتب ، كأنّه تعالى قال : كنت في أوّل حالك في تلك الدّرجة الّتي هي غاية الخساسة فصرت في آخر حالك في هذه الدّرجة الّتي هي الغاية في الشرف والنفاسة وهذا إنّمايتمّ لوكان العلم أشرف المراتب إذ لوكان غيره أشرف لكان ذكرذلك الشيء في هذا المقام أولى .

ووجه آخر أنّه تعالى قال : « وربّك الأكرم * الّذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم » و قد تقرّر في أصول الفقه « أنّ ترتّب الحكم على الوصف مشعرٌ بكون الوصف علّة » وهذا يدلّ على أنّ الله سبحانه اختصّ بوصف الأكرميّة لأنّه علّم الإنسان

---

(١) الطلاق : ١٢ .

(٢) العلق : ١- الى - ٥ .

العلم فلو كان شيء أفضل من العلم وأنفس لكان اقترانه بالأكرميّة المؤدّاة بأفعل التفضيل أولى و بنى الله سبحانه قبول الحقّ والأخذ به على التذكّر به ، و التذكّر على الخشية وحصر الخشية في العلماء فقال : «سيذكّر من يخشى» ، « وإنّما يخشى الله من عباده العلماء » وسمّى الله تعالى العلم بالحكمة و عظّم أمر الحكمة فقال : « و من يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً »[1] وحاصل ما فسّروه في الحكمة مواعظ القرآن و العلم و الفهم و النبوّة في قوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة » ، « و آتيناه الحكم صبيّاً »[2] ، « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة»[3] والكلُّ يرجع إلى العلم ورجّح العالمين على من سواهم فقال سبحانه وتعالى : « هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أُولوا الألباب » .

و قرن في كتابه العزيز بين عشرة : بين الخبيث و الطيّب « قل لا يستوي الخبيث والطيّب[4]» وبين الأعمى والبصير، والظلمة والنور ، والظلّ والحرور ، و الحياة والموت ، و إذا تأمّلت تفسير ذلك وجدت مرجعه جميعاً إلى العلم ، و قرن سبحانه أُولي العلم بنفسه وملائكته فقال : « شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة و أُولوا العلم » و زاد في إكرامهم على ذلك أي الاقتران المذكور بقوله : « وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم »[5] وبقوله تعالى : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » وقال تعالى : « يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات » و قد ذكر الله سبحانه وتعالى الدّرجات لأربعة أصناف للمؤمنين من أهل بدر « إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - : لهم درجات عند ربّهم »[6] و للمجاهدين « و فضّل الله المجاهدين على القاعدين درجة »[7] و لمن عمل الصالحات « من يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدّرجات العلى »[8] وللعلماء في قوله تعالى : « يرفع الله الّذين

---

(١) البقرة : ٢٦٩ .
(٢) مريم : ١٢ .
(٣) النساء : ٥٤ .
(٤) المائدة : ١٠٠ .
(٥) آل عمران : ٧ .
(٦) الانفال : ٢ .
(٧) النساء : ٩٥ وفيه « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » .
(٨) طه : ٧٥ .

آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات » ففضّل أهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضّل العلماء على جميع الأصناف بدرجات ، فوجب كون العلماء أفضل الناس ، وقد خصّ الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب : الأوّل الايمان « و الرّاسخون في العلم يقولون آمنّا » ؛ الثاني التوحيد « شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة و أُولوا العلم » الثالث البكاء والحزن « إنّ الّذين أُوتوا العلم - إلى قوله - : ويخرون للأذقان يبكون[1] » الرابع الخشوع « إنّ الّذين أُوتوا العلم من قبله - الآية - » ، الخامس الخشية « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » وقال تعالى مخاطباً لنبيّه صلّى الله عليه وآله آمراً له مع ما آتاه من العلم و الحكمة : « وقل ربّ زدني علماً[2] » وقال تعالى : « بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم[3] » وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلّا العالمون » .

فهذه نبذة من فضائله الّتي نبّه الله تعالى عليها في كتابه الكريم

﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد - رحمه الله - : « و أمّا الأخبار قال صلّى الله عليه وآله : « من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين ويلهمه رشده[4] » .

و قال صلّى الله عليه وآله : « العلماء ورثة الأنبياء[5] » و معلوم أنّه لا رتبة فوق رتبة النبوّة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرّتبة .

و قال صلّى الله عليه وآله : « يستغفر للعالم ما في السماوات والأرض[6] » و أيّ منصب يزيد

---

(١) الاسراء : ١٠٧ . (٢) طه : ١١٤ .

(٣) العنكبوت : ٤٩ .

(٤) أخرج شطره الاول ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٢٠ ، و البغوى في المصابيح ج١ ص٢٠ . و مع شطره الثاني الطبراني في مسنده الكبير كما في مجمع الزوائد ج١ ص١٢١ ، والبزاز ايضاً كما في الترغيب ج١ ص٩٢ . و نقله العلامة المجلسي في البحار عن غوالي اللئالي .

(٥) الكافي ج١ ص٣٢ ، وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٢٣ ، وأبوداود ج٢ ص٢٨٥ والترمذي في حديث طويل من أبي الدرداء في أبواب العلم .

(٦) رواه الكليني في الكافي ج١ ص ٣٤ ، و الصدوق في الامالي ص ٣٧ و فيها « من في السماء و الارض » ، و اخرجه أبو داود في سننه كما في المتن ج ٢ ص ٢٨٥

على منصب من يشتغل ملائكة السموات و الأرض بالاستغفار له و هو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ الحكمة تزيد الشريف شرفاً و ترفع المملوك حتّى يجلس مجالس الملوك [1] » و قد نبّه بهذا على ثمرته في الدّنيا و معلوم أنّ الآخرة خيرٌ وأبقى .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «خصلتان لاتكونان في منافق : حسن سمت وفقهٌ في الدّين [2]» ولاتشكّنّ في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزّمان فا نّه ماأراد به الفقه الّذي ظننته ، وسيأتي بيان معنى الفقه ، وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أنّ الآخرة خير من الأولى وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الناس العالم الّذي إن احتيج إليه نفع و إن استغني عنه أغنى نفسه [3] » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «الإيمان عريان ولباسه التقوى ، وزينته الحياء ، وثمرته العلم [4]» .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم و الجهاد ، أمّا أهل العلم فدلّوا الناس على ما جاءت به الرّسل ، و أمّا أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل [5]» .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « موت قبيلة أيسر من موت عالم [6]» .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « النّاس معادن كمعادن الذّهب والفضّة فخيارهم في الجاهليّة

(١) جزء من مواعظ لقمان و فيه «تجلس المسكين مجالس الملوك » كنز الفوائد للكراجكي ص ٢١٤ .

(٢) رواه الشيخ في اماليه ص ٢٢ والصدوق في الخصال ، والراوندي في نوادره ، والبغوي في المصابيح ج١ ص٢٢ . وأخرجه الترمذي في سننه باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة من أبواب العلم .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الايمان ، و رزين أيضاً كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ١٥١ ومشكاة المصابيح ص ٣٦ .

(٤) أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث ابي الدرداء . (م)

(٥) أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس . (م)

(٦) أخرجه الطبراني من حديث ابي الدرداء .(م)

خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[١]».

و قال صلى الله عليه و آله: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء[٢]».

و قال صلى الله عليه و آله: «من حفظ على اُمّتي أربعين حديثاً من السنّة حتّى يؤدّيها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة[٣]».

و قال صلى الله عليه و آله: «من حمل من اُمّتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً[٤]».

و قال صلى الله عليه و آله: «من تفقّه في دين الله كفاه الله همّه و رزقه من حيث لا يحتسب[٥]».

و قال صلى الله عليه و آله: «أوحى الله عزّ و جلّ إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنّي عليم اُحبّ كلّ عليم[٦]».

و قال صلى الله عليه و آله: «العالم أمين الله سبحانه في الأرض[٧]».

و قال صلى الله عليه و آله: «صنفان من اُمّتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس: الأمراء و الفقهاء[٨]».

و قال صلى الله عليه و آله: «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقرّبني إلى الله تعالى فلا بورك لي

---

(١) أخرجه احمد فى مسنده تحت رقم ٧٤٨٧ . والبغوى فى المصابيح ج١ ص٢٠ .

(٢) رواه الصدوق فى الفقيه ص٥٨٤ وفى الامالى أيضاً ، والشيخ فى أماليه كما فى البحار ج٢ ص١٤ و١٦ . ورواه الفتال فى روضة الواعظين ص١٣ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى العلم من ابن عمر (م) و فى مشكاة المصابيح ص ٣٦ عن ابى الدرداء، و أخرجه الشيرازى ايضاً فى الالقاب عن ابى الدرداء كما فى البيان والتعريف ج٢ ص٢١٥ .

(٤) رواه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٤٩ . و أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس وابن عدى أيضاً فى الكامل كما فى الجامع الصغير للسيوطى .

(٥) رواه الخطيب من حديث عبدالله بن جزء . (م)

(٦) قال الحافظ العسقلانى فى الكافى الشاف: ذكره ابن عبد البر فى كتاب العلم بلا اسناد .

(٧) أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ كما فى الجامع الصغير .

(٨) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس . (م) والفتال فى روضة الواعظين ص ٩ . وأخرجه ابن شعبة الحرانى فى تحف العقول مرسلا ص ٥٠ .

في طلوع شمس ذلك اليوم[١] .

و قال ﷺ في تفضيل العلم على العبادة و الشهادة : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي [٢] » فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوّة و كيف حطّ رتبة العمل المجرّد عن العلم و إن كان العابد لا يخلو عن نوع علم بالعبادة الّتي يواظب عليها و لولاه لم تكن عبادة .

و قال ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[٣]».

و قال ﷺ : « يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الأنبياء ، ثمّ العلماء ، ثمّ الشهداء [٤]» فأعظم بمرتبة هي تلو النبوّة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة .

و قال ﷺ : « ما عُبدالله بشيء أفضل من فقه في دين ، و لفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابد ، ولكلّ شيء عمادٌ و عماد هذا الدّين الفقه[٥]» .

و قال ﷺ : «خير دينكم أيسره ، وأفضل العبادة الفقه[٦]» .

و قال ﷺ : « فضل المؤمن العالم على العابد سبعين درجة [٧]» .

و قال ﷺ : « إنّكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه ، قليل خطباؤه ، قليل سائلوه ، كثير معطوه ، العمل فيه خيرٌ من العلم ، وسيأتي على النّاس زمانٌ قليلٌ فقهاؤه

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الاوسط وابن عبدالبر فى العلم كما فى مجمع الزوائد ج١ ص ١٣٦ وغيره .

(٢) أخرجه الترمذى فى باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة من أبواب العلم عن أبى امامة .

(٣) أخرجه أبوداود فى سننه ج٢ ص٢٨٥ ، والصدوق فى الامالى ص ٣٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه فى سننه تحت رقم ٤٢٠٩ ، والحميرى فى قرب الاسناد ص ٣١ .

(٥) رواه الدار قطنى والبيهقى وأخرجه الطبرانى فى الاوسط كما فى الترغيب ج١ ص ١٠٢ ومجمع الزوائد ج١ ص ١٢١.

(٦) روى الطبرانى شطره الاول فى الاوسط والآخر فى معاجيمه الثلاثة . (م)

(٧) أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة ولابى يعلى نحوه من حديث عبدالرحمن ابن عوف كما فى مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣٢ .

كثير خطباؤه ، قليلٌ معطوه ، كثيرسائلوه ، العلم فيه خيرٌ من العمل »[١] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : بين العالم والعابد مائة درجة ، بين كلّ درجتين حضر الجواد المضمّر سبعين سنة[٢] ؛ وقيل : يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : العلم بالله سبحانه ؛ فقيل : أيّ الأعمال تريد : فقال : العلم بالله سبحانه ؛ فقيل : تسأل عن العمل ، و تجيب عن العلم ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ قليل العمل ينفع مع العلم و إنّ كثير العمل لاينفع مع الجهل »[٣] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يبعث الله عزّ وجلّ العباد يوم القيامة ، ثمّ يبعث العلماء فيقول : يا معشر العلماء إنّي لم أضع علمي فيكم إلّا لعلمي بكم ، ولم أضع علمي فيكم لأُعذّبكم اذهبوا فقد غفرت لكم »[٤] .

﴿ فصل ﴾

أقول : قال بعض علمائنا - رحمهم الله -[٥] : و أمّا السنّة فهي في ذلك كثيرة تنبو عن الحصر .

فمنها قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين »[٦] .

---

(١) أخرجه الطبرانى من حديث حزام بن حكيم عن عمه و قيل : عن أبيه كما فى مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٧ وابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص١٨ .

(٢) رواه الديلمى فى الفردوس ، وقال الحافظ العسقلانى : أخرجه أبو يعلى وابن عدى و ابن عبدالبر فى العلم كما فى الكشاف ج ٤ ص ٣٩٣ ، و فى الصحاح الحضر - بالضم - : العدو ، وأحضر الفرس احضاراً و احتضر أى عدا واستحضرته : اعديته ، وفرس محضير أى كثير العدو . و رواه ايضاً الاصبهانى . الترغيب ج١ ص١٠٢ .

(٣) أخرجه ابن عبدالبر من حديث أنس كما فى المختصر ص ٢٣ ، والديلمى فى الفردوس كما ذكره عبدالرؤوف المناوى فى كنوز الحقائق باب القاف .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير كما فى الترغيب ج١ ص١٥١ ومجمع الزوائد ج١ ص١٢٦ .

(٥) يعنى به الشهيد - رحمه الله - فى منية المريد .

(٦) أخرجه البخارى ج١ ص٢٨ ، و ابن ماجه تحت رقم ٢٢٠ . و فى سنن الترمذى الحديث الاول من ابواب العلم ج ١٠ ص ١١٣ وقد مر .

و قال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم » .

و قال ﷺ : « من طلب علماً فأدركه كتب الله تعالى له كفلين من الأجر ، ومن طلب علماً فلم يدركه كتب الله له كفلاً من الأجر »[١] .

و قال ﷺ : « من أحبّ أن ينظر إلى عتقاء الله تعالى من النّار فلينظر إلى المتعلّمين فوالّذي نفسي بيده مامن متعلّم يختلف إلى باب العلم إلّا كتب الله تعالى له بكلّ قدم عبادة سنة ، و بنى الله له بكلّ قدم مدينة في الجنّة ، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له ، و يمسي و يصبح مغفوراً له ، و شهدت الملائكة أنّهم عتقاء الله من النّار »[٢] .

و قال ﷺ : « من طلب العلم فهو كالصائم نهاره ، القائم ليله ، و إنّ باباً من العلم يتعلّمه الرّجل خيرٌ له من أن يكون أبو قبيس ذهباً فأنفقه في سبيل الله تعالى »[٣] .

و قال ﷺ : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام كان بينه و بين الأنبياء درجة واحدة في الجنّة »[٤] .

و قال ﷺ : «فضل العالم على العابد سبعون درجة ، بين كلّ درجتين حضر الفرس سبعين عاماً ، و ذلك لأنّ الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها ، و العابد مقبلٌ على عبادته »[٥] .

و قال ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، إنّ الله و ملائكته و أهل السماوات و الأرض حتّى النملة في جحرها و حتّى الحوت في الماء ليصلّون على

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير كما فى الترغيب ج ١ ص ٩٦ ، وابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ٢٣ والدارمى فى السنن ج١ ص ٩٧ من حديث واثلة بن الاسقع ، وفى مشكاة المصابيح ص ٣٦ عنه أيضاً وفيها موضع « كتب الله له » « كان له » .

(٢) ماعثرت عليه الا فى منية المريد ص ٥ .

(٣) » » » »

(٤) أخرجه الدارمى فى سننه ج١ ص ١٠٠ ، وابن السنى فى رياضة المتعلمين كما فى المغنى .

(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط كما فى الترغيب ج١ ص ١٠٢ وفيه زيادة . وابن فتال فى الروضة ص ١٦ .

معلّم النّاس الخير »(١).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتّى يرجع »(٢).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من خرج يطلب باباً من العلم ليردّ به باطلاً إلى حقّ و ضالاً إلى هدى كان عمله كعبادة أربعين عاماً »(٣).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام : لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم »(٤).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ : « لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من الدّنيا و ما فيها »(٥). و روي ذلك أنّه قاله لعليّ عليه السلام أيضاً.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله خلفائي ، فقيل : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : ألّذين يحيون سنّتي و يعلّمونها عباد الله »(٦).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ مثل ما بعثني ربّي من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضاً وكان منها طائفة طيّبة ، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أخاذات(٧)

---

(١) أخرجه الترمذى فى باب فضل الفقه على العبادة من أبواب العلم ج١٠ ص١٥٧ . و البغوى فى مصابيح السنة ج ١ ص ٢٢ . وأخرج صدره عبد الحميد بن مكحول كما فى الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠ .

(٢) أخرجه الترمذى فى فضل طلب العلم من ابواب العلم ج١ ص١١٦ و نقله عبد الرؤوف المناوى فى كنوز الحقائق و السيوطى فى الجامع الصغير عنه ، و أخرجه الدارمى كما فى مشكاة المصابيح ج ١ ص ٣٤ .

(٣) رواه الشيخ فى أماليه كما فى البحار ج ١ ص ١٨٢ .

(٤) أخرجه أبوداود فى سننه ج ٢ ص ٢٨٩ . والمسلم فى صحيحه ج٧ ص ١٢٢ و قوله عليه السلام : «حمر النعم » قال النووى : هى ابل الحمر و هى أنفس أموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشيء و أنه ليس هناك أعظم منه .

(٥) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء ، وابن عبد البر عن الحسن البصرى (م) وفى كنوز الحقائق عن الطبرانى نحوه .

(٦) رواه الطبرانى فى الاوسط كما فى الترغيب ج ١ ص ١٠١ و الصدوق فى الفقيه ص ٥٩١ وفى المجالس كما فى البحار ج ٢ ص ١٤٤ .

(٧) كذا و فى صحيح البخارى [اجادب] وصححه الاصيلى ، و فى ارشاد السارى باعجام الجيم و الذال .

أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس ، و شربوا منها و سقوا و زرعوا و أصابت طائفة منها اُخرى إنّما هي قيعان [١] لاتمسك ماء ولاتنبت كلأً ، و ذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله تعالى به ، فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الّذي اُرسلت به »[٢] .

و قال ﷺ : « لا حسد - يعني لاغبطة - إلّا في اثنين : رجل آتاه الله تعالى مالاً فسلّطه على هلكته في الحقّ ، و رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها و يعلّمها »[٣] .

و قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل اُجور من تبعه ، لاينقص ذلك من اُجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً »[٤] .

و قال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[٥] .

و قال ﷺ : « خير ما يخلّف الرّجل من بعده ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجري يبلغه أجرها ، وعلم يعمل به من بعده »[٦] .

و قال ﷺ : « إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع »[٧] .

---

(١) بكسر القاف جمع قـاع و هى ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال و الاكام .

(٢) أخرجه البخارى ج ١ ص ٣٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٠٨ . و أخرجه البخارى و مسلم والنسائى عن ابن مسعود كما فى الدر المنثور ج ١ص ٣٥٠ .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه أبواب العلم ج١٠ ص١٤٨ ، ورواه مسلم كما فى الترغيب ج ١ص ١٢٠ . و أخرجه الدارمى ج ١ ص١٢٧ .

(٥) أخرجه البغوى فى المصابيح ج ١ ص ٢٠ و ابن عبد البر كما فى المختصر ص ١٤ من حديث ابى هريرة .

(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٤١ .

(٧) رواه الدارمى فى سننه ج١ ص ٩٧ عن ابن مسعود وهو جزء من حديث ابى الدرداء ، رواه الترمذى وابن ماجه و أبى داود وغيرهم .

و قال ﷺ : « اطلبوا العلم ولو بالصّين »(١)

و قال ﷺ : « من غدا في طلب العلم أظلّت عليه الملائكة ، وبورك في معيشته ولم ينقص من رزقه »(٢) .

و قال ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهّل الله تعالى له طريقاً إلى الجنّة »(٣) .

و قال ﷺ : « نوم مع علم خيرٌ من صلاة مع جهل »(٤) .

و قال ﷺ : « فقيه واحدٌ أشدّ على الشيطان من ألف عابد »(٥) .

و قال ﷺ : « إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر ، فإذا طمست أو شك أن تضلّ الهداة »(٦) .

و قال ﷺ : « أيّما ناش نشأ في العلم و العبادة حتّى يكبر أعطاه الله تعالى يوم القيامه ثواب اثنين وسبعين صدّيقاً »(٧) .

و قال ﷺ : « يقول الله عزّ و جلّ للعلماء يوم القيامة : إنّي لم أجعل علمي و حكمي فيكم إلّا وأنا أُريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أُبالي »(٨) .

---

(١) الجامع الصغير باب الطاء عن البيهقى فى شعب الايمان و العقيلى والطبرانى فى الكبير و الديلمى فى الفردوس و ابن عدى فى الكامل . و ابن فتال فى روضة الواعظين ص ١٦. والخطيب فى تاريخه ج ٩ ص ٣٤٦ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٢٣ من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٣) أخرجه ابوداود فى سننه ج٢ ص ٢٨٥ . واحمد فى المسند تحت رقم ٧٤٢١ .

(٤) الجامع الصغير باب النون عن أبى نعيم فى الحلية . وفيه «على جهل» .

(٥) أخرجه ابن ماجه فى سننه تحت رقم ٢٢٢ .

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير كما فى الترغيب ج ١ ص ١٠٠ و فى روضة الواعظين ص ١٥ وفى منتخب كنز العمال هامش المسند ج٤ ص ٣٢ عن أنس بأدنى تغيير .

(٧) رواه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد ج١ ص ١٢٥ .

(٨) اى لا أكترث و لا يهمنى أمركم ، والحديث رواه الطبرانى فى مسنده الكبير كما فى الترغيب ج١ ص ١٠١ و الدرالمنثور ج ١ ص ٣٥٠ ، و روضة الواعظين ص ١٢ .

و قال ﷺ : « ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم » (١) .

و قال ﷺ : « ما تصدّق الناس بصدقة مثل علم ينشر » (٢) .

و قال ﷺ : « ما أهدى المرء المسلم إلى أخيه هديّة أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ويردّه من ردى » (٣) .

و قال ﷺ : « من أفضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثمّ يعلّمه أخاه » (٤) .

و قال ﷺ : « العالم و المتعلّم شريكان في الأجر ولاخير في سائر النّاس » (٥) .

و قال ﷺ : « قليل العلم خيرٌ من كثير العبادة » (٦) .

و قال ﷺ : « من غدا إلى المسجد لايريد إلّا ليتعلّم خيراً أو ليعلّمه كان له أجر معتمر تامّ العمرة ، ومن راح إلى المسجد لايريد إلّا ليتعلّم خيراً أو ليعلّمه كتب له أجرحاجّ تامّ الحجّة » (٧) .

و قال ﷺ : « اغدعالماًأو متعلّماًأو مستمعاًأومحبّاًولاتكن الخامس فتهلك» (٨) .

و قال ﷺ : « إذا مررتم في رياض الجنّة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله و ما

---

(١) الجامع الصغير باب الميم عن الطبراني رواه في الاوسط . و أخرج الدارمي نحوه في السنن ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير كما في الترغيب ج ١ ص ١١٠ ، و الجامع الصغير باب الميم .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الايمان كما في الجامع الصغير باب الميم . و ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ٣١ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٤٣.

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ١٩. و الصفار في بصائر الدرجات الجزء الاول .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب القاف و فيه « قليل الفقه » .

(٧) اخرجه الحاكم في انستدرك ج ١ ص ٩١ .

(٨) الجامع الصغير باب الالف عن الطبراني في الاوسط و في البحار ج١ ص١٩٥ عن الغوالي و روضة الواعظين . و اخرجه ابن عبد البر كما في المختصر ص ٢٦ .

رياض الجنّة؟ قال: حلق الذكر، فإنّ لله تعالى سيّارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفّوا بهم»[١]؛ قال بعض العلماء: حلق الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف يشتري و يبيع و يصلّي ويصوم و ينكح ويطلّق و أشباه ذلك.

أقول: وسيأتي في هذا الحديث كلام آخر إن شاء الله تعالى.

قال: وخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإذا في المسجد مجلسان مجلس يتفقّهون ومجلس يدعون الله تعالى و يسألونه فقال: «كلا المجلسين إلى خير، أمّا هؤلاء فيدعون الله تعالى وأمّا هؤلاء فيتعلّمون و يفقّهون الجاهل، هؤلاء أفضل، للتعليم اُرسلت ثمّ قعد معهم»[٢].

و عن صفوان بن عسّال - رضي الله عنه - قال: أتيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و هو في المسجد متّكىء على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله إنّي جئت أطلب العلم، فقال: مرحباً بطالب العلم إنّ طالب العلم لتحفّه الملائكة بأجنحتها، ثمّ يركب بعضهم بعضاً حتّى يبلغوا السماء الدُّنيا من محبّتهم لما يطلب»[٣].

و عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء إنّي أتيتك من المدينة - مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم - لحديث بلغني عنك أنّك تحدّثه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا، قال: ولا جاء بك غيره قال: لا، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، و إنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم[٤]، و إنّ العالم

---

(١) روى شطره الاول الصدوق - رحمه الله - فى المعانى ص ٣٢١ وسيأتى.

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٢٥ من حديث عبدالله بن عمر بأدنى تغيير فى اللفظ.

(٣) صفوان بن عسال - بمهملتين - المرادى قال البغوى: سكن الكوفة و قال ابن ابى حاتم: كوفى له صحبة مشهور روى عن النبى صلى الله عليه وآله أحاديث. وقال ابن سكن: حديث صفوان بن عسال فى المسح على الخفين و فضل العلم والتوبة مشهور رواه أكثر من ثلاثين من الائمة عن عاصم (الاصابة). أقول: وحديثه هذا أخرجه ابن عبدالبر كما فى المختصر ص ٢٠. ورواه احمد فى المسند ج٤ ص ٢٤٠. والطبرانى وابن حبان فى صحيحه كما فى الترغيب ج١ ص ٩٥ والحاكم فى المستدرك ج١ ص ١٠٠ و الدارمى ج١ ص ١٠١.

(٤) فى بعض نسخ الحديث «رضى به».

يستغفر له من في السماوات و من في الأرض حتّى الحيتان في الماء، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنّ العلماء ورثة الأنبياء، و إنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً و لا ديناراً إنّما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر» ؟ قال : نعم [١].

وأسند بعض العلماء [٢] إلى أبي يحيى بن زكريّا بن يحيى الساجيّ أنّه قال: كنّا نمشي في أزقّة البصرة إلى باب بعض المحدّثين فأسرعنا في المشي و كان معنا رجل ماجن [٣] فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة - كالمستهزء - فما زال عن مكانه حتّى جفّت رجلاه.

و أسند أيضاً إلى أبي داود السجستاني أنّه قال : كان في أصحاب الحديث رجل خليع [٤] إلى أن سمع بحديث النبيّ ﷺ : « إنّ الملائكة لتضع بأجنحتها لطالب العلم» فجعل في رجليه مسمارين من حديد و قال : أُريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الاُكلة في رجليه.

وذكر أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل التميميّ هذه الحكاية في شرح مسلم و قال : فشلّت رجلاه وسائر أعضائه.

﴿ فصل ﴾

و من [٥] طريق الخاصّة ما رويناه بالإسناد الصحيح إلى أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عن آبائه عن النبيّ صلّى الله عليه و عليهم أجمعين أنّه قال : « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم، فاطلبوا العلم في مظانّه، و اقتبسوه من أهله، فإنّ تعلّمه لله حسنة، و طلبه عبادة، و المذاكرة به تسبيح، و العمل به جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقة، و

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج٢ ص٢٨٥. و ابن ماجه تحت رقم ٢٢٣. وفي روضة الواعظين ص ١٢، و قدمر.

(٢) نقله أيضاً من منية المريد.

(٣) اى الذى لاحياء له.

(٤) اى المخلوع.

(٥) منقول من المنية أيضاً.

بذله لأهله قربة إلى الله تعالى لأنّه معالم الحلال و الحرام ، و منار سبيل الجنّة ، و المونس في الوحشة ، والصاحب في الغربة والوحدة ، و المحدّث في الخلوة ، و الدّليل على السرّاء و الضرّاء ، و السّلاح على الأعداء ، و الزّين عند الأخلاء ، يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة ، تقتصّ آثارهم ، و يقتدى بفعالهم ، و ينتهى إلى آرائهم ، ترغب الملائكة في خلّتهم ، و بأجنحتها تمسحهم ، و في صلواتها تبارك عليهم ، و يستغفر لهم كلّ رطب و يابس حتّى حيتان البحر و هوامّه ، و سباع البرّ و أنعامه ، إنّ العلم حياة القلوب من الجهل ، و ضياء الأبصار من الظلمة ، و قوّة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار ، ومجالس الأبرار ، والدرجات العلى في الآخرة و الأولى ، الذكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام ، به يطاع الربّ ويُعبد ، وبه توصل الأرحام ويعرف الحلال و الحرام ، العلم إمام و العمل تابعه ، يلهمه السعداء ، و يحرمه الأشقياء ، فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظّه »(١) .

وعن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه أنّه قال : « أيّها الناس اعلموا أنّ كمال الدّين طلب العلم و العمل به ، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، إنّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله وقد اُمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه »(٢) .

وعنه عليه السلام العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، و إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها إلّا خلف منه »(٣) .

وعنه عليه السلام قال : « كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل ذمّاً أن يبرء منه من هو فيه »(٤) .

وعنه عليه السلام : انّه قال لكميل بن زياد : « يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك

---

(١) البحار ج١ ص١٦٦ و١٧١ نقله من أمالي الصدوق والشيخ ، وأخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص٢٧ . وفي بعض النسخ [تقتبس آثارهم] مكان « تقتص آثارهم » .
(٢) الكافي ج١ ص٣٠ .
(٣) روى الصفار نحوه في البصائر .
(٤) ما عثرت عليه الا في منية المريد ص٦ .

و أنت تحرس المال ، و العلم حاكم و المال محكوم عليه ، و المال ينقصه النفقة ، و العلم يزكو على الإنفاق »[١].

وعنه عليه السلام أيضاً «العلم أفضل من المال بسبعة : الأوّل أنّه ميراث الأنبياء و المال ميراث الفراعنة ، الثاني أنّ العلم لاينقص بالنفقة و المال ينقص بها ، الثالث يحتاج المال إلى الحافظ و العلم يحفظ صاحبه ، الرابع العلم يدخل في الكفن و يبقى المال ؛ الخامس المال يحصل للمؤمن و الكافر والعلم لا يحصل إلّا للمؤمن خاصّة ؛ السادس جميع الناس يحتاجون إلى صاحب العلم في اُمور دينهم ولايحتاجون إلى صاحب المال ؛ السابع العلم يقوّي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه »[٢].

وعنه عليه السلام «قيمة كلّ امرء ما يعلمه» ـ و في لفظ آخر ما يحسنه ـ [٣].

وعن زين العابدين عليه السلام «لو يعلم النّاس ما في طلب العلم لطلبوه و لو بسفك المهج و خوض اللّجج[٤] ، إنّ الله تعالى أوحى إلى دانيال أنّ أمقت عبادي إليّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وأنّ أحبّ عبادي عندي التقيّ الطالب للثواب الجزيل ، اللّازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القائل عن الحكماء »[٥].

وعن الباقر عليه السلام قال : «من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ، و لاينقص أولئك من أجورهم شيئاً ، و من علّم باب ضلالة كان عليه مثل أوزار من عمل به ، و لاينقص أولئك من أوزارهم شيئاً »[٦].

وعنه عليه السلام « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد »[٧].

---

(١) رواه الصدوق في الخصال ج١ ص٨٧ . و ابن عبدالبر في العلم كمافي المختصر ص٢٩ . وابن شعبة في التحف ص ١٧٠ مرسلا .

(٢) ماعثرت عليه الا في المنية .

(٣) نهج البلاغة أبواب الحكم تحت رقم ٨١ .

(٤) المهج جمع مهجة وهي الدم ، أو دم القلب خاصة ، اى بما يتضمن اراقة دمائهم ، و اللجج جمع لجة وهي معظم الماء .

(٥) رواه الكليني في الكافي ج١ ص٣٥ . وفيه «القابل عن الحكماء » .

(٦) الكافي ج ١ ص ٣٥ .   (٧) الكافي ج١ ص ٣٣ .

وعنه عليه السلام «انّ الّذي يعلّم العلم منكم له أجر مثلاأجر المتعلّم وله الفضل عليه فتعلّموا العلم من حملة العلم و علّموه إخوانكم كما علّمكموه العلماء»[١].

وعنه عليه السلام «لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة»[٢].

وعن الصادق عليه السلام «من علّم خيراً فله مثل أجر من عمل به، قلت: فإن علّمه غيره[٣] يجري ذلك له؟ قال: إن علّمه الناس كلّهم جرى له، قلت: فإن مات؟ قال: وإن مات»[٤].

وعنه عليه السلام قال: «تفقّهوا في الدّين فإنّ من لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابيّ[٥] و إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: «ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون»[٦].

وعنه عليه السلام قال: «عليكم بالتفقّه في دين الله تعالى و لا تكونوا أعراباً[٧] فإنّه من لم يتفقّه في دين الله تعالى لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة[٨] و لم يزكّ له عملاً»[٩].

---

(١) الكافي ج١ ص ٣٥ وفيه «مثل أجر».

(٢) الكافي ج١ ص٣٩.

(٣) اى علمه المتعلم ثالثاً. و قوله: «يجرى ذلك له» اى يجرى للاول أجر تعليم الثاني كما يجرى له أجر عمله، و«علمه الناس كلهم» يعني بوسائط، و«ان مات» أي مات ذلك المعلم.

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٥.

(٥) منسوب الى الاعراب ولاواحد له، و المراد الذين يسكنون البادية ولايتعلمون الاحكام الشرعية.

(٦) التوبة: ١٢٢. والخبر رواه الكليني -رحمه الله- في الكافي ج ١ص ٣١.

(٧) أى لاتكونوا كالاعراب جاهلين بالدين، غير متعلمين، غافلين عن أحكامه، معرضين عنها وعن تعلمها.

(٨) كناية عن سخطه وغضبه عليه وعدم الاعتداد به و سلب رحمته و فيضه واحسانه و اكرامه عنه وحرمانه عن مقام القرب.

(٩) الكافي ج ١ ص ٣١.

وعنه عليه السلام «لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا»(١).

وعنه عليه السلام «ان العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً و لا ديناراً و إنّما ورّثو أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين»(٢).

وعنه عليه السلام «إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدّين»(٣).

وقال معاوية بن عمّار للصادق عليه السلام: «رجل راوية لحديثكم يبثّ ذلك في الناس و يشدّده في قلوبهم و قلوب شيعتكم و رجلٌ عابد(٤) من شيعتكم ليست له هذه الرّواية أيّهما أفضل؟ قال: الرّاوية لحديثنا، يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد».

وعنه عليه السلام قال: «ما من أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس - لعنه الله - من موت فقيه»(٥).

وعنه عليه السلام «إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لايسدّها شيء»(٦).

وعن الكاظم عليه السلام قال: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة و بقاع الأرض(٧) الّتي كان يعبد الله تعالى عليها و أبواب السماء الّتي كان يصعد منها أعماله، و ثلم في الاسلام ثلمة لايسدّها شيء لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها»(٨).

وعنه عليه السلام قال: «دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المسجد فاذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: من هذا؟ فقيل: علاّمة، فقال: و ما العلاّمة؟ فقالوا: أعلم النّاس بأنساب العرب

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣١، والسياط جمع سوط و هو ما يجلد به.
(٢) الكافي ج ١ ص٣٢ والبصائر ص٣.
(٣) الكافي ج ١ ص ٣٢ وقدمر.
(٤) الكافي ج ١ ص ٣٣ «و لعل عابداً».
(٥) الكافي ج ١ ص ٣٨.
(٦) الكافي ج ١ ص ٣٨.
(٧) بقاع جمع بقعة وهي القطعة من الارض.
(٨) الكافي ج ١ ص ٣٨.

و وقائعها و أيّام الجاهليّة و الأشعار العربيّة ، قال : فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : ذلك علم لايضرّ من جهله ولاينفع من علمه ، ثمّ قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة ، أو سنّة قائمة ، ما خلاهنّ فهو فضل [(١)].

فصل

قال [(٢)] : و من تفسير العسكري عليه السلام في قوله تعالى : « و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلّا الله ـ إلى قوله ـ و اليتامى [(٣)] » قال الإمام عليه السلام : و أمّا قوله : « و اليتامى » فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : حثّ الله تعالى على برّ اليتامى لإنقطاعهم عن آبائهم ، فمن صانهم صانه الله تعالى ، و من أكرمهم أكرمه الله تعالى ، و من مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله تعالى له في الجنّة بكلّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدّنيا وما فيها و فيها ما تشتهي الأنفس و تلذّ الأعين و هم فيها خالدون » .

وقال عليه السلام : « وأشدّ من يتم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه لايقدر على الوصول إليه ولايدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا و هذا الجاهل بشريعتنا ، المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، ألا فمن هداه و أرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرّفيق الأعلى حدّثني بذلك أبي ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم » .

وقال عليّ عليه السلام : « من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الّذي حبوناه به جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور ، يضيىء لأهل جميع تلك العرصات ، وعليه حلّة لايقوم [(٤)] لأقلّ سلك منها الدّنيا بحذافيرها ، ثمّ ينادي مناد من عند الله تعالى يا عباد الله هذا عالم من بعض تلامذة آل محمّد عليهم السلام ، ألا فمن أخرجه في الدّنيا عن حيرة جهله فليتشبّث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢ .
(٢) يعني الشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ في المنية .
(٣) البقرة : ٨٣ . (٤) أي لايقاوم ولا يعادل .

إلى نزهة الجنان [١] فيخرج من كان علّمه في الدُّنيا خيراً ، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً ، أو أوضح له عن شبهة ».

قال: « وحضرت امرأة عند فاطمة الصدّيقة عليها السلام فقالت : إنّ لي والدة ضعيفة ، و قد لبس عليها في أمر صلاتها شيء ، و قد بعثتني إليك أسألك ؟ فأجابتها عن ذلك : فثنّت فأجابت ، ثمّ ثلّثت فأجابت إلى أن عشّرت فأجابت ، ثمّ خجلت من الكثرة و قالت : لأشقّ عليك يا بنت رسول الله ، قالت فاطمة عليها السلام : هاتي سلي عمّا بدا لك أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل و كراه مائة ألف دينار أيثقل عليه ذلك ؟ فقالت : لا ، فقالت : أكريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى ألّا يثقل عليّ ، سمعت أبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : « إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور، ثمّ ينادي مناد في السماء من ربّنا عزّ وجلّ : أيّها الكافلون لأيتام آل محمّد الناعشون لهم [٢] عند انقطاعهم عن آبائهم الّذين هم أئمّتهم هؤلاء تلامذتكم والأيتام الّذين كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدُّنيا فيخلعون على كلّ واحد من أولئك الأيتام على قدر علمه ما أخذوا عنهم من العلوم حتّى أنّ فيهم - يعني في الأيتام - لمن يخلع عليه مائة ألف حلّة و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم ، ثمّ إنّ الله تعالى يقول : أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتّى تتمّوا لهم خلعهم ، وتضعّفوها ، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم ، و كذلك من بمرتبتهم ممّن خلع عليهم على مرتبتهم » .

وقالت فاطمة : « يا أمة الله إنّ سلكاً من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرّة و ما فضل ما طلعت عليه الشمس فإنّه مشوبٌ بالتنغيص و الكدر » [٣] .

---

(١) فى المنقول منه فى البحار « نزه الجنان » وفى تفسير البرهان « روض الجنان » و فى بعض نسخه « ذروة الجنان » .

(٢) نعشه أى رفعه

(٣) ينغص الله عليه العيش تنغيصاً أى كدره .

وقال الحسن بن علي عليهما السلام: «فضل كافل يتيم آل محمد، المنقطع عن مواليه، الناشب في تيه الجهل (١) يخرجه من جهله، و يوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السهى».

وقال الحسين عليه السلام: «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا الّتي سقطت إليه حتّى أرشده بهداه قال الله عزّ وجلّ: يا أيّها العبد الكريم المواسي إنّي أولى بهذا الكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف علّمه إيّاه ألف ألف قصر وضمّوا إليها مايليق بها من سائر النعم».

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى حبّبني إلى خلقي وحبّب خلقي إليّ، قال: يا ربّ كيف أفعل؟ قال: ذكّرهم آلائي و نعمائي ليحبّوني فلئن تردّ آبقا عن بابي، أوضالاً عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها و قيام ليلها، قال موسى عليه السلام: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرّد، قال: فمن الضالّ عن فنائك؟ قال: الجاهل بإمام زمانه تعرّفه، والغائب منه بعد ماعرفه، الجاهل بشريعة دينه تعرّفه شريعته، وما يعبد به ربّه، ويتوصّل به إلى مرضاته».

قال عليّ عليه السلام: «فأبشروا معاشر علماء شيعتنا بالثواب الأعظم والجزاء الأوفر».

وقال محمّد بن علي عليهما السلام: «العالم كمن معه شمعة تضيء للنّاس، فكلّ من أبصر بشمعته دعاله بخير، كذلك العالم معه شمعة يزيل بها ظلمة الجهل والحيرة، فكلّ من أضاءت له فخرج بها من حيرة، أو نجى بها من جهل فهو من عتقائه من النّار، والله تعالى يعوّضه عن ذلك بكلّ شعرة لمن أعتقه ماهو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الّذي أمر الله عزّ وجلّ به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله تعالى، ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة».

وقال جعفر بن محمّد عليهما السلام: «علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الّذي يلي إبليس و عفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا و عن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممّن جاهد الرّوم و الترك والخزر

(١) نشب الشيء في الشيء - بالكسر - نشوباً أى علق فيه. (الصحاح).

ألف ألف مرّة . لأنّه يدفع عن أديان محبّينا و ذلك يدفع عن أبدانهم» .

وقال موسى بن جعفر عليه السلام «فقيهٌ واحدٌ ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا ، والتعليم عن علومنا بتعليمه ما هو محتاج إليه أشدُّ على إبليس من ألف عابد لأنّ العابد همّه ذات نفسه فقط وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله و إمائه لينقذهم من يد إبليس و مردته فلذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد و ألف ألف عابدة» .

و قال عليٌّ بن موسى عليه السلام : يقال للعابد يوم القيامة : نعم الرّجل كنت ، همّتك ذات نفسك و كفيت النّاس مؤونتك فادخل الجنّة ، ألا إنّ الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ، ووفّر عليهم نعم جنان الله تعالى ، وحصّل لهم رضوان الله تعالى و يقال للفقيه : ياأيّها الكافل لأيتام آل محمّد ، الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم ، قف حتّى تشفع لكلّ من أخذ عنك أو تعلّم منك ، فيقف فيدخل الجنّة معه فئاماً و فئاماً و فئاماً ـ حتّى قال عشراً ـ وهم الّذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمّن أخذ عنه وعمّن أخذ عمّن أخذ عنه إلى يوم القيامة ، فانظروا كم فرق ما بين المنزلتين» .

و قال محمّد بن عليّ عليه السلام : « من تكفّل بأيتام آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم المنقطعين عن إمامهم المتحيّرين في جهلهم ، الاُسراء في أيدي شياطينهم ، و في أيدي النواصب من أعدائنا ، فاستنقذهم منهم ، و أخرجهم من حيرتهم ، وقهر الشياطين بردّ وساوسهم ، و قهر الناصبين بحجج ربّهم و دليل أئمّتهم ليفضّلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض و العرش و الكرسيّ و الحجب على السماء ، و فضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء» .

و قال عليٌّ بن محمّد عليه السلام : «لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الدّاعين إليه ، و الدالّين عليه ، والذابّين عن دينه بحجج الله تعالى ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ـ لعنه الله ـ ومردته ، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحدٌ إلّا ارتدّ عن دين الله تعالى ولكنّهم الّذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ» .

و قال الحسن بن عليّ عليه السلام : تأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبّينا وأهل

ولايتنا يوم القيامة و الأنوار تسطع من تيجانهم ، على رأس كلّ واحد منهم تاج بهاء ، قد انبثّت تلك الأنوار في عرصات القيامة ، و دورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة ، فشعاع تيجانهم ينبثّ فيها كلّها ، فلايبقى هناك يتيم قد كفلوه و من ظلمة الجهل أنقذوه و من حيرة التيه أخرجوه إلّا تعلّق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم إلى العلوّ يحاذى بهم فوق الجنان ، ثمّ ينزلونهم على منازلهم المعدّة في جوار أساتيدهم و معلّميهم وبحضرة أئمّتهم الّذين كانوا إليهم يدعون ، ولايبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلّاعميت عيناه و صمّت اُذناه ، وأخرس لسانه ، ويحول عليه أشدّ من لهب النيران فيحملهم حتّى يدفعهم إلى الزّبانية فيدفعوهم إلى سواء الجحيم»(١).

فهذه نبذة ممّا ورد في فضائل العلم من الحديث اقتصرنا عليها إيثاراً للاختصار .

﴿ فصل ﴾

قال (٢): ومن الحكمة القديمة : قال لقمان لابنه : «يا بنيّ اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإن تكن عالماً ينفعك علمك و إن تكن جاهلاً علّموك ولعلّ الله تعالى أن يظلّهم برحمة فتعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لايذكرون الله تعالى فلاتجلس معهم فإن تكن عالماً لاينفعك علمك و إن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبة فتعمّك معهم»(٣) .

وفي التوراة «قال الله تعالى لموسى عليه السلام : عظّم الحكمة فانّي لاأجعل الحكمة في قلب أحد إلّا وأردت أن أغفر له فتعلّمها ، ثمّ اعمل بها ، ثمّ ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدّنيا والآخرة » .

وفي الزبور «قل لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم : حادثوا من الناس الأتقياء ، فإن لم تجدوا فيهم تقيّاً فحادثوا العلماء ، فإن لم تجدوا فيهم عالماً فحادثوا العقلاء ، فإن التقى و العلم والعقل ثلاث مراتب ماجعلت واحدة منهنّ في خلقي وأنا اُريد هلاكه» .

(١) منية المريد ص ٩ من تفسير المنسوب الى الامام العسكرى عليه السلام .
(٢) يعنى الشهيد - رحمه الله - فى المنية .
(٣) نقله ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ٥٤ وفى الكافى ج١ ص٣٩ .

قيل: وإنّما قدّم التقى لأنّ التقى لايوجد بدون العلم كما تقدّم من أنّ الجنّة لاتحصل إلّا بالخشية، والخشية لاتحصل إلّا بالعلم ولذلك قدّم العلم على العقل، لأنّ العالم لابدّ أن يكون عاقلاً.

وفي الانجيل «قال الله تعالى في السورة السابعة عشر منه: «ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهّال إلى النّار، اطلبوا العلم وتعلّموه، فإنّ العلم إن لم يسعدكم لم يشقكم، وإن لم يرفعكم لم يضعكم، وإن لم يغنكم لم يفقركم، وإن لم ينفعكم لم يضرّكم، ولاتقولوا: نخاف أن نعلم ولا نعمل، ولكن قولوا: نرجوا أن نعلم ونعمل، والعلم يشفع لصاحبه وحقّ على الله تعالى ألّا يخزيه، إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يامعشر العلماء ماظنّكم بربّكم؟ فيقولون: ظنّنا أن ترحمنا وتغفرلنا، فيقول الله تعالى: قد فعلت إنّي استودعتكم حكمتي لا لشرّ أردته بكم بل لخير أردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي إلى جنّتي برحمتي».

وقال مقاتل بن سليمان: «وجدت في الانجيل أنّ الله تعالى قال لعيسى عليه السلام: عظّم العلماء، وأعرف فضلهم فإنّي فضّلتهم على جميع خلقي إلّا النبيّين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب، وكفضل الآخرة على الدّنيا، وكفضلي على كلّ شيء».

ومن كلام المسيح عليه السلام «من علم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء».

فصل

قال: أبو حامد - رحمه الله -: «وأمّا الآثار - وذكر نبذاً ممّا نقلناه عن بعض علمائنا في الأخبار، وأسند النبويّ منه إلى جماعة من الصحابة وكذلك فعل في الآثار الّتي أوردها في فضيلتي التعلّم والتعليم وذكر في الأخبار الّتي أوردها فيهما بعض ما ذكرناه من الأخبار من طريق الخاصّة -.

ومما ذكره في الآثار: قال أبو الأسود الدئليّ: ليس شيء أعزّ من العلم، الملوك حكّام على الناس، والعلماء حكّام على الملوك.

وقال ابن عبّاس - رضي الله عنه -: خيّر سليمان بن داود بين العلم والملك والمال

فاختار العلم فأُعطي المال والملك معه .

وقال بعض العلماء : ليت شعري أيّ شيء أدرك من فاته العلم ، وأيّ شيء فاته من أدرك العلم .

وقال ابن عبّاس : تذاكر العلم بعض ليلة أحبّ إليّ من إحيائها .

و **قيل** لبعض الحكماء : أيّ الأشياء يقتنى ؟ قال : الأشياء الّتي إذا غرقت سفينتك سبحت معك - يعني العلم - .

قيل : أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت .

وقال بعض الحكماء : إنّي لأرحم رجالاً كرحمتي لرجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم ولا يطلب العلم .

أقول : وقال بعض علمائنا - رحمهم الله - ومن الآثار عن أبي ذرّ - رضي الله عنه - : باب من العلم نتعلّمه أحبّ إلينا من ألف ركعة تطوّعاً .

و قال : سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : « إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً » .

وقال وهب بن منبّه : يتشعّب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيّاً ، والعزّ وإن كان مهيناً ، والقرب وإن كان قصيّاً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والنبل وإن كان حقيراً ، و المهابة و إن كان وضيعاً ، والسلامة و إن كان سقيماً .

وقال بعض العارفين : أليس المريض إذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت كذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت .

و **قال** آخر : من جلس عند العالم ولم يطق الحفظ من علمه فله سبع كرامات : ينال فضل المتعلّمين ، و يحبس عنه الذّنوب ما دام عنده ، و تنزل الرحمة عليه إذا خرج من منزله طالباً للعلم ، و إذا جلس في حلقة العالم نزلت الرحمة عليه فحصل له منها نصيب ، و ما دام في الاستماع يكتب له طاعة ، و إذا استمع و لم يفهم ضاق قلبه بحرمانه عن إدراك العلم فيصير ذلك الغمّ وسيلة إلى حضرة الله لقوله تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم » و يرى إعزاز المسلمين للعالم و إذلالهم للفسّاق فيردّ قلبه عن الفسق . و تميل

طبيعته إلى العلم و لهذا أمر ﷺ بمجالسة الصالحين .

و **قال** أيضاً : من جلس مع ثمانية أصناف من النّاس زاده الله تعالى ثمانية أشياء : من جلس مع الأغنياء زاده الله تعالى حبّ الدنيا و الرّغبة فيها ، و مع الفقراء حصل له الشكر و الرضا بقسم الله تعالى ، و مع السلطان زاده الله تعالى القوّة و الكبر ، و مع النساء زاده الله تعالى الجهل و الشهوة ، و مع الصبيان ازداد من الجرأة على الذّنوب و تسويف التوبة ، و مع الصالحين ازداد رغبة في الطاعات ، و مع العلماء ازداد من العلم ؛ علّم الله تعالى سبعة نفر سبعة أشياء آدم الأسماء كلّها ، و الخضر علم الفراسة ، و يوسف علم التعبير ، و داود صنعة الدّروع ، و سليمان منطق الطير ، و عيسى التوراة و الإنجيل لقوله تعالى : « ويعلّمه الكتاب والحكمة و التورية و الإنجيل[1] » ، و محمّداً ﷺ علم الشرع و التوحيد « و يعلّمك الكتاب و الحكمة[2] » .

فعلم آدم عليه السلام كان سبباً في سجود الملائكة له و الرفعة عليهم ، و علم الخضر كان سبباً لوجود موسى عليه السلام تلميذاً له ، و يوشع عليه السلام و تذلّله له كما يستفاد من الآيات الواردة في القصّة ، و علم يوسف عليه السلام كان سبباً لوجدان الأهل و المملكة و الاجتباء ، و علم داود عليه السلام كان سبباً للرئاسة و الدّرجة ، و علم سليمان عليه السلام كان سبباً لوجدان بلقيس و الغلبة ، و علم عيسى عليه السلام كان سبباً لزوال التّهمة عن اُمّه ، و علم محمّد ﷺ كان سبباً في الشفاعة .

طريق الجنّة في أيدي أربعة : العالم ، و الزاهد ، و العابد ، و المجاهد ، فإذا صدق العالم في دعواه رزق الحكمه ، والزاهد يرزق الأمن ، والعابد الخوف والمجاهد الثناء .

قال بعض المحقّقين[3] : العلماء ثلاثة : عالم بالله غير عالم بأمر الله فهو عبد استولت المعرفة الإلهيّة على قلبه ، فصار مستغرقاً بمشاهدة نور الجلال و الكبرياء ، فلا يتفرّغ

(١) آل عمران : ٤٨ .

(٢) كذا وليست الاية هكذا في المصحف ولعل المراد الاية التي كانت في سورة النساء : ١١٣ « و أنزل الله عليك الكتاب والحكمة و علمك مالم تكن تعلم - الاية - » .

(٣) الظاهر المراد به شقيق البلخي كما هو ظاهر كلام فخر الدين الرازي في تفسيره عند تفسير آية ٣٠ من سورة البقرة .

لتعلّم علم الأحكام إلّا مالا بدّ منه ، و عالم بأمر الله غير عالم بالله فهو الّذي عرف الحلال و الحرام و دقائق الأحكام لكنّه لا يعرف أسرار جلال الله تعالى ، وعالم بالله و بأمر الله فهو جالس على الحدّ المشترك بين عالم المعقولات و عالم المحسوسات ، فهو تارة مع الله بالحبّ له ، و تارة مع الخلق بالشفقة و الرحمة ، فإذا رجع من ربّه إلى الخلق صارمعهم كواحد منهم كأنّه لا يعرف الله تعالى ، و إذا خلا بربّه مشتغلاً بذكره و خدمته فكأنّه لا يعرف الخلق ، فهذا سبيل المرسلين و الصدّيقين ، و هوالمراد بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «سائل العلماء ، و خالط الحكماء ، وجالس الكبراء» .

فالمرادبقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «سائل العلماء»العلماء بأمر اللهغير العالمين بالله ، فأمر بمساءلتهم عندالحاجة إلى الإستفتاء ، وأمّا الحكماء فهم العالمون بالله الّذين لا يعلمون أوامر الله فأمر بمخالطتهم ، و أمّا الكبراء فهم العالمون بهما(١) ، فأمر بمجالستهم لأنّ في مجالستهم خير الدنيا و الآخرة .

ولكلّ واحد من الثلاثة ثلاث علامات فللعالم بأمر الله الذّكر باللّسان دون القلب ، و الخوف من الخلق دون الربّ ، و الاستحياء من الناس في الظاهر ، ولا يستحيي من الله تعالى في السرّ ؛ و العالم بالله تعالى ذاكر خائف مستحيي ، أمّا الذكر فذكر القلب لا اللّسان ، و الخوف خوف الرّجاء لا المعصية ، و الحياء حياء مايخطر على القلب لاحياء الظاهر؛ والعالم بالله وبأمره له ستّة أشياء الثلاثة المذكورة للعالم باللهفقط مع ثلاثة أخرى : كونه جالساً على الحدّ المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، و كونه معلّماً للقسمين ، و كونه بحيث يحتاج الفريقان الأوّلان إليه وهو مستغن عنهما ، فمثل العالم بالله وبأمر الله تعالى كمثل الشمس لاتزيد ولا تنقص ، و مثل العالم بالله تعالى فقط كمثل القمر يكمل تارة و ينقص أخرى ، و مثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه و يضيىء لغيره .

فصل

قال أبو حامد ـ رحمه الله ـ : «و أمّا الشواهد العقليّة : اعلم أنّ المقصود من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقّق المراد منها لم يمكن

(١) اى بالله و بأحكامه .

أن يعلم وجودها صفة للعلم أولغيره من الخصال ، ولقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أنّ زيداً حكيمٌ أم لا ، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة و حقيقتها ، فالفضيلة مأخوذة من الفضل و هو الزيادة فإذا تشارك شيئان في أمر و اختصّ أحدهما بمزيد يقال : فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال : الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنّه يشاركه في قوّة الحمل و يزيد عليه بقوّة الكرّ و الفرّ و شدّة العدو وحسن الصورة ، فلو فرض حمارٌ اختصّ بسلعة زائدة[١] لم نقل : إنّه أفضل من الفرس لأنّ تلك زيادة في الجسم و نقصان في المعنى ، و ليس من الكمال في شيء و الحيوان مطلوب لمعناه و صفاته لا بجسمه ، و إذا فهمت هذا لم يخف عليك أنّ للعلم فضيلة في ذاته ، إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف كما أنّ للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات ، بل شدّة العدو فضيلة في الفرس و ليست فضيلة على الإطلاق ، و العلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة ، فإنّه وصف كمال الله سبحانه و به شرّف الملائكة و الأنبياء ، بل الكيّس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة .

و اعلم أنّ الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لذاته ، وإلى ما يطلب لغيره ، و إلى ما يطلب لذاته و لغيره ، و ما يطلب لذاته أشرف و أفضل ممّا يطلب لغيره ، وما يطلب لذاته ولغيره أشرف ممّا يطلب لذاته فحسب ، والمطلوب لغيره كالدراهم و الدنانير فإنّهما حجران لا منفعة فيهما و لولا أنّ الله عزّ و جلّ يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا و الحصى بمنزلة واحدة ، و أمّا الّذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ، و الّذي يطلب لذاته و لغيره فكسلامة البدن فإنّ سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث إنّه سلامة عن الألم ، و مطلوبة للمشي بها ، و التوصّل إلى المآرب والحاجات ، و بهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته و وجدته وسيلة إلى دار الآخرة و سعادتها ، و ذريعة إلى القرب من الله تعالى ، ولا يتوصّل إليه إلّا به ، و أعظم الأشياء رتبة في حقّ الآدميّ السعادة الأبديّة ، و أفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ، و لا يتوصّل إليها إلّا بالعلم و العمل ، ولا يتوصّل إلى العمل أيضاً إلّا بالعلم

---

(١) السلعة - بالكسر - خراج فى البدن كالغدة أو زيادة فيه .

بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا و الآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال و كيف لا ؟ و قد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته ، وقد عرفت أنّ ثمرة العلم القرب من ربّ العالمين ، و الالتحاق بأُفق الملائكة و مقارنة الملاء الأعلى ، هذا في الآخرة ، و أمّا في الدُّنيا فالعزّ و الوقار ، و نفوذ الحكم على الملوك ، و لزوم الاحترام في الطباع حتّى أنّ أغبياء الترك [1] و أجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيّة علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقّر الإنسان بشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها ، هذه فضيلة العلم مطلقاً .

ثمّ تختلف العلوم كما سيأتي بيانه و تتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها أمّا فضيلة التعليم و التعلّم فظاهرة ممّا ذكرناه ، فإنّ العلم إذا كان أفضل الأُمور كان تعلّمه طلباً للأفضل و كان تعليمه إفادة للأفضل ؛ و بيانه أنّ مقاصد الخلق مجموعة في الدّين والدّنيا ولا نظام للدّين إلّا بنظام الدنيا فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة و هي الآلة الموصلة إلى الله عزّ و جلّ لمن اتّخذها آلة ، و منزلاً لا لمن اتّخذها مستقرّاً و وطناً ، و ليس ينتظم أمر الدُّنيا إلّا بأعمال الآدميّين ، وأعمالهم وحرفهم و صناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام :

أحدها أُصول لا قوام للعالم دونها ، و هي أربعة : الزراعة و هي للمطعم ، و الحياكة وهي للملبس ، والبناء وهي للمسكن ، و السياسة و هي للتأليف و الاجتماع و التعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

الثاني ما هي مهيّئة لهذه الصناعات و خادمة لها كالحدادة فإنّها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فإنّها تخدم الحياكة باعداد محلّها .

الثالث ما هو متمّمة للأُصول و مزيّنة لها كالطحن و الخبز للزراعة و كالقصارة و الخياطة للحياكة و ذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إليه فإنّها ثلاثة أضرب : إمّا أُصول كالقلب و الكبد و الدماغ ، و إمّا خادمة لها كالمعدة و العروق و الشرائين و الأعصاب و الأوردة ، و إمّا مكمّلة لها و مزيّنة كالأظفار و الأصابع و الحاجبين ؛ و أشرف هذه الصناعات أُصولها ، و أشرف أُصولها

(١) الغبى : القليل الفطنة ، الجاهل .

السياسة بالتأليف و الاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بهاما لا يستدعيه سائر الصناعات ، و لذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع ؛ و السياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا و الآخرة على أربع مراتب : الأولى ـ وهي العلياء ـ سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة و العامة في ظاهرهم و باطنهم ؛ الثانية الخلفاء و الملوك و السلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ، ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم ؛ الثالثة سياسة العلماء بالله سبحانه وتعالى و بدينه الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع ؛ الرابعة سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط . وأشرف هذه السياسات الأربع بعد النبوة إفادة العلم و تهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، و إرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة و هو المراد بالتعليم ، و إنما قلنا : إن هذا أفضل من سائر الحرف و الصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوسل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل ، و اللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ؛ و إما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب و الآخر جلد الميتة و ليس يخفى أن العلوم الدينية و هي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل و صفاء الذكاء ، و العقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه إذ به قبل الإنسان أمانة الله عز و جل و به يصل إلى جوار الله سبحانه ، و أما عموم النفع فلا يستريب فيه أحد فإن نفعه و ثمرته سعادة الآخرة ، و أما شرف المحل فكيف يخفى و المعلم متصرف في قلوب البشر و نفوسهم ، و أشرف موجود على الأرض جنس الإنسان ، و أشرف جزء من جوهر الإنسان قلبه ، و المعلم مشتغل بتكميله و تحليته و تطهيره و سياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجه عبادة لله عز و جل و من وجه خلافة لله عز و جل ، و هو أجل خلافة ، إذ بالمقاصد تفترق الأحكام ، فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص

صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ، ثمّ هو مأذون له في الإنفاق على كلّ من هو محتاج إليه فأيّة رتبة أجلّ من كون العبد واسطة بين ربّه سبحانه و بين خلقه في تقريبهم إلى الله عزّ وجلّ زلفى و سياقتهم إلى الجنّة المأوى» .

فصل

أقول : و من الشواهد العقليّة على شرف العلم و نفاسته أنّ اللّذّة و الابتهاج والسرور ليست إلّا بالإدراك ولاشكّ أنّ اللّذّات العقليّة أقوى وأشدّ من اللّذّات الخياليّة والخياليّة أقوى وأتمّ من الحسيّة ، بل لانسبة للّذّات العقليّة إلى الحسيّة وذلك لأنّ العقل يدرك الشيء على ما هو عليه مجرّداً عمّا هو غريب له من القشور والملبوسات فينال حاقّ جوهره ولبّ ذاته ، وأمّا الحسّ فلايدرك إلّا المخلوط بغيره ، و المشوب بما سواه ، فلايحسّ باللّون مالم يحسّ معه بالطول والعرض والوضع والأين و بأمور اُخرى غريبة عن حقيقة اللّون ، وأيضاً فإنّ إدراك العقل يطابق المدرك ولايتفاوت والحسّ يرى الشيء الواحد عظيماً في القرب ، صغيراً في البعد ، و كلّما صار أبعد يراه أصغر إلى أن يصير بسبب البعد كنقطة ثمّ تبطل رؤيته و كلّما صار أقرب كان أعظم إلى أن يصير بسبب القرب كنصف العالم ثمّ تبطل رؤيته ، و أيضاً العقل الّذي يراعي القوانين العقليّة المنطقيّة و يتطهّر من المعاصي والأدناس ولايزاحمه الوهم والوسواس فهو معصوم من الغلط والخطأ ، وأمّا الحسّ فهو يغلط في الإدراك كثيراً حيث يرى الشمس مقدار اُترجة ومقدار جرمها مائة وستّون مثلاً لمقدار جرم الأرض(١) وأيضاً فإنّ مدركات العقل الاُمور الكليّة الأزليّة والذوات النوريّة الّتي يستحيل تغيّرها وذات الحقّ الأوّل الّذي يصدر منه كلّ كمال وجمال وبهاء في العالم وتفاصيل المعقولات لاتكاد تتناهى لأنّ أجناس الموجودات وأنواعها غير متناهية و كذا المناسبات الواقعة بينها وهي تقوّي العقل وتزيده نوراً كلّما كثرت ، وأمّا مدركات الحسّ فهي الأجسام وأعراضها المستحيلة الزائلة المحصورة في أجناس قليلة وهي تفسد الحسّ إذا قويت لذّته ، فإنّ لذّة العين مثلاً في الضوء وألمها في الظلمة

(١) على ما عليه القدماء .

والضوء القويّ يفسدها ، و كذا الصوت القويّ يفسد السمع ويمنعه من إدراك الخفيّ بعده وأيضاً فإنّ الأمر كما قيل : [إنّ] ألذّ اللّذات الحسّيّة هو المنكوحات و المطعومات وأُمور تجري مجراها والمتمكّن من غلبة مّا ولو في أمر خسيس كالشطرنج والنرد قد يعرض له مطعوم و منكوح فيرفضه لما يعتاضه من لذّة الغلبة الوهميّة وقد يعرض مطعوم ومنكوح في صحبة حشمة فينفض اليد منهما مراعاة للحشمة فيكون مراعاة الحشمة آثر وألذّ لا محالة هناك من المطعوم والمشروب وإذا عرض الكرام من الناس الالتذاذ بانعام يصيبون موضعه آثروه على الالتذاذ بمشتهى حيوانيّ متنافس فيه و آثروا فيه غيرهم على أنفسهم مسرعين إلى الإنعام به و كذلك ، فإنّ كبير النفس يستصغر الجوع و العطش عند المحافظة على ماء الوجه و يستحقر هول الموت ومفاجات العطب عند مناجزة الأقران والمبارزين وربّما اقتحم الواحد منهم على عدد دهم ممتطناً[(١)] ظهر الخطر لما يتوقّعه من لذّة الحمد ولو بعد الموت كأنّ تلك تصل إليه وهوميّت ، فقد بان أنّ اللّذات الباطنة مستعلية على اللّذات الحسّيّة وليس ذلك في العاقل فقط بل وفي العجم من الحيوانات ، فإنّ من كلاب الصيد ما تقتنص على الجوع ثمّ يمسكه على صاحبه وربّما حمله إليه ، والراضعة من الحيوانات تؤثر ما ولدته على نفسها وربّما خاطرت محامية عليه أعظم من مخاطرتها في ذات حمايتها نفسها فإذا كانت اللّذات الباطنة أعظم من الظاهرة وإن لم تكن عقليّة فما قولك في العقليّة فطوبى لعقول شريفة تمثّلت فيها جليّة الحقّ الأوّل قدر ما يمكنها أن تنال منه ببهائه الّذي يخصّه ثمّ يتمثّل فيها الوجود كلّه على ما هو عليه مجرّداً عن الشوائب مبتدئاً فيه بعد الحقّ سبحانه بالجواهر العقليّة الجبروتيّة ، ثمّ الروحانيّة الملكوتيّة والأجرام السماويّة ، ثمّ ما بعد ذلك تمثّلاً لا يمايز الذات ، قال بعض العلماء : لو علم الملوك ما نحن فيه من لذّة العلم لحاربونا بالسيوف ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

وعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال : « لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم ولنعّموا بمعرفة الله تعالى وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله ، إنّ معرفة الله تعالى آنس من كلّ وحشة ،

(١) الدهم : العدد الكثير ، و امتطىء الدابة : ركبها .

وصاحب من كلّ وحدة ، ونورٌ من كلّ ظلمة ، وقوّة من كلّ ضعف ، وشفاء من كلّ سقم ، ثمّ قال : قدكان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير (١) وتضيق عليهم الأرض برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه (٢) شيءٌ ممّا هم فيه من [البلاء] غير ترة وتروا (٣) من فعل ذلك بهم ولاأذى بما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فسلوا ربّكم درجاتهم و اصبروا على نوائب دهر كم تدركوا سعيهم » (٤) .

«الباب الثانى»

« في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما ، و فيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية ، و بيان أنّ موقع الفقه والكلام من علم الدّين إلى أيّ حدّ هو ، وتفصيل علم الآخرة .

(بيان العلم الذى هوفرض عين)

قال صلى الله عليه وآله وسلم : «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم» . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «اطلبوا العلم ولو بالصين» . واختلف الناس في العلم الّذي هوفرض عين على كلّ مسلم وتحزّبوا فيه أكثر من عشرين فرقة و لانطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أنّ كلّ فريق نزّل الوجوب على العلم الّذي هو بصدده فقال المتكلّمون : هوعلم الكلام إذبه يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته ، وقال الفقهاء : هوعلم الفقه إذبه تعرف العبادات والحلال والحرام ومايحرم من المعاملات ومايحلّ وعنوابه مايحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسّرون

(١) مناشير : جمع منشار : آلة ذات اسنان ينشر به الخشب .

(٢) اى عن الطاعة أو دينهم الحق ، والرحب : السعة .

(٣) اى مكروه او جناية أصابوا منهم ، قال فى القاموس : وتر الرجل : أفزعه و أدركه بمكروه ، و وتره ماله نقصه أياه . وفى النهاية الترة : النقص و قيل : التبعة والهاء فيه عوض الوا و المحذوفة .

(٤) رواه الكليني - رحمه الله - فى الكافى ج ٨ ص ٢٤٧ تحت رقم ٣٤٧ .

والمحدّثون: هو علم الكتاب والسنّة إذ بهما يتوصّل إلى العلوم كلّها، وقال المتصوّفة: المراد به هذا العلم أي علمنا، فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله و مقامه من الله عزّ وجلّ وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمّة الملك من لمّة الشيطان، وقال بعضهم: هو علم الباطن و ذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك، وصرفوا اللّفظ عن عمومه و قال أبو طالب المكّي: هو العلم بما يتضمّنه الحديث الّذي فيه مباني الإسلام و هو قوله صلى الله عليه وآله: «بني الإسلام على خمس» لأنّ الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفيّة العمل فيها و بكيفيّة الوجوب.

والّذي ينبغي أن يقطع به المحصّل ولا يستريب فيه ماسنذكره وهو أنّ العلم كما قدّمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علمين: علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلّا علم المعاملة، والمعاملة الّذي كلّف العبد البالغ العاقل بها ثلاثة أقسام: اعتقاد، وفعل، وترك. فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السنّ ضحوة نهار مثلاً فأوّل واجب عليه تعلّم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله».

أقول: ويضيف إليه مجمل الاعتقاد بما يجب لله من الكمال وما يمتنع عليه من النقصان والإذعان بالإمامة للإمام والتصديق بما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله من أحوال الدّنيا والآخرة ممّا ثبت عنه تواتراً.

قال: وليس يجب عليه أن يحصّل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلّة بل يكفيه أن يصدّق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب و اضطراب نفس، وذلك قد يحصل بمجرّد التقليد والسماع من غير بحث و برهان إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله من أجلاف العرب بالتصديق و الإقرار من غير تعلّم دليل فإذا فعل ذلك فقد أدّى واجب الوقت و كان العلم الّذي هو فرض عليه في الوقت تعلّم ذلك على الإجمال و ليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنّه لو مات عقيب ذلك كان مطيعاً لله تعالى غير عاص و إنّما يجب غير ذلك بعارض يعرض و ليس ذلك ضروريّاً في حقّ كلّ شخص بل يتصوّر الانفكاك عنها.

و تلك العوارض إمّا أن تكون في الفعل وإمّا في الترك و إمّا في الاعتقاد، أمّا في

الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار إلى وقت الظهر فيتجدّد عليه بدخول وقت الظهر تعلّم الطهارة و الصلاة و إن كان صحيحاً و كان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم يتمكّن من تمام التعلّم والعمل في الوقت بل خرج الوقت لو اشتغل بالتعلّم فلا يبعد أن يقال: الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلّم على الوقت و يحتمل أن يقال: وجوب العلم الّذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال و هكذا في بقيّة الصلاة فإن عاش إلى رمضان تجدّد بسببه وجوب تعلّم الصوم و هو أن يعلم أنّ وقته من الصبح إلى غروب الشمس و أنّ الواجب فيه النيّة و الإمساك عن الأكل و الشرب و الوقاع و أنّ ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال، فإن تجدّد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلّم ما يجب عليه من الزكاة و لكن لا يلزمه في الحال و إنّما يلزمه عند تمام الحول من وقت إسلامه، فإن لم يملك إلّا الإبل لم يلزمه تعلّم زكاة الغنم و كذلك في سائر الأصناف فإذا دخلت أشهر الحجّ أو شهر لو توجّه فيه إلى مكّة لوصل إليها في الموسم و كان مستطيعاً لزمه تعلّم كيفيّة الحجّ ولم يلزمه إلّا تعلّم أركانه و واجباته دون نوافله، فإنّ فعل ذلك نفلٌ فعلمه أيضاً نفل، فلا يكون فرض عين و هكذا التدريج في علم سائر الأفعال الّتي هي فرض عين، و أمّا الترك فيجب تعلّم ذلك بحسب ما يتجدّد من الحال و ذلك مختلف بحال الشخص، إذ لا يجب على الأبكم تعلّم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلّم ما يحرم من النظر، ولا على البدويّ تعلّم ما يحلّ الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنّه ينفكّ عنه لا يجب تعلّمه و ما هو ملابس له فيجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير أو جالساً في غصب أو ناظراً إلى غير محرم فيجب تعريفه ذلك، وما ليس ملابساً له ولكنّه بصدد التعرّض له على القرب كالأكل فيجب تعليمه ذلك حتّى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر و أكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك و تنبيهه عليه، و ما وجب تعليمه وجب عليه تعلّمه.

وأما الاعتقادات و **أعمال القلوب** فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شكّ في المعاني الّتي تدلّ عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلّم ما يتوصّل به إلى إزالة الشكّ، فإن لم يخطر له ذلك و مات قبل أن يعتقد، تفاصيل الصفات الثبوتيّة والسلبيّة فقدمات

على الإسلام إجماعاً ، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع و بعضها بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام و تناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أوّل بلوغه عنها بتلقين الحقّ خشية سبق الباطل قلبه فإنّه لو اُلقي عليه الباطل لوجب إزالته من قلبه ، و ربّما عسر ذلك كما أنّه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد الّذي هو فيه معاملة الرّبا وجب عليه تعلّم الحذر من الربا ، فهذا هو العلم الّذي هو فرض عين و معناه العلم بكيفيّة العمل الواجب ، فمن علِم علمَ العمل الواجب و وقت وجوبه ، فقد علِم علمَ الّذي هو فرض عين .

و ما ذكره الصوفيّة من فهم خاطر العدوّ [و] من لمّة الملك حقّ أيضاً ولكن في حقّ من يتصدّى له . فإذا كان الغالب أنّ الإنسان لا ينفكّ عن دواعي الشرّ والرياء و الحسد فيلزمه أن يتعلّم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه و كيف لا يجب وقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ثلاث مهلكات : شحّ مطاع ، وهوى متّبع ، وإعجاب المرء بنفسه - الحديث -[1]» ولا ينفكّ عنها بشرٌ و بقيّة ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر و الحسد و أخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات و إزالتها فرض عين ولا يمكن إلّا بمعرفة حدودها و معرفة أسبابها و معرفة علاجها ، فإنّ من لا يعرف الشرّ يقع فيه ، و العلاج هو مقابلة السبب بضدّه فكيف يمكن دون معرفة السبب و المسبّب فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركه الناس كافّة اشتغالاً بما لا يعني ، و ممّا ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل إلى ملّة اُخرى[2] الإيمان بالجنّة والنّار والحشر والنشر حتّى يؤمن به و يصدّق و هو من تتمّة كلمتي الشهادة فإنّه بعد التصديق بكونه صلّى الله عليه وآله وسلّم رسولاً ينبغي أن يفهم معنى الرسالة الّتي هو مبلّغها و هو أنّ من أطاع الله عزّ و جلّ و رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فله الجنّة و من عصاهما فله النار ، فإذا تنبّهت لهذا التدريج علمت أنّ المذهب الحقّ هو هذا و تحقّقت أنّ كلّ عبد هو في مجاري أحواله في يومه

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - فى الخصال ج ١ ص ٤٢ من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه و آله .

(٢) فى الاحياء « قد انتقل عن ملة الى ملة اخرى » .

و ليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته تجدّد عليه لوازمه فيلزمه السؤال عن كلّ ما يقع له من النوادر و يلزمه المبادرة إلى تعلّم ما يتوقّع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبيّن أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّما أراد بالعلم ـ المعرّف بالألف واللاّم ـ في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «طلب العلم فريضة» علم العمل الّذي هومشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتّضح وجه التدريج و وقت وجوبه.

﴿ بيان العلم الذى هو فرض كفاية ﴾

اعلم أنّ الفرض لا يتميّز عن غيره إلّا بذكر أقسام العلوم و العلوم بالإضافة إلى الفرض الّذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعيّة و غيرشرعيّة و أعني بالشرعيّة ما يستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم ـ و لا يرشد العقل إليها مثل الحساب و الهندسة ولا التجربة مثل الطبّ و لا السماع مثل اللّغة.

و العلوم الّتي ليست شرعيّة تنقسم إلى ما هو محمود و إلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدّنيا كالطبّ و الحساب، و ذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية و إلى ما هو فضيلة و ليس بفريضة، و أمّا فرض الكفاية فهو كلّ علم لا يستغنى عنه في قوام اُمور الدّنيا كالطبّ إذ هو ضروريّ في حاجة بقاء الأبدان على الصحّة و كالحساب فإنّه ضروريّ في المعاملات و قسمة الوصايا و المواريث و غيرها و هذه هي العلوم الّتي لوخلا البلد عمّن يقوم بها حرج أهل البلد، و إذا قام بها واحد كفى و سقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجّب من قولنا أنّ الطبّ و الحساب من فروض الكفايات، فإنّ اُصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فإنّه لو خلا البلد عن الحجّام لتسارع الهلاك إليهم و حرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإنّ الّذي أنزل الدّاء أنزل الدواء، و أرشد إلى استعماله، و أعدّ الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرّض للهلاك بإهماله.

وأمّا ما يعدّ فضيلة فكالتعمّق في دقائق الحساب و حقائق الطبّ. و غير ذلك ممّا يستغنى عنه ولكنّه يفيد زيادة قوّة في القدر المحتاج إليه.

و أمّا المذموم منه فعلم السحر والطلسمات و علم الشعبذة والتلبيسات.

وأمّا المباح منه فعلم الأشعار الّتي لاسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

وأما العلوم الشرعيّة وهي مقصودة بالبيان فهي محمودة كلّها ولكن قد يلتبس بها ما يظنّ أنّها شرعيّة وتكون مذمومة، فتنقسم إلى المحمودة و المذمومة أمّا المحمودة فلها اُصول و فروع و مقدّمات و متمّمات فهي أربعة أضرب:

الضرب الأوّل الاُصول وهي أربعة: كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله و إجماع الاُمّة، وآثار الصحابة، و الإجماع أصل من حيث إنّه يدلّ على السنّة فهو أصل في الدرجة الثانية و كذلك الأثر فإنّه يدلّ أيضاً على السنّة».

أقول: الصواب على اُصولنا أن يقال بدل آثار الصحابة آثار أهل البيت أعني الأئمّة المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ فإنّ آثار الصحابة كلّهم ليست حجّة عندنا و إنّما الحجّة في قول المعصوم عليه السلام فحسب كما ثبت في محلّه.

قال: «الضرب الثاني الفروع و هو ما فهم من هذه الاُصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبّهت لها العقول فاتّسع بسببها الفهم حتّى فهم من اللّفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله عليه السلام: «لا يقضي القاضي و هو غضبان[1]» إنّه لا يقضي إذا كان حاقناً أو جائعاً أو متألّماً بمرض أو عطشان أو ذا توقان أو شبق[2] و ما أشبهه ممّا يشغله عن الإحتياط في إمضاء ما هو بصدده من اُمور القضاء و فصل الخصومات».

أقول: هذا قياس غير صحيح عندنا و الصواب على اُصولنا أن يمثّل بقوله عزّ وجلّ: «ولا تقل لهما اُفّ»[3]، فإنّه يفهم منه المنع من الضرب والشتم أيضاً بطريق أولى.

قال: «و هذا على ضربين أحدهما ما يتعلّق بمصالح الدّنيا و يحويه فنّ الفقه و المتكفّل به الفقهاء، و هم من علماء الدّنيا، و الثاني ما يتعلّق بالآخرة و هو علم أحوال القلب و أخلاقه المذمومة و المحمودة و ما هو مرضيّ عند الله عزّ وجلّ و ما هو مكروه،

(١) رواه الكلينى ـ رحمه الله ـ فى الكافى كتاب القضاء باب أدب الحكم.

(٢) تاق يتوق توقا و توقانا اليه اشتاق و الى الغاية: اسرع و عينه بالدموع: و تاق منه اشفق، و ذاشبق اى ذا شهوة فاسدة شديدة.

(٣) الاسراء: ٢٣.

و هو الّذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني ربعي المهلكات و المنجيات ، ومنه العلم بما يترشّح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الّذي يحويه الشطر الأوّل .

الضرب الثالث المقدّمات و هو الّذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللّغة و النحو فإنّهما آلات لعلم كتاب الله سبحانه و سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله و ليس اللّغة و النحو من العلوم الشرعيّة في أنفسهما و لكن لزوم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب و كلّ شريعة فلا تظهر إلّا بلغة فيصير تعلّم تلك اللّغة آلة ، ومن الآلات علم كتابة الخطّ إلّا أنّ ذلك ليس ضروريّاً إذ لو تصوّر استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة و لكنّه صار بحكم العجز في الغالب ضروريّاً .

الضرب الرابع المتمّمات و ذلك إمّا في علم القرآن فإنّه ينقسم إلى ما يتعلّق باللّفظ كعلم القراءات و مخارج الحروف ، وإلى ما يتعلّق بالمعنى كالتفسير فإنّ اعتماده أيضاً على النقل إذ اللّغة بمجرّدها لا تستقلّ به ، و إلى ما يتعلّق بأحكامه كمعرفة الناسخ و المنسوخ ، و الخاصّ و العامّ ، و النصّ والظاهر ، و كيفيّة استعمال البعض منه مع البعض و هو العلم الّذي يسمّى اُصول الفقه و يتناول السنّة أيضاً ؛ و أمّا المتمّمات في الأخبار و الآثار فالعلم بالرجال و أساميهم ، و بأسامي الصحابة و صفاتهم ، و العلم بالعدالة في الرواة ، والعلم بأحوالهم ليتميّز الضعيف عن القويّ ، و العلم بأعمارهم ليتميّز المرسل عن المسند ، و كذلك ما يتعلّق به ، فهذه هي العلوم الشرعيّة و كلّها محمودة بل كلّها من فروض الكفايات » .

﴿ فصل ﴾

أقول : أمّا ما ذكره أبو حامد ـ رحمه الله ـ من أنّ العلم بمعاني القرآن و تفسيره إنّما الاعتماد فيه على النقل فصحيح ولكنّه أراد بالنقل ما يروى عن الصحابة و التابعين الّذين كانوا يفسّرون القرآن في الأكثر بآرائهم ، الّذين لا يجوز الاعتماد على أقوالهم و دياناتهم ، و أمّا ما ذكره من أنّ العلم المتعلّق بأحكام القرآن و السنّة من الناسخ

و المنسوخ ، و العامّ و الخاصّ ، و غير ذلك إنّما يعرف من العلم المسمّى بأُصول الفقه فليس كذلك بل الحقّ أنّ الواجب في كلا العلمين أن يؤخذ من أهله و ليس أهله إلّا الّذين أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسّك بهم بعده بقوله : «إنّي تارك فيكم الثقلين إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي : كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض [١] » و معنى عدم الافتراق أنّ علم القرآن عندهم فمن تمسّك بهم تمسّك بهما وهم أُولوا الأمر الّذين قال الله فيهم : «ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم [٢] » و قال سبحانه فيهم : « يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم [٣] » و منشأ هذا الخطأ والاشتباه [٤] أنّه لمّا غلب على أراذل العرب و منافقيهم حبّ الرئاسة ، و اشتعل في نفوسهم نائرة الحسد و النفاسة ، ونبذوا ما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في يوم الغدير و غيره - وراء ظهورهم ، و خذلوا وصيّه ثمّ الأوصياء من بعد وصيّه ، الّذين كانوا هم أزمّة الحقّ ، و ألسنة الصدق ، و شجرة النبوّة ، و موضع الرسالة ، و مختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، و معدن العلم ، و منار الهدى ، و الحجج على أهل الدُّنيا ، و خزائن أسرار الوحي و التنزيل ، ومعادن جواهر العلم و التأويل ، الاُمناء على الحقائق ، و الخلفاء على الخلائق ، أُولي الأمر الّذين أُمروا بطاعتهم ، و أُولي الأرحام الّذين اُمروا بصلتهم ، و ذوي القربى الّذين أُمروا بمودّتهم ، وأهل الذكر الّذين اُمروا بمسألتهم ، و الموالي الّذين اُمروا بموالاتهم و متابعتهم ، و أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً ، و الراسخين في العلم الّذين عندهم علم القرآن كلّه تأويلاً و تفسيراً ، أحد السببين اللّذين من تعلّق بهما فازت قداحه ، وثاني الثقلين اللّذين من تمسّك بهما أسفر عن حمد السُّرى صباحه [٥] الّذين مثلهم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ، و من تخلّف عنه غرق ، الّذين إذا نطقوا

---

(١) اخرجه احمدفى مسنده ج ٣ص ١٤ و١٧ و ٢٦ و٥٩ من حديث ابى سعيد الخدرى و ج ٤ ص ٣٦٧ و ٣٧١ و ج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩ بأدنى تغيير فى الالفاظ
(٢) النساء : ٨٣ .

(٤) أى الذى وقع فى كلام أبى حامد و أضرابه .

البل وفى المثل المعروف «عند الصباح يحمد القوم السرى» .

نطقوا بالصواب ، و أتوا بالحكمة ، وفصل الخطاب ، و عرّفوا كيف تؤتى البيوت من الأبواب ، فلمّا خذلهم الأوّلون استبهم أمرهم على الآخرين و ذلك لأنّه لمّا جرى في الصحابة ما جرى و خدع بهم عامّة الورى أعرض الناس عن الثقلين و تاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلّا شرذمة من المؤمنين ، فمكثوا بذلك سنين ، و عمهوا في غمرتهم حتّى حين ، و كان العلم مكتوماً و أهله مظلوماً ، لا سبيل لهم إلى إبرازه إلّا بتعميته و إلغازه ، ثمّ خلف من بعدهم خلف غير عارفين الولاية ، ولا ناصبين العداوة ، [و] لم يدروا ما صنعوا ، و عمّن أخذوا ، فعمدوا إلى طائفة ممارين من أهل الأهواء [1] ، و قوم مرائين من الجهلاء وزعموا أنّهم من العلماء ، فكانوا يفتونهم بالآراء و ذلك لأنّ جملة ما كان عندهم من حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام ليست إلّا أربعة آلاف على ما قالوه [2] ولم يكفهم ذلك ، فإذا نزلت حادثة ولم يكن لهم فيها رواية خاضوا في استنباط الحكم فيها بالرأي من اُصول وضعوها و قواعد أسّسوها استناداً إلى رواية كانت من إختلاق أئمّتهم ، و افتراء رؤسائهم ، و كانوا وضعوها لترويج أهوائهم قالوا : « إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لمعاذ بن جبل حين وجّهه إلى اليمن : بم تقضي ؟ قال : بالكتاب ، قال : فما لم يكن في الكتاب ؟ قال : فبالسنّة ، قال : فما لم يكن في السنّة ؟ قال : اجتهدت رأيي ، قال : الحمد لله الّذي فقّه رسول رسوله [3] » و هذه الرواية كذّبها القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم [4] » ، و قوله عزّ و جلّ : « إن يتّبعون إلّا الظنّ [5] » ، و « إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً [6] » ، وقوله تعالى : « و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون [7] » ، و قوله جلّ اسمه : « و أن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهوائهم [8] » ، و قوله : « إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ

(١) أى مجادلين او مشككين من اهل الاهواء الفاسدة .

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج ٤ ص ٥٩ .

(٣) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ١٢٦ .

(٤) الاسراء : ٣٦ . (٥) الانعام : ١١٦ .

(٦) يونس : ٣٦ . (٧) البقرة : ١٦٩ .

(٨) المائدة : ٤٩ .

لتحكم بين الناس بما أراك الله[١] » ولم يقل : بما رأيت فلوكان الدّين بالرأي لكان رأي النبي ﷺ أولى من رأي من ليس بمعصوم ، ومن الخطأ[٢] أقرب إليه من الإصابة ، فانّ التشريع لايجوز إلّا بالوحي « إن هو إلّا وحي يوحى[٣] » و نحن مأمورون بحكم الحديث النبوي ﷺ أن نضرب بالحديث ضرب الحائط إذا كان مخالفاً للكتاب ، و بالجملة غمّضوا العينين ، و رفضوا الثقلين ، و أحدثوا في العقائد بدعاً ، و تحزّبوا فيها شيعاً ، و اخترعوا في الأحكام أشياء حكموا فيها بالآراء ، و فرّعوا تفريعات دقيقة لا يحتاج إلى شيء منها ، حكموا فيها بالأهواء حتّى بدا بينهم بتخالفهم العداوة و البغضاء و زادوا و نقصوا في التكاليف ، و صنّفوا فيها تصانيف حتّى كثر الاختلاف و خيف على بيضة الإسلام من شيوع القول بالجزاف ، فمنعتهم ملوكهم من الاجتهاد على السعة و حصروا المجتهد في الأربعة ، و اعتمد جمهورهم في الأُصول على قول رجل يقال له : أبو الحسن الأشعري وكان يقول بالجبر ، وبالصفات الزائدة ، وإثبات القدماء الثمانية إلى غير ذلك ، ثمّ لم يف الناس بذلك و لم يمتنعوا من منع اُولئك بل اتّسعوا في أهوائهم و أكثروا من آرائهم قرناً بعد قرن حتّى آل الأمر إلى ما آل وكان فيهم و بين أظهرهم الأئمّة الحقّ الّذين أقامهم الله مقام رسوله ﷺ واحداً بعد واحد .

و كان في وصيّة رسول الله ﷺ رؤساءهم في حجّة الوداع بمشهد من سبعين ألف عدد قوم موسى عليه السلام حين خلّف فيهم هارون و ذهب إلى ميقات ربّه فاتّخذوا العجل من بعده أن قال لهم في جملة أقواله في خطبته بغدير خمّ : « معاشر الناس أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة كما أمركم الله عزّ و جلّ فإن طال عليكم أمد فقصرتم أو نسيتم فعليٌّ وليّكم ومبيّن لكم ، الّذي نصبه الله عزّ وجلّ بعدي ومن خلقه الله منّي ومنه يخبركم بما تسألون منه و يبيّن لكم مالاتعلمون ، ألا إنّ الحلال والحرام أكثر من أن اُحصيهما و اُعرّفهما فآمر بالحلال و أنهي عن الحرام في مقام واحد ، فاُمرت أن آخذ البيعة عليكم و الصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله في عليّ أمير المؤمنين و الأئمّة من بعده ، الّذين هم منّي

---

(١) النساء : ١٠٥ .　　(٢) عطف على «من ليس بمعصوم» و بيان له .

(٣) النجم : ٤ .

و منه أُمّة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الّذي يقضي بالحقّ ، معاشر الناس كلّ حلال دللتكم عليه و كلّ حرام نهيتكم عنه ، فإنّي لم أرجع عن ذلك و لم أُبدّل ، ألا فاذكروا ذلك و احفظوه و تواصوا به ولا تبدّلوه ولا تغيّروه ـ الحديث بطوله (١) ـ و فيه أشياء أُخر من هذا القبيل فكتموه وبدّلوه و غيّروه فضلّوا وأضلّوا ، و قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك بما رووه عنه في كتبهم أنّه قال : « ليردنّ الناس من أصحابي عليّ الحوض حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دوني (٢) فأقول : أصحابي ـ وفي رواية أُصيحابي أُصيحابي ـ فيقال : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك (٣) » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يامعشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا إيّاكم وأصحاب الرأي فإنّهم أعداء السنن ، تفلّتت منهم الأحاديث أن يحفظوها و أعيتهم السنّة أن يعوها فاتّخذوا عباد الله خولاً ، وماله دولاً ، فذلّت لهم الرقاب وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب ، و نازعوا الحقّ و أهله ، و تمثّلوا بالأئمّة الصادقين ، و هم من الكفّار [الجهّال] الملاعين ، فسئلوا عمّا لايعلمون فأنفوا أن يعترفوا بأنّهم لايعلمون فعارضوا الدين بآرائهم و ضلّوا فأضلّوا ، أمّا لو كان الدّين بالقياس لكان باطن الرجلين أولى بالمسح من ظاهرهما (٤) » .

و لمّا فات علماء العامّة و صوفيّتهم ما فات من معرفة الإمام و العلم بمسائل الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام كما ينبغي استغرقوا في بحر البدع و الضلالة و تاهوا في بيداء الحيرة و الجهالة فربما يروى عن أحدهم أنّه كان يفرط في إتعاب نفسه بما لا عائدة فيه إليه و ربما يفرّط فيما هو فرض عليه ، ولهذا تركنا ذكر أكثر ما نقله أبو حامد عنهم في هذا الكتاب من أقوالهم و أفعالهم فيما يحتاج فيه إلى السّماع إذ لا فائدة فيه ولا انتفاع .

(١) قطعة من خطبة النبى صلى الله عليه و آله فى حجة الوداع نقله جماعة منهم أبو على محمد بن احمد بن على الفتال النيسابورى فى الروضة ص ١١٩ . (٢) والاختلاج : الانصراف .

(٣) الجزء الثامن من صحيح البخارى باب الحوض من كتاب الدعوات ص ١٤٩ .

(٤) أورده المجلسى ـ رحمه الله ـ فى البحار كتاب العلم باب ١٤ من تفسير المنسوب الى الامام العسكرى عليه السلام .

قال مولانا الكاظم عليه السلام في قول الله تعالى: «و من أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله [١]» «يعني من اتّخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمّة الهدى» [٢].

و قال مولانا الباقر عليه السلام: كلّ من دان بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضالّ متحيّر والله شانيء لأعماله - الحديث - » [٣]

و قال عليه السلام: «قال الله تعالى: لأعذبنّ كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله و إن كانت الرعيّة في أعمالها برّة تقيّة و لأعفونّ عن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولايه كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرّعيّة في أنفسها ظالمة مسيئة» [٤].

﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد: «فإن قلت: فلم ألحقت الفقه بعلم الدّنيا! و ألحقت الفقهاء بعلماء الدّنيا؟ فاعلم أنّ الله عزّ وجلّ أخرج آدم عليه السلام من التراب و أخرج ذرّيته من سلالة من طين و من ماء دافق، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام و منها إلى الدّنيا ثمّ إلى القبر ثمّ إلى العرض ثمّ إلى الجنّة أو إلى النار فهذا مبدؤهم و هذه غايتهم، و هذه منازلهم، و خلق الدّنيا زاداً للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزوّد فلو تناولوها بالعدل انقطعت الخصومات و تعطّل الفقهاء ولكنّهم تناولوها بالشهوات فتولّدت منها الخصومات فمسّت الحاجة إلى سلطان يسوسهم و احتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة و بطريق التوسّط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات، فكان الفقيه هو معلّم السلطان و مرشده إلى طريق سياسة الخلق و ضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدّنيا و لعمري هو متعلّق أيضاً بالدّين و لكن لا بنفسه بل بواسطة الدّنيا فإنّ الدّنيا مزرعة الآخرة ولا يتمّ الدّين إلّا بالدّنيا، والملك والدّين توأمان، والدّين

(١) القصص: ٥٠.
(٢) رواه الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٧٤.
(٣) الكافي ج١ ص ٣٧٥ و«شانيء» أي مبغض.
(٤) الكافي ج ١ ص ٣٧٦.

أصل و السلطان حارس و ما لا أصل له فمنهدم و ما لا حارس له فضايع ، و لا يتمّ الملك و الضبط إلّا بالسلطان و طريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه ، و كما أنّ سياسة الخلق بالسلطنة ليس من أمور الدّين في الدّرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتمّ الدّين إلّا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أنّ الحجّ لا يتمّ إلّا ببذرقة [1] تحرس من العرب في الطريق و لكنّ الحجّ شيء و سلوك الطريق إلى الحجّ شيء ثان ، و القيام بالحراسة الّتي لا يتمّ الحجّ إلّا بها شيء ثالث ، و معرفة طريق الحراسة و حيلها وقوانينها شيء رابع ، و حاصل فنّ الفقه معرفة طريق الحراسة و السياسة و يدلّ على ذلك ماروي مسنداً «لا يفتي الناس إلّا ثلاثة : أمير أو مأمور أو متكلّف [2]» فالأمير هو الإمام و قد كانوا هم المفتون ، و المأمور نائبه ، و المتكلّف غيرهما و هو الّذي يتقلّد تلك العهدة من غير حاجة و قد كان السلف يحترزون عن الفتوى إذا سئلوا حتّى كان يحيل كلّ واحد منهم على صاحبه و كانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن و طريق الآخرة ، و في بعض الروايات بدل المتكلّف المرائي فإنّ من يتقلّد خطر الفتوى وهو غير متعيّن للحاجة فلا يقصد به إلّا طلب الجاه والمال .

فإن قلت : هذا إن استقام لك في أحكام الحدود و الجراحات و الغرامات و فصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام و الصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال و الحرام .

فاعلم أنّ أقرب ما يتكلّم الفقيه فيه من الأعمال الّتي هي أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام ، و الصلاة ، و الحلال و الحرام . فإذا تأمّلت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنّه لا يجاوز حدود الدّنيا إلى الآخرة و إذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهي في غيرها أظهر أمّا الإسلام فيتكلّم فيه الفقيه فيما يصحّ منه و ما يفسد و في شروطه ، و ليس يلتفت فيه إلّا إلى اللّسان أمّا القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أرباب السيوف و السلطنة عنه حيث قال : «هلّا شققت عن قلبه [3]» في الّذي قتل من تكلّم بكلمة

(١) اى الدليل معرب بذرقة . (٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧٥٣ وفيه «لا يقص» .
(٣) اخرجه ابن ابى حاتم عن السدى كما فى الدر المنثور ج ٢ س ٢٠٠ .

الإسلام معتذراً بأنّه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحّة « الإسلام تحت ظلال السيوف » مع أنّه يعلم أنّ السيف لم يكشف له عن شبهة، و لم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل و الحيرة، و لكنّه مشفق من صاحب السيف فإنّ السيف ممتدٌ إلى رقبته. واليد ممتدّة إلى ماله، و هذه الكلمة باللّسان تعصم رقبته و ماله مادامت له رقبة و مالٌ و ذلك في الدّنيا و لذلك قال ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا : لا إله إلّا الله فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم و أموالهم [1] » جعل أثر ذلك في الدّم و المال ؛ و أمّا الآخرة فلا ينفع فيها الأقوال بل ينفع فيها أنوار القلوب و أسرارها و أخلاقها و ليس ذلك من فنّ الفقيه و إن خاض فيه الفقيه كان كما لو خاض في الكلام أو الطبّ و كان خارجاً من فنّه، و أمّا الصلاة فالفقيه يفتي بالصحّة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط، و إن كان غافلاً في جميع صلاته من أوّلها إلى آخرها، مشغولاً بالتفكّر في حساب معاملاته في السوق إلّا عند التكبير و هذه الصلاة لاتنفع في الآخرة كثير نفع كما أنّ القول باللّسان في الإسلام لاينفع ولكنّ الفقيه يفتي بالصحّة أي أنّ ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر و انقطع به عنه القتل أو التعزير، وأمّا الخشوع وإحضار القلب الّذي هو عمل الآخرة و به ينفع العمل الظاهر لايتعرّض له الفقيه ولو تعرّض له لكان خارجاً عن فنّه ».

أقول: فإن قلت : الفقيه يجعل النيّة شرطاً في صحّة الصلاة و يحكم ببطلانها إذا خلت عنها و النيّة أمر قلبيٌ فقد تجاوز نظره في الصلاة من الدّنيا إلى الآخرة، قلت : النيّة في الحقيقة ما يبعث المكلّف على الفعل و يحمله على الإتيان به كما يأتي تحقيقه في ربع المنجيات و ذلك أمر لايخلو عنه فاعل ذو شعور يصدر عنه فعل فلا يصح أن يتعلّق به التكليف لخروجه عن الاختيار و لهذا قال بعض علمائنا : لو كلّف الله بإيقاع العبادات من دون نيّة لكان تكليفاً بما لا يطاق، و إنّما يتعلّق التكليف بعوارضها وخصوصيّاتها من الإخلاص و الرياء و نحوهما ممّا يبحث عنه في علم الأخلاق و هو من

---

(١) أخرجه ابوداود فى سننه كتاب الجهاد ج ٢ ص ٤١ و فى التاج الجامع للاصول ج ٤ ص ٣٢٥ عن البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى .

وظيفة علماء الآخرة وأطبّاء القلوب وليس من وظيفة الفقيه من حيث هو فقيه في شيء وإن تعرّض له الفقيه كان خارجاً عن فنّه وكان على سبيل التطفّل.

و أمّا قول أبي حامد: « إلّا عند التكبير » فلعلّه أشار به إلى صرف وجه القلب إلى الله سبحانه عند افتتاح الصلاة مخطراً بباله أنّه إنّما يصلّي لله و هو الّذي عبّر عنه في أخبارنا بالتوجّه و عند الفقهاء بالنيّة، أو أشار به إلى استشعار عظمة الله عند تكبيرة الافتتاح، وأمّا ما تكلّفه جماعة من الفقهاء من إيجاب استشعار العبادة مع خصوصيّاتها و الأمور الباعثة عليها مقارناً لأوّلها على النحو المخصوص فذلك أمر لم يرد به كتاب ولا سنّة و لا وقع عنه و لا عمّا يتفرّع عليه من المسائل المشكلة على النّاس الموقعة لهم في الوسواس سؤال عن السلف قطّ بل هو من قبيل اسكتوا عمّا سكت الله عنه.

قال أبو حامد: « و أمّا الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتّى أنّه إذا امتنع أحد فأخذها السلطان قهراً حكم أنّه برئت ذمّته و قد حكي أنّ أبا يوسف [1] كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول و يستوهب مالها لإسقاط الزكاة فحكي ذلك لأبي حنيفة فقال: ذلك من فقهه و صدق، فإنّ ذلك من فقه الدّنيا و لكن مضرّته في الآخرة أعظم من كلّ جناية و مثل هذا العلم هو الضارّ، و أمّا الحلال و الحرام فالورع عن الحرام من الدّين و لكنّ الورع له أربع مراتب الأولى الورع الّذي يشترط في عدالة الشهادة و هو الّذي لا يخرج به الإنسان عن أهليّة الشهادة و القضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر، الثانية ورع الصالحين وهو التوقّي من الشبهات الّتي يتقابل فيه الاحتمالات.

قال صلّى الله عليه وآله: «دَع ما يُريبك إلى ما لا يريبك» [2]. و قال صلّى الله عليه وآله: « الاثم حوازّ القلوب [3]»، الثالثة ورع المتقين و هو ترك الحلال المحض الّذي يخاف منه أداؤه إلى

---

(١) هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى الكوفى كان تلميذ أبى حنيفة ومن أتباعه و قيل انه اول من لقب بقاضى القضاة ذكر ابن خلكان حكايات فى أحواله و قضائه، توفى سنة ١٨٢ (الكنى و الالقاب للمحدث القمى).

(٢) أخرجه احمد فى المسند ج١ ص٢٠٠ عن الحسن بن على عن النبى صلى الله عليه و آله.

(٣) رواه احمد من حديث ابن مسعود، و قال الجزرى فى النهاية: الاثم حواز ←

الحرام . قال ﷺ : « لايكون الرجل من المتّقين حتّى يدع ما لا بأس به مخافة ممّا به بأس[١] » و ذلك مثل التورّع عن التحدّث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورّع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدّي إلى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصدّيقين و هو الإعراض عمّا سوى الله سبحانه خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لايفيد زيادة قربة عندالله تعالى و إن كان يعلم و يتحقّق أنّه لا يفضي إلى حرام ، فهذه الدرجات كلّها خارجة عن نظر الفقيه إلّا الدرجة الأولى و هو ورع الشهود و القضاة و ما يقدح في العدالة ، و القيام بذلك لاينفي الاثم في الآخرة[٢].

قال ﷺ لوابصة : « استفت قلبك و إن أفتوك و أفتوك و أفتوك[٣] » و الفقيه لايتكلّم في حزازات القلوب و كيفيّة العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقطّ ، فإذاً جميع نظر الفقيه مرتبط بالدّنيا الّتي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلّم في شيء من صفات القلب و أحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفّل كما يدخل في كلامه شيء من الطبّ و الحساب و النجوم و علم الكلام ، و كما تدخل الحكمة في النحو والشعر » .

فصل

« فإن قيل : فقد سوّيت بين الفقه و الطبّ إذ الطبّ أيضاً يتعلّق بالدّنيا و هو صحّة الجسد و ذلك يتعلّق به أيضاً [إ]صلاح الدّين ، و هذه التسوية تخالف إجماع المسلمين .

← القلوب هى الامور التى تحز فيها اى تؤثر كما يؤثر الحز فى الشيء و هو ما يخطر فيها من أن تكون معاصى لفقد الطمأنينة اليها و هى بتشديد الزاى جمع حاز ، يقال : اذا أصاب مرفق البعير طرف كركرته فقطعه و أدماه قيل به حاز ، ورواه شمر « الاثم حواز القلوب » ـ بتشديد الواو ـ أى يحوزها و يتملكها و يغلب عليها و يروى « الاثم حزاز القلوب » بزائين الاولى مشددة وهى فعال من الحز . انتهى .

(١) أخرجه الترمذى و ابن ماجه كما فى المغنى .

(٢) كذا فى جميع النسخ .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ج ٤ ص ٢٢٨ من حديث وابصة بن معبد الاسدى .

فاعلم أنّ التسوية غير لازمة بل بينهما فرق و ذلك أنّ الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : الأوّل أنّه علم شرعيّ أي مستفاد من النبوّة بخلاف الطبّ فإنّه ليس من علم الشرع ، الثاني أنّه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتّة لا الصحيح و لاالمريض ، و أمّا الطبّ فلا يحتاج إليه إلّا المرضى وهم الأقلّون ، الثالث أنّ علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنّه نظر في أعمال الجوارح ، و مصدر الأعمال و منشأها صفات القلوب ، فالمحمود من الأعمال يصدر من الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم ، وليس يخفى اتّصال الجوارح بالقلب ، وأمّا الصحّة و المرض فمنشأهما صفات في المزاج و الأخلاط و ذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فمهما اُضيف الفقه إلى الطبّ ظهر شرفه : و إذا اُضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم الآخرة» .

أقول : ما ذكره أبو حامد من أوّل الفصل إلى آخره ليس على ما ينبغي و ليس معنى علم الفقه ما زعمه بل هو علم شريف الهيّ نبويّ مستفاد من الوحي ليساق به العباد إلى الله عزّ وجلّ وبه يترقّى العبد إلى كلّ مقام سنّي ، فإنّ تحصيل الأخلاق المحمودة لا يتيسّر إلّا بأعمال الجوارح على وفق الشريعة الغرّاء من غير بدعة ، و تحصيل علوم المكاشفة لايتيسّر إلّا بتهذيب الأخلاق و تنوير القلب بنور الشرع وضوء العقل ، و ذلك لايتيسّر إلّا بالعلم بما يقرّب إلى الله عزّ وجلّ من الطاعات المأخوذة من الوحي ليتأتّى بها العبد على وجهها ، و العلم بما يبعّد عن الله عزّ و جلّ من المعاصي ليجتنب عنها ، و المتكفّل بهذين العلمين إنّما هو علم الفقه ، فهو أقدم العلوم و أهمّها ، و قد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنّه ثلث القرآن فكيف لا يكون من علم الآخرة ما هذا شأنه فكأنّ أبا حامد لم يفرّق بين الخلافة النبويّة الحقّة الّتي يعتبر فيها رعاية قلوب الرعيّة من الإمام الداعي و إصلاحها وبين السلطنة المتغلّبة الجائرة الّتي لايعتبر فيهاذلك فصارذلك منشأ خطائه ، وبالجملة يجب على كلّ مكلّف أن يحصل من علم الفقه ما يحتاج إليه بنفسه بفرض العين و ما يحتاج إليه غيره بفرض الكفاية سواء فيه العبادات و المعاملات من غير فرق ؛ و أمّا فقهاء العامّة فليس يصلح فقههم أن يعدّ من العلم حتّى يقال إنّه من

علوم الدّنيا أو الآخرة لأنّه مخلوط ببدع و جهالات و أهواء مخترعة مضلاّت كما سنشير إلى بعضها في مواضعه إن شاء الله.

روى عليّ بن إبراهيم - رحمه الله - «في تفسير قوله تعالى: «و الشعراء يتّبعهم الغاوون (١)» أنّها نزلت في الّذين غيّروا دين الله وخالفوا أمر الله عزّ وجلّ، هل رأيتم شاعراً قطّ يتّبعه أحد و إنّما عنى بذلك الّذين وضعوا ديناً بآرائهم فيتّبعهم النّاس على ذلك، قال: «ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون» يعني يناظرون بالأباطيل و يجادلون بالحجج المضلّين و في كلّ مذهب يذهبون يعني بهم المغيّرين دين الله «و إنّهم يقولون مالا يفعلون» يعني يعظون النّاس ولا يتّعظون. و ينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، قال: وهم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم (٢)».

و روى شيخنا الصدوق - رحمه الله - في معاني الأخبار (٣) «عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: هل رأيت شاعراً يتّبعه أحدٌ، إنّماهم قوم تفقّهوا لغير الله فضلّوا و أضلّوا».

و عن الصادق عليه السلام: «هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا».

و ممّا يدلّ على شرف علم الفقه و شدّة الإهتمام به ما روّيناه من طريق الخاصّة بإسنادنا الصحيح عن معاوية بن وهب «قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ آية الكذّاب بأن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب فإذا سألته عن حرام الله تعالى و حلاله لم يكن عنده شيء» (٤).

---

(١) الشعراء: ٢٢٢. والخبر فى ذيل الاية فى التفسير ص ٤٧٥.

(٢) ورواه العياشى كما فى المجمع ذيل الاية.

(٣) باب النوادر فى خاتمة الكتاب ص ٣٨٥.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٣٤٠ و قال المؤلف - رحمه الله - فى بيانه: ذلك لان العلم بحقائق الاشياء على ماهى عليه لا يحصل لاحد الا بالتقوى وتهذيب السر عن رذائل الاخلاق. قال الله تعالى: «اتقوا الله و يعلمكم الله» ولا يحصل التقوى الا بالاقتصاد على الحلال والاجتناب عن الحرام ولا يتيسر ذلك الا بالعلم بالحلال والحرام فمن أخبر عن شيء من حقائق الاشياء ولم يكن عنده معرفة بالحلال والحرام فهو لامحالة كذاب يدعي ماليس عنده.

فصل

قال أبو حامد: «فإن قلت: فصّل لي علم الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه إن لم يمكن استقصاء تفاصيله، فاعلم أنّه قسمان: علم مكاشفة وعلم معاملة: القسم الأوّل علم المكاشفة و هو علم الباطن و ذلك غاية العلوم قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيبٌ من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة و أدنى النصيب منه التصديق به و تسليمه لأهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم: بدعة أو كبر، و قيل: من كان محبّاً للدّنيا أو مصرّاً على هوى لم يتحقّق به و قد يتحقّق بسائر العلوم، و أقلّ عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً و هو علم الصدّيقين و المقرّبين أعني علم المكاشفة و هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره و تزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور أُمور كان يسمع من قبل أسمائها و يتوهّم لها معاني مجملة غير متّضحة، فيتّضح له ذلك حتّى يحصل المعرفة الحقيقيّة بذات الله سبحانه، و بصفاته التامّات، و بأفعاله و بحكمته في خلق الدُّنيا و الآخرة، و وجه ترتيبه الآخرة على الدُّنيا، و المعرفة بمعنى النبوّة و النبيّ، ومعرفة معنى الوحي، و معنى لفظ الملائكة و الشياطين، و كيفيّة معادات الشيطان للإنسان، و كيفيّة ظهور الملك للأنبياء، و كيفيّة وصول الوحي إليهم، و المعرفة بملكوت السماوات و الأرض، و معرفة القلب و كيفيّة تصادم جنود الملائكة و الشياطين فيه، و معرفة الفرق بين لمّة الملك و لمّة الشيطان، و معرفة الآخرة و الجنّة و النّار و عذاب القبر و الصراط و الميزان و الحساب، و معنى قوله عزّ وجلّ: «كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً[1]»، و معنى قوله عزّ وجلّ: «وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون[2]»، ومعنى لقاء الله عزّ وجلّ والنظر إلى وجهه الكريم و معنى القرب منه و النزول في جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى و مقاربة الملائكة و النبيّين، و معنى تفاوت درجات أهل الجنّة حتّى يرى بعضهم بعضاً

(١) الاسراء: ١٤.
(٢) العنكبوت: ٦٤.

كمايرى الكوكب الدريّ في جوّ السماء إلى غير ذلك ممّا يطول تفصيله ، إذ للناس في معاني هذه الاُمور بعد التصديق باُصولها مقامات :

فبعضهم يرى أنّ جميع ذلك أمثلة و أنّ الّذي أعدّه الله لعباده الصالحين ما لاعينٌ رأت ، و لا اُذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ، و أنّه ليس مع الخلق من الجنّة إلّا الصفات والأسماء .

و بعضهم يرى أنّ بعضها أمثلة و بعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها . و كذا يرى بعضهم أنّ منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته . و بعضهم يدّعي اُموراً عظيمة في المعرفة بالله عزّ وجلّ .

و بعضهم يقول : حدٌّ معرفة الله تعالى ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام ، وهوأنّه سبحانه موجود عالم قادر سميع بصير متكلّم مريد ، فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتّى يتّضح له جليّة الحقّ في هذه الاُمور إيضاحاً يجري مجرى العيان الّذي لا يشكّ فيه و هذا ممكن في جوهر الإنسان إلّا أنّ مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدّنيا ، و إنّما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفيّة تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث الّتي هي الحجاب عن الله سبحانه ، و عن معرفة صفاته و أفعاله ، و إنّما تصفيتها و تطهيرها بالكفّ عن الشهوات و الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام في جميع أحوالهم فبقدر ما يتجلّي من القلب و يحاذي به شطر الحقّ يتلألأ فيه حقائقه ، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بالرياضة الّتي يأتي تفصيلها في موضعه و بالعلم و التعلّم ، و هذه هي العلوم الّتي لاتسطر في الكتب ولا يتحدّث بها من أنعم الله سبحانه عليه منها بشيء إلّا مع أهله ، و هو المشارك فيه على سبيل المذاكرة ، وبطريق الأسرار وهذا العلم الخفي هو الّذي أراده النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله : « إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلّا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلّا أهل الاغترار بالله عزّ و جلّ ولم يتحمّله إلّا أهل الاعتراف بالله ، فلا تحقروا عالماً آتاه الله علماً فإنّ الله تعالى لم يحقره إذ آتاه إيّاه [1] » .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رويناه بإسنادنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

(١) شطره الاخر في البحار ج ٢ ص ٤٤ من كنز الفوائد للكراجكي .

«إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، و تجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه - إلى أن قال: - قد خلع سرابيل الشهوات، و تخلّى من الهموم إلّاهمّاً واحداً انفرد به فخرج من صفة العمى، و مشاركة أهل الهوى، و صار من مفاتيح أبواب الهدى، و مغاليق أبواب الردى، قدأبصر طريقه، وسلك سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسك من العرى بأوثقها، و من الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»(١).

وفي كلام آخر له عليه السلام: «قد أحيا قلبه، وأمات نفسه، حتّى دقّ جليله، ولطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به، السبيل و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة، و دار الإقامة، و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة، بما استعمل قلبه وأرضى ربّه»(٢).

• و قال عليه السلام: «اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة»(٣).

و قال عليه السلام: «تعلّمت من رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم ففتح لي بكلّ باب

(١) النهج البلاغة خطبة: ٨٤. و قوله: «و قطع غماره» بالكسر جمع غمر - بالفتح - و هو معظم الماء والبحر، ولعل المراد بقطع الغمار خروجه عن فتن الدنيا و مضلاتها بسفن النجاة والهدايات خاصة، ولعل المراد بأوثق العرى الايمان و بأمتن الحبال اتباع أوامر المولى سبحانه ومتابعة سبيل الهدى.

(٢) النهج خطبة: ٢١٨. و قوله: «تدافعته الابواب» يمكن أن يكون الابواب عبارة عن اسباب القرب من الطاعات و ترك اللذات فان كل واحد منها باب من أبواب الجنة فينتقل منها حتى ينتهى الى باب الجنة التى هى قرار الامن والراحة. و يمكن ان يكون الابواب عبارة عن اللذات والمطالب النفسانية التي يريد الانسان أن يدخلها بمقتضى طبعه فيكون تدافعها كناية عن منعها اياه للدخول اى منع التأييد الالهى اياه عن دخول كل ما تريده النفس من تلك الابواب حتى ينتهى الى باب السلامة فيدخله و هو الدخول فى دار الاقامة اى جنته الخلد.

(٣) النهج خطبة: ٥. واندمج الشيء اذا دخل فى شيء واستحكم فيه. وباح سراً أظهره. والرشاء - بالكسر والمد -: الحبل جمعه أرشية. والطوى: البئر المطوية.

ألف باب »(١).

و سأله كميل بن زياد النخعيّ عن الحقيقة فقال عليه السلام: « مالك و الحقيقة؟ قال: أو لست صاحب سرّك؟ قال: بلى و لكن يرشّح عليك مايطفح منّي، ثمّ أجابه عمّا سئل »(٢).

و روى كميل «أنّه عليه السلام أخذ بيدي و أخرجني إلى الجبّان فلمّا أصحر تنفّس الصعداء، ثمّ قال لي: يا كميل بن زياد إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عنّي ما أقول لك النّاس ثلاثة: فعالم ربّانيّ، و متعلّم على سبيل نجاة، و همج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق - إلى أن قال: - هاه إنّ ههنا لعلماً جمّاً، و أشار إلى صدره - لو أصبت له حملة؟ بلى أصبت لقناً (٣) غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا، و مستظهراً بنعم الله على عباده و بحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه(٤) ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة، ألا لاذا و لا ذاك(٥)، أو منهوماً باللّذّة، سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدّين في شيء، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً؛ لئلّا تبطل حجج الله و بيّناته و كم ذا؟ و أين أولئك؟ أولئك - و الله - الأقلّون عدداً والأعظمون قدراً، بهم يحفظ الله حججه و بيّناته حتّى يودعوها نظراءهم، و يزرعوها في قلوب أشباههم؛ و هجم بهم

(١) الحديث معروف راجع البحار ج٩ من الطبع الحجرى ص ٤٧٥ و ج٧ ص ٢٨٢ و ج ٦ باب وصايا النبى صلى الله عليه و آله.

(٢) رجال النيسابورى كما فى الروضات فى ترجمة كميل.

(٣) اى سريع الفهم.

(٤) الضمير راجع الى العلم والاحناء: الاطراف وذلك لعدم علمه بالبرهان والحجة.

(٥) «لاذا» اشارة الى المنقاد و «لاذاك» اشارة الى اللقن ويجوز أن يكون المعنى لا هذا المنقاد محمود عند الله ناج ولاذاك اللقن.

العلم على حقيقة البصيرة ، و باشروا روح اليقين ، و استلانوا ما استوعره المترفون[١] وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه ، و الدّعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رويتهم»[٢] .

و عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال : « والله لو علم أبوذرّ ما في قلب سلمان لقتله و لقد آخا رسول الله بينهما فما ظنّكم بسائر الخلق ، إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أوعبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ؛ قال : « و إنّما صار سلمان من العلماء لأنّه امرء منّا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء[٣] » .

أراد عليه السلام أهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا أهل بيت النسوان والصبيان والأهل والأولاد .

و في حديث النبويّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً «سلمان منّا أهل البيت[٤]» .

و فيه أيضاً « لو علم أبو ذرّ ما في بطن سلمان من الحكمة لكفّره » و في رواية لقتله[٥] .

و عن زين العابدين عليه السلام في أبيات منسوبة إليه .

إنّي لأكتم من علمي جواهره * كي لا يرى الحقّ ذوجهل فيفتتنا
و قد تقدّم في هذا أبو حسن * إلى الحسين و وصّي قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
و لا ستحلّ رجالٌ مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

و عن ابنه الباقر عليه السلام : « الناس كلّهم بهائم إلّا قليل من المؤمنين » .

---

(١) اى ما استصعبوه من خشونة المطعم و جشوبة المضجع والملبس و مصابرة الصيام والسهر ؛ و مااستوحش منه الجاهلون هوالامور المذكورة .

(٢) النهج ابواب الحكم رقم ١٤٧ .

(٣) رواه الصفار فى البصائر ص ٨ . والكلينى فى الكافى ج ١ ص٤٠١ .

(٤) الخبر معروف راجع سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٦ .

(٥) المجلد السادس من البحار ـ ط (الكمبانى) ـ ص ٧٥٤ .

أقول : و تصديق ذلك قول الله عزّ و جلّ : « أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً »(١) .

و عن ابنه الصادق عليه السلام : « إنّ أمرنا سرّ مستور في سرّ مقنّع بالميثاق من هتكه أذلّه الله »(٢) .

وقال عليه السلام : إنّ أمرنا سرّ مستور في سرّ وسرّ مستسرّ وسرّ لا يفيده إلّا سرّ وسرّ على سرّ وسرّ مقنّع بسرّ »(٣) .

و قال عليه السلام : « هو الحقّ وحقّ الحقّ و هو الظّاهر ، و باطن الظاهر ، و باطن الباطن ، و هو السرّ و سرّ السرّ وسرّ المستسرّ وسرّ مقنّع بالسرّ »(٤) .

وقال عليه السلام : مشيراً إلى كتمان هذا السرّ : « التقيّة ديني ودين آبائي ، فمن لا تقيّة له لا دين له »(٥) .

و قال عليه السلام : خالطوا الناس بما يعرفون و دعوهم ممّا ينكرون و لا تحمّلوا على أنفسكم و علينا إنّ أمرنا صعب مستعصب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان »(٦) .

﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « وأمّا القسم الثاني و هو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أمّا ما يحمد منها فكالصبر و الشكر و الخوف و الرجاء و الرضا و الزهد و التقوى و القناعة والسخاوة ، ومعرفة المنّة لله في جميع الأحوال و الإحسان و حسن الظنّ وحسن الخلق وحسن المعاشرة و الصدق و الإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال و حدودها و أسبابها الّتي بها تكتسب و ثمراتها وعلاماتها و معالجة ما ضعف منها حتّى

(١) الفرقان : ٤٤ .
(٢) و(٣) و(٤) رواه الصفار في بصائر الدرجات ص ٩ .
(٥) رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٢١٩ بادنى اختلاف .
(٦) رواه الصفار في البصائر ص ٩ .

يقوي و ما زال حتى يعود من علم الآخرة و أما ما يذم فخوف الفقر ، و سخط المقدور (١) و الغل و الحقد و الحسد و الغش و طلب العلو و حب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع (٢) و الكبر و الرياء و الغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع و البخل و الرغبة و البذخ (٣) و الأشر و البطر و تعظيم الأغنياء و الاستهانة بالفقراء و الفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق و الخوض فيما لا يعني و حب كثرة الكلام والصلف (٤) و التزين للخلق والمداهنة والعجب و الاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق و اتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر و الأمن من مكر الله ـ سبحانه ـ في سلب ما أعطى و الاتكال على الطاعة والمكر و الخيانة و المخادعة و طول الأمل والقسوة و الفظاظة و الفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والخفاء والطيش و العجلة وقلة الحياء و قلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش و منابت الأعمال المحظورة (٥) و أضدادها هي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الأمور و حقائقها وأسبابها و ثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة (٦) وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة ، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا ، فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى إصلاح الدنيا ، وهذا بالإضافة إلى

---

(١) كذا والظاهر « المقدر» بصيغة التفعيل .

(٢) قيده بالتمتع لان حب طول البقاء لارادة الطاعة ليس بمذموم .

(٣) البذخ ـ محركة ـ : الكبر ، بذخ ـ كفرح ـ وتبذخ : تكبر .

(٤) الصلف ـ بالتحريك ـ : التكلم بما يكرهه صاحبك و التمدح بما ليس عندك و مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً .

(٥) الاعمال المحظورة اى الممنوعة التى فى ارتكابها خطر .

(٦) الظاهر « من» بدل «هو» كما فى ماسبق .

إصلاح الآخرة، و لو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتّى عن الإخلاص مثلاً أو عن التوكّل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقّف فيه مع أنّه فرض عينه الّذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللّعان و الظهار والسبق والرمي يسرد[1] عليك مجلّدات من التعريفات الدقيقة الّتي ينقضي الدّهر و لا يحتاج إلى شيء منها وإن اُحتيج لم يخل البلد ممّن يقوم بها و يكفيه مؤونة التعب فيها فلا يزال يتعب في ذلك ليلاً و نهاراً وفي حفظه و درسه، و يغفل عمّا هو مهمّ نفسه في الدّين وإذا روجع فيه قال: اشتغلت به لأنّه علم الدّين و فرض الكفاية ويلبّس على نفسه و على غيره في تعلّمه، و الفطن يعلم أنّه لو كان غرضه أداء حقّ الأمر في فروض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدّم عليه كثيراً من فروض الكفايات. هيهات هيهات قد اندرس علم الدّين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان و إليه اللّياذ[2] في أن يعيذنا من هذا الغرور الّذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان، و قد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب. وقد قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السماء و الملكوت».

أقول: و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام[3] «قال: العلم أصل كلّ حال سنيّ و منتهى كلّ منزلة رفيعة، لذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «العلم فريضة على كلّ مسلم» أي علم التقوى و اليقين.

و قال عليّ عليه السلام: «اطلبوا العلم و لو بالصين» و هو علم معرفة النفس و فيه معرفة الربّ عزّ وجلّ».

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

ثمّ عليك من العلم بما لا يصحّ العمل إلّا به و هو الإخلاص.

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «نعوذ بالله من علم لا ينفع» و هو العلم الّذي يضادّ العمل بالإخلاص و اعلم أنّ قليل العلم يحتاج إلى كثير العمل لأنّ علم ساعة يلزم صاحبه

(١) السرد: جودة سياق الحديث.

(٢) اللياذ: الملجاء وفى الاحياء «الملاذ».

(٣) من هينا الى آخر الفصل فى المصباح باب ٦٥ ص ٤٣.

استعماله طول دهره .

قال عيسى عليه السلام : « رأيت حجراً عليه مكتوب اقلبني فقلبته فإذا على باطنه من لا يعمل بما علم فشؤمٌ عليه طلب ما لايعلم و مردودٌ عليه ماعلم » .

و عنه عليه السلام : « الخشية ميزان العلم ، و العلم شعاع المعرفة و قلب الإيمان ، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً و إن شقّ الشعر في متشابهات العلم قال الله تعالى : « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » و آفة العلماء ثمانية أشياء الطمع و البخل و الرياء و العصبيّة و حبّ المدح و الخوض فيما لم يصلوا إلى حقيقته و التكلّف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ ، و قلّة الحياء من الله ، و الافتخار و ترك العمل بما علموا » .

قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله » .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تجلسوا عند كلّ داع مدّع يدعوكم من اليقين إلى الشكّ ، و من الإخلاص إلى الرياء و من التواضع إلى الكبر ، و من النصيحة إلى العداوة ، و من الزهد إلى الرغبة ، و تقرّبوا إلى عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع ، و من الرياء إلى الإخلاص ، و من الشكّ إلى اليقين ، و من الرغبة إلى الزهد ، و من العداوة إلى النصيحة» ولا يصلح لموعظة الخلق إلّا من خاف هذه الآفات بصدقه و أشرف على عيوب الكلام و عرف الصحيح من السقيم و علل الخواطر وفتن النفس والهوى .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « كن كالطبيب الرفيق الشفيق الّذي يضع الدواء بحيث ينفع (١)» .

﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : لِمَ لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة ولم تبيّن أنّهما مذمومان أو محمودان ؟

فاعلم أنّ حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلّة الّتي ينتفع بها فالقرآن

---

(١) في بعض النسخ [يدع الداء] وهو تصحيف .

و الأخبار مشتملة عليه و ما خرج عنهما فهو إمّا مجادلة مذمومة و هي من البدع كما سيأتي بيانه و إمّا مشاغبة (١) بالتعلّق بمناقضات الفرق و تطويل بنقل المقالات الّتي أكثرها ترّهات و هذيانات تزدريها الطباع وتمجّها الأسماع (٢) و بعضها خوض فيما لا يتعلّق بالدّين و لم يكن شيء من ذلك مألوفاً في العصر الأوّل و كان الخوض فيه بالكلّيّة من البدع ولكن تغيّر الآن حكمه أذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى [حكم] القرآن و السنّة و انبعث جماعة لفقّوا لها شبهاً ، و رتّبوا فيها كلاماً مؤلّفاً فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفاية و هو القدر الّذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدّعوة إلى البدعة و ذلك إلى حدّ محدود معروف ، سنذكره في الباب الّذي يلي هذا .

و أمّا الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء الأوّل الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق و لا نمنع منهما إلّا من يخاف عليه أن يتجاوزهما إلى علوم مذمومة ، فإنّ أكثر الممارسين لها قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنها لا لعينه كما يصان الصبيّ عن شاطىء النهرخوفاً من الوقوع في النهر و كما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفّار خوفاً عليه مع أنّ القويّ يندب إلى مخالطتهم ، الثاني المنطق و هو بحث عن وجه الدّليل و شروطه و وجه الحدّ و شروطه و هما داخلان في علم الكلام ؛ الثالث الإلهيّات و هو بحث عن ذات الله سبحانه و صفاته و هو أيضاً داخل في الكلام ، و الفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر و بعضها بدعة ، و كما أنّ الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلّمين و أهل البحث و النظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة ، الرابع الطبيعيّات و بعضها مخالف للشرع و الدين الحقّ فهو جهل و ليس بعلم حتّى نورد في أقسام العلوم ،

(١) شاغبه : شاره و أكثر الشغب معه و الشغب : اللغط المؤدى الى الشر ، و تشاغب الرجل ، يعاصي يقال : طلبت منه كذا فتشاغب .

(٢) الازراء : التهاون بالشيء . و يقال في المثل : «هذا كلام تمجه الاسماع» اى تقذفه و تستكرهه .

و بعضها بحث عن صفات الأجسام و خواصّها و كيفيّة استحالتها و تغيّرها و هو شبيه بنظر الأطبّاء إلّا أنّ الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يعرض و يصحّ و هم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغيّر و تتحرّك ولكن للطبيب فضل عليه و هو أنّه محتاج إليه و أمّا علومهم في الطبيعيّات فلا حاجة إليها.

أقول: أجزاء علم الفلسفة غير منحصرة فيما ذكره أبو حامد ـ رحمه الله ـ ولا الأمر فيه كما قاله، بل هو علم شريف جامع لجميع العلوم العقليّة الحقيقيّة الّتي لاتتغيّر بتغيّر الأزمان ولا تتبدّل بتبدّل الأديان وتسمّى في عرفهم بالحكمة ويفسّر بأنّه العلم بحقائق الأشياء على ماهي عليه بقدر الطاقة البشريّة و هو شامل لكثير من المسائل الّتي عدّها أبو حامد من علم المكاشفة و لأكثر ما ذكره في علم المعاملة حتّى علم الشرائع على وجه كلّي و يندرج تحته أيضاً علما الهيئة والتشريح اللّذين قيل: من لم يعرفهما فهو عنين في معرفة الله عزّ وجلّ و علم الطبّ و النجوم و الخطابة و الشعر وغيرها من العلوم الدنيويّة و الاُخرويّة، وأكثره مأخوذ من الوحي النازل على الأنبياء عليهم السلام و بعضه مستفاد من الإلهامات الواردة على القلوب المنوّرة و النفوس المرتاضة لأولي الخلوات و المجاهدات إلّا أنّ الفلاسفة لم يبلغوا في شيء من علومهم مبلغ الأنبياء بل كانوا قاصرين في أكثرها خصوصاً فيما يتعلّق منها بالمكاشفة فإنّه بقي لهم من العلم بالله و اليوم الآخر اُمور كثيرة، أتمّها لهم الرّسل ـ صلوات الله عليهم ـ و ذلك لأنّ نظر الأنبياء عليهم السلام أوسع و أحدّ ومعرفتهم بالغة إلى جزئيّات الاُمور و تعيين الأعمال المقرّبة إلى الله تعالى كما هي بالغة إلى كلّيّاتها و لهم قدرة النزول في المعارف بالله إلى العامّي الضعيف الرأي بما يصلح بعقله (١) من ذلك و إلى الكبير العقل الصحيح النظر بما يصلح بعقله، وهم أعلم خلق الله فيما غاب عنهم و همّتهم في معرفة حقائق اُمور النشأة الآخرة أكثر منها في معرفة اُمور هذه النشأة بل لايخوضون من الفانية إلّا فيما هووسيلة إلى الباقية و لهذا لمّا سئل نبيّنا صلّى الله عليه وآله عن التشكّلات البدريّة و الهلاليّة للقمر أمر بالإعراض عن الجواب إلى أمر آخر تنبيهاً على أنّ هذا السؤال ليس بمهمّ

(١) في بعض النسخ [تعقله] وفي بعضها [لعقله] ههنا و ما يأتي.

و إنّما المهمّ من ذلك ما يقرّب إلى الله - سبحانه - و النشأة الآخرة و أمّا أُولوا العقول الصرفةفلم يؤتوامن العلم والقدرة والنظر ما أُوتي النبيّون ولم يصل أفكارهم إلى النشأة الآخرة كما ينبغي و مع ذلك فلا يجوز التقصير في حقّهم و التفريط في شأنهم على وجه يفضي إلى الازراء بهم و بإيمانهم حاشاهم عن ذلك لا سيّما و كلماتهم مرموزة و ما ورد عليهم و إن كان متوجّهاً على ظاهر أقاويلهم لم يتوجّه على مقاصدهم فلا ردّ على الرمز ، نعم لمّا كان ما ينفع في الآخرة من علومهم موجوداً في الشرائع خصوصاً في شريعتنا التامّة الكاملة البيضاء على وجه أتمّ وأكمل و طريقه أيسر و أسهل و ما لاينفع في الآخرة منها فلا حاجة إليه في سلوك سبيل الله عزّ و جلّ بل هو عائق عن السلوك في الأكثر و مبعّد عن الله للأكثر و كذلك مالم يفصّل منها في الشرع تفصيلاً و كان له مدخل في معرفة الله تعالى ككيفيّة صفات الله عزّ و جلّ و علم الهيئة و غير ذلك لا حاجة فيه إلى التفصيل في سلوك السبيل بل يكفي فيه المجملات و المرموزات الّتي وردت في الشرائع مع أنّ طريقة الفلاسفة كثيرة الخطر و المهالك و لهذا ضلّ فيها كثير من الأذكياء و تاهوا عن الحقّ و الهدى وقد تطرّق إلى علومهم تحريفات من المتأخرين بسبب سوء أفهامهم و الإخلال بشرائط تحصيلها ، فما هو الموجود منها بين الناس اليوم ليس بعينه ما كان بين القدماء بل اختلّ بعضها ، فالأولى الإعراض عن علومهم و عدم الخوض في طريقتهم إلّا لمن أحكم العلوم الدينيّة كلّها و فرغ منها جميعاً و أراد أن يستطلع على مقاصدهم و يطلب العثور على مطالبهم فلابأس له بذلك .

وبما ذكرناه ظهر وجه مدح الفلسفة وذمّها الواردين على لسان كثيرمن المترسّمين بالعلم ، و لعلّ أبا حامد رأى المصلحة في ذمّها صوناً للطالبين عن الخوض فيما لا يهمّهم وحثّاً لهم على ملازمة الشرائع و إشفاقاً عليهم من الضّلال في سبيل التحصيل و لهذاقال في شأن هذا العلم ما قال و الله يعلم .

قال أبو حامد : «فإذاً علم الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفايات حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة ، وإنّما حدث ذلك بحدوث البدع كماحدث حاجة الإنسان إلى استيجار البدرقة في طريق الحجّ لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق

و لو تركت العرب عداوتهم لم يكن استيجار الحرّاس من شروط طريق الحجّ فكذلك لو ترك . المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة فليعلم المتكلّم حدّه من الدّين و أنّ موقعه منه موقع الحارس في طريق الحجّ ، فإذا تجرّد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاجّ و المتكلّم إن تجرّد للمناظرة و المدافعة و لم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهّد القلب و إصلاحه لم يكن من جملة علماء الدّين أصلاً إذ ليس عند المتكلّم من الدّين إلّا العقيدة الّتي يشاركه سائر العوام فيها و هي من جملة أعمال ظاهر القلب و اللّسان و إنّما يتميّز عن العاميّ بصنعة المجادلة و الحراسة ، فأمّا معنى معرفة الله سبحانه و صفاته و أفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجاباً و مانعاً منه و إنّما الوصول إليه بالمجاهدة الّتي جعلها الله تعالى مقدّمة للهداية حيث قال تعالى : « و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا (١) » ثمّ أورد أبو حامد سؤالاً حاصله انّك رددت حدّ المتكلّم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعين كما أنّ حدّ البدرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حدّ الفقه إلى حفظ القانون الّذي به يكفّ السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض و هاتان مرتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمّة المشهورون بالفضل هم الفقهاء و المتكلّمون و هم أفضل الخلق عند الله عزّ وجلّ ؟ وأجاب بما حاصله أنّ علماء الدّين ماكانوا متجرّدين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب مراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف و التدريس فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف و التدريس في الفقه مع أنّهم كانوا فقهاء مشتغلين بعلم الفتاوي و الصوارف والدواعي متفنّنة ولاحاجة إلى ذكرها ففضيلة علماء الدين ليست باعتبار فقههم و معرفتهم بالكلام بل باعتبار معرفتهم بدقائق علوم الباطن و عملهم بمقتضى علمهم و إرادتهم بالفقه وجه الله و زهدهم في الدنيا و نحو ذلك و إن كانت شهرتهم باعتبار الفقه و الكلام فإنّ ما ينال به الفضل عند الله شيء و ما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر وسننقل من سيرة علماء السلف مايعلم به أنّ الّذين ينتحلون مذاهبهم ظلموهم و أنّهم من أشدّ خصمائهم يوم القيامة» أقول : و أنا أطوي ما نقله

(١) العنكبوت : ٦٩ .

في شأن علماء العامّة من ذلك لعدم ثبوته ولا دلالة لأكثره على فضيلة و أذكر بدله في موضع آخر ممّا اتّفق عليه أهل الاسلام من فضائل أهل البيت عليهم السلام ما يعلم أنّ الّذين ينتحلون التشيّع و يدّعون محبّتهم عليهم السلام لكاذبون وقد روى في الكافي(١) عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال لي : ياجابر أيكفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت فوالله ماشيعتنا إلّا من اتّقى الله و أطاعه و ما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع و التخشّع و الأمانة و كثرة ذكر الله و الصوم و الصلاة و البرّ بالوالدين والتعهّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة و الغارمين و الأيتام و صدق الحديث و تلاوة القرآن و كفّ الألسن عن الناس إلّا من خير و كانوا اُمناء عشائرهم في الأشياء قال جابر: فقلت : يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة فقال : يا جابر لاتذهبنّ بك المذاهب حسب الرجل أن يقول اُحبّ عليّاً و أتولّاه ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً فلو قال : إنّي اُحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خير من عليّ ثمّ لايتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً فاتقوا الله و اعملوا لما عند الله ليس بين الله و بين أحد قرابة أحبّ العباد إلى الله و أكرمهم عليه تعالى أتقاهم و أعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تعالى إلّا بالطاعة ، ما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجّة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ و من كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع».

و في حديث آخر إنّ شيعة عليّ الحلماء العلماء ، الذبل الشفاه ، تعرف الرهبانيّة في وجوههم - إلى غير ذلك - وسيأتي تمام الكلام في هذا الباب في كتاب آداب الشيعة وأخلاق الإمامة من ربع العادات إن شاء الله تعالى .

﴿ الباب الثالث ﴾

«فيما يعدّه العامّة من العلوم المحمودة وليس منها و فيه بيان الوجه الّذي يكون به بعض العلوم مذموماً وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة و بيان القدر المحمود من العلوم الشرعيّة والقدر المذموم منها .

---

(١) المجلد الثاني منه ص ٧٤ .

✡ (بيان علة ذم العلم المذموم) ✡

و لعلّك تقول : العلم هو معرفة المعلوم على ما هو به و هو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علماً و يكون مع كونه علماً مذموماً ؟

فاعلم أنّ العلم لايذمّ لعينه و إنّما يذمّ في حقّ العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأوّل أن يكون مؤدّياً إلى ضرر إمّا بصاحبه و إمّا بغيره كما يذمّ علم السحر والطلسمات و هو حقّ إذ شهد القرآن له و أنّه سبب يتوصّل به إلى التفريق بين الزوجين و قدسحر رسول الله صلى الله عليه وآله و مرض بسببه حتّى أخبره جبرئيل عليه السلام بذلك[1] و أخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر و هو نوع علم يستفاد من العلم بخواصّ الجواهر و بأُمور حسابيّة في مطالع النجوم ، فيتّخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصّد له وقت مخصوص في المطالع و يقترن به كلمات يتلفّظ بها من الكفر و الفحش المخالف للشرع و يتوصّل بها إلى الإستعانة بالشياطين و يحصل من مجموع ذلك أحوال غريبة في الشخص المسحور و معرفة هذه الأسباب من حيث أنّها معرفة ليست مذمومة و لكنّها لا تصلح إلّا للإضرار بالخلق و الوسيلة إلى الشرّ شرّ ، فكان ذلك هو السبب في كونه مذموماً بل من أتبع وليّاً من أولياء الله ليقتله و قد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محلّه لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه و ذكر موضعه له إرشاد و إفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنّه مذموم لأدائه إلى الضرر .

الثاني أن يكون مضرّاً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنّه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان قسم حسابي و قد نطق القرآن بأنّ مسير الكواكب محسوب إذ قال عزّ وجلّ : « الشمس و القمر بحسبان[2] » و قال عزّ وجلّ : « و القمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم[3] » و قسم الأحكام و حاصله يرجع إلى الاستدلال

(۱) عدم تأثير السحر فى الانبياء عليهم السلام مشهور عند الشيعة الامامية وذلك لانه شيطانى ولاسبيل له على الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » . (۲) الرحمن : ٥.

(۳) يس : ۳۹.

على الحوادث بالأسباب و هو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض و هو معرفة بمجاري سنّة الله تعالى و عادته في خلقه ولكنّه مذموم في الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا ذكر القدر فأمسكوا و إذا ذكر النجوم فأمسكوا [1] » و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أخاف على اُمّتي بعدي ثلاثاً: حيف الأئمّة وإيمان بالنجوم و تكذيب بالقدر [2]» .

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رويناه عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنّه قال لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج «فقال له يا أمير المؤمنين : إن سرت في هذا الوقت خشيت عليك أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال له : أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوّف من الساعة الّتي من سار فيها حاق به الضرّ ، فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب و دفع المكروه ، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون الله لأنّك بزعمك أنت هديته إلى الساعة الّتي نال فيها النفع وأمن فيها الضرّ ثمّ أقبل عليه السلام على الناس فقال : أيّها الناس إيّاكم و تعلّم النجوم إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر فإنّها تدعو إلى الكهانة ،والمنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النّار [3]» .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه [4] « عن عبد الملك بن أعين قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي قد ابتليت بهذا العلم فاُريد الحاجة فإذا نظرت إلى الطالع و رأيت الطالع الشرّ جلست و لم أذهب فيها وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة ؟ فقال لي : تقضي ؟ قلت : نعم ، قال : أحرق كتبك » .

قال أبو حامد : « و إنّما زجر عنه من ثلاثة أوجه : الأوّل أنّه مضرّ بأكثر الخلق فإنّه إذا ألقى إليهم أنّ هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أنّ الكواكب هي المؤثّرة و أنّها الآلهة المدبّرة لأنّها جواهر شريفة سماويّة يعظم

(١) أخرجه الطبراني في مسنده الكبير من حديث ابن مسعود ، و ابن عدى في الكامل عنه و عن ثوبان كما في الجامع الصغير باب الالف ، و أخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ١١٧ . (٢) أخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ١١٧ .

(٣) النهج خطبة : ٧٧ .

(٤) باب الايام والاوقات التى يستحب فيها السفر من كتاب الحج تحت رقم ١٤ .

وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتاً إليها ويرى الخير والشرّ محذوراً من جهتها ومرجوّاً منها و ينمحي ذكر الله عزّوجلّ عن القلب ، فإنّ الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الّذي يطّلع على أنّ الشمس والقمر و النجوم مسخّرات بأمره - سبحانه و تعالى - و مثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل و كانت على سطح قرطاس و هي تنظر إلى سواد الخطّ يتجدّد فتعتقد أنّه فعل القلم و لايترقّى نظرها إلى مشاهدة الأصبع ، ثمّ منه إلى اليد ، ثمّ منه إلى الإرادة المحرّكة لليد ، ثمّ منها إلى الكاتب القادر المريد ، ثمّ منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة ، فأكثر نظر الخلق مقصورة على الأسباب القريبة السافلة ، مقطوع عن الترقّي إلى مسبّب الأسباب ، هذا أحد أسباب النهي عن النجوم .

و الثاني أنّ أحكام النجوم تخمين محض ، ليس يدرك في حقّ آحاد الأشخاص لايقيناً و لا ظنّاً ، فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمّه على هذا من حيث إنّه جهل لامن حيث إنّه علم ولقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى و قد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق » .

أقول : و عن الصادق عليه السلام « أنّه علم الأنبياء ، و أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أعلم الناس به [1] » و هذا يدلّ على أنّه لم ينمحق بل هو موجود عند أهله .

قال أبو حامد : « و ما يتّفق من إصابة المنجّم على ندور فهو إتّفاق لأنّه قد يطّلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبّب عقيبها إلّا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطّلاع عليها فان اتّفق أن قدّر الله تعالى بقيّة الأسباب وقعت الاصابة و إن لم يقدّر اخطأ و يكون ذلك كتخمين الإنسان في أنّ السّماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع و ينبعث من الجبال ، فيتحرّك ظنّه بذلك و ربّما يحمى النهار بالشمس و يتبدّد الغيم [2] و يكون بخلافه و مجرّد الغيم ليس كافياً في مجيىء المطر وبقيّة الأسباب لا تدرى و كذلك تخمين الملّاح أنّ السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة في الرّياح

(١) البحار المجلد الرابع عشر ص ١٤٧ من طبع الكمباني نقله من كتاب النجوم .
(٢) فى الاحياء « يذهب الغيم » .

و لتلك الرّياح أسباب خفيّة هو لا يطّلع عليها ، فتارة يصيب في تخمينه و تارة يخطىء و لهذه العلّة يمنع القويّ عن النجوم أيضاً » .

أقول : و ممّا يؤيّد ما ذكره ما روّيناه عن الصادق عليه السلام أنّه قال في هذا العلم : « إنّ كثيره لا يدرك و قليله لا ينتفع به [١] » .

و قال أيضاً : « لا يعلمه إلّا أهل بيت من العرب و أهل بيت بالهند [٢] » .

قال أبو حامد : « و الثالث أنّه لا فائدة فيه فأقلّ أحواله أنّه خوض في فضول لا يعني و تضييع العمر الّذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة و ذلك غاية الخسران ، فقد مرّ رسول الله صلّى الله عليه و آله برجل و الناس مجتمعون عليه فقال : « ما هذا ؟ فقالوا : رجل علاّمة فقال : بما ذا ؟ قالوا : بالشعر وأنساب العرب ، فقال : علم لا ينفع وجهل لا يضرّ ، و قال صلّى الله عليه و آله . إنّما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة » [٣] .

فالخوض [٤] إذاً في النجوم و ما يشبهها اقتحام خطر و خوض في جهالة من غير فائدة فإنّ ما قدّر كائن و الإحتراز غير ممكن بخلاف الطبّ فإنّ الحاجة إليه ماسّة و أكثر أدلّته ممّا يطّلع عليها ، و بخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنّه جزء من ستّة و أربعين جزء من النبوّة ولا خطر فيه » .

أقول : و قد ذكر بعض علمائنا [٥] وجهاً آخر للزجر عنه و هو أنّ الأحكام النجوميّة إخبارات عن اُمور ستكون و هي تشبه الإطّلاع على الاُمور الغيبيّة و أكثر الخلق من العوام و النساء و الصبيان لا يميّزون بينها و بين علم الغيب و الإخبار به

---

(١) الكافي ج ٨ ص١٩٥ في حديث طويل عن عبدالرحمن بن سيابة .

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٣١ .

(٣) الكافي ج١ ص ٣٢ . بزيادة و رواه الصدوق في الامالي كما في البحار ج ١ ص ٢١١ منه و من السرائر ، وأخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ١٠٧.

(٤) من كلام أبي حامد .

(٥) اراد به كمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم البحراني ذكره في شرح خطبة ٧٧ من كتاب نهج البلاغة .

فكان تعلّم تلك الأحكام و الحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق و موهناً لاعتقاداتهم في المعجزات إذ الإخبار عن الكائنات منها و كذلك في عظمة بارئهم و يسلكهم في عموم صدق قوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات و الأرض الغيب إلّا الله » (١)، « و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو (٢) » و قوله تعالى : « إنّ الله عنده علم الساعة و ينزّل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدري نفس ما ذا تكسب غداً و ما تدري نفس بأيّ أرض تموت (٣) » فالمنجم إذاً حكم لنفسه بأنّه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غداً و بأي أرض تموت و ذلك عين التكذيب للقرآن ».

و هذا هو الوجه أيضاً لتحريم الكهانة و السحر و العزائم و نحوها و إليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه السابق .

قال أبو حامد : « السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه به فإنّه مذموم في حقّه كتعلّم دقيق العلوم قبل جليلها ، و خفيّها قبل جليّها ، و كالبحث عن الأسرار الإلهيّة إذ لا يطّلع الفلاسفة و المتكلّمون عليها ولم يستقلّوا بها ، و لا يستقلّ بها و بالوقوف على طرق بعضها إلّا الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ و الأولياء فيجب كفّ النّاس عن البحث عنها و ردّهم إلى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفّق و كم من شخص خاض في العلوم و استضرّ بها و لو لم يخض في ذلك لكان حاله أحسن في الدّين ممّا صار إليه ، و لا ينكر كون بعض العلم ضارّاً لبعض الناس كما يضرّ لحم الطير و أنواع الحلاوات اللّطيفة بالطفل الرضيع ، بل ربّ شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكي أنّ بعض الناس شكا إلى طبيب عقم زوجته و أنّها لا تلد فجسّ الطبيب بنبضها و قال : لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنّك ستموتين إلى أربعين يوماً و قد دلّ النبض عليه فاستشعرت المرأة خوفاً عظيماً و تنغّص عليها عيشها و أخرجت أموالها و فرّقتها و أوصت و بقيت لا تأكل ولا تشرب حتّى انقضت المدّة فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب فقال

(١) النمل : ٦٥ .

(٢) الانعام : ٥٩ .

(٣) لقمان : ٣٤ .

له : لم تمت ، فقال الطبيب : علمت ذلك فجامعها الآن فإنّها تلد ، فقال : كيف ذلك ؟ قال : رأيتها سمينة و قد انعقد الشحم على فم رحمها و علمت أنّها لا تهزل إلّا بخوف الموت فخوّفتها بذلك حتّى هزلت و زال المانع من الولادة فهذا ينبّهك على استشعار خطر بعض العلوم و يفهمك معنى قول النبي ﷺ : « نعوذ بالله من علم لا ينفع [١] » فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحّاثاً عن علوم ذمّها الشرع و زجر عنها و اقتصر على اتّباع السنّة فالسلامة في الاتّباع و الخطر في البحث و الإستقلال ولا تكثر التبجّح [٢] برأيك و معقولك و دليلك و برهانك و زعمك أنّي أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأيّ ضرر في التفكّر في العلم فإنّ ما يعود عليك من ضرره أكثر و كم من شيء تطّلع عليه فيضرّك اطّلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله سبحانه برحمته ، واعلم أنّه كما يطّلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فهكذا الأنبياء ﷺ أطبّاء القلوب و العلماء بأسباب الحياة الأُخرويّة ، فلا تتحكّم على سنّتهم بمعقولك فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض في إصبعه فيقتضي عقله أن يطليها حتّى ينبّهه الطبيب الحاذق أنّ علاجه أن يطلي الكتف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفيّة انشعاب الأعصاب ومنابتها و وجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طرق الآخرة ، و في دقائق سنن الشرع و آدابه ، و في عقائده الّتي تعبّد الناس بها أسرار و لطائف ليس في سعة العقل و قوّته الإحاطة بها كما أنّ في خواصّ الأحجار أُموراً غاب عن أهل الصنعة علمها حتّى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الّذي به يجذب المغناطيس الحديد و العجائب و الغرائب في العقائد و الأعمال و إفادتها لصفاء القلوب و نقائها و طهارتها و تزكيتها و إصلاحها للترقّي إلى جوار الله سبحانه و تعريضها لنفحات فضله أكثر و أعظم ممّا في الأدوية و العقاقير ، و كما أنّ العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أنّ للتجربة سبيلاً إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أنّ التجربة غير متطرّقة

(١) مر عدة مصادر له ص ٤ .

(٢) تبجح : افتخر و تعظم و باهى .

إليها و إنّما كانت التجربة تتطرّق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقرّبة إلى الله تعالى زلفى و عن الأعمال المبعّدة عنه و كذا في العقائد وذلك لا مطمع فيه ، فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبيّ ﷺ و يفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرّف ولازم الاتّباع فإنّك لا تسلم إلّا به ، ولذلك قال ﷺ : «إنّ من العلم جهلاً و إنّ من القول عيّاً»[1] و معلوم أنّ العلم لا يكون جهلاً و لكنّه يؤثّر تأثير الجهل في الإضرار.

و قال ﷺ أيضاً : «قليل من التوفيق خيرٌ من كثير من العلم[2]».

و قال عيسى عليه السلام : «ما أكثر الشجر و ليس كلّها بمثمر ، و ما أكثر الثمر و ليس كلّها بطيّب ، و ما أكثر العلوم و ليس كلّها بنافع»[3].

☼(بيان ما بدل من ألفاظ العلوم)☼

«اعلم أنّ منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعيّة تحريف الأسامي المحمودة و تبديلها و نقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأوّل و هي خمسة ألفاظ : الفقه ، و العلم ، و التوحيد ، و التذكير ، و الحكمة ؛ فهذه أسامي محمودة ، والمتّصفون بها أرباب المناصب في الدّين و لكنّها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمّة من يتّصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم .

اللفظ الأوّل الفقه فقد تصرّفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل و التحويل إذ خصّصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوي ، و الوقوف على دقائق عللها ، و استكثار الكلام فيها ،

(١) قال العراقي : حديث « ان من العلم جهلا » أخرجه ابو داود من حديث بريدة و في اسناده من يجهل .

(٢) قال المولى علي بن سلطان محمد القاري في الموضوعات ص٥٢ قال العراقي : لم أجد لهذا الخبر أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث ابي الدرداء و قال : « العقل » بدل «العلم» و لم يخرجه ولده في مسنده و تعقبه بعض المتأخرين بان ما ذكره في الفردوس رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء ورواه الطبراني عن ابن عمر بلفظ «قليل الفقه خير من كثير من العبادة» . أقول : وفي الجامع الصغير باب القاف أيضاً «قليل التوفيق خير من كثير العقل » عن ابن عساكر عن ابي الدرداء .

(٣) أخرجه ابن شعبة في تحف العقول مرسلا ص ٥٠٣ .

و حفظ المقالات المتعلّقة بها ، فمن كان أشدّ تعمقاً فيها و أكثر اشتغالاً بها يقال : هو الأفقه ، و لقد كان اسم الفقه في العصر الأوّل مطلقاً على علم طريق الآخرة ، و معرفة دقائق آفات النفوس ، و مفسدات الأعمال ، و قوّة الاحاطة بحقارة الدّنيا ، و شدّة التطلّع إلى نعيم الآخرة ، و استيلاء الخوف على القلب ، و يدلّك على ذلك قول الله تبارك و تعالى : « ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم »[١] وما به الإنذار و التخويف هوهذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق و اللّعان و السّلم والإجارة فذلك لا يحصل به إنذار و لا تخويف بل التجرّد له على الدوام يقسي القلب و ينزع الخشية منه كما يشاهد من المتجرّدين له قال الله تعالى : « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها »[٢] و أراد به معاني الإيمان دون الفتاوي ، و لعمري الفقه و الفهم في اللّغة إسمان لمعنى واحد و إنّما يتكلّم في عادة الاستعمال قديماً و حديثاً ، وقال تعالى : « لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنّهم قومٌ لا يفقهون »[٣] فأحال قلّة خوفهم من الله عزّ و جلّ و استعظامهم سطوة الخلق على قلّة الفقه فانظر أكان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوي و الأقضية أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم ؟ .

و قد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « علماءُ حكماءُ فقهاء »[٤] للّذين وفدوا عليه و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « ألا اُنبّئكم بالفقيه كلّ الفقيه ؟ قالوا : بلى ، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من لم يقنّط الناس من رحمة الله - سبحانه - و لم يؤمنهم من مكر الله عزّ و جلّ - و لم يؤيسهم من روح الله - عزّ وجلّ - و لم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه »[٥] .

---

(١) التوبة : ١٢٢.

(٢) الاعراف : ١٧٩ .

(٣) الحشر : ١٣ .

(٤) الكافى ج٢ص٤٨ وقال العراقى : هذاالخبر أخرجه ابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف .

(٥) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص١٢٠ عن علي بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه و آله ، وفى سنن الدارمى ج ١ ص ٨٩ باسناده عن يحيى بن عباد عن على عليه السلام أيضاً وفى تيسير الوصول ج٤ ص١٦٢ عن على عليه السلام وقال اخرجه رزين .

وقال ﷺ : « لا يفقه العبد كلّ الفقه حتّى يمقت النّاس في ذات الله عزّ وجلّ ، و حتّى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة »(١)

و روي أيضا موقوفاً على أبي الدرداء مع قوله ﷺ ثمّ يقبل على نفسه فيكون لها أشدّ مقتاً»(٢) .

و قال بعض السلف : إنّما الفقيه الزاهد في الدّنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربّه(٣) الورع الكافّ نفسه عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم . و لم يقل في جميع ذلك : الحافظ لفروع الفتاوي . ولست أقول : إنّ اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوي في الأحكام الظاهرة و لكن كان بطريق العموم و الشمول أو بطريق الاستتباع ، و كان إطلاقهم له على علم الآخرة و أحكام القلب أكثر فثار من هذا التخصيص تلبيس بعض الناس على التجرّد له و الإعراض عن علم الآخرة و أحكام القلب و وجدوا على ذلك معيناً من الطبع ، فانّ علم الباطن غامضٌ و العمل به عسير و التوصّل به إلى طلب الولاية و القضاء و الجاه و المال متعذّر فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الّذي هو اسم محمود في الشرع .

﴿ فصل ﴾

اللّفظ الثاني العلم و قد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى و بآياته و أفعاله في عباده و خلقه و قد تصرّفوا فيه بالتخصيص حتّى شهروه في الأكثر بمن يشتغل

(١) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم من حديث شداد بن أوس كما فى المختصر ص ١٢١ و منتخب كنز العمال بهامش المسند ج٤ ص ٣٦ عن الخطيب فى المتفق و المفترق عن شداد بن أوس . و قال العراقى : فى سند الحديث صدقة بن عبدالله و هو ضعيف عندهم مجمع على ضعفه وهذا حديث لا يصح مرفوعاً و انما الصحيح فيه انه من قول ابى الدرداء ، فعن ابى قلابة عنه قال : « لن تفقه كل الفقه ـ الخبر ـ » .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ١٢١ .

(٣) الى هنا أخرجه الدارمى فى سننه ج١ ص٨٩ باسناده عن الحسن البصرى .

بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهيّة و غيرها فيقال: هو العالم على الحقيقة، وهو الفحل في العلم و من لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعدّ من جملة الضعفة و لا يعدّونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضاً تصرّف بالتخصيص و لكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلم بالله عزّ وجلّ و بأحكامه و أفعاله و صفاته و قد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدليّة في مسائل خلافيّة فيعدّ بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير و الأخبار و علم المذهب و غيره و صار ذلك سبباً مهلكاً لخلق كثير من طلبة العلم.

فصل

اللّفظ الثالث التوحيد و قد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام و معرفة طريق المجادلة و الإحاطة بمناقضات الخصوم و القدرة على التشدّق فيها بتكثير الأسولة و أثارة الشبهات و تأليف الإلزامات حتّى لقّب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل و التوحيد و سمّي المتكلّمون العلماء بالتوحيد مع أنّ جميع ما هو خاصّة هذه الصناعة لم يكن يعرف شيء منها في العصر الأوّل بل كان يشتدّ النكير منهم على من كان يفتح باباً من الجدل و المارات، فأمّا ما يشتمل عليه القرآن من الأدلّة الظاهرة الّتي تسبق الأذهان إلى قبولها في أوّل السماع فلقد كان ذلك معلوماً للكلّ و كان العلم بالقرآن هو العلم كلّه، و كان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلّمين و إن فهموه لم يتّصفوا به و هو أن يرى الأمور كلّها من الله عزّ وجلّ رؤية تقطع التفاته عن الأسباب و الوسائط، و هذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكّل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكّل، و من ثمراته ترك شكاية الخلق و ترك الغضب عليهم و الرضا والتسليم بحكم الله، وكان إحدى ثمراته قول بعض الصحابة لمّا قيل له في مرضه: أنطلب لك طبيباً فقال: الطبيب أمرضني[1]، وقول آخر لمّا مرض وقيل له: ماذا قال لك الطبيب في مرضك؟ فقال: قال: إنّي فعّال لما أريد، و سيأتي شواهده في كتاب التوكّل إن شاء الله، وكان التوحيد جوهر نفيس و له قشران أحدهما أبعد عن اللّبّ من الآخر، فخصّص الناس

(١) لوصح هذا لما بقي للاستشفاء والتداوي محل لانه مخالف للتوحيد ومقام الرضا.

الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة القشر، و أهملوا اللبّ بالكليّة، فالقشر الأوّل هو أن تقول بلسانك لا إله إلّا الله و هذا يسمّى توحيداً مناقضاً للتثليث الّذي صرّح به النصارى و لكنّه قد يصدر عن المنافق الّذي يخالف سرّه جهره، القشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة و إنكار لمفهوم هذاالقول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به و هو توحيد عوام الخلق، و المتكلّمون كما سبق حرّاس هذا القشر عن تشويش المبتدعة؛ الثالث و هو اللّباب أن يرى الأمور كلّها من الله عزّ وجلّ رؤية تقطع التفاته عن الوسائط و أن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره و يخرج عن هذا التوحيد اتّباع الهوى و كلّ متّبع هواه فقد اتّخذ هواه معبوده، قال الله تعالى: «أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه»(١). و قال صلّى الله عليه وآله: «أبغض إله عُبد في الأرض عندالله هو الهوى»(٢) و على التحقيق من تأمّل عرف أنّ عابد الصنم ليس يعبد الصنم و إنّما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتّبع ذلك الميل و ميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني الّتي يعبّر عنها بالهوى و يخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق و الالتفات إليهم فإنّ من يرى الكلّ من الله عزّ وجلّ كيف يتسخّط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام و هو من مقامات الصدّيقين، فانظر إلى ماذا حوّل و بأيّ فشرقنع و كيف اتّخذ هذا معتصماً في التمدّح و التفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الّذي يستحقّ الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة و يتوجّه إلى القبلة و يقول: «وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات و الأرض»، و هو أوّل كذب يفاتح الله سبحانه به كلّ يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجّهاً إلى الله تعالى على الخصوص فإنّه إن أرادبالوجه وجه الظاهر فما وجّهه إلّا إلى الكعبة و ما صرفه إلّا عن سائر الجهات و الكعبة ليست جهة للّذي فطر السماوات و الأرض حتّى يكون المتوجّه إليها متوجّهاً إليه تعالى عن أن تحدّه الجهات و الأقطار، و إن أراد به وجه القلب و هو المطلوب المتعبّد به فكيف يصدق في قوله و قلبه متردّد في أوطاره و حاجاته الدّنيويّة و متصرّف في طلب الحيل

(١) الجاثية: ٢٣.

(٢) أخرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة كما فى المغنى.

في جمع المال و الجاه و استكثار الأسباب و متوجّه بالكلّيّة إليها ، فمتى وجّه وجهه للّذي فطر السماوات والأرض ؟ وهذه الكلمة خبرعن حقيقة التوحد ، فالموحّد هوالّذي لايرى إلّا الواحد و لا يتوجّه وجهه إلّا إليه و هو امتثال قوله عزّ وجلّ : « قل الله ثمّ ذرهم » (١) و ليس المراد به القول باللّسان إنّما اللّسان ترجمان يصدق مرّة و يكذب اُخرى و إنّما موقع نظر الله عزّ وجلّ [هو] المترجم عنه [و] هو القلب فهو معدن التوحيد و منبعه .

فصل

اللّفظ الرابع الذكر و التذكير وقد قال الله تعالى : « فذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين »(٢) وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر والتذكير أخبار كثيرة كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا فيها قيل : ومارياض الجنّة ؟ قال : مجالس الذكر »(٣).

و في الحديث : « إنّ لله عزّ و جلّ ملائكة سيّاحين في الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلمّوا إلى بغيتكم ، فيأتونهم و يحفّون بهم و يستمعون ألا فاذكروا الله و ذكّروا أنفسكم » (٤) فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعّاظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص و الأشعار و الشطح و الطّامات ، أمّا القصص فهي بدعة و قد ورد نهي السلف عن الجلوس إلى القصّاص و قالوا : لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و لا في زمان الخلفاء حتّى ظهرت الفتنة فظهرت القصّاص و أخرج عليّ عليه السلام القصّاص من مسجد البصرة و لما سمع كلام حسن البصريّ لم يخرجه إذ كان يتكلّم في علم الآخرة و التذكير بالموت و التنبيه على عيوب

---

(١) الانعام : ٩١ .

(٢) الذاريات :٥٥ .

(٣) مرعن معاني الاخبار و أخرجه الترمذي ايضاً كما قاله العراقي وأخرجه أيضاً البغوي في المصابيح كتاب الدعوات باب ذكرالله عز و جل ج ١ص١٤٩ .

(٤) قال العراقي : الحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة دون قوله : « في الهواء » و للترمذي « سياحين في الارض و قال مسلم سيارة » .

النفس و آفات الأعمال و خواطر الشيطان و وجه الحذر منها و يذكّر بآلاء الله سبحانه و نعمائه و تقصير العبد في شكره و يعرّف حقارة الدّنيا و عيوبها و تصرّمها و قلّة عهدها و خطر الآخرة و أهوالها».

أقول: إن صحّ ما ذكره أبو حامد من عدم إخراجه عليه السلام الحسن من المسجد فلعلّ الوجه فيه اتّقاء شرّه و ذلك لأنّه كان منافقاً مبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام كان يمنع النّاس في مواعظه من امتثال أمر أمير المؤمنين عليه السلام و القتال معه على أنّ أكثر ما يتكلّم به الحسن ممّا يعظ به في مواعظه و يأتي به في مجالسه في معرض الإفادة كان من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه كان يجلس في مجالس خطبه و مواعظه و كان يكتبها ويحفظها ثمّ يسردها على النّاس و يريها أنّه من كلام نفسه حتّى قال علماء العامّة: إنّ كلام الحسن يشبه كلام الأنبياء و إنّما كان من كلام من كان يفتخر به الأنبياء فقد روّينا عن أبي يحيى الواسطي أنّه قال: لمّا افتتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة اجتمع النّاس عليه و فيهم الحسن البصريّ و معه الألواح فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع؟ قال: نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنّ لكلّ قوم سامريّاً و هذا سامريّ هذه الأمّة إلّا أنّه لا يقول: لا مساس ولكنّه يقول: لاقتال. رواه الشيخ الطبرسيّ في كتاب احتجاجه (١).

قال أبو حامد: «فهذا هو التذكير المحمود شرعاً الّذي ورد الحثّ عليه في حديث أبي ذرّ حيث قال: حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة و حضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، و حضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة و قيل: يارسول الله و من قراءة القرآن؟ فقال صلّى الله عليه وآله: و هل ينفع قراءة القرآن إلّا بالعلم» (٢).

«فقد اتّخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجّة على تزكية أنفسهم و نقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود و اشتغلوا بالقصص الّتي

(١) ص ٩٢ من طبع النجف.

(٢) جامع الاخبار الفصل العشرون.

يتطرّق إليها الاختلاف و الزيادة و النقصان و تخرج عن القصص الواردة في القرآن و تزيد عليه فإنّ من القصص ما ينفع سماعه و منها ما يضرّ سماعه و إن كان صدقاً ، ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب و النافع بالضارّ فلهذا نهي عنه ، و لذلك قيل : ما أحوج الناس إلى قاصّ صادق فإن كانت القصّة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلّق بأُمور دينهم و كان [القاصّ صادقاً] صحيح الرواية فلا بأس به و ليحذر الكذب و حكاية أحوال تؤمي إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات و متداركة بحسنات تغطّي عليها فإنّ العامي يعتصم بذلك في مساهلاته و هفواته و يمهّد لنفسه عذراً فيه و يحتجّ بأنّه حكى كيت و كيت عن بعض المشايخ و بعض الأكابر و كلّنا بصدد المعاصي فلا غَرْوَ إن عصيت الله فقد عصى من هو أكبر منّي و يفيده ذلك جرأة على الله عزّ و جلّ من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلابأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة [و] إلى ما يشتمل عليه القرآن و صحّ في الكتب الصحيحة من الأخبار ».

أقول : و أمّا على أُصولنا الأُصيلة فيمتنع صدور الهفوة و المساهلة عن الأنبياء صلوات الله عليهم و كذا الأئمّة عليهم السلام و لو على سبيل الندرة و أمّا ما يستفاد من القرآن من ذلك فمؤوّل كما يأتي بيانه في محلّه فنسبة الهفوة إليهم عليهم السلام كذب على أيّ حال فالمحذورين عند التحقيق يرجعان إلى واحد.

قال : « و من الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغّبة في الطاعات و يزعم أنّ قصده فيه دعوة الخلق إلى الحقّ و هذا من نزغات الشيطان (١) فإنّ في الصدق لمندوحة عن الكذب ، و فيما ذكره الله سبحانه و رسوله صلّى الله عليه وآله غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف و قد كره تكلّف السجع وعدّ ذلك من التصنّع. و قد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله لعبد الله ابن رواحة في سجع بين ثلاث كلمات : « إيّاك و السجع يا ابن رواحة» (٢) فكان السجع

(١) نزغات الشيطان و ساوسه و مايحمل به الانسان على المعاصى .

(٢) قال العراقى فى المغنى : لم أجده هكذا و لاحمد وابى يعلى وابن السنى و ابى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب اياك والسجع ←

المحذور المتكلّف ما زادعلى كلمتين و لذلك لمّا قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندى من لا شرب و لا أكل و لا صاح و لا استهلّ و مثل ذلك يطلّ ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : أسجع كسجع الكهّان » (١) .

أقول : ومن طريق الخاصّة في هذا الباب ما رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في إعتقاداته « قال : و ذكر القصّاصون عند الصادق عليه السلام فقال : لعنهم الله يشنعون علينا ، و سئل الصادق عليه السلام عن القصّاص أيحلّ الاستماع لهم ؟ فقال : لا ، وقال عليه السلام : من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق عن الله فقد عبدالله و إن كان عن إبليس فقد عبد إبليس ؛ وسئل الصادق عليه السلام عن قوله عزّوجلّ : « والشعراء يتّبعهم الغاوون» (٢) قال : هم القصّاص ؛ وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : من أتى ذا بدعة فوقّره فقدسعى في هدم الإسلام» انتهى كلام الصدوق .

فصل

قال أبو حامد : وأمّا الأشعارفتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى : «والشعراء يتّبعهم الغاوون ، ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون » و قال عزّوجلّ : « وما علّمناه الشعر و ما ينبغي له إن هو إلّا ذكر » . وأكثر مااعتاده الوعّاظ من الأشعار ما يتعلّق بالتواصف في العشق و جمال المعشوق و روح الوصال و ألم الفراق ، و المجلس لا يحوي إلّا أجلاف العوام و بواطنهم مشحونة بالشهوات و قلوبهم غير منفكّة من الالتفات إلى الصور الجميلة فلا تحرّك الأشعار من قلوبهم إلّا ما هو مستكنّ فيها ، فيشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون (٣) و يتواجدون و أكثرذلك أو كلّه يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلّا ما فيه موعظة و حكمة على سبيل استشهاد و استيناس ، فقد قال النبيّ

← فان النبى صلى الله عليه و آله وأصحابه كانوا لا يسجعون ، و لابن حبان و اجتنب السجع و فى البخارى نحوه من قول ابن عباس .

(١) فى الاحياء « كسجع الاعراب » و فى صحيح مسلم ج٥ ص١١١ من حديث مغيرة هكذا ، و روى الكلينى فى الكافى ج٧ باب دية الجنين تحت رقم ٣ نحوه .

(٢) الشعراء : ٢٢٤ . (٣) زعق ـ كمنع ـ : صاح .

صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ من الشعر لحكمة »(١) ولوحوى المجلس الخواص الّذين وقع الإطّلاع على استغراق قلوبهم بحبّ الله تعالى و لم يكن معهم غيرهم فإنّ أولئك لا يضرّ معهم الشعر الّذي يشير ظاهره إلى الخلق فإنّ المستمع ينزل كلّما يسمعه على ما يستولي على قلبه و لذلك كان الجنيد يتكلّم على بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلّم ، و ماتمّ أهل مجلسه عشرين ، وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له : تكلّم فقد حضر أصحابك فقال : ما هؤلاء أصحابي إنّما هم أصحاب المجلس ـ أي أصحابي هم الخواصّ ـ .

﴿ فصل ﴾

و أمّا الشّطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفيّة أحدهما الدّعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه و الوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتّى ينتهي قوم إلى دعوى الاتّحاد و ارتفاع الحجاب و المشاهدة بالرؤية و المشافهة بالخطاب فيقولون : قيل لنا كذا و قلنا كذا و يتشبّهون فيه بالحسين الحلاّج الّذي صلب لإطلاقه كلمات من هذا الجنس ، و يستشهدون بقوله : أنا الحقّ ؛ و بما يحكون عن أبي يزيد البسطاميّ أنّه قال : سبحاني سبحاني . وهذا فنّ من الكلام عظم ضرره في العوامّ حتّى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم و أظهروا مثل هذه الدعاوي ، فانّ هذا الكلام يستلذّه الطبع إذ فيه البطالة عن الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات و الأحوال فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقّف كلمات مخبطة مزخرفة و مهما أنكر ذلك عليهم لم يعجزوا أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم و الجدل ، و العلم حجاب و الجدل عمل النفس و هذا الحديث لا يلوح إلّا من الباطن بمكاشفة نور الحقّ فهذا ممّا قد استطار في بعض البلاد شرره و عظم ضرره و من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله سبحانه من إحياء عشرة ، و أمّا أبو يزيد البسطاميّ فلا يصحّ عنه ما حكي عنه و إن سمع ذلك منه فلعلّه كان يحكيه عن الله عزّ و جلّ في كلامه يردّده في نفسه كما لو سمع وهو يقول :

(١) أخرجه الترمذي في ابواب الادب باب ماجاء ان من الشعر لحكمة من سننه ج ١٠ ص ٢٧٨ .

« إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني » فإنّه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلّا على سبيل الحكاية ؛ والصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة و ليس ورائها طائل ، و ذلك إمّا أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله و تشويش في خياله لقلّة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه و هذا هو الأكثر و إمّا أن تكون مفهومة له ولكنّه لا يقدر على تفهيمها و إيرادها بعبارة تدلّ على ضميره لقلّة ممارسته للعلم و عدم تعلّمه طريق التّعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلّا أنّه يشوّش القلوب و يدهش العقول و يحيّر الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني غير ما اُريدت بها ويكون فهم كلّ واحد على مقتضي هواه وطبعه .

و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما حدّث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه إلّا كان فتنة عليهم » (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « كلّموا النّاس بما يعرفون و دعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذّب الله و رسوله (٢) » و هذا فيما يفهمه صاحبه و لا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحلّ ذكره .

و قال عيسى عليه السلام : « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها (٣) ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الدّاء » (٤) .

- و في لفظ آخر - « من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم ، إنّ للحكمة حقّاً و إنّ لها أهلاً ، فأعط كلّ ذي حقّ حقّه » .

---

(١) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه ج ١ ص ٩ بلفظ آخر و فى الاحياء « لا يفقهونه » .

(٢) صحيح البخارى ج ١ ص ٤٣ و فى كنوز الحقائق باب الكاف منه بلفظ « حدثوا الناس » و رواه النعمانى فى الغيبة كما فى البحار ج ٢ ص ٧٧ .

(٣) رواه الصدوق فى المعانى و العلل كما فى البحار ج ٢ ص ٦٦ .

(٤) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ٥٥ ، والدارمى ج ١ ص ١٠٦ باختلاف يسير فى اللفظ .

﴿ فصل ﴾

و أمّا الطامّات فيد خلها ما ذكرناه في الشطح و أمر آخر يخصّها ، و هو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أُمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام شيء كدأب الباطنيّة في التأويلات و هذا أيضاً حرامٌ و ضرره عظيمٌ فإنّ الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه ينقل عن صاحب الشرع و من غير ضرورة تدعوا إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ و يسقط به منفعة كلام الله عزّ وجلّ و كلام رسول الله ﷺ فإنّ ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به و الباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر و يمكن تنزيله على وجوه شتّى ، و هذا أيضاً من البدع الشائعة العظيم ضررها وإنّما قصد أصحابها بها الإغراب لأنّ النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذّة له ، و بهذا الطريق يتوصّل الباطنيّة إلى هدم جميع الشرائع بتأويل ظواهرها و تنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنّف في الردّ على الباطنيّة و مثل تأويلات أهل الطامّات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى : « اذهب إلى فرعون إنّه طغى[1] » أنّه أشار إلى قلبه و قال : هو المراد بفرعون الطاغي على كلّ إنسان ؛ و في قوله تعالى : « ألق عصاك[2] » أي كلّ ما تتوكّأ عليه وتعتمده ممّا سوى الله تعالى فينبغي أن تلقيه ؛ و في قوله ﷺ : « تسحّروا فإنّ في السحور بركة[3] » أراد به الاستغفار بالأسحار ، و أمثال ذلك حتّى يحرّفون القرآن من أوّله إلى آخره عن ظاهره و عن تفسيره المنقول عن العلماء و بعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتنزيل فرعون على القلب فإنّ فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده و دعوة موسى له كأبي لهب و أبي جهل وغيرهما من الكفّار وليس من جنس الملائكة و الشياطين وما لم يدرك بالحسّ حتّى

(١) طه : ٢٤ .
(٢) الاعراف : ١١٧ .
(٣) أخرجه البخارى في الصحيح ج ٣ ص ٣٦ وابن ماجه تحت رقم ١٦٩٢ و مسلم ج٣ ص١٣٠ .

يتطرّق التأويل إلى ألفاظه و كذلك حمل التسحّر على الاستغفار فإنّه كان رسول الله ﷺ يتناول الطعام ويقول: «تسحّروا فإنّ في السحور بركة» و «هلمّوا إلى الغداء المبارك[1]» فهذه أمور يدرك بالتواتر و الحسّ بطلانها و بعضها يعلم بغالب الظنّ وذلك في أمور لا يتعلّق بها الإحساس و كلّ ذلك حرام و ضلالة و إفساد للدّين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين، و لا يظهر لقول رسول الله ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار[2]» معنى إلّا هذه النمط و هو أن يكون غرضه و رأيه تقرير أمر و تحقيقه فيستجيز شهادة القرآن إليه و يحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظيّة لغويّة أو نقليّة و لا ينبغي أن يفهم منه أنّه يجب أن لا يفسّر القرآن بالاستنباط و الفكر فإنّ من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسّرين خمسة معان و ستّة و سبعة و يعلم أنّ جميعها غير مسموعة من النبيّ ﷺ فإنّها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم و طول الفكر و لهذا قال النبيّ ﷺ لابن عبّاس: «اللّهم فقّهه في الدّين، وعلّمه التأويل[3]» و من يستجيز من أهل الطامّات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنّها غير مرادة من الألفاظ و يزعم أنّه يقصد به دعوة الخلق إلى الحقّ يضاهي من يستجيز الاختراع و الوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حقّ و لكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كلّ مسألة يراها حقّاً حديثاً عن رسول الله ﷺ و ذلك ظلم و ضلال و دخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار» بل الشرّ في تأويل هذه الألفاظ أطمّ و أعظم[4] لأنّها مبطلة للثقة بالألفاظ و قاطعة طريق الاستفادة و الفهم من القرآن بالكلّيّة فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة إلى المذمومة و كلّ ذلك من تلبيس العلماء السوء بتبديل الأسامي فإن اتّبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم

---

(١) أخرجه النسائي ج ٤ ص ١٤٥.

(٢) أخرجه الترمذى و ابن جرير الطبرى كما نقله ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي فى مقدمة تفسيره ص ٢.

(٣) مفردات الراغب ٢٥٢ والاتقان فى طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٨٧.

(٤) من طم الماء اذا غمر، و طم الشيء اذا كثر حتى علا.

المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأوّل كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتّباع من يسمّى حكيماً (١) في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللّفظ.

فصل

اللّفظ الخامس الحكمة فإنّ اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب و الشاعر والمنجّم حتّى على الّذي يدحرج القرعة على أكفّ السواديّة (٢) في شوارع الطرق و الحكمة هي الّتي اثنى الله عزّ و جلّ عليها فقال عزّ من قائل: «و من يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً (٣)» و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كلمة من الحكمة يتعلّمها الرجل خير له من الدّنيا [و ما فيها] (٤)» فانظر ما الّذي كانت الحكمة عبارة عنه و إلى ماذا نقل و قس به بقيّة الألفاظ و احترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السّوء فإنّ شرّهم أعظم على الدّين من شرّ الشيطان إذ الشيطان بواسطتهم يتذرّع إلى انتزاع الدّين من قلوب الخلق فلهذا لمّا سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن شرّ الخلق أبى و قال: «اللّهمّ غفراً (٥)» حتّى كرّر عليه ثمّ قال: هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود و المذموم و مثار الالتباس و إليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تدلّى (٦) بحبل الغرور و تتشبّه بالخلف، فكلّ ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس و ما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدع محدث و قد صحّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بدء الإسلام غريباً و سيعود غريباً كما بدء فطوبى للغرباء فقيل: و من الغرباء يارسول الله؟ قال: الّذين يصلحون ما أفسده الناس من سنّتي والّذين

---

(١) في الاحياء «باتباع من يسمى حكيماً فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب و الشاعر والمنجم في هذا العصر و ذلك الخ»

(٢) سواد الناس عوامهم. (الصحاح)

(٣) البقرة: ٢٦٩.

(٤) تقدم نحوه.

(٥) راجع مجمع الزوائد ج١ ص ١٨٥، وأخرجه البزار في المسند الكبير كما في الترغيب ج١ ص ١٢٦.

(٦) تدلى من الشجرة تعلق به.

يحيون ما أماتوه من سنّتي »[1] . وفي خبر آخر «هم المتمسّكون بما أنتم عليه اليوم» .

و في حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم أكثر ممّن يحبّهم» .

وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قيل : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنّه مخلّط لأنّه إن نطق بالحقّ أبغضوه[2] .

✿ (بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة) ✿

اعلم أنّ العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام ، قسم هو مذموم قليله و كثيره ، وقسم هو محمود قليله و كثيره ، و كلّما كان أكثر كان أحسن و أفضل ، و قسم يحمد منه مقدار الكفاية و لايحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فإنّ منه مايحمد قليله و كثيره كالصحّة و الجمال و منه ما يذمّ قليله و كثيره كالقبح و سوء الخلق و منه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإنّ التبذير لايحمد فيه و هو بذل و كالشجاعة فإنّ التهوّر لايحمد فيها و إن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم ، فالقسم المذموم منه قليله و كثيره هو مالافائدة فيه في دين ولادنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات و النجوم فبعضه لافائدة فيه أصلاً و صرف العمر الّذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة و إضاعة النفائس مذمومة ، ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظنّ أنّه يحصل به من قضاء الوتر في الدّنيا فإنّ ذلك لايعتدّ به بالاضافة إلى الضرر الحاصل منه .

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله سبحانه و بصفاته و أفعاله و سنّته في خلقه و حكمته في ترتيب الآخرة على الدّنيا ، فإنّ هذا علم مطلوب لذاته و للتوصّل به إلى سعادة الآخرة و بذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حدّ الواجب ، فإنّه البحر الّذي لايدرك غوره و إنّما يحوم المتحوّمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسّر لهم و ما خاض أطرافه إلّا الأنبياء عليهم السلام و الأولياء و الراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوّتهم و تفاوت تقدير الله عزّ وجلّ في حقّهم وهذا

(۱) اخرج صدره ابن ماجه تحت رقم ۳۹۸۷ . وج ۱ ص ۹۰ بلفظ آخر وابن عبدالبر تمامه فى العلم كما فى المختصر ص ۱۷٤ والترمذى ج ۱۰ ص ۹٦ .

(۲) من كلام سفيان الثورى كما فى الاحياء .

هو العلم المكنون الّذي لايسطر في الكتب و يعين على التنبيه له التعلّم و مشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أوّل الأمر و يعين عليه في الآخرة المجاهدة و الرياضة و تصفية القلب و تفريغه عن علائق الدنيا و التشبّه فيه بأنبياء الله و أوليائه عليهم السلام ليتّضح منه لكلّ ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد و لكن لاغنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لامحالة لامفتاح لها سواها .

وأما العلوم الّتي لايحمد منها إلّا مقدار مخصوص فهي العلوم الّتي أوردناها في فروض الكفايات فإنّ في كلّ علم منها اقتصاداً هو الأقلّ ، و اقتصاداً و هو الوسط ، و استقصاء هو وراء الاقتصاد لامردّ له إلى آخر العمر ، فكن أحد رجلين إمّا مشغولاً بنفسك و إمّا متفرّغاً إلى غيرك بعد الفراغ من نفسك وإيّاك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك فإن كنت المشغول بنفسك فلاتشتغل إلّا بالعلم الّذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك و هو ما يتعلّق منه بالأعمال الظاهرة من تعلّم الطهارة و الصوم و الصلاة ، و إنّما الأهمّ الّذي أهمله الكلّ علم صفات القلب و ما يحمد منها و ما يذمّ إذ لاينفكّ بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب و أخواتها و جميع ذلك مهلكات و إهمالها مع الاشتغال (١) بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذّي بالجرب و الدماميل و التهاون بإخراج المادّة بالفصد و الحجامة و الإسهال و حشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كماتشير الطرقيّة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لايشيرون إلّابتطهير الباطن وقطع مواد الشرّ بإفساد منابتها و قلع مغارسها و هي في القلب و إنّما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح و استصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلىطلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرّة المقرّة البشعة فلايزال يتعب في الطّلاء و يزيد في الموادّ و يتضاعف به الأمراض فإن كنت مريد الآخرة و طالباً للنجاة و هارباً من هلاك الأبد فاشتغل بعلم العلل الباطنة و علاجها على ما فصّلناه في ربع المهلكات ، ثمّ ينجرّ ذلك بك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لامحالة

---

(١) في الاحياء « و اهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال » .

فإنّ القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود و الأرض إذا نقيت من الحشيش ينبت فيها أصناف الزروع و الرياحين و إن لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لاسيّما و في الخلق من قد قام بها ، فإنّ مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه ، فما أشدّ حماقة من دخلت الأفاعي و العقارب داخل ثيابه و همّت بقتله و هو يطلب مذبّة (١) يدفع بها الذّباب عن غيره ممّن لا يغنيه ولا ينجيه ممّا يلاقيه من تلك الحيّات و العقارب إذا همّمن به ، وإن تفرّغت من نفسك و تطهيرها و قدرت على ترك ظاهر الاثم و باطنه و صار ذلك ديدناً لك وعادة متيسّرة فيك و ما أبعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات و راع التدريج فيها فابتدء بكتاب الله تعالى ثم بسنّة رسوله صلى الله عليه وآله ثمّ بعلم التفسير و ساير علوم القرآن من الناسخ و المنسوخ و المفصول و الموصول و المحكم و المتشابه و كذلك في السنّة ثمّ اشتغل بالفروع و هو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثمّ باُصول الفقه و هكذا إلى بقيّة العلوم على ما يتّسع له العمر و يساعد فيه الوقت ، ولا تستغرق عمرك في فنّ واحد طالباً للاستقصاء فإنّ العلم كثير والعمر قصير ، و هذه العلوم آلات و مقدّمات و ليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، و كلّ ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب و يستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللّغة على ما يفهم به كلام العرب و ينطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن و غريب الحديث ، ودع التعمّق فيه و اقتصر من النحو على ما يتعلّق بالكتاب و السنّة .

أقول : أراد بعلم المذهب العلم بمذاهب أئمّتهم الضالّين المضلّين من الشافعي و أبي حنيفة و مالك و أحمد و غيرهم الّذين كانوا يفتون في المسائل الدّينيّة بآرائهم و أهوائهم ، و أراد بعلم الخلاف علم وجوه اختلافاتهم و توجيه آرائهم ، و باُصول الفقه الأصول الّتي وضعوها لبناء الآراء عليها ثمّ اختلفوا فيها ، وبالجملة ليس شيء منها يصلح لأن يسمّى علماً بل هي بدع و ضلالة و على قواعد الإماميّة - رحمهم الله - يجب أخذ العلوم الدّينيّة كلّها عن أهل البيت عليهم السلام إمّا بالمشافهة و النصّ عنهم أو بالاستنباط عن أخبارهم و آثارهم عليهم السلام واستعمال الرويّة فيها مع القدرة على ذلك وتحصيل شرائطه المقرّرة

(١) المذبة - بالكسر - : مايذب به الذباب .

و مقدّماته المعتبرة ، و إنّما يجب تحصيل العلوم الآليّة من النحو و الصرف و اللّغة و غيرها على التقدير الثاني دون الأوّل غالباً و من لم يمكنه الوصول إليهم و لم يكن له سبيل إلى الاستنباط المذكور إما لعجزه عنه أو عن تحصيل شرائطه جاز له تمليد عالم متديّن يحسن اعتقاده فيه من الّذين يستنبطون و إن اختلفوا أخذ بقول الأعلم والأورع و إن اشتبه الأمر عليه فهو بالخيار و يحتاط في العمل ما استطاع وفي حديث أهل البيت عليهم السلام في باب اختلاف الرواية عنهم « بأيّهما أخذت من باب التسليم و سعك »(١) .

﴿ الباب الرابع ﴾

في بيان سبب إقبال الخلق على المناظرة و ذكر شروطها وآدابها و آفاتها ـ و قد تصرّفت في عنوان هذا الباب وفي تقرير كلام أبي حامد تصرّفاً مّا .

(بيان سبب اقبال الخلق على المناظرة)

اعلم أنّه لمّا أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام لم يعلموا شيئاً اضطرّوا إلى الاستعانة بالفقهاء و إلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في جميع مجاري أحكامهم إلى طلبهم لتولية القضاء والحكومات ، فرأى أهل تلك الأعصار عزّ العلماء و إقبال الولاة و الحكّام عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبّوا لطلب العلم توصّلاً إلى نيل العزّ و درك الجاه من قبل الولاة فأكبّوا على الفتاوي و عرضوا أنفسهم على الولاة و تعرّفوا إليهم و طلبوا الولايات و الصلات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح ، و المنجح لم يخل عن ذلّ الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين و بعد أن كانوا أعزّة بالإعراض عن السلاطين أذلّة بالإقبال عليهم إلّا من وفّقه الله في كلّ عصر من علماء دينه ثمّ ظهر بعدهم من الصدور و الأُمراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد و مالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكبّ الناس إلى علم الكلام وأكثروا فيها التصانيف ، و رتّبوا فيها طرق المجادلات ، و استخرجوا فنون المناقضات في المقالات ، و زعموا أنّ غرضهم الذّبّ عن دين الله ، و النضال عن السنّة و قمع البدعة ،

(١) الكافي ج ١ ص ٦٦ .

ثمّ ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام و فتح باب المناظرة فيه لما تولّد من فتح بابه التبغّضات والخصومات الناشئة من اللّداد ، المفضية إلى تخريب البلاد و مالت نفسه إلى المناظرة في الفقه و بيان الأولى من مذاهب المجتهدين ، فترك الناس الكلام و فنون العلم و أقبلوا على المسائل الخلافيّة و زعموا أنّ غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد أصول الفتاوي و أكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ، و رتّبوا فيها أنواع المجادلات وهم مستمرّون عليه إلى الآن و ليس يدرى ما الّذي قدّر الله فيما بعدنا من الأعصار ، فهذا هو الباعث على الإكباب على المناظرة في الخلافيّات ، و لو مالت نفوس أرباب الدّنيا إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً ولم يسكتوا عن التعلّل و الاعتذار بأنّ ما اشتغلوا به علم الدّين وأن لا مطلب لهم سوى التقرّب إلى ربّ العالمين .

✿ (بيان شروط المناظرة و آدابها) ✿

اعلم أنّ المناظرة في أحكام الدّين من الدّين و لكن لها شروط و محلّ و وقت ، فمن اشتغل بها على وجهها و قام بشروطها فقد قام بحدودها و اقتدى بالسلف فيها فإنّهم تناظروا و ما تناظروا إلّا لله ولطلب ما هو حقّ عند الله ، و لمن يناظر لله و في الله علامات بها يتبيّن الشروط و الآداب .

الأوّل أن يقصد بها إصابة الحقّ وطلب ظهوره كيف اتّفق ، لا ظهور صوابه و غزارة علمه و صحّة نظره ، فإنّ ذلك مراء منهيّ عنه بالنهي الأكيد و من آيات هذا القصد ألّا يوقعها إلّا مع رجاء التأثير فأمّا إذا علم عدم قبول المناظر للحقّ و أنّه لا يرجع عن رأيه وإن تبيّن له خطاؤه فمناظرته غير جائزة لترتّب الآفات الآتية عليها و عدم حصول الغاية المطلوبة منها .

الثاني أن لا يكون ثمّة ما هو أهمّ من المناظرة فإنّ المناظرة إذا وقعت على وجهها الشرعيّ و كانت في واجب فهي من فروض الكفايات ، فإذا كان ثمّة واجب عينيّ أو كفائيّ هو أهمّ منه لم يكن الاشتغال بها سائغاً ، و من جملة الفروض الّتي لا قائم بها في هذا الزمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و قد يكون المناظر في مجلس مناظرته مصاحباً لعدّة مناكير كما لا يخفى على من سبر الأحوال و الأفعال المفروضة و المحرّمة

ثمّ هو يناظر فيما لا يتّفق أو يتّفق نادراً من الدّقايق العلميّة و الفروع الشرعيّة بل يجري منه و من غيره في مجلس المناظرة من الإيحاش و الإفحاش و الإيذاء و التقصير فيما يجب رعايته من النصيحة للمسلمين و المحبّة و المودّة ما يعصي به القائل و المستمع ولايلتفت قلبه إلى شيء من ذلك ثمّ يزعم أنّه يناظر لله تعالى .

الثالث أن يكون المناظر في الدّين مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب أحد حتّى إذا بان له الحقّ على لسان خصمه انتقل إليه ، فأمّا من لا يجتهد فليس له مخالفة مذهب من يقلّده فأيّ فائدة له في المناظرة و هو لا يقدر على تركه إن ظهر ضعفه ؟ ثمّ على تقدير أن يباحث مجتهداً و يظهر له ضعف دليله ما ذا يضرّ المجتهد فإنّ فرضه الأخذ بما يترجّح عنده و إن كان في نفسه ضعيفاً كما اتّفق ذلك لسائر المجتهدين ، فإنّهم يتمسّكون بأدلّة ثمّ يظهر لهم أو لغيرهم أنّها في غاية الضعف فيتغيّر فتواهم لذلك حتّى في المصنّف الواحد بل في الورقة الواحدة .

الرابع أن يناظر في واقعة مهمّة أو في مسألة قريبة من الوقوع و أن يهتمّ بمثل ذلك ، و المهمّ أن يعيّن الحقّ ولايطول الكلام زيادة على ما يحتاج إليه في تحقيق الحقّ و لا يغترّ بأنّ المناظرة في تلك المسائل النادرة توجب رياضة الفكر و ملكة الاستدلال و التحقيق كما يتّفق ذلك كثيراً لقاصدي حظّ النفوس من إظهار المعرفة فيتناظرون في التعريفات و ما يشتمل عليه من النقوض و التزييفات و نحو ذلك ، و لو اختبر حالهم حقّ اختبار لوجد مقصد هم على غير ذلك الاعتبار .

الخامس أن يكون المناظرة في الخلوة أحبّ إليه منها في المحفل و الصدور ، فإنّ الخلوة أجمع للهمّ و أحرى لصفاء الفكر و درك الحقّ في حضور الخلق ما يحرّك دواعي الرياء و الحرص على الإفحام ولو بالباطل و قد يتّفق لأصحاب المقاصد الفاسدة الكسل عن الجواب عن المسألة في الخلوة و تنافسهم في المسألة في المحافل و احتيالهم على الاستيثار بها في المجامع .

السادس أن يكون في طلب الحقّ كمنشد ضالّة يكون شاكراً متى وجدها ولا يفرّق بين أن يظهر على يده أو يد غيره فيرى رفيقه معيناً لا خصماً و يشكره إذا عرّفه الخطأ

و أظهر له الحقّ ، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالّة فنبّهه غيره على ضالّته في طريق آخر ، و الحقّ ضالّة المؤمن يطلبه كذلك ، فحقّه إذا ظهر الحقّ على لسان خصمه أن يفرح به و يشكره لا أنّه يخجل و يسوّد وجهه و يزيل لونه و يجتهد في مجاهدته و مدافعته جهده .

السابع أن لا يمنع معينه من الانتقال من دليل إلى دليل و من سؤال إلى سؤال بل يمكّنه من إيراد ما يحضره و يخرج من كلامه ما يحتاج إليه في إصابة الحقّ فإن وجده في جملته أو استلزامه و إن كان غافلاً عن اللّزوم فليقبله و ليحمد الله تعالى فإنّ الغرض إصابة الحقّ و إن كان في كلام متهافت إذا حصل منه المطلوب ، فأمّا قوله : « هذا لا يلزمني فقد تركت كلامك الأوّل و ليس لك ذلك » و نحو ذلك من أراجيف المناظرين فهو محض العناد و الخروج عن نهج السداد و كثيراً مّا ترى المناظرات في المحافل تنقضي بمحض المجادلات حتّى يطلب المعترض الدّليل و يمنع المدّعي وهو عالم به و ينقضي المجلس على ذلك الإنكار و الإصرار على العناد ، و ذلك عين الفساد والخيانة للشرع المطهّر و الدخول في ذمّ من كتم علمه .

الثامن أن يناظر مع من هو مستقلّ بالعلم ليستفيد منه إن كان يطلب الحقّ و الغالب أنّهم يحترزون من مناظرة الفحول و الأكابر خوفاً من ظهور الحقّ على لسانهم و يرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم و وراء هذه الشروط و الآداب شروط اُخر و آداب دقيقة لكن فيما ذكرنا يهديك إلى معرفة المناظرة لله و من يناظر لله أو لعلّة .

و اعلم بالجملة أنّ من لا يناظر الشيطان و هو مستول على قلبه و هو أعدى عدوّ له ولا يزال يدعوه إلى إهلاكه ثمّ يشتغل بمناظرة غيره في المسائل الّتي المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فهو مضحكة للشيطان(١) و عبرة للمحصّلين و لذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات الّتي نعدّدها و نذكر تفصيلها .

---

(١) في الاحياء « فهو ضحكة للشيطان » .

✿(بيان آفات المناظرة)✿

(و ما يتولّد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم أنّ المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة و الإفحام و إظهار الفضل و الشرف عند الناس و قصد المباهات و الممارات و استمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله تعالى المحمودة عند عدوّ الله إبليس و نسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر و العجب والرياء و الحسد والمنافسة وتزكية النفس وحبّ الجاه و غيرها نسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنى و القذف و القتل و السرقة ، و كما أنّ الّذي خيّر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقيّة الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حبّ الإفحام و الغلبة في المناظرة وطلب الجاه و المباهات دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلّها في النفس و هيّج فيه جميع الأخلاق المذمومة و هذه الأخلاق سيأتي أدلّة مذمّتها من الأخبار و الآيات في ربع المهلكات ولكنّا نشير الآن إلى مجامع ما تهيّجه المناظرة .

فمنها الحسد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[1] ولا ينفكّ المناظر عن الحسد فإنّه تارة يغلب و تارة يُغلب ، و تارة يحمد كلامه و تارة يحمد كلام غيره ، فما دام يبقى في الدّنيا واحد يذكر بقوّة في العلم و النظر أو يظنّ أنّه أحسن منه كلاماً و أقوى نظراً فلا بدّ أن يحسده و يحبّ زوال النعمة عنه و انصراف الوجوه و القلوب عنه إليه ، والحسد نار محرقة فمن ابتلى به فهو في العذاب الأليم في الدّنيا و لعذاب الآخرة أشدّ و أعظم و لذلك قال ابن عبّاس - رحمه الله - : خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنّهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة »[2] .

و منها التكبّر والترفّع على النّاس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تكبّر وضعه

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢١٠ .

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ١٩٤ والزريبة : حضيرة المواشي .

الله و من تواضع رفعه الله »[1].

و قال حكاية عن الله عزّ وجلّ : « العظمة إزاري و الكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته »[2] و لا ينفكّ المناظر عن التكبّر على الأمثال و الأقران و الترفّع إلى فوق قدره حتّى أنّهم ليقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض و القرب من وسادة الصدر و البعد منها و التقدّم في الدخول عند مضائق الطرق وربّما يتعلّل الغبيّ و المكّار الخدّاع منهم بأنّه يبغي صيانة نفسه و عزّ العلم و أنّ المؤمن منهيّ عن إذلال نفسه فيعبّر عن التواضع الّذي اثنى الله عزّ وجلّ عليه و سائر أنبيائه عليهم السلام بالذلّ و عن التكبّر الممقوت عند الله عزّ و جلّ بعزّ الدّين تحريفاً للاسم و إضلالاً للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما.

و منها الحقد فلايكاد المناظر يخلو عنه و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن ليس بحقود »[3] و ورد في ذمّ الحقد مالايخفى ولاترى مناظراً يقدر على أن لايضمر حقداً على من يحرّك رأسه على كلام خصمه و يتوقّف في كلامه ولايقابله بحسن الإصغاء بل يضطرّ إذاشاهد ذلك إلى إضمار الحقد و تربيته في النفس ، و غاية تماسكه الإخفاء بالنفاق و يترشّح منه إلى الظاهر لامحالة في غالب الأمر و كيف ينفكّ عنه ولايتصوّر إتّفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه و استحسان جميع أحواله في إيراده و إصداره ، ثمّ لو صدر من خصمه أدنى تشبيب فيه[4] أو قلّة مبالات بكلامه انغرس في صدره حقد لايقلعه يد الدهر إلى آخر العمر .

و منها الغيبة و قد شبّهها الله عزّ وجلّ بأكل الميتة و لايزال المناظر مثابراً[5] على أكل الميتة فإنّه لاينفكّ عن حكاية كلام خصمه و مذمّته و غاية تحفّظه أن يصدق

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الايمان بزيادة كما فى مشكاة المصابيح ص ٤٣٤ . و روى الكلينى نحوه فى الكافى ج ٢ ص ١٢١ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٧٥ . و فيه « ألقيته فى النار » « مكان قصمته » .

(٣) ما عثرت بلفظه فى أصل . و مضمونه مروى عن امير المؤمنين عليه السلام فى الكافى باب المؤمن وعلاماته وصفاته ج٢ ص٢٢٦ . (٤) كذا و فى الاحياء «سبب فيه» .

(٥) المثابرة : الحرص على الفعل او القول و ملازمتها . (النهاية) .

فيما يحكيه عليه و لا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدلّ على قصور كلامه وعجزه و نقصان فضله و هو الغيبة و أمّا الكذب فبهتان و كذلك لايقدر على أن يحفظ لسانه من التعرّض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه و يقبل عليه حتّى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلّة الفهم والبلادة.

و منها تزكية النفس قال الله عزّ وجلّ: «فلاتزكّوا أنفسكم[1]» وقيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه، و لايخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوّة و الغلبة و التقدّم بالفضل على الأقران، ولاينفكّ في أثناء المناظرة عن قوله: «لست ممّن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنّن في العلوم والمستقلّ بالأصول وحفظ الأحاديث» و غير ذلك ممّا يتمدّح به تارة على سبيل الصلف[2] و تارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أنّ الصلف و البذخ[3] مذموم شرعاً و عقلاً.

و منها التجسّس و تتبّع عورات النّاس و قد قال الله عزّوجلّ: «و لا تجسّسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً[4]»، و المناظر لا ينفكّ عن طلب عثرات أقرانه و تتبّع عورات خصومه حتّى أنّه ليخبر بورود مناظر إلي البلد فيطلب من يخبره ببواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتّى يعدّ ذلك ذخيرة لنفسه في إفضاحه و تخجيله إذا مسّت إلى ذلك حاجة حتّى أنّه ليستكشف عن أحوال صباه و عن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره، ثمّ إذا أحسّ بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكاً ويستحسن منه ذلك ويعدّه من لطائف التّشبيب[5] ولا يمتنع عن الإفضاح إن كان متبجحاً[6] بالسّفاهة و الإستهزاء كما حكي عن أقوام من أكابر المناظرين و المعدودين من فحولهم.

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) الصلف - ككتف -: التكلم بمايكرهه صاحبك و التمدح بما ليس عندك او مجاوزة قدر الظرف و الادعاء فوق ذلك تكبراً و يقال له بالفارسية: لاف زدن.

(٣) البذخ: التكبر والتفاخر.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) كذا وفى الاحياء «لطائف التسبب» وشبب قصيدته بفلانة زينها وحسنها والعادة التشبيب فى مبتدء قصائد المدح ثم سمى ابتداء كل أمر تشبيباً وان لم يكن فى ذكر الشباب.

(٦) التبجح - بتقديم المعجمة على المهملة - المباهاة و الافتخار.

و منها الفرح بمساءة النّاس و الغمّ بما يسرّهم و من لا يحبّ لأخيه المسلم ما يحبّ لنفسه فهو بعيد عن أخلاق المؤمنين ، و كلّ من طلب المباهات بإظهار الفضل يسرّه لامحالة ما يسوء أقرانه و أشكاله الّذين يساومونه في الفضل و يكون التباغض بينهم كما بين الضرائر و كما أنّ إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفرّ لونها فكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً فيربدّ لونه و يضطرب عليه فكره و كأنّه شاهد شيطاناً [مارداً] أو سبعاً ضارياً ، فأين الاستيناس و الاسترواح الّذي كان يجري بين علماء الدّين عند اللّقاء و ما نقل عنهم من المؤاخاة و التناصر و التساهم في السرّاء و الضرّاء حتّى قيل : العلم بين أهل العقل رحم متّصل ، فناهيك بالشيء شرّاً أن يلزمك أخلاق المنافقين و يبرئك عن أخلاق المؤمنين و المتّقين ، ومنها النفاق ولايحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمّه وهم مضطرّون إليه فإنّهم يلقون الخصوم ومحبّيهم وأشياعهم ولايجدون بدّاً من التودّد باللّسان و إظهار الشوق والاعتداد بمكانهم و أحوالهم و يعلم المخاطب و المخاطب و كلّ من يسمع ذلك منهم أنّ ذلك كذب و زور و نفاق و فجور ، و أنّهم متوادّون بالألسنة متباغضون بالقلوب - نعوذ بالله من ذلك - فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إذا تعلّم الناس العلم و تركوا العمل و تحابّوا بالألسن و تباغضوا بالقلوب و تقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمّهم و أعمى أبصارهم » (١) و قد صحّ ذلك بمشاهدة الحال .

ومنها الاستكبار عن الحقّ و كراهته والحرص على المماراة فيه حتّى أنّ أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر الحقّ على لسان خصمه ومهما ظهر تشمّر لجحده و إنكاره بأقصى جهده و بذل غاية إمكانه في المخادعة و المكر و الحيلة لدفعه ، ثمّ تصير المماراة فيه طبيعة فلايسمع كلاماً إلّا وينبعث من طبعه داعية إلى الاعتراض عليه حتّى يغلب ذلك على قلبه في أدلّة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى ترك المراء بالحقّ على الباطل فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من ترك المراء و هو مبطل بنى الله له بيتاً في ربض الجنّة و من ترك المراء و هو محقّ بنى الله له بيتاً في أعلى الجنّة » (٢) و قد سوّى الله سبحانه بين من افترى على الله عزّ وجلّ كذباً و بين

(١) أخرجه الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف كما في المغني .
(٢) أخرجه أبوداود و ابن ماجه و الترمذي كما في الترغيب ج ١ ص ١٣٠ .

من كذب بالحقّ و قال عزّ و جلّ : « فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحقّ لمّا جاءه »[١] و قال : « فمن أظلم ممّن كذب على الله و كذّب بالصدق إذ جاءه »[٢] .

و منها الرّياء و هو ملاحظة الخلق و الجهد في استمالة قلوبهم و صرف وجوههم إليه و الرياء هو الداء العضال الّذي يدعوا إلى أكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء ، و المناظر لا يقصد إلّا الظهور عند الخلق و إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من اُمّهات الفواحش الباطنة سوى ما يتّفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدّي إلى الضرب و اللكم و تمزيق الثياب و الأخذ باللّحى و سبّ الوالدين و شتم الأستادين و القذف الصريح فإنّ أولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين و إنّما الأكابر و العقلاء منهم لا ينفكّون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده و أسباب معيشته ولاينفكّ أحدٌ منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ، ثمّ يتشعّب من كلّ واحدة من هذه الخصال العشر عشر اُخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها و تفصيل آحادها مثل الأنفة و الغضب و البغضاء و الطمع و حبّ المال و الجاه للتمكّن من الغلبة و المباهات والأشر و البطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردّد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمّل بالخيول و المراكب و الثياب المحظورة ، و استحقار الناس بالفخر والخيلاء ، و الخوض فيما لايعني ، و كثرة الكلام و خروج الخشية والحرمة[٣] من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتّى لايدري المصلّي منهم في صلاته ما الّذي يقرؤه و من الّذي يناجيه و لايحسّ بالخشوع من قلبه ، و استغراق العمر في العلوم الّتي تعين في المناظرة مع أنّها لاتنفع في الآخرة من تحسين العبارة و تسجيع اللّفظ و حفظ النوادر إلى غير ذلك من اُمور لاتحصى و المناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم و لهم درجات شتّى و لا ينفكّ أعظمهم

(١) العنكبوت : ٦٨ .

(٢) الزمر : ٣٢ .

(٣) فى الاحياء « و الرحمة » .

ديناً و أكثرهم عقلاً عن جمل من موادّ هذه الأخلاق و إنّما غايته اخفاؤها و مجاهدة النفس بها».

أقول و ممّا ورد من طريق الخاصّة في مذمّة المناظرة و الخصومة في الدّين ما رواه شيخنا الصدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه - رحمه الله - عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «من طلب الدّين بالجدل تزندق»(١).

و روي أنّ رجلاً قال للحسين بن علي عليهما السلام: اجلس حتّى نتناظر في الدّين قال: «يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليّ هداي فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه مالي و للمماراة»(٢).

و بإسناد الصدوق عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام: «قال: قال لي: يا أبا عبيدة إيّاك و أصحاب الخصومات و الكذّابين علينا فإنّهم تركوا ما أمروا بعلمه و تكلّفوا ما لم يؤمروا بعلمه حتّى تكلّفوا علم السماء، يا أبا عبيدة خالقوا الناس بأخلاقهم و زايلوهم بأعمالهم، إنّا لانعدّ الرجل فقيهاً عاقلاً حتّى يعرف لحن القول، ثمّ قرأ هذه الآية «ولَتعرفنّهم في لَحْن القول»(٣).

و بإسناده عنه عليه السلام «الخصومة تمحق الدّين وتحبط العمل وتورث الشكّ»(٤).

و بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام لايخاصم إلّا شاكّ أو من لاورع له»(٥).

و في رواية إلّا من ضاق بما في صدره»(٦).

و بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال لعليّ بن يقطين: «مر أصحابك أن

(١) كتاب الاعتقادات ص ٧٤ الملحق بشرح باب حادى عشر.

(٢) مصباح الشريعة باب ٤٨.

(٣) سورة محمد: ٣٠ والخبر فى توحيد الصدوق ص ٤٧٦ باب النهى عن الكلام والجدال و المراء فى الله.

(٤) المصدر ص ٤٧٦.

(٥) المصدر ص ٤٧٨.

(٦) المصدر ص ٤٧٩.

يكفّوا من ألسنتهم و يدعوا الخصومة في الدّين و يجتهدوا في عبادة الله عزّوجلّ»[١].

و بإسناده عن محمّد بن عيسى «قال : قرأت في كتاب عليّ بن هلال [٢] أنّه سئل عن الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام أنّهم نهوا عن الكلام في الدّين فتأوّل مواليك المتكلّمون بأنّه إنّما نهى من لا يحسن أن يتكلّم فيه فأمّا من يحسن أن يتكلّم فلم ينهه فهل ذلك كما تأوّلوا أولا ؟ فكتب عليه السلام المحسن و غير المحسن لا يتكلّم فيه فإنّ إثمه أكبر من نفعه»[٣] إلى غير ذلك من الأخبار و هي كثيرة.

فصل

قال أبو حامد : «واعلم أنّ هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير و الوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول و إقامة الجاه و نيل الثروة و العزّ و هي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب و الفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء و ولاية الأوقاف و التقدّم على الأقران و بالجملة هي لازمة لكلّ من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة، فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد، و لذلك قال صلى الله عليه وآله : «أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله تعالى بعلمه»[٤] فلقد ضرّه مع أنّه لم ينفعه وليته نجى منه رأساً برأس وهيهات فخطر العلم عظيم و طالبه طالب آلة الملك المؤبّد والنعيم السرمد فلا ينفكّ عن الملك أو الهلك، وهو كطلب الملك في الدنيا فإن لم يتّفق الإصابة لم يطمع في سلامة الارذال بل لابدّ من لزوم أفضح الأحوال.

فإن قلت : في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حبّ الرئاسة لاندرست العلوم. فقد صدقت فيما ذكرته من وجه و لكنّه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان و اللّعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب و ذلك لا يدلّ

---

(١) المصدر ص ٤٧٨.

(٢) فى المصدر [على بن بلال] و الظاهر من جامع الرواة هو الصحيح.

(٣) التوحيد ص ٤٧٧.

(٤) أخرجه ابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الايمان كما فى الجامع الصغير باب الالف وأخرجه أيضاً ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ٨٤.

على أنّ الرغبة فيه محمودة ، ولولا حبّ الرئاسة لاندرس العلم ولا يدلّ ذلك على أنّ طالب الرئاسة ناج بل هو من الّذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « إنّ الله عزّ وجلّ يؤيّد هذا الدّين بأقوام لاخلاق لهم »[١] . و قال ﷺ : « إنّ الله يؤيّد هذا الدّين بالرجل الفاجر »[٢] .

فطالب الرئاسة في نفسه هالك و قد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا و ذلك فيمن كان حاله في ظاهر الأمر حال علماء السلف و لكنّه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الّذي يحرق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه ؛ فأمّا إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة الّتي تأكل نفسها و غيرها ، فالعلماء ثلاثة : إمّا مهلك نفسه و غيره وهم المصرّحون بطلب الدّنيا والمقبلون عليها ، وإمّا مسعد نفسه و غيره وهم الداعون إلى الله عزّ وجلّ المعرضون عن الدّنيا ظاهراً وباطناً ، و إمّا مهلك نفسه مسعد غيره و هو الّذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدّنيا في ظاهره و قصده في الباطن قبول الخلق و إقامة الجاه ، فانظر من أيّ الأقسام أنت و من الّذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنّنّ أنّ الله سبحانه يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل ، وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة في ذلك إن شاء الله تعالى » .

﴿ الباب الخامس ﴾

« في آداب المتعلّم و المعلّم - أمّا المتعلّم فآدابه و وظائفه كثيرة ولكن ينظّم تفاريقها تسع جمل : الأولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق و مذموم الأوصاف إن العلم عبادة القلب و صلاة السرّ و قربة الباطن إلى الله عزّ وجلّ فكما لاتصحّ الصلاة الّتي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلّا بتطهير الظاهر عن الأحداث و الأخباث فكذلك لا تصحّ عبادة الباطن و عمارة القلب بالعلم إلّا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق و أنجاس الأوصاف

(١) الجامع الصغير باب الالف عن ابن حبان والنسائي و مسند احمد و مسند كبير الطبراني .

(٢) أخرجه احمد في المسند ج ٢ ص ٣٠٩ من حديث أبي هريرة .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الدّين على النظافة»[١] وهو كذلك ظاهراً و باطناً، و قال الله عزّ وجلّ: «إنّما المشركون نجس»[٢] تنبيهاً للعقول على أنّ الطهارة و النجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحسّ فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن و لكنّه نجس الجوهر أي باطنه ملطّخ بالخبائث و النجاسة عبارة عمّا يجتنب و يطلب البعد منه و خبائث صفات الباطن أهمّ بالاجتناب فإنّها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب»[٣] و القلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحلّ استقرارهم، والصفات الرديّة مثل الغضب والشهوة والحقد و الحسد و الكبر و العجب و أخواتها كلاب نابحة فأنّى تدخله الملائكة و هو مشحون بالكلاب و نور العلم لايقذفه الله عزّ و جلّ في القلب إلّا بواسطة الملائكة، قال الله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً»[٤] و هكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنّما يتولّاها الملائكة الموكّلون بها و هم المقدّسون المطهّرون المبرّؤون عن المذمومات فلايلاحظون إلّاطيّباً ولايعمرون بماعندهم من خزائن رحمة الله سبحانه إلّا طاهراً، و لست أقول: المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب أنّه الغضب والصفات المذمومة، ولكنّي أقول: هو تنبيه عليه وفرق بين التعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنيّة بهذه الدقيقة، فإن هذا طريق الاعتبار و هو مسلك العلماء و الأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ممّا ذكر إلى غيره و لايقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بأن يعبّر منها إلى التنبّه لكونه أيضاً عرضة للمصائب وكون الدّنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه و من نفسه إلى أصل الدّنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضاً من البيت الّذي هو بناء الخلق إلى القلب الّذي هو بيت من بناء الله سبحانه و من الكلب الّذي ذمّ لصفته لالصورته وهو لما فيه من سبعيّة و نجاسة إلى روح الكلبيّة و هي السبعيّة

(١) ما عثرت عليه بهذا اللفظ فى اى أصل.

(٢) التوبة: ٢٨.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ج ٤ ص ٢٨، و رواه الصدوق فى الفقيه ج١ ص ١٥٩ تحت رقم ٧٤٤.

(٤) الشورى: ٥١.

و اعلم أنّ القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدّنيا والتكالب عليها و الحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ، ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور و الصور في هذا العالم غالبة على المعاني و المعاني باطنة فيها و في الآخرة تتبع الصور المعاني و تغلب المعاني فلذلك يحشر كلّ شخص على صورته المعنويّة ، فيحشر الممزّق لأعراض الناس كلباً ضارياً ، و الشره إلى أموالهم ذئباً عادياً ، و المتكبّر عليهم في صورة نمر ، و طالب الرئاسة في صورة أسد ، وقد وردت بذلك الأخبار و شهد به الاعتبار عند ذوي البصائر و الأبصار .

فإن قلت : كم من طالب رديّ الأخلاق حصّل العلوم . فهيهات ما أبعدك عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فإنّ من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أنّ المعاصي سموم مهلكة وهل رأيت من يتناول شيئاً مع علمه بكونه سمّاً إنّما الّذي تسمعه من المترسّمين حديث يلعقونه بألسنتهم مرّة و يردّدونه بقلوبهم أُخرى و ليس ذلك من العلم في شيء ، قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : ليس العلم بكثرة الرواية إنّما العلم نور يقذف في القلوب» .

اقول : و قد ورد عن أئمّتنا عليهم السلام مثل ذلك .

قال أبو حامد : «وقال بعضهم : إنّ العلم الخشية قال الله عزّ وجلّ : « إنّما يخشى الله من عباده العلماء »[1] وكأنّ هذا إشارة إلى أخصّ ثمرات العلم و لذلك قال بعض المحقّقين : معنى قولهم : تعلّمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلّا لله . أنّ العلم أبى و امتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته و إنّما حصل لنا حديثه و ألفاظه .

فإن قلت : إنّي أرى جماعة من الفقهاء المحقّقين برزوا في الأصول و الفروع وعدّوا من جملة الفحول و أخلاقهم ذميمة لم يتطهّروا منها ، فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم و عرفت علم الآخرة استبان لك أنّ ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً وإنّما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرّب إلى الله سبحانه ، و قد سبق إلى هذا إشارة و سيأتيك فيه مزيد بيان و إيضاح .

(١) الفاطر : ٢٨ .

الثانية أن يقلّل علائقه من أشغال الدُّنيا ويبعد عن الوطن و الأهل فإنّ العلائق شاغلة و صارفة و «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»(١) ومهما توزّعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق و لذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتّى تعطيه كلّك ، فإذا أعطيته كلّك فأنت من إعطائه إيّاك بعضه على خطر ، و الفكرة المتوزّعة على اُمور متفرّقة كجدول تفرّق ماؤه فانتشفت الأرض بعضه واختطفت الهواء بعضه فلا يبقى منه مايجتمع و يبلغ المزرعة .

الثالثة أن لا يتكبّر على العلم و لا يتأمّر على المعلّم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلّيّة في كلّ تفصيل و يذعن لنصحه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق و ينبغي أن يتواضع لمعلّمه و يطلب الثواب و الشرف بخدمته .

قال الشعبيّ : صلّى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عبّاس فأخذ بركابه فقال زيد : خلّ عنه يا ابن عمّ رسول الله ، فقال ابن عبّاس : هكذا اُمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبّل زيدبن ثابت يده و قال : هكذا اُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا صلّى الله عليه وآله (٢)

وقال صلّى الله عليه وآله : «و ليس من أخلاق المؤمن التملّق إلّا في طلب العلم» (٣) فلاينبغي للطالب ان يتكبّر على العلم و من تكبّره على العلم أن يستنكف من الاستفادة إلّا من المرموقين (٤) المشهورين و هو عين الحماقة فإنّ العلم سبب النجاة و السعادة و من طلب

---

(١) الاحزاب : ٤.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ٦٤ .

(٣) فى البحار نقلا - عن كتاب عدة الداعى - باب حق العالم من المجلد الاول ، و فيه « الملق » و أخرجه البيهقى فى شعب الايمان باسناد ضعيف عن معاذ كما فى الجامع الصغير و فيه « ليس من اخلاق المؤمن التملق و لا الحسد الا فى طلب العلم » فينبغى للمؤمن حسد الغبطة فى العلم و التملق أى كثرة التودد مع المعلم ليستخرج ما عنده من الحقائق أو لينصح المعلم فى التعليم .

(٤) رمقته أرمقه رمقاً : نظرت اليه . (الصحاح) .

مهرباً من سبع ضاري يفترسه لم يفرّق بين أن يرشده إلى المهرب مشهورٌ أو خاملٌ، وضراوة سباع النّار بالجهّال بالله عزّ وجلّ أشدّ من ضراوة كلّ سبع، فالحكمة ضالّة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها، و يتقلّد المنّة لمن ساقها إليه كائناً من كان، ولذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالي * كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم إلّا بالتواضع و إلقاء السمع، قال الله عزّ و جلّ : « إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »[١] و معنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهماً، ثمّ لا يغنيه القدرة على الفهم حتّى يلقي السمع و هو شهيد حاضر القلب يستقبل كلّ ما اُلقي إليه بحسن الإصغاء و الضراعة و الشكر و الفرح و قبول المنّة لله تعالى، فليكن المتعلّم لمعلّمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً[٢] فشربت بجميع أجزائها و أذعنت بالكلّية لقبوله، و مهما أشار إليه المعلّم بطريق في التعلّم فليقلّده و ليدع رأيه فإنّ خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه، إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنّه يعظم نفعها، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوّته إلى حدّ يحتمل صدمة العلاج فيتعجّب منه من لا خبرة له، وقد نبّه الله عزّ و جلّ بقصّة الخضر و موسى صلوات الله عليهما حيث قال الخضر : « إنّك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً »[٣] ثمّ شرط عليه السكوت والتسليم فقال : « فإن اتّبعتني فلا تسألني عن شيء حتّى أحدث لك منه ذكراً » ثمّ لم يصبر و لم يزل في مراودته إلى أن كان ذلك سبب فراق ما بينهما.

و بالجملة كلّ متعلّم استبقى لنفسه رأياً واختياراً وراء اختيار المعلّم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران.

فإن قلت : فقد قال الله تعالى : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[٤] فالسؤال مأمورٌ به، فاعلم أنّه كذلك ولكن فيما يأذن المعلّم في السؤال عنه فإنّ السؤال

(١) سورة (ق) : ٣٧ .
(٢) أرض دمثة اى سهلة لينة . و الغزير : الكثير .
(٣) الكهف : ٦٧ و ٦٨ .
(٤) النحل : ٤٣.

عمّا لم تبلغ رتبتك إلى فهمه مذموم و لذلك منع الخضر موسى عليهما السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه ، فالمعلّم أعلم بما أنت أهله و بأوان الكشف و ما لم يدخل أوان الكشف في كلّ درجة من مراقي الدّرجات لا يدخل أوان السؤال عنه .

و قد قال علي عليه السلام : « إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنّته في الجواب ، و لا تلحّ عليه إذا كسل ، و لا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفش له سرّاً ، ولا تغتابنّ عنده أحداً ، و لا تطلبنّ عثرته ، و إن زلّ قبلت معذرته ، و عليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته » (١).

الرابعة أن يحترز الخائض في العلم في مبدء الأمر عن الإصغاء إلى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدّنيا أو من الآخرة ، فإنّ ذلك يدهش عقله ، و يحيّر ذهنه ، و يفتر رأيه ، و يؤيسه عن الإدراك و الاطّلاع ، بل ينبغي أن يتقن أوّلاً الطريقة الواحدة الحميدة المرضيّة عند اُستاده ، ثمّ بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه ، و إن لم يكن اُستاده مستقلاً باختيار رأي واحد وإنّما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فإنّ إضلاله أكثر من إرشاده ولا يصلح الأعمى لقود العميان و إرشادهم ، و من هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة و تيه الجهل ، و منع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفّار ، و ندب القويّ إلى النظر في الاختلافات يضاهي حثّ القويّ على مخالطة الكفّار ، و لذلك يمنع العاجز عن التهجّم على صفّ الكفّار و يندب الشجاع إلى ذلك ، و من الغفلة عن هذه الدقيقة ظنّ بعض الضعفاء أنّ الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز و لم يدر أنّ وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء ، و لذلك قال بعضهم : من رآني في البداية صار صدّيقاً و من رآني في النهاية صار زنديقاً ، إذ النهاية تردّ الأعمال إلى الباطن و تسكّن الجوارح إلّا عن رواتب الفرائض فيتراءى إلى الناظر أنّها بطالة و كسل و إهمال و هيهات فذلك مرابطة للقلب في عين الشهود و الحضور و ملازمة للذّكر الّذي هو أفضل الأعمال على الدّوام و بمثل

(١) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص٦٥ ، و روى نحوه الشيخ المفيد فى الارشاد ص ١١١ .

هذا جوّز للنبيّ ﷺ مالا يجوّز لغيره حتّى أُبيح له تسع نسوة إذ كان له ﷺ من القوّة ما يتعدّي منه صفة العدل إلى نسائه و إن كثرن و أمّا غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدّي ما بينهنّ من الضرار إليه حتّى ينجرّ إلى معصية الله تعالى في طلب رضاهنّ، فما أفلح من قاس الملائكة بالحدّادين.

الخامسة أن لايدع طالب العلم فنّاً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعها إلّا و ينظر فيه نظراً يطّلع منه على مقصد ذلك العلم و غايته، ثمّ إن ساعده العمر طلب التبحّر فيه و إلّا اشتغل بالأهمّ منه فاستوفاه و تطرّف من البقيّة فإنّ العلوم متعاونة و بعضها مرتبط بالبعض و يستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله. فإنّ الناس أعداء ما جهلوا، قال الله تعالى: «و إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» (١) و قال الشاعر:

و من يك ذا فم مرّ مريض　＊　يجد مرّاً به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها، إمّا سالكة بالعبد إلى الله تعالى، وإمّا معينة على السلوك نوعاً من الإعانة، و لها منازل مرتّبة في القرب و البعد من المقصود، و القوّام بها حفظة كحفظة الرباطات و الثغور، و لكلّ واحد رتبة وله بحسب درجته أجرٌ في الآخرة إن قصد به وجه الله تعالى جلّ جلاله.

السادسة أن لا يأخذ فرقة (٢) من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي القريبة فإنّ العمر إذا كان لا يتّسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كلّ شيء أحسنه ويكتفي منه بشمّه و يصرف جمام قوّته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الّذي هو أشرف العلوم و هو علم الآخرة، أعني قسمي المعاملة و المكاشفة، فغاية المعاملة المكاشفة، و غاية المكاشفة معرفة الله تعالى، ولست أعني به الاعتقاد الّذي تلقّفه العاميّ وراثة أو تلقّفاً، ولاطريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم (٣)

---

(١) الاحقاف: ١١.

(٢) في بعض نسخ الاحياء «أن لا يخوض في فن».

(٣) راوغه مراوغة: صارعه و خادعه، راوغه على الامر: راوده، راوغ القوم: طلب بعضهم بعضاً على وجه المكر.

كما هو غاية المتكلّم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهّر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث ، وعلى الجملة فأشرف العلوم و غايتها معرفة الله عزّ و جلّ و هو بحر لايدرك منتهى غوره و أقصى درجات البشر رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم ثمّ الأولياء ثمّ الّذين يلونهم ، وقد روي أنّه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبّدين في مسجد و في يد أحدهما رقعة و فيها «إن أحسنت كلّ شيء فلاتظنّنّ أنّك أحسنت شيئاً حتّى تعرف الله تعالى و تعلم أنّه مسبّب الأسباب و موجد الأشياء» ؛ و في يد الآخر «كنت قبل أن أعرف الله سبحانه أشرب وأظمأ حتّى إذا عرفته رويت بلاشرب» .

السابعة أن يعرف السبب الّذي به يدرك شرف العلوم و أنّ ذلك يراد به شيئان أحدهما شرف الثمرة و الثاني وثاقة الدليل وقوّته ، و ذلك كعلم الدين و علم الطبّ ، فإنّ ثمرة أحدهما الحياة الأبديّة وثمرة الآخر الحياةالفانية ، فيكون علم الدّين أشرف و مثل علم الحساب و علم الطبّ فإنّ الحساب أشرف لوثاقة أدلّته و قوّتها و إذا نسب الحساب إلى الطبّ كان الطبّ أشرف باعتبار ثمرته و الحساب أشرف باعتبار أدلّته و ملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطبّ أشرف و إن كان أكثره بالتخمين و. بهذا يتبيّن أنّ أشرف العلوم العلم بالله سبحانه و ملائكته و كتبه و رسله و العلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم ، فإيّاك وأن ترغب إلّا فيه و تحرص إلّا عليه .

الثامنة أن يكون قصد المتعلّم في الحال تحلية باطنه و تجميله بالفضيلة و في المآل القرب من الله عزّوجلّ والترقّي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة و المقرّبين ، ولايقصد به الرئاسة و المال و مماراة السفهاء ومباهات الأقران ، و إذاكان هذا مقصده طلب لامحالة الأقرب إلى مقصوده و هو علم الآخرة ، و مع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعني علم الفتاوي و علم النحو و اللّغة المتعلّقين بالكتاب و السنّة و غيرهما ممّا أوردناه في المقدّمات و المتمّمات من ضروب العلم الّتي هي فرض كفاية ؛ و لاتفهمنّ من غلوّنا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفّلون بالعلوم كالمتكفّلين بالثغور و المرابطين لها و الغزاة المجاهدون في سبيل الله عزّ وجلّ و منهم المقاتل و منهم الردء و منهم الّذي يسقيهم الماء و منهم الّذي يحفظ دوابّهم و لاينفكّ واحد منهم عن

الأجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء، قال الله عزّ وجلّ: « يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات »(١) وقال عزّ وجلّ: « هم درجات عند الله »(٢) و الفضيلة نسبيّة واستحقارنا المصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدلّ على حقارتهم إذا قيسوا بالكنّاسين ولا تظنّنّ أنّ ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر، بل الرتبة العليا للأنبياء صلوات الله عليهم، ثمّ للأولياء، ثمّ للعلماء الراسخين، ثمّ للصالحين على تفاوت درجاتهم، و بالجملة « من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره » و من قصد الله عزّ و جلّ بالعلم أيّ علم كان نفعه ورفعه لا محالة.

التاسعة أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيلا يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهمّ على غيره ومعنى المهمّ ما يهمّك ولا يهمّك إلّا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا و نعيم الآخرة كما نطق به القرآن و شهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان، فالأهمّ ما يبقى أبد الآباد و عند ذلك تصير الدنيا منزلاً و البدن مركباً و الأعمال سعياً إلى المقصد و لا مقصد إلّا لقاء الله عزّ و جلّ ففيه النعيم كلّه و إن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلّا الواصلون و هم الأقلّون، والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله عزّ وجلّ و النظر إلى وجهه الكريم أعني النظر الّذي طلبه الأنبياء صلوات الله عليهم وفهموه دون ما يسبق إلى أفهام العوام والمتكلّمين على ثلاث مراتب تفهّمها بالموازنة بمثال و هو أنّ العبد الّذي علّق عتقه وتمكينه من الملك على الحجّ وقيل له: إن حججت و تمّمت وصلت إلى الملك و العتق جميعاً و إن ابتدأت بطريق الحجّ و الاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروريّ فلك العتق و الخلاص من شقاء الرقّ فقط دون سعادة الملك، فله ثلاثة أصناف من الشغل: الأوّل تهيئة الأسباب بشراء الراحلة وخرز الراوية(٣) و إعداد الزاد، الثاني السلوك و مفارقة الوطن بالتوجّه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل، و الثالث الاشتغال بأعمال الحجّ ركناً بعد ركن ثمّ بعد النزوع عن هيئة الإحرام وطواف

---

(١) المجادلة: ١١.

(٢) آل عمران: ١٦٣.

(٣) فى بعض النسخ [حرز الراوية].

الوداع استحق التعرّض للملك والسلطنة وله في كلّ مقام منازل من أوّل إعداد الأسباب إلى آخره، و من أوّل سلوك البوادي إلى آخره، و من أوّل أركان الحجّ إلى آخرها، وليس قرب من ابتدأ بأركان الحجّ من السعادة كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه.

فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام: قسم يجري مجرى إعداد الزاد و الراحلة و شراء الناقة و هو علم الطبّ و الفقه و ما يتعلّق بمصالح البدن في الدنيا، وقسم يجري مجرى سلوك البوادي و قطع العقبات و هو تطهير الباطن عن كدورات الصفات بطلوع تلك العقبات الشامخة الّتي عجز عنها الأوّلون و الآخرون إلّا الموفّقين فهذا سلوك للطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق و منازله، و كما لايغني علم المنازل و طرق البوادي دون سلوكها فكذلك لايغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، لكنّ المباشرة دون العلم غير ممكن، و قسم ثالث يجري مجرى نفس الحجّ و أركانه و هو العلم بالله عزّ وجلّ و صفاته و أفعاله و ملائكته و جميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة و ههنا النجاة و الفوز بالسعادة، فالنجاة حاصلة لكلّ سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد و هو السلامة و أمّا الفوز بالسعادة فلا يناله إلّا العارفون فهم المقرّبون و المنعّمون في جوار الله عزّ وجلّ بالرّوح والريحان و جنّة نعيم، وأمّا الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة و السلامة كما قال الله تعالى: «فأمّا إن كان من المقرّبين فروح و ريحان وجنّة نعيم * و أمّا إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين»[١] و كلّ من لم يتوجّه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لاعلى قصد الامتثال و العبوديّة بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال و من الضالّين فله «نزل من حميم * وتصلية جحيم»[٢].

٭ (بيان وظائف المرشد المعلم) ٭

اعلم أنّ للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال

(١) الواقعة: ٩٠ و ٩١.

(٢) الواقعة: ٩٢و٩٣ و فيها «فنزل من حميم».

حال استفادة فيكون مكتسباً ، و حال إدّخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال ، و حال إنفاق على نفسه فيكون به منتفعاً ، وحال بذل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب و اكتساب ، و حال تحصيل يغني عن السؤال ، و حال استبصار و هو التفكر في المحصّل و التمتع به ، و حال تبصير و هو أشرف الأحوال فمن علم و عمل وعلّم فذلك الّذي يدعا عظيماً في ملكوت السماوات فإنّه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة و كالمسك الّذي يطيب غيره و هو طيب و الّذي يعلم و لا يعمل به كالدفتر الّذي يفيد غيره و هو خال عن العلم ، وكالمسنّ الّذي يشحذ غيره و هو لايقطع ، والأبرة الّتي تكسو غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق ، وفي مثله قيل :

و ما هو إلّا ذبالةٌ وَقَدَت * تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلّد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه .

الوظيفة الأولى الشفقة على المتعلّمين و أن يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّما أنا لكم مثل الوالد لولده » (١) فإنّ قصده إنقاذهم من نار الآخرة وذلك أهمّ من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، و لذلك صار حقّ المعلّم أعظم من حقّ الوالدين فإنّ الوالد سبب الوجود الحاضر و الحياة الفانية و المعلّم سبب الحياة الباقية و لو لا المعلّم لانساق ما حصل من جهة الوالد إلى الهلاك الدائم ، و إنّما المعلّم هو المفيد للحياة الاُخرويّة الدائمة أعني معلّم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأمّا التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك ـ نعوذ بالله منه ـ ، و كما أنّ حقّ أبناء الرجل الواحد أن يتحابّوا و يتعاونوا على المقاصد فحقّ تلامذة الرجل الواحد التحابّ ، ولايكون إلّا كذلك إن كان مقصودهم الآخرة ، ولايكون إلّا التحاسد والتباغض

(١) أخرجه الدارمي ج١ ص ١٧٢ بلفظه عن أبي هريرة ، وابوداود في سننه ج ١ ص ٢ عن سلمان و فيه « انما انالكم بمنزلة الوالد أعلمكم ، فاذا أتى أحدكم الغائط فلايستقبل القبلة ولايستدبرها ولايستطيب بيمينه » . وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه و أحمد في مسنده والنسائي عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير باب الالف و مشكاة المصابيح ج١ ص ٤٢ .

إن كان مقصدهم الدنيا ، فإنّ العلماء و أبناء الآخرة مسافرون إلى الله عزّ وجلّ وسالكون إليه الطريق ، و الدّنيا و سنوها و شهورها منازل الطريق و الترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادّ و التحابّ ، فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى و الترافق في طريقه و لا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لايكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا ، فلذلك لا ينفكّ عن ضيق التزاحم و العادلون إلى طلب الرئاسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله عزّ و جلّ : «إنّما المؤمنون إخوة»[١] وداخلون في مقتضى قوله عزّ وجلّ : «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين»[٢].

الثانية أن يقتدي بصاحب الشرع ﷺ فلا يطلب على إفاضة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكوراً بل يعلّم لوجه الله تعالى و طلباً للتقرّب إليه ، فلا يرى لنفسه منّة عليهم و إن كانت المنّة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذّبوا قلوبهم لأن يتقرّب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالّذي يعيرك أرضاً لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض إذ تقلّده منّة منه وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلّم عند الله عزّ و جلّ ، و لولا المتعلّم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلّا من الله سبحانه قال الله تعالى : «قل لا أسئلكم عليه أجراً»[٣] فإنّ المال و ما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيّتها ، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادماً و الخادم مخدوماً و ذلك هو الانتكاس على أمّ الرأس[٤] و مثله هو الّذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربّهم ، و على الجملة فالفضل و المنّة للمعلّم و انظر كيف انتهى أمر الّذين يزعمون أنّ مقصود هم التقرّب إلى الله عزّ وجلّ بما هم فيه من علم الفقه و الكلام و التدريس فيهما و في غيرهما ، فإنّهم يبذلون المال و الجاه و يتحمّلون أصناف الذلّ في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات و لو تركوا ذلك

(١) الحجرات : ١٠ .
(٢) الزخرف : ٦٧ .
(٣) الانعام : ٩٠ .
(٤) انتكس المريض وقع على رأسه .

لتركوا ولم يختلف إليهم أحدٌ، ثمّ يتوقّع المعلّم من المتعلّم أن يقوم له في كلّ نائبة و ينصر وليّه و يعادي عدوّه وينتهض جهاراً له في حاجاته و مسخّراً بين يديه في أوطاره فإن قصّر في حقّه ثار عليه و صار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثمّ لايستحيي من أن يقول: غرضي من التدريس نشر العلم تقرّباً إلى الله عزّ و جلّ و نصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتّى ترى ضروب الاغترارات.

الثالثة أن لا يدّخر من نصح المتعلّم شيئاً، و ذلك بأن يمنعه من التصدّي لرتبة قبل استحقاقها و التشاغل بعلم خفيّ قبل الفراغ من الجليّ، ثمّ ينبّهه على أنّ مطلب العلوم القرب من الله عزّ وجلّ دون الرئاسة و المباهات و المنافسة و يقرّر ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر ممّا يفسده فإن علم من باطنه أنّه لا يطلب العلم إلّا للدنيا نظر إلى العلم الّذي يطلبه فإن كان من علوم الدنيا المتعلّقة بالدين فيمنعه من ذلك لأنّه ليس من العلوم الّتي قيل فيها: تعلّمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلّا لله، و إن كان من علوم الآخرة ولكن قصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنّه يتشمّر له طمعاً (١) في الوعظ و الاستتباع ولكن يتنبّه في أثناء الأمر أو آخره لما يعرف من الأمور المخوفة من الله سبحانه، المحقّرة للدنيا، المعظّمة للآخرة و ذلك يوشك أن يردّ إلى الصواب بالآخرة حتّى يتّعظ بما يعظ به غيره و يجري حبّ القبول و الجاه مجرى الحبّ الّذي ينثر حول الفخّ ليقتنص به الطير وقد فعل الله عزّ و جلّ ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل، و خلق أيضاً حبّ الجاه ليكون سبباً لإحياء العلوم، و هذا متوقّع في علم التفسير و الحديث و معرفة أخلاق النفس و كيفيّة تهذيبها ونحو ذلك، فأمّا مجادلات المتكلّمين و معرفة التفريعات و نحوها فلا يزيد التجرّد لها مع الإعراض عن غيرها إلّا قسوة في القلب و غفلة عن الله سبحانه و تمادياً في الضلال و طلباً للجاه إلّا من تداركه الله برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينيّة ولابرهان على هذا كالتجربة و المشاهدة، فانظر واعتبر و استبصر لتشاهد تحقيق ذلك في البلاد و العباد، والله المستعان.

---

(١) في بعض نسخ الاحياء «فانه يشمر له طمعاً».

وقد روئي بعض العلماء حزيناً فقيل له : مالك ؟ فقال : صرنا متجراً لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتّى إذا تعلّم جعل عاملاً أو قاضياً أوقهرماناً .

الرابعة و هي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلّم من سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرّح و بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيّج الحرص على الإصرار قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و هو مرشد كلّ معلّم : «لو منع الناس عن فتّ البعر لفتّوه و قالوا : ما نهينا عنه إلّا و فيه شيء » و ينبّهك على هذا قصّة آدم وحوّاء عليهما السلام و ما نهيا عنه فما ذكرت القصّة معك لتكون سمراً بل لتتنبّه بها على سبيل العبرة و لأنّ التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة و الأذهان الزكيّة إلى استنباط معاني ذلك فيفيد فرح التفطّن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم أنّ ذلك ممّا لا يعزب عن فتنة .

الخامسة أنّ المتكفّل ببعض العلوم لا ينبغي أن يقبح في نفس المتعلّم العلوم الّتي وراءه كمعلّم اللّغة إذ عادته تقبيح الفقه و معلّم الفقه عادته تقبيح الحديث و التفسير وأنّ ذلك نقل محض و سماع مجرّد و هو شأن العجايز و لا نظر للعقل فيه ، و معلّم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : هو فرع و كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفات الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلّمين ينبغي أن يجتنب بل المتكفّل بعلم واحد ينبغي أن يوسّع على المتعلّم طريق التعلّم في غيره و إن كان متكفّلاً بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلّم من رتبة إلى رتبة .

السادسة أن يقتصر بالمتعلّم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداءً في ذلك بسيّد البشر صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال : « نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن ننزّل الناس منازلهم ونكلّم الناس على قدر عقولهم »(١) .

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « ما أحد يحدّث قوماً بحديث لا يبلغه عقولهم إلّا كان فتنة على

---

(١) قال العراقي : الحديث رويناه في جزء من حديث ابي بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه وعند ابي داود من حديث عائشة «انزلوا الناس منازلهم» انتهى و أخرج شطره الاخير الكليني في الكافي ج١ ص ٢٣ والصدوق في الامالي ص٢٥٠.

بعضهم »[١].

و قال علي عليه السلام و أشار إلى صدره : «إنّ ههنا علوماً جمّة ، لو وجدت لها حملة»[٢] و صدق علي عليه السلام فقلوب الأبرار قبور الأسرار ، فلاينبغي أن يفشي العالم كلّما يعلمه إلى كلّ أحد ، هذا إذاكان يفهمه المتعلّم و لم يكن أهلاً للانتفاع به فكيف فيما لايفهمه و قد قال عيسى عليه السلام : « لا تعلّقوا الجواهر في أعناق الخنازير ، فإنّ الحكمة خير من الجواهر و من كرهها فهو شرّ من الخنزير[٣] » فلذلك قيل : كِل لكلّ عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان عمله[٤] حتّى تسلم منه وينتفع بك و إلّا وقع الإنكار لتفاوت المعيار ، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب ، فقال السائل : أما سمعت قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»[٥] فقال : اترك اللّجام و اذهب فإن جاء من يفقه و كتمته فليلجمني ، وفي قول الله عزّ وجلّ : « ولاتؤتوا السفهاء أموالكم»[٦] تنبيه على أنّ حفظ العلم ممّن يفسده ويضرّه أولى و ليس الظلم في إعطاء غير المستحقّ بأقلّ من الظلم في منع المستحقّ كما قيل :

و من منح الجهّال علماً أضاعه ✻ ومن منع المستوجبين فقدظلم

السابعة أنّ المتعلّم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلّي اللّائق به و لايذكر له أنّ وراء هذا تدقيقاً و هويدّخره عنه فإنّ ذلك يفتر رغبته في الجليّ و يشوّش قلبه و يوهم إليه البخل به عنه إذ يظنّ كلّ أحد أنّه أهل لكلّ علم دقيق فما من أحد إلّا و هو راض عن الله عزّ و جلّ في كمال عقله و أشدّهم حماقة و أضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله و بهذا يعلم أنّ من تقيّد من العوام بقيد الشرع و رسخت في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه و من غير تأويل و حسنت مع ذلك سيرته و لم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلاينبغي أن يشوّش عليه اعتقاده ، بل ينبغي أن يخلّي و حرفته فإنّه لو

---

(١) اخرجه مسلم فى مقدمة الصحيح ص ٩ .
(٢) مر بلفظ آخر فى حديث كميل بن زياد .
(٣) أخرجه ابن عبد البر فى العلم بنحو أبسط كما فى المختصر ص ٥٦ .
(٤) فى الاحياء « بميزان فهمه » .
(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٦٤ . (٦) النساء : ٥ .

ذكر له تأويلات الظواهر انحلّ عنه قيد العوام و لم يتيسّر تقييده بقيد الخواصّ فيرتفع السدّ الّذي بينه و بين المعاصي ، و ينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه و غيره ، بل لاينبغي أن يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات و تعليم الأمانة في الصناعة الّتي هو بصددها و يملأ قلبه من الرغبة و الرهبة بالجنّة والنّار كما نطق به القرآن و لايحرّك عليه شبهة فإنّه ربّما تعلّق الشبهة بقلبه و يعسر حلّها فيشقى و يهلك .

و بالجملة فلاينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنّه يعطّل عليهم صناعاتهم الّتي بها قوام الخلق و دوام عيش الخواصّ .

الثامنة أن يكون المعلّم عاملاً بعلمه فلايكذّب قوله بفعله لأنّ العلم يدرك بالبصائر و العمل بالأبصار و أرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل بالعلم منع الرشد و كلّ من تناول شيئاً و قال للناس : لاتناولوه فإنّه سمٌّ مهلك سخر الناس به و اتّهموه و زاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لو لا أنّه أطيب الأشياء وألذّها لما كان يستأثر به ، و مثل المعلّم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين و العود من الظلّ و كيف ينقش الطين بما لانقش فيه و كيف استوى الظلّ و العود أعوج ولذلك قيل :

لا تنه عن خُلق وتأتي مثله * عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم

و قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم »(١) و لذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر إذ يزلّ بزلّته عالم كثير يقتدون به « ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها»(٢) و لذلك قال علي عليه السلام : « قصم ظهري رجلان عالم متهتّك و جاهل متنسّك ، فالجاهل يغرّ الناس بتنسّكه و العالم ينفرهم بتهتّكه»(٣) .

---

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم : ٢٠٣

(٣) غوالى اللئالى كما فى كتاب النوادر فى جمع الاحاديث للمؤلف ص ١٨ . و روى مضمونه الصدوق - رحمه الله - بنحو أبسط فى الخصال باب الاثنين .

الباب السادس

في آفات العلم و بيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء ، قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم و العلماء و قد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنّهم أشدّ الخلق عذاباً يوم القيامة ، فمن المهمّات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الّذين قصدهم من العلم التنعّم بالدنيا و التوصّل إلى الجاه والمنزلة عندأهلها ، قال النبي ﷺ : «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»(١) .

و يروى عنه ﷺ أنّه قال : « لا يكون المرء عالماً حتّى يكون بعلمه عاملاً»(٢)

و قال ﷺ : «العلم علمان علم على اللّسان فذلك حجّة الله عزّ وجلّ على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع»(٣) .

وقال ﷺ : «يكون في آخر الزمان عبّاد جهّال وعلماء فسّاق »(٤) .

وقال ﷺ : « لا تتعلّموا العلم لتباهوا به العلماء و لتماروا به السفهاء و لتصرفوا وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النّار»(٥) .

و قال ﷺ : «من كتم علماً عنده اُلجم بلجام من نار» (٦) .

و قال ﷺ : « لا نأمن غير الدجّال أخوف عليكم من الدجال ، فقيل : وما ذاك ؟ فقال : أئمّة مضلّون»(٧) .

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير و ابن عدى في الكامل والبيهقي في شعب الايمان كما في الجامع الصغير باب الالف .

(٢) قال العراقي : أخرجه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفاً .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في العلم بتقديم وتأخير كما في المختصر ص ٩٠ والدارمي ج ١ ص ١٠٢. (٤) أخرجه الحاكم من حديث أنس كما في المغني .

(٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢٥٩ . والدارمي في سننه ج١ ص ١٠٤ عن مكحول .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١ ص ١٠٢ .

(٧) أخرجه احمد في مسنده ج٥ ص١٤٥ من حديث أبي ذر بادنى اختلاف في اللفظ .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ازداد علماً و لم يزدد هدى لم يزدد من الله إلّا بعداً»[١].

و قال عيسى عليه السلام: «إلى متى تصفون الطريق للمدلجين و أنتم مقيمون مع المتحيّرين»[٢].

فهذا و غيره من الأخبار يدلّ على عظم خطر العلم و أنّ العالم إمّا متعرّض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وأنّه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة.

أقول ومن طريق الخاصّة ما رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي[٣] بإسناده عن سليم ابن قيس الهلالي «قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال في كلام له: العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، و عالم تارك لعلمه فهذا هالك وإنّ أهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، و إنّ أشدّ أهل النّار ندامة و حسرة رجلٌ دعا عبداً إلى الله فاستجاب له و قبل منه فأطاع الله و أدخله الله الجنّة و أدخل الدّاعي النّار بتركه علمه و اتّباعه الهوى و طول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل يُنسي الآخرة».

و بإسناده عنه «قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: منهومان[٤] لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلّ الله له سلم ومن تناولها من غير حلّها هلك إلّا أن يتوب أو يراجع، و من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجى ومن أراد به الدّنيا فهي حظّه»[٥].

و بإسناده عن محمّد بن خالد رفعه «قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به على المنبر: أيّها النّاس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون، إنّ العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الّذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت أنّ الحجّة عليه أعظم و الحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحيّر في جهله

---

(١) اخرجه الديلمى فى الفردوس عن على عليه السلام كما فى الجامع الصغير باب الميم وفيه «و لم يزدد فى الدنيا زهداً» مكان «هدى».

(٢) لم نجده فى اى أصل.

(٣) فى المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ١.

(٤) اى حريصان.

(٥) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ١.

و كلاهما حائر بائر ، لا ترتابوا فتشكّوا ولا تشكّوا فتكفروا ، و لا ترخّصوا لأنفسكم فتدهنوا ، و لا تدهنوا في الحقّ فتخسروا ، وإنّ من الحقّ أن تفقّهوا ، و من الفقه أن لا تغترّوا ، و أنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه ، و أغشّكم لنفسه أعصاكم لربّه ، و من يطع الله يأمن و يستبشر و من يعص الله يخب ويندم » (١) .

و بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : « جاء رجل إليه فسأله عن مسائل فأجاب ، ثمّ عاد ليسأل عن مثلها فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون و لمّا تعملوا بما علمتم ، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً و لم يزدد من الله إلّا بعداً » (٢) .

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه النّاس إليه فليتبوّء مقعده من النّار إنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها » (٣) .

و بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل و من عمل علم ، و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه » (٤) .

وعنه عليه السلام قال : « إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا » (٥) .

و عنه عليه السلام قال : « من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا و الآخرة » (٦) .

وعنه عليه السلام قال : « إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبّ للشيء يحوط ما أحبّ » (٧) .

---

(١) المجلد الاول ص ٤٥ تحت رقم ٦ .
(٢) المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ٤ .
(٣) المجلد الاول ص ٤٧ تحت رقم ٦ .
(٤) المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ٢ .
(٥) المجلد الاول ص ٤٤ تحت رقم ٣ و الصفا : الحجر الاملس .
(٦) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٢ .
(٧) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٤ وأخرجه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ٩٢ .

وقال عليه السلام: « أوحى الله إلى داود عليه السلام لا تجعل بيني و بينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أُولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم»[١].

و عنه عليه السلام قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفقهاء أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتّباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»[٢].

و عنه عليه السلام قال: «طلبة العلم ثلاثة فأعرفهم بأعيانهم[٣] و صفاتهم: صنف يطلبه للجهل و المراء، و صنف يطلبه للاستطالة والخَتَل، و صنف يطلبه للفقه و العقل، فصاحب الجهل و المراء مؤذ ممار متعرّض للمقال في أندية الرجال[٤] بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع[٥] فدقّ الله من هذا خيشومه و قطع منه حيزومه[٦] و صاحب الاستطالة والختل ذوخِبّ و ملق[٧] يستطيل على مثله من أشباهه و يتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره و قطع من آثار العلماء أثره، و صاحب الفقه والعقل ذوكآبة وحزن وسهر قدتحنّك في برنسه و قام اللّيل في حندسه[٨] يعمل و يخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل

---

(١) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٤، و أخرجه ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٢.

(٢) المجلد الاول ص ٤٦ تحت رقم ٥.

(٣) اى باقسامهم.

(٤) الاندية: المجلس.

(٥) تسربل اى لبس السربال و فى الامالى «بالتخشع» و التخشع تكلف الخشوع و «تخلى» اى خلى جداً.

(٦) الحيزوم ما استدار بالظهر والبطن او ضلع الفؤاد او ماا كتنف بالحلقوم من جانب الصدر، والخيشوم: اقصى الانف و هما كنايتان اما عن اذ لاله أو كنايتان عن قطع حياته و الثاني أقرب.

(٧) الخب - بالكسر -: الخدعة.

(٨) كآبة - بالتحريك والمد والتسكين -: سوء الحال والانكسار من شدة الحزن و قوله عليه السلام: «تحنك فى برنسه» اى تعمد للعبادة و توجه اليها و صار فى ناحيتها و تجنب الناس وصار فى ناحية منهم، وتبرنس الرجل اذا لبس البرنس. و «قام الليل فى حندسه» اى فى ظلامه، والحندس - بكسر الحاء - الظلمة.

زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه و أعطاه يوم القيامة أمانه»(١).

وعنه عليه السلام «قال: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»(٢).

وعنه عليه السلام «قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: ويل للعلماء السوء كيف تلظّى عليهم النّار»(٣).

و روى الصدوق في كتاب الخصال(٤) باسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ من العلماء من يحبّ أن يجمع علمه ولا يحبّ أن يؤخذ عنه فذاك في الدّرك الأوّل من النّار، و من العلماء من إذا وُعظ أنف و إذا وعظ عنف(٥) فذاك في الدرك الثاني من النّار، و من العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة و الشرف و لا يرى له في المساكين وضعاً فذلك في الدّرك الثالث من النّار، و من العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة و السلاطين فإن ردّ عليه من قوله أو قصّر(٦) في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النّار، و من العلماء من يطلب أحاديث اليهود و النصارى ليغزر به علمه(٧) و يكثر به حديثه فذلك في الدّرك الخامس من النّار، و من العلماء من يضع نفسه للفتيا و يقول: سلوني و لعلّه لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحبّ المتكلّفين فذاك في الدّرك السادس من النّار، و من العلماء من يتّخذ العلم مروّة و عقلاً(٨) فذاك في الدّرك السابع من النّار».

---

(١) المجلد الاول ص ٤٩ تحت رقم ٥ .

(٢) المجلد الاول ص ٤٧ تحت رقم ١ .

(٣) المجلد الاول ص ٤٧ تحت رقم ٢ .

(٤) ابواب السبعة .

(٥) «من اذا وعظ» ـ على المجهول ـ أنف اى استكبر عن قبول الوعظ . «واذا وعظ» ـ على المعلوم ـ عنف أى جاوز الحد ، والعنف ضد الرفق .

(٦) «او قصر» ـ على المجهول من باب التفعيل ـ اى ان وقع التقصير من احدفى شيء من أمره كاكرامه و الاحسان اليه غضب .

(٧) «ليغزر» أى ليكثر .

(٨) أى يطلب العلم و يبذله ليعده الناس من اهل المروءة والعقل (قاله العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ فى البحار ج٢ ص ١٠٩).

فصل

قال أبو حامد: «و إنّما يضاعف عذاب العالِم في معصيته لأنّه عصى عن علم و لذلك قال الله عزّ وجلّ: «إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار» (١) لأنّهم جحدوا بعد العلم، و جعل اليهود شرّاً من النصارى مع أنّهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا: إنّه ثالث ثلاثة (٢)، و لكنّهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال تعالى: «يعرفونه كما يعرفون أبنائهم» (٣)، و قال عزّ و جلّ: «فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به» (٤) و قال تعالى في قصّة بلعم بن باعورا: «واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - حتّى قال تعالى -: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث (٥) و ذلك للعالم الفاجر فإنّ بلعم كان اُوتي كتاب الله عزّ و جلّ فأخلد إلى الشهوات فشبّهه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

و قال عيسى عليه السلام: «مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لاهي تشرب الماء و لاهي تترك الماء يخلص إلى الزرع، و مثل علماء السوء كمثل قناة الحشّ ظاهرها جصّ وباطنها نتن (٦)، و مثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى» فهذه الأخبار و الآثار تبيّن أنّ العالم الّذي هو من أبناء الدنيا أخسّ حالاً و أشدّ عذاباً من الجاهل و أنّ الفائزين المقرّبين هم علماء الآخرة و لهم علامات فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإنّ أقلّ درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا و خسّتها و كدورتها، و انصرامها، و عظم الآخرة و دوامها و صفاء نعيمها و جلالة ملكها، و يعلم أنّهما متضادّتان، وأنّهما كالضرّتين مهما أرضيت إحديهما أسخطت الاُخرى، و أنّهما ككفّتي

---

(١) النساء: ١٤٤.

(٢) هو قول النسطورية والملكانية منهم القائلين بالاقانيم الثلاثة.

(٣) البقرة: ١٤١. (٤) البقرة: ٨٣.

(٥) الاعراف: ١٧٥. و اللهث في اللغة اخراج الكلب لسانه من فمه.

(٦) الحش - بالفتح -: الكنيف و موضع قضاء الحاجة. (النهاية)

ميزان مهما رجحت إحداهما خفّت الاُخرى، و أنّهما كالمشرق و المغرب متى قربت من إحديهما بعدت من الاُخرى، و أنّهما كقدحين أحدهما مملوٌ و الآخر فارغ فبقدر ما تصبّه منه في الآخر حتّى يمتلي يفرغ الآخر فإنّ من لا يعلم حقارة الدنيا و كدوراتها وامتزاج لذّتها بألمها ثمّ انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل، فإنّ المشاهدة و التجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له؟ و من لا يعلم عظم أمر الآخرة و دوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له؟ و من لا يعلم مضادّة الدنيا للآخرة و أنّ الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلّهم بل هو كافر بالقرآن من أوّله إلى آخره فكيف يعدُّ من زمرة العلماء؟ و من علم هذا كلّه ثمّ لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان، و قد أهلكته شهوته، و غلبت عليه شقوته. فكيف يعدُّ من أحزاب العلماء من هذه درجته؟.

و في أخبار داود عليه السلام «إنّ أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهواته على محبّتي أن اُحرّمه لذيذ مناجاتي، يا داود لاتسألنّ عنّي عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي أولئك قطّاع الطريق على عبادي»[1].

«يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، ياداود من ردَّ إليَّ هارباً كتبته جهبذاً، ومن كتبته جهبذاً لم اُعذّبه أبداً»[2].

ولذلك قيل: عقوبة العلماء موت قلوبهم، و موت قلوبهم طلب الدنيا بعمل الآخرة، و لذلك قال يحيى بن معاذ الرازي: إنّما يذهب بهاء العلم و الحكمة إذا طلبت بهما الدنيا، وكان يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصريّة، وبيوتكم كسرويّة، و أثوابكم طاهريّة، و أخفافكم جالوتيّة، ومراكبكم قارونيّة، و أوانيكم فرعونيّة، و مآتمكم جاهليّة، ومذاهبكم شيطانيّة، فأين المحمديّة؟ وأنشدوا:

---

(۱) رواه الصدوق فى العلل كما فى البحار ج۲ ص۱۰۷ وفيه «لاتجعل بينى وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك - الحديث -».

(۲) قوله: «جهبذاً» الجهبذ هو الناقد العارف البصير بتمييز الحق من الباطل، وفى بعض النسخ [جهيداً].

وراعي الشّاء يحمي الذئبَ عنها * فكيف إذا الرُّعاةُ لها ذئاب

و قيل :

يا معشر القرّاء يا ملح البلد * ما يصلح الملح إذا الملح فسد

و قيل لبعض العارفين : أترى أنّ من تكون المعاصي قرّة عينه لا يعرف الله ؟ قال : لاأشكّ أنّ من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنّه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ، ولا تظنّنّ أنّ ترك المال يكفي في اللّحوق بعلماء الآخرة فإنّ الجاه أضرّ من المال و لذلك قيل : «حدّثنا باب من أبواب الدنيا»[١] و إذا سمعت الرجل يقول : «حدّثنا» وإنّما يقول : أوسعوا لي .

وقيل : فتنة الحديث أشدّ من فتنة الأهل والمال والولد ، و قيل : العلم كلّه دنيا والآخرة منه العمل به ، والعمل كلّه هباء إلّا الإخلاص .

و قال عيسى عليه السلام : «كيف يكون من أهل العلم من يكون مسيره إلى آخرته و هو مقبل على دنياه ؟ و كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليخبر به لا ليعمل به[٢]» .

و عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «من طلب علماً ممّا يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنّة يوم القيامة»[٣] .

و قد وصف الله عزّ وجلّ علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم و وصف علماء الآخرة بالخشوع و الزهد فقال في علماء الدنيا : «و إذ أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً»[٤] و قال في علماء الآخرة : «و إنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله و ما أنزل إليكم و ما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربّهم»[٥] .

---

(١) قوله «حدثنا» يعني قول حدثنا فهو مبتدأ و «باب من أبواب الدنيا» خبره .

(٢) أخرج شطره الاول ابن الشيخ فى اماليه ص١٣٠ وتمامه الدارمى فى سننه ج١ص١٠٣ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ج ٢ ص٢٩٠ و أخرجه ابن عبد البر أيضاً فى العلم عن ابى هريرة كما فى المختصر ص ٩٠ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٩٩ .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام «قل للّذين يتفقّهون لغير الدين و يتعلّمون لغير العمل و يطلبون الدّنيا بعمل الآخرة و يلبسون للناس مسوك الكباش ، و قلوبهم كقلوب الذئاب ، وألسنتهم أحلى من العسل ، و قلوبهم أمرّ من الصبر إيّاي يخادعون ، وبي يستهزؤون : لأتيحنّ لهم فتنة تذر الحليم حيران»[١] إلى غير ذلك من الأخبار و الآثار .

ومنها أن لايخالف قوله فعله بل لايأمر بالشيء ما لم يكن هو أوّل عامل به .

قال الله تعالى : «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم»[٢] .

و قال عزّ وجلّ : «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون»[٣] .

و قال عزّ وجلّ في قصّة شعيب عليه السلام : «وما اُريد أن اُخالفكم إلى ما أنهيكم عنه»[٤] .

و قال تعالى : «و اتّقوا الله و يعلّمكم الله»[٥] «و اتّقوا الله و اعلموا»[٦] «واتّقوا الله و اسمعوا»[٧] .

و قال عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام : «يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ الناس وإلّا فاستحي منّي» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مررت ليلة اُسري بي بقوم كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم؟ فقالوا : إنّا كنّا نأمر بالخير و لانفعله و ننهى عن الشرّ ونفعله»[٨] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «هلاك اُمّتي عالم فاجر وعابد جاهل ، وشرّ الشرار شرار العلماء ، و خير الخيار خيار العلماء»[٩] .

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص٩٠ من حديث ابي الدرداء .
(٢) البقرة : ٤٤ . (٣) المؤمن : ٣٥ .
(٤) هود : ٨٨ . (٥) البقرة : ٢٨٢ .
(٦) البقرة : ١٩٦ . (٧) المائدة : ١٠٨ .
(٨) أخرجه ابن حبان من حديث أنس كما في المغنى .
(٩) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩١ .

و قال أبو الدرداء : ويل لمن لايعلم مرّة وويل لمن يعلم ولايعمل سبع مرّات[١].

و روى مكحول عن عبدالرحمن بن غنم أنّه قال : حدّثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّا كنّا ندرّس العلم في مسجد قُبا إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «تعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتّى تعملوا»[٢].

و قال عيسى عليه السلام : «مثل الّذي يتعلّم العلم و لا يعمل به كمثل امرأة زنت في السرّ فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد».

و قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : سيأتي على النّاس زمان تملح فيه عذوبة القلب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه و لا متعلّمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة و ذلك إن مالت قلوب العلماء إلى حبّ الدنيا و إيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة و يطفيء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنّه يخشى الله عزّ وجلّ بلسانه و الفجور بيّن في عمله، فما أخصب الألسن يومئذ و أجدب القلوب فو الله الّذي لا إله إلّا هو ما ذاك إلّا لأنّ المعلّمين علّموا لغير الله تعالى والمتعلّمين تعلّموا لغير الله تعالى.

و في الإنجيل مكتوب : «لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتّى تعملوا بما علمتم»[٣].

و قال حذيفة : إنّكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان من عمل بعشر ما علم نجى وذلك لكثرة البطّالين.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : «إنّ الشيطان ربّما سبقكم إلى العلم، فقيل : يا رسول الله و كيف ذلك؟ قال : يقول : اطلب العلم ولا تعمل حتّى تعلم فلا يزال في العلم قائلاً وللعمل مسوّفاً حتّى يموت و ما عمل»[٤].

---

(١) أورده ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٦ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٧ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٧ .

(٤) قال العراقى : الحديث فى الجامع من حديث أنس . انتهى . وفى الاحياء «ربما يسوفكم بالعلم» .

و قال ابن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية وإنّما العلم الخشية [(١)].

و قال: أُنزل القرآن ليعمل به فاتّخذتم دراسته عملاً و سيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم و العالم الّذي لا يعمل كالمريض الّذي يصف الدواء و لا يتداوي به و الجائع الّذي يصف لذائذ الأطعمة و لا يجدها و في مثله يقال: «و لكم الويل ممّا تصفون».

أقول: و من طريق الخاصّة ما رواه الكليني - رحمه الله - بإسناده عن الصادق عليه السلام «أنّه قال: إنّ رواة الكتاب كثير وإنّ رعاته قليل و كم من مستنصح للحديث مستغشّ للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية والجهّال يحزنهم حفظ الرواية فراع يرعي حياته و راع يرعي هلكته، فعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان» [(٢)].

وبإسناده عنه عليه السلام في قول الله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» [(٣)] قال: يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم» [(٤)].

وفي رواية أُخرى «و من لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع».

وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام [(٥)]: «أنّه قال: العالم حقّاً هو الّذي ينطق عنه أعماله الصالحة وأوراده الزاكية و صدقه و تقواه لا لسانه و تطاوله [(٦)] و دعواه، ولقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا الزّمان من كان فيه عقل و نسك و حكمة و حياء و خشية وإنّما نرى طالبه اليوم من ليس فيه من ذلك شيء، والعالم يحتاج إلى عقل و رفق وشفقة و نصح و حلم وصبر و بذل، والمتعلّم يحتاج إلى رغبة و إرادة و فراغ و نسك وخشية وحفظ وحزم».

و عنه عليه السلام «قال: أوحى الله عزّ وجلّ: إلى داود عليه السلام: أنّ أهون ما أنا صانع بعالم غير عامل بعلمه أشدّ من سبعين عقوبة باطنيّة أن أُخرج من قلبه حلاوة ذكري».

---

(١) أورده ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ١٠٨.

(٢) المجلد الاول ص ٤٩ تحت رقم ٦.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ٢. والرواية الاخرى ص ٤٥ رقم ٥.

(٥) الباب الثاني و الستون ص ٤١.

(٦) فى بعض النسخ [تصاوله].

ومنها [١] أن يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة ، المرغب في الطاعة ، متجنباً للعلوم التي يقل نفعها و يكثر فيها الجدال و القيل و القال ، فمثل من يعرض عن علم الأعمال و يشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة و قد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى عليه فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير و الأدوية وغرائب الطب و ترك مهمته الذي هو مؤاخذ به و ذلك محض السفه ، وقد روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : علمني من غرائب العلم ، فقال له : ما صنعت في رأس العلم ؟ قال : و ما رأس العلم ؟ قال : هل عرفت الرب ؟ قال : نعم ، قال : و ما صنعت في حقه ؟ قال : ماشاء الله ، قال ﷺ : هل عرفت الموت ؟ قال : نعم ، قال : فما أعددت له ؟ قال : ماشاء الله ، قال ﷺ : إذهب فأحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرائب العلم » .[٢]

بل ينبغي أن يكون التعلم من جنس ما روي عن بعض السلف أنه قال لاُستاده : منذ كم صحبتني؟ فقال : منذ ثلاث وثلاثين سنة ، قال : فما تعلمت مني في هذه المدة ؟ فقال : ثمان مسائل ، فقال الأستاد : إنا لله و إنا إليه راجعون ذهب عمري معك و لم تتعلم إلا ثمان مسائل : قال : يا اُستاد لم أتعلم غيرها و لا اُحب أن أكذب ، فقال له : هات الثمان مسائل حتى أسمعها ؟

قال : الاُولى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إليه فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي ، فقال : أحسنت .

فما الثانية ؟ قال : نظرت في قول الله عز و جل : « و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى »[٣] فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت علي طاعة الله تعالى .

الثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار

---

(١) من كلام أبى حامد .
(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٧ .
(٣) النازعات : ٤٠ .

رفعه و حفظه ، ثمّ نظرت في قول الله عزّ وجلّ : « ما عندكم ينفد و ما عند الله باق»[1] فكلّما وقع معي شيء له قيمة و مقدار وجّهته إليه ليبقى لي عنده .

الرابعة أنّي نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ واحد منهم يرجع إلى المال و الحسب و الشرف و النسب فنظرت فإذا هي لاشيء ثمّ نظرت إلى قول الله تعالى : « إنّ أكرمكم عند الله أتقيكم»[2] فعملت في التقوى حتّى أكون عند الله عزّ و جلّ كريماً .

الخامسة نظرت إلى هذا الخلق و هم يطعن بعضهم في بعض و يلعن بعضهم بعضاً و أصل هذا كلّه الحسد ، ثمّ نظرت فرجعت إلى قول الله سبحانه : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا»[3] فتركت الحسد و اجتنبت الخلق و علمت أنّ القسمة من عند الله سبحانه و تركت عداوة الخلق عنّي .

السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عزّ وجلّ : « إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً »[4] فعاديته وحده و اجتهدت في أخذحذري منه لأنّ الله تعالى شهد عليه أنّه عدوّي فتركت عداوة الخلق .

السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذلّ نفسه و يدخل فيما لايحلّ له ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « و ما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها »[5] فعلمت أنّي واحدٌ من هذه الدوابّ الّتي على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله عليّ و تركت مالي عنده .

الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكّلين هذا على ضيعته ، و هذا على تجارته ، و هذا على صناعته ، و هذا على صحّة بدنه ، و كلّ مخلوق يتوكّل على مخلوق فرجعت إلى قوله عزّ و جلّ : « و من يتوكّل على الله فهو حسبه »[6] فتوكّلت على الله فهو حسبي و نعم الوكيل .

قال الأُستاذ : وفّقك الله فإنّي نظرت في علم التوراة والإنجيل و الزبور و الفرقان

---

(١) النحل : ٩٦ . (٢) الحجرات : ١٣ .
(٣) الزخرف : ٣٢ . (٤) فاطر : ٦ .
(٥) هود : ٦ . (٦) الطلاق : ٣ .

العظيم وهي تدور على هذه المسائل الثمانية فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة،

أقول: و قد ينسب هذا إلى مولينا الصادق عليه السلام مع بعض تلامذته بأدنى تغيير في اللّفظ.

قال (١) : «فهذا الفنّ من العلم يهتمّ بإدراكه و التفطّن له علماء الآخرة و أمّا علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسّر به اكتساب المال و الجاه و يهملون أمثال هذه العلوم الّتي بها بعث الله الأنبياء عليهم السلام كلّهم، و قال الضحّاك بن مزاحم: أدركتهم و ما يتعلّم بعضهم من بعض إلّا الورع وهم اليوم يتعلّمون الكلام.

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفّه في المطعم، والتنعّم في الملبس، و التجمّل بالأثاث و المسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك و يتشبّه فيه بالسلف و يميل إلى الاكتفاء بالأقلّ في جميع ذلك و كلّما زاد إلى طرف القلّة ميله ازداد من الله سبحانه قربه و ارتفع في علماء الآخرة درجته، و يشهد لذلك ما حكي عن أبي عبدالله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصمّ قال: دخلت مع حاتم الريّ و معنا ثلاثمائة و عشرون رجلاً نريد الحجّ و عليهم الزرمانقات (٢) و ليس معهم جراب و لا طعام فدخلنا على رجل من التجّار متقشّف يحبّ المساكين فأضافنا تلك اللّيلة فلمّا كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإنّي أُريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل، فقال حاتم: عيادة المريض لها فضل و النظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضاً أجيىء معك و كان العليل محمّد بن مقاتل قاضي الريّ فلمّا جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكّراً يقول: باب عالم على هذه الحال، ثمّ أُذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء و إذابزة (٣) وسعة وستور، فبقي حاتم متفكّراً ثمّ دخلوا إلى المجلس الّذي هو فيه فإذا بفرش وطيئة و هو راقد عليها و عند رأسه غلام و بيده مذبّة (٤) فقعد الرّازي و سأل وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس،

---

(١) من كلام أبي حامد.

(٢) زرمانقة: جبة صوف.

(٣) دار قوراء أي واسعة، و البز: السلاح كالبزة، و البزة - بالكسر - الهيئة والسلاح (الصحاح).

(٤) المذبة ما يدفع به الذباب.

قال ، لا أجلس ، فقال : لعلّ لك حاجة ؟ فقال : نعم ، قال : ماهي ؟ قال مسئلة أسألك عنها ، قال : سلني ، قال : قم فاستو حتّى أسألك ، فاستوى ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ قال : الثقات حدّثوني به ، قال : عمّن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّن ؟ قال : عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال : و رسول الله عمّن؟ قال : عن جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى ، قال حاتم : ففيما أدّاه جبرئيل عن الله سبحانه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و أدّاه رسول الله إلى أصحابه و أصحابه أدّوه إلى الثقات و أدّاه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان داره دار أمير و كانت سعته أكثر كان له عندالله عزّ وجلّ المنزلة أكثر ؟ قال : لا ، قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة و أحبّ المساكين و قدّم لآخرته كان له عندالله تعالى المنزلة أرفع ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت ؟ أبالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه الصالحين أم بفرعون ونمرود ؟ أوّل من بنى بالجصّ و الآجر ، يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرّاً منه ، و خرج من عنده ، فازداد ابن مقاتل مرضاً و بلغ أهل الريّ ماجرى بينه و بين ابن مقاتل ، فقالوا : إنّ الطنافسيّ بقزوين أكثر شيئاً منه (١) فسار حاتم إليه متعمّداً فدخل عليه فقال : رحمك الله أنا رجل عجميّ أحبّ أن تعلّمني مبدأ ديني و مفتاح صلاتي كيف أتوضّأ للصلاة قال : نعم و كرامة يا غلام هات إناء فيه ماء ، فأُتي به فقعد الطنافسيّ و توضّأ ثلاثاً ثلاثاً ثمّ قال : هكذا توضّأ ، قال حاتم : مكانك حتّى أتوضّأ بين يديك فيكون أوكد لما أُريد ، فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضّأ ، ثمّ غسل ذراعين أربعاً فقال الطنافسي : أسرفت يا هذا ، قال له حاتم : فيماذا ؟ قال : غسلت ذراعك أربعاً ، قال : يا سبحان الله إنّي في كفّ ماء أسرفت و أنت في هذا الجمع كلّه لم تسرف ؟ فعلم الطنافسيّ أنّه قصد ذلك دون التعلّم ، فدخل إلى البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً .

فلمّا دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبدالرحمن أنت رجل ألكن عجميّ ليس يكلّمك أحد إلّا قطعته : قال : معي ثلاث خصال بهنّ أظهر على خصمي :

(١) في الاحياء « أكثر توسعاً » .

أفرح إذا أصاب خصمي ، و أحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي أن لاتجهل عليه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال : يا سبحان الله ما أعقله ؟! قوموا بنا إليه ، فلمّا دخلوا عليه قالوا : يا أباعبدالرحمن ما السّلامة من الدنيا ؟ قال : يا أبا عبدالله لا تسلم من الدنيا حتّى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، و تمنع جهلك ، و تبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيساً ، فإذا كنت هكذا سلمت .

ثمّ سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال : يا قوم أيّة مدينة هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى اُصلّي فيه ؟ قالوا : ماكان له قصر إنّما كان له بيت لاطىء بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه ؟ قالوا : ماكانت لهم قصور إنّما كانت لهم بيوت لاطئة ، فقال حاتم : يا قوم فهذه مدينة فرعون ، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا : هذا العجميّ يقول : هذه مدينة فرعون ، قال الواليّ : ولم ذاك ؟ قال حاتم : لاتعجل عليّ أنا رجل عجميّ غريب دخلت البلد فقلت : مدينة من هذه ؟ فقالوا : مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : أين قصره ؟ و قصّ القصّة ، ثمّ قال : و قد قال الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله اُسوة حسنة[1] » فأنتم بمن تأسّيتم ؟ أبرسول الله أم بفرعون أوّل من بنى بالجصّ و الآجر ؟ فخلّوا عنه و تركوه ـ هذه حكاية حاتم ـ .

و سيأتي من سيرة السلف في البذاذة و ترك التجمّل ما يشهد لذلك في مواضعه و التحقيق فيه أنّ التزيّن بالمباح ليس بحرام ولكنّ الخوض فيه يوجب الاُنس به حتّى يشقّ تركه و استدامة الزينة لا يمكن إلّا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة و مراعات الخلق ومراياتهم واُمور اُخرى محظورة ، والحزم اجتناب ذلك لأنّ من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتّة و لو كانت السلامة مبذولة مع الخوض في الدنيا لكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتّى نزع القميص المعلّم و نزع الخاتم الذّهب في أثناء الخطبة إلى غير ذلك ممّا سيأتي بيانه فالتعريج على التنعّم بالمباح خطره عظيم و هو بعيد من الخوف و الخشية و خاصيّة علماء الله سبحانه الخشية وخاصيّة الخشية التباعد من مظانّ الخطر.

---

(١) الاحزاب : ٢١ .

أقول : و ممّا يشهد لذلك مارواه السيّد الرضي - رحمه‌الله - في كتاب نهج‌البلاغة عن مولينا أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال في كلام له طويل[١]: «من عظمت الدنيا في عينه و كبر موقعها من قلبه آثرها على‌الله ، فانقطع إليها ، وصار عبداً لها . و لقد كان في رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله كاف لك في الأسوة ، و دليل لك على ذمّ الدنيا و عيبها ، و كثرة مخازيها[٢] و مساويها ، إذ قبضت عنه أطرافها ، و وطّئت لغيره أكنافها ، و فطم عن رضاعها ، وزوي عن زخارفها[٣] وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله عليه‌السلام إذيقول : «ربّ إنّي لماأنزلت إليّ من خير فقير» و الله ما سأله إلّا خبزاً يأكله لأنّه كان يأكل بقلة الأرض ، و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذّب لحمه ،[٤] و إن شئت ثلّثت بداود صاحب المزامير و قارىء أهل الجنّة فلقد كان يعمل سفائف‌الخوص[٥] بيده ويقول لجلسائه : أيّكم يكفيني بيعها و يأكل قرص الشعير من‌ثمنها ، و إن شئت قلت في‌عيسى ابن مريم عليه‌السلام فلقدكان يتوسّد الحجر ، و يلبس الخشن ، و يأكل الجشب ، و كان إدامه الجوع ،[٦] وسراجه باللّيل القمر ، وظلاله في الشتاء مشارق‌الأرض ومغاربها[٧] ، وفاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلفته ، ولا طمع يذلّه ، دابّته رجلاه ، و خادمه يداه ، فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر صلى‌الله‌عليه‌وآله فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى ، وعزاء لمن‌تعزّى ، وأحبّ العباد إلى‌الله المتأسّي بنبيّه ،

---

(١) خطبة ١٥٨ من النهج أولها امره قضاء و حكمة .

(٢) جمع مخزاة وهي مايستحيى من‌ذكره لقبحه ، والمساوى : العيوب .

(٣) قبض الاطراف كناية عن المنع ، ووطئت - بالتشديد - اى هيأت . وأكناف الشيء جوانبه ، وزوى اى قبض متاعها و زينتها .

(٤) شف الثوب اى رق ، والصفاق - ككتاب - : الجلدالاسفل تحت الجلدالذى عليه الشعر ، وقيل : جلد البطن كله . والتشذب : التفرق و انهضام اللحم .

(٥) السفائف- جمع‌سفيفة- وصف‌من سف الخوص اذا نسجه‌اى منسوجات‌الخوص .

(٦) اى لايأكل من الخبز مايرفع الجوع .

(٧) ظلاله اى مأواه و مكمنه من البرد .

والمقتص لأثره ، قضم الدنيا قضماً(١) ولم يعرها طرفاً ، أهضم أهل الدنيا كشحاً ، وأخمصهم من الدنيا بطناً ، (٢) عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها ، و علم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه ، وحقر شيئاً فحقره ، وصغر شيئاً فصغره ، ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله و رسوله و تعظيمنا ما صغر الله و رسوله لكفى به شقاقاً لله و محادة عن أمر الله ، و لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على الأرض و يجلس جلسة العبد ، و يخصف بيده نعله ، و يرقع بيده ثوبه ، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ، و يكون الستر على باب بيته ، فيكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة - لإحدى أزواجه - غيبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا و زخارفها ، فأعرض عن الدنيا بقلبه ، و أمات ذكرها من نفسه ، و أحب أن تغيب زينتها عن عينه ؛ لكيلا يتخذ منها رياشاً ، ولا يعتقدها قراراً ، و لا يرجو فيها مقاماً ، فأخرجها من النفس ، و أشخصها عن القلب ، و غيبها عن البصر ، و كذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه ، و أن يذكر عنده ، و لقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته ، فلينظر ناظر بعقله أأكرم الله محمداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال : أهانه فقد كذب و [الله] العظيم [و أتى بالإفك العظيم] و إن قال : أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له ، و زواها عن أقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه ، (٣) و اقتص أثره ، و ولج مولجه ، و إلا فلا يأمن الهلكة فإن الله جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم علماً للساعة ، ومبشراً بالجنة ، و منذراً بالعقوبة ، خرج من الدنيا خميصاً ، و ورد الآخرة سليماً ، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله و أجاب داعي ربه ، فما أعظم منة الله عندنا حين

(١) اقتص أثره اى اقتدى به و اتبعه ، وقضم - بالضاد المعجمة كسمع - اى أكل باطراف اسنانه وقيل : يختص باكل اليابس كذلك والتنوين للتقليل والتحقير أى لم يبالغ فيتناول الدنيا بل قنع بالبلغة والكفاف .

(٢) « لم يعرها طرفاً » اى لم يعطها نظرة على وجه العارية . والهضم - محركة - انضمام الجنبين وخمص البطن . و الكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلفى . وأخمصهم اى اخلاهم .

(٣) «فتأسى» خبر يريد به الطلب اى فليقتد مقتد بنبيه .

أنعم علينا به سلفاً نتّبعه و قائداً نطأ عقبه .

و الله لقد رفعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها ، و لقد قال لي قائل : ألا تنبذها ؟ فقلت : اغرب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السُّرى »[1] .

و في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام « أنّه قال : كلّما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته »[2] .

« ومنها [3] أن يكون مستقصياً عن السلاطين لا يدخل عليهم البتّة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم و إن جاؤوا إليه فإنّ الدنيا حلوة خضرة و زمامها بأيدي السلاطين و المخالط لهم لا يخلو عن تكلّف في طلب مرضاتهم و استمالة قلوبهم مع أنّهم ظلمة و يجب على كلّ متديّن الإنكار عليهم و تضييق صدورهم بإظهار ظلمهم و تقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إمّا أن يلتفت إلى تجمّلهم فيزدري نعمة الله عزّ وجلّ عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهناً أو يتكلّف في كلامه لمرضاتهم و تحسين حالهم ، و ذلك هو البهت الصريح أو يطمع في أن ينال من دنياهم و ذلك هو السحت ، و سيأتي في كتاب الحلال و الحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين و ما لا يجوز من الإدرار و الجوائز و غيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح لشرور عدّة ، و علماء الآخرة طريقهم الاحتياط و قد قال صلى الله عليه وآله : « من بداجفا ـ يعني من سكن البادية ـ و من اتّبع الصيد غفل ، و من أتى السلطان افتتن »[4] .

---

(١) «اغرب عنى» اى اذهب و ابعد . السرى : السير بالليل و المثل معروف معناه اذا أصبح النائمون و قد رأوا السارين واصلين الى مقاصدهم حمدوا سراهم و ندموا نوم أنفسهم ، او اذا أصبح السارون وقد وصلوا الى ما ساروا اليه حمدوا سراهم و ان كان شاقاً حيث أبلغهم الى ما قصدوا .

(٢) المجلد الثانى باب فضل فقراء المسلمين ص ٢٦١ تحت رقم ٤ .

(٣) من كلام أبى حامد .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس كما فى الجامع الصغير و تمام الحديث «من بداجفا و من اتبع الصيد غفل و من أتى أبواب السلطان افتتن » . و الزيادة فى المتن من أبى حامد ذكره توضيحاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ستكون عليكم أُمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعده الله ، قيل : يا رسول الله : أفلا نقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، ماصلّوا »[١] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « العلماء أُمناء الرسل على عباد الله عزّ و جلّ ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم و اعتزلوهم » ـ رواه أنس[٢] .

أقول و قد مرّ هذا الحديث من طريق الخاصّة عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً .

قال : و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « شرار العلماء الّذين يأتون الأُمراء و خيار الأُمراء الّذين يأتون العلماء »[٣] .

أقول : وروي أنّ بعض الفضلاء قال لبعض الأبدال : ما بال كبراء زماننا وملوكها لا يقبلون منّا ولا يجدون للعلم مقداراً و قد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك ؟ فقال : إنّ علماء ذلك الزمان كان يأتيهم الملوك و الأكابر و أهل الدنيا فيبذلون لهم دنياهم و يلتمسون منهم علمهم فيبالغون في دفعهم و ردّ منّتهم عنهم فصغرت الدنيا في أعين أهلها وعظم قدر العلم عندهم نظراً منهم إلى أنّ العلم لولا جلالته و نفاسته ما آثره هذه الفضلاء على الدنيا و لولا حقارة الدنيا و انحطاطها لما تركوها رغبة عنها و لمّا أقبل علماء زماننا على الملوك و أبناء الدنيا و بذلوا لهم علمهم إلتماساً لدنياهم عظمت الدنيا في أعينهم و صغر العلم لديهم لعين ما تقدّم .

قال بعض علمائنا :[٤] اعلم أنّ القدر المذموم من ذلك ليس هو مجرّد اتّباع

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٨٥ . وأخرجه أحمد فى المسند ج ٦ ص ٢٩٥ بدون جملة «أبعده الله» و فى آخره «ما صلوا لكم الخمس» وفى الجامع الصغير باب السين عن سنن ابى داود صدره .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٨٧ .

(٣) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم بلفظ آخر كما فى المختصر ص ٨٨ . و بلفظه نقله الشهيد فى المنية .

(٤) يعنى به الشهيد الثاني ذكره فى المنية ص ٢١ من طبعه الملحق بروض الجنان .

السلطان كيف اتّفق بل اتّباعه ليكون توطئة له و وسيلة إلى ارتفاع الشأن و الترفّع على الأقران و عظم الجاه و المقدار و حبّ الدنيا و الرئاسة و نحو ذلك ، أمّا لو اتّبعه ليجعله وصلة إلى إقامة نظام النوع و إعلاء كلمة الدين و ترويج الحقّ و قمع أهل البدع و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نحو ذلك فهو من أفضل الأعمال فضلاً عن كونه مرخّصاً و بهذا يجمع بين ما ورد من الذمّ و ما ورد أيضاً من الترخّص في ذلك بل قد فعل جماعة من الأعيان كعليّ بن يقطين ، و عبدالله النجاشي ، و أبي القاسم ابن روح - أحد نوّاب الشريفة - و محمّد بن إسماعيل بن بزيع ، و نوح بن درّاج وغيرهم من أصحاب الأئمّة عليهم السلام ، و من الفقهاء مثل السيّدين الأجلّين المرتضى والرضي وأبيهما ، و الخواجة نصير الدين الطوسي ، و العلّامة بحر العلوم جمال الدين بن المطهّر وغيرهم و قد روى محمّد بن إسماعيل بن بزيع و هو الثقة الصدوق عن الرضا عليه السلام أنّه قال : «إنّ لله تعالى بأبواب الظالمين من نوّر الله به البرهان و مكّن له في البلاد ليدفع به[1] عن أوليائه و يصلح الله به اُمور المسلمين ، لأنّه ملجأ المؤمنين من الضرر وإليه يفزع ذوالحاجة من شيعتنا ، بهم يؤمن الله تعالى روعة المؤمن في دار الظلمة اُولئك هم المؤمنون حقّاً ، اُولئك اُمناء الله في أرضه ، اُولئك نور الله تعالى في رعيّتهم يوم القيامة ، و يزهر نورهم لأهل السماوات كما يزهر الكواكب الزاهرة لأهل الأرض ، اُولئك من نورهم نور القيامة ، تضيء منهم القيامة ، خلقوا والله للجنّة و خلقت الجنّة لهم ، فهنيئاً لهم ، ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كلّه ، قال : فقلت : بماذا جعلني الله فداك ؟ قال : يكون معهم فيسرّنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمّد[2]» و اعلم أنّ هذا ثواب كريم ، لكنّه موضع الخطر الوخيم و الغرور العظيم ، فإنّ زهرة الدنيا و حبّ الرئاسة و الاستعلاء إذا نبتا في القلب غطّيا عليه كثيراً من طرق الصواب و المقاصد الصحيحة الموجبة للثواب فلا بدّ من التيقّظ في هذا الباب .

اقول : و العمدة فيه أن يكون القلب معرضاً عنه ساخطاً عليه بقدر ظلمه و طغيانه و إن قضى له حاجة أو قرّبه أو أحسن إليه ، وأن لا يتغيّر كيفيّة معاشرته مع الناس بعد

(١) في بعض النسخ «بهم» موضع «به» . (٢) رواه النجاشي في رجاله .

التقرّب إليه و الله المستعان .

قال أبو حامد - رحمه الله - : « و هذه فتنة عظيمة للعلماء و ذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لا سيّما من له لهجة مقبولة و كلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أنّ في وعظك لهم و دخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ، و يقيم شعائر الشرع إلى أن يخيّل إليه أنّ الدخول عليهم من الدين ، ثمّ إذا دخل لم يلبث أن يتلطّف في الكلام ويداهن ، و يخوض في الثناء و الإطراء و فيه هلاك الدين ، و كان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا ، فإذاشغلوا فقدوا ، فإذافقدوا طلبوا ، فإذا طلبوا هربوا ، و كتب بعض الأمراء إلى بعض أهل العلم أمّا بعد فأشر عليّ بقوم أستعين بهم على أمر الله تعالى . فكتب إليه أمّا أهل الدين فلن يريدوك و أمّا أهل الدنيا فلن تريدهم و لكن عليك بالأشراف فإنّهم يصونون شرفهم أن يدنّسوه بالخيانة . فإذا كان شرط أهل الدين الهرب من السلاطين فكيف يستتبّ طلبهم و مخالطتهم (١) .

ومنها أن لا يكون متسارعاً إلى الفتوى بل يكون متوقّفاً و محترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً ، فإن سئل عمّا يعلمه تحقيقاً بنصّ كتاب الله تعالى أو بنصّ حديث أو إجماع ثابت أفتى ، و إن سئل عمّا يشكّ فيه قال : لا أدري ، و إن سئل عمّا يظنّه باجتهاد و تخمين احتاط ودفع عن نفسه و أحال على غيره إن كان في غيره غنية ، هذا هو الحزم لأنّ تقلّد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر «العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، و سنّة قائمة ، و لا أدري » (٢) قال الشعبي : لا أدري نصف العلم . و من سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس أقلّ أجراً ممّن نطق لأنّ الاعتراف بالجهل أشدّ على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة و السلف .

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : إنّ الّذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتونه لمجنون (٣) ؛ و قال : جنّة العالم لا أدري فإذا أخطأها أُصيبت مقاتله . و قال إبراهيم

---

(١) استتب الامر : استقام و اطرد و استمر .

(٢) رواه الخطيب فى اسماء من روى عن مالك موقوفاً على ابن عمر و لابى داود و ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً نحوه مع اختلاف . (المغنى)

(٣) نقله ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ١٢٥ .

ابن أدهم : ليس شيء أشدّ على الشيطان من عالم يتكلّم بعلم و يسكت بعلم ويقول انظروا إلى هذا سكوته أشدّ عليّ من كلامه ؛ و وصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ، و كلامهم ضرورة . أي ما يتكلّمون حتّى يُسألوا وإذا سئلوا و وجدوا من يكفيهم سكتوا فإن اضطرّوا أجابوا ؛ وكانوا يعدّون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفيّة للكلام ؛ وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتوى أقلّهم علماً ، و أشدّهم دفعاً لها أورعهم ؛ و في الخبر إذا رأيتم الرجل قد أُوتي صمتاً و زهداً فاقتربوا منه فإنّه يلقّن الحكمة ؛ و قيل : العالم إمّا عالم عامّة و هو المفتي و هم أصحاب الأساطين ، أو عالم خاصّة و هو العالم بالتوحيد و أعمال القلوب و هم أرباب الزوايا المتفرّدون ؛ و قيل : المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام ؛ و قال بعضهم : إذا كثر العلم قلّ الكلام ؛ و كتب سلمان إلى أبي الدرداء بلغني أنّك قعدت طبيباً تداوي المرضى فانظر فإن كنت طبيباً فتكلّم فإنّ كلامك شفاء وإن كنت متطبّباً فالله الله لاتقتل مسلماً ، فكان أبوالدرداء يتوقّف بعدذلك إذا سئل » .

أقول : و ممّا ورد في هذا الباب من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي «عن الباقر عليه السلام أنّه سئل ما حقّ الله على العباد قال : أن يقولوا ما يعلمون و يقفوا عند ما لا يعلمون » (١) .

و عن الصادق عليه السلام : « إذا سئل الرجل منكم عمّا لا يعلم فليقل : لا أدري ، و لا يقل : الله أعلم فيوقع في قلب صاحبه شكّاً ، و إذا قال المسؤول : لا أدري فلايتّهمه السائل »(٢) .

و في مصباح الشريعة (٣) « عنه عليه السلام أنّه قال : لا تحلّ الفتيا لمن لا يستفتي من الله عزّ و جلّ بصفاء سرّه ، و إخلاص عمله و علانيته ، و برهان من ربّه في كلّ حال لأنّ من أفتى فقد حكم و الحكم لايصحّ إلّا بإذن من الله و برهانه ، و من حكم بالخبر بلا معاينة فهوجاهل مأخوذ بجهله مأثوم بحكمه ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : «أجرؤكم على الفتيا

(١) المجلد الاول ص ٤٣ تحت رقم : ٧ .
(٢) المجلد الاول ص ٤٢ تحت رقم : ٦ .
(٣) باب ٦٣ ، ص ٤١ .

أجرؤكم على الله عزّ وجلّ ، أولا يعلم المفتي أنّه هو الّذي يدخل بين الله تعالى و بين عباده وهو الجائز [١] بين الجنّة والنّار».

و قال سفيان بن عيينة : كيف ينتفع بعلمي غيري و أنا قد حرمت نفسي نفعها ، ولا تحلّ الفتيا في الحلال و الحرام بين الخلق إلّا لمن كان أتبع الخلق من أهل زمانه و ناحيته و بلده بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم [و عرف ما يصلح من فتياه] قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، و ذلك لربّما و لعلّ و عسى لأنّ الفتيا عظيمة ، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لقاض : هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : فهل أشرفت على مراد الله عزّ و جلّ في أمثال القرآن ؟ قال : لا ، قال : إذاً هلّكت و أهلكت » [٢] و المفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن و بواطن الإشارات [٣] و الآداب و الإجماع و الاختلاف و الاطّلاع على اُصول ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، ثمّ حسن الاختيار ، ثمّ العمل الصالح ، ثمّ الحكمة ، ثمّ التقوى ، ثمّ حينئذٍ إن قدر ».

« **ومنها** [٤] أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب و معرفة طريق الآخرة و سلوكها و صدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة و المراقبة فإنّ المجاهدة تفضي إلى المشاهدة في دقائق علم القلوب و تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب أمّا الكتب و التعلّم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ، إنّما تنفتح بالمجاهدة و المراقبة و مباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، و الجلوس مع الله سبحانه في الخلوة مع حضور القلب بصفاء الفكر و الانقطاع إلى الله عزّ و جلّ عمّا سواه ، فتلك مفاتيح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلّم طال تعلّمه و لم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة و كم من مقتصر على المهمّ في التعلّم و متوفّر على العمل و مراقبة القلب فتح الله عزّ و جلّ له من لطائف الحكم ما يحار فيه عقول ذوي الألباب و لذلك قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم [٥] » وفي بعض الكتب السالفة : « يا بني إسرائيل

(١) فی بعض النسخ [الحائر] .

(٢) بتشدید اللام فی «هلّکت» یقال لمن ارتکب أمراً عظیماً : « هلکت وأهلکت » (البستان) .

(٣) فی بعض النسخ [مواطن الاشارات].

(٤) من کلام أبی حامد .

(٥) أخرجه ابو نعیم فی الحلیة من حدیث أنس (المغنی) .

لا تقولوا : العلم في السماء من ينزل به و لا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم مجعول في قلوبكم تأدّبوا بين يدي بآداب الروحانيّين و تخلّقوا إليّ بأخلاق الصدّيقين ، أظهر العلم من قلوبكم حتّى يغطّيكم و يغمركم ».

و قال سهل التستري : خرج العلماء والزهّاد والعبّاد من الدنيا وقلوبهم مقفّلة ولم يفتح إلّا قلوب الصدّيقين و الشهداء ثمّ تلا « و عنده مفاتح الغيب » و لولا أنّ إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك[1] » وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ : « لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى اُحبّه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ـ الحديث ـ »[2] فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرّد للذكر ، و الفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا يطّلع عليها أفاضل المفسّرين و إذا انكشف ذلك للمراقب و عرض على المفسّرين استحسنوه و علموا أنّ ذلك من تنبيهات القلوب الزكيّة و ألطاف الله تعالى بالهمم المتوجّهة إليه ، و كذلك في علوم المكاشفة و أسرار علوم المعاملة و دقائق خواطر القلوب فإنّ كلّ علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه ، و إنّما يخوضه كلّ طالب بقدر ما رزق و بحسب ما وفّق له من حسن العمل و في وصف هؤلاء العلماء قال عليّ عليه السلام في حديث طويل : « القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير ، و الناس ثلاثة : عالم ربّانيّ ، و متعلّم على سبيل نجاة ، و همج رعاع ، أتباع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك و أنت تحرس المال ، و العلم يزكو على الإنفاق ، و المال تنقصه النفقة ، محبّة العالم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة في حياته ، وجميل الاُحدوثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، و منفعة المال تزول بزواله ، مات خزّان الأموال و هم أحياء و العلماء باقون ما بقي الدهر ، ثمّ تنفّس الصعداء فقال : هاه إنّ ههنا علماً جمّاً ، لو وجدت له حملة بل أجد طالباً إمّا لقناً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا

(١) قد مر سابقاً .
(٢) تمام الحديث فى الكافى ج ٢ ص ٣٥٢ مع شرحه ونقله ابن الديبع الشيبانى فى تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٣ عن البخارى .

و يستطيل بنعم الله على أوليائه ، و يستظهر بحججه على خلقه ، أومنقاداً لأهل الحقّ ينزرع الشكّ في قلبه ، بأوّل عارض من شبهة ، لابصيرة له ، وليس من رعاة الدين في شيء ، ألا لاذا و لا ذاك فمنهوم باللّذة ، سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرماً بجمع الأموال و الادّخار ، منقاداً لهواه ، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة ، اللّهمّ هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثمّ لاتخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهر مكشوف ، و إمّا خائف مقهور ، لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته ، و كم وأين ؟! اُولئك الأقلّون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالى بهم حججه ، حتّى يودعوها نظراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى ، اُولئك أولياء الله من خلقه ، و عمّاله في أرضه ، و الدعاة إلى دينه ، ثمّ بكى ؛ وقال : واشوقاه إلى رؤيتهم » .

فهذا الّذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة و هو العلم الّذي يستفاد أكثره من العمل و المواظبة على المجاهدة » .

أقول : و أنا قد ذكرت هذا الحديث فيما مضى عند ذكر تفصيل علم الآخرة بأدنى تغيير في اللّفظ مع أخبار اُخر في وصف علماء الآخرة نافعة هنا .

«**ومنها** أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإنّ اليقين هو رأس المال من الدين ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « اليقين الإيمان كلّه » (١) ولا بدّ من تعلّم علم اليقين أعني أوائله ، ثمّ ينفتح للقلب طريقه و لذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « تعلّموا اليقين » (٢) و معناه جالسوا الموقنين و اسمعوا منهم علم اليقين و واظبوا على الاقتداء بهم ليقوي يقينكم كما قوي يقينهم ، و قليل من اليقين خير من كثير من العمل ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا قيل له رجل حسن اليقين كثير الذّنوب ، و رجل مجتهد في العبادة قليل اليقين ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ما من

(١) قال العراقي : اخرجه البيهقي في الزهد و الخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود .

(٢) رواه ابن ابي الدنيا في اليقين كما قاله العراقي ايضاً وروى البرقي في المحاسن ص ٢٤٨ تحت رقم ٢٥٤ عن امير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له : «سلوا الله اليقين و ارغبوا اليه في العافية » .

آدمي إلّا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل و سجيّته اليقين لم تضرّه الذنوب لأنّه كلّما أذنب ذنباً تاب و استغفر و ندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنّة »[1] و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّ من أقلّ ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر و من أُوتي حظّه منهما لم يبال مافاته من صيام النهار و قيام اللّيل »[2] و في وصيّة لقمان لابنه « يا بنيّ لا يستطاع العمل إلّا باليقين ، و لا يعمل المرء إلّا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتّى ينقص يقينه » .

و قال يحيى بن معاذ : إنّ للتوحيد نوراً و للشرك ناراً ، و إنّ نور التوحيد أحرق لسيّئات الموحّدين من نار الشرك لحسنات المشركين . و أراد به اليقين و قد أشار القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دلّ به على أنّ اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات .

فإن قلت : فما معنى اليقين ؟ وما معنى قوّته و ضعفه ؟ فلابدّ من فهمه أوّلاً ثمّ الاشتغال بطلبه و تعلّمه ، فإنّ ما لايفهم صورته لايمكن طلبه ؟

فاعلم أنّ اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أمّا النظّار والمتكلّمون فيعنون باليقين عدم الشكّ إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات : الأوّل أن يعتدل التصديق و التكذيب و يعبّر عنه بالشكّ كما إذا سئلت عن شخص معيّن أنّ الله عزّ وجلّ يعاقبه أم لا ؟ و هو مجهول الحال عندك فإنّ نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات و نفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمّى هذا شكّاً ، الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه و لكنّه إمكان لا يمنع ترجيح الأوّل كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح و التقوى أنّه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فإنّ نفسك تميل إلى أنّه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب و ذلك لظهور علامات الصلاح و مع هذا فإنّك تجوّز إخفاء أمر يوجب العقاب في باطنه وسريرته فهذا

(١) قال العراقي : رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث انس باسناد مظلم .

(٢) روى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥١ تحت رقم ٢ في حديث « و ما قسم في الناس شيء أقل من اليقين » و تحت رقم ٤ « فما اوتي الناس اقل من اليقين » و روى ابن عبدالبر في العلم من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً اقل من اليقين » و لم أجد تمام الحديث في أصل .

التجويز مساوق لذلك الميل ولكنّه غير دافع رجحانه ، فهذه الحالة تسمّى ظنّاً ، الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو أخطر بالبال لنبت النفس عن قبوله (١) ولكن ليس ذلك عن معرفة محقّقة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمّل و الإصغاء إلى التشكيك و التجويز لاتّسعت نفسه للتجويز و هذا يسمّى اعتقاداً مقارناً لليقين و هو اعتقاد العوام في الشرعيّات كلّها إذ رسخت في نفوسهم بمجرّد السماع حتّى أنّ كلّ فرقة تثق بصحّة مذهبها و إصابة إمامها و متبوعها و لو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله ، الرابع المعرفة الحقيقيّة الحاصلة بطريق البرهان الّذي لا يشكّ فيه و لا يتصوّر التشكيك فيه (٢) ، فإذا امتنع وجود الشكّ و إمكانه تسمّى يقيناً عند هؤلاء و مثاله أنّه إذا قيل للعاقل : هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأنّ القديم غير محسوس لا كالشمس و القمر فإنّه يصدّق بوجودهما بالحسّ و ليس العلم بوجود شيء قديم أوّليّاً ضروريّاً مثل العلم بأنّ الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بأنّ حدوث حادث بلا سبب محال ، فإنّ هذا أيضاً ضروريّ ، فحقّ غريزة العقل أن تتوقّف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال و البديهة ، ثمّ من الناس من يسمع ذلك و يصدّق بالسماع تصديقاً جزماً و يستمرّ عليه و ذلك هو الاعتقاد و هو حال جميع العوام ، و من الناس من يصدّق به بالبرهان و هو أن يقال له : إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلّها حادثة فإن كانت كلّها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب و ذلك محال و المؤدّي إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأنّ الأقسام ثلاثة و هي أن يكون الموجودات كلّها قديمة أو كلّها حادثة أو بعضها حادثاً و بعضها قديماً فإن كانت كلّها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت في الجملة قديم و إن كان الكلّ حادثاً فهو محال لأنّه يؤدّي إلى حدوث حادث بغير سبب فثبت القسم الثالث أو الأوّل و كلّ علم حصل على هذا الوجه يسمّى يقيناً سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحسّ

(١) نباعنه ينبو أى تجافى وتباعد .

(٢) فى بعض النسخ [و لا يتصور التشكك فيه] .

أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكّة أو بتجربة كالعلم بأنّ المطبوخ مسهل [١] أو بدليل كما ذكرناه ، فشرط إطلاق الاسم عندهم عدم الشكّ فكلّ علم لا يشكّ فيه يسمّى يقيناً عندهم وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشكّ .

الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوّفة وأكثر العلماء - وهو أن لايلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشكّ بل إلى استيلائه وغلبته على القلب حتّى يقال : فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنّه لا يشكّ فيه ويقال : فلان قويّ اليقين في إتيان الرزق مع أنّه قد يجوّز أن لايأتيه ، فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتّى صار هو المتحكّم والمتصرّف في النفس بالتحريض والمنع سمّي ذلك يقيناً ولاشكّ في أنّ الناس يشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشكّ فيه ولكن فيهم من لايلتفت إليه وإلى الاستعداد له فكأنّه غير موقن به ، وفيهم من استولى ذلك على قلبه حتّى استغرق همّه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متّسعاً لغيره فيعبّر عن مثل هذه الحالة بقوّة اليقين ، ولذلك قال بعضهم : ما رأيت يقيناً لاشكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت . وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالقوّة والضعف ونحن أردنا بقولنا : «إنّ من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين» اليقين بالمعنيين جميعاً ، وهو نفي الشكّ ثمّ تسلّط اليقين على النفس حتّى يكون هو الغالب المتحكّم وهو المتصرّف فإذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا إذا قلنا : إنّ اليقين ينقسم ثلاث انقسامات بالقوّة والضعف ، والقلّة والكثرة ، والخفاء والجلاء ، فأمّا بالقوّة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ، ودرجات اليقين في القوّة والضعف لا تتناهى ، وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني ، وأمّا التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر أيضاً أمّا فيما يتطرّق إليه التجويز فلاينكر - أعني الاصطلاح الثاني - وفيما انتفى الشكّ عنه أيضاً لا سبيل إلى إنكاره فإنّك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكّة ووجود فدك مثلاً وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنّك

---

(١) فيه سقط وفي الاحياء « بان السقمونيا المطبوخ مسهل » .

لا تشكّ في الأمرين جميعاً إذ مستند هما التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى و أوضح في قلبك من الثاني لأنّ السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين و كذلك يدرك الناظر هذا في النظريّات المعلومة بالأدلّة فإنّه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بأدلّة كثيرة مع تساويهما في نفي الشكّ و هذا قد ينكره المتكلّم الّذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدرك من تفاوت الأحوال ، و أمّا القلّة والكثرة فذلك بكثرة متعلّقات اليقين كما يقال : فلان أكثر علماً أى معلوماته أكثر ، و كذلك قد يكون العالم قويّ اليقين في جميع ما ورد به الشرع و قد يكون قويّ اليقين في بعضه .

فإن قلت : فقد فهمت اليقين و قوّته وضعفه ، و كثرته و قلّته ، و جلاءه و خفاءه بمعنى نفي الشكّ و بمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلّقات اليقين و مجاريه ؟ و فيما ذا يطلب اليقين ؟ فإنّي ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه .

فاعلم أنّ جميع ما ورد به الأنبياء عليهم السلام من أوّله إلى آخره هو من مجاري اليقين فإنّ اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة و متعلّقة المعلومات الوارد في الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكنّي أُشير إلى بعض أُمّهاتها فمن ذلك التوحيد و هو أن يرى الأشياء كلّها من مسبّب الأسباب و لا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخّرة لا حكم لها فالمصدّق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشكّ فهو موقن بأحد المعنيين فإن غلب على قلبه غلبة بحيث أزال منه الغضب على الوسائط و الرضا عنهم و الشكر لهم ونزّل الوسائط في قلبه منزلة القلم و اليد في حقّ المنعم بالتوقيع فإنّه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين و واسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الأشرف و هو ثمرة اليقين الأوّل و روحه و فائدته ، و مهما تحقّق أنّ الشمس و القمر و النجوم و الجماد و النبات و الحيوان و كلّ مخلوق فهي مسخّرات بأمره حسب تسخّر القلم في يد الكاتب وأنّ القدرة الأزليّة هي المصدر للكلّ استولى عليه التوكّل و الرضا و التسليم و صار بريئاً من الغضب و الحقد و الحسد و سوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين و من ذلك الثقة بضمان الله سبحانه للرزق في قوله تعالى : « و ما من دابّة في الأرض إلّا

على الله رزقها [١] و اليقين بأنّ ذلك يأتيه و أنّ ما قدّر له سيساق إليه ، و مهما غلب ذلك على قلبه كان مجملاً في الطلب ولم يشتدّ حرصه وشرهه و تأسّفه على ما يفوته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات و الأخلاق الحميدة و من ذلك أن يغلب على قلبه أنّ من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره و هو اليقين بالثواب و العقاب حتّى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع و نسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك ، فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله و كثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها و كثيرها و كما يجتنب قليل السمّ و كثيره فكذلك يجتنب قليل المعاصي و كثيرها و صغيرها و كبيرها ، و اليقين بالمعنى الأوّل قد يوجد لعموم المؤمنين ، أمّا بالمعنى الثاني فيختصّ به المقرّبون و ثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات و السكنات و الخطرات ، و المبالغة في التقوى و التحرّز عن السيّئات ، و كلّما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشدّ و التشمّر أبلغ ، و من ذلك اليقين بأنّ الله تعالى مطّلع عليك في كلّ حال و مشاهد لهواجس ضميرك و خفايا خواطرك و فكرك وهذا متيقّن عند كلّ مؤمن بالمعنى الأوّل و هو عدم الشكّ ، و أمّا بالمعنى الثاني وهو المقصود فهوعزيز جدّاً يختصّ بهالصدّيقون و ثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدّباً في جميع أحواله و أعماله كالجالس بمشهد ملك عظيم ينظر إليه لا يزال مطرقاً متأدّباً متماسكاً محترزاً عن كلّ حركة تخالف هيئة الأدب و يكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقّق أنّ الله تعالى مطّلع على سريرته كما يطّلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه و تطهيره و تزيينه لعين الله الكالئة[٢] أشدّ من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس ، و هذا المقام في اليقين يورث الحياء و الخوف و الانكسار و الذلّ و الاستكانة و الخضوع و جملة من الأخلاق المحمودة ، و هذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة ، فاليقين في كلّ باب من هذه الأبواب مثل الشجرة ، و هذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرّعة منها و هذه الأعمال و الطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار و الأنوار المتفرّعة من الأغصان ،

---

(١) هود : ٦ . (٢) اى الحافظة الحارسة .

فاليقين هو الأساس و الأصل وله مجاري و أبواب أكثر ممّا عددناه و سيأتي ذلك في ربع المنجيات و هذا القدر كاف في تفهيم معنى اللّفظ الآن .

ومنها أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته و كسوته و سيرته و حركته و سكونه و نطقه و سكوته ، لا ينظر إليه ناظر إلّا و كان نظره مذكّراً لله تعالى و كان صورته دليلاً على علمه « فالجواد عينه فراره » (١) ، فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلّة و التواضع و قد قيل : ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة ، فهي لبسة الأنبياء صلوات الله عليهم و سيماء الصدّيقين و العلماء ، فأمّا التهافت في الكلام و التشدّق والاستغراق في الضحك و الحدّة في الحركة و النطق فكلُّ ذلك من آثار البطر و الأمن و الغفلة عن عظيم عقاب الله سبحانه وشديد سخطه و كلّ ذلك دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله عزّ وجلّ دون العلماء به و هذا لأنّ العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري : عالم بأمر الله لا بأيّام الله و هم المفتون بالحلال و الحرام و هذا العلم لا يورث خشية ، و عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيّام الله و هم عموم المؤمنين ، و عالم بالله و بأمر الله و بأيّام الله و هم الصدّيقون . و الخشية و الخشوع إنّما يغلب عليهم و أراد بأيّام الله أنواع عقوباته الغامضة و نقمه الباطنة الّتي أفاضها على القرون السالفة واللّاحقة ، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه» .

أقول روى في الكافي بإسناده عن أبي بصير (٢) « قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : يا طالب العلم إنّ العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع ، و عينه البراءة من الحسد ، و اُذنه الفهم ، و لسانه الصدق ، و حفظه الفحص ، و قلبه حسن النيّة ، و عقله معرفة الأشياء و الاُمور ، و يده الرحمة ، و رجله زيارة العلماء و همّته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقرّه النجاة ، و قائده العافية ، و مركبه الوفاء ،

---

(١) قال الجوهرى : الفرير ولد البقرة الوحشية ، و كذلك الفرار - بضم الفاء . و يقال : « ان الجواد عينه فراره » و قد يفتح ، أى يغنيك شخصه و منظره عن أن تختبره و أن تفر اسنانه ، و قال أيضاً : فررت الفرس أفره - بالضم - فراً اذا نظرت الى اسنانه .

(٢) المجلد الاول ص ٤٨ تحت رقم ٢ .

و سلاحه لين الكلمة ، و سيفه الرضا ، و قوسه المداراة ، و جيشه محاورة العلماء ، و ما له الأدب ، و ذخيرته اجتناب الذنوب ، و زاده المعروف ، و مأواه الموادعة ، و دليله الهدى ، و رفيقه محبّة الأخيار ».

و باسناده الصحيح عن معاوية بن وهب « قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اطلبوا العلم ، و تزيّنوا معه بالحلم و الوقار ، و تواضعوا لمن تعلّمونه العلم ، و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم » (١) .

و باسناده الصحيح « عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّ من علامات الفقه الحلم و الصمت » (٢) .

و باسناده ، عن محمّد بن سنان رفعه قال : قال عيسى ابن مريم عليهما السلام : يا معشر الحواريّين لي إليكم حاجة اقضوها لي ، قالوا : قضيت حاجتك يا روح الله فقام فقبّل أقدامهم فقالوا : كنّا نحن أحقّ بهذا يا روح الله ، فقال : إنّ أحقّ الناس للخدمة العالم إنّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ، ثمّ قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر ، و كذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل » (٣)

وقال بعض علمائنا ـ رحمه الله ـ (٤): اعلم أنّ المتلبّس بالعلم منظور إليه ومتأسّى بفعله و قوله و هيئته ، فاذا حسن سمته ، و صلحت أحواله ، و تواضعت نفسه ، وأخلص لله تعالى علمه و عمله انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعيّة ، و فشى الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم ، و متى لم يكن كذلك كان الناس دونه في المرتبة الّتي هو عليها فضلاً عن مساواته فكان مع فساد نفسه منشأً لفساد النوع و خلله و ناهيك بذلك ذنباً و طرداً عن الحقّ و بعداً ، و ياليته إذا هلك انقطع عمله و بطل وزره ، بل هو باق ما بقي من تأسّى به و استنّ بسنّته ، و قد قال بعض العارفين : إنّ عامّة الناس أبداً دون المتلبّس بالعلم

(١) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ١ .
(٢) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ٤ .
(٣) المجلد الاول ص ٣٧ تحت رقم ٦ .
(٤) يعني به الشهيد ـ رحمه الله ـ قاله في المنية ص ٢١ .

بمرتبة ، فإذا كان ورعاً تقياً صالحاً تلبّست العامّة بالمباحات و إذا اشتغل بالمباح تلبّست العامّة بالشبهات ، فإذا دخل في الشبهات تعلّق العاميّ بالحرام ، فإن تناول الحرام كفر العامي . و كفى شاهداً على صدق هذه العيان و عدول الوجدان فضلاً عن نقل الأعيان .

قال أبو حامد : « وروي أنّه قيل : يارسول الله أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى ، قيل : فأيّ الأصحاب خير ؟ قال صلى الله عليه وآله : صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكّرك ، قيل : فأيّ الأصحاب شرّ ؟ قال صلى الله عليه وآله : صاحب إن نسيت لم يذكّرك و إن ذكرت لم يعنك ، قيل : فأيّ الناس أعلم ؟ قال : أشدّهم لله خشية ، قالوا : فأخبرنا بخيارنا نجالسهم ؟ قال : الّذين إذا رؤوا ذكر الله عزّ وجلّ برؤيتهم و إذا ذكر الله اقشعرّ جلودهم ، قالوا : فأيّ الناس شرّ ؟ قال : اللّهمّ غفراً ، قالوا : أخبرنا يا رسول الله ، قال : العلماء إذا فسدوا »[١] .

و قال عليه السلام : « إنّ أكثر الناس يوم القيامة أماناً أكثرهم فكراً في الدنيا ، و أكثر النّاس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاءً في الدنيا ، وأشدّ الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا »

و قال عليّ عليه السلام في خطبته[٢] : « ذمّتي رهينة و أنا زعيم أن لايهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، و إنّ أجهل الناس من لا يعرف قدره ، و إنّ أبغض الخلق إلى الله عزّ و جلّ رجل قمش علماً أغار في أغباش الفتنة سمّاه أشباه النّاس و أرذالهم عالماً ولم يغن[٣] في العلم يوماً سالماً ، بكّر فاستكثر ممّا قلّ منه خيرٌ ممّا كثر ، حتّى إذا ارتوى من ماء آجن و أكثر من غير طائل ، جلس للنّاس مفتياً لتخليص ما التبس على غيره و إن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشو الرأي من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت ، لا يدري أخطأ أم أصاب ، ركّاب جهالات ، خبّاط عشوات ، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم ، و لا يعضّ على العلم بضرس قاطع فيغنم ،

(١) ما عثرت على الرواية فى أى أصل و كذا التى بعدها .
(٢) الخطبة السادسة عشر من النهج مع اختلاف غير يسير .
(٣) يأتي معنى الالفاظ آنفاً

يذري الرواية ذرو الريح الهشيم، تبكي منه الدماء و تستحلّ بقضائه الفروج الحرام ولا مليء و الله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهلٌ لما فوّض إليه، أُولئك الّذين حلّت عليهم المثلات و حقّت عليهم النياحة و البكاء أيّام الحياة».

اقول: «و هذا الحديث ممّا رواه أصحابنا من طريق الخاصّة أيضاً على اختلاف في ألفاظه؛ و ممّن رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ - رحمه الله - [1] بإسناده عن ابن محبوب رفعه» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين رجلٌ و كله الله تعالى إلى نفسه فهو حائر عن قصد السبيل، مشغوف [2] بكلام بدعة، قد لهج بالصوم و الصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌ عن هدي [3] من كان قبله، مضلٌ لمن اقتدى به في حياته و بعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته، ورجل قمش جهلاً في جهّال الناس، عان بأغباش الفتنة [4]، قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن [5] فيه يوماً سالماً، بكّر [6] فاستكثر ما قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل [7]، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره و إن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله

---

(١) الكافي المجلد الاول ص ٥٤ تحت رقم ٦ .

(٢) اى دخل حب كلام البدعة شغاف قلبه أى حجابه و قيل: سويداءه.

(٣) بفتح الهاء و سكون المهملة أى السيرة و الطريقة.

(٤) «عان» بالعين المهملة و النون من قولهم عنا فيهم اسيراً أى اقام فيهم على اسارة واحتبس وعناه غيره - بالتشديد -: حبسه والعاني الاسير، اومن عنى - بالكسر - عناً تعب، أو من عنى به فهو عان أى اهتم به واشتغل. و في بعض النسخ بالغين المعجمة من غنى بالمكان - كرضى - أى أقام به، اومن غنى - بالكسر - أيضاً بمعنى عاش. والغبش - بالتحريك - ظلمة آخر الليل.

(٥) اى لم يلبث فيه يوماً تاماً.

(٦) أى خرج للطلب بكرة و هى كناية عن شدة طلبه و اهتمامه فى كل يوم فى اول العمر الى جمع الشبهات و الاراء الباطلة.

(٧) الاجن: الماء المتغير المتعفن أى شرب و شبع منه. و قوله: «واكتنز» أى عدما جمعه كنزاً و هو غير طائل اى ما لا نفع فيه.

وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّألها حشواً من رأيه (١)، ثمّ قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكر ولا يرى أنّ وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذّب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه [يكنّ الصواب] (٢) لكيلا يقال له: لا يعلم ثمّ جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات (٣) ر كّاب شبهات، خبّاط جهالات (٤)، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، و لا يعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم (٥)، تبكي منه المواريث، و تصرخ منه الدّماء، و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام و يحرم بقضائه الفرج الحلال، لا مليء بإصدار (٦) ما عليه ورد ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحقّ».

قال أبو حامد: «و قال عليّ عليه السلام أيضاً: «إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجّه القلوب».

و قال بعض السلف: من ضحك ضحكة مجّ من العلم مجّة، و قيل: إذا جمع المعلّم ثلاثاً تمّت النعمة بها على المتعلّم: الصبر، و التواضع، و حسن الخلق، و إذا جمع المتعلّم ثلاثاً تمّت النعمة بها على المعلّم: العقل، و الأدب، و حسن الفهم.

و على الجملة فالأخلاق الّتي ورد بها القرآن لا ينفكّ عنها علماء الآخرة لأنّهم يتعلّمون القرآن للعمل لا للدّراسة. و قيل: خمس من الأخلاق هنّ من علامات علماء الآخرة مفهوم من خمس آيات: الخشية و الخشوع و التواضع و حسن الخلق و إيثار الآخرة على الدنيا و هو الزهد أمّا الخشية فمن قوله عزّ و جلّ: «إنّما يخشى

(١) اى كثيراً بلا فائدة.
(٢) ليست هذه الجملة فى أكثر نسخ الكافى ولكنها موجودة فى الوافى.
(٣) العشوة: الظلمة أى يفتح على الناس ظلمات الشبهات.
(٤) الخبط المشى على غير استواء.
(٥) اى كما أن الريح فى حمل الهشيم و تبديده لاتبالى بتمزيقه و اختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل بالروايات ماتفعل الريح بالهشيم والهشيم مايبس من النبت و تفتت.
(٦) المليء - بالهمزة -: الثقة والغنى، والاصدار: الارجاع.

الله من عباده العلماء »(١)، و أمّا الخشوع فمن قوله تعالى : « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً »(٢)، و أمّا التواضع فمن قوله تعالى : « و اخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين »(٣)، و أمّا حسن الخلق فمن قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم »(٤) و أمّا الزّهد فمن قوله تعالى : « و قال الّذين أُوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن »(٥) و لمّا تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام »(٦) فقيل : «ما هذا الشرح يا رسول الله ؟ فقال : إنّ النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر و انفسح ، قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم التجافي عن دار الغرور، و الإنابة إلى دار الخلود ، و الاستعداد للموت قبل نزوله »(٧).

ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال و ما يفسدها و يشوّش القلوب و يهيّج الوساوس و يثير الشرّ ، فإنّ أصل الدين التوقّي من الشرّ ولذلك قيل :

عرفت الشرّ لا للشرّ لكن لتوقّيه * ومن لا يعرف الشرّ من الناس يقع فيه

ولأنّ الأعمال الفعليّة قريبة وأقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللّسان و إنّما الشأن في معرفة ما يفسدها و يشوّشها و هذا ممّا تكثر شعبه و يطول تفريعه وكلّ ذلك ممّا يغلب مسيس الحاجة إليه و يعمّ البلوي به في سلوك طريق الآخرة وأمّا علماء الدنيا فإنّهم يتتبّعون غرائب التفريع في الحكومات و الأقضية و يتعبون في وضع صور تنقضي الدّهور و لا تقع و إن وقعت فإنّما تقع لغيرهم لالهم ، و إذا وقعت كان في القائمين لها كثرة و يتركون ما يلازمهم و يتكرّر عليهم آناء اللّيل و النهار في خواطرهم و وساوسهم و أعمالهم ، و ما أبعد عن السعادة من باع مهمّ نفسه اللّازم بمهمّ غيره النادر إيثاراً للقبول و التقرّب من الخلق على القرب من الله تعالى ، و شرهاً في أن يسمّيه البطّالون من أبناء الدنيا فاضلاً محقّقاً عالماً بالدقائق ، و جزاؤه من الله تعالى أن لاينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدّر عليه صفوه بنوائب الزمان ثمّ يرد يوم القيامة مفلساً

(١) فاطر : ٢٨ .
(٢) آل عمران : ١٩٩ .
(٣) الشعراء : ٢١٥ .
(٤) آل عمران : ١٥٩ .
(٥) القصص : ٨٠ .
(٦) الانعام : ١٢٥ .
(٧) الدر المنثور ٣ ص٤٤ .

متحسراً على ما يشاهده من ربح العالمين (١) وفوز المقرّبين و ذلك هو الخسران المبين.

قيل لحذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -: نراك تتكلّم بكلام لا نسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصّني به رسول الله صلّى الله عليه وآله كان الناس يسألونه عن الخير و كنت أسأله عن الشرّ مخافة أن أقع فيه، وعلمت أنّ الخير لا يسبقني و قال مرّة: فعلمت أنّ من لا يعرف الشرّ لا يعرف الخير (٢)؛ و في لفظ آخر: كان الناس يقولون: يا رسول الله ما لمن عمل كذا و كذا فيسألونه من فضائل الأعمال، و كنت أقول: يا رسول الله ما يفسد كذا و كذا، فلمّا رآني أسأل عن آفات الأعمال خصّني بهذا العلم.

و كان حذيفة - رضي الله عنه - أيضاً قد خصّ بعلم المنافقين و أُفرد بمعرفة علم النفاق و أسبابه و دقائق الفتن وكان عمر و عثمان و غيرهما من الصحابة يسألونه عن الفتن العامّة و الخاصّة، وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم و كان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئاً من النفاق و كان إذا دعي إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلّى عليها و إلّا ترك وكان يسمّى صاحب السرّ» (٣).

أقول: وليتأمّل العاقل المنصف في نقل مثل هذه الأخبار عن المتسمّين بأهل السنّة و ليعتبر، إنّ في ذلك لعبرة لأُولي الأبصار.

قال: «فالعناية بمقامات القلب وأحواله هو دأب علماء الآخرة لأنّ القلب هو الساعي إلى قرب الربّ عزّ وجلّ و قد صار هذا الفنّ غريباً مندرساً و إذا تعرّض العالم لشيء منه استغرب و استبعد و قيل: هذا تزويق المذكّرين فأين التحقيق و يرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق القائل حيث يقول:

الطرق شتّى وطرق الحقّ مفردة * و السالكون طريق الحقّ أفراد
لا يعرفون و لا يدرون مقصدهم * فهم على مهل يمشون قصّاد
و الخلق في غفلة عمّا يراد بهم * فجلّهم عن سبيل الحقّ رقّاد

و على الجملة لا يميل أكثر الخلق إلّا إلى الأسهل و الأوفق لطباعهم، فإنّ

(١) في الاحياء «من ربح العاملين».

(٢) أورده البخاري في الصحيح ج ٩ ص ٦٥ بلفظ آخر.

(٣) راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٦ و٣٨٨ و٣٩٠، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٣.

الحق مرّ ، و الوقوف عليه صعب و إدراكه شديد ، و طريقه مستوعر (١) ، لاسيّما معرفة صفات القلب و تطهيره عن الأخلاق المذمومة فإنّ ذلك نزع للروح على الدوام ، و صاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ، و ينزل منزلة من جعل مدّة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ، و متى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ، و لذلك قيل : إنّه كان بالبصرة مائة و عشرون متكلّماً في الوعظ و التذكير ولم يكن من يتكلّم في علم اليقين و أحوال القلوب و صفات الباطن إلّا ستّة و كان يجلس إلى اُولئك الخلق الكثير الّذي لا يحصى و يجلس إلى هؤلاء عدد يسير قلّما يجاوز العشرة لأنّ النفيس العزيز لا يصلح إلّا لأهل الخصوص ، و ما يبتذل للعموم فأمره قريب .

ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته و إدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف و الكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره و إنّما المقلّد صاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمر به و قاله ، وإنّما يقلّد الصحابة من حيث أنّ فعلهم يدلّ على سماعهم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : و أمّا نحن معاشر الشيعة فلا نقلّد الصحابة كلّهم بل من وصّانا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم باتّباعه و إنّما هو أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين هم أحد الثقلين كيف و قد علمت أنّ في الصحابة منافقين ؟ و أنّه كان يخفى نفاقهم على أنفسهم فضلاً عن غيرهم كما مرّ آنفاً ، و إنّما نقلّد أهل البيت عليهم السلام لعصمتهم و أنّهم أخذوا علمهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفاً عن سلف من غير اجتهاد من رأيهم ولا تقليد لغيره صلى الله عليه وآله وسلم .

قال أبو حامد : « ثمّ إذا قلّد صاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم في تلقّي أقواله و أفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره ، فإنّ المقلّد إنّما يفعل ذلك الفعل لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فعله ، و فعله صلى الله عليه وآله وسلم لا بدّ و أن يكون لسرّ فيه ، فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال و الأقوال فإنّه إن اكتفى بحفظ ما يقال له كان وعاءً للعلم ولم يكن عالماً و لذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ، و كان لا يسمّى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطّلاع على الحكم و الأسرار ، و من انكشف عن قلبه الغطاء

(١) اى المكان المخوف .

و استنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلّداً فلا ينبغي أن يقلّد غيره ، و لذلك قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ : ما من أحد إلّا و يؤخذ من علمه ويترك إلّا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و قد كان تعلّم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على اُبيّ بن كعب ثمّ خالفهما في الفقه و القراءة جميعاً ، و قال بعض السلف : ما جاءنا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبلناه على الرأس والعين ، وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ و نترك ، و ما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال ، و إذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضيّ فالاعتماد على الكتب و التصانيف أبعد بل الكتب و التصانيف محدثة ، لم يكن شيء منها في زمن الصحابة و الصدر التابعين و إنّما حدثت بعد سنة مائة و عشرين بعد الهجرة و بعد وفاة جميع الصحابة و جلّة التابعين بل كان الأوّلون يكرهون كتب الأحاديث و تصنيف الكتب لئلّا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبّر و التفكّر و التذكّر وقالوا : احفظوا كما كنّا نحفظ.

و كان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطّأ و يقول : لا تبدع مالم يفعله الصحابة ، و قيل : أوّل كتاب صنّف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار(١) و حروف التفسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عبّاس بمكّة ، ثمّ كتاب معمر بن راشد الصنعاني

(١) هذا مخالف لما نص عليه الاعلام لانهم ذكروا لجماعة من الصحابة مدونات حديثية ذكروا لسلمان الفارسي الصحابي كتاب حديث جاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي صلى الله عليه و آله . راجع فهرست الشيخ الطوسي . و ذكروا لابي ذر الغفاري كتاب الخطبة يشرح فيها الامور بعد النبي صلى الله عليه و آله . وذكروا لابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله كتاب السنن والاحكام و القضايا ولعلي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام كتاباً أملاه رسول الله (ص) و خطه علي عليه السلام على صحيفة فيها كل حلال و حرام و ذكروا أيضاً له صحيفة في الديات كان يعلقها بقراب سيفه و قد نقل البخاري منها و أيضاً كتاب الفرائض راجع رجال النجاشي ص ٥ و ص ٢٥٥ في ترجمة محمد بن عذافر وصحيفة الرضا ص ١١٨ تحت رقم ١٣٥ و صحيح البخاري باب «كتابة العلم» الحديث الاول ج ١ ص ٣٨ و باب «اثم من تبرأ من مواليه» ج ٨ ص ١٩٢ ومسند احمد ج١ ص١٥١. و قال ابن شهر آشوب اول من صنف في الحديث امير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام و يؤيده ما جاء كثيراً في روايات الفريقين الايماء اليه . راجع الكافي ج ٧ ص ٣٣٠ و بصائر الدرجات الجزء الرابع الباب الاول .

باليمن جمع فيه سنناً مأثورة منثورة مبوّبة ثمّ كتاب الموطّأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثمّ جامع سفيان الثوريّ، ثمّ في القرن الرابع حدثت مصنّفات الكلام، و كثر الخوض في الجدال والخوض في إبطال المقالات، ثمّ مال الناس إلى ذلك و إلى القصص و الوعظ بها، فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب و التفتيش عن صفات النفس و مكائد الشيطان و أعرض عن ذلك جميع الناس إلّا الأقلّون فصار يسمّى المجادل المتكلّم عالماً و القاصّ المزخرف كلامه بالعبارات المسجّعة عالماً و هذا لأنّ العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميّز لهم حقيقة العلم عن غيره و لم تكن سيرة الصحابة و علومهم ظاهرة عندهم حتّى كانوا يعرفون بذلك مباينة هؤلاء لهم فاستمرّ عليهم اسم العلماء، و توارث اللّقب خلفاً عن سلف، و أصبح علم الآخرة مطويّاً، و غاب عنهم الفرق بين العلم و الكلام إلّا عن الخواصّ منهم حتّى كان إذا قيل لأحدهم: فلان أعلم أم فلان؟ فكان يقال: فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً، فكان الخواصّ يدر كون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام، هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظنّ بزمانك هذا و قد انتهى الأمر إلى أنّ مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت.

ومنها أن يكون شديد التوقّي عن محدثات الأمور و إن اتّفق عليها الجمهور فلا يغرنّه إطباق الخلق على ما أُحدث بعد الصّحابة و ليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة و سيرتهم وأعمالهم و ما كان فيه أكثر همّهم أكان في التدريس والتصنيف و المناظرة و القضاء و الولاية و تولّي الأوقاف والوصايا و مال الأيتام و مخالطة السلاطين و مجاملتهم في العشرة؟ أو في الخوف و الحزن و التفكّر و المجاهدة و مراقبة الظاهر و الباطن و اجتناب دقيق الاثم وجليله و الحرص على إدراك خفايا شهوات النفس و مكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن.

وليعلم تحقيقاً أنّ أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحقّ أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أُخذ الدين فلذلك قال عليٌّ عليه السلام: «خيرنا أتبعنا لهذا الدّين» لمّا قيل له خالفت فلاناً.

اقول : و ينبغي أن يبدّل لفظ الصحابة في كلامه بأهل البيت في الموضعين كما أشرنا إليه آنفاً وسيأتي تحقيقه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

قال : « فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ الناس رأوا رأياً فيما هم فيه لميل طباعهم إليه و لم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأنّ ذلك سبب الحرمان من الجنّة فادّعوا أنّه لا سبيل إلى الجنّة سواه .

و قد روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً و مسنداً أنّه قال : « إنّما هما إثنان الكلام و الهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله ، ألا و إيّاكم ومحدثات الأمور ، فإنّ شرّ الأمور محدثاتها و إنّ كلّ محدثة بدعة ، و كلّ بدعة ضلالة ، ألا لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، ألا كلّ ما هو آت قريب ، ألا إنّ البعيد ما ليس بآت » [1] .

و في خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله « طوبى لمن شغله عيوبه عن عيوب الناس ، و أنفق من مال اكتسبه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه و الحكمة ، وجانب أهل الذلّ والمعصية ؛ طوبى لمن ذلّ في نفسه ، و حسنت خليقته ، و صلحت سريرته ، و عزل عن الناس شرّه ؛ و طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله ، و وسعته السنّة ولم يدعها إلى البدعة » [2] و كان ابن مسعود يقول : حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل ؛ و قال : أنتم في زمان يكون خيركم فيه المتسارع في الأمور ، و سيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبّت المتوقّف لكثرة الشبهات . وقد صدق فمن لم يتثبّت في هذا الزمان و وافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا. وقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ : أعجب من هذا أنّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأنّ منكركم معروف زمان قد أتى ، و أنّكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحقّ ، و كان العالم فيكم غير مستخفّ به . و لقد صدق ـ رضي الله عنه ـ فإنّ أكثر معروفات هذه الأعصار

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٦ ٠ و رواه الشيخ فى أماليه مسنداً عن ابى عبدالله، عن أبيه عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه و آله كما فى البحار ج٢ ص ٣٠١ وهكذا أخرجه أحمد فى المسند ج٣ ص ٣١٠ و ٣١٩ و ٣٧١ .

(٢) راجع تحف العقول ص ٣٠ ، والجامع الصغير باب الطاء ، والكافى ج٢ ص ١٤٤ .

منكرات في عصر الصحابة إذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد و تنجيدها و إنفاق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها و بسط الفرش الرفيعة فيها و قد كان يعدُّ فرش البواري في المسجد بدعة ، و قيل : إنّه من محدثات الحجّاج ، فقد كان الأوّلون قلّما يجعلون بينهم و بين التراب حاجزاً و كذا الاشتغال بدقائق الجدل ، و المناظرة من أجلّ علوم هذا الزمان ، و يزعمون أنّه من أعظم القربات و قد كان ذلك من المنكرات ، و من ذلك التلحين في الأذان و القرآن ، و من ذلك التقشّف في النظافة و الوسوسة في الطهارة ، و تقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حلّ أكل الأطعمة و تحريمها إلى نظائر ذلك ، ولقد صدق ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال : أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى .
و قيل : تركوا العلم و أقبلوا على الغرائب ما أقلّ الفقه فيهم . و الله المستعان .

و قيل : لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم و لم يكن العلماء يقولون : حلال ولا حرام ، بل يقولون : مكروهٌ و مستحبٌّ ، معناه أنّهم ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب ، فأمّا الحرام فكان تجنّبه ظاهراً . وقيل: لا تسألوهم اليوم عمّا أحدثوا فإنّهم قد أعدّوا له جواباً و لكن سلوهم عن السنّة فإنّهم لا يعرفونها ، و في الحديث المشهور « من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو ردٌّ »(١) و في حديث آخر « من غشّ أُمّتي فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين ، قيل : يا رسول الله و ما غشُّ أُمّتك ؟ قال : أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها »(٢) . و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ لله ملكاً ينادي كلّ يوم : من خالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنله شفاعته »(٣) .

ومثال الجاني على الدين بإبداع ما يخالف السنّة بالنسبة إلى من يذنب ذنباً مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معيّنة و ذلك قد يغفر

(١) متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « فى أمرنا » راجع الجامع الصغير باب الميم ، و مسند أحمد ج٦ ص ٢٧٠ .
(٢) قال العراقى : رواه الدار قطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف .
(٣) ماعثرت على أصل له .

فأمّا قلب الدولة فلا ، و قال بعض العلماء : ما تكلّم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء و ما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلّف ، و قال آخر : الحقّ ثقيل من جاوزه ظلم ، و من قصرعنه عجز ، و من وقف عليه اكتفى . وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « عليكم بالنمط الأوسط الّذي يرجع إليه الغالي و يرتفع إليه التالي » (١) و قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ إنّ الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها ، قال الله عزّ وجلّ : « و ذر الّذين اتّخذوا دينهم لعباً و لهواً » (٢) و قال تعالى : «أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً» (٣) فكلّما اُحدث بعد الصحابة ممّا جاوز قدر الضرورة و الحاجة فهو اللّعب و اللّهو . و قال بعض العارفين : إنّما انقطع الأبدال في أطراف الأرض و استتروا عن أعين الجمهور لأنّهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنّهم عندهم جهّال بالله تعالى و هم عند أنفسهم و عند الجاهلين علماء .

قال سهل التستري (٤) إنّ من أعظم المعاصي الجهل بالجهل و النظر إلى العامّة و استماع كلام أهل الغفلة و كلّ عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله بل ينبغي أن يتّهم في كلّ ما يقول لأنّ كلّ إنسان يخوض فيما أحبّه و يدفع ما لا يوافق محبوبه و لذلك قال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتّبع هواه و كان أمره فرطاً » (٥) و العوام العصاة أسعد حالاً من الجهّال بطريق الدين المعتقدين أنّهم من العلماء لأنّ العاميّ العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظانّ أنّه عالم و أنّ ما هو مشتغل به من العلوم الّتي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الآخرة

---

(١) ما عثرت عليه الا في النهاية الاثيرية هكذا قال في حديث علي « خير هذه الامة النمط الاوسط» . و في معناه روايات عن اهل البيت منها « كونوا النمرقة الوسطى اليكم يفيئ الغالي و بكم يلحق التالي» الكافي ج ٢ ص ٧٥ .

(٢) الانعام : ٧٠ . (٣) الفاطر : ٨ .

(٤) هو أبو محمد سهل بن عبدالله التسترى من كبار الصوفية لقى ذا النون المصرى و سكن البصرة زماناً و عبادان مدة ، و لدسنة ٢٠٠ و توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ أو ٢٧٣ . (الكنى و الالقاب للمحدث القمى) .

(٥) الكهف : ٢٨ .

و الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه إلى الموت ، و إذا غلب هذا على أكثر الناس إلّا من عصمه الله تعالى و انقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم للمحتاط العزلة و الانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة إن شاء الله تعالى بيانه و لذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي : ما ظنّك بمن بقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلّا كان آثماً و كانت مذاكرته معصية و ذلك أنّه لا يجد أهله . و لقد صدق فإنّ مخالط الناس لا ينفكّ عن غيبة أو سماع غيبة أو عن سكوت على منكر ، و أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيده ولو تأمّل علم أنّ المستفيد إنّما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا و شبكة و وسيلة إلى الشرّ فيكون هو معيناً له و رداءً و ظهيراً و مهيّئاً لأسبابه كالّذي يبيع سيفاً من قاطع طريق فالعلم كالسيف و صلاحه للخير كصلاح السيف للغزو و ذلك لا يرخّص في البيع ممّن يعلم بقرائن أحواله أنّه يريد به الاستعانة على قطع الطريق . فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كلّ واحدة منها جملاً من أخلاق علماء السلف ، فكن أحد رجلين إمّا متّصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به ، وإيّاك أن تكون الثالث فتلبّس على نفسك بأن بدّلت آلة الدنيا بالدين و سيرة البطّالين بسيرة العلماء الراسخين فتلحق بجهلك و إنكارك بزمرة الهالكين الآيسين ، نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فبها هلك الجمهور ، فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممّن لا تغرّه الحياة الدنيا و لا يغرّه بالله الغرور .

﴿ الباب السابع ﴾

(في العقل و شرفه و حقيقته وأقسامه)

بيان شرف العقل : إعلم أنّ هذا ممّا لا يحتاج إلى تكلّف في إظهاره لا سيّما و قد ظهر شرف العلم من قبل ، والعقل منبع العلم و مطلعه و أساسه و العلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، و كيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا و الآخرة أو كيف يستراب فيه ، والبهيمة مع قصور تمييزها

﴿فصل﴾

قال أبو حامد: « و إنّما يضاعف عذاب العالِم في معصيته لأنّه عصى عن علم و لذلك قال الله عزّ وجلّ: « إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار »(١) لأنّهم جحدوا بعد العلم، و جعل اليهود شرّاً من النصارى مع أنّهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا: إنّه ثالث ثلاثة(٢)، و لكنّهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال تعالى: « يعرفونه كما يعرفون أبنائهم »(٣)، و قال عزّ و جلّ: « فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به »(٤) و قال تعالى في قصّة بلعم بن باعورا: « واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - حتّى قال تعالى -: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث(٥) و ذلك للعالم الفاجر فإنّ بلعم كان اُوتي كتاب الله عزّ و جلّ فأخلد إلى الشهوات فشبّهه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

و قال عيسى عليه السلام: « مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لاهي تشرب الماء و لاهي تترك الماء يخلص إلى الزرع، و مثل علماء السوء كمثل قناة الحشّ ظاهرها جصّ وباطنها نتن(٦)، و مثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى » فهذه الأخبار و الآثار تبيّن أنّ العالم الّذي هو من أبناء الدنيا أخسّ حالاً و أشدّ عذاباً من الجاهل و أنّ الفائزين المقرّبين هم علماء الآخرة و لهم علامات فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإنّ أقلّ درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا و خسّتها و كدورتها، و انصرامها، و عظم الآخرة و دوامها و صفاء نعيمها و جلالة ملكها، و يعلم أنّهما متضادّتان، و أنّهما كالضرّتين مهما أرضيت إحديهما أسخطت الاُخرى، و أنّهما ككفّتي

---

(١) النساء: ١٤٤.

(٢) هو قول النسطورية والملكانية منهم القائلين بالاقانيم الثلاثة.

(٣) البقرة: ١٤١. (٤) البقرة: ٨٣.

(٥) الاعراف: ١٧٥. و اللهث في اللغة اخراج الكلب لسانه من فمه.

(٦) الحش - بالفتح -: الكنيف و موضع قضاء الحاجة. (النهاية)

ميزان مهما رجحت إحداهما خفّت الاُخرى، و أنّهما كالمشرق و المغرب متى قربت من إحديهما بعدت من الاُخرى، و أنّهما كقدحين أحدهما مملوء و الآخر فارغ فبقدر ما تصبّه منه في الآخر حتّى يمتلي يفرغ الآخر فإنّ من لا يعلم حقارة الدنيا و كدوراتها وامتزاج لذّتها بألمها ثمّ انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل، فإنّ المشاهدة و التجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له؟ و من لا يعلم عظم أمر الآخرة و دوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له؟ و من لا يعلم مضادّة الدنيا للآخرة و أنّ الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلّهم بل هو كافر بالقرآن من أوّله إلى آخره فكيف يعدّ من زمرة العلماء؟ و من علم هذا كلّه ثمّ لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان، و قد أهلكته شهوته، و غلبت عليه شقوته، فكيف يعدّ من أحزاب العلماء من هذه درجته؟.

و في أخبار داود عليه السلام «إنّ أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهواته على محبّتي أن اُحرّمه لذيذ مناجاتي، يا داود لاتسألنّ عنّي عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي أولئك قطّاع الطريق على عبادي»(١).

«يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، ياداود من ردّ إليّ هارباً كتبته جهبذاً، ومن كتبته جهبذاً لم اُعذّبه أبداً»(٢).

ولذلك قيل: عقوبة العلماء موت قلوبهم، و موت قلوبهم طلب الدنيا بعمل الآخرة، و لذلك قال يحيى بن معاذ الرازيّ: إنّما يذهب بهاء العلم و الحكمة إذا طلبت بهما الدنيا، وكان يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصريّة، وبيوتكم كسرويّة، و أثوابكم طاهريّة، و أخفافكم جالوتيّة، ومراكبكم قارونيّة، و أوانيكم فرعونيّة، و مآتمكم جاهليّة، ومذاهبكم شيطانيّة، فأين المحمديّة؟ وأنشدوا:

(١) رواه الصدوق في العلل كما في البحار ج٢ ص١٠٧ وفيه «لاتجعل بيني و بينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك ـ الحديث ـ».

(٢) قوله: «جهبذاً» الجهبذ هو الناقد العارف البصير بتمييز الحق من الباطل، وفي بعض النسخ [جهيداً].

وراعي الشّاء يحمي الذئبَ عنها * فكيف إذا الرُّعاةُ لها ذئاب

و قيل :

يا معشر القرّاء يا ملح البلد * ما يصلح الملح إذا الملح فسد

و قيل لبعض العارفين : أترى أنّ من تكون المعاصي قرّة عينه لايعرف الله ؟ قال : لاأشكّ أنّ من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنّه لايعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ، ولاتظنّنّ أنّ ترك المال يكفي في اللّحوق بعلماء الآخرة فإنّ الجاه أضرّ من المال و لذلك قيل : «حدّثنا» باب من أبواب الدنيا[1] و إذا سمعت الرجل يقول : « حدّثنا» وإنّما يقول : أوسعوا لي .

وقيل : فتنة الحديث أشدّ من فتنة الأهل والمال والولد ، و قيل : العلم كلّه دنيا والآخرة منه العمل به ،والعمل كلّه هباء إلّا الإخلاص .

و قال عيسى عليه السلام :« كيف يكون من أهل العلم من يكون مسيره إلى آخرته و هو مقبل على دنياه ؟ و كيف يكون من أهل العلم من يطلب العلم ليخبر به لاليعمل به[2] » .

و عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «من طلب علماً ممّا يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنّة يوم القيامة»[3] .

و قد وصف الله عزّ وجلّ علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم و وصف علماء الآخرة بالخشوع و الزهد فقال في علماء الدنيا : « و إذ أخذ الله ميثاق الّذين اُوتوا الكتاب لتبيننّه للنّاس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً »[4] و قال في علماء الآخرة : « و إنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله و ما اُنزل إليكم و ما اُنزل إليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربّهم»[5] .

---

(١) قوله «حدثنا» يعنى قول حدثنا فهو مبتدأ و «باب من أبواب الدنيا» خبره .
(٢) أخرج شطره الاول ابن الشيخ فى اماليه ص ١٣٠ وتمامه الدارمى فى سننه ج ١ ص ١٠٣ .
(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ج ٢ ص ٢٩٠ و أخرجه ابن عبد البر أيضاً فى العلم عن ابى هريرة كما فى المختصر ص ٩٠ .
(٤) آل عمران : ١٨٧ .
(٥) آل عمران : ١٩٩ .

وعن النبي ﷺ «قال : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام «قل للذين يتفقهون لغير الدين و يتعلّمون لغير العمل و يطلبون الدّنيا بعمل الآخرة و يلبسون للناس مسوك الكباش ، و قلوبهم كقلوب الذئاب ، وألسنتهم أحلى من العسل ، و قلوبهم أمرّ من الصبر إيّاي يخادعون ، وبي يستهزؤون : لأُتيحنّ لهم فتنة تذر الحليم حيران[1]» إلى غير ذلك من الأخبار و الآثار .

ومنها أن لا يخالف قوله فعله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أوّل عامل به .

قال الله تعالى : «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم»[2] .

و قال عزّ وجلّ : «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[3] .

و قال عزّ وجلّ في قصّة شعيب عليه السلام : «وما أُريد أن أُخالفكم إلى ما أنهيكم عنه»[4] .

و قال تعالى : «و اتّقوا الله و يعلّمكم الله»[5] «و اتّقوا الله و اعلموا»[6] «واتّقوا الله و اسمعوا»[7] .

و قال عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام : «يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ الناس وإلّا فاستحي منّي» .

وقال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أُسري بي بقوم كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم؟ فقالوا : إنّا كنّا نأمر بالخير و لا نفعله و ننهى عن الشرّ ونفعله»[8] .

و قال ﷺ : «هلاك أُمّتي عالم فاجر وعابد جاهل ، وشرّ الشرار شرار العلماء ، و خير الخيار خيار العلماء»[9] .

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩٠ من حديث ابي الدرداء .

(٢) البقرة : ٤٤ . (٣) المؤمن : ٣٥ .

(٤) هود : ٨٨ . (٥) البقرة : ٢٨٢ .

(٦) البقرة : ١٩٦ . (٧) المائدة : ١٠٨ .

(٨) أخرجه ابن حبان من حديث أنس كما في المغني .

(٩) أخرجه ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ٩١ .

و قال أبو الدرداء : ويل لمن لايعلم مرّة وويل لمن يعلم ولايعمل سبع مرّات(١).

و روى مكحول عن عبدالرحمن بن غنم أنّه قال : حدّثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّا كنّا ندرّس العلم في مسجد قبا إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «تعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتّى تعملوا»(٢).

و قال عيسى عليه السلام : «مثل الّذي يتعلّم العلم و لا يعمل به كمثل امرأة زنت في السرّ فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد».

و قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : سيأتي على النّاس زمان تملح فيه عذوبة القلب فلاينتفع يومئذ بالعلم عالمه و لامتعلّمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجدلها عذوبة و ذلك إن مالت قلوب العلماء إلى حبّ الدنيا و إيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة و يطفيء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنّه يخشى الله عزّ وجلّ بلسانه و الفجور بيّن في عمله، فما أخصب الألسن يومئذ و أجدب القلوب فو الله الّذي لا إله إلّا هو ما ذاك إلّا لأنّ المعلّمين علّموا لغير الله تعالى والمتعلّمين تعلّموا لغير الله تعالى.

و في الإنجيل مكتوب : «لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتّى تعملوا بما علمتم»(٣).

و قال حذيفة : إنّكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان من عمل بعشر ما علم نجى وذلك لكثرة البطّالين.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : «إنّ الشيطان ربّما سبقكم إلى العلم، فقيل : يارسول الله و كيف ذلك؟ قال : يقول : اطلب العلم ولاتعمل حتّى تعلم فلايزال في العلم قائلاً وللعمل مسوّفاً حتّى يموت و ما عمل»(٤).

---

(١) أورده ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٦.

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٧.

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٧.

(٤) قال العراقى : الحديث فى الجامع من حديث أنس. انتهى. وفى الاحياء «ربما يسوفكم بالعلم».

و قال ابن مسعود : ليس العلم بكثرة الرواية وإنّما العلم الخشية [1].

و قال : اُنزل القرآن ليعمل به فاتّخذتم دراسته عملاً و سيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم و العالم الّذي لا يعمل كالمريض الّذي يصف الدواء و لا يتداوي به و الجائع الّذي يصف لذائذ الأطعمة و لا يجدها و في مثله يقال : «و لكم الويل ممّا تصفون» .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه الكلينيّ - رحمه الله - بإسناده عن الصادق عليه السلام «أنّه قال : إنّ رواة الكتاب كثير وإنّ رعاته قليل و كم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية والجهّال يحزنهم حفظ الرواية فراع يرعي حياته و راع يرعي هلكته . فعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان» [2] .

وبإسناده عنه عليه السلام في قول الله تعالى : «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» [3] قال : يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم» [4] .

وفي رواية اُخرى « و من لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع» .

وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام [5] : « أنّه قال : العالم حقّاً هو الّذي ينطق عنه أعماله الصالحة وأوراده الزاكية و صدقه و تقواه لالسانه و تطاوله [6] و دعواه ، ولقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا الزّمان من كان فيه عقل و نسك و حكمة و حياء و خشية وإنّما نرى طالبه اليوم من ليس فيه من ذلك شيء ، والعالم يحتاج إلى عقل و رفق وشفقة و نصح و حلم وصبر و بذل ، والمتعلّم يحتاج إلى رغبة و إرادة و فراغ و نسك وخشية وحفظ وحزم » .

و عنه عليه السلام «قال : أوحى الله عزّ وجلّ : إلى داود عليه السلام : أنّ أهون ما أنا صانع بعالم غير عامل بعلمه أشدّ من سبعين عقوبة باطنيّة أن اُخرج من قلبه حلاوة ذكري » .

---

(۱) أورده ابن عبد البر في العلم كما في المختصر ص ۱۰۸ .
(۲) المجلد الاول ص ٤٩ تحت رقم ٦ .
(۳) فاطر :۲۸ .
(٤) المجلد الاول ص ۳٦ تحت رقم ۲ . والرواية الاخرى ص ٤٥ رقم٥ .
(٥) الباب الثاني و الستون ص ٤۱ .
(٦) في بعض النسخ [تصاوله] .

ومنها (١) أن يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة، المرغّب في الطاعة، متجنّباً للعلوم التي يقلّ نفعها و يكثر فيها الجدال و القيل و القال، فمثل من يعرض عن علم الأعمال و يشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة و قد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى عليه فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصيّة العقاقير و الأدوية وغرائب الطبّ و ترك مهمّه الذي هو مؤاخذ به و ذلك محض السفه، وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: علّمني من غرائب العلم، فقال له: ما صنعت في رأس العلم؟ قال: و ما رأس العلم؟ قال: هل عرفت الربّ؟ قال: نعم، قال: و ما صنعت في حقّه؟ قال: ماشاء الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: هل عرفت الموت؟ قال: نعم، قال: فما أعددت له؟ قال: ماشاء الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذهب فأحكم ما هنالك ثمّ تعال نعلّمك غرائب العلم». (٢)

بل ينبغي أن يكون التعلّم من جنس ما روي عن بعض السلف أنّه قال له اُستاده: منذ كم صحبتني؟ فقال: منذ ثلاث وثلاثين سنة، قال: فما تعلّمت منّي في هذه المدّة؟ فقال: ثمان مسائل، فقال الاُستاد: إنّا لله و إنّا إليه راجعون ذهب عمري معك و لم تتعلّم إلّا ثمان مسائل: قال: يا اُستاد لم أتعلّم غيرها و لا اُحبّ أن أكذب، فقال له: هات الثمان مسائل حتّى أسمعها؟

قال: الأولى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ واحد يحبّ محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إليه فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي، فقال: أحسنت.

فما الثانية؟ قال: نظرت في قول الله عزّ و جلّ: «و أمّا من خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى» (٣) فعلمت أنّ قوله سبحانه هو الحقّ فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتّى استقرّت عليّ طاعة الله تعالى.

الثالثة أنّي نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ من معه شيء له قيمة عنده ومقدار

---

(١) من كلام أبي حامد.

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٩٧.

(٣) النازعات: ٤٠.

رفعه و حفظه ، ثمّ نظرت في قول الله عزّ وجلّ : « ما عندكم ينفد و ما عند الله باق»[1] فكلّما وقع معي شيء له قيمة و مقدار وجّهته إليه ليبقى لي عنده .

الرابعة أنّي نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ واحد منهم يرجع إلى المال و الحسب و الشرف و النسب فنظرت فإذا هي لاشيء ثمّ نظرت إلى قول الله تعالى : « إنّ أكرمكم عند الله أتقيكم»[2] فعملت في التقوى حتّى أكون عند الله عزّ و جلّ كريماً .

الخامسة نظرت إلى هذا الخلق و هم يطعن بعضهم في بعض و يلعن بعضهم بعضاً و أصل هذا كلّه الحسد ، ثمّ نظرت فرجعت إلى قول الله سبحانه : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا»[3] فتركت الحسد و اجتنبت الخلق و علمت أنّ القسمة من عند الله سبحانه و تركت عداوة الخلق عنّي .

السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عزّ وجلّ : « إنّ الشيطان لكم عدوٌ فاتّخذوه عدوّاً »[4] فعاديته وحده و اجتهدت في أخذحذري منه لأنّ الله تعالى شهد عليه أنّه عدوّي فتركت عداوة الخلق .

السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلّ واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذلّ نفسه و يدخل فيما لايحلّ له ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « و ما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها »[5] فعلمت أنّي واحدٌ من هذه الدوابّ الّتي على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله عليّ و تركت مالي عنده .

الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكّلين هذا على ضيعته ، و هذا على تجارته ، و هذا على صناعته ، و هذا على صحّة بدنه ، و كلّ مخلوق يتوكّل على مخلوق فرجعت إلى قوله عزّ و جلّ : « و من يتوكّل على الله فهو حسبه »[6] فتوكّلت على الله فهو حسبي و نعم الوكيل .

قال الأستاذ : وفّقك الله فإنّي نظرت في علم التوراة والإنجيل و الزبور و الفرقان

---

(١) النحل : ٩٦ .
(٢) الحجرات : ١٣ .
(٣) الزخرف : ٣٢ .
(٤) فاطر : ٦ .
(٥) هود : ٦ .
(٦) الطلاق : ٣ .

العظيم وهي تدور على هذه المسائل الثمانية فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة ،

أقول : و قد ينسب هذا إلى مولينا الصادق عليه السلام مع بعض تلامذته بأدنى تغيير في اللّفظ .

قال (١) : « فهذا الفنّ من العلم يهتمّ بإدراكه و التفطّن له علماء الآخرة و أمّا علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسّر به اكتساب المال و الجاه و يهملون أمثال هذه العلوم الّتي بها بعث الله الأنبياء عليهم السلام كلّهم ، و قال الضحّاك بن مزاحم : أدركتهم و ما يتعلّم بعضهم من بعض إلّا الورع وهم اليوم يتعلّمون الكلام .

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفّه في المطعم ، والتنعّم في الملبس ، و التجمّل بالأثاث و المسكن ، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك و يتشبّه فيه بالسلف و يميل إلى الاكتفاء بالأقلّ في جميع ذلك و كلّما زاد إلى طرف القلّة ميله ازداد من الله سبحانه قربه و ارتفع في علماء الآخرة درجته ، و يشهد لذلك ما حكي عن أبي عبدالله الخواصّ وكان من أصحاب حاتم الأصمّ قال : دخلت مع حاتم الريّ و معنا ثلاثمائة و عشرون رجلاً نريد الحجّ و عليهم الزرمانقات (٢) و ليس معهم جراب و لا طعام فدخلنا على رجل من التجّار متقشّف يحبّ المساكين فأضافنا تلك اللّيلة فلمّا كان من الغد قال لحاتم : ألك حاجة فإنّي اُريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل ، فقال حاتم : عيادة المريض لها فضل و النظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضاً أجيىء معك و كان العليل محمّد بن مقاتل قاضي الريّ فلمّا جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكّراً يقول : باب عالم على هذه الحال ، ثمّ اُذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء و إذا بزّة (٣) وسعة وستور ، فبقي حاتم متفكّراً ثمّ دخلوا إلى المجلس الّذي هو فيه فإذا بفرش وطئة و هو راقد عليها و عند رأسه غلام و بيده مذبّة (٤) فقعد الرّازي و سأل وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس ،

---

(١) من كلام أبي حامد .

(٢) زرمانقة : جبة صوف .

(٣) دار قوراء أي واسعة ، و البز : السلاح كالبزة ، و البزة - بالكسر - الهيئة والسلاح (الصحاح) .

(٤) المذبة ما يدفع به الذباب .

قال ، لا أجلس ، فقال : لعلّ لك حاجة ؟ فقال : نعم ، قال : ماهي ؟ قال مسئلة أسألك عنها ، قال : سلني ، قال : قم فاستو حتّى أسألك ، فاستوى ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ قال : الثقات حدّثوني به ، قال : عمّن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله ﷺ قال : وأصحاب رسول الله ﷺ عمّن ؟ قال : عن رسول الله ﷺ ، قال : و رسول الله عمّن ؟ قال : عن جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى ، قال حاتم : ففيما أدّاه جبرئيل عن الله سبحانه إلى رسول الله ﷺ و أدّاه رسول الله إلى أصحابه و أصحابه أدّوه إلى الثقات و أدّاه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان داره دار أمير و كانت سعته أكثر كان له عندالله عزّ وجلّ المنزلة أكثر ؟ قال : لا ، قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت من زهد في الدنيا و رغب في الآخرة و أحبّ المساكين و قدّم لآخرته كان له عندالله تعالى المنزلة أرفع ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت ؟ أبالنبي ﷺ وأصحابه الصالحين أم بفرعون ونمرود ؟ أوّل من بنى بالجصّ و الآجر ، يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرّاً منه ، و خرج من عنده ، فازداد ابن مقاتل مرضاً و بلغ أهل الريّ ماجرى بينه و بين ابن مقاتل ، فقالوا : إنّ الطنافسيّ بقزوين أكثر شيئاً منه [(١)] فسار حاتم إليه متعمّداً فدخل عليه فقال : رحمك الله أنا رجل عجميّ أحبّ أن تعلّمني مبدأ ديني و مفتاح صلاتي كيف أتوضّأ للصلاة قال : نعم و كرامة يا غلام هات إناء فيه ماء ، فأُتي به فقعد الطنافسيّ و توضّأ ثلاثاً ثلاثاً ثمّ قال : هكذا توضّأ ، قال حاتم : مكانك حتّى أتوضّأ بين يديك فيكون أوكد لما أُريد ، فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضّأ ، ثمّ غسل ذراعين أربعاً فقال الطنافسي : أسرفت يا هذا ، قال له حاتم : فيماذا ؟ قال : غسلت ذراعك أربعاً ، قال : يا سبحان الله إنّي في كفّ ماء أسرفت و أنت في هذا الجمع كلّه لم تسرف ؟ فعلم الطنافسيّ أنّه قصد ذلك دون التعلّم ، فدخل إلى البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً .

فلمّا دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبدالرحمن أنت رجل ألكن عجميّ ليس يكلّمك أحد إلّا قطعته : قال : معي ثلاث خصال بهنّ أظهر على خصمي :

---

(١) في الاحياء « أكثر توسعاً » .

أفرح إذا أصاب خصمي ، و أحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي أن لاتجهل عليه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال : يا سبحان الله ما أعقله ؟! قوموا بنا إليه ، فلمّا دخلوا عليه قالوا : يا أباعبدالرحمن ما السّلامة من الدنيا ؟ قال : يا أبا عبدالله لا تسلم من الدنيا حتّى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، و تمنع جهلك ، و تبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيساً ، فإذا كنت هكذا سلمت .

ثمّ سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال : يا قوم أيّة مدينة هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال : فأين قصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى اُصلّي فيه ؟ قالوا : ماكان له قصر إنّما كان له بيت لاطيء بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه ؟ قالوا : ماكانت لهم قصور إنّما كانت لهم بيوت لاطئة ، فقال حاتم : يا قوم فهذه مدينة فرعون ، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا : هذا العجميُّ يقول : هذه مدينة فرعون ، قال الواليُّ : ولم ذاك ؟ قال حاتم : لاتعجل عليَّ أنا رجل عجميٌّ غريب دخلت البلد فقلت : مدينة من هذه ؟ فقالوا : مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت : أين قصره ؟ و قصَّ القصّة ، ثمَّ قال : و قد قال الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله اُسوة حسنة(١) » فأنتم بمن تأسّيتم ؟ أبرسول الله أم بفرعون أوَّل من بنى بالجصّ و الآجر ؟ فخلّوا عنه و تركوه - هذه حكاية حاتم - .

و سيأتي من سيرة السلف في البذاذة و ترك التجمّل ما يشهد لذلك في مواضعه و التحقيق فيه أنَّ التزيّن بالمباح ليس بحرام ولكنَّ الخوض فيه يوجب الاُنس به حتّى يشقَّ تركه و استدامة الزينة لا يمكن إلّا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة و مراعات الخلق ومراياتهم واُمور اُخرى محظورة ، والحزم اجتناب ذلك لأنَّ من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتّة و لو كانت السلامة مبذولة مع الخوض في الدنيا لكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يبالغ في ترك الدنيا حتّى نزع القميص المعلّم و نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة إلى غير ذلك ممّا سيأتي بيانه فالتعريج على التنعّم بالمباح خطره عظيم و هو بعيد من الخوف و الخشية و خاصيّة علماء الله سبحانه الخشية وخاصيّة الخشية التباعد من مظانّ الخطر .

---

(١) الاحزاب : ٢١ .

أقول : و ممّا يشهد لذلك مارواه السيّد الرضيّ - رحمه‌الله - في كتاب نهج‌البلاغة عن مولينا أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال في كلام له طويل[١]: « من عظمت الدنيا في عينه و كبر موقعها من قلبه آثرها على الله ، فانقطع إليها ، وصار عبداً لها . و لقد كان في رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كاف لك في الأسوة ، و دليل لك على ذمّ الدنيا و عيبها ، و كثرة مخازيها[٢] و مساويها ، إذ قبضت عنه أطرافها ، و وطّئت لغيره أكنافها ، و فطم عن رضاعها ، وزوي عن زخارفها[٣] وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله عليه‌السلام إذيقول : « ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير » و الله ما سأله إلّا خبزاً يأكله لأنّه كان يأكل بقلة الأرض ، و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذّب لحمه ،[٤] و إن شئت ثلّثت بداود صاحب المزامير و قارىء أهل الجنّة فلقد كان يعمل سفائف الخوص[٥] بيده ويقول لجلسائه : أيّكم يكفيني بيعها و يأكل قرص الشعير من ثمنها ، و إن شئت قلت في عيسى ابن مريم عليه‌السلام فلقدكان يتوسّد الحجر ، و يلبس الخشن ، و يأكل الجشب ، و كان إدامه الجوع ،[٦] وسراجه باللّيل القمر ، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها[٧] ، وفاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلفته ، ولا طمع يذلّه ، دابّته رجلاه ، و خادمه يداه ، فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى ، وعزاء لمن تعزّى ، وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه ،

(١) خطبة ١٥٨ من النهج أولها امره قضاء و حكمة .

(٢) جمع مخزاة وهي مايستحيى من ذكره لقبحه ، والمساوى : العيوب .

(٣) قبض الاطراف كناية عن المنع ، ووطئت - بالتشديد - اى هيأت . وأكناف الشيء جوانبه ، وزوى اى قبض متاعها و زينتها .

(٤) شف الثوب اى رق ، والصفاق - ككتاب - : الجلدالاسفل تحت الجلدالذى عليه الشعر ، وقيل : جلد البطن كله . والتشذب : التفرق و انهضام اللحم .

(٥) السفائف- جمع‌سفيفة- وصف‌من سف الخوص اذا نسجه‌اى منسوجات‌الخوص .

(٦) اى لايأكل من الخبز مايرفع الجوع .

(٧) ظلاله اى مأواه و مكمنه من البرد .

والمقتصّ لأثره، قضم الدنياء قضماً[1] ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، [2] عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، و علم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقّره، وصغّر شيئاًفصغّره، ولولم يكن فينا إلّا حبّنامأأبغض الله و رسوله و تعظيمنا ما صغّر الله و رسوله لكفى به شقاقاً لله و محادّة عن أمر الله، و لقدكان صلّى الله عليه وآله وسلّم يأكل على الأرض و يجلس جلسة العبد، و يخصف بيده نعله، و يرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه، و يكون الستر على باب بيته، فيكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة - لإحدى أزواجه - غيّبيه عنّي فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا و زخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، و أمات ذكرها من نفسه، و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه؛ لكيلا يتّخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، و لا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، و أشخصها عن القلب، و غيّبها عن البصر، و كذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، و أن يذكر عنده، و لقد كان في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما يدلّك على مساوي الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصّته وزُويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظرٌ بعقله أأكرم الله محمّداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه فقد كذب و [الله] العظيم [و أتى بالإفك العظيم] و إن قال: أكرمه فليعلم أنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، و زواها عن أقرب الناس منه فتأسّى متأسٍّ بنبيّه، [3] و اقتصّ أثره، و ولج مولجه، و إلّا فلا يأمن الهلكة فإنّ الله جعل محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم علماً للسّاعة، ومبشّراً بالجنّة، و منذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً، و ورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتّى مضى لسبيله و أجاب داعي ربّه، فما أعظم منّة الله عندنا حين

---

(١) اقتص أثره اى اقتدى به و اتبعه، وقضم - بالضاد المعجمة كسمع - اى أكل باطراف اسنانه وقيل: يختص باكل اليابس كذلك والتنوين للتقليل والتحقير أى لم يبالغ فيتناول الدنيا بل قنع بالبلغة والكفاف.

(٢) «لم يعرها طرفاً» اى لم يعطها نظرة على وجه العارية. والهضم - محركة - انضمام الجنبين وخمص البطن. و الكشح مابين الخاصرة الى الضلع الخلفى. وأخمصهم اى اخلاهم.

(٣) «فتأسى» خبر يريد به الطلب اى فليقتد مقتد بنبيه.

أنعم علينا به سلفاً نتّبعه و قائداً نطأ عقبه .

و الله لقد رقعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها ، و لقد قال لي قائل : ألا تنبذها ؟ فقلت : اغرب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السُّرىٰ »(١) .

و في الكافي باسناده عن الصادق عليه السلام « أنّه قال : كلّما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته »(٢) .

« **ومنها** (٣) أن يكون مستقصياً عن السلاطين لا يدخل عليهم البتّة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم و إن جاؤوا إليه فانّ الدنيا حلوة خضرة و زمامها بأيدي السلاطين و المخالط لهم لا يخلو عن تكلّف في طلب مرضاتهم و استمالة قلوبهم مع أنّهم ظلمة و يجب على كلّ متديّن الإنكار عليهم و تضييق صدورهم باظهار ظلمهم و تقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إمّا أن يلتفت إلى تجمّلهم فيزدري نعمة الله عزّ وجلّ عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهناً أو يتكلّف في كلامه لمرضاتهم و تحسين حالهم ، و ذلك هو البهت الصريح أو يطمع في أن ينال من دنياهم و ذلك هو السحت ، و سيأتي في كتاب الحلال و الحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين و ما لا يجوز من الإدرار و الجوائز و غيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح لشرور عدّة ، و علماء الآخرة طريقهم الاحتياط و قد قال صلّى الله عليه وآله : « من بداجفا - يعني من سكن البادية - و من اتّبع الصيد غفل ، و من أتى السلطان افتتن »(٤) .

---

(١) «اغرب عني» اى اذهب و ابعد . السرى : السير بالليل و المثل معروف معناه اذا أصبح النائمون و قد رأوا السارين واصلين الى مقاصدهم حمدوا سراهم و ندموا نوم أنفسهم ، او اذا أصبح السارون وقد وصلوا الى ما ساروا اليه حمدوا سراهم و ان كان شاقاً حيث أبلغهم الى ما قصدوا .

(٢) المجلد الثانى باب فضل فقراء المسلمين ص ٢٦١ تحت رقم ٤ .

(٣) من كلام أبى حامد .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس كما فى الجامع الصغير و تمام الحديث «من بداجفا و من اتبع الصيد غفل و من أتى أبواب السلطان افتتن» . و الزيادة فى المتن من أبى حامد ذكره توضيحاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ستكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعده الله ، قيل : يا رسول الله : أفلا نقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، ماصلّوا »(١) .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله عزّ و جلّ ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم و اعتزلوهم » - رواه أنس(٢) .

أقول و قد مرّ هذا الحديث من طريق الخاصّة عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً .

قال : و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « شرار العلماء الّذين يأتون الأمراء و خيار الأمراء الّذين يأتون العلماء »(٣) .

أقول : وروي أنّ بعض الفضلاء قال لبعض الأبدال : ما بال كبراء زماننا وملوكها لا يقبلون منّا ولا يجدون للعلم مقداراً و قد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك ؟ فقال : إنّ علماء ذلك الزمان كان يأتيهم الملوك و الأكابر و أهل الدنيا فيبذلون لهم دنياهم و يلتمسون منهم علمهم فيبالغون في دفعهم و ردّ منّتهم عنهم فصغرت الدنيا في أعين أهلها و عظم قدر العلم عندهم نظراً منهم إلى أنّ العلم لولا جلالته و نفاسته ما آثره هذه الفضلاء على الدنيا و لولا حقارة الدنيا و انحطاطها لما تركوها رغبة عنها و لمّا أقبل علماء زماننا على الملوك و أبناء الدنيا و بذلوا لهم علمهم إلتماساً لدنياهم عظمت الدنيا في أعينهم و صغر العلم لديهم لعين ما تقدّم .

قال بعض علمائنا :(٤) اعلم أنّ القدر المذموم من ذلك ليس هو مجرّد اتّباع

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٨٥ . وأخرجه أحمد فى المسند ج ٦ ص ٢٩٥ بدون جملة «أبعده الله» و فى آخره «ما صلوا لكم الخمس» وفى الجامع الصغير باب السين عن سنن ابى داود صدره .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ٨٧ .

(٣) أخرجه ابن عبدالبر فى العلم بلفظ آخر كما فى المختصر ص ٨٨ . و بلفظه نقله الشهيد فى المنية .

(٤) يعنى به الشهيد الثاني ذكره فى المنية ص ٢١ من طبعه الملحق بروض الجنان .

السلطان كيف اتّفق بل اتّباعه ليكون توطئة له و وسيلة إلى ارتفاع الشأن و الترفّع على الأقران و عظم الجاه و المقدار و حبّ الدنيا و الرئاسة و نحو ذلك، أمّا لو اتّبعه ليجعله وصلة إلى إقامة نظام النوع و إعلاء كلمة الدين و ترويج الحقّ و قمع أهل البدع و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نحو ذلك فهو من أفضل الأعمال فضلاً عن كونه مرخّصاً و بهذا يجمع بين ما ورد من الذمّ و ما ورد أيضاً من الترخّص في ذلك بل قد فعل جماعة من الأعيان كعليّ بن يقطين، و عبدالله النجاشي، و أبي القاسم ابن روح - أحد نوّاب الشريفة - و محمّد بن إسماعيل بن بزيع، و نوح بن درّاج وغيرهم من أصحاب الأئمّة عليهم السلام، و من الفقهاء مثل السيّدين الأجلّين المرتضى والرضي وأبيهما، و الخواجة نصير الدين الطوسي، و العلّامة بحر العلوم جمال الدين بن المطهّر وغيرهم و قد روى محمّد بن إسماعيل بن بزيع و هو الثقة الصدوق عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ لله تعالى بأبواب الظالمين من نوّر الله به البرهان و مكّن له في البلاد ليدفع به[1] عن أوليائه و يصلح الله به أُمور المسلمين، لأنّه ملجأ المؤمنين من الضرر وإليه يفزع ذوالحاجة من شيعتنا، بهم يؤمن الله تعالى روعة المؤمن في دار الظلمة أُولئك هم المؤمنون حقّاً، أُولئك أُمناء الله في أرضه، أُولئك نور الله تعالى في رعيّتهم يوم القيامة، و يزهر نورهم لأهل السماوات كما يزهر الكواكب الزاهرة لأهل الأرض، أُولئك من نورهم نور القيامة، تضيء منهم القيامة، خلقوا والله للجنّة و خلقت الجنّة لهم، فهنيئاً لهم، ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كلّه، قال: فقلت: بماذا جعلني الله فداك؟ قال: يكون معهم فيسرّنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمّد[2]»، و اعلم أنّ هذا ثواب كريم، لكنّه موضع الخطر الوخيم و الغرور العظيم، فإنّ زهرة الدنيا و حبّ الرئاسة و الاستعلاء إذا نبتا في القلب غطّيا عليه كثيراً من طرق الصواب و المقاصد الصحيحة الموجبة للثواب فلا بدّ من التيقّظ في هذا الباب.

اقول: و العمدة فيه أن يكون القلب معرضاً منه ساخطاً عليه بقدر ظلمه و طغيانه و إن قضى له حاجة أو قرّبه أو أحسن إليه، وأن لا يتغيّر كيفيّة معاشرته مع الناس بعد

(١) في بعض النسخ «بهم» موضع «به». (٢) رواه النجاشي في رجاله.

التقرّب إليه و الله المستعان .

قال أبو حامد ـ رحمه الله ـ : « و هذه فتنة عظيمة للعلماء و ذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لا سيّما من له لهجة مقبولة و كلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أنّ في وعظك لهم و دخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ، و يقيم شعائر الشرع إلى أن يخيّل إليه أنّ الدخول عليهم من الدين ، ثمّ إذا دخل لم يلبث أن يتلطّف في الكلام ويداهن ، و يخوض في الثناء و الإطراء و فيه هلاك الدين ، و كان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا ، فإذاشغلوا فقدوا ، فإذافقدوا طلبوا ، فإذا طلبوا هربوا ، و كتب بعض الاُمراء إلى بعض أهل العلم أمّا بعد فأشر عليّ بقوم أستعين بهم على أمر الله تعالى . فكتب إليه أمّا أهل الدين فلن يريدوك و أمّا أهل الدنيا فلن تريدهم و لكن عليك بالأشراف فإنّهم يصونون شرفهم أن يدنّسوه بالخيانة . فإذا كان شرط أهل الدين الهرب من السلاطين فكيف يستتبّ طلبهم و مخالطتهم[(١)] .

ومنها أن لا يكون متسارعاً إلى الفتوى بل يكون متوقّفاً و محترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً ، فإن سئل عمّا يعلمه تحقيقاً بنصّ كتاب الله تعالى أو بنصّ حديث أو إجماع ثابت أفتى ، و إن سئل عمّا يشكّ فيه قال : لا أدري ، و إن سئل عمّا يظنّه باجتهاد و تخمين احتاط ودفع عن نفسه و أحال على غيره إن كان في غيره غنية ، هذا هو الحزم لأنّ تقلّد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر «العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، و سنّة قائمة ، و لا أدري »[(٢)] قال الشعبي : لا أدري نصف العلم . و من سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس أقلّ أجراً ممّن نطق لأنّ الاعتراف بالجهل أشدّ على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة و السلف .

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : إنّ الّذي يفتي الناس في كلّ ما يستفتونه لمجنون[(٣)] ؛ و قال : جنّة العالم لا أدري فإذا أخطأها اُصيبت مقاتله . و قال إبراهيم

---

(١) استتب الامر : استقام و اطرد و استمر .

(٢) رواه الخطيب فى اسماء من روى عن مالك موقوفاً على ابن عمر و لابى داود و ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً نحوه مع اختلاف . (المغنى)

(٣) نقله ابن عبد البر فى العلم كما فى المختصر ص ١٢٥ .

ابن أدهم : ليس شيء أشدّ على الشيطان من عالم يتكلّم بعلم و يسكت بعلم ويقول انظروا إلى هذا سكوته أشدّ عليّ من كلامه ؛ و وصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ، و كلامهم ضرورة . أي ما يتكلّمون حتّى يُسألوا وإذا سئلوا و وجدوا من يكفيهم سكتوا فإن اضطرّوا أجابوا ؛ وكانوا يعدّون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفيّة للكلام ؛ وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتوى أقلّهم علماً ، و أشدّهم دفعاً لها أورعهم ؛ و في الخبر إذا رأيتم الرجل قد اُوتي صمتاً و زهداً فاقتربوا منه فإنّه يلقّن الحكمة ؛ و قيل : العالم إمّا عالم عامّة و هو المفتي و هم أصحاب الأساطير ، أو عالم خاصّة و هو العالم بالتوحيد و أعمال القلوب و هم أرباب الزوايا المتفرّدون ؛ و قيل : المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام ؛ و قال بعضهم : إذا كثر العلم قلّ الكلام ؛ و كتب سلمان إلى أبي الدرداء بلغني أنّك قعدت طبيباً تداوي المرضى فانظر فإن كنت طبيباً فتكلّم فإنّ كلامك شفاء وإن كنت متطبّباً فالله الله لاتقتل مسلماً ، فكان أبوالدرداء يتوقّف بعدذلك إذا سئل » .

اقول : و ممّا ورد في هذا الباب من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي «عن الباقر عليه السلام أنّه سئل ما حقّ الله على العباد قال : أن يقولوا ما يعلمون و يقفوا عند ما لا يعلمون » (١) .

و عن الصادق عليه السلام : « إذا سئل الرجل منكم عمّا لا يعلم فليقل : لا أدري ، و لا يقل : الله أعلم فيوقع في قلب صاحبه شكّاً ، و إذا قال المسؤل : لا أدري فلايتّهمه السائل »(٢) .

و في مصباح الشريعة (٣) « عنه عليه السلام أنّه قال : لا تحلّ الفتيا لمن لا يستفتي من الله عزّ و جلّ بصفاء سرّه ، و إخلاص عمله و علانيته ، و برهان من ربّه في كلّ حال لأنّ من أفتى فقد حكم و الحكم لايصحّ إلّا بإذن من الله و برهانه ، و من حكم بالخبر بلا معاينة فهوجاهل مأخوذ بجهله مأثوم بحكمه ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : «أجرؤكم على الفتيا

(١) المجلد الاول ص ٤٣ تحت رقم : ٧ .
(٢) المجلد الاول ص ٤٢ تحت رقم : ٦ .
(٣) باب ٦٣ ، ص ٤١ .

أجرؤكم على الله عزّ وجلّ ، أولا يعلم المفتي أنّه هو الّذي يدخل بين الله تعالى و بين عباده وهو الجائز (١) بين الجنّة والنّار».

و قال سفيان بن عيينة : كيف ينتفع بعلمي غيري و أنا قد حرمت نفسي نفعها ، ولا تحلّ الفتيا في الحلال و الحرام بين الخلق إلّا لمن كان أتبع الخلق من أهل زمانه و ناحيته و بلده بالنبيّ ﷺ [و عرف ما يصلح من فتياه] قال النبيّ ﷺ ، و ذلك لربّما و لعلّ و عسى لأنّ الفتيا عظيمة ، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لقاض : هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : فهل أشرفت على مراد الله عزّ و جلّ في أمثال القرآن ؟ قال : لا ، قال : إذاً هلكت و أهلكت » (٢) و المفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن و بواطن الإشارات (٣) و الآداب و الإجماع و الاختلاف و الاطّلاع على أصول ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، ثمّ حسن الاختيار ، ثمّ العمل الصالح ، ثمّ الحكمة ، ثمّ التقوى ، ثمّ حينئذ إن قدر ».

« ومنها (٤) أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب و معرفة طريق الآخرة و سلوكها و صدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة و المراقبة فإنّ المجاهدة تفضي إلى المشاهدة في دقائق علم القلوب و تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب أمّا الكتب و التعلّم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ ، إنّما تنفتح بالمجاهدة و المراقبة و مباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، و الجلوس مع الله سبحانه في الخلوة مع حضور القلب بصفاء الفكر و الانقطاع إلى الله عزّ و جلّ عمّا سواه ، فتلك مفاتيح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلّم طال تعلّمه و لم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة و كم من مقتصر على المهمّ في التعلّم و متوفّر على العمل و مراقبة القلب فتح الله عزّ و جلّ له من لطائف الحكم ما يحار فيه عقول ذوي الألباب و لذلك قال ﷺ : « من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم (٥) » وفي بعض الكتب السالفة : « يا بني إسرائيل

---

(١) في بعض النسخ [الحائر] .

(٢) بتشديد اللام في «هلّكت» يقال لمن ارتكب أمراً عظيماً : « هلكت وأهلكت » (البستان) . (٣) في بعض النسخ [مواطن الاشارات].

(٤) من كلام أبي حامد . (٥) أخرجه ابو نعيم في الحلية من حديث أنس (المغني) .

لا تقولوا : العلم في السماء من ينزل به و لا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم مجعول في قلوبكم تأدّبوا بين يديّ بآداب الروحانيّين و تخلّقوا إليّ بأخلاق الصدّيقين ، أظهر العلم من قلوبكم حتّى يغطّيكم و يغمركم ».

و قال سهل التستري : خرج العلماء والزهّاد والعبّاد من الدنيا وقلوبهم مقفّلة ولم يفتح إلّا قلوب الصدّيقين و الشهداء ثمّ تلا « و عنده مفاتح الغيب » و لولا أنّ إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك[1] » وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ : « لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى اُحبّه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً - الحديث - »[2] فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرّد للذكر ، و الفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا يطّلع عليها أفاضل المفسّرين و إذا انكشف ذلك للمراقب و عرض على المفسّرين استحسنوه و علموا أنّ ذلك من تنبيهات القلوب الزكيّة و ألطاف الله تعالى بالهمم المتوجّهة إليه ، و كذلك في علوم المكاشفة و أسرار علوم المعاملة و دقائق خواطر القلوب فإنّ كلّ علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه ، و إنّما يخوضه كلّ طالب بقدر مارزق و بحسب ما وفّق له من حسن العمل و في وصف هؤلاء العلماء قال عليّ عليه السلام في حديث طويل : « القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير ، و الناس ثلاثة : عالم ربّانيّ ، و متعلّم على سبيل نجاة ، و همج رعاع ، أتباع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك و أنت تحرس المال ، و العلم يزكو على الإنفاق ، و المال تنقصه النفقة ، محبّة العالم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة في حياته ، وجميل الاُحدوثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، و منفعة المال تزول بزواله ، مات خزّان الأموال و هم أحياء و العلماء باقون ما بقي الدهر ، ثمّ تنفّس الصعداء فقال : هاه إنّ ههنا علماً جمّاً ، لو وجدت له حملة بل أجد طالباً إمّا لقناً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا

(١) قد مر سابقاً .

(٢) تمام الحديث فى الكافى ج ٢ ص ٣٥٢ مع شرحه ونقله ابن الديبع الشيبانى فى تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٣ عن البخارى .

و يستطيل بنعم الله على أوليائه ، و يستظهر بحججه على خلقه ، أومنقاداً لأهل الحقّ ينزرع الشكّ في قلبه ، بأوّل عارض من شبهة ، لابصيرة له ، وليس من رعاة الدين في شيء ، ألا لاذا و لا ذاك فمنهوم باللّذة ، سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرماً بجمع الأموال و الادّخار ، منقاداً لهواه ، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة ، اللّهمّ هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثمّ لاتخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهر مكشوف ، و إمّا خائف مقهور ، لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته ، و كم وأين ؟! اُولئك الأقلّون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالى بهم حججه ، حتّى يودعوها نظراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوبما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى ، اُولئك أولياء الله من خلقه ، و عمّاله في أرضه ، و الدعاة إلى دينه ، ثمّ بكى ؛ وقال : واشوقاه إلى رؤيتهم» .

فهذا الّذي ذكره أخيراً هووصف علماء الآخرة و هو العلم الّذي يستفاد أكثره من العمل و المواظبة على المجاهدة » .

أقول : و أنا قد ذكرت هذا الحديث فيما مضى عند ذكر تفصيل علم الآخرة بأدنى تغيير في اللّفظ مع أخبار اُخر في وصف علماء الآخرة نافعة هنا .

«**ومنها** أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإنّ اليقين هو رأس المال من الدين ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « اليقين الإيمان كلّه » [١] ولا بدّ من تعلّم علم اليقين أعني أوائله ، ثمّ ينفتح للقلب طريقه و لذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « تعلّموا اليقين » [٢] و معناه جالسوا الموقنين و اسمعوا منهم علم اليقين و واظبوا على الاقتداء بهم ليقوي يقينكم كما قوي يقينهم ، و قليل من اليقين خير من كثير من العمل ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا قيل له رجل حسن اليقين كثير الذّنوب ، و رجل مجتهد في العبادة قليل اليقين ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ما من

---

(١) قال العراقى : اخرجه البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود .

(٢) رواه ابن ابى الدنيا فى اليقين كما قاله العراقى ايضا وروى البرقى فى المحاسن ص ٢٤٨ تحت رقم ٢٥٤ عن امير المؤمنين عليه السلام قال فى خطبة له : «سلوا الله اليقين و ارغبوا اليه فى العافية ».

آدمي إلّا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل و سجيّته اليقين لم تضرّه الذنوب لأنّه كلّما أذنب ذنباً تاب و استغفر و ندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنّة»[1] و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «إنّ من أقلّ ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر و من أُوتي حظّه منهما لم يبال مافاته من صيام النهار و قيام اللّيل»[2] و في وصيّة لقمان لابنه «يا بنيّ لا يستطاع العمل إلّا باليقين ، و لا يعمل المرء إلّا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتّى ينقص يقينه» .

و قال يحيى بن معاذ : إنّ للتوحيد نوراً و للشرك ناراً ، و إنّ نور التوحيد أحرق لسيّئات الموحّدين من نار الشرك لحسنات المشركين . و أراد به اليقين و قدأشارالقرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دلّ به على أنّ اليقين هوالرابطة للخيرات والسعادات .

فإن قلت : فما معنى اليقين ؟ وما معنى قوّته و ضعفه ؟ فلابدّ من فهمه أوّلاً ثمّ الاشتغال بطلبه و تعلّمه ، فإنّ ما لايفهم صورته لايمكن طلبه ؟

فاعلم أنّ اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أمّا النظّاروالمتكلّمون فيعنون باليقين عدم الشكّ إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات : الأوّل أن يعتدل التصديق و التكذيب و يعبّر عنه بالشكّ كما إذا سئلت عن شخص معيّن أنّ الله عزّ وجلّ يعاقبه أم لا ؟ و هو مجهول الحال عندك فإنّ نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات و نفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمّى هذا شكّاً ، الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه و لكنّه إمكان لا يمنع ترجيح الأوّل كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح و التقوى أنّه بعينه لو مات على هذه الحالةهل يعاقب ؟ فإنّ نفسك تميل إلى أنّه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب و ذلك لظهور علامات الصلاح و مع هذا فإنّك تجوّز إخفاء أمر يوجب العقاب في باطنه وسريرته فهذا

(١) قال العراقي : رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث انس باسناد مظلم .

(٢) روى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥١ تحت رقم ٢ في حديث «و ما قسم في الناس شيء أقل من اليقين» و تحت رقم ٤ «فما اوتي الناس اقل من اليقين» و روى ابن عبدالبر في العلم من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً اقل من اليقين» و لم أجد تمام الحديث في أصل .

التجويز مساوق لذلك الميل ولكنّه غير دافع رجحانه ، فهذه الحالة تسمّى ظنّاً ، الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو أخطر بالبال لنبت النفس عن قبوله [١] ولكن ليس ذلك عن معرفة محقّقة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمّل و الإصغاء إلى التشكيك و التجويز لاتّسعت نفسه للتجويز و هذا يسمّى اعتقاداً مقارناً لليقين و هو اعتقاد العوام في الشرعيّات كلّها إذ رسخت في نفوسهم بمجرّد السماع حتّى أنّ كلّ فرقة تثق بصحّة مذهبها و إصابة إمامها و متبوعها و لو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله ، الرابع المعرفة الحقيقيّة الحاصلة بطريق البرهان الّذي لا يشكّ فيه و لا يتصوّر التشكيك فيه [٢] ، فإذا امتنع وجود الشكّ و إمكانه تسمّى يقيناً عند هؤلاء و مثاله أنّه إذا قيل للعاقل : هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأنّ القديم غير محسوس لا كالشمس و القمر فإنّه يصدّق بوجودهما بالحسّ و ليس العلم بوجود شيء قديم أوّليّاً ضروريّاً مثل العلم بأنّ الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بأنّ حدوث حادث بلا سبب محال ، فإنّ هذا أيضاً ضروريّ ، فحقّ غريزة العقل أن تتوقّف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال و البديهة ، ثمّ من الناس من يسمع ذلك و يصدّق بالسماع تصديقاً جزماً و يستمرّ عليه و ذلك هو الاعتقاد و هو حال جميع العوام ، و من الناس من يصدّق به بالبرهان و هو أن يقال له : إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلّها حادثة فإن كانت كلّها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب و ذلك محال و المؤدّي إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأنّ الأقسام ثلاثة و هي أن يكون الموجودات كلّها قديمة أو كلّها حادثة أو بعضها حادثاً و بعضها قديماً فإن كانت كلّها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت في الجملة قديم و إن كان الكلّ حادثاً فهو محال لأنّه يؤدّي إلى حدوث حادث بغير سبب فثبت القسم الثالث أو الأوّل و كلّ علم حصل على هذا الوجه يسمّى يقيناً سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحسّ

(١) نباعنه ينبو أى تجافى وتباعد .

(٢) فى بعض النسخ [و لا يتصور التشكك فيه] .

أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكّة أوبتجربة كالعلم بأنّ المطبوخ مسهل (١) أو بدليل كما ذكرناه ، فشرط إطلاق الاسم عندهم عدم الشكّ فكلّ علم لا يشكّ فيه يسمّى يقيناً عندهم و على هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشكّ .

الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوّفة و أكثر العلماء - و هوأن لايلتفت فيه إلى اعتبار التجويز و الشكّ بل إلى استيلائه و غلبته على القلب حتّى يقال : فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنّه لا يشكّ فيه و يقال : فلان قويّ اليقين في إتيان الرزق مع أنّه قد يجوّز أن لايأتيه ، فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء و غلب ذلك على القلب واستولى حتّى صار هو المتحكّم و المتصرّف في النفس بالتحريض و المنع سمّي ذلك يقيناً ولاشكّ في أنّ الناس يشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشكّ فيه ولكن فيهم من لايلتفت إليه و إلى الاستعداد له فكأنّه غير موقن به ، و فيهم من استولى ذلك على قلبه حتّى استغرق همّه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متّسعاً لغيره فيعبّر عن مثل هذه الحالة بقوّة اليقين ، و لذلك قال بعضهم : ما رأيت يقيناً لاشكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت . و على هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالقوّة والضعف ونحن أردنا بقولنا : «إنّ من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين» اليقين بالمعنيين جميعاً ، و هو نفي الشكّ ثمّ تسلّط اليقين على النفس حتّى يكون هو الغالب المتحكّم و هو المتصرّف فإذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا إذا قلنا : إنّ اليقين ينقسم ثلاث انقسامات بالقوّة و الضعف ، و القلّة و الكثرة ، و الخفاء و الجلاء ، فأمّا بالقوّة و الضعف فعلى الاصطلاح الثاني و ذلك في الغلبة و الاستيلاء على القلب ، و درجات اليقين في القوّة و الضعف لا تتناهى ، و تفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني ، و أمّا التفاوت بالخفاء و الجلاء فلا ينكر أيضاً أمّا فيما يتطرّق إليه التجويز فلاينكر - أعني الاصطلاح الثاني - و فيما انتفى الشكّ عنه أيضاً لا سبيل إلى إنكاره فإنّك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكّة و وجود فدك مثلاً و بين تصديقك بوجود موسى و وجود يوشع عليهما السلام مع أنّك

---

(١) فيه سقط وفي الاحياء « بان السقمونيا المطبوخ مسهل » .

لا تشكّ في الأمرين جميعاً إذ مستند هما التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى و أوضح في قلبك من الثاني لأنّ السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين و كذلك يدرك الناظر هذا في النظريّات المعلومة بالأدلّة فإنّه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بأدلّة كثيرة مع تساويهما في نفي الشكّ و هذا قد ينكره المتكلّم الّذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولايراجع نفسه فيما يدرك من تفاوت الأحوال ، و أمّا القلّة والكثرة فذلك بكثرة متعلّقات اليقين كما يقال : فلان أكثر علماً أي معلوماته أكثر ، و كذلك قد يكون العالم قويّ اليقين في جميع ما ورد به الشرع و قد يكون قويّ اليقين في بعضه.

فإن قلت : فقد فهمت اليقين و قوّته وضعفه ، و كثرته و قلّته ، و جلاءه و خفاءه بمعنى نفي الشكّ و بمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلّقات اليقين و مجاريه ؟ و فيما ذا يطلب اليقين ؟ فإنّي ما لم أعرف مايطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه.

فاعلم أنّ جميع ما ورد به الأنبياء عليهم السلام من أوّله إلى آخره هو من مجاري اليقين فإنّ اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة و متعلّقة المعلومات الوارد في الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكنّي اُشير إلى بعض اُمّهاتها فمن ذلك التوحيد و هو أن يرى الأشياء كلّها من مسبّب الأسباب و لا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخّرة لا حكم لها فالمصدّق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشكّ فهو موقن بأحد المعنيين فإن غلب على قلبه غلبة بحيث أزال منه الغضب على الوسائط و الرضا عنهم و الشكر لهم ونزّل الوسائط في قلبه منزلة القلم و اليد في حقّ المنعم بالتوقيع فإنّه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين و واسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الأشرف و هو ثمرة اليقين الأوّل و روحه و فائدته ، و مهما تحقّق أنّ الشمس و القمر و النجوم و الجماد و النبات و الحيوان و كلّ مخلوق فهي مسخّرات بأمره حسب تسخّر القلم في يد الكاتب وأنّ القدرة الأزليّة هي المصدر للكلّ استولى عليه التوكّل و الرضا و التسليم و صار بريئاً من الغضب و الحقد و الحسد و سوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين و من ذلك الثقة بضمان الله سبحانه للرزق في قوله تعالى : « و ما من دابّة في الأرض إلّا

على الله رزقها »[1] و اليقين بأنّ ذلك يأتيه و أنّ ما قدّر له سيساق إليه ، و مهما غلب ذلك على قلبه كان مجملاً في الطلب ولم يشتدّ حرصه وشرهه و تأسّفه على ما يفوته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات و الأخلاق الحميدة و من ذلك أن يغلب على قلبه أنّ من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره و هو اليقين بالثواب و العقاب حتّى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع و نسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك ، فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله و كثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها و كثيرها و كما يجتنب قليل السمّ و كثيره فكذلك يجتنب قليل المعاصي و كثيرها و صغيرها و كبيرها ، و اليقين بالمعنى الأوّل قد يوجد لعموم المؤمنين ، أمّا بالمعنى الثاني فيختصّ به المقرّبون و ثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات و السكنات و الخطرات ، و المبالغة في التقوى و التحرّز عن السيّئات ، و كلّما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشدّ و التشمّر أبلغ ، و من ذلك اليقين بأنّ الله تعالى مطّلع عليك في كلّ حال و مشاهد لهواجس ضميرك و خفايا خواطرك و فكرك وهذا متيقّن عند كلّ مؤمن بالمعنى الأوّل و هو عدم الشكّ ، و أمّا بالمعنى الثاني وهو المقصود فهوعزيز جدّاً يختصّ بهالصدّيقون و ثمرته أن يكون الإنسان في خلوته متأدّباً في جميع أحواله و أعماله كالجالس بمشهد ملك عظيم ينظر إليه لا يزال مطرقاً متأدّباً متماسكاً محترزاً عن كلّ حركة تخالف هيئة الأدب و يكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقّق أنّ الله تعالى مطّلع على سريرته كما يطّلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه و تطهيره و تزيينه لعين الله الكالئة[2] أشدّ من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس ، و هذا المقام في اليقين يورث الحياء و الخوف و الانكسار و الذلّ و الاستكانة و الخضوع و جملة من الأخلاق المحمودة ، و هذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة ، فاليقين في كلّ باب من هذه الأبواب مثل الشجرة ، و هذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرّعة منها و هذه الأعمال و الطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار و الأنوار المتفرّعة من الأغصان ،

(١) هود : ٦ . (٢) اى الحافظة الحارسة .

فاليقين هو الأساس و الأصل وله مجاري و أبواب أكثر ممّا عدّدناه و سيأتي ذلك في ربع المنجيات و هذا القدر كاف في تفهيم معنى اللّفظ الآن.

ومنها أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته و سيرته و حركته و سكونه و نطقه و سكوته، لا ينظر إليه ناظر إلّا و كان نظره مذكّراً لله تعالى و كان صورته دليلاً على علمه «فالجواد عينه فراره» (١)، فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلّة و التواضع و قد قيل: ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة، فهي لبسة الأنبياء صلوات الله عليهم و سيماء الصدّيقين و العلماء، فأمّا التهافت في الكلام و التشدّق والاستغراق في الضحك و الحدّة في الحركة و النطق فكلّ ذلك من آثار البطر و الأمن و الغفلة عن عظيم عقاب الله سبحانه وشديد سخطه و كلّ ذلك دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله عزّ وجلّ دون العلماء به و هذا لأنّ العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري: عالم بأمر الله لا بأيّام الله و هم المفتون بالحلال و الحرام و هذا العلم لا يورث خشية، و عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيّام الله و هم عموم المؤمنين، و عالم بالله و بأمر الله و بأيّام الله و هم الصدّيقون. و الخشية و الخشوع إنّما يغلب عليهم و أراد بأيّام الله أنواع عقوباته الغامضة و نقمه الباطنة الّتي أفاضها على القرون السالفة واللّاحقة، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه».

أقول روى في الكافي بإسناده عن أبي بصير (٢) «قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إنّ العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع، و عينه البراءة من الحسد، و أذنه الفهم، و لسانه الصدق، و حفظه الفحص، و قلبه حسن النيّة، و عقله معرفة الأشياء و الأمور، و يده الرحمة، و رجله زيارة العلماء و همّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرّه النجاة، و قائده العافية، و مركبه الوفاء،

(١) قال الجوهري: الفرير ولد البقرة الوحشية، وكذلك الفرار - بضم الفاء. و يقال: «ان الجواد عينه فراره» و قد يفتح، أى يغنيك شخصه و منظره عن أن تختبره و أن تفر اسنانه، و قال أيضاً: فررت الفرس أفره - بالضم - فراً اذا نظرت الى اسنانه.

(٢) المجلد الاول ص ٤٨ تحت رقم ٢.

و سلاحه لين الكلمة ، و سيفه الرضا ، و قوسه المداراة ، و جيشه محاورة العلماء ، و ما له الأدب ، و ذخيرته اجتناب الذنوب ، و زاده المعروف ، و مأواه الموادعة ، و دليله الهدى ، و رفيقه محبّة الأخيار ».

و بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب « قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اطلبوا العلم ، و تزيّنوا معه بالحلم و الوقار ، و تواضعوا لمن تعلّمونه العلم ، و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم »(١).

و بإسناده الصحيح « عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّ من علامات الفقه الحلم و الصمت »(٢).

و بإسناده ، عن محمّد بن سنان رفعه قال : قال عيسى ابن مريم عليهما السلام : يا معشر الحواريّين لي إليكم حاجة اقضوها لي ، قالوا : قُضيت حاجتك يا روح الله فقام فقبّل أقدامهم فقالوا : كنّا نحن أحقّ بهذا يا روح الله ، فقال : إنّ أحقّ الناس للخدمة العالم إنّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ، ثمّ قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر ، و كذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل »(٣)

وقال بعض علمائنا - رحمه الله -(٤): اعلم أنّ المتلبّس بالعلم منظور إليه ومتأسّى بفعله و قوله و هيئته ، فإذا حسن سمته ، و صلحت أحواله ، و تواضعت نفسه ، وأخلص لله تعالى علمه و عمله انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعيّة ، و فشى الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم ، و متى لم يكن كذلك كان الناس دونه في المرتبة الّتي هو عليها فضلاً عن مساواته فكان مع فساد نفسه منشاءً لفساد النوع و خلله و ناهيك بذلك ذنباً و طرداً عن الحقّ و بعداً ، و ياليته إذا هلك انقطع عمله و بطل وزره ، بل هو باق ما بقي من تأسّى به و استنّ بسنّته ، و قد قال بعض العارفين : إنّ عامّة الناس أبداً دون المتلبّس بالعلم

---

(١) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ١ .
(٢) المجلد الاول ص ٣٦ تحت رقم ٤ .
(٣) المجلد الاول ص ٣٧ تحت رقم ٦ .
(٤) يعنى به الشهيد - رحمه الله - قاله فى المنية ص ٢١ .

بمرتبة ، فإذا كان ورعاً تقيّاً صالحاً تلبّست العامّة بالمباحات و إذا اشتغل بالمباح تلبّست العامّة بالشبهات ، فإذا دخل في الشبهات تعلّق العاميّ بالحرام ، فإن تناول الحرام كفر العامي . و كفى شاهداً على صدق هذه العيان و عدول الوجدان فضلاً عن نقل الأعيان .

قال أبو حامد : « وروي أنّه قيل : يارسول الله أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى ، قيل : فأيّ الأصحاب خير ؟ قال صلى الله عليه وآله : صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكّرك ، قيل : فأيّ الأصحاب شرّ ؟ قال صلى الله عليه وآله : صاحب إن نسيت لم يذكّرك و إن ذكرت لم يعنك ، قيل : فأيّ الناس أعلم ؟ قال : أشدّهم لله خشية ، قالوا : فأخبرنا بخيارنا نجالسهم ؟ قال : الّذين إذا رؤوا ذكر الله عزّ وجلّ برؤيتهم و إذا ذكر الله اقشعرّ جلودهم ، قالوا : فأيّ الناس شرّ ؟ قال : اللّهمّ غفراً ، قالوا : أخبرنا يا رسول الله ، قال : العلماء إذا فسدوا » (١) .

و قال عليه السلام : « إنّ أكثر الناس يوم القيامة أماناً أكثرهم فكراً في الدنيا ، و أكثر النّاس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاءً في الدنيا ، وأشدّ الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا »

و قال عليّ عليه السلام في خطبته (٢) : « ذمّتي رهينة و أنا زعيم أن لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل ، و إنّ أجهل الناس من لا يعرف قدره ، و إنّ أبغض الخلق إلى الله عزّ و جلّ رجل قمش علماً أغار في أغباش الفتنة سمّاه أشباه النّاس و أرذالهم عالماً ولم يغن (٣) في العلم يوماً سالماً ، بكّر فاستكثر ممّا قلّ منه خيرٌ ممّا كثر ، حتّى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل ، جلس للنّاس مفتياً لتخليص ما التبس على غيره و إن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشو الرأي من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت ، لا يدري أخطأ أم أصاب ، ركّاب جهالات ، خبّاط عشوات ، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم ، و لا يعضّ على العلم بضرس قاطع فيغنم ،

(١) ما عثرت على الرواية فى أى أصل و كذا التى بعدها .
(٢) الخطبة السادسة عشر من النهج مع اختلاف غير يسير .
(٣) يأتي معنى الالفاظ آنفاً

يذري الرواية ذرو الريح الهشيم ، تبكي منه الدماء و تستحلّ بقضائه الفروج الحرام ولا مليء و الله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهلٌ لما فوّض إليه ، اُولئك الّذين حلّت عليهم المثلات و حقّت عليهم النياحة و البكاء أيّام الحياة » .

اقول : « و هذا الحديث ممّا رواه أصحابنا من طريق الخاصّة أيضاً على اختلاف في ألفاظه ؛ و ممّن رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ ـ رحمه الله ـ [١] باسناده عن ابن محبوب رفعه « عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : إنّ من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين رجلٌ و كله الله تعالى إلى نفسه فهو حائر عن قصد السبيل ، مشغوف [٢] بكلام بدعة ، قد لهج بالصوم و الصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالٌ عن هدي [٣] من كان قبله ، مضلٌ لمن اقتدى به في حياته و بعد موته ، حمّال خطايا غيره ، رهن بخطيئته ، ورجل قمش جهلاً في جهّال الناس ، عان بأغباش الفتنة [٤] ، قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن [٥] فيه يوماً سالماً ، بكّر [٦] فاستكثر ما قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل [٧] ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره و إن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله

(١) الكافي المجلد الاول ص ٥٤ تحت رقم ٦ .

(٢) اى دخل حب كلام البدعة شغاف قلبه أى حجابه و قيل : سويداءه .

(٣) بفتح الهاء و سكون المهملة أى السيرة و الطريقة .

(٤) « عان » بالعين المهملة و النون من قولهم عنا فيهم اسيراً أى اقام فيهم على اسارة واحتبس وعناه غيره ـ بالتشديد ـ : حبسه والعاني الاسير ، اومن عنى ـ بالكسر ـ عناً تعب ، أو من عنى به فهو عان أى اهتم به واشتغل . و في بعض النسخ بالغين المعجمة من غنى بالمكان ـ كرضى ـ أى أقام به ، اومن غنى ـ بالكسر ـ أيضاً بمعنى عاش . و الغبش ـ بالتحريك ـ ظلمة آخر الليل .

(٥) اى لم يلبث فيه يوماً تاماً .

(٦) أى خرج للطلب بكرة و هى كناية عن شدة طلبه و اهتمامه في كل يوم في اول العمر الى جمع الشبهات و الاراء الباطلة .

(٧) الاجن : الماء المتغير المتعفن أى شرب و شبع منه . و قوله : « و اكتنز » أى عدما جمعه كنزاً و هو غير طائل اى ما لا نفع فيه .

وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّألها حشواً من رأيه (١)، ثمّ قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لايحسب العلم في شيء ممّا أنكر ولا يرى أنّ وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذّب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه [يكنّ الصواب] (٢) لكيلا يقال له: لا يعلم ثمّ جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات (٣) ركّاب شبهات، خبّاط جهالات (٤)، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، و لا يعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم (٥)، تبكي منه المواريث، و تصرخ منه الدّماء، و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام و يحرم بقضائه الفرج الحلال، لا مليء بإصدار (٦) ما عليه ورد ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحقّ».

قال أبو حامد: «و قال عليّ عليه السلام أيضاً: «إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجّه القلوب».

و قال بعض السلف: من ضحك ضحكة مجّ من العلم مجّة، و قيل: إذا جمع المعلّم ثلاثاً تمّت النعمة بها على المتعلّم: الصبر، و التواضع، و حسن الخلق، و إذا جمع المتعلّم ثلاثاً تمّت النعمة بها على المعلّم: العقل، و الأدب، و حسن الفهم.

و على الجملة فالأخلاق الّتي ورد بها القرآن لا ينفكّ عنها علماء الآخرة لأنّهم يتعلّمون القرآن للعمل لا للدّراسة. و قيل: خمس من الأخلاق هنّ من علامات علماء الآخرة مفهوم من خمس آيات: الخشية و الخشوع و التواضع و حسن الخلق و إيثار الآخرة على الدنيا و هو الزهد أمّا الخشية فمن قوله عزّ و جلّ: «إنّما يخشى

---

(١) اى كثيراً بلا فائدة.

(٢) ليست هذه الجملة فى أكثر نسخ الكافى ولكنها موجودة فى الوافى.

(٣) العشوة: الظلمة أى يفتح على الناس ظلمات الشبهات.

(٤) الخبط المشى على غير استواء.

(٥) اى كما أن الريح فى حمل الهشيم و تبديده لاتبالى بتمزيقه و اختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل بالروايات ماتفعل الريح بالهشيم والهشيم مايبس من النبت و تفتت.

(٦) المليء - بالهمزة -: الثقة والغنى، والاصدار: الارجاع.

الله من عباده العلماء » [١]، و أمّا الخشوع فمن قوله تعالى : « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » [٢]، و أمّا التواضع فمن قوله تعالى : « و اخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين » [٣]، و أمّا حسن الخلق فمن قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » [٤] و أمّا الزّهد فمن قوله تعالى : « و قال الّذين أُتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن » [٥] و لمّا تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » [٦] فقيل : « ما هذا الشرح يا رسول الله ؟ فقال : إنّ النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر و انفسح ، قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم التجافي عن دار الغرور، و الإنابة إلى دار الخلود ، و الاستعداد للموت قبل نزوله » [٧].

ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال و ما يفسدها و يشوّش القلوب و يهيّج الوساوس و يثير الشرّ ، فإنّ أصل الدين التوقّي من الشرّ ولذلك قيل :

عرفت الشرّ لا للشرّ لكن لتوقّيه * ومن لا يعرف الشرّ من الناس يقع فيه

ولأنّ الأعمال الفعليّة قريبة وأقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللّسان و إنّما الشأن في معرفة ما يفسدها و يشوّشها و هذا ممّا تكثر شعبه و يطول تفريعه و كلّ ذلك ممّا يغلب مسيس الحاجة إليه و يعمّ البلوي به في سلوك طريق الآخرة وأمّا علماء الدنيا فإنّهم يتتبّعون غرائب التفريع في الحكومات و الأقضية و يتعبون في وضع صور تنقضي الدّهور و لا تقع و إن وقعت فإنّما تقع لغيرهم لالهم ، و إذا وقعت كان في القائمين لها كثرة و يتركون ما يلازمهم و يتكرّر عليهم آناء اللّيل و النهار في خواطرهم و وساوسهم و أعمالهم ، و ما أبعد عن السعادة من باع مهمّ نفسه اللاّزم بمهمّ غيره النادر إيثاراً للقبول و التقرّب من الخلق على القرب من الله تعالى ، و شرهاً في أن يسمّيه البطّالون من أبناء الدنيا فاضلاً محقّقاً عالماً بالدقائق ، و جزاؤه من الله تعالى أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدّر عليه صفوه بنوائب الزمان ثمّ يرد يوم القيامة مفلساً

---

(١) فاطر : ٢٨ . (٢) آل عمران : ١٩٩ .
(٣) الشعراء : ٢١٥ . (٤) آل عمران : ١٥٩ .
(٥) القصص : ٨٠ . (٦) الانعام : ١٢٥ .
(٧) الدر المنثورج ٣ ص ٤٤ .

متحسراً على ما يشاهده من ربح العالمين (١) وفوز المقربين و ذلك هو الخسران المبين .

قيل لحذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - : نراك تتكلّم بكلام لا نسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته ؟ قال : خصّني به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان الناس يسألونه عن الخير و كنت أسأله عن الشرّ مخافة أن أقع فيه ، وعلمت أنّ الخير لا يسبقني و قال مرّة : فعلمت أنّ من لا يعرف الشرّ لا يعرف الخير (٢) ؛ و في لفظ آخر : كان الناس يقولون : يا رسول الله ما لمن عمل كذا و كذا فيسألونه من فضائل الأعمال ، و كنت أقول : يا رسول الله ما يفسد كذا و كذا ، فلمّا رآني أسأل عن آفات الأعمال خصّني بهذا العلم .

و كان حذيفة - رضي الله عنه - أيضاً قد خصّ بعلم المنافقين و أُفرد بمعرفة علم النفاق و أسبابه و دقائق الفتن وكان عمر و عثمان و غيرهما من الصحابة يسألونه عن الفتن العامّة و الخاصّة ، وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم و كان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئاً من النفاق و كان إذا دعي إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلّى عليها و إلّا ترك وكان يسمّى صاحب السرّ» (٣) .

أقول : وليتأمّل العاقل المنصف في نقل مثل هذه الأخبار عن المتسمّين بأهل السنّة و ليعتبر ، إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

قال : « فالعناية بمقامات القلب وأحواله هو دأب علماء الآخرة لأنّ القلب هو الساعي إلى قرب الربّ عزّ وجلّ و قد صار هذا الفنّ غريباً مندرساً و إذا تعرّض العالم لشيء منه استغرب و استبعد و قيل : هذا تزويق المذكّرين فأين التحقيق و يرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق القائل حيث يقول :

الطرق شتّى وطرق الحقّ مفردة ✻ و السالكون طريق الحقّ أفراد
لا يعرفون و لا يدرون مقصدهم ✻ فهم على مهل يمشون قصّاد
و الخلق في غفلة عمّا يراد بهم ✻ فجلّهم عن سبيل الحقّ رقّاد

و على الجملة لا يميل أكثر الخلق إلّا إلى الأسهل و الأوفق لطباعهم ، فإنّ

(١) في الاحياء « من ربح العاملين » .
(٢) أورده البخاري في الصحيح ج ٩ ص ٦٥ بلفظ آخر .
(٣) راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٦ و٣٨٨ و٣٩٠ ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٣ .

الحقّ مرّ ، و الوقوف عليه صعب و إدراكه شديد ، و طريقه مستوعر [١] ، لاسيّما معرفة صفات القلب و تطهيره عن الأخلاق المذمومة فإنّ ذلك نزع للروح على الدوام ، و صاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ، و ينزل منزلة من جعل مدّة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ، و متى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ، و لذلك قيل : إنّه كان بالبصرة مائة و عشرون متكلّماً في الوعظ و التذكير ولم يكن من يتكلّم في علم اليقين و أحوال القلوب و صفات الباطن إلّا ستّة و كان يجلس إلى اُولئك الخلق الكثير الّذي لا يحصى و يجلس إلى هؤلاء عدد يسير قلّما يجاوز العشرة لأنّ النفيس العزيز لا يصلح إلّا لأهل الخصوص ، و ما يبتذل للعموم فأمره قريب .

ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته و إدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف و الكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره و إنّما المقلّد صاحب الشرع صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما أمر به و قاله ، وإنّما يقلّد الصحابة من حيث أنّ فعلهم يدلّ على سماعهم من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

اقول : و أمّا نحن معاشر الشيعة فلا نقلّد الصحابة كلّهم بل من وصّانا به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم باتّباعه و إنّما هو أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين هم أحد الثقلين كيف و قد علمت أنّ في الصحابة منافقين ؟ و أنّه كان يخفى نفاقهم على أنفسهم فضلاً عن غيرهم كما مرّ آنفاً ، و إنّما نقلّد أهل البيت عليهم السلام لعصمتهم و أنّهم أخذوا علمهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خلفاً عن سلف من غير اجتهاد من رأيهم ولا تقليد لغيره صلّى الله عليه وآله وسلّم .

قال أبو حامد : « ثمّ إذا قلّد صاحب الشرع صلّى الله عليه وآله وسلّم في تلقّي أقواله و أفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره ، فإنّ المقلّد إنّما يفعل ذلك الفعل لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فعله ، و فعله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا بدّ و أن يكون لسرّ فيه ، فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال و الأقوال فإنّه إن اكتفى بحفظ ما يقال له كان وعاءً للعلم ولم يكن عالماً و لذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ، و كان لا يسمّى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطّلاع على الحكم و الأسرار ، و من انكشف عن قلبه الغطاء

(١) اى المكان المخوف .

و استنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلّداً فلا ينبغي أن يقلّد غيره ، و لذلك قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ : ما من أحد إلّا و يؤخذ من علمه ويترك إلّا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و قد كان تعلّم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على اُبيّ بن كعب ثمّ خالفهما في الفقه و القراءة جميعاً ، و قال بعض السلف : ما جاءنا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبلناه على الرأس والعين ، وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ و نترك ، و ما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال ، و إذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضيّ فالاعتماد على الكتب و التصانيف أبعد بل الكتب و التصانيف محدثة ، لم يكن شيء منها في زمن الصحابة و الصدر التابعين و إنّما حدثت بعد سنة مائة و عشرين بعد الهجرة و بعد وفاة جميع الصحابة و جلّة التابعين بل كان الأوّلون يكرهون كتب الأحاديث و تصنيف الكتب لئلّا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبّر و التفكّر و التذكّر وقالوا : احفظوا كما كنّا نحفظ.

و كان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطّأ و يقول : لا تبدع مالم يفعله الصحابة ، و قيل : أوّل كتاب صنّف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار(١) و حروف التفسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عبّاس بمكّة ، ثمّ كتاب معمر بن راشد الصنعاني

(١) هذا مخالف لما نص عليه الاعلام لانهم ذكروا الجماعة من الصحابة مدونات حديثية ذكروا لسلمان الفارسي الصحابي كتاب حديث جاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي صلى الله عليه و آله . راجع فهرست الشيخ الطوسي . و ذكروا لابي ذر الغفاري كتاب الخطبة يشرح فيها الامور بعد النبي صلى الله عليه و آله . وذكروا لابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله كتاب السنن والاحكام و القضايا ولعلي بن أبي طالب امير المؤمنين عليه السلام كتاباً أملاه رسول الله (ص) و خطه على عليه السلام على صحيفة فيها كل حلال و حرام و ذكروا أيضاً له صحيفة في الذبائح كان يعلقها بقراب سيفه و قد نقل البخاري منها و أيضاً كتاب الفرائض راجع رجال النجاشي ص ٥ و ص ٢٥٥ في ترجمة محمد بن عذافر وصحيفة الرضا ص ١١٨ تحت رقم ١٣٥ و صحيح البخاري باب «كتابة العلم» الحديث الاول ج ١ ص ٣٨ و باب «اثم من تبرأ من مواليه» ج ٨ ص ١٩٢ ومسند احمد ج١ ص ١٥١. و قال ابن شهر آشوب اول من صنف في الحديث امير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام و يؤيده ما جاء كثيراً في روايات الفريقين الايماء اليه . راجع الكافي ج ٧ ص ٣٣٠ و بصائر الدرجات الجزء الرابع الباب الاول .

باليمن جمع فيه سنناً مأثورة منثورة مبوّبة ثمّ كتاب الموطّأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثمّ جامع سفيان الثوري، ثمّ في القرن الرابع حدثت مصنّفات الكلام، و كثر الخوض في الجدال والخوض في إبطال المقالات، ثمّ مال الناس إلى ذلك و إلى القصص و الوعظ بها، فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب و التفتيش عن صفات النفس و مكائد الشيطان و أعرض عن ذلك جميع الناس إلّا الأقلّون فصار يسمّى المجادل المتكلّم عالماً و القاصّ المزخرف كلامه بالعبارات المسجّعة عالماً وهذا لأنّ العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميّز لهم حقيقة العلم عن غيره و لم تكن سيرة الصحابة و علومهم ظاهرة عندهم حتّى كانوا يعرفون بذلك مباينة هؤلاء لهم فاستمرّ عليهم اسم العلماء، و توارث اللّقب خلفاً عن سلف، و أصبح علم الآخرة مطويّاً، و غاب عنهم الفرق بين العلم و الكلام إلّا عن الخواصّ منهم حتّى كان إذا قيل لأحدهم: فلان أعلم أم فلان؟ فكان يقال: فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً، فكان الخواصّ يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام، هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظنّ بزمانك هذا و قد انتهى الأمر إلى أنّ مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت.

ومنها أن يكون شديد التوقّي عن محدثات الأمور و إن اتّفق عليها الجمهور فلا يغرنّه إطباق الخلق على ما أُحدث بعد الصّحابة و ليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة و سيرتهم وأعمالهم و ما كان فيه أكثر همّهم أكان في التدريس والتصنيف و المناظرة و القضاء و الولاية و تولّي الأوقاف والوصايا و مال الأيتام و مخالطة السلاطين و مجاملتهم في العشرة؟ أو في الخوف و الحزن و التفكّر و المجاهدة و مراقبة الظاهر و الباطن و اجتناب دقيق الاثم وجليله و الحرص على إدراك خفايا شهوات النفس و مكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن.

وليعلم تحقيقاً أنّ أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحقّ أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أُخذ الدين فلذلك قال عليّ عليه السلام: «خيرنا أتبعنا لهذا الدّين» لمّا قيل له خالفت فلاناً.

اقول: و ينبغي أن يبدّل لفظ الصحابة في كلامه بأهل البيت في الموضعين كما أشرنا إليه آنفاً وسيأتي تحقيقه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

قال: «فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ الناس رأوا رأياً فيما هم فيه لميل طباعهم إليه و لم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأنّ ذلك سبب الحرمان من الجنّة فادّعوا أنّه لا سبيل إلى الجنّة سواه.

و قد روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً و مسنداً أنّه قال: «إنّما هما إثنان الكلام و الهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ألا و إيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ شرّ الأمور محدثاتها و إنّ كلّ محدثة بدعة، و كلّ بدعة ضلالة، ألا لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، ألا كلّ ما هو آت قريب، ألا إنّ البعيد ما ليس بآت» (١).

و في خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «طوبى لمن شغله عيوبه عن عيوب الناس، و أنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه و الحكمة، وجانب أهل الذلّ والمعصية؛ طوبى لمن ذلّ في نفسه، و حسنت خليقته، و صلحت سريرته، و عزل عن الناس شرّه؛ و طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله، و وسعته السنّة ولم يدعها إلى البدعة» (٢) و كان ابن مسعود يقول: حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل؛ و قال: أنتم في زمان يكون خيركم فيه المتسارع في الأمور، وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبّت المتوقّف لكثرة الشبهات. وقد صدق فمن لم يتثبّت في هذا الزّمان و وافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا. وقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: أعجب من هذا أنّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأنّ منكركم معروف زمان قد أتى، و أنّكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحقّ، و كان العالم فيكم غير مستخفّ به. و لقد صدق ـ رضي الله عنه ـ فإنّ أكثر معروفات هذه الأعصار

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٦ و رواه الشيخ فى أماليه مسنداً عن ابى عبدالله، عن أبيه عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه و آله كما فى البحار ج٢ ص ٣٠١ وهكذا أخرجه أحمد فى المسند ج٣ ص٣١٠ و ٣١٩ و ٣٧١.

(٢) راجع تحف العقول ص٣٠، والجامع الصغير باب الطاء، والكافى ج٢ ص ١٤٤.

منكرات في عصر الصحابة إذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد و تنجيدها و إنفاق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها و بسط الفرش الرفيعة فيها و قد كان يعدّ فرش البواري في المسجد بدعة ، و قيل : إنّه من محدثات الحجّاج ، فقد كان الأوّلون قلّما يجعلون بينهم و بين التراب حاجزاً و كذا الاشتغال بدقائق الجدل ، و المناظرة من أجلّ علوم هذا الزمان ، و يزعمون أنّه من أعظم القربات و قد كان ذلك من المنكرات ، و من ذلك التلحين في الأذان و القرآن ، و من ذلك التقشّف في النظافة و الوسوسة في الطهارة ، و تقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حلّ أكل الأطعمة و تحريمها إلى نظائر ذلك ، ولقد صدق ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال : أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى . و قيل : تركوا العلم و أقبلوا على الغرائب ما أقلّ الفقه فيهم . و الله المستعان .

و قيل : لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم و لم يكن العلماء يقولون : حلال ولا حرام ، بل يقولون : مكروهٌ و مستحبٌّ ، معناه أنّهم ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب ، فأمّا الحرام فكان تجنّبه ظاهراً . وقيل: لا تسألوهم اليوم عمّا أحدثوا فإنّهم قد أعدّوا له جواباً و لكن سلوهم عن السنّة فإنّهم لا يعرفونها ، و في الحديث المشهور « من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو ردٌّ »(١) و في حديث آخر « من غشّ أُمّتي فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين ، قيل : يا رسول الله و ما غشٌّ أُمّتك ؟ قال : أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها »(٢) . و قال ﷺ : « إنّ لله ملكاً ينادي كلّ يوم : من خالف سنّة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته »(٣) .

ومثال الجاني على الدين بإبداع ما يخالف السنّة بالنسبة إلى من يذنب ذنباً مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معيّنة و ذلك قد يغفر

(١) متفق عليه من حديث عائشة بلفظ « فى أمرنا » راجع الجامع الصغير باب الميم ، و مسند أحمد ج٦ ص ٢٧٠ .

(٢) قال العراقى : رواه الدار قطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف .

(٣) ماعثرت على أصل له .

فأمّا قلب الدولة فلا ، و قال بعض العلماء : ما تكلّم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء و ما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلّف ، و قال آخر : الحقّ ثقيل من جاوزه ظلم ، و من قصر عنه عجز ، و من وقف عليه اكتفى . وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « عليكم بالنمط الأوسط الّذي يرجع إليه الغالي و يرتفع إليه التالي » [(١)] و قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ إنّ الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها ، قال الله عزّ وجلّ : « و ذر الّذين اتّخذوا دينهم لعباً و لهواً » [(٢)] و قال تعالى : « أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً » [(٣)] فكلّما أُحدث بعد الصحابة ممّا جاوز قدر الضرورة و الحاجة فهو اللّعب و اللّهو . و قال بعض العارفين : إنّما انقطع الأبدال في أطراف الأرض و استتروا عن أعين الجمهور لأنّهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنّهم عندهم جهّال بالله تعالى و هم عند أنفسهم و عند الجاهلين علماء .

قال سهل التستري [(٤)] إنّ من أعظم المعاصي الجهل بالجهل و النظر إلى العامّة و استماع كلام أهل الغفلة و كلّ عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله بل ينبغي أن يتّهم في كلّ ما يقول لأنّ كلّ إنسان يخوض فيما أحبّه و يدفع ما لا يوافق محبوبه و لذلك قال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتّبع هواه و كان أمره فرطاً » [(٥)] و العوام العصاة أسعد حالاً من الجهّال بطريق الدين المعتقدين أنّهم من العلماء لأنّ العاميّ العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظانّ أنّه عالم و أنّ ما هو مشتغل به من العلوم الّتي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الآخرة

---

(١) ما عثرت عليه الا فى النهاية الاثيرية هكذا قال فى حديث على « خير هذه الامة النمط الاوسط» . و فى معناه روايات عن اهل البيت منها « كونوا النمرقة الوسطى اليكم يفيئ الغالى و بكم يلحق التالى» الكافى ج ٢ ص ٧٥ .

(٢) الانعام : ٧٠ . (٣) الفاطر : ٨ .

(٤) هو أبو محمد سهل بن عبدالله التسترى من كبار الصوفية لقى ذا النون المصرى و سكن البصرة زماناً و عبادان مدة ، و لد سنة ٢٠٠ و توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ أو ٢٧٣ . (الكنى و الالقاب للمحدث القمى) .

(٥) الكهف : ٢٨ .

و الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه إلى الموت ، و إذا غلب هذا على أكثر الناس إلّا من عصمه الله تعالى و انقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم للمحتاط العزلة و الانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة إن شاء الله تعالى بيانه و لذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي : ما ظنّك بمن بقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلّا كان آثماً و كانت مذاكرته معصية و ذلك أنّه لا يجد أهله . و لقد صدق فإنّ مخالط الناس لا ينفكّ عن غيبة أو سماع غيبة أو عن سكوت على منكر ، و أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيده ولو تأمّل علم أنّ المستفيد إنّما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا و شبكة و وسيلة إلى الشرّ فيكون هو معيناً له و رِدءاً و ظهيراً و مهيّئاً لأسبابه كالّذي يبيع سيفاً من قاطع طريق فالعلم كالسيف و صلاحه للخير كصلاح السيف للغزو و ذلك لا يرخّص في البيع ممّن يعلم بقرائن أحواله أنّه يريد به الاستعانة على قطع الطريق . فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كلّ واحدة منها جملاً من أخلاق علماء السلف ، فكن أحد رجلين إمّا متّصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به ، وإيّاك أن تكون الثالث فتلبّس على نفسك بأن بدّلت آلة الدنيا بالدين و سيرة البطّالين بسيرة العلماء الراسخين فتلحق بجهلك و إنكارك بزمرة الهالكين الآيسين ، نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فبها هلك الجمهور ، فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممّن لا تغرّه الحياة الدنيا و لا يغرّه بالله الغرور .

﴿ الباب السابع ﴾

(في العقل و شرفه و حقيقته وأقسامه)

بيان شرف العقل : إعلم أنّ هذا ممّا لا يحتاج إلى تكلّف في إظهاره لا سيّما و قد ظهر شرف العلم من قبل ، والعقل منبع العلم و مطلعه و أساسه و العلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، و كيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا و الآخرة أو كيف يستراب فيه ، والبهيمة مع قصور تمييزها

تحتشم العقل حتى أن أعظم البهائم بدناً و أشدها ضراوة و أقواها سطوة إذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خص به إدراك الحيل و لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «الشيخ في قومه كالنبي في اُمته»(١) وليس ذلك لكثرة ماله ولكبر شخصه ولا زيادة قوته ، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله و لذلك ترى الأكراد و الأتراك و أجلاف العرب و سائر الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم توقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما وقعت أعينهم عليه و اكتحلوا بغرته الكريمة هابوه و تراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة و إن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل ، و شرف العقل مدرك بالضرورة ، و إنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار و الآيات في ذكر شرفه و قد سماه الله تعالى نوراً في قوله عز و جل : « الله نور السموات و الأرض »(٢) و سمي العلم المستفاد منه روحاً و حياة. فقال عز و جل : « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا »(٣) و قال عز و جل : « أو من كان ميتاً فأحييناه »(٤) و حيث ذكر النور و الظلمة أراد به العلم و الجهل(٥) كقوله « يخرجهم من الظلمات إلى النور »(٦).

و قد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما اُمرتم به و نهيتم عنه ، و اعلموا أنه مجدكم عند ربكم ، و اعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر ، حقير الخطر ، دنيء المنزلة ، رث الهيئة ، وأن الجاهل من عصى الله و إن كان جميل المنظر ، عظيم الخطر ، شريف المنزلة ، حسن الهيئة ، فصوحاً

(١) أخرجه الخليلي في مشيخته و ابن النجار عن أبي رافع كما في الجامع الصغير باب الشين ، و قال العراقي : أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر ، وابو منصور الديلمي من حديث ابى رافع .

(٢) النور : ٣٥ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) الانعام : ١٢٢ .

(٥) تعميه ليس بصحيح و فيه موارد من النقض منها قوله تعالى : «الحمد لله الذى خلق السموات و الارض وجعل الظلمات و النور » الانعام : ٢٠ .

(٦) البقرة : ٢٥٧ .

تطوعاً ، فالقرد والخنازير أعقل عندالله عزّ وجلّ ممّن عصاه ، ولا تغترّوا بتعظيم أهل الدنيا إيّاكم فإنّكم من الخاسرين» (١) .

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « أوّل ما خلق الله تعالى العقل فقال له : أقبل فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال : وعزّتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ، بك آخذ ، وبك اُعطي و بك اُثيب وبك اُعاقب » (٢) .

فإن قلت : فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام و إن كان جوهراً فكيف يكون جوهراً قائماً بنفسه لايتحيّز ؟ فاعلم أنّ هذا من علم المكاشفة و لا يليق ذكره بعلم المعاملة و غرضنا علم المعاملة .

أقول : و قد شرحت هذا الحديث شرحاً بليغاً في كتابي المسمّى بعين اليقين المتضمّن لأنوار الحكم وأسرار الكلم الّذي صنّفته في علم المكاشفة .

قال : « و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّ الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتمّ لرجل حسن خلقه حتّى يتمّ عقله فعند ذلك تمّ إيمانه و أطاع ربّه تعالى وعصى عدوّه إبليس » (٣) .

و روى أبو سعيد الخدريّ - رضي الله عنه - : « أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : لكلّ شيء دعامة و دعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته (٤) ، أما سمعتم قول الفجّار :

---

(١) أخرج شطراًمنه الكراجكي في كنز الفوائد كما في البحار ج ١ص ١٦٠ . و قال العراقي : أخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل من حديث ابي هريرة و هوفي مسند الحرث بن ابي اسامة عن داود .

(٢) رواه البرقي في المحاسن ص١٩٢ ، و الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٦ تحت رقم ٢٦ ، و المفيد صدره في الاختصاص ص ٢٤٤، و قال العراقي أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة باسنادين ضعيفين .

(٣) قال العراقي : اخرجه داود بن المحبر في العقل من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انتهى ، أقول : والى قوله : «ولايتم» رواه الكليني في الكافي ج ٢ ص١٠٣ تحت رقم ١٨ .

(٤) أخرجه الكراجكي في كنز الفوائد كما في البحار ج١ ص ٩٦ .

« لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير » (١).

و عن البراء بن عازب « قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : جدّ الملائكة و اجتهدوا في طاعة الله بالعقل، و جدّ المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله أوفرهم عقلاً » (٢).

وعن ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ « قال : قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم : لكلّ شيء آلة وعدّة و إنّ آلة المؤمن وعدّته العقل ، و لكلّ شيء مطيّة و مطيّة المرء العقل ، ولكلّ شيء دعامة و دعامة الدين العقل ، و لكلّ قوم غاية و غاية العبّاد العقل ، و لكلّ قوم راع وراعي العابدين العقل ، ولكلّ تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكلّ أهل بيت قيّم وقيّم بيوت الصدّيقين العقل ، و لكلّ خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ، ولكلّ امرء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصدّيقين الّذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل ، ولكلّ سفر فسطاط و فسطاط المؤمنين العقل » (٣).

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم : « إنّ أحبّ المؤمنين إلى الله تعالى من نصب نفسه في طاعة الله و نصح لعباده و كمل عقله ونصح نفسه فأبصر و عمل به أيّام حياته فأفلح وأنجح » (٤).

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم : « أتمّكم عقلاً أشدّكم لله تعالى خوفاً ، و أحسنكم فيما أمر به و نهى عنه نظراً و إن كان أقلّكم تطوّعاً » (٥).

﴿ فصل ﴾

أقول : من طريق الخاصّة ما رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ ـ رحمه الله ـ

(١) الملك : ١٠ .
(٢) قال العراقى : أخرجه داود بن المحبر و رواه البغوى فى معجم الصحابة من ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن المحبر .
(٣) أخرجه الكراجكى فى كنز الفوائد كما فى البحار ج١ ص ٩٥ .
(٤) رواه ابن المحبر من حديث ابن عمر كما فى المغنى .
(٥) أخرجه ابن المحبر من حديث أبى قتادة (المغنى) .

في الكافي بإسناده[١] «عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، و إقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتّى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أُمّته، وما يضمر النبيّ عليه السلام في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدّى العبد فرائض الله حتّى عقل عنه، و ما بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم أُولوا الألباب الّذين قال الله تعالى: «وما يتذكّر إلّا أُولوا الألباب»[٢].

و بإسناده «عن أصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام قال: هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إنّي أُمرت أن أُخيّرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين فقال آدم: قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء و الدّين: انصرفا و دعاه فقالا: يا جبرئيل إنّا أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما وعرج»[٣].

و بإسناده «عن سهل بن زياد رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: العقل غطاء ستير، و الفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، و قاتل هواك بعقلك تسلم لك المودّة و تظهر لك المحبّة»[٤].

و بإسناده الصحيح «عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال: وعزّتي و جلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أُحبّ، أما إنّي إيّاك آمر، و إيّاك أنهي، و إيّاك أُعاقب و إيّاك أُثيب»[٥].

و بإسناده «عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما يداقّ الله العباد في

(١) المجلد الاول ص١٣ تحت رقم ١١.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) المجلد الاول ص١٠ تحت رقم ٢.

(٤) المجلد الاول ص٢٠ تحت رقم ١٣.

(٥) المجلد الاول ص١٠ تحت رقم ١.

الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا »[١].

و باسناده « عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حجة الله على العباد النبي صلى الله عليه وآله و الحجة فيما بين العباد و بين الله العقل »[٢].

و باسناده « عن أحمد بن محمد مرسلاً قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : دعامة الانسان العقل ، و العقل منه الفطنة و الفهم و الحفظ و العلم ، و بالعقل يكمل و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره ، فاذا كان تأييد عقله عن النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً ، فعلم بذلك كيف ولم وحيث ، وعرف من نصحه و من غشه ، فاذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله و مفصوله و أخلص الوحدانية لله و الاقرار بالطاعة ، فاذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات ، و وارداً على ما هو آت ، يعرف ما هو فيه و لأي شيء هو ههنا ومن أين يأتيه و إلى ما هو صاير ، و ذلك كله من تأييد العقل »[٣].

و باسناده « عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس بين الايمان و الكفر إلا قلة العقل[٤] . قيل : و كيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : إن العبد يرفع رغبته[٥] إلى مخلوق فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك » .

و باسناده[٦] « عن سماعة بن مهران قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام و عنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : « اعرفوا العقل

(١) المجلد الاول ص ١١ تحت رقم ٧ والمداقة : المناقشة فى الحساب .

(٢) المجلد الاول ص ٢٥ تحت رقم ٢٢ .

(٣) المجلد الاول ص ٢٥ تحت رقم ٢٣ .

(٤) يعنى قليل العقل متوسط بين المؤمن والكافر ، ليس مؤمناً حقيقياً كاملا بما فيه من قصور العقل الموجب لبعده عنه تعالى فى الجملة ولا كافرا حقيقياً محضاً لما فيه شىء من نور العقل الموجب لقربه فى الجملة .

(٥) اى مرغوبه و مراده من حوائجه الى مخلوق لقلة عقله واعتقاده بأن الحصول لايكون الا بالرفع اليه فيعظمه ويذلل له و يتخذه رباً معطياً ولو كان عاقلا كامل العقل لعرف أن اخلاص النية لله والرفع اليه دون غيره سرعة الوصول الى المطلوب ، و الخبر فى المجلد الاول من الكافى ص ٢٨ تحت رقم ٣٣ .

(٦) المجلد الاول ص ٢٠ تحت رقم ١٤ .

و جنده والجهل وجنده تهتدوا ، قال سماعة : فقلت : جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرّفتنا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلق العقل و هو أوّل خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تعالى: خلقتك خلقاً عظيماً و كرّمتك على جميع خلقي ، قال : ثمّ خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانيّاً ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل فلم يقبل ، فقال له : استكبرت فلعنه ثمّ جعل للعقل خمسة و سبعين جنداً فلمّا رأي الجهل ما أكرم الله به العقل و ما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل : يا ربّ هذا خلق مثلي خلقته و كرّمته و قوّيته وأنا ضدّه ولا قوّة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته ، فقال : نعم فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك و جندك من رحمتي قال : قد رضيت فأعطاه خمسة و سبعين جنداً فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة و سبعين الجند :

الخير هو وزير العقل و جعل ضدّه الشرّ و هو وزير الجهل ، و الإيمان و ضدّه الكفر ؛ و التصديق وضدّه الجحود ؛ و الرجاء و ضدّه القنوط ؛ و العدل و ضدّه الجور ، و الرضا و ضدّه السخط ، و الشكر و ضدّه الكفران ؛ و الطمع و ضدّه اليأس ، والتوكّل و ضدّه الحرص ، و الرأفة و ضدّها القسوة ؛ و الرحمة و ضدّها الغضب ، و العلم و ضدّه الجهل ، و الفهم و ضدّه الحمق ، و العفّة و ضدّها التهتّك ؛ و الزهد و ضدّه الرغبة ، و الرفق و ضدّه الخرق ، و الرّهبة و ضدّها الجرأة ، و التواضع وضدّه الكبر ، و التؤدة (۱) و ضدّها التسرّع ، و الحلم و ضدّه السفه ، و الصمت و ضدّه الهذر ، و الاستسلام و ضدّه الاستكبار ، و التسليم و ضدّه الشكّ ، و الصبر و ضدّه الجزع ، والصفح وضدّه الانتقام ، و الغناء وضدّه الفقر ، و التفكّر وضدّه السهو ، و الحفظ وضدّه النسيان ، و التعطّف وضدّه القطيعة ، و القنوع و ضدّه الحرص ، و المؤاساة و ضدّها المنع ، و المودّة و ضدّها العداوة ، و الوفاء و ضدّها الغدر ، و الطاعة و ضدّها المعصية ، و الخضوع و ضدّها التطاول (۲) ، و السلامة و ضدّها البلاء ، و الحبّ و ضدّه البغض ،

(۱) بضم التاء و فتح الهمزة و سكونها : الرزانة و التأنی أی عدم المبادرة الی الامور بلاتفکر فانها توجب الوقوع فی المهالك .
(۲) التطاول : التکبر و الترفع .

و الصدق و ضدّه الكذب ، و الحقّ و ضدّه الباطل ، و الأمانة و ضدّها الخيانة ، والإخلاص وضدّه الشوب ، والشهامة و ضدّها البلادة ، و الفهم وضدّه الغباوة ، و المعرفة و ضدّها الإنكار ، و المداراة و ضدّها المكاشفة ، و سلامة الغيب و ضدّها المماكرة ، و الكتمان و ضدّه الإفشاء ، والصلاة وضدّها الاضاعة ؛ والصوم و ضدّه الافطار ، والجهاد و ضدّه النكول ؛ و الحجّ و ضده نبذ الميثاق ، و صون الحديث و ضدّه النميمة ، و برّ الوالدين و ضدّه العقوق ، و الحقيقة و ضدّها الرياء ، و المعروف و ضدّه المنكر . و الستر و ضدّه التبرّج [١] ، و التقيّة و ضدّها الاذاعة ، و الانصاف و ضدّه الحميّة ، والتهيئة و ضدّها البغي [٢] ، و النظافة و ضدّها القذر ، و الحياء و ضدّه الجلع [٣] ، و القصد و ضدّه العدوان ، و الراحة و ضدّها التعب ، و السهولة و ضدّها الصعوبة ، و البركة و ضدّها المحق [٤] ، و العافية و ضدّها البلاء ، و القوام و ضدّه المكاثرة [٥] ؛ و الحكمة و ضدّها الهوى ؛ و الوقار و ضدّه الخفّة ، و السعادة و ضدّها الشقاوة ، و التوبة وضدّها الاصرار ، و الاستغفار و ضدّه الاغترار ، و المحافظة و ضدّها التهاون ، و الدعاء و ضدّه الاستنكاف ، و النشاط و ضدّه الكسل ، و الفرح و ضدّه الحزن ، و الألفة و ضدّها العصبيّة [٦] ، و السخاء وضدّه البخل .

ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن

---

(١) التبرج : اظهار الزينة .

(٢) التهيئة : الموافقة والمصالحة بين الجماعة و امامهم .

(٣) الجلع - باسكان اللام - : قلة الحياء قال الجوهرى : قال الاصمعى : جلع ثوبه بمعنى خلعه . والاجلع الذى لاتنضم شفتاه على اسنانه انتهى ؛ وقال ابن فارس فى المقاييس: يقال للمرأه القليلة الحياء : جلعة ، كأنها كشفت قناع الحياء ، و يقال : جلع فم فلان اذا تقلصت شفته و ظهرت اسنانه .

(٤) المحق : النقص والمحو والابطال .

(٥) القوام - بفتح القاف - كسحاب - : العدل ومايعاش به ، والمكاثرة المغالبة فى الكثرة اى تحصل متاع الدنيا زائداً على قدر الحاجة للمباهات والمغالبة .

(٦) فى الكافى «الفرقة» موضع «العصبية» .

قد امتحن الله قلبه للايمان ، و أمّا سائر ذلك من موالينا فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّى يستكمل و ينقي من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء ، وإنّما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل و جنوده ، وفّقنا الله و إيّاكم لطاعته ومرضاته ».

و بإسناده[1] «عن الحسن بن الجهم قال : سمعت الرضا عليه‌السلام يقول : صديق كلّ امرء عقله و عدوّه جهله ».

☼(بيان حقيقة العقل و اقسامه)☼

اعلم أنّ الناس اختلفوا في حدّ العقل و أقسامه و حقيقته و ذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم ، و الحقّ الكاشف للغطاء فيه أنّ العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدّة و ما يجري هذا المجرى ، فلا ينبغي أن يُطلب لجميع أقسامه حدّ واحد بل يفرد كلّ قسم بالكشف عنه .

الاول الوصف الّذي به يفارق الإنسان سائر البهائم و هو الّذي به استعدّ لقبول العلوم النظريّة و تدبير الصناعات الخفيّة الفكريّة و هو الّذي أراده الحارث المحاسبيّ حيث قال في حدّ العقل: إنّه غريزة يتهيّأ بها إدراك العلوم النظريّة و تدبير الصناعات و كأنّه نور يُقذف في القلب ، به يستعدّ لإدراك الأشياء ، و لم ينصف من أنكر هذا وردّ العقل إلى مجرّد العلوم الضروريّة ، فإنّ الغافل عن العلوم و النائم يسمّيان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم و كما أنّ الحياة غريزة بها يتهيّأ الجسم للحركات الاختياريّة و الإدراكات الحسيّة فكذلك العقل غريزة بها يتهيّأ بعض الحيوانات للعلوم النظريّة و لو جاز أن يسوّى بين الإنسان و الحمار في الغريزة ويقال لا فرق بينهما إلّا أنّ الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الانسان علوماً و ليس يخلقها في الحمار و سائر البهائم لجاز أن يسوّى بين الجماد والحمار في الحياة و يقال: أيضاً : لا فرق إلّا أنّ الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة فانّه

(١) المجلد الاول ص ١١ تحت رقم ٤ .

لو قدّر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأنّ كلّ حركة تشاهد منه فالله تعالى قادرٌ على خلقها فيه على الترتيب المشاهد ، و كما وجب أن يقال : لم تكن مفارقته للجماد في الحركة إلّا لغريزة اختصّت به عبّر عنها بالحياة فكذلك مفارقة الانسان للبهيمة في إدراك العلوم النظريّة بغريزة يعبّر عنها بالعقل و ذلك كالمرآة الّتي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور و الألوان لصفة اختصّت بها و هي الصقالة و كذلك العين تفارق الجبهة في هيئات و صفات استعدّت بها للرؤية ، فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم نسبة العين إلى الرؤية و نسبة القرآن و الشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر ، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة .

الثاني عبارة عن العلوم الّتي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميّز بجواز الجايزات و استحالة المستحيلات كالعلم بأنّ الاثنين أكثر من الواحد ، و أنّ الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الّذي عناه بعض المتكلّمين حيث قال في حدّ العقل : إنّه بعض العلوم الضروريّة بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات .وهذا أيضاً صحيح في نفسه لأنّ هذه العلوم موجودة و تسميتها عقلاً ظاهر و إنّما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة و يقال : لا موجود إلّا هذه العلوم .

الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإنّ من حنكته التجارب و هذّبته المذاهب يقال : إنّه عاقل في العادة .و من لا يتّصف بذلك يقال : إنّه غبيٌّ غمرٌ جاهلٌ فهذا نوع آخر من العلوم يسمّى عقلاً .

الرابع أن ينتهي قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأُمور فيقمع الشهوة الداعية إلى اللّذّة العاجلة و يقهرها فإذا حصلت هذه القوّة سمّي صاحبها عاقلاً بحيث أنّ إقدامه و إحجامه(١) بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة و هذه أيضاً من خواصّ الانسان الّتي يتميّز بها عن سائر الحيوانات .

فالأوّل هو الأسّ و السنخ و المنبع ؛ و الثاني هو الفرع الأقرب إليه ، والثالث فرع الأوّل و الثاني إذ بقوّة الغريزة و العلوم الضروريّة يستفاد علوم التجارب ، والرابع

(١) حجمه عن الشيء منعه وأحجم عنه كف أو نكس هيبة .

هي الثمرة الأخيرة و هي الغاية القصوى ، فالأوّلان بالطبع و الأخيران بالاكتساب ولذلك قال علي عليه السلام :

رأيت العقل عقلين * فمطبوع و مسموع * و لا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع * كما لاتنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

و الأوّل هوالمراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » (١)

و الأخيرهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا تقرّب الناس بأبواب البرّ فتقرّب أنت بعقلك» (٢)

و هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي الدرداء : « ازدد عقلاً تزددمن ربّك قرباً ، فقال : بأبي أنت و اُمّي و كيف لي بذلك ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : اجتنب محارم الله و أدّ فرائض الله تكن عاقلاً ، و اعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة و كرامة و تنل بها من ربّك القرب و العزّ » (٣) .

و عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : « إنّ جماعة دخلوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال : العاقل ، فقالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : العاقل ، فقالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : أليس العاقل من تمّت مروّته و ظهرت فصاحته وجادت كفّه وعظمت منزلته ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « و إن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين » و إنّ العاقل هو المتّقي و إن كان في الدنيا خسيساً دنيّاً » (٤) .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّما العاقل من آمن بالله و صدّق رسله وعمل بطاعته » .

---

(١) قال العراقى : أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة .

(٢) أخرجه أبونعيم فى الحلية من حديث على عليه السلام وتمامه « اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عزوجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب » و رواه أبو على سينا فى الرسالة المعراجية ص ١٥ و نقله المحقق الجليل السيد الداماد فى كتاب الصراط المستقيم بهذا اللفظ « يا على اذا عنى الناس أنفسهم فى تكثير العبادات والخيرات فانت عن نفسك فى ادراك المعقولات حتى تسبقهم » .

(٣) رواه داود بن المحبر فى العقل والحكيم الترمذى فى النوادر . (المغنى)

(٤) رواه والذى بعده أيضاً داودبن المحبر فى العقل كما فى المغنى .

أقول: و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي [١] بإسناده عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال عليه السلام: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان؟ قال: قلت: فالّذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، و تلك الشيطنة و هي شبيهة بالعقل و ليست بالعقل».

و بإسناده الصحيح [٢] عن عبد الله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء و الصلاة و قلت: هو رجل عاقل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: و أيّ عقل له و هو يطيع الشيطان؟ فقلت له: و كيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الّذي يأتيه أيّ شيء هو فإنّه يقول لك: من عمل الشيطان».

قال أبو حامد: «و يشبه أن يكون الاسم في أصل اللّغة لتلك الغريزة و كذا في الاستعمال و إنّما أُطلق على العلوم من حيث أنّها ثمرتها كما يعرف الشجر بثمرته فيقال: العلم هو الخشية، والعالم من يخشى الله تعالى، فإنّ الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللّغة و المقصود أنّ هذه الأقسام الأربعة موجودة و الاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلّا في القسم الأوّل و الصحيح وجوده بل هو الأصل و هذه العلوم كأنّها مضمّنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر للوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتّى كان هذه العلوم ليست شيئاً وارداً عليها من خارج و كأنّها كانت مستكنّة فيها فظهرت، و مثال ذلك الماء في الأرض فإنّه يظهر بحفر القناة ويجتمع و يتميّز بالحسّ لا بأن يساق إليه شيءٌ جديدٌ و كذلك الدّهن في اللّوز و ماء الورد في الورد و لذلك قال الله تعالى: «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» [٣] فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فإنّهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة و الأشخاص و لذلك قال تعالى: «و لئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله» [٤]

(١) المجلد الاول ص ١١ تحت رقم ٣ .
(٢) المجلد الاول ص ١٢ تحت رقم ١٠ .
(٣) الاعراف: ١٧٢ .
(٤) الزخرف: ٨٧ .

معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم و بواطنهم « فطرة الله الّتي فطر الناس عليها» أي كلُّ آدميّ فطر على الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنّها كالمضمّنة فيها لقرب استعدادها للإدراك ، ثمّ لمّا كان الإيمان مركوزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلىمن أعرض فنسي و هم الكفّار و إلى من أجال خاطره فتذكّر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثمّ تذكّرها و لذلك قال تعالى : « لعلّهم يتذكّرون » [١] « و ليتذكّر اُولوا الألباب » [٢] « و اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الّذي واثقكم به » [٣] « و لقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر » [٤] و تسمية هذا تذكّراً ليس ببعيد و كأنّ التذكّر ضربان : أحدهما أن يذكّر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود ، و الآخر أن يكون عن صورة كانت مضمّنة فيه بالفطرة و هذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف و العيان و لذلك تراه يتخبّط في مثل هذه الآيات و يتشعّب و يتعسّف في تأويل التذكّر و إقرار النفوس أنواعاً من التعسّفات و يتخايل إليه في الأخبار و الآيات ضروبٌ من المناقضات و ربّما يغلب ذلك عليه حتّى ينظر إليها بعين الاستحقار و يعتقد فيها التهافت و مثاله مثال الأعمى الّذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول : ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق و تردّ إلى مواضعها ؟ فيقال له : إنّها في مواضعها و إنّما الخلل في بصرك ، فكذلك خلل البصيرة يجري هذا المجرى و أعظم منه و أطمّ إذا النفس كالفارس و البدن كالفرس و عمى الفارس أشدّ من عمى الفرس و لمشابهة بصيرة الباطن بالبصر الظاهر قال الله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » [٥] وقال تعالى : « و كذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض » [٦] و سمّي ضدّه عمى وقال تعالى : « فإنّها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب الّتي في الصدور» [٧] وقال تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٢١ ، ابراهيم : ٢٥ ، القصص : ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ .
(٢) سورة (ص) : ٢٩ . (٣) المائدة : ٧ .
(٤) القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .
(٥) النجم : ١١ . (٦) الانعام : ٧٥ .
(٧) الحج : ٤٦ .

« و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضلُّ سبيلاً » (١) و هذه الأمور الّتي كشفت للأنبياء صلوات الله عليهم بعضها كان بالبصر و بعضها كان بالبصيرة و سمّي جميعها رؤية.

وبالجملة من لم يكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلّق به من الدّين إلّا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه.

فهذه أقسام ما يطلق عليه اسم العقل.

(بيان تفاوت الناس في العقل)

قد اختلف الناس في معنى تفاوت العقل و لا معنى للاشتغال بنقل كلام من قلّ تحصيله بل الأولى المبادرة إلى التصريح بالحقّ، و الحقُّ الصّريح فيه أنّ التفاوت يتطرّق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني و هو العلم الضروريّ بجواز الجائزات و استحالة المستحيلات، فإنّ من عرف أنّ الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة كون الشخص الواحد في مكانين و كون الشيء الواحد قديماً حادثاً فكذلك سائر النظائر وكلّ من يدركه فإنّه يدركه إدراكاً محقّقاً من غير شكّ، و أمّا الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرّق إليها، أمّا القسم الرابع وهو استيلاء القوّة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد و هذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإنّ الشابّ قد يعجز عن ترك الزّنى فإذا كبر وتمّ عقله قدر عليه، وشهوة الرياء و الرئاسة تزداد قوّة بالكبر لا ضعفاً، و قد يكون سببه التفاوت في العلم المعرّف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرّة و قد لا يقدر من يساويه في العقل إذا لم يكن طبيباً و إن كان يعتقد في الجملة فيها مضرّة ولكن إذا كان علم الطبيب أتمّ كان خوفه أشدّ فيكون الخوف جنداً للعقل و عدّة في قمع الشهوة وكسرها، و كذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من العاميّ لقوّة علمه بضرر المعاصي، و أعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة و أصحاب الهذيان فإن كان

(١) الاسراء: ٧٢.

التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل و إن كان من جهة العلم فقد سمّينا هذا الضرب من العلم عقلاً فإنّه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه و قد يكون بمجرّد التفاوت في غريزة العقل فإنّها إذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشدّ ؛ و أمّا القسم الثالث و هو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لاينكر فإنّهم يتفاوتون بكثرة الاصابة و بسرعة الإدراك و يكون السبب في ذلك إمّا تفاوت في الغريزة و إمّا تفاوت في الممارسة ، أمّا الأوّل فهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنّه مثل نور يشرق على النفس و يطلع صبحه و مبادي إشراقه عند سنّ التمييز ثمّ لايزال ينمو و يزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ، و مثاله نور الصبح فإنّ أوائله تخفى خفاء يشقّ إدراكه ، ثمّ يتدرّج إلى الزيادة إلى أن يتكامل بطلوع قرص الشمس ، و تفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر ، فالفرق يدرك بين الأعمش و بين الحادّ البصر ، بل سنّة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتّى أنّ غريزة الشهوة لا ترتكز في الصبيّ عند البلوغ دفعة و بغتة واحدة بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج و كذا جميع القوى و الصفات و من أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنّه منخلع عن ربقة العقل ، و من ظنّ أنّ عقل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل عقل آحاد السوادية و أجلاف البواديّ فهو أخسّ في نفسه من آحاد السوادية و كيف ينكر تفاوت الغريزة و لولاه لما اختلف الناس في فهم هذه العلوم و لما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلّا بعد تعب طويل من المعلّم و إلى ذكيّ يفهم بأدنى رمز و إشارة و إلى كامل ينبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعليم « يكاد زيتها يضيىء و لولم تمسسه نار [نور على نور] » و ذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتّضح لهم في باطنهم أمور غامضة من غير تعلّم و سماع و يعبّر عن ذلك بالالهام و عن مثله عبّر نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال : « إنّ روح القدس نفث في روعي احبب ما أحببت فانّك مفارقه ، و عِش ما شئت فانّك ميّت ، و اعمل ما شئت فانّك تلاقيه »(١) وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء عليهم السلام يخالف

---

(١) أخرج الشيرازى فى الالقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبرانى فى مسنده الاوسط والاصغر من حديث على عليه السلام . (المغنى) وفى بعض النسخ « فانك مجزى به ».

الوحي الصريح الّذي هو سماع للصوت بحاسّة الأذن و مشاهدة الملك بحاسّة البصر و لذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع ، و درجات الوحي كثيرة و الخوض فيها لايليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنّنّ أنّ معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لايبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحّة و يعلم الفاسق درجات العداله و إن كان خالياً عنها فالعلم شيء و وجود المعلوم شيء آخر فما كلّ من عرف النبوّة و الولاية كان نبيّاً ولا كلّ من عرف الورع و التّقى و دقائقه كان تقيّاً ، وانقسام الناس إلى من يتنبّه من نفسه ويفهم وإلى من لايفهم إلّا بتنبيه و تعليم و إلى من لاينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء و يقوى فينفجر بنفسه عيوناً و إلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات و إلى ما لاينفع فيه الحفر و هو اليابس و ذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ؛ و يدلّ على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي :

« أنّ ابن سلام سأل النبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأنّ الملائكة قالت : يا ربّنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش ؟ قال : نعم العقل ، قالوا : و ما بلغ من قدره ؟ قال : هيهات لا يحاط بعلمه ، هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا : لا ، قال : فإنّي خلقت العقل أصنافاً شتّى كعدد الرّمل فمن الناس من اُعطي حبّة و منهم من اُعطي حبّتين و منهم الثلاث و الأربع و منهم من اُعطي فرقاً و منهم من اُعطي و سقاً و منهم أكثر من ذلك » (١) .

فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوّفة يذمّون العقل و المعقول ؟ فاعلم أنّ السبب في ذلك أنّ الناس نقلوا اسم العقل و المعقول إلى المجادلة و المناظرة بالمناقضات و الالزامات و هي صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرّروا عندهم أنّكم أخطأتم في

(١) الخبر مفصل أورد المجلسي - رحمه‌الله - في المجلد الرابع عشر من البحار (طبع الكمباني) ص ٣٤٦ تبدأ منه من كتاب ذكر الاقاليم والبلدان والجبال والانهار والاشجار ، وروى المفيد في الاختصاص ص٤٢ شطراً منه وقال العراقي : أخرجه ابن المحبر من حديث أنس بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصراً . والفرق و الوسق : مكيال .

التسمية إذ كان ذلك لاينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة فذمّوا العقل و المعقول و هو المسمّى به عندهم، فأمّا نور البصيرة الباطنة الّتي بها يعرف الله تعالى و يعرف صدق رسله فكيف يتصوّر ذمّه ؟ و قد أثنى الله عليه، فإن ذمّ ذلك فما الّذي يحمد ؟ فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحّة الشرع ؟ فان علم بالعقل المذموم الّذي لايوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ؟.

ولا يلتفت إلى قول من يقول : إنّه يدرك بعين اليقين و نور الايمان لا بالعقل فإنّا نريد بالعقل ما يريده هو بعين اليقين و نور الايمان و هي الصفة الباطنة الّتي يتميّز بها الآدميّ عن البهائم حتّى أدرك بها حقائق الأمور .

و أكثر هذه التخبّطات إنّما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبّطوا تخبّط اصطلاحات الناس في الألفاظ . و هذا القدر كاف في بيان العقل و الله أعلم بالصواب .

هذا اخر كتاب العلم من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه كتاب قواعد العقائد ، و الحمد لله أوّلاً و آخراً وظاهراً وباطناً والصلاة على خير خلقه محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

﴿ كتاب قواعد العقائد ﴾

و هو الكتاب الثاني من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعّال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، و البطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك و الترديد ، السائق لهم إلى اتّباع رسوله المصطفى و اقتفاء أئمّة الهدى من أهل بيته المعصومين بالتأييد و التسديد صلوات الله عليهم على الدوام و التأبيد .

أما بعد فأقول : لمّا سلك أبو حامد في هذا الكتاب الّذي هو أصل الإسلام ومحض الإيمان مسلك أهل الأهواء العاميّة ، و بنى أكثر كلامه على الاُصول الفاسدة الرديّة صرفنا عنان القلم عن متابعته في تقرير الكلام إلّا قليلاً ممّا أورده في صفة علم الكلام و وجه التدرّج إلى إرشاد الخواصّ و العوام ، فانّه جعله على أربعة فصول : الأوّل في ترجمة عقيدة أهل السنّة في كلمتي الشهادة الّتي هي أحد مباني الإسلام ، الثاني في وجه التدرّج إلى الإرشاد و ترتيب درجات الإعتقاد ، الثالث في لوامع الأدلّة للعقيدة الّتي ترجمها و جعل هذا الفصل رسالة عليحدة سمّاه الرسالة القدسيّة لأنّه صنّفه لأهل القدس في المسجد الأقصى ، الرابع في الإيمان و الإسلام و ما بينهما من الاتّصال و الانفصال و ما يتطرّق إليه من الزيادة و النقصان و نحن رتّبناه على سبعة أبواب الأوّل في طريق التخلّص عن مضائق [illegible] أهل الأهواء بمتابعة الكتاب و السنّة و اقتفاء أئمّة الهدى صلوات الله عليهم وليس في هذا الباب من كلام أبي حامد شيء . والخمسة الأخرى في الأركان

الخمسة الّتي هي أُصول الدين بمذهب أهل البيت عليهم السلام وهي التوحيد و العدل والنبوّة و الإمامة و المعاد و هذه الخمسة تشتمل على ما ذكره في الفصل الأوّل و الثالث جامعة بين ترجمة العقيدة و لوامع الأدلّة لكن على منهاج أهل الحقّ المتمسّكين بحبل القرآن وسفينة أهل البيت عليهم السلام ، و السابع فيما ذكره في الفصل الثاني و زبدة ما قصده من الفصل الرابع مع تهذيب و تنوير و زيادة و نقصان و الله الموفّق و عليه التكلان .

﴿الباب الأوّل﴾

في طريق التخلّص عن مضايق بدع أهل الأهواء بمتابعة الكتاب والسنّة و اقتفاء الأئمّة الهدى صلوات الله عليهم .

قال بعض الفضلاء : اعلم أنّ العقل لن يهتدي إلّا بالشرع ، والشرع لن يتبيّن الّا بالعقل ، و العقل كالأُسّ و الشرع كالبناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أُسّ ولن يغني أسّ ما لم يكن بناء ، و أيضاً العقل كالبصر و الشرع كالشعاع ، و لن ينفع البصر مالم يكن شعاع من خارج ، و لن يغني شعاع ما لم يكن بصر ، فلهذا قال تعالى : « قد جاء كم من الله نور و كتاب مبين * يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه » (١) و أيضاً فالعقل كالسراج و الشرع كالزيت الّذي يمدّه فما لم يكن زيت لم يشعل السراج و ما لم يكن سراج لم يضىء الزيت و على هذا نبّه بقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره - إلى قوله - نور على نور » (٢) و أيضاً فالشرع عقل من خارج و العقل شرع من داخل ، وهما يتعاضدان بل يتّحدان ، و لكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو « صمّ بكمٌ عمي فهم لايعقلون » (٣) و لكون العقل شرعاً من داخل قال تعالى في صفة العقل : « فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون » (٤) فسمّى العقل ديناً ، و لكونهما متّحدين قال : « نور على نور » أي نور

(١) المائدة : ١٥ و١٦ .
(٢) النور : ٣٥ .
(٣) البقرة : ١٧١
(٤) الروم : ٣٠ .

العقل و نور الشرع ، ثمّ قال : « يهدي الله لنوره من يشاء » فجعلهما نوراً واحداً فالعقل إذا فقد الشرع عجز عن أكثر الأُمور كما عجز العين عند فقد النور .

و اعلم أنّ العقل بنفسه قليل الغنى لا يكاد يتوصّل إلّا إلى معرفة كلّيات الشيء دون جزئيّاته نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحقّ ، و قول الصدق ، و تعاطي الجميل ، و حسن استعمال المعدلة ، و ملازمة العفّة ، و نحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء ، و الشرع يعرف كلّيات الشيء وجزئيّاته و يبيّن ما الّذي يجب أن يعتقد في شيء شيء ، وما الّذي هو معدلة في شيء شيء ، ولا يعرف العقل مثلاً أنّ لحم الخنزير والدّم و الخمر محرّمة ، و أنّه يجب أن يتحاشي من تناول الطعام في وقت معلوم ، و أن لا ينكح ذوات المحارم ، و أن لا يجامع المرأة في حال الحيض ، فإنّ أشباه ذلك لا سبيل إليها إلّا بالشرع ، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة و الأفعال المستقيمة و الدالّ على مصالح الدّنيا و الآخرة من عدل عنه فقد ضلّ سواء السبيل ، و لأجل أن لا سبيل للعقل إلى معرفة ذلك قال تعالى : « و ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً »(١) وقال : « ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لو لا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ و نخزى »(٢) و إلى العقل و الشرع أشار بالفضل و الرحمة بقوله عزّ وجلّ : « ولولا فضل الله عليكم و رحمته لا تّبعتم الشيطان إلّا قليلا »(٣) و عنى بالقليل المصطفين الأخيار . انتهى كلامه و يصدّقه ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

العقل عقلان * مطبوع و مسموع * ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * ونور العين ممنوع

و ليعلم أنّ أصحاب العقل قليل جدّاً كما قال الله عزّ وجلّ : « و لكنّ أكثرهم لا يعقلون »(٤) « ولكنّ أكثرهم لا يفقهون »(٥) « أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو

---

(١) الاسراء : ١٥ . (٢) طه : ١٣٤ . (٣) النساء : ٨٣ .

(٤) ليست هكذا فى المصحف وفى سورة المائدة : ١٠٣ « وأكثرهم لا يعقلون » وفى العنكبوت : ٦٣ « بل أكثرهم لا يعقلون ».

(٥) ليست فى المصحف و ينبغى أن يكون موضعها هذه الاية « بل كانوا لا يفقهون الا قليلا » الفتح : ١٥ . ولعل ذلك من اشتباه النساخ .

يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً »[١] و إنّ من لم يهتد لنور الشرع ولم يطابقه عقله فليس من ذوي العقول في شيء و إنّ العقل فضلٌ من الله و نور كما أنّ الشرع رحمة منه وهدى و « إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء »[٢] و « يهدي الله لنوره من يشاء »[٣] « و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[٤] « و الله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل »[٥]

﴿ فصل ﴾

اعلم أنّ أعقل العقلاء نبيّنا صلى الله عليه وآله وخير الشرائع شرعه ، و إنّما أرسله الله و أنزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع بأمر الله وهدى الخلق إلى الصراط المستقيم ، وأرشدهم إلى معرفة صانعهم و يوم آخرهم ببيانات و براهين ناسبت عقولهم ، و نبّههم على أدلّة و حجج بلغت إليها أفهامهم ، و أكمل لهم أمور دينهم ، و إنّما أتى كلّ طائفة من ذلك بما يصلح لعقله و فهمه من بيّنة و برهان و خطابة و جدال بالّتي هي أحسن و معجزة إلى غير ذلك و إنّما أتى مع كلّ دعوى بحجّة و برهان ليكونوا على بصيرة من أمرهم و « ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة » و لئلاّ يحتاج أمّته إلى آثار السالفين فيما يهمّهم و يعنيهم من أمر الدّين ؛ فليس لقائل أن يقول : إنّ ثبوت الأنبياء عليهم السلام و الشرائع يتوقّف على ثبوت الصانع و صفاته الكماليّة فكيف يعرف الصانع و صفاته بالشرع ؟ و ذلك لأنّه لو لم يكن صاحب هذه الكلم و التبيانات مقبول القول و معصوم الفعال لكان فيها الحجّة من حيث مطابقتها لمقتضي العقول السليمة فإنّ براهينه هي المتّبعة ، و بيّناته و حججه هي الملزمة ، على أنّ ما يتوقّف عليه الشرع من معرفة الصانع و صفاته يجري مجرى الضروريّات الّتي يحكم بها كلّ من له أدنى مسكة كما سيأتي بيانه ، فثبت أنّ ما ورد في الشرع كاف في الإهتداء إلى طريق الحقّ مع ما جبل عليه أهل السلامة من العقل المطبوع فلاحاجة إلى تكلّفات المتكلّفين على اختلاف طبقاتهم

(١) الفرقان : ٤٤ . (٢) آل عمران : ٧٣ .
(٣) النور : ٣٥ . (٤) النور : ٤٠ .
(٥) الاحزاب : ٤ .

و تشعّب آرائهم وتناقض أهوائهم في إبداء الأدلّة و إنهاض الحجج على اُمور الدّين فإنّهم جمعوا بين الجهل و سوء الأدب ، أمّا الجهل فلكونهم ما عرفوا موضع الدّلالة فيما نصبه الحقّ دليلاً ، و أمّا سوء الأدب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا فيه ممّا يزعمونه دليلاً فجعلوا نظارهم في الدّين أتمّ في الدّلالة بما دلّ عليه الحقّ تعالى عن ذلك ، أفأنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم أنزل الله ديناً تامّاً فقصّر الرسول عن تبليغه و أدائه ، و الله سبحانه يقول : « ما فرّطنا في الكتاب من شيء »[١] و فيه تبيان كلّ شيء[٢] ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولاتكشف الظلمات إلّا به »[٣] .

فصل

قال السيّد رضي الدّين عليّ بن طاووس - رحمه الله - في وصاياه لابنه[٤] : اعرف يا ولدي أنّ المبتدي إذا قال له الاُستاد : لاطريق لك إلى معرفة الله إلّا بنظرك في الجسم و الجوهر و العرض و حدوثها ، و إنّ حدوث الجسم لا يثبت إلّا بالحركة و السكون فإنّ المبتدي ما يفهم بفطرته زيادة هذه الأعراض على الأجسام إلّا بأن يتعب في إنفاق كثير من الأوقات في تصوّر حدّ الجسم وتصوّر العرض و تحقيق زيادتها على الأجسام و حفظ ما يتعلّق بذلك كلّه من معنى و كلام و ربّما وجدت الاُستاد عاجزاً في حدود هذه المعاني غير أن يعبّر ألفاظها المعهودة المأخوذة حتّى يكاد أن يقلّد قائلها و ناقلها و يحتجّ بأنّها قول فلان و فلان و قولهم كالحجّة في معانيها ثمّ إذا فهم من إستاده زيادة الحركة على الأجسام فإنّه ما يكاد يفهم زيادة السكون على الجسم في ظاهر أوائل الأفهام ولا يدرك على التعجيل لزوم حدوث الجسم من حدوث الحركة والسكون

(١) الانعام : ٣٨ .

(٢) ان أراد به القرآن فالاية هكذا « و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » النحل : ٨٩ .

(٣) النهج خطبة : ١٨ .

(٤) راجع كشف المحجة من تآليفه .

بل لا يزال غالب حاله يخبط خبط عشواء في أدلّتهم و معارضتها بشبهات احتمالات الأهواء حتّى يتمحّض اجتهاده عن رجحان ظنّ أو اعتقاد ضعيف و متى عرض له طعن قويّ أعاد ذلك الطعن إلى الاستدلال و التكشّف فتراه متردّداً في العقائد بين ساكن و عائد، فإلى أن يموت لعلّه يجوّز حدوث القوادح وقد كان له قبل ذلك التعليم لسكونه إلى المعرفة بجملة اعتقاد قويّ راجح و كان آمناً من تجدّد المطاعن و المعارضات و القوادح، ثمّ قال: إنّني وجدت مثال شيوخ المعتزلة و مثال الأنبياء عليهم السلام مثل رجل أراد أن يعرّف غيره أنّ في الدنيا ناراً موجودة و ذلك الرّجل الّذي يريد أن يعرف وجودها قد رأي النّار في داره و في البلاد ظاهرة كثيرة بين العباد ما يحتاج في معرفتها إلى نظر و اجتهاد، فقال له: إنّك تحتاج في معرفتها إلى إحضار حجر النّار وهو في طريق مكّة لأنّه ليس كلّ حجر يكون في باطنه نار و تحتاج إلى مقدحة و إلى حراق و أن تكون في موضع سليم من شدّة الهواء لئلاّ يذهب بالحراق و يطفىء ما يخرج من الحجر من النّار، فاحتاج هذا المسكين إلى تحصيل هذه الآلات من عدّة جهات و بعدّة توصّلات و لو كان قد قال له من مبدء الأمر: هذه النّار الظاهرة بين العباد هي النّار الكامنة في الحجر و الشجر كان قد عرف وجود النيران على العيان و الوجدان و استغنى عن ترتيب الدلالة و تحصيل البرهان، و كلّ من عدل في التعريف عن الأمر المكشوف إلى الأمر الخفيّ اللّطيف فهو حقيق أن يقال له: قد أضلّ ولا يقال: قد هدى ولا قد أحسن فيما استدلّ، قال: و كلّ عاقل يعلم فيما عاينه من زيادات الأجسام في الانسان و الشجر و كلّ ما يزداد عظماً و كبراً بين الأنام مثل النطفة الّتي يصير منها إنسان و مثل النواة الّتي سيكون منها نخلة عظيمة الشأن أنّ هذه الزيادات حادثات بالضرورة فكيف يعدل عن تعريف حدوثها بمثل هذا التحقيق إلى الحركة و السكون وهما عرضان غير مشاهدين و لايعرف حقائقهما و ما يلزم من حدوثهما إلاّ بنظر دقيق و قطع عقبات قليلة التوفيق - إلى أن قال -: فأشار الأنبياء صلوات الله عليهم والكتب المنزلة عليهم إلى نحو هذه التنبيهات على هذه الدلاّلات الظاهرت، فعدلوا المعتزلة بالخلائق إلى غير تلك الطرائق، و ضيّقوا عليهم سبيل الحقائق كما عدل من أراد تعريف حقيقة النّار المعلومة بالاضطرار

إلى استخراجها من الشجر و الحراق و الأحجار ، و هذا مثال يعرف أهل الإنصاف أنّه حقٌ و صحيح و ما يحتاج إلى زيادة استكشاف و كان مثالهم مع المتعلّم منهم و مثاله معهم أيضاً كمثل إنسان كان بين يديه شمعة مضيئة إضاءة باهرة فأخذها استاده من بين يديه وأبعد ها عنه مسافة بعيدة كثيرة الحوائل والموانع من النظر إلى تلك الشمعة الّتي كانت حاضرة و قال له : تجهّز للسفر بالزّاد و الرّفقاء و العدّة والأدلّاء حتّى تصل إلى معرفة تلك الشمعة و تنظر حقيقة ما هي عليه من الضّياء فقبل ذلك الغرّ المتعرّف من ذلك الأستاد المتكلّف و سافر مدّة من الأوقات فتارة يرى جبالاً و عقبات فلا يظهر له من حديث الشمعة كثير ولا قليل و تارة يرى ضوءاً فيقول : لعلّه ضوء تلك الشمعة و يستنجد بمساعدة الرفيق و الدّليل فان عجز من تمام المسافة و قطع الطريق بما يرى فيها من العقبات و التطويل و التضييق هلك المسكين و رجع خاسراً للدّنيا و الدّين .

فأوصيك يا ولدي و من بلغه كتابي هذا ممّن يعلّم المسترشدين إلى معرفة ربّ العالمين أن يقوّي ما عندهم في الفطرة الأوّليّة بالتنبيهات العقليّة و القرآنيّة و الهدايات الالهيّة و النبويّة و يقول للمسترشد : إنّما تحتاج إلى معرفة صفات هذا المؤثّر و الصانع و يثبت صفاته عنده بأسهل ما يريد منه مولاه جلّ جلاله من تكليفه بتدبير صاحب الشرائع السليم من القواطع ، ثمّ سلك به سبيل معرفة النبوّة و الامامة على قاعدة تعريف النبيّ والأئمّة عليهم السلام و من سلك سبيلهم من أهل الاستقامة فهذا كان كافياً لمن يريد تحصيل السلامة و السعادة يوم القيامة .

و أمّا حفظ الألفاظ الحادثة بين المتكلّمين و ما ذكروه من صفات المتجادلين فهو شغل من فرغ من فروض الله جلّ جلاله المتعيّنة المتضيّقة عليه و يريد أن يخدم الله جلّ جلاله خالصاً لوجهه بالردّ على أهل الضلال من الأمم الحائلة بين العباد وبين المعرفة و الوصول إليه و يكون حامل هذا العلم العريض العميق لازماً سبيل التوفيق و يناظر مخالفيه مناظرة الرحيم الشفيق حتّى يسلم من خطر الطريق و إلّا فهو هالك على التحقيق .

أقول : و تمام الكلام في مضرّة علم الكلام و منفعته و تحقيق الأمر فيه يأتي في الباب السابع إن شاء الله تعالى .

﴿ فصل ﴾

لمّا ثبت أنّ خيرهاد إلى الله سبحانه نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فنقول : إنّه قد ثبت أنّه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما ترك من بعده لخلافته الثقلين كتاب الله و عترته ، و ما أوصى اُمّته إلّا بالتمسّك بهما كما استفاض به الأخبار من طريقي العامّة و الخاصّة جميعاً على اختلاف في اللّفظ و اتّفاق في المعنى ففي رواية « إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي كتاب الله و عترتي أهل بيتي فانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض »(١) و معنى عدم افتراقهما أنّ علم الكتاب إنّما هو عند العترة فمن تمسّك بهم فقد تمسّك بهما و في رواية « ثمّ قال : اللّهمّ اشهد ثلاثاً » و في اُخرى « إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله و عترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض »(٢) و في اُخرى « إنّي امرء مقبوض و أوشك أن اُدعى فاُجيب و قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أفضل من الآخر ـ الحديث »(٣) و في اُخرى « أمرين أحدهما أطول من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيدالله ، وعترتي ـ الحديث » ، وفي اُخرى « وهما الخليفتان من بعدي » وفي اُخرى « الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله و طرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تزلّوا و لاتضلّوا ، و الأصغر منهما عترتي لاتقتلوهم و لاتقهروهم فإنّي سألت اللّطيف الخبير أن يردا عليّ الحوض فأعطاني فقاهرهما قاهري و خاذلهما خاذلي و وليّهما وليّي و عدوّهما عدوّي ـ الحديث ـ »(٤) وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حجّة الوداع في مسجد الخيف : « إنّي فرطكم

(١) قدمر الحديث سابقاً عن مصادر عدة عامية وراجع عبقات الانوار حديث الثقلين يوقفك على مصادر الحديث بمختلف ألفاظه .

(٢) رواه الصدوق فى كمال الدين ص ١٣٦ .

(٣) رواه الصدوق فى كمال الدين ص ١٣٧ .

(٤) راجع بصائر الدرجات الجزء الثامن الباب السابع عشر أيضاً . وبحار الانوار ج ٧ من طبع الكمبانى ص ٢٢ الى ٣٤ .

و إنّكم واردون عليّ الحوض حوض عرضه ما بين بُصرى و صنعاء[١] فيه قدحان[٢] من فضّة عدد النجوم ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين قالوا : يا رسول الله و ما الثقلان ؟ قال : كتاب الله الثقل الأكبر طرف بيدالله وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لن تضلّوا و لن تزلّوا و عترتي أهل بيتي فإنّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كاصبعي هاتين ـ و جمع بين سبّابتيه ـ ولا أقول : كهاتين ـ وجمع بين سبّابته ـ و الوسطى فتفضل هذه على هذه»[٣].

و سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى الحديث « من العترة ؟ قال : أنا والحسن و الحسين و الأئمّة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه »[٤].

وفي رواية «من جعلهما أمامه قاداه إلى الجنّة ، ومن جعلهما خلفه ساقاه إلى النار» .

و في الخبر المستفيض «أنّ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق [٥] » .

و روى في الكافي بإسناده « عن مولينا الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة و كتابه وأهل بيتي ، ثمّ أُمّتي ثمّ أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي [٦]» .

---

(١) بصرى بالضم والقصر : في موضعين : احداهما بالشام ، وهي التي وصل اليها النبي صلى الله عليه وآله للتجارة . و هي المشهورة عند العرب : قال : هي قصبة كورة حوران ، والاخرى من قرى بغداد قرب عكبراء ذكرها ابن الحجاج في شعره مع اوانا . والصنعاء : وهي في موضعين احداهما باليمن ، وهي العظمى . والاخرى قرية بغوطة دمشق . فاما اليمانية فقيل : كان اسمها قديماً ازال ، فلما وافتها الحبشة ورأوها حصينة ، قالوا : صنعاء معناه حصينة ؛ فسميت صنعاء بذلك ، و هي قصبة اليمن و أحسن بلادها تشبه بدمشق لكثرة فواكهها فيما قيل . واما التي بدمشق فقد نسب اليها جماعة (مراصد الاطلاع) . (٢) كذا .

(٣) رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ص٤ ، وفي البحار ج٧ ص٢٧ من الطبع الحجري .

(٤) رواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٩٠ تحت رقم ٤ .

(٥) رواه الشيخ في اماليه كما في البحار ج٧ ص ٢٥ من الطبع الحجري .

(٦) المجلد الثاني ص ٦٠٠ .

و بإسناده ، عن مولينا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« أيّها النّاس إنّكم في دار هدنة ، و أنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، و قد رأيتم اللّيل و النهار و الشمس و القمر يبليان كلّ جديد ، و يقرّبان كلّ بعيد ، و يأتيان بكلّ موعود ، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز ، قال : فقام المقداد بن الأسود فقال : يارسول الله فما دار الهدنة (١) ؟ فقال : دار بلاغ و انقطاع ، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّع ، و ماحلٌ مصدّق (٢) من جعله أمامه قاده إلى الجنّة ، و من جعله خلفه ساقه إلى النّار ، و هو الدليل يدلّ على خير سبيل ، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل ، و هو الفصل ليس بالهزل ، و له ظهر و بطن ، فظاهره حكم و باطنه علم ، ظاهره أنيق و باطنه عميق ، له تخوم و على تخومه تخوم (٣) لا تحصى عجائبه ، ولاتبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة ، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة (٤) ، فليجل جال بصره و ليبلغ الصفة نظره ، ينج من عطب و يتخلّص من نشب (٥) ، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص (٦) » .

---

(١) الهدنة : السكون والصلح والموادعة بين المسلمين والكفار و بين كل متحاربين .

(٢) « شافع مشفع » أى مقبول الشفاعة ، وقوله : « ماحل مصدق » يقال : محل به اذا سعى به الى السلطان و هو ماحل و محول وفى الدعاء « فلا تجعله ماحلا مصدقا » ولعله من هنا قيل فى معناه ، يمحل بصاحبه أى يسعى به اذا لم يتبع ما فيه الى الله تعالى .

(٣) الانق : الفرح والسرور ، قد أنق - بالكسر - يأنق الشيء أعجبه وأنيق أى حسن معجب . وقوله : « له تخوم و على تخومه تخوم » التخوم على ماقيل - : جمع تخم بمعنى منتهى الشيء . و فى بعض النسخ الحديث « له نجوم و على نجومه نجوم » أى آيات تدل على هذه الايات و توضيحها ، أو المراد بالنجوم الثالث السنة فان السنة توضيح القرآن أو الائمة عليهم السلام العالمون بالقرآن .

(٤) أى لمن عرف كيفية التعرف واشارات القرآن و نكات بيانه ويعلم معاريضه ، وفى بعض النسخ الحديث « دليل على المغفرة » .

(٥) العطب : الهلاك . ونشب فى الشيء اذا وقع فى مالا مخلص له منه .

(٦) التربص الانتظار . والخبر رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٢ ص ٥٩٨ تحت رقم ٢ . والعياشي أيضاً فى تفسيره .

و بإسناده « عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : القرآن هدى من الضلالة ، و تبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ، و نور من الظلمة ، و ضياء من الأجداث ، وعصمة من الهلكة ، ورشد من الغواية ، وبيان من الفتن ، و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة ، و فيه كمال دينكم ، وما عدل أحد عن القرآن إلّا إلى النّار »(١).

و فيه عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن (٢) ».

و فيه عنهم عليهم السلام « من أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم زالت الجبال قبل أن يزول و من أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال (٣) » . قال محمّد بن يعقوب - رحمه الله - بعد نقل هذا الحديث : و لهذه العلّة انبثقت (٤) على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة والمذاهب المتشنّعة (٥) الّتي قد استوفت شرائط الكفر و الشرك كلّها ، و ذلك بتوفيق الله عزّ و جلّ و خذلانه ، فمن أراد الله توفيقه و أن يكون إيمانه ثابتاً مستقرّاً سبّب له الأسباب الّتي تؤدّيه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله بعلم و يقين وبصيرة فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي ، و من أراد الله خذلانه و أن يكون دينه معاراً مستودعاً - نعوذ بالله منه - سبّب له أسباب الاستحسان و التقليد و التأويل من غير علم و بصيرة ، فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك و تعالى أتمّ إيمانه وإن شاء سلبه إيّاه ، و لا يؤمن عليه أن يصبح مؤمناً و يمسي كافراً ، و يمسي مؤمناً و يصبح كافراً ، لأنّه كلّما رأى كبيراً من الكبراء مال معه و كلّما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله ، و قد قال العالم عليه السلام : « إنّ الله تعالى خلق النبيّين على النبوّة فلا يكونون إلّا

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٨ .

(٢) أورده الكليني في مقدمة كتابه الكبير الكافي ج١ ص٧ ، وفي القاموس نكب عنه - كنصر وفرح - نكباً ونكوباً : عدل ، كنكب و تنكب .

(٣) مقدمة الكافي ص ٧ .

(٤) في المغرب بثق الماء بثوقاً فتحه بأن خرق الشط : وانبثق هو اذا جرى بنفسه من غير فجر .

(٥) التشنيع : التقبيح ، والمتشنعة : المستقبحة . و في بعض النسخ المستشنعة .

أنبياء، و خلق الأوصياء على الوصيّة، فلا يكونون إلّا أوصياء، و أعار قوماً إيماناً، فإن شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه» قال: وفيهم جرى قوله: «فمستقرّ ومستودع»[1].

﴿فصل﴾

قد ظهر ممّا ذكرنا و تبيّن أنّ بيان أمر أهل البيت عليهم السلام إنّما هو في كتاب الله عزّ و جلّ، و أنّ علم الكتاب عندهم، و أنّ كلّ واحد منهما مع الآخر صاحبين مؤتلفين يشهد كلّ واحد منهما لصاحبه بالتصديق ينطق الإمام منهم عن الله في الكتاب بما أوجب الله فيه على العباد، و ينطق الكتاب بوجوب اتّباعهم، و أنّ الرشد إنّما هو في إطاعتهم، و هذا معنى عدم افتراقهما المذكور في الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله كما مرّت الاشارة إليه.

و روى شيخنا الصدوق - رحمه الله - في كتاب كمال الدّين[2] «باسناده إلى جابر ابن يزيد الجعفيّ قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ يقول: لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه صلى الله عليه وآله «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اُولي الأمر منكم»[3] قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله فمن اُولوا الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر و أئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ - المعروف في التوراة بالباقر و ستدركه يا جابر فاذا لقيته فأقرئه منّي السّلام - ثمّ الصادق جعفر ابن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي و كنيّي، حجّة الله في أرضه، و بقيّته في عباده،

---

(١) الى ههنا من كلام الكليني - رحمه الله - والرواية نقلها مرسلا و رواها أيضاً في ج ٢ ص ٤١٨ من الكافى مسنداً. والاية فى سورة الانعام: ٩٨ هكذا «هوالذى انشأكم من نفس واحدة فمستقر و مستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون».

(٢) ص ١٤٦ باب نص الله تبارك و تعالى على القائم وأنه الثانى عشر من الائمة.

(٣) النساء: ٥٩.

ابن الحسن بن علي ، ذاك الّذي يفتح الله - تعالى ذكره - على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الّذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبة ، لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان ، قال جابر : فقلت له : يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته ؟ فقال : إي و الّذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس ، و إن تجلّلها سحاب ، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ، و مخزون علم الله ، فاكتمه إلّا عن أهله ، قال جابر بن يزيد : فدخل جابر بن عبد الله على عليّ بن الحسين عليهما السلام فبينما هو يحدّثه إذ خرج محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام من عند نسائه و على رأسه ذؤابة و هو غلام فلمّا بصر به جابر ارتعدت فرائصه ، وقامت كلّ شعرة على بدنه ، و نظر إليه مليّاً ، ثمّ قال له : يا غلام أقبل فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر فأدبر ، فقال جابر : شمائل رسول الله وربّ الكعبة ، ثمّ قام فدنا منه ، و قال له : ما اسمك يا غلام ؟ فقال : محمّد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عليّ بن الحسين ، قال : يا بنيّ فدتك نفسي فأنت إذن الباقر ؟ قال : نعم ، قال عليه السلام : فأبلغني ما حمّلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال جابر : يا مولاي إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشّرني بالبقاء إلى أن ألقاك ، و قال لي : إذا لقيته فأقرئه منّي السلام ، فرسول الله يا مولاي يقرء عليك السلام ، فقال أبو جعفر عليه السلام : يا جابر على رسول الله السلام ما قامت السماوات و الأرض ، و عليك يا جابر كما بلّغت السلام ، فكان جابر بعد ذلك يختلف إليه و يتعلّم منه فسأله محمّد بن عليّ عليهما السلام عن شيء ، فقال له جابر : و الله ما دخلت في نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أخبرني أنّكم الأئمّة الهداة من أهل بيته من بعده ، أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً ، و قال : لا تعلّموهم فهم أعلم منكم ، فقال أبو جعفر عليه السلام : صدق جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الله إنّي لأعلم منك بما سألتك عنه و لقد اُوتيت الحكم صبيّاً ، كلّ ذلك بفضل الله علينا و رحمته لنا أهل البيت ».

و الأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى و قد أوردنا نبذاً منها في كتابنا المسمّى بعلم اليقين .

قيل : وجد بخطّ مولانا أبي محمّد العسكريّ عليه السلام ما صورته « قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوّة و الولاية ، ونوّرنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية ، فنحن ليوث

الوغى ، و غيوث الندى ، و طعناء العدى ، و فينا السيف و القلم في العاجل ، ولواء الحمد و العلم في الآجل ، و أسباطنا حلفاء الدين و خلفاء النبيّين ، و مصابيح الأمم ، و مفاتيح الكرم ، فالكليم لبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة ، و شيعتنا الفئة الناجية ، و الفرقة الزاكية . صاروا لنا ردءاً ، و صوناً و على الظلمة إلباً و عوناً [١] ، و ستنفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام الم وطه والطواسين ، وهذا الكتاب ذرّة من جبل الرحمة ، و قطرة من بحر الحكمة ، و كتب الحسن بن عليّ العسكريّ في سنة أربع وخمسين و مائتين » .

و وجد أيضاً بخطّ يده عليه السلام « أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب ، و نسوا الله ربّ الأرباب ، و النبيّ و ساقي الكوثر في مواقف الحساب ، و لظى الطامّة الكبرى ، و نعيم دار الثواب ، فنحن السنام الأعظم ، و فينا النبوّة و الولاية و الكرم ، و نحن منار الهدى ، و العروة الوثقى ، و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا ، و يقتفون آثارنا ، و سيظهر حجّة الله على الخلق ، و السيف المسلول لإظهار الحقّ ، و هذا خطّ الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن علي أمير المؤمنين » عليهم السلام .

قوله عليه السلام : « و شيعتنا الفرقة الناجية » إشارة إلى ما رواه الخاصّة و العامّة بطرق شتّى وألفاظ مختلفة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : «ستفترق اُمّتي على نيّف وسبعين فرقة ، فالناجية منها واحدة » [٢].

و في رواية « أنّه قال : « افترقت اُمّة موسى على إحدى و سبعين فرقة ، كلّها في النّار إلّا واحدة و هي الّتي اتبعت وصيّه يوشع ، و افترقت اُمّة عيسى على اثنتين و سبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة و هي الّتي اتّبعت وصيّه شمعون ، و ستفترق اُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة وهي الّتي تتّبع وصيّي علياً» .

و في رواية هكذا «ستفترق اُمّتي ثلاثاً وسبعين فرقة ، كلّها في النّار إلّا واحدة ،

(١) الالب - بكسر الهمزة - القوم تجمعهم عداوة واحد يقال : «هو على الب واحد» .
(٢) راجع سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٩٩١ و٣٩٩٢ و٣٩٩٣. والخصال للصدوق ص١٤١ ابواب الثلاث والسبعين .

قيل : و من هم ؟ قال : الّذين هم على ما أنا عليه و أصحابي » أراد صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه أهل بيته عليهم السلام .

يدلّ على ذلك ما رواه محمّد بن الحسن الصفّار ـ رحمه الله ـ في كتاب بصائر الدرجات (١) بإسناده « عن مولينا الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما وجدتم في كتاب الله عزّ و جلّ فالعمل به لازم لاعذر لكم في تركه ، و ما لم يكن في كتاب الله و كانت فيه سنّة منّي لا عذر لكم في ترك سنّتي ، و ما لم يكن فيه سنّة منّي فماقال أصحابي فخذوه ، فإنّما مثل أصحابي فيكم كمثل النّجوم ، بأيّها اُخذ اهتدى فبأيّ أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم ، و اختلاف أصحابي لكم رحمة ، قيل : يا رسول الله من أصحابك ؟ قال : أهل بيتي » .

و أيضاً فإنّ أهل بيته صلوات الله عليهم كانوا على منهاجه صلى الله عليه وآله وسلم و طريقته دون سائر الصحابة ، إلّا قليلاً منهم كما يظهر من التتبّع لأحوالهم و سيرهم ، و سنذكر نبذاً من ذلك في كتاب آداب الشيعة وأخلاق الإمامة من ربع العادات إن شاء الله تعالى .

و قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « و اختلاف أصحابي لكم رحمة » يعني به اختلافهم عليهم السلام في أجوبة أسولة الناس على حسب درجاتهم و مراتبهم و اختلاف عقولهم و تفاوت أفهامهم ، فإنّهم عليهم السلام كانوا مكلّفين أن يكلّموا الناس على قدر عقولهم ، و هذا رحمة من الله سبحانه لعباده (٢) ، وليس المراد اختلافهم عليهم السلام فيما بين أنفسهم فإنّ أقوالهم و أفعالهم جميعاً واحدة ، فقد ظهر أنّ الفرقة الناجية من هذه الاُمّة ليست إلّا من تمسّك بحبل القرآن و سفينة أهل البيت عليهم السلام و تابعهم و شايعهم و والاهم و سلك طريقتهم في العلم والعمل ، و أخذ اعتقاداته الدينيّة ، و أعماله الشرعيّة منهم عليهم السلام لأنّ الحقّ معهم و فيهم وأهل البيت أدرى بما في البيت ، و أمّا ما ورد في اختلاف الاُمّة فله معنى آخر كما يدلّ

---

(١) الجزء الاول الباب السادس .

(٢) لعل المراد بالاختلاف الاياب والذهاب كما فى قوله تعالى « ان فى اختلاف الليل والنهار » أى فى مجيىء كل واحدمنهما خلف الاخر وفى الزيارة الجامعة «ومختلف الملائكة » أى موضع نزولهم وترددهم وايابهم وذهابهم وهذاما يقال له بالفارسية (آمد و شد ، رفت وآمد) كمافى الخبر الذى يأتى عن الاحتجاج .

عليه ما رواه الشيخ الطبرسي - رحمه الله - في كتابه الاحتجاج [(١)] «عن عبد المؤمن الأنصاريّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً رووا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اختلاف اُمّتي رحمة» فقال: صدقوا، قلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: ليس حيث تذهب و ذهبوا، إنّما أراد قول الله عزّ و جلّ: «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون» أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه و يتعلّموا ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم إنّما أراد اختلافهم في البلدان، لا اختلافاً في الدّين إنّما الدين واحد».

قال مولانا الصادق عليه السلام: «كلُّ علم لايخرج من هذا البيت فهو باطل، و أشار بيده إلى بيته، و قال عليه السلام لبعض أصحابه: إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت فإنّا رويناه و اوتينا شرح الحكمة و فصل الخطاب، إنّ الله اصطفانا و آتانا مالم يؤت أحداً من العالمين» [(٢)].

و قال عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، و جعل لكلّ شرح مفتاحاً، و جعل لكلّ مفتاح علماً، و جعل لكلّ علم باباً ناطقاً من عرفه عرف الله، و من أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله و نحن» [(٣)].

و قال عليه السلام: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء و ذلك أنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولادرهماً، و إنّما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» [(٤)].

«و قال رجل من أهل البصرة لمولينا الباقر عليه السلام: إنّ الحسن البصريّ يزعم أنّ

---

(١) ص ١٩٤ من طبع النجف و ص ١٨٦ من طبع طهران و رواه أيضاً الصدوق في معاني الاخبار ص ١٥٧.

(٢) مروى في البصائر عن أبي جعفر عليه السلام راجع الباب الثامن عشر من الجزء العاشر.

(٣) بصائر الدرجات الجزء الاول الباب الثالث.

(٤) البصائر الجزء الاول الباب السادس.

الّذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النّار ، فقال عليه السلام : فهلك إذاً مؤمن آل فرعون ، و ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام فليذهب الحسن يميناً و شمالاً فوالله لايوجد العلم إلّا ههنا » .

كلٌّ ذلك مرويٌّ في بصائر الدّرجات بأسانيد متعدّدة [1] ، و الأخبار في هذه المعاني كثيرة .

فصل

قال صاحب كشف الغمّة عليّ بن عيسى الإربلي [2] : إنّ الله سبحانه و له الحمد لمّا هداني إلى الصراط المستقيم ، و سلك بي سبيل المنهج القويم ، و جعل هواي في آل نبيّه ، لمّا اختلفت الأهواء ، و رأيي فيهم حين اضطربت الآراء و ولائي لهم إذ تشعّب الولاء ، و دعائي بهم إذ تفرّق الدعاء ، تلقّيت نعمته تعالى بشكر دائم الأمداد ، و حمد متّصل اتّصال الآباد ، واتّخذت هديهم شريعة و منهاجاً ، ومذهبهم سلّماً إلى نيل المطالب و معراجاً ، و حبّهم علاجاً لداء هفواتي إذا اختار كلُّ قوم علاجاً ، و صرّحت بموالاتهم إذا ورّى غيري أوداجي ، فهم عليهم السلام عدّتي وعتادي ، وذخيرتي الباقية في معادي ، وأُنسي إذا أسلمني طبيبي ، و انقضى تردُّد عوّادي ، وهداتي إذا جارالدليل و حار الهادي ، أحد السببين اللّذين من اعتلق بهمافقد فازت قداحه ، وثاني الثقلين اللّذين من تمسّك بهماأسفر عن حمد السرى صباحه [3] ، محبّتهم عصمة في الأُولى و العقبى ، و مودّتهم واجبة بدليل « قل لاأسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى » من أطاعهم فقد أطاع الله و راقبه ، و من عصاهم فقد جاهره بالعناد و حاربه ، و نصب نفسه دريئة [4] لعقابه و عذابه ، حين ناصبه

---

(١) راجع ص ٣ و ٤ و ص ١٣٤ و ١٣٦ من البصائر .

(٢) في مقدمة كتابه .

(٣) مر معناه في ص٥٠ .

(٤) الدريئة : ما يستتر به الصائد ليخدع الصيد .

جبال العلوم الراسخة ، و قلل الفخار الشامخة ، و غرر الشرف الباذخة [1] ، إذا انتسبوا عدّوا المصطفى و المرتضى ، و إذا فخروا على الأملاك انقادت وأعطت الرضى ، و إن جادوا بخّلوا السحاب الماطر ، و أخجلوا العباب الزاخر ، و إن شجعوا أرضوا الأسمر الذابل ، و الأبيض الناضر ، و إن قالوا نطقوا بالصواب وأتوا بالحكمة وفصل الخطاب ، و عرّفوا كيف تؤتى البيوت من الأبواب و طبّقوا المفصل في الابتداء و الجواب ، و ما عسى أن تبلغ المدائح و إلى أين تنتهي الأفكار والقرائح ، و كيف تنال الصفات قدرقوم أثنى عليهم القرآن و مدحهم الرحمن ، فهم خيرته من العباد ، وصفوته من الحاضر والباد ، بهم تقبل الأعمال ، وتصلح الأحوال ، وتحصل السعادة والكمال .

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً * تمسّك في أخراه بالسّبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مآثراً * محاسنها تجلى و آياتها تروى
بهم عرف الناس الهدى فهداهم * يضلّ الّذي يقلي ويهدي الّذي يهوى
موالاتهم فرض و حبّهم هدى * و طاعتهم قربى و ودّهم تقوى

« انتهى كلامه » و نعم ما قيل :

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً * يقيك غداً حرّ الجحيم عن النّار
فخلّ حديث الشافعيّ و مالك * و أحمد والنعمان عن كعب أحبار
و وال أناسا قولهم وحديثهم * روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

و قد أتى أئمّتنا عليهم السلام من علوم الدين و تفسير الكتاب و السنّة و معالم الحلال و الحرام بأمر كثير ، و من إزاحة الشبه و إزالة البدع بجمّ غفير ، كلّ ذلك ببيان و برهان ، و حجّة يبلغ إليها أفهامنا ، و يقبلها عقولنا بحيث لا نشكّ فيها ولا نستريب ، و قد ضبط أصحابنا - شكر الله سعيهم - أحاديثهم عليهم السلام و نقلوها رجلاً عن رجل إلى أن وصلت إلينا فالحمد لله الّذي أوضح بهم عن دينه و أبلج بهم عن سبيل مناهجه ، و فتح بهم عن باطن ينابيع علمه وجعلهم مسالك لمعرفته ، و معالم لدينه ، و حجاباً بينه و بين خلقه ، و الباب المؤدّي إلى معرفة حقّه ، أطلعهم على المكنون من غيب سرّه ، كلّما مضى منهم

(۱) الباذخ : الفاخر ، العظيم ، المرتفع . وفى بعض النسخ [الشادخة] وهى غرة الفرس اذا انتشرت من الناصية الى الانف فالفرس أشدخ و لعلها انسب .

إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً بيّناً و هادياً نيّراً و إماماً قيّماً يهدون بالحقّ و به يعدلون ، حجج الله و دعاته و رعاته على خلقه ، يدين بهداهم العباد و يستهلّ بنورهم البلاد [1] ، جعلهم الله حياة للأنام ، و مصابيح للظلام ، و مفاتيح للكلام و دعائم للاسلام ، و جعل نظام طاعته و تمام فرضه التسليم لهم فيما علم ، و الردّ إليهم فيما جهل ، وحظر على غيرهم التهجّم على القول بما يجهلون و منعهم جحد ما لايعلمون لما أراد تبارك وتعالى استنقاذ من شاء من خلقه من ملمّات الظلم ، ومغشيّات البهم كلّ ذلك من فضل الله علينا و على الناس ولكنّ أكثر الناس لايشكرون .

﴿ فصل ﴾

كلّ ما ليس له بيان في كتاب الله عزّ وجلّ ولا في سنّة رسوله صلى الله عليه وآله ولا في كلام أهل بيته - صلوات الله عليهم - من أمر الدّين فينبغي السكوت عنه ، و عدم الخوض فيه ، و ردّ علمه إلى الله و رسوله و اُولي الأمر من أهل بيته عليهم السلام فإنّ من حقّ الله سبحانه على العباد أن يقولوا مايعلمون ويقفوا عند ما لايعلمون كذا قال مولانا الباقر عليه السلام [2] .

و قال مولانا الصادق عليه السلام : « إيّاك أن تفتي النّاس برأيك أوتدين بمالا تعلم ففيها هلك من هلك » [3].

و في وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام : « ودع القول فيما لاتعرف والخطاب فيما لم تكلّف ، و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإنّ الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال » .

و فيها أيضاً « و اعلم يا بنيّ إنّ أحبّ ما أنت آخذ به إليّ من وصيّتي تقوى الله و الاقتصار على ما فرض الله عليك ، و الأخذ بما مضى عليه الأوّلون من آبائك ،

---

(١) أى يتنور بنورهم .

(٢) الكافى ج ١ ص ٤٣ .

(٣) الكافى ج١ ص ٤٢ بتقديم وتأخير.

و الصالحون من أهل بيتك ، فإنّهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكّروا كما أنت مفكّر ، ثمّ ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عمّا لم يكلّفوا فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم و تعلّم لا بتورّط الشبهات و علوّ الخصومات ، و ابدء قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك ، و الرغبة إليه في توفيقك ، وترك كلّ شائبة أولجتك في شبهة(١) ، أو أسلمتك إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفى قلبك فخشع و تمّ رأيك و اجتمع و كان همّك في ذلك همّاً واحداً فانظر فيما فسّرت لك . و إن لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك و فراغ نظرك و فكرك فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء ، و تتورّط الظلماء (٢) ، و ليس طالب الدين من خبط و خلط ، و الإمساك عن ذلك أمثل .

فتفهّم يا بنيّ وصيّتي و اعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة ، و أنّ الخالق هو المميت ، وأنّ المفني هو المعيد ، وأنّ المبتلي هو المعافي ، و أنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعله الله عليه من النعماء ، و الابتلاء ، و الجزاء في المعاد ، وما شاء ممّا لا نعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنّك أوّل ما خلقت كنت جاهلاً ثمّ علمت ، و ما أكثر ما تجهل من الأمر و يتحيّر فيه رأيك ، و يضلّ فيه بصرك ، ثمّ تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالّذي خلقك و رزقك وسوّاك ، وليكن له تعبّدك و إليه رغبتك و منه شفقتك .

و اعلم يا بنيّ أنّ أحداً لم ينبىء عن الله تعالى كما أنبأ عنه نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم فارض به رائداً (٣) ، و إلى النجاة قائداً ، فإنّي لم آلك نصيحة ، و إنّك لم تبلغ في النظر لنفسك و إن اجتهدت مبلغ نظري لك - الحديث » (٤) .

و لنقتصر في هذا الباب على ما ذكر ، و الله الموفّق .

---

(١) الشائبة هي مايشوب الامر من شك وحيرة . والايلاج : الادخال .

(٢) العشواء : الضعيفة البصر ونصب على المصدر أى تخبط خبط العشواء فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه . وتورط الرجل فى الامر : دخل فيه على صعوبة ليس له التخلص منه .

(٣) الرائد من ترسله فى طلب الكلاء ليتعرف موقعه .

(٤) نهج البلاغة ابواب الكتب تحت رقم ٣١ .

﴿الباب الثانى﴾

(فى التوحيد)

اعلم أنّ في الآفاق و الأنفس و ما خلق الله من شيء لآيات مبيّنات، و دلائل واضحات على وجوده سبحانه و وحدانيّته و الهيّته و سائر صفاته من وجوه مختلفة وطرق شتّى، و قد وقعت الاشارة إلى نبذ منها في القرآن المجيد للتنبيه و الإرشاد، و أولى ما يستضاء به من الأنوار، و يسلك من طريق الاعتبار هو ما أُرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان، قال الله عزّ و جلّ حكاية عن الرسل صلوات الله عليهم: «أفي الله شكّ فاطر السماوات والأرض» (١).

و قال عزّ وجلّ: «إنّ في خلق السماوات و الأرض و اختلاف اللّيل و النّهار و الفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بثّ فيها من كلّ دابّة و تصريف الرياح و السحاب المسخّر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون» (٢).

و قال الله سبحانه: «إنّ الله فالق الحبّ و النوى يخرج الحيّ من الميّت ومخرج الميّت من الحيّ ذلكم الله فأنّى تؤفكون * فالق الإصباح و جعل اللّيل سكناً و الشمس و القمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم * و هو الّذي جعل لكم النجوم لتهتدوابها في ظلمات البرّ و البحر قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون * و هو الّذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ و مستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون * و هو الّذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كلّ شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّاً متراكباً و من النخل من طلعها قنوان دانية و جنّات من أعناب والزيتون و الرمّان مشتبهاً وغير

(١) ابراهيم: ١٠.

(٢) البقرة: ١٦٤.

متشابه اُنظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (١) .

و قال عزّ و جلّ : « هو الّذي جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون* إنّ في اختلاف اللّيل و النهار و ما خلق الله في السماوات و الأرض لآيات لقوم يتّقون » (٢) .

و قال جلّ جلاله : « و هو الّذي مدّ الأرض و جعل فيها رواسي و أنهاراً و من كلّ الثمرات ... إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» (٣) « و في الأرض قطع متجاورات و جنّات من أعناب و زرعٌ و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض في الاُكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٤) .

و قال عزّ اسمه : « و إنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين * و من ثمرات النخيل و الأعناب تتّخذون منه سكراً و رزقاً حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون * و أوحى ربّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و ممّا يعرشون * ثمّ كلي من كلّ الثمرات فاسلكي سبل ربّك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للنّاس إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون » (٥) .

و قال جلّ ثناؤه : « ألم يروا إلى الطير مسخّرات في جوّ السماء ما يمسكهنّ إلّا الله إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (٦) .

و قال جلّ ذكره : « و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشرٌ تنتشرون * و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّةً ورحمةً

---

(١) الانعام : ٩٥ الى ٩٩ . (٢) يونس : ٥ و ٦ .

(٣) الرعد : ٣ ، وتمام الاية : « وهو الذى مدالارض وجعل فيها رواسى وانهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » .

(٤) الرعد : ٤ . (٥) النحل : ٦٦ الى ٦٩ .

(٦) النحل : ٧٩ .

إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون * و من آياته خلق السموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين * و من آياته منامكم باللّيل والنّهار و ابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون * و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » (١).

و قال عزّ وجلّ : « و الله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثمّ يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً » (٢).

و قال سبحانه : « أفرأيتم ما تمنون * أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * - إلى قوله - نحن جعلناها تذكرة و متاعاً للمقوين » (٣).

و قال تعالى شأنه : « ألم نجعل الأرض مهاداً * و الجبال أوتاداً * و خلقناكم أزواجاً * و جعلنا نومكم سباتاً * و جعلنا اللّيل لباساً * و جعلنا النهار معاشاً * و بنينا فوقكم سبعاً شداداً * و جعلنا سراجاً وهّاجاً * و أنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً * لنخرج به حبّاً و نباتاً * و جنّات ألفافاً » (٤).

إلى غير ذلك من التنبيهات لأولي الألباب وهي أكثر من أن تحصى ، و لايخفى على من له أدنى مسكة إذا تأمّل في مضمون هذه الآيات ، و أدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسماوات ، علم أنّ هذا الأمر العجيب و الترتيب المحكم لايستغني عن صانع يدبّره و فاعل يحكمه .

فصل

سُئِل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام « بما ذا عرفت ربّك ؟ قال : عليه السلام بفسخ العزائم و نقض الهمم لمّا هممت فحيل بيني و بين همّي ، و عزمت فخالف القضاء و القدر عزمي

(١) الروم : ٢٠ الى ٢٥ . (٢) نوح : ١٧ و ١٨ .
(٣) الواقعة : ٥٨ و ٥٩ و ٧٣ . (٤) النبأ : ٦ الى ١٦ .

علمت أنّ المدبّر غيري(١) ، و مثله عن مولينا الصادق عليه السلام(٢) .

و سئل مولانا الرضا عليه السلام « ما الدليل على حدث العالم ؟ قال : إنّك لم تكن ثمّ كنت ، و قد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك »(٣) .

و سئل عارف بم عرفت ربّك ؟ فقال : بواردات ترد على القلوب فتعجز النفس عن تكذيبها .

و سئل أعرابيٌّ عن مثل ذلك فقال : البعرة تدلّ على البعير ، و أثر الأقدام تدلّ على المسير ، فالسماء ذات أبراج ، و الأرض ذات فجاج ، أما تدلّان على الصانع اللّطيف الخبير ؟ .

وقال السيّد الجليل عليٌّ بن موسى بن طاووس - رحمه الله - في وصاياه لابنه : إنّني وجدت كثيراً ممّن رأيته و سمعت به من علماء الإسلام قد ضيّقوا على الأنام ما كان سهّله الله جلّ جلاله و رسوله صلّى الله عليه وآله من معرفة مولاهم و مالك دنياهم و اُخراهم ، فإنّك تجد كتب الله - جلّ جلاله - السالفة والقرآن الشريف مملوّاً من التنبيهات على الدلالات على معرفة محدث الحادثات و مغيّر المتغيّرات و مقلّب الأوقات ؛ و ترى علوم سيّدنا خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله و علوم من سلف من الأنبياء - صلوات الله عليهم - على سبيل كتب الله جلّ جلاله المنزلة عليهم في التنبيه اللّطيف و التشريف بالتكليف ؛ و مضى على ذلك الصدر الأوّل من علماء المسلمين إلى أواخر أيّام من كان ظاهراً من الأئمّة المعصومين عليهم السلام فإنّك تجد من نفسك بغير إشكال أنّك لم تخلق جسدك و لاروحك و لاحياتك ولاعقلك ولا ما خرج من اختيارك من الآمال و الأحوال و الآجال ، ولاخلق ذلك أبوك ولااُمّك ولامن تقلّبت بينهم من الآباء و الاُمّهات لأنّك تعلم يقيناً أنّهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات ، و لو كان لهم قدرة على تلك المهمّات ما كان قد حيل بينهم و بين المرادات ، و صاروا من الأموات ، فلم يبق مندوحة أبداً عن واحد منزّه عن إمكان المتجدّدات خلق

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في التوحيد ص ٢٩٨ .
(٢) التوحيد ص ٢٩٩ .
(٣) التوحيد ص ٣٠٤ .

هذه الموجودات و إنّما يحتاج أن يعلم ما هو عليه جلّ جلاله من الصفات ، و لأجل شهادة العقول الصريحة و الأفهام الصحيحة بالتصديق بالصانع أطبقوا جميعاً على فاطر و خالق ، و إنّما اختلفوا في ماهيّته و حقيقة ذاته و في صفاته بحسب اختلاف الطرائق .

قال : و إنّي وجدت قدجعل الله جلّ جلاله في جملتي حكماً أدركته عقول العقلاء ، فجعلني من جواهر و أعراض ، وعقل روحانيّ ، ونفس و روح ، فلو سألت بلسان الحال الجواهر الّتي في صورتي هل كان لها نصيب في خلقي و فطرتي لوجدتها تشهد بالعجز و الافتقار و أنّها لو كانت قادرة على هذا المقدار ما اختلفت عليها الحادثات و التغيّرات و التقلّبات ، و وجدتها معترفة أنّها ماكان لها حديث في تلك التدبيرات ، و أنّها ما تعلم كيفيّة ما فيها من التركيبات و لا عدد و لا وزن ما جمع فيها من المفردات ، و لو سألت بلسان الحال الأعراض لقالت : أنا أضعف من الجواهر لأنّني فرع عليها فأنا أفقر منها لحاجتي إليها ، ولو سألت بلسان الحال عقلي وروحي و نفسي لقالوا جميعاً : أنت تعلم أنّ الضعف يدخل على بعضنا بالنسيان و بعضنا بالموت و بعضنا بالذلّ و الهوان ، و أنّنا تحت حكم غيرنا ممّن يقلّبنا كما يريد من نقص إلى تمام ومن تمام إلى نقصان ، ويقلّبنا كما يشاء مع تقلّبات الأزمان ، فإذا رأيت تحقيق هذا من لسان الحال و عرفت تساوي الجواهر و الأعراض ، و تساوي معنى العقول و الأرواح و النفوس في سائر الموجودات و الأشكال تحقّقت أنّ لنا جميعاً فاطراً و خالقاً منزّهاً عن عجزنا و افتقارنا و تغيّراتنا و انتقالاتنا و تقلّباتنا ، و لو دخل عليه نقصان في كمال أو زوال كان محتاجاً و مفتقراً مثلنا إلى غيره بغير إشكال ، و قد تضمّن ـ كما ذكرت لك ـ كتاب الله جلّ جلاله و كتبه الّتي وصلت إلينا و كلام رسول الله ربّ العالمين و كلام أبيك أمير المؤمنين و كلام عترتهما الطاهرين عليهم السلام من التنبيه على دلائل معرفة الله جلّ جلاله بما في بعضها كفاية لذوي الألباب و هداية إلى أبواب الصواب ، فانظر في كتاب نهج البلاغة و ما فيه من الأسرار و انظر كتاب المفضّل بن عمر الّذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق الله جلّ جلاله من الآثار ، و انظر كتاب الإهليلجة وما فيه من الاعتبار .

﴿ فصل ﴾

و ربّما يقال : إنّ التصديق بوجوده تعالى أمر فطريّ ولذا ترى الناس عندالوقوع في الأهوال و صعاب الأحوال يتوكّلون بحسب الجبلّة على الله و يتوجّهون توجّهاً غريزيّاً إلى مسبّب الأسباب و مسهّل الأمور الصعاب ، وإن لم يتفطّنوا لذلك ويشهد لهذا قول الله عزّ وجلّ : « و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله »[١] « قل أرأيتكم إن أتيكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون »[٢].

وفي تفسير مولانا العسكريّ عليه السلام « أنّه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله فقال للسائل : ياعبدالله هل ركبت سفينةقطّ ؟ قال : بلى ، قال : فهل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك و لاسباحة تغنيك ؟ قال : بلى ، قال : فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطك ؟ قال : بلى ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لامنجي و على الإغاثة حين لامغيث »[٣].

قيل : و في قوله سبحانه : « ألست بربّكم »[٤] إشارة لطيفة إلى ذلك فإنّه سبحانه استفهم منهم الإقرار بربوبيّته لابوجوده تنبيهاً على أنّهم كانوا مقرّين بوجوده في بداية عقولهم و فطرة نفوسهم ، و لهذا أيضاً بعث الأنبياء كلّهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا : لا إله إلّا الله و ما أمروا أن يقولوا : لنا إله ، فإنّ ذلك كانت مجبولة في فطرة عقولهم و مبدء نشوءهم .

و روى الشيخ الصدوق - رحمه الله - بإسناده الصحيح « عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : «حنفاء لله غيرمشركين به»[٥] و عن الحنيفيّة ،

---

(١) لقمان : ٢٥ .

(٢) الانعام : ٤٠ و ٤١ .

(٣) ورواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في المعاني ص٤ .

(٤) الاعراف : ١٧٢ .

(٥) الحج : ٣١ . والخبر في التوحيد ص٣٤٣ . وصدره في المحاسن ص ٢٤١ .

فقال : هي الفطرة الّتي فطر الله الناس عليها « لا تبديل لخلق الله »؟ قال : فطرهم الله على المعرفة ، قال زرارة : و سألته عن قول الله عزّ وجلّ : « و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم - الآية -»[1] قال : أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ ، فعرفهم و أراهم صنعه ، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه ؛ و قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : كلّ مولود يولد على الفطرة ، يعني على المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه ، فذلك قوله : «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله» .

و في روايات اُخر بأسانيد مستفيضة « الفطرة هي التوحيد»[2] .

و بإسناده عن ابن عمر « قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأربعة أشهر الصّلاة على النبيّ وآله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأربعة أشهر الدعاء لوالديه»[3] . و في الكافي ما يقرب منه .

أقول : و لعلّ السرّ في ذلك أنّ الطفل أربعة أشهر لايعرف سوى الله عزّ و جلّ الّذي فطر على معرفته و توحيده فبكاؤه توسّل إليه و التجاء به سبحانه خاصّة دون غيره فهو شهادة له بالتوحيد ، و أربعة أشهرا اُخرى يعرف اُمّه من حيث أنّها وسيلة لاغتذائه فقطّ لامن حيث أنّها اُمّه ، و لهذا يأخذ اللّبن من غيرها أيضاً في هذه المدّة غالباًفلايعرف فيها بعد الله إلّا من هو وسيلة بين الله وبينه في ارتزاقه الّذي هو مكلّف به تكليفاً طبيعيّاً من حيث كونها وسيلة لاغير ، و هذا معنى الرسالة ، فبكاؤه في هذه المدّة بالحقيقة شهادة بالرسالة ، و أربعة أشهراُخرى يعرف أبويه و كونه محتاجاً إليهما في الرزق فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء في الحقيقة فافهم .

و في الحديث المشهور « كلّ مولود يولد على الفطرة و أبواه يهوّدانه وينصّرانه

(١) الاعراف : ١٧٢ .

(٢) راجع كتاب التوحيد للصدوق - رحمه‌الله - ص ٣٤١ باب فطرة الله عزوجل الخلق على التوحيد .

(٣) في التوحيد ص ٣٤٣ . ونحوه في الكافي ج٦ ص ٥٣ .

و يمجّسانه »[١] .

و سئل بعض أهل المعرفة و التوحيد عن الدليل على إثبات الصانع فقال : لقد أغنى الصباح عن المصباح .

و سيأتي كلام في هذا الباب لأبي حامد في كتاب المحبّة و الأنس من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى .

﴿ فصل ﴾

و هو الله سبحانه واحد لا شريك له إذ «لو كان معه إلهٌ لذهب كلٌّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون » كذا قال الله عزّ وجلّ[٢] يعني لو تعدّد لتميّز صنع بعضهم عن بعض فيستبدّ كلّ بملكه ، ووقع بينهما التحارب و التغالب كما هو حال ملوك الدنيا .

وسئل مولانا الصادق عليه السلام « ما الدليل على أنّ الله واحد ؟ قال : اتّصال التدبير وتمام الصنع كما قال عزّ وجلّ : «لوكان فيهما آلهة إلّاالله لفسدتا »[٣] أراد عليه السلام بذلك أنّه لو تعدّد لم يرتبط الموجودات بعضها ببعض بل اختلّ النظام و فسدت السماوات والأرضون .

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصاياه لابنه الحسن : « و اعلم يا بنيّ أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله و لرأيت آثار ملكه وسلطانه و لعرفت أفعاله و صفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضادّه في ملكه أحد ولا يزال أبداً»[٤] .

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى شعب الايمان و الطبرانى فى الكبير كما فى الجامع الصغير باب الكاف ، والصدوق صدره فى التوحيد ص٣٤١ .

(٢) أشارة الى آية ٩١ من سورة المؤمنون .

(٣) الانبياء : ٢٢ . والخبر فى التوحيد ص ٢٥٤ .

(٤) نهج البلاغة كتاب ٣١ .

وروى الصدوق[1] بإسناده عن شريح بن هاني «قال: إنّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه و قالوا: يا أعرابيّ أما ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسيم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإنّ الّذي يريده الاعرابيّ هو الّذي نريده من القوم، ثمّ قال: يا أعرابيّ إنّ القول في أنّ الله واحدٌ على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، و وجهان يثبتان فيه، فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل: «واحد» يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأنّ مالا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة. و قول القائل: «هو واحد من الناس» يريد به النوع من الجنس فهذا مالا يجوز عليه لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك. وأمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل: «هو واحد ليس له في الأشياء شبه» كذلك ربّنا. وقول القائل: «إنّه ربّنا عزّ وجلّ أحديّ المعنى» يعني به أنّه لاينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّ وجلّ».

قوله عليه السلام: «ليس له في الأشياء شبه» قدمر ما يدلّ عليه وسيأتي أيضاً ما يؤكّده، و أمّا قوله عليه السلام: «إنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم» فالدليل عليه أنّه لو انقسم لكان محتاجاً فإنّ كلّ ذي جزء فإنّما هو بجزئه يتقوّم و بتحقّقه يتحقّق وإليه يفتقر وهو الله عزّ وجلّ غنيٌّ عن العالمين، و أيضاً لو كان ذا جزء لكان جزؤه متقدّماً عليه و أوّلاً له فيكون الجزء أولى بأن يكون إلهاً منه تعالى عن ذلك.

﴿فصل﴾

وهو الله عزّ وجلّ فردٌ لا ندّ له ولا نظير، صمدٌ لا شبه له ولا وزير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لأنّ المساواة في الرتبة نقصان في الكمال، والاستعانة بالغير مع استلزامها العجز معرضة للزوال و بهذا يتبيّن أنّ له سبحانه سائر صفات الكمال

(١) في التوحيد ص ٦٦.

من دون استفادة ولا آلة و كلال، لأنّ النقص والعجز والفاقة لا يليق بالربّ المتعال، فهو جلّ اسمه، سميعٌ بغير أصمخة وآذان، بصيرٌ لا بحدقة وأجفان كما أنّه سبحانه يفعل بغير جارحة، و يتكلّم بغير لسان، كيف لا يكون سميعاً بصيراً؟ والسمع والبصر كمال، فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أشرف و أتمّ من الصانع؟ و كيف يعتدل القسمة مهما وقع النقص في جنبه والكمال في خلقه و صنعته؟ أو كيف يستقيم حجّة إبراهيم عليه السلام على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلاً وعيّاً فقال له: «لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر و لا يغني عنك شيئاً»(١) ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لأصبحت حجّته داحضة، ودلالته ساقطة، ولم يصدق قوله تعالى: «وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه»(٢) تعالى ربّنا وتقدّس، بل لا يحجب سمعه بُعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، لا يعزب عن علمه مسموع و إن خفي، ولا مبصر و إن دقّ، فيسمع السرّ والنجوى، و يشاهد ما تحت الثرى؛ و يعلم حركة الذرّ في جوّ الهواء، و دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في اللّيلة الظلماء، بل ما هو أدقّ من ذلك و أخفى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها وما ينزّل من السماء و ما يعرج فيها، و يعلم ما في البرّ والبحر، و ما تسقط من ورقة إلّا يعلمها، وما تخرج من ثمرة من أكمامها و ما تحمل من اُنثى ولا تضع إلّا بعلمه، يعلم ما تحمل من اُنثى و ما تغيض الأرحام و ما تزداد و كلّ شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسرّ القول و من جهر به و من هو مستخف باللّيل وسارب بالنهار،(٣) يطّلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، لا يجري في الملك ولا في الملكوت شيءٌ إلّا عنده خبره، يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم، ألا يعلم من خلق وهو اللّطيف الخبير، أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم لأنّك لا تسترب في دلالة الخلق اللّطيف والصنع المزيّن بالترتيب ولو في الشيء الحقير اللّطيف على علم الصانع بكيفيّة الترتيب و الترصيف، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف.

(١) مريم: ٤٢. (٢) الانعام: ٨٣.
(٣) من قوله: «ولا يعزب عن علمه مثقال» الى هنا اقتباس من القرآن بتصرف ما.

فصل

وهو جلّ اسمه متكلّمٌ مع من يشاء بما يشاء كيف يشاء، فعّال لما يشاء كما يشاء، قديرٌ على ما يشاء كيف يشاء، مريدٌ للكائنات كما يشاء، مدبّرٌ للحادثات على ما يشاء، هو المبدء المعيد، والفعّال لما يريد، لا رادّ لحكمه، ولا معقّب لقضائه، ولا حول عن معصيته إلّا بتوفيقه، ولا قوّة على طاعته إلّا بمعونته و إرادته، و مايشاؤون إلّا أن يشاء الله، مع كلّ شيء لا بمقارنة، و غير كلّ شيء لا بمزايلة، ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم، ولا خمسة إلّا هوسادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هومعهم، وهو معكم أينما كنتم.

قال عزّ و جلّ: « و إذا سئلك عبادي عنّي فإنّي قريب »[1] « و نحن أقرب إليه من حبل الوريد»[2] «ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط»[3] « فأينما تولّوا فثمّ وجه الله »[4].

و في الحديث « ولو أنّكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله » وليست معيّته بممازجة ولا مداخلة ولا حلول ولا اتّحاد و لا معيّة في درجة الوجود، و لا في الزمان، و لا في المكان، و لا في الإشارة، و لا ما يشبه هذه، تعالى الله عن ذلك كلّه علوّاً كبيراً.

روى الشيخ الصدوق[5] بإسناده الصحيح « عن مولينا الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: «الرّحمن على العرش استوى»[6] قال: استوى من كلّ شيء، فليس شيءٌ أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب، استوى من كلّ شيء». و في الكافي بإسناده مثله.

(١) البقرة: ١٨٦. (٢) ق: ١٦. (٣) فصلت: ٥٤.
(٤) البقرة: ١١٥.
(٥) فى كتاب التوحيد ص ٣٣١. والكلينى - رحمه الله - فى الكافى ج١ ص ١٢٨.
(٦) طه: ٥.

و فيه باسناده[1] «عن الهادي النقي عليه السلام قال: الأشياء كلّها له سواء علماً وقدرة و ملكاً و إحاطة».

و عن أمير المؤمنين عليه السلام «لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً، و يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»[2].

و قال عليه السلام: «علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، و علمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى»[3].

و عن الباقر عليه السلام «كان الله ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه»[4].

و عن الصادق عليه السلام «لم يزل الله جلّ وعزّ ربّنا و العلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر، و القدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، و السمع على المسموع، و البصر على المبصر، و القدرة على المقدور»[5].

وعن الرضا عليه السلام «له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه، و معنى العالم ولا معلوم، و معنى الخالق و لا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس

---

(١) الكافى ج١ ص ١٢٦ تحت رقم ٤ . ونظيره مروى عن أبىعبدالله عليه السلام فى التوحيد ص ١٢٢ .

(٢) نهج البلاغة صدر الخطبة الرابعة والستين .

(٣) نهج البلاغة قطعة من خطبة له عليه السلام تحت رقم ١٦١ .

(٤) رواه الكلينى فىالكافى ج١ ص ١٠٧ تحت رقم ٢ .

(٥) الكافى ج ١ ص ١٠٧ تحت رقم١ . والتوحيد ص١٢٩ وقوله «كان المعلوم» أى وجد . وقوله: «وقع العلم على المعلوم» أى وقع على ما كان معلوماً فى الازل وانطبق عليه وتحقق مصداقه، وليس المقصود تعلقه به تعلقا لم يكن قبل الايجاد، والمراد بوقوع العلم على المعلوم العلم به على انه حاضر موجود وقد كان قد تعلق العلم به قبل ذلك على وجه الغيبة وانه سيوجد والتغيير يرجع الى المعلوم لاالى العلم . (قاله العلامة المجلسى) .

منذ خلق استحقّ معنى الخالق ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة[(١)] كيف ولا تغيبه «مذ» ولا تدنيه «قد» ولا يحجبه «لعلّ» و لا يوقّته «متى» و لا يشمله «حين» ولا يقارنه «مع» ـ الحديث ـ»[(٢)].

فصل

«و هو الله سبحانه أحديّ المعنى، ليس بمعاني كثيرة مختلفة، يسمع بما يبصر، و يبصر بما يسمع» كذا عن الباقر عليه السلام[(٣)].

و قيل للصادق عليه السلام: «إنّ رجلاً ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إنّ الله تبارك و تعالى لم يزل سميعاً بسمع، و بصيراً ببصر، و عليماً بعلم، و قادراً بقدرة. فغضب عليه السلام ثمّ قال: من قال بذلك و دان به فهو مشرك و ليس من ولايتنا على شيء، إنّ الله تبارك و تعالى ذات علّامة سميعة بصيرة قادرة»[(٤)].

و عن الرضا عليه السلام «من قال ذلك و دان به فقد اتّخذ مع الله آلهة اُخرى وليس من ولايتنا على شيء، ثمّ قال عليه السلام: لم يزل الله عزّ و جلّ عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً لذاته، تعالى عمّا يقول المشركون و المشبّهون علوّاً كبيراً»[(٥)].

و عنه عليه السلام «أنّه سئل خلق الله تعالى الأشياء بقدرة أم بغير قدرة؟ فقال: لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنّك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة. فكأنّك قد جعلت

(١) في بعض النسخ من الحديث «معنى البرائية».

(٢) الخبر مروى في عيون أخبار الرضا عليه السلام ص٨٦ من طبع نجم الدولة و ص١٥٢ من الطبع الحروفي الحديث تحت رقم ٥١. وفي بعض النسخ «ولا تغيبه مذ» وفي بعضها «ولا يقاربه مع».

(٣) التوحيد: ص ١٣٤.

(٤) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في التوحيد ص ١٣٣.

(٥) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في العيون الباب الحادي عشر تحت رقم ١٠ و التوحيد ص ١٣٠.

القدرة شيئاً غيره و جعلتها آلة له بها خلق الأشياء وهذا شرك »[1].

و عن أمير المؤمنين عليه السلام « كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، و من قرنه فقد ثنّاه ، و من ثنّاه فقد جزّاه ، و من جزّاه فقد جهله ، و من أشار إليه فقد حدّه ، و من حدّه فقد عدّه ، و من قال : فيم فقد ضمّنه ، و من قال : على مَ فقد أخلى منه ـ الحديث ـ »[2].

و كلماته عليه السلام في نعته سبحانه وتنزيهه كثيرة و قد أوردنا طرفاً منها في كتاب علم اليقين .

فصل

و هو الله عزّ اسمه قديمٌ لم يزل ، وباق لايزال ، وحيٌّ لا يموت ، و قيّومٌ لا يفوته شيءٌ ، لا تأخذه سنةٌ و لانومٌ ، لم يلد و لم يولد ولم يكن كفواً أحدٌ ، لاتبلغه العقول و الأفكار ، ولا تدركه البصائر و الأبصار ، تنزّه ذاته عن الأمكنة و الجهات ، و تقدّس وجوده عن الأزمنة و الحركات ، و تعالى عن الاتّحاد والحلول ، و تبارك عن التغيّر و الأفول ، سرمديٌ ليس له مضادٌ . و حقٌّ بحت لا يتطرّق إليه بطلان ولافساد ، كذلك الله ربّنا إذ من كان بخلاف ذلك فهو إمّا ناقصٌ أو عاجزٌ أو محتاج ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله « إنّ الله لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيءٌ ، و كلٌّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه »[3].

و عن الباقر عليه السلام « هل سمّي عالماً و قادراً إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين و كلٌّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم ، مردودٌ

(١) العيون الباب السابق تحت رقم ٧ .
(٢) نهج البلاغة الخطبة الاولى.
(٣) رواه الصدوق فى التوحيد ص ٦٣ عن ابى عبدالله عليه السلام .

إليكم ، و الباري، تعالى واهب الحياة ، و مقدّر الموت ، و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله زبانيتين فإنّهما كمالها ، و تتصوّر أنّ عدمهما نقصان لمن لا يكونان له ، هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به فيما أحسب وإلى الله المفزع » .

﴿ الباب الثالث ﴾

(في العدل)

إنّ الله عزّ و جلّ لا يفعل القبيح لأنّه سبحانه تعالى عالمٌ بقبحه ، قادرٌ على تركه ، غير محتاج إلى فعله ، كيف و لو فعل القبيح لارتفع الوثوق بوعده و وعيده و أنبيائه و رسله ، تعالى و تقدّس عن ذلك « فما ربّك بظلاّم للعبيد » ، « ولا يرضى لعباده الكفر » ، « و لن يخلف الله وعده » ، و كلّ ما يفعله فإنّما يفعله لحكمة ومصلحة ، و إن كان جلّ اسمه غنيّاً عن العالمين ، و إذ لا يفعل الظلم و القبيح فما حجب علمه عن العباد فهو موضوعٌ عنهم فلا يحتجّ عليهم إلا بما آتاهم و عرّفهم كما قال عزّ و جلّ : « و ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً » [١] « لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرسل » [٢] فيقولوا : « لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك » [٣] « و ماكان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون » [٤] قال الصادق عليه السلام : « يعني حتّى يعرّفهم ما يرضيه و ما يسخطه ، وقال في قوله عزّ وجلّ : فألهمها فجورها و تقويها» [٥] : بيّن لها ما تأتي و ما تترك . و في قوله عزّ و جلّ : « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً » [٦] : عرّفناه إمّا آخذاً و إمّا تاركاً . « و هديناه النجدين » نجدي الخير والشرّ» [٧]

(١) الاسراء : ١٥ . (٢) النساء : ١٦٥ .
(٣) طه : ١٣٤ . (٤) التوبة : ١١٥ .
(٥) الشمس : ٨ . (٦) الدهر : ٣ .
(٧) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ١ ص ١٦٣ تحت رقم ٣ و ٤ و ٥ . وفي التوحيد للصدوق ص ٤٢٢ .

فصل

إنّ الله عزّ و جلّ أرحم بخلقه من أن يجبرهم على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها كما قال سبحانه : « ذلك بما قدّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد » (١) و هو جلّ جلاله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون كما قال جلّ وعزّ : « وما تشاؤن إلّا أن يشاء الله » (٢) فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين كما قال مولانا الصادق عليه السلام ، (٣) قال : « و مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية ، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الّذي أمرته بالمعصية » .

و قال الرضا عليه السلام : « إنّ الله عزّ و جلّ لم يطع بالإكراه ، و لم يعص بغلبة ، و لم يهمل العباد في ملكه ، و هو المالك لما ملّكهم ، و القادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادّاً و لا منها مانعاً ، و إن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينه و بين ذلك لفعل و إن لم يحل و فعلوه فليس هو الّذي أدخلهم فيه » (٤) .

و قال الباقر عليه السلام : « في التوراة مكتوب ياموسى إنّي خلقتك واصطفيتك وقوّيتك و أمرتك بطاعتي و نهيتك عن معصيتي فإن أطعتني أعنتك على طاعتي و إن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، ولي المنّة عليك في طاعتك ولي الحجّة عليك في معصيتك لي » (٥) .

و قال الصادق عليه السلام : « إنّ الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أنّ الله أجبر الناس على المعاصي فهذا قد أظلم الله في حكمه فهو كافر ؛ و رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليهم فهذا قدوهن الله في سلطانه فهو كافر ؛ و رجل يقول : إنّ الله كلّف العباد ما يطيقون ، و لم يكلّفهم مالايطيقون ، و إذا أحسن حمد الله ، و إذا أساء استغفرالله فهو مسلم بالغ » (٦) .

(١) آل عمران : ١٨٢ . (٢) الانسان : ٣٠ .
(٣) الكافي ج١ ص ١٦٠ تحت رقم ١٣ . (٤) التوحيد ص ٣٧٠ .
(٥) رواه الصدوق - رحمه الله - في الامالي ص١٨٥ . وفي اعتقاداته الباب التاسع .
(٦) التوحيد ص٢٧٠ .

و الكلام في القدر منهيٌّ عنه وهو سرٌّ من أسرار الله. قال الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم»[(١)] و سئل عليه السلام عن الرقى هل يدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر»[(٢)].

﴿فصل﴾

إنّ الله سبحانه لا يفعل بعباده إلّا ما هو أصلح لهم لأنّه عزّ وجلّ لطيفٌ بعباده، رؤوف بهم، و هو العزيز الحكيم، قال الله تعالى: «يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر»[(٣)] و في الحديث القدسي «و إنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلّا يدخله عجب فيفسده؟ و إنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالفقر ولو أغنيته لأفسده، و إنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالغنى و لو أفقرته لأفسده ذلك، و إنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالسقم و لو صحّحت جسمه لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالصحّة و لو أسقمته لأفسده ذلك، و إنّي اُدبّر عبادي لعلمي بقلوبهم فإنّي عليم خبير»[(٤)].

و فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام «أن يا موسى ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن وإنّما أبتليه لما هو خيرٌ له واُعافيه لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه أمر عبدي فليصبر على بلائي، و ليشكر نعمائي، و ليرض بقضائي أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل برضواني وأطاع أمري»[(٥)].

و ليعلم أنّ الله جلّ جلاله لم يكلّف عباده إلّا دون ما يطيقون كما قال: «لا يكلّف

---

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في كتاب اعتقاداته وأيضاً في كتاب التوحيد ص ٣٧٣. والكراجكي في كنز الفوائد ص ١٧١.

(٢) رواه الحميري في قرب الاسناد ص ٤٥. (٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) رواه الصدوق - رحمه الله - في التوحيد ص ٤٠٩.

(٥) التوحيد ص ٤١٦.

الله نفساً إلّا وسعها »[1] «و الوسع دون الطاقة ألا ترى أنّه كلّفهم في كلّ يوم و ليلة خمس صلوات و كلّفهم في كلّ مائتي درهم خمسة دراهم و كلّفهم حجّة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك »[2] كذا قال مولانا الصادق عليه السلام .

فصل

إنّ الله عزّ وجلّ لم يفرغ من الأمر كما زعمته اليهود[3] بل هو كلّ يوم في شأن ، يخلق و يرزق و يفعل ما يشاء « يمحو الله ما يشاء ويثبت و عنده أمّ الكتاب » ولا يمحو إلّا ما كان ، ولا يثبت إلّا ما لم يكن ، و إلّا لبطل الدعاء و الدواء و الصدقة و غيرها و ليس له بداء ندامة تعالى الله عن ذلك .

قال الصادق عليه السلام : «ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى يأخذ عليه الإقرار بالعبوديّة وخلع الأنداد ، و إنّ الله عزّ وجلّ يؤخّر ما يشاء ويقدّم ما يشاء »[4] .

و قال أيضاً : « إنّ الله لم يبد له من جهل و قال : ما بدا الله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له »[5] .

و قال مولانا الباقر عليه السلام : « العلم علمان فعلم عند الله مخزون لم يطّلع عليه أحداً من خلقه و علم علّمه ملائكته و رسله فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون ، لا يكذّب نفسه ولا ملائكته و لا رسله و علم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء و يؤخّر ما يشاء ويثبت ما يشاء »[6] .

---

(١) البقرة :٢٨٦ .

(٢) رواه البرقي ـ رحمه الله ـ في المحاسن ص٢٩٦.

(٣) اشارة الى قوله تعالى : قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ـ الاية ـ » المائدة : ٦٤ .

(٤) التوحيد : ٣٤٤ ، والكافي ج١ص ١٤٧ تحت رقم ٣ .

(٥) الكافي ج١ ص ١٤٨ تحت رقم ٩ .

(٦) الكافي ج١ ص ١٤٧ تحت رقم ٦ . والمحاسن للبرقي ص٢٤٣ .

﴿ الباب الرّابع ﴾

✿ (في النبوّة) ✿

لمّا ثبت أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا و عن جميع ما خلق ولم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ، وهم وسائط بينه و بينهم ، أسماع من جانب وألسنة إلى آخر ، يأخذون من الله ويعطون الخلق ، يتعلّمون من لدنه ويعلّمون الناس ، ويدلّونهم من عنده إلى مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون و النّاهون عن الحكيم العليم في خلقه وهم الأنبياء و صفوته من خلقه حكماء مؤدّبين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم وإن شاركوهم في الخلق و التركيب لئلاّ يبعدوا عنهم كلّ البعد ، بل يناسبوهم بعض المناسبة و يأنسون بهم بعض الاُنس كما قال الله عزّ وجلّ : « و لو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً و للبسنا عليهم ما يلبسون »(١) و لابدّ من تخصّصهم بآيات من الله سبحانه دالّة على أنّ شريعتهم من عند ربّهم العالم القادر الغافر(٢) المنتقم ليخضع الناس لهم ويلزم لمن وقف لها أن يقرّ بتقدّمهم و رئاستهم وهي المعجزة ، و كما لابدّ في العناية الإلهيّة لنظام العالم من المطر ، و رحمة الله لم تقصر عن إرسال السماء مدراراً لحاجة الخلق فنظام العالم لا يستغني عمّن يعرّفهم موجب صلاح الدّنيا والآخرة ، نعم من لم يترك الجوارح والحواسّ حتّى جعل لها رئيساً يصحّح لها الصحيح و يتيقّن به ما شكّت فيه وهو الرّوح كيف يترك الخلائق كلّهم في حيرتهم وشكّهم وضلالتهم ؟ لايقيم لهم هادياً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم قال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط »(٣) و قال عزّ و جلّ : « هو الّذي بعث في الاُمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين »(٤) .

---

(١) الانعام : ٩ .
(٢) كذا ولعل المناسب « القاهر » .
(٣) الحديد : ٢٥ .
(٤) الجمعة : ٣ .

﴿ فصل ﴾

يجب أن يكون النبيُّ منزّهاً عن كلّ ما يُدنّسه و يشينه من الغلظة و الفظاظة و سوء الخلق و الحسد و البخل و دناءة الآباء و عهر الأمّهات [١] و الاُنوثة و الخنوثة و العمى والعرج [٢] و ما شابه ذلك، وأن يكون معصوماً عن الذنوب كبائرها وصغائرها، كلُّ ذلك لئلاّ يتنفّر عنه الطباع، بل تطيعه طوعاً و رغبة و كيف يذنب النبيُّ واُصول الذّنوب منحصرة في أربعة : الحرص ، والحسد ، والغضب ، والشهوة ، ولايجوز أن يكون حريصاً على الدُّنيا و هي تحت خاتمه لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص ، و لايجوز أن يكون حسوداً لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه و ليس فوقه أحد ، و لايجوز أن يغضب لشيء من اُمور الدُّنيا إلّا بأن يكون غضبه لله تعالى في إقامة الحدود و نحوها ، و لا أن يتّبع الشهوات ويؤثر الدُّنيا على الآخرة لأنّ الله عزّوجلّ حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدُّنيا [٣] فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدُّنيا فهل رأيت أحداً يوخّر وجهاً حسناً لوجه قبيح ، و طعاماً طيّباً لطعام مرّ ، وثوباً ليناً لثوب خشن ، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية ـ كذا قال هشام بن الحكم من أصحابنا في عصمة الإمام [٤]

و قال بعض العلماء : العارف شجاع و كيف لا ؟ و هو بمعزل عن تقيّة الموت ، وجوادٌ و كيف لا و هو بمعزل عن محبّة الباطل ؟ و صفّاح و كيف لا ؟ و نفسه أكبر من أن يخرجها زلّة بشر ، ونسّاء للأحقاد و كيف لا ؟ و ذكره مشغول بالحقّ . انتهى

فكلّ ما ورد في القرآن والحديث من نسبة الذّنوب إلى الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام

---

(١) العهر : الفجور ، و العاهر الزانى .

(٢) العرج ـ محركة ـ : أن تطول احدى الرجلين على الاخرى أو أن يصيب شيء فيخمع صاحبها .

(٣) فى بعض النسخ [كما حبب اليه الدنيا] .

(٤) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ فى العيون والعلل والمعانى والامالى كما فى البحار ج ٧ ص ٢٢٨ (طبع الكمبانى) .

فهو مأوّلٌ كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في نصوص مستفيضة، و أنّهم عليهم السلام لمّا كانوا مستغرقين في طاعة الله عزّ و جلّ فإذا اشتغلوا أحياناً عن ذلك ببعض المباحات زيادة على الضرورة عدّ ذلك ذنباً في حقّهم عليهم السلام هكذا ينبغي أن يعتقد في المصطفين الأخيار سلام الله عليهم.

و في مصباح الشريعة (١) «عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ الله عزّ و جلّ مكّن أنبياءه من خزائن لطفه و كرمه و رحمته، و علّمهم من مخزون علمه، و أفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم و أحوالهم أحداً من الخلائق أجمعين إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، و جعل حبّهم و طاعتهم سبب رضاه، و خلافهم و إنكارهم سبب سخطه و أمر كلّ قوم باتّباع ملّة رسولهم، ثمّ أبى أن يقبل طاعة أحد إلّا بطاعتهم و تبجيلهم، و معرفة حبّهم و حرمتهم ووقارهم و تعظيمهم و جاههم عندالله، فعظّم جميع أنبياء الله تعالى و لا تنزّلهم منزلة أحد من دونهم، و لا تتصرّف بعقلك في مقاماتهم و أحوالهم و أخلاقهم إلّا ببيان محكم من عند الله و إجماع أهل البصائر بدلائل تتحقّق بها فضائلهم و مراتبهم، وأنّى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عندالله تعالى وإن قابلت أقوالهم وأحوالهم (٢) بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم، وأنكرت معرفتهم، وجهلت خصوصيّتهم بالله و سقطت عن درجة حقائق الإيمان و المعرفة فإيّاك ثمّ إيّاك».

«فصل»

الأنبياء أفضل من الملائكة و لهذا أمر الله عزّ وجلّ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام قال الله عزّ و جلّ: «إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين» (٣) و قال نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام: «يا عليّ إنّ الله تبارك و تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين و فضّلني على جميع النبيّين و المرسلين، و الفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك، و إنّ الملائكة لخدّامنا و خدّام محبّينا.

(١) الباب الثامن والستون ص ٤٥.

(٢) في بعض النسخ [أقوالهم و أفعالهم].

(٣) آل عمران: ٣٣.

الحديث ـ »[١] .

و قد ورد أنّ عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف و أربعة و عشرون ألفاً و عدد أوصيائهم كذلك[٢] إذ لكلّ نبيّ وصيّ أوصى إليه بأمر الله عزّ و جلّ و كلّهم جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ فإنّ قولهم قول الله و أمرهم أمر الله و طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، و أنّهم لن ينطقوا إلّا عن الله و وحيه، وسادتهم خمسة و هم الّذين عليهم دارت الرحا وهم أصحاب الشرائع و أولوا العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله و هو سيّدهم و أفضلهم و خاتمهم، لا نبيّ بعده، ولا تبديل لملّته، و لا تغيير لشريعته، كما قال الله عزّ و جلّ: «ولكن رسول الله وخاتم النبيّين»[٣] «جاء بالحقّ و صدّق المرسلين»[٤] و إنّ الّذين كذّبوا به لذائقوا العذاب الأليم، و إنّ الّذين آمنوا به و عزّروه و نصروه و اتّبعوا النور الّذي اُنزل معه اُولئك هم المفلحون الفائزون، و الله عزّ و جلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد و أوصيائه الأئمّة عليهم السلام، و إنّهم أحبّ الخلق إليه، و أكرمهم عليه، و أوّلهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى وأنّ الله بعثه إلى الأنبياء عليهم السلام في الذرّ كما قال عزّ وجلّ: «هذا نذير من النذر الاُولى»[٥] فسائر الأنبياء اُمّته وإنّما أعطى الله كلّ نبيّ ما أعطى على قدر معرفته بنبيّنا صلى الله عليه وآله و سبقه إلى الإقرار به، و إنّما خلق الله بجميع ما خلق له و لأهل بيته صلوات الله عليهم ولولاهم لمّا خلق الله آدم ولا حوّاء، ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق.

﴿فصل﴾

قال أبو حامد في كتاب آداب المعيشة و أخلاق النبوّة من ربع العادات: «اعلم

(١) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في العيون و العلل و كمال الدين كما في البحار ج٧ ص ٣٥٣ (طبع الكمباني).

(٢) رواه الصدوق في الخصال ج٢ص١٧٢ وأيضاً في الامالي ص ١٤٢ .

(٣) الاحزاب : ٤١ .

(٤) الصافات : ٣٧ .

(٥) النجم : ٥٦ .

أنّ من شاهد أحوال نبيّنا ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره الدّالة على أخلاقه و أفعاله و أحواله و آدابه و عاداته و سجاياه و سياسته لأصناف الخلق و هدايته إلى ضبطهم و التآلف بينهم و قوده إيّاهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسولة و بدائع تدبيراته في مصالح الخلق و محاسن إشاراته في تفصيل مسائل الشرع الّذي يعجز الفقهاء و الفضلاء عن إدراك دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب و لا شكّ في أنّ ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوّة البشريّة بل لا يتصوّر ذلك إلّا بالاستمداد من تأييد سماويّ وقوّة إلهيّة و أنّ ذلك كلّه لا يتصوّر لكذّاب ولاملبّس، بل كانت شمائله و أحواله شواهد قاطعة بصدقه حتّى أنّ العرب القحّ كان يراه فيقول: و الله ما هذا وجه كذّاب فكان يشهد له بالصدق بمجرّد شمائله فكيف بمن يشاهد أخلاقه و يمارس في جميع مصادره و موارده، وقد آتاه الله جميع ذلك و هو لم يمارس العلم، و لم يطالع الكتب، و لم يسافر قطّ في طلب العلم، ولم يزل بين أظهر الجهّال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق و الآداب و معرفة مصالح الفقه مثلاً فقطّ دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله و ملائكته و كتبه و رسله و غير ذلك من خواصّ النبوّة؟ لولا صريح الوحي و من أين لبشر الاستقلال لذلك، فلو لم يكن له إلّا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية، و قد ظهر من معجزاته و آياته مالا يستريب فيه محصّل كانشقاق القمر، و نبوع الماء من بين أصابعه، و إطعام الكثيرمن الطعام القليل، و غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة، و منها القرآن العزيز الباقي إلى آخر الدهر الّذي تحدّى به بلغاء الخلق و فصحاء العرب، و كان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله إن شكّوا، و قال لهم: «لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً»[(١)] و قال ذلك تعجيزاً لهم، فعجزوا عن ذلك و صرفوا عنه حتّى عرضوا أنفسهم للقتل و نساءهم و ذراريهم للسبي و ما استطاعوا أن يعارضوا و لا أن يقدحوا في جزالته وحسنه إلّا أن قالوا: «إن هذا إلّا سحرٌ يؤثر» و «سحرٌ مستمرٌ» و نحوذلك.

---

(١) الاسراء: ٨٨.

أقول : و قد اشتمل القرآن على وجوه كثيرة من الإعجاز غير البلاغة و قد ذكرناها في كتابنا المسمّى بعلم اليقين مع تفاصيل سائر المعجزات .

﴿فصل﴾

القرآن كلام الله و وحيه و قوله و كتابه « لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » و انّه القصص الحقّ و أنّه قول فصل و ما هو بالهزل ، و إنّ الله تبارك و تعالى محدثه و منزله و ربّه و حافظه و هو المهيمن على الكتب كلّها ، و أنّه حقّ من فاتحته إلى خاتمته ، نؤمن بمحكمه ومتشابهه ، وخاصّه و عامّه ، و وعده ووعيده و ناسخه و منسوخه ، وقصصه وأخباره ، لايقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله .

وجميع ماجاء به نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الحقّ المبين الّذي لامرية فيه ، ومن أنكر شيئاً منه بعد إقراره بأنّه ممّا جاء به فقد كفر ، ومنه حكاية المعراج كماذكره الله عزّ وجلّ بقوله : «سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله »(١) و بقوله عزّ وجلّ « ثمّ دنا فتدلّى ✻ فكان قاب قوسين أو أدنى - الآيات - »(٢) وقد أخبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد رجوعه منه بما ظهر منه صدقه و حقيقته ، و نبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم عامّة لجميع الناس كما قال الله عزّ و جلّ : « و ما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً و نذيراً »(٣) بل للجنّ و الإنس كما قال عزّ وجلّ : « أجيبوا داعي الله وآمنوا به »(٤) حكاية عنهم ، و كما أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم سيّد الأنبياء فكذلك أوصياؤه خير الأوصياء ، و كتابه خير الكتب و المهيمن عليها كلّها ، و دينه خير الأديان و ناسخها ، و اُمّته خير الاُمم و أوسطها كما قال عزّ وجلّ : « كنتم خير اُمّة اُخرجت للنّاس »(٥) « و كذلك جعلناكم اُمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرّسول عليكم شهيداً »(٦) .

---

(١) الاسراء : ٢ .
(٢) النجم : ٩ و ١٠ .
(٣) سبأ : ٢٨ .
(٤) الاحقاف : ٣٠ .
(٥) آل عمران : ١١٠ .
(٦) البقرة : ١٤٣ .

﴿ الباب الخامس ﴾

✿ (في الامامة) ✿

أنّ ما ذكرناه في بيان الاضطرار إلى النبيّ فهو بعينه جار في الاضطرار إلى وصيّه وخليفته من بعده إلى ظهور نبيّ آخر لأنّ الاحتياج إليهم غير مختصّ بوقت دون آخر، و في حالة دون اُخرى، ولا يكفي بقاء الكتب و الشرائع من دون قيّم لها، عالم بها، ألا ترى إلى الفرق المختلفة كيف يستندون في مذاهبهم كلّها إلى كتاب الله لجهلهم بمعانيه وزيغ قلوبهم و تشتّت أهوائهم، فظهر أنّه لابدّ لكلّ نبيّ مرسل بكتاب من عند الله عزّ و جلّ أن ينصب وصيّاً يودع فيه أسرار نبوّته و أسرار الكتاب المنزل عليه ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصيّ هو حجّة ذلك النبيّ على قومه، و لئلاّ يتصرّف الاُمّة في ذلك الكتاب بآرائها و عقولها فتختلف و تزيغ قلوبها كما أخبر الله عزّ و جلّ به فقال: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ اُمّ الكتاب و اُخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلّا الله و الراسخون في العلم»(١) فالرسول و الوصيّ و الكتاب هو الحجّة على الاُمّة ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة، و هذا كما فعل آدم بشيث، و نوح بسام، و إبراهيم بإسحاق، و موسى بيوشع، و عيسى بشمعون، و نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم بعليّ عليه السلام.

و أيضاً وجود الإمام لطف من الله سبحانه بعبيده إذ بوجوده يجتمع شملهم، و يتّصل حبلهم، و ينتصف الضعيف من القويّ، و الفقير من الغنيّ، و يرتدع الجاهل، و يتيقّظ الغافل، قال الله تعالى: «و إن من اُمّة إلّا خلافيها نذير»(٢) و قال عزّ و جلّ: «ولكلّ قوم هاد»(٣) و قال: «و يوم نبعث من كلّ اُمّة شهيداً عليهم من

(١) آل عمران: ٦.
(٢) الفاطر: ٢٣.
(٣) الرعد: ٧.

أنفسهم و جئنا بك شهيداً على هؤلاء » [(١)].

و قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « في كلّ خلف من اُمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين » [(٢)] فإذا عدم الإمام تعطّل أكثر أحكام الدّين فينتفي الفائدة المقصودة منها ، و من أجل ذلك أوصى نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم إلى معصوم عدل من أهل بيته طهّره الله من الرجس تطهيراً ، و نزّهه عن الخطأ ، آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ، و علّمه من لدنه علم ما يحتاج إليه الاُمّة في كلّ باب ، وعلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم يفتح له من كلّ باب ألف باب ، فخلّفه في اُمّته بعد رحلته بأمر من الله سبحانه و اختيار منه تعالى إيّاه لئلاّ يضلّوا بعده .

ثمّ أكّد تلك الوصيّة بالنصّ عليها مرّة بعد اُولى بمشهد من الناس حتّى لم يخف ذلك على أحد في زمانه و لا على اُولي البصائر من بعده ، و حديث يوم الغدير في ذلك مشهور و أخبار اُخر فيه في كثير من الكتب مسطورة ، وأمّا التمسّك بالإجماع على خلافة أبي بكر بعد هذه النصوص فمثله كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت و كيف صحّ ذلك و الله سبحانه يقول : « و ربّك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عمّا يشركون » [(٣)] و قال عزّ وجلّ : « و ربّك يعلم ما تكنّ صدورهم و ما يعلنون» [(٤)] و معلوم عند أهل البصيرة أنّ الناس لا يتّفق آراؤهم في أمر يسير إلّا بنحو من الغلبة أو التقليد فكيف يجوز اتّفاقهم جميعاً في هذا الأمر الخطير مع تباينهم الشديد قال الله تعالى : «ولا يزالون مختلفين» [(٥)] و هب أنّهم اتّفقوا

---

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) رواه الحميرى فى قرب الاسناد عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة . وأخرجه البيهقى فى المدخل كما فى مشكاة المصابيح ص ٣٦ . وابن قتيبة الدينورى فى عيون الاخبار كتاب العلم ص ٥ بادنى اختلاف ، و روى الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٣٢ « عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان لنا أهل البيت فى كل خلف عدولا ـ الحديث ـ » .و روى الصدوق فى المعانى ص ٣٤ عن النبى (ص) قال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ـ الحديث ـ .

(٣) القصص : ٦٩ . (٤) القصص : ٧٠ .

(٥) هود : ١١٧ .

فكيف لهم باختيار الأصلح و ليس لهم سبيل إلى الإطّلاع على الباطن و مكنون السريرة ، هذا كليم الله عليه السلام مع نبوته و رسالته و كلامه مع الله اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربّه فرفع اختياره على الأفسد دون الأصلح ، و هذا نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم كان ممّن حوله « منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا يعلمهم » هو بالنفاق فخاطبه الله تعالى بقوله : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » (١) فكيف يجوز لآحاد الناس معرفة الأصلح فلعلّهم يختارون منافقاً مضلاً لايعرفون نفاقه ومكره فيفسد الأمّة بفساد ضميره ، كلاّ بل لايجوز الاختيار إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور وتكنّ الضمائر وليس إلّا الله عزّ و جلّ ، « و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

و عن السجّاد عليه السلام « الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً و ليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ، و لذلك لا يكون إلّا منصوصاً » (٢) .

و أمّا غيبة بعض الأئمّة في بعض الأحيان و عدم تمكّنه من إجراء الأحكام فإنّما ذلك من جهة الرعيّة دون الإمام ، فليس ذلك نقضاً على لطف الله تعالى ، فإنّما على الله إيجاد الإمام للرعيّة ليجمع به شملهم ، فإن لم يمكّنوه من فعله لعدم قابليّتهم و سوء استعدادهم فما على الله من ذلك حجّة « فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون » مع أنّ ما في غيبته من الخيرات و الحكم من تضاعيف مثوبات المؤمنين بها المصدّقين بوجود الإمام في أعمالهم الصالحات مايسهل معها فوات إقامة الحدود ونحوها .

﴿ فصل ﴾

و بعبارة أُخرى نقول : يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه و أقربهم إلى الله عزّ و جلّ ، وأن يجمع فيه خصال الخير المتفرّقة في غيره ، مثل العلم بكتاب الله تعالى و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، و الفقه في دين الله تعالى ، والجهاد في سبيل الله ، و الرغبة فيماعند

(١) التوبة : ١٠١ .

(٢) رواه الصدوق - رحمه الله - في المعاني ص ١٣٢ .

الله ، و الزهد فيما بيد خلق الله إلى غير ذلك من الخيرات ، و أن يكون معصوماً من الزيغ و الزلل و الخطأ في القول و العمل ، منزّهاً عن أن يحكم بالهوى ، أو يميل إلى الدنيا لما ذكرناه في النبيّ صلی الله علیه و آله و سلم بعينه ، و بالجملة كلّ ما اشترط في النبيّ صلی الله علیه و آله و سلم من الصفات فهو شرط في الإمام ما خلا النبوّة ؛ و قال الصادق علیه السلام : « كلّ ما كان لرسول الله صلی الله علیه و آله و سلم فلنا مثله إلّا النبوّة و الأزواج » (۱) و لا يوصل إلى معرفة هذه الخصال المحمودة ، و الخلال المعدودة إلّا بوحي من الله سبحانه إلى رسوله لامتناع الاطّلاع على البواطن ، و لذلك أوحى الله تعالى إلى نبيّنا صلی الله علیه و آله و سلم في عليّ علیه السلام بآية « إنّما وليّكم الله » (۲) وآية « بلّغ ما اُنزل إليك » (۳) و غيرهما فإذا ظهر الوحي وجب على الرسول أن ينصّ على من يخلفه بعد وفاته ، إمّا قولاً كقول نبيّنا صلی الله علیه و آله و سلم : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه » (٤) و قوله : « معاشر أصحابي إنّ عليّ بن أبي طالب وصيّي و خليفتي عليكم في حياتي و بعد مماتي ، و هو الصدّيق الأكبر ، و الفاروق الأعظم ، الّذي يفرّق بين الحقّ و الباطل ، و هو باب الله الّذي يؤتى منه ، و هو السبيل إليه و الدليل عليه ، من عرفه فقد عرفني ، ومن أنكره فقد أنكرني ، ومن تبعه فقد تبعني» (٥) و إمّا فعلاً كفعل نبيّنا صلی الله علیه و آله و سلم بعليّ علیه السلام حيث ولّاه سراياه و جيوشه ، و سيّرهم تحت رايته ولم يول عليه أحداً قطّ ، ولم يكن كمن سار تحت راية عمرو بن العاص و اُسامة بن زيد و غيرهما ، و قد علم أصحابه أنّه كان أميراً في جيوشه غير مؤمّر عليه و كيف لا يوصي النبيّ صلی الله علیه و آله و سلم بمثل هذا الأمر العظيم ؟ و قد أمر عامّة الناس بالوصيّة فيما هو أهون من ذلك ، وحثّوا عليها و اُكّدلهم أمرها في الشرائع .

و اما اختلاف أصحاب نبيّنا صلی الله علیه و آله و سلم في أمر الخلافة من بعده فلا دلالة فيه على عدم وقوع النصّ منه صلی الله علیه و آله و سلم ، بل إنّما كان ذلك لغلبة حبّ الرئاسة و الحسد على بعضهم ، فاحتالوا لذلك حيلاً و خدائع فلبّسوا الأمر على أكثر الناس من بعد وقوع

---

(۱) ما عثرت على أصل له .

(۲) المائدة : ٥٥ . (۳) المائدة : ٦٧ .

(٤) راجع معاني الاخبار للصدوق - رحمه الله - ص ٦٥ الى ٧٤ .

(٥) راجع بحار الانوار ج ۹ (طبع الکمبانی) باب النص على امير المؤمنين علیه السلام .

النصّ الصريح مرّة بعد أخرى، و سماعهم ذلك كرّة بعد أولى، فجحدوا ما علموه، و بدّلوا ما سمعوه، و أنكروا ما ثبت في أعناقهم من حقّ أمير المؤمنين عليه السلام و ادّعوا التأمّر على الناس، و تسمّوا زوراً و بهتاناً بخلفاء رسول الله صلّى الله عليه و آله بغير قدم راسخ في علم ولا سبق في فضل، بل بالحيل والخدائع والممالات من أرباب الدخول و الأحقاد[1]، الّذين قالوا: آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، و من الشواهد على ذلك عقدهم للبيعة في السقيفة، و ما أدراك ما السقيفة!!! أعرضوا عن تغسيل رسول الله صلّى الله عليه و آله وتكفينه و دفنه و الفجيعة به، و اشتغلوا بتهيئة أسباب الإمارة، و تهييج ذوي الأحقاد على أمير المؤمنين عليه السلام، الّذين إنّما أسلموا خوفاً من سيفه بعد أن قتل آباءهم و أبناءهم بيده في مواقف النزال إلى غير ذلك من الأمور المنكرة الشنيعة الفاضحة، و من تتبّع أخبار العامّة أنفسهم حقّ التتبّع، يظهر له عدم تحقّق الإجماع على خلافة أبي بكر كما أنّه لم يقع نصّ من الله و رسوله عليها، و ذلك لأنّه لم يشهد حلقة البيعة ذات الغرور، ولم يحضر ما سمّي إجماعاً بالزور أجلّة الأصحاب ولا مشاهيرهم الكبار، الّذين لا يعبؤ إلّا بهم ولا تعويل إلّا عليهم كما اعترف به ثقات المخالفين و رواتهم كصاحب الحقّ و أهله[2]، و عمّه العبّاس و أبنائه، و سلمان، و أبي ذرّ، و المقداد، و عمّار، و حذيفة، و أبي بريدة الأسلميّ، و أبيّ بن كعب، و خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، و أبي الهيثم بن التيّهان، وسهل بن حنيف، و عثمان بن حنيف، و أبي أيّوب الانصاريّ، ولا طائفة من المعتبرين عندهم كالزبير المبشّر له بالجنّة بزعمهم[3] و أسامة صاحب الجيش الّذي كان أميراً عليهم يومئذ، و سعد بن عبادة رأس الأنصار، و ابنه قيس، و خالد بن سعيد، و زيد بن أرقم، و سعد بن سعيد، و بني حنيفة و غيرهم، و إنّما أخذوا البيعة عن بعض هؤلاء بالوعيد و التهديد ولو بعد حين، و منهم من أصرّ على الإنكار إلى يوم الدّين،

(١) مالاته على الامر ممالاة ساعدته عليه. والدخل - محركة - العيب والغش والفساد.

(٢) يعنى به علياً عليه السلام و أهل بيته صلوات الله عليهم.

(٣) لانهم عدوا الزبير قاطبة من العشرة المبشرة كما فى رياض النضرة لمحب الدين الطبرى ص ٧ و غيره.

وقد ذكر قتيبة [١] من علمائهم في كتابه ثمانية عشر رجلاً ممّن ذكرنا قال: وكانوا رافضة. ويشهد لذلك تخالفهم وتنازعهم واستحلال بعضهم دماء بعض ووقوع قتل بعضهم على أيدي بعض كما تواترت به الأخبار ولم يخف على ذوي الأبصار.

قال أبو حامد في كتابه المسمّى بسرّ العالمين وكشف الدّارين [٢] في مقالته الرابعة الّتي وضعها لتحقيق أمر الخلافة بعد الأبحاث وذكر الاختلافات فيها ما هذه عبارته: «لكن أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته يوم غدير خمّ وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فقال عمر بخٍّ بخٍّ لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهوى وحبّ الرئاسة وحمل عمود الخلافة ونبوذ العقود في خفقان الهواء في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، والأمر والنهي، فعادوا إلى الخلاف الأوّل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون، ولمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وقت وفاته: ايتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم مشكل الأمر وأذكر لكم من المستحقّ لها بعدي. قال عمر: دعوا الرجل فإنّه ليهجر وقيل: يهذي».

ثمّ قال: «فإذا بطل تعلّقكم بتأويل النصوص فعدتم إلى الإجماع وهذا منقوض أيضاً فإنّ العبّاس وأولاده وعليّاً وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم [٣] أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجيّ، ودخل محمّد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته فقال: يا بنيّ ايت بعمّك عمر لأوصي له فقال: يا أبت كنت على حقّ أو باطل؟ فقال على حقّ، فقال: أوص بها لأولادك إن كان حقّاً [٤]، ثمّ خرج إلى عليّ فجرى ما جرى وقوله على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم وعليٌّ فيكم. أفقاله هزلاً، أو جدّاً، أو امتحاناً؟ فإن كان هزلاً فالخلفاء منزّهون عن الهزل، وإن قاله جدّاً فهو نقض للخلافة وإن قاله امتحاناً فالصحابة لا يليق بهم الامتحان» انتهى كلامه.

(١) كذا فى جميع النسخ التى عندنا و لعل المراد «ابن قتيبة الدينورى» و لكن مايوجد فى «الامامة و السياسة» ولا فى «المعارف» هذا الكلام.
(٢) سر العالمين ص ١٥ من طبع طهران.
(٣) كذا و هكذا فى الاصل أيضاً و فى نسخة من الكتاب «خالفهم».
(٤) هذا لايلائم سن محمد.

أقول : و قد صنّف بعض أصحابنا ـ رحمه الله ـ كتاباً في بيان وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ما تقدّم منه من النصّ المتواتر على أهل بيته في وصايته و ماجرى بين الصحابة من التشاجر و الاختلاف في الخلافة بعد وفاته بترتيب حسن و سياق لطيف سمّاه (التهاب نيران الأحزان) أوردنا شطراً صالحاً منه في كتابنا الموسوم بعلم اليقين[1] من أراد الإطّلاع عليه فيرجع إليه .

ثمّ أقول : و مطاعن الثلاثة أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تخفى و كفاك منها تخلّفهم عن جيش أسامة مع علمهم بقصد التنفيذ و تأكيده صلى الله عليه وآله وسلم ذلك باللّعن[2]، ومنع أبي بكر فاطمة عليها السلام فدك مع ادّعائها النحلة لها و شهادة علي عليه السلام و امّ أيمن بذلك[3] وعدم تصديقه لهم و تصديقه الأزواج في إدّعاء الحجرة لهنّ من غير شاهد و لهذا ردّها عمر بن عبد العزيز ، و أوصت فاطمة عليها السلام أن لا يصلّي عليها فدفنت ليلاً[4] ، و قوله : إنّ له شيطاناً يعتريه[5] ، و قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[6]، و شكّه عند موته في استحقاقه للإمامة[7] ، وعدم معرفته بالأحكام حتّى قطع يسار سارق[8] ، و أحرق رجلاً بالنّار[9] ، و لم يعرف الكلالة

(١) ص ١٤٢ من طبعه الملحق بعين اليقين .

(٢) راجع طبقات ابن سعد طبع ليدن ج٢ القسم الثانى ص١٣٦ وج٤ القسم الاول ص ٤٦ أيضاً تهذيب ابن عساكر ج ٢ ص ٣٩١ ، و أيضاً كنز العمال ج ٥ ص ٣١٢ .

(٣) راجع شرح النهج لابن ابى الحديد ج ٤ ص ٧٨ الى ١٠٦ نقلها من كتاب السقيفة لابى بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهرى .

(٤) حلية الاولياء ج٢ ص ٤٣ ، اسد الغابة ج ٥ ص٢٥٤ ، ارشاد السارى للقسطلانى ج ٦ ص ٣٦٢ .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧١ . نقله عن ابن سعد . وشرح التجريد للقوشجى ص ٤٠٦ طبع طهران .

(٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٧ ط ١٣٧٥ ، صحيح البخارى كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنى ، كنز العمال ج ٣ ص ١٣٩ ، الصواعق المحرقة ص ٢١ .

(٧) الغدير ج ٧ ص ١٧١ نقله عن كتاب الاموال لابى عبيدة و تاريخ الطبرى ومروج الذهب والامامة والسياسة و العقد الفريد. (٨) سنن البيهقى ج ٨ ص ٢٧٣ .

(٩) الامامة و السياسة ج ١ ص١٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٨ .

و لا ميراث الجدّة، و اضطرب في كثير منها [(١)] ، و لم يحدّ خالداً ولا اقتصّ منه [(٢)] ، و بعثه إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام لمّا امتنع من البيعة فأضرم فيه النّار و فيه فاطمة عليها السلام و جماعة من بني هاشم [(٣)] ، و ندمه على كشف بيت فاطمة [(٤)] ، وأمر عمر برجم امرأة حاملة و أُخرى مجنونة و أُخرى ولدت لستّة أشهر [(٥)] ، فنهاه عليٌّ عليه السلام بعد الحجّة والإلزام فقال عمر : لولا عليّ لهلك عمر كما قاله في وقائع أُخر ، وشكّه في موت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى تلا عليه أبوبكر : « إنّك ميّت و إنّهم ميّتون » فقال : كأنّي لم أسمع بهذه الآية [(٦)] ، و قوله : كلُّ النّاس أفقه من عمر حتّى المخدّرات في الحجال [(٧)] ، و تغييره كثيراً من حدود الله المذكورة في القرآن بالآي الصراح و سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة بالنصوص المرويّة عندهم في الصحاح و ذلك كما مرّ في الوضوء بغسل الرجلين ، و مسح الأذنين ، و المسح على العمامة و الخفّين [(٨)] ، و إيجابه الوضوء مع غسل الجنابة ، و نهيه عن « حيّ على خير العمل » في الأذان و زيادته « الصلاة خير من

---

(١) سنن الدارمى ج ٢ ص٣٥٢ ، صحيح البخارى باب ميراث الجد .

(٢) راجع قصة مالك بن نويرة الاصابة ج١ ص ٣١٤ . اسدالغابة ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٣) الامامة والسياسة ج١ ص ١٢ ، شرح التجريد للقوشجى ص ٤٠٧ .

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٥) الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٨ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٥١ ، الاختصاص ص ١١١ ، تذكرة السبط ص ٨٧ .

(٦) كنزالعمال على متقى ج ٤ ص ٥٣ ، تاريخ الذهبى ج١ ص ٣١٧ ، طبقات ابن سعد ج ٢ القسم الثانى ص ٥٣ .

(٧) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٨٣ ، الدر المنثور ج ١ ص ١٣٣ ، و أورده ابن كثيرفى تفسيره ج ١ ص ٤٦٧ ، وشرح ابن ابى الحديد ج١ ص ١٥٣ .

(٨) راجع كتاب الاستغاثة لابى القاسم احمدبن موسى المتوفى ٣٥٢ ص٣٠ و٣١ .

و لا يقال : انه ورد فى كل ذلك أخبار عن النبيى صلى الله عليه و آله لان تلك الاخبار مع ضعف أكثرها وتعارضها مخالفة للقرآن و قدأمرنا أن نضرب بها بالجدار .

النوم » في أذان الفجر [١] ، و تقديمه التسليم الّذي للتحليل على التشهّد الأوّل في الصلاة [٢] ، و حمله الناس على الجماعة في النوافل و على صلاة الضحى [٣] و جعله التكبير على الجنائز أربعاً [٤] ، و ردّه مقام إبراهيم إلى ما كان في الجاهليّة [٥] و وضعه الخراج على غير الأرضين [٦] و إعطائه غير المستحقّين بالدواوين [٧] و تغييره صاع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم [٨] و حكمه بالعول و التعصيب في الميراث [٩] ، وقضاؤه في قطع السارق من معصم الكفّ و مفصل الساق خلافاً لما أمر به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من ترك الكفّ والعقب [١٠] و إنفاذه في الطلاق الثلاث المرسلة [١١] ، و منعه عن بيع أمّهات الأولاد و إن مات الولد و قال : هذا رأي رأيته [١٢] ، و عن تزويج غير قريش في قريش و العجم في العرب [١٣] ،

(١) شرح التجريد للقوشجى الاشعرى ص ٤٠٧ من طبع ايران ، كتاب الموطأ لابن مالك باب ما جاء فى النداء للصلاة ، شرح الزرقانى للموطأ حيث قال عند بلوغه الى هذا الحديث : أخرجه الدار قطنى فى السنن من طريق وكيع فى مصنفه عن العمرى عن نافع عن ابن عمر عن عمر . قال : وأخرج عن سفيان عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر عن عمر أنه قال لمؤذنه : اذا بلغت «حى على الفلاح» فى الفجر فقل : «الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم» . (٢) الاستغاثة ص ٣٣ .

(٣) شرح ابن ابى الحديد للنهج ج ٣ ص ١٧٨ .

(٤) راجع الغدير ج ٦ ص ٢٤٤ نقله عن سنن البيهقى ج ٤ ص ٣٧ . وفتح البارى ج ٣ ص ١٥٧ وارشاد السارى ج ٢ ص ٤١٧ .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٣٧ ذكره فى أوليات الخليفة .

(٦) شرح النهج لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٧٨ .

(٧) شرح النهج ج ٣ ص ١٥٣ ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ .

(٨) راجع روضة الكافى ص ٥٩ .

(٩) تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ ، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠٩ .

(١٠) الاستغاثة ص ٤٧ .

(١١) الدر المنثور ج ١ ص ٢٧٩ ، مسند أحمد ج ١ ص ٣١٤ .

(١٢) تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ ، الاستغاثة ص ٥١ و ٥٢ .

(١٣) الاستغاثة ص ٥٣ .

و منعه المتعتين مع اعترافه بأنّهما كانتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله[١]، و منعه أهل البيت عليهم السلام من خمسهم[٢]، و خرقه كتاب فاطمة عليها السلام[٣]، و جعله الخلافة شورى بين ستّة شهد لهم بأنّهم من أهل الجنّة و أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راض، ثمّ أمر بضرب أعناقهم جميعاً إن لم يبايعوا واحداً منهم إلى غير ذلك[٤].

و تولية عثمان مَن ظَهَرَ فِسقُه حتّى أحدثوا في أمر المسلمين ما أحدثوا، و ردّه طلقاء الرسول و إيثاره أهله بالأموال العظيمة[٥] و ضربُه ابن مسعود حتّى مات[٦]، و إحراقُه مصحفه[٧]، و ضربُه عمّاراً حتّى أصابه فتقٌ[٨]، وضربه أبا ذرّ، و نفيه إيّاه إلى الرّبذة[٩]، و إسقاط الحدّ عن الوليد[١٠]، و القود عن ابن عمر[١١]، و خذلان الصحابة له حتّى قتل وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قتله الله[١٢] و لم يدفن إلى ثلاث. إلى غير ذلك من المناكير الّتي يحصل بها الجزم بنفاقهم و شقاقهم، هذا مع ما ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام من النصوص و التصريحات بسبّهم و لعنهم و كفرهم ما يكاد يخرج عن حدّ التواتر و لا سيّما شكايات أمير المؤمنين عليه السلام عنهم تصريحاً و تلويحاً في خطبه

---

(١) شرح التجريد للقوشجي ص ٤٠٨، الدر المنثور ج ٣ ص ١٨٥، تفسير الكبير عند قوله تعالى: «فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن»، مسند احمد ج ١ ص ٥٠.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٦١ و ٦٣، الاستغاثة ص ٤٠ والدر المنثور ج ٣ ص ١٨٥.

(٣) الاختصاص للمفيد ص ١٨٥.

(٤) راجع قصة الشورى الامامة والسياسة ص ٢٣ و شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ١٦٩ و الصواعق ص ١٠٢.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٥٧.

(٦) راجع الغدير ج ٩ ص ٣ الى ١٤.

(٧) شرح ابن أبى الحديد ج ١ ص ٢٣٦، الاستغاثة ص ٦١.

(٨) الانساب للبلاذرى ج ٥ ص ٤٨، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥١.

(٩) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٨، و شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٢٤٠.

(١٠) الانساب للبلاذرى ج ٥ ص ٣٣.

(١١) الشافي للسيد المرتضى ص ٢٨١، شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٢٤٢.

(١٢) روضة الكافي ص ٦٧.

و كلماته في هذا الأمر خاصّة .

هذا مع كثرة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام و شدّة جهاده و عظيم بلائه في وقائع النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و عدم بلوغ أحد درجته في غزاة بدر و الأحزاب و خيبر و حنين و غيرها في شجاعته البالغة و قوّة حدسه و شدّة ملازمته للرسول صلى الله عليه و آله و سلم و تربيته إيّاه مذ حين الصبا إلى أن خلّفه بعده ، و رجوع الصحابة إليه في أكثر الوقائع بعد غلطهم ، و استناد الفضلاء في جميع العلوم إليه ، و كونه أسخاهم و أزهدهم و أعبدهم و أحلمهم ، و أحسنهم خلقاً ، و أطلقهم وجهاً ، و أقدمهم إيماناً ، و أفصحهم لساناً ، و أصدقهم قولاً ، و أقلّهم كلاماً ، و أصوبهم منطقاً ، و أشجعهم قلباً ، و أشدّهم يقيناً ، و أحسنهم عملاً ، و أعظمهم عناء ، وأرفعهم نسباً ، و أشرفهم منزلة ، وأقضاهم قضاء ، و أسدّهم رأياً ، و أكثرهم حرصاً على إقامة حدود الله ، و أحفظهم لكتاب الله ، و إخباره بالغيب مراراً ، و استجابة دعائه كثيراً ، و ظهور المعجزات عنه ، و اختصاصه بالقرابة و الأخوّة ، و وجوب المحبّة و النصرة و مساواة الأنبياء عليهم السلام ، و مواساة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ، و خبر الطائر ، و المنزلة ، والغدير (١) ، و حديث الكساء في آية المباهلةو التطهير (٢) ، و غيرها و لانتفاء سبق كفره ، و كثرة الانتفاع به ، و تميّزه بالكمالات النفسانيّة و البدنيّة و الخارجيّة .

واعلم أنّ ابتلاء الله سبحانه أنبياءه و أولياءه سنّة ماضية في الأمم الخالية ، لم تزل جرت على منوال واحد ولن تجد لسنّة الله تبديلاً و هذا ممّا يزيل بعض التعجّب من ضلال أكثر هذه الأمّة عن الصواب و غلبة الباطل على الحقّ في ظاهر الأسباب فإنّ آدم كان له ولدان فغلب مبطلهما على محقّهما ، و بقيت أمّة شيث و من بعده في تقيّة مغلوبين إلى أن جاءت نبوّة نوح عليه السلام فلم يزالوا عليه مستظهرين و له معاندين إلى أن أهلكهم الله بالغرق الشامل و الهلاك الهائل ، و كذا جرى لصالح و هود و لوط عليهم السلام مع أممهم و لإبراهيم عليه السلام مع نمرود و لموسى عليه السلام مع فرعون و لعيسى عليه السلام

(١) راجع خصائص النسائي طبع النجف ص ١٩ والتمهيد للباقلاني ، و راجع الغدير أيضاً المجلد الاول والثاني و الثالث و الصواعق لابن حجر .

(٢) راجع تفسير الكشاف ذيل آية المباهلة ج١ ص٢٨٣ و قال الحافظ العسقلاني : أخرجه مسلم من طريق صفية بنت شيبة عنها و غفل الحاكم فاستدركه .

مع اليهود و ما انقادوا لأحد من الأنبياء عليهم السلام إلّا بالآيات و القهر و المثلات ، فأيّ أُمّة استقامت بالسلامة و العافية حتّى يستقيم هذه الأُمّة بطاعة الله و طاعة الأئمّة و إن شئت أن تسمع شيئاً ممّا فعله طائفة من الصحابة و التابعين ليكون اُنموذجاً فعالم الشنيعة فاصغ إلى حديث سليم بن قيس الهلالي على ما أورده الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج [1] « قال : سليم إنّ منادي معاوية نادى أن برئت الذمّة ممّن روى حديثاً من مناقب عليّ وفضل أهل بيته ، وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد بن أبيه و ضمّ إليه العراقين - الكوفة و البصرة - فجعل يتتبّع الشيعة ، و هو بهم عارف ، يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر و أخافهم وقطع الأيدي والأرجل و صلبهم في جذوع النخل ، و سمل أعينهم ، و طردهم حتّى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحدٌ معروفٌ مشهورٌ .

ثمّ أخذ الناس في الروايات في فضل عثمان و معاوية زوراً على المنبر في كلّ كورة و مسجد ، و ألقوا ذلك على معلّمي الكتاتيب فعلّموا ذلك صبيانهم كما يعلّمونهم القرآن و نشأ عليه الصبيان ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم و صارت في أيدي المتنسّكين و المتديّنين منهم الّذين لايستحلّون الافتعال بمثلها ، فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ولم يبغضوا من خالفها فصار الحقّ في ذلك الزّمان عندهم باطلاً و الباطل حقّاً و الكذب صدقاً و الصدق كذباً ، و بالجملة تشبثوا [2] بعد ما تقرّر الأمر في فضائل أئمّتهم بما لا يدلّ أكثره على فضيلة مع روايتهم فيهم كلّ رذيلة بمايلوح من فحاويه مخايل الاختلاق ويفوح من مطاويه رائحة النفاق ، ثمّ بعد التتبّع يظهر أنّ ما هو أمثاله إنّما وضع في زمن بني اميّة طمعاً في الانتفاع بجاه أحدهم و ماله ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له : « و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في عهده حتّى قام خطيباً فقال : أيّها الناس قد كثر عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار ، ثمّ كذب عليه بعده ثمّ قال - بعد كلام - :

---

(١) ص ١٥٣ من طبع طهران و ص ١٥٩ من طبع النجف .

(٢) فى بعض النسخ [تعبثوا] .

ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلال والدعاة إلى النّار بالزور و الكذب و البهتان فولّوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب النّاس ، وأكلوا بهم الدنيا ، و إنّما النّاس مع الملوك و الدنيا إلّا من عصم الله ».

و قد روت طائفة من العامّة (١) أنّ معاوية كان يبذل الأموال لمن كان موثوقاً به عند النّاس من الصحابة ليضع حديثاً في فضل الخلفاء الثلاثة أو في منقصة أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ يرويه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله على المنبر بمشهد الناس أو يروي ما ورد في فضل عليّ عليه السلام في فضلهم ، و قدروى ابن أبي الحديد الحنفيّ المعتزليّ في شرحه لنهج البلاغة (٢) عن أبي جعفر الإسكافي أنّ معاوية بذل لِسمُرة بن جُندَب مائة ألف درهم حتّى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام : « و من النّاس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا (٣) - الآية - ». و أنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم « و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله (٤) » فلم يقبل ، فبذل مائتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاث مائة ألف فقبل .

و روى الكشّيّ بسند معتبر (٥) عن مولينا الباقر عليه السلام أنّه قال : « ارتدّ النّاس إلّا ثلاثة نفر : سلمان ، و أبو ذرّ ، و المقداد ، قال الرّاوي فعمّار ؟ فقال : كان جاض جيضة (٦) ، ثمّ رجع » و في رواية « ثمّ ألحق الناس بعد ، كان أوّل من أناب أبو ساسان الأنصاريّ ، و عمّار ، وأبو عمرة ، و شتير[ة] و كانوا سبعة فلم يعرف حقّ أمير المؤمنين عليه السلام إلّا هؤلاء السبعة ».

أقول : المستفاد من الأخبار الّتي تكاد تبلغ حدّ التواتر أنّ الناس بعد رسول الله

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦١ .
(٢) ج١ ص ٣٦١ . (٣) البقرة : ٢٠٤ .
(٤) البقرة :٢٠٧ . (٥) رجال الكشي ص ٨ .
(٦) جاض - بالجيم والضاد المعجمتين - و قد يقرء بالمهملتين و كلاهما بمعنى الحيود والزيغ . كذا ذكره السيد الداماد - قدس سره - في الرواشح السماوية . وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - بعد نقل الخبر عن الكشي : جاض عنه : حاد ومال وفي بعض النسخ بالمهملتين بمعناه وحاصوا عن العدو : انهزموا .

صلى الله عليه وآله وسلم صاروا صنفين: صنفاً من أهل التدليس و التلبيس من جنود إبليس و هم الّذين شيّدوا أركان هذه الضّلالة، و صنفاً من أهل العَمى و التّقليد، قد شبّه لهم الأمر فدخلوا فيه على غير بصيرة تعصّباً لمن تولّى و كفر، و تقليداً لشياطين البشر ممّن كان في الجاهليّة لا يفرّق بين الله عزّ و جلّ و بين الخَشب و الحَجَر، فكيف بين عليّ و أبي بكر و عمر و كان معهم تلك العقول السقيمة فلا غَرْوَ أن يعدلوا عن الطريقة القويمة.

قال أبو حامد: «لو تعذّر وجود الورع و العلم فيمن تصدّى للإمامة و كان في صرفه أثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنّا بين أن نحرّك فتنة لا تطاق بالاستبدال بما يلقى المسلمون منه من الضرر ما يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط الّتي أثبتت لمزيد المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفاً بمزاياها كالّذي يبني قصراً و هدم مصراً و بين أن نحكم بخلوّ البلاد عن الإمام و بفساد الأقضية و ذلك محال و نحن نقضي بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحّة الإمامة عند الحاجة و الضرورة».

أقول: هذا إنّما يصحّ لو اُريد بانعقاد الإمامة و صحّتها لمثل هذا الرجل عدم وجوب التعرّض له بقطع يده عنها خوفاً من الفتنة كما لا يتعرّض لسلاطين الوقت وإن كانوا جائرين طاغين، لا أنّه يعتقد صحّة إمامته في نفس الأمر و أنّه على الحقّ بل هو من الأئمّة الّذين يدعون إلى النّار و يوم القيامة هم من المقبوحين و من الّذين قال نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم في حقّهم: «إنّ الله يؤيّد هذا الدّين بالرجل الفاجر» (١) اُولئك لاخلاق لهم، و هكذا كان الخلفاء الثلاثة بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم.

فصل

قد تواتر لنا عن نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أنّ حجج الله تعالى على خلقه بعده صلى الله عليه وآله وسلم الأئمّة الاثنا عشر أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن الزكيّ، ثمّ الحسين

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٩. و في مسند أبي عوانة ج ١ ص ٤٦.

الشهيد، ثمّ عليّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ محمّد بن عليّ الباقر، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ عليّ بن موسى الرضا، ثمّ محمّد بن عليّ الجواد، ثمّ عليّ بن محمّد الهادي، ثمّ الحسن بن عليّ الزكيّ، ثمّ ابنه القائم سميّ النبيّ وكنيّه صاحب الزمان وخليفة الله في أرضه في أواننا، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقهم من طينتي، فويل للمتكبّرين عليهم بعدي القاطعين فيهم صلتي، مالهم لا أنالهم الله شفاعتي»[1] وقال أيضاً: «بعدي اثنا عشر أوّلهم أنت يا عليّ وآخرهم القائم الّذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها»[2].

وقد استفاض أمثال ذلك من الروايات في كتب العامّة فضلاً عن الخاصّة وقد نصّ كلٌّ منهم صلوات الله عليهم على من بعده بالإمامة وأخبر أصحابه باسمه ونعته وعصمته وقد ثبت طهارتهم وصدقهم جميعاً عند معتبري أهل الإسلام كافّة مع اختلافهم وافتراقهم إلى فرق كثيرة، وهذا من أوضح الدّلائل على حجّيّتهم دون غيرهم ممّن اختلف في فضله وحاله مع أنّ ذلك معلوم من التتبّع لآثارهم ومعارفهم بحيث لا يبقى للشكّ فيه مجال.

قال شيخنا الصّدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه - رحمه الله -[3]: ومن أوضح الدلائل على إمامتهم أنّ الله عزّ وجلّ جعل آية النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه أتى بقصص الأنبياء الماضين عليهم السلام وبكلّ علم توراة وإنجيل وزبور من غير أن يكون تعلّم الكتابة ظاهراً أو لقي نصرانيّاً أو يهوديّاً فكان ذلك أعظم آياته، وقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وخلّف عليّ ابن الحسين عليهما السلام متقارب السنّ كانت سنّه أقلّ من عشرين سنة ثمّ انقبض عن الناس فلم يلق أحداً ولا كان يلقاه إلّا خواصّ أصحابه، وكان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلّا يسير لصعوبة الزّمان وجور بني اُميّة، ثمّ ظهر ابنه محمّد بن عليّ المسمّى بالباقر لفتقه العلم فأتى من علوم الدّين والكتاب والسّنّة والسير والمغازي بأمر عظيم، وأتى جعفر بن محمّد من بعده من ذلك بما كثر وظهر فلم يبق فنّ من فنون العلم إلّا أتى

(١) الاختصاص للمفيد - رحمه الله - ص٢٠٨، وكمال الدين ١٦٤، والعيون الباب السادس.

(٢) راجع كمال الدين للصدوق - رحمه الله - ص ١٤٩ باب ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله فى النص على القائم، واعلام الورى ص ٣٦١ من طبع ١٣٣٨، وغيبة النعمانى ص ٥٧.

(٣) كمال الدين ص ٥٤.

فيه بأشياء كثيرة و فسّر القرآن و السنن و رويت عنه المغازي و أخبار الأنبياء عليهم السلام من غير أن يرى هو و أبوه محمّد بن عليّ أو عليّ بن الحسين عليه السلام عند أحد من رواة حديث العامّة و فقهائهم يتعلّمون منهم شيئاً في ذلك أدلّ دليل على أنّهم إنّما أخذوا ذلك العلم عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و عن عليّ عليه السلام ثمّ عن واحد واحد من الأئمّة و كذلك جماعة الأئمّة عليهم السلام هذه سنّتهم في العلم، يُسألون عن الحلال والحرام فيجيبون جوابات متّفقة من غير أن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس فأيّ دليل أدلّ من هذا على إمامتهم، و أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم نصبهم و علّمهم و أودعهم علمه وعلوم الأنبياء قبله، وهل رأينا في العادات من ظهر عنه مثل ما ظهر عن محمّد بن عليّ و جعفر بن محمّد من غير أن يتعلّموا ذلك من أحد من الناس انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

و النصوص الواردة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في فضائلهم و مناقبهم أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تخفى سيّما في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام فقد روى ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «لو أنّ الرياض أقلام والبحر مداد و الجنّ حسّاب والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب» (١).

و سئل بعض أهل العلم عن فضل عليّ بن أبي طالب فقال: ما أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حسداً وعداوة و كتم أولياؤه فضائله خوفاً وتقيّة ثمّ ظهر من بين الكتمانين فضائل طبّقت الخافقين» (٢).

و يجب أن يعلم أنّهم عليهم السلام أولوا الأمر الّذين أمر الله بطاعتهم، و أنّهم الشهداء على الناس، وأنّهم أبواب الله والسبل إليه، و الأدلاء عليه، وأنّهم عيبة علمه، وأركان توحيده، و أنّهم معصومون من الخطأ و الزلل، و أنّهم الّذين أذهب الله عنهم الرجس ـ يعني الشكّ ـ و طهّرهم تطهيراً، و أنّ لهم الدلائل و المعجزات، وأنّهم أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، و أنّ مثلهم في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق، و أنّهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول

(١) الطرائف لابن طاووس ص ٣٣. والعلامة في كشف اليقين كما في البحار ج ٩ باب فضائله عليه السلام.

(٢) هذا الكلام للشافعي على ماهو المشهور راجع الكنى والالقاب للمحدث القمي

وهم بأمره يعملون ، و أنّ حبّهم إيمان و بغضهم كفر ، و أنّ أمرهم أمر الله و نهيهم نهي الله ، و طاعتهم طاعة الله و معصيتهم معصية الله ، و وليّهم وليّ الله و عدوّهم عدوّ الله ، و أنّ الأرض لايخلو من حجّة لله على خلقه إمّا ظاهر مشهور و إمّا خائف مغمور و إلّا لساخت بأهلها ، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، وأنّ حجّة الله في أرضه و خليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر محمّد بن الحسن العسكريّ عليه السلام ، وأنّه هو الّذي أخبر به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الله عزّ و جلّ باسمه و نعته و نسبه و كذا أخبر به سائر أهل البيت عليهم السلام و أنّه هو الّذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً ، و أنّه هو الّذي يظهر الله به دينه ليظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون ، وأنّه هو الّذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها حتّى لايبقى في الأرض مكان إلّا نودي فيه بالأذان ويكون الدّين كلّه لله ، وأنّه هو المهديّ الّذي أخبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه إذا خرج نزل عيسى ابن مريم عليه السلام يصلّي خلفه ، و من جحد إمامة أحدهم فهو بمنزلة من جحد نبوّة جميع الأنبياء عليهم السلام . و قال الصادق عليه السلام : «المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا» (١) .

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «من جحد عليّاً إمامته بعدي فقد جحد نبوّتي و من جحد نبوّتي فقد جحد الله ربوبيّته» (٢) و الغالي فيهم كالمقصّر بل هو أشرّ و عنهم عليهم السلام «هلك فينا رجلان محبّ مفرط و مبغض مفرّط» (٣) .

﴿ فصل ﴾

و من فضل الله عزّ وجلّ علينا و لطفه بنا و له الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماماً بعد إمام ظاهراً فينا و إن كان مستوراً على أعدائنا إلى أن انقضى من

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - فى كتاب اعتقاداته باب ٣٨ .

(٢) روى نحوه الصدوق فى المعانى ص٣٧٢ وراجع أيضاً كمال الدين ص٢٢٨ وغيبة النعمانى ص ٦٢ والكافى ج ١ ص٣٧٢.

(٣) راجع المجلد السابع من البحار (طبع الكمبانى) ص ٢٤٤ .

الهجرة النبويّة مائتان و ستّون سنة ثمّ جعل للأخير سفراء بعد غيبته إلى قريب من تمام ثلاثمائة و ثلاثين سنة و كان أصحابنا في هذه المدّة المديدة يأخذون العلوم الدّينيّة ظاهرها و باطنها من معدنها بقدر قابليّتهم و رتبتهم و منزلتهم على اطمينان من قلوبهم و انشراح من صدورهم فأغناهم الله بذلك من حيرة الحيران ، وبعد انقضاء هذه المدّة كانوا يرجعون إلى الأصول المأخوذة عنهم المشتملة على أكثر ما يحتاج إليه الناس حتّى شذّ مسألة لايكون فيها حكم جزئيّ أو كلّيّ عنهم عليهم السلام ، وفّق له من وفّق وله الحمد .

فصل

حبّ أولياء الله واجب و كذا بغض أعداء الله و البراءة منهم و من أئمّتهم سيّما من الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم و غصبوا ميراثهم و غيّروا سنّة نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم و من الّذين نكثوا بيعة إمامهم وأخرجوا المرأة(١) وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الشيعة ومن الّذي نفى الأخيار وشردهم ، وآوى الطرداء اللّعناء ، وجعل الأموال دولة بين الأغنياء ، واستعمل السفهاء ؛ والّذي قتل الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح من السابقين ، و من أهل الاستيثار ، و أبي موسى الأشعريّ وأهل ولايته الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا أولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام و لقائه بأن لقوا الله بغير إمامته فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ، فهم كلاب أهل النّار .

والولاء لأولياء أمير المؤمنين عليه السلام الّذين مضوا على منهاج نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يغيّروا ولم يبدّلوا مثل سلمان الفارسيّ ، و أبي ذرّ الغفّاري ، والمقداد بن الأسود ، و عمّار بن ياسر ، و حذيفة بن اليمان ، و أبي الهيثم بن التيّهان ، و سهل بن حنيف و عبادة بن الصامت ، و أبي أيّوب الأنصاري ، و خُزَيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، وأبي سعيد الخُدري و أمثالهم ؛ ولأتباعهم وأشياعهم ، المهتدين بهداهم ، السالكين منهجهم - رضي الله عنهم -

(١) يعني بها عائشة ام المؤمنين .

وأرضاهم هذا كلّه مرويٌ عن مولينا الرضا عليه وعلى آبائه السلام [١] .

الباب السّادس

(في المعاد)

الموت حقٌ و كلٌ نفس ذائقة الموت إلّا أنّ الإنسان خلق للأبد والبقاء لا للعدم و الفناء فلايعدم بالموت بل يفرّق بين روحه و جسده و ينتقل من دار إلى دار كذا في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله [٢] و قال الله عزّ وجلّ : «لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء» [٣] و نادى النبيّ صلى الله عليه وآله الأشقياء المقتولين يوم بدر «يافلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ، ثمّ قال و الّذي نفسي بيده إنّهم لأسمع بهذا الكلام منكم إلّا أنّهم لايقدرون على الجواب» [٤] .

فصل

المساءلة في القبر حقّ قال الصادق عليه السلام : «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج ، و المساءلة في القبر ، و الشفاعة» [٥] و لا يسأل إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً و الباقون يلهون عنهم و مايعبؤبهم فمن أجاب بالصّواب فازبروح و ريحان في قبره و بجنّة نعيم في الآخرة ، و يسأل و هو مضغوط و ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر ، وأكثر ما يكون عذاب القبر من سوء الخلق والنميمة و الإستخفاف بالبول

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام باب ماكتب الرضا عليه السلام للمأمون من محض الاسلام . و فى الخصال نحوه عن الصادق عليه السلام كما فى ج ٧ ص ٣٦٨ من البحار (طبع الكمباني) .

(٢) راجع اعتقادات الصدوق ـ رحمه الله ـ الباب السادس عشر .

(٣) البقرة : ١٥٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٣٩ ، صحيح البخارى باب قتل أبي جهل ج ٥ ص ٩٧ .

(٥) رواه الصدوق فى الامالى ص ١٧٧.

و هو للمؤمنين كفّارة لمابقي عليهم من الذّنوب الّتي يكفّرها الهموم و الغموم والأمراض و شدّة النزع عند الموت . كذا عن أهل البيت عليهم السلام (١) .

﴿فصل﴾

البعث بعد الموت حقٌّ لاقتضاء عدل الله وحكمته إيصال جزاء التكاليف إلى العبيد و الوفاء بالوعد والوعيد ومؤاخذة الظالم للمظلوم إلى غيرذلك قال الله سبحانه : «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً و أنّكم إلينا لاترجعون» (٢) و قال عزّ وجلّ : «إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب - إلى قوله عزّ وجلّ : - ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنّه يحيي الموتى و أنّه على كلّ شيء قدير * و أنّ الساعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور» (٣) و قال عزّ اسمه : «و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين - إلى قوله : - ثمّ إنّكم بعد ذلك لميّتون * ثمّ إنّكم يوم القيمة تبعثون» (٤) و قال تعالى : «كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» (٥) .

و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : «يا بني عبد المطلب إنّ الرائد لا يكذب أهله ، و الّذي بعثني بالحقّ لتموتنّ كما تنامون و لتبعثنّ كما تستيقظون ، و ما بعد الموت دار إلّا جنّة أو نار» (٦) .

﴿فصل﴾

الصراط حقٌّ و هو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنّم ينتهي إلى الجنّة و عليه يمرُّ جميع الخلائق قال الله عزّ وجلّ : «و إن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً» (٧) .

---

(١) راجع المجلد الثانى من الكافى ص ٤٤٦ و اعتقادات الصدوق باب ١٦ .

(٢) المؤمنون : ١١٥ . (٣) الحج : ٥ الى ٧ .

(٤) المؤمنون ١٢ الى ١٦ . (٥) الانبياء : ١٠٤ .

(٦) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٢ ، الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢٧ .

(٧) مريم : ٧١ .

و عن الصادق عليه السلام: « الصراط أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف ، فمنهم من يمرّ مثل البرق ، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس ، و منهم من يمرّ حبواً ، و منهم من يمرّ مشياً و منهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً و تترك شيئاً » (١) .

و قال أيضاً : « الصراط هو الطريق إلى معرفة الله و هما صراطان صراط في الدّنيا و صراط في الآخرة ، فأمّا الصّراط الّذي في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة و تردى في نار جهنّم » (٢) يعني أنّ الإمام هو الطريق إلى معرفة الله و الهادي إلى سبيله قولاً وفعلاً ، فمن عرفه في الدنيا و اقتدى بهداه واستنّ بسنّته و مرّ على الصراط المستقيم الّذي مرّ هو عليه في الدّنيا أي طريقته الّتي هو عليها في الأعمال و الأخلاق كما قال الله عزّ و جلّ حكاية عن نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم « و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه » (٣) فهو الناجي الّذي يمرّ على صراط الآخرة و من لم يعرفه و لم يهتد إلى طريقته و لم يعمل بها فهو الهالك الّذي تزلّ قدمه عن صراط الآخرة .

و في حديث آخر عن العسكريّ عليه السلام « أنّ الصراط [المستقيم] في الدّنيا ما قصر عن الغلوّ و ارتفع عن التقصير و استقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل» (٤) .

و هذا أيضاً قريب من ذلك في المعنى بل هما واحد عند التحقيق فإنّ الاستقامة الّتي لاعدول عنها إلى شيء من طرفي الإفراط و التفريط هي طريقة الإمام عليه السلام .

و على الصراط عقبات تسمّى بأسماء الأوامر والنواهي كالصلاة والزكاة، والرحم و الأمانة و ولاية الإمام و غيرها فمن قصّر في شيء منها حبس عند تلك العقبة و طولب بحقّ الله تعالى فيها فإن خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركته نجى منها إلى عقبة أُخرى فلايزال يدفع من عقبة إلى عقبة و يحبس فيسأل حتّى إذا سلم من جميعها انتهى إلى

(١) امالى الصدوق - رحمه الله - ص ١٠٧ .
(٢) معانى الاخبار ص ٣٢ تحت رقم ١ .
(٣) الانعام : ١٥٣ .
(٤) معانى الاخبار ص ٣٣ تحت رقم ٤ .

دار البقاء فيحيى حياة لاموت فيها أبداً ، و يسعد سعادة لاشقاوة معها أبداً ، و إن لم يسلم زلّت به قدمه عن العقبة فتردى في نار جهنّم - نعوذ بالله منها - .

﴿فصل﴾

الميزان حقّ والحساب حقّ ، قال الله عزّ وجلّ : « والوزن يومئذ الحقّ فمن ثقلت موازينه فاُولئك هم المفلحون»(١) و من خفّت موازينه فاُولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون (٢) » و قال تعالى : « و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين » (٣) . قال الصادق عليه السلام : « الموازين القسط هم الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام » (٤) .

أقول : و شرح ذلك أنّ الميزان هو المعيار الّذي به يعرف قدر الشيء و ارتفاع قدر العباد و قبول أعمالهم إنّما هو بقدر إيمانهم بالأنبياء و الأوصياء عليهم السلام و محبّتهم لهم و طاعتهم إيّاهم في أقوالهم و أفعالهم و أخلاقهم والاقتفاء لآثارهم فالمقبول الراجح الثقيل من الأعمال ما وافق أعمالهم ، و المرضي الحسن الجميل من الأخلاق و الأقوال ما طابق أقوالهم و أخلاقهم ، والحقّ الصائب السديد من الاعتقادات ما اُخذ منهم ، و المردود منها ما خالف ذلك ، و كلّما قرب من ذلك قريب من القبول و كلّما بَعُد بَعُد ، فهم إذن موازين الأعمال و العلوم بهذا المعنى ، و الحساب هو جمع تفاريق المقادير و الأعداد و تعريف مبلغها و في قدرة الله عزّ وجلّ يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم و سيّئاتهم و هو أسرع الحاسبين ، ويأبى الله إلّا أن يعرّفهم حقيقة ذلك ليبيّن فضله عند العفو و عدله عند العقاب فيخاطب عباده جميعاً من الأوّلين و الآخرين بمجمل حساب أعمالهم مخاطبة واحدة يسمع منها كلّ واحد قضيّته دون غيره و يظنّ أنّه المخاطب دون غيره ، لايشغله عزّ و جلّ مخاطبة عن مخاطبة ، و يفرغ من حسابهم جميعاً في مقدار ساعة

---

(١) الاعراف : ٩ . (٢) المؤمنون : ١٠٣ .
(٣) الانبياء : ٤٧ . (٤) معاني الاخبار ص ٣١ .

من ساعات الدّنيا ، ويخرج لكلّ إنسان كتاباً يلقاه منشوراً ، ينطق عليه بجميع أعماله لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها ، فيجعله الله محاسب نفسه و الحاكم عليها بأن يقال له : « اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» ويختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم و أرجلهم و جميع جوارحهم بما كانوا يكسبون ، و قالوا : لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء ، فتطاير الكتب وتشخص الأبصار إليها أتقع في اليمين أوفي الشمال فأمّا من اُوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرؤوا كتابيه وأمّا من اُوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم اُوت كتابيه ، ثمّ ينظر إلى الميزان أيميل إلى جانب السيّئات أم الحسنات و هل الحسنات ثقيلة أم خفيفة فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، و من خفّت موازينه فاُمّه هاوية - نعوذ بالله منها - .

فصل

كلّ ما ورد في الشرع من أهوال يوم القيامة و طوله و حرّه و عرق الناس فيه ، و ازدحامهم ، و اختصامهم ، و براءة بعضهم من بعض ، وفرار المرء من أخيه ، واُمّه وأبيه وصاحبته و بنيه ، والسياق ، و إحضار الشهداء ، و المساءلة ، و غير ذلك كما أخبر الله عزّ وجلّ عنه في القرآن وأئمّة الهدى عليهم السلام في الأخبار المرويّة عنهم حقّ وصدقٌ لاريب فيه ، قال الصادق عليه السلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقام ألف سنة ، ثمّ تلا « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[1] .

و عن زين العابدين عليه السلام « أنّ من كان له عند غيره مظلمة يؤخذ له من حسنات الظالم بقدر حقّه فتزاد على حسناته فإن لم يكن للظّالم حسنات يؤخذمن سيّئات المظلوم فتزاد على سيّئات الظالم » [2] .

و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « هل تدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله

(١) رواه الكليني - رحمه الله - فى الروضة ص١٤٣ وابن الشيخ - رحمه الله - فى اماليه ص ٢٢ و الاية فى المعارج : ٤ .

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - فى حديث طويل فى الروضة ص ١٠٦ .

من لا درهم له و لا متاع ، فقال : المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة و زكاة و صيام ويأتي قدشتم هذا ، و قذف هذا ، و أكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، و ضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته و هذا من حسناته ، و إن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثمّ يطرح في النّار »(١) .

فصل

الشفاعة حقّ والحوض حقّ ، قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله : « من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي و من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ، ثمّ قال : إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي ، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل »(٢) وفي رواية أخرى « شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي ما خلا الشرك و الظلم »(٣) .

و قال صلّى الله عليه وآله : « إنّ من أُمّتي من يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من مضر »(٤)

وقيل : أقلّ المؤمنين شفاعة من يشفع لثلاثين إنساناً »(٥) .

و قال صلّى الله عليه وآله : « إنّ حوضي ما بين عدن إلى عمّان البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً »(٦) .

و في الخبر « أنّ الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين عليه السلام يسقي منه أولياءه ويردّ عنه أعداءه »(٧) .

---

(١) كذا في علم اليقين ص ٢٠٥ ، والمصدر مسند أحمد ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٢) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في العيون ص ١٣٦ والامالي ص ٥ .

(٣) الخصال أبواب السبعة ج٢ ص ٩ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢١٢ من حديث الحارث بن أقيس وفي الاصابة بترجمة اويس القرني مثله وفيه « أكثر من تميم » .

(٥) قال الطبرسي ـ رحمه الله ـ في ذيل آية ٤٨ من سورة البقرة : جاء في روايات اصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ عن النبي صلى الله عليه وآله « ان أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من اخوانه كل قد استوجبوا النار » .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص١٣٣ ، وروى نحوه ابن الشيخ في أماليه ص١٤٢ .

(٧) روى الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتاب اعتقاداته ص ٨٥ بعض أخباره .

فصل

الجنّة حقٌّ و النّار حقٌّ، و هما مخلوقتان اليوم بل لا تخرج نفس من الدُّنيا حتّى ترى مكانها من إحديهما . كذا عن أئمّة الهدى صلوات الله عليهم(١) ، و الجنّة دار البقاء و دار السلامة ، لا موت فيها و لا هرم ، و لا مرض ، و لا سقم ، ولا آفة ، و لا زمانة ، و لاغمّ ، و لاهمّ ، و لاحاجة ، ولافقر ، و هي دار الغناء والسعادة ، و دار المقامة والكرامة لا يمسُّ أهلها فيها نصب و لالغوب ، لهم فيها ما تشتهي الأنفس و تلذُّ الأعين و هم فيها خالدون (٢).

و لذّاتهم على أنواع منهم المتنعّمون بتقديس الله و تسبيحه في جملة ملائكته ، ومنهم المتنعّمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه و الأرائك والحورالعين ، واستخدام الولدان المخلّدين ، و الجلوس على النمارق والزرابي ، و لباس السندس و الحرير ، كلٌّ منهم إنّما يتلذّذ بما يشتهي و يريد على حسب ما تعلّقت عليه همّته ، لا يتغوّطون ولا يبولون ، و إنّما هو جشأ و رشح كالمسك ، يلهمون الحمد و التسبيح كما يلهمون النفس ، و يزدادون جمالاً و حسناً كما يزدادون في الدنيا قباحة و هرماً ، لها ثمانية أبواب عرض كلّ باب منها مسيرة أربعمائة سنة (٣).

و النّار دار الهوان و دار الانتقام من أهل الكفر و العصيان لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها ، لا يذوقون فيها برداً و لا شراباً إلّا حميماً و غسّاقاً ، وإن استطعموا اُطعموا من الزقّوم ، و إن استغاثوا اُغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقاً ، ينادون من مكان بعيد : ربنّا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون فيمسك الجواب عنهم أحياناً ثمّ قيل لهم : « اخسئوا فيها ولا تكلّمون » ، ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ما كثون» «لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم»(٤)

(١) راجع امالي الصدوق ص ٢٧٦ ، التوحيد ص ١٠٥ .

(٢) راجع الامالي ص ١٧٥ ، و سورة الفاطر : ٣٥ ، و الزخرف : ٧١ .

(٣) راجع الخصال ج ٢ ص ٣٩ . (٤) الحجر: ٤٤ .

﴿ فصل ﴾

الجنّة لأهل الإيمان الّذين لم يذنبوا كبيرة أوتابوا منها أو أدركتهم الشفاعة أو نالتهم الرحمة ، والنّار لأهل الشرك والكفر والجحود خلوداً ، ولأهل الكبائرمن المؤمنين الّذين ما توا من غير توبة وروداً من غير خلود لاستحقاقهم الثواب بالإيمان فيخرجون منها بعد استيفاء عذابهم الّذي استحقّوه بالذنوب الّتي اكتسبوها بالرحمة الّتي تدركهم و الشفاعة الّتي تنالهم ، ومن وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه البتة ولن يخلف الله وعده و من أو عده الله على عمل عقاباً فهو بالخيار إن عذّبه فبعدل له و إن عفا عنه فبفضله ، وقد قال الله عزّ و جلّ : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) .

و في الخبر « أنّ قسيم الجنّة و النّار أميرالمؤمنين عليه السلام » (٢) و ذلك لأنّ بحبّه و بغضه يمتاز أهلوهما فإنّ حبّه إيمان وبغضه كفر ، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان و خلقت النّار لأهل الكفر كذا عن الصادق عليه السلام (٣) ، رزقنا الله متابعتهم كما رزقنا محبّتهم بمنّه وجوده .

﴿ الباب السابع ﴾

✿ (في وجه التدرج الى الارشاد و ترتيب درجات الاعتقاد) ✿

قال أبو حامد : « ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدّم إلى الصبيّ في أوّل نشوئه ليحفظه حفظاً ، ثمّ لايزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً ، فابتداؤه الحفظ ،

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) راجع بصائر الدرجات الجزء الثامن الباب الثانى عشر .

(٣) رواه الصدوق - رحمه الله - فى العلل كما فى المجلد التاسع من البحار (طبع الكمبانى) باب انه عليه السلام قسيم الجنة و النار .

ثمّ الفهم ، ثمّ الاعتقاد و الإيقان و التصديق به ، و ذلك ممّا يحصل في الصبيّ بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان شرحه في أوّل نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجّة و برهان و كيف ينكر ذلك و جميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرّد و التعليم المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرّد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنّه يقبل الإزالة بنقيضه لو أُلقي إليه ، ولابدّ من تقويته و إثباته في نفس الصبيّ و العاميّ حتّى يترسّخ به ولا يتزلزل ، و ليس الطريق في تقويته و إثباته أن يعلّم صنعة الجدل والكلام بل يشغل بتلاوة القرآن و تفسيره و قراءة الحديث ومعانيه و يشغل بوظائف العبادات ، فلا يزال يقوي اعتقاده و يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلّة القرآن و حججه ، و بما يرد عليه من شواهد الأحاديث و فوائدها ، و بما يسطع عليه من أنوار العبادات و وظائفها و ما يسري إليه من مشاهدة الصالحين و مجالستهم و رؤية سيما هم و سيرتهم و هيئاتهم في الخضوع لله و الخوف منه و الاستكانة له ، فيكون أوّل التلقين كإلقاء بذر في الصدر و يكون هذه الأسباب كالسقي و التربية له حتّى ينموا ذلك البذر و يقوي و يرتفع شجرة طيّبة راسخة أصلها ثابت و فرعها في السماء ، و ينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإنّ ما يشوّشه الجدل أكثر ممّا يمهّده ، و ما يفسده أكثر ممّا يصلحه ، بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقّة من الحديد رجاء تقويتها بأن يكثر أجزاؤها ، و ربما يفتتها ذلك و يفسدها و هو الأغلب ، و المشاهدة تكفيك في هذا بياناً ، و ناهيك بالعيان برهاناً ، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلّمين والمتجادلين فترى إعتقاد العاميّ في الثبات كالطود الشامخ لاتحرّكه الدواهي والصواعق ، وعقيدة المتكلّم الحارس واعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرّة هكذا ومرّة هكذا إلّا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقّفه تقليداً كما تلقّف نفس الاعتقاد تقليداً ، ولا فرق بين التقليد في تعلّم الدليل أو تعلّم المدلول ، فتلقّن الدليل شيء والاستقلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ، ثمّ الصبيّ إذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها و لكنّه سلم في الآخرة باعتقاد الحقّ إذ لم يكلّف الشرع أجلاف العرف أكثر من التصديق الجزم

بظاهر هذه العقائد، فأمّا البحث و التفتيش و تكلّف نظم الأدلّة فلم يكلّفوا أصلاً، وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة و ساعده التوفيق حتّى اشتغل بالعمل و لازم التقوى، و نهى النفس عن الهوى، و اشتغل بالرياضة و المجاهدة انفتح له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهيّ يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده تعالى إذ قال عزّ و جلّ: «و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا»(١) و هو الجوهر النفيس الّذي هو غاية مقصد الصدّيقين و المقرّبين، و له درجات بحسب درجات المجاهدة و درجات الباطن في النظافة و الطهارة ممّا سوى الله تعالى و في الاستضاءة بنور اليقين و ذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطبّ و الفقه و سائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد و اختلاف الفطر في الذكاء و الفطنة، فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه».

﴿فصل﴾

أقول: و ممّن ذهب من علمائنا - رحمهم الله - إلى ما ذكره أبو حامد من اكتفاء العوام بمجملات العقائد و تقليدهم للشرائع أفضل المحقّقين، حجّة الفرقة الناجية، نصير الملّة و الدّين، محمّد بن الحسن الطوسي - طاب ثراه - فإنّه قال في بعض رسائله: «اعلم أيّدك الله - أيّها الأخ العزيز إنّ أقلّ ما يجب اعتقاده على المكلّف هو ما ترجمه قول «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله» ثمّ إذا صدّق الرسول فينبغي أن يصدّقه في صفات الله و اليوم الآخر و تعيين الإمام المعصوم، كلّ ذلك ممّا يشتمل عليه القرآن من غير مزيد و برهان، أمّا في الآخرة فبالإيمان بالجنّة و النّار و الحساب [و غيره]، و أمّا في صفات الله فبأنّه تعالى حيّ، قادرٌ، عالمٌ، مريدٌ، كارهٌ، متكلّمٌ، ليس كمثله شيءٌ، و هو السميع البصير؛ ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة هذه الصفات، و أنّ الكلام والعلم وغيرهما حادثٌ أو قديمٌ بل لو لم يخطر بباله حقيقة هذه المسألة حتّى مات مات

(١) العنكبوت: ٦٩.

مؤمناً ولا يجب عليه تعلّم الأدلّة الّتي حرّرها المتكلّمون ، بل مهما خطر في قلبه تصديق الحقّ بمجرّد الإيمان من غير دليل و برهان فهو مؤمن ، و لم يكلّف رسول الله ﷺ العرب بأكثر من ذلك ، وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرار العرب وأكثر الناس إلّا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام و حدوثه و معنى الاستواء والنزول و غيره فهو إن لم يأخذ ذلك بقلبه و بقي مشغولاً بعبادته و عمله فلا حرج عليه ، و إن أخذ ذلك بقلبه فإنّما الواجب عليه ما اعتقده السلف يعتقد في القرآن الحدوث كما قال السلف : القرآن كلام الله مخلوق ، ويعتقد أنّ الاستواء حقّ و الإيمان به واجب و السؤال عنه مع الاستغناء عنه بدعة ، والكيفيّة غير معلومة ، و يؤمن بجميع ماجاء به الشرع إيماناً مجملاً من غير بحث عن الحقيقة والكيفيّة ، وإن لم يعتقد ذلك وغلب على قلبه الشكّ والإشكال فإن أمكن ازالة الشك والإشكال بكلام قريب من الأفهام ازيل و إن لم يكن قويّاً عند المتكلّمين ولا مرضيّاً ، فذلك كاف ولا حاجة إلى تحقيق الدليل فإنّ الدليل لا يتمّ إلّا بذكر الشبهة و الجواب ، و مهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن يتشبّث بالخاطر و انطبع فيظنّها حقّة لقصوره عن إدراك جوابها إذ الشبهة قد تكون جليّة والجواب دقيقاً لا يحمل عقله ، و لهذا زجر السلف عن البحث و التفتيش و عن الكلام ، و إنّما زجروا ضعفاء العوامّ و أمّا أئمّة الدّين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات و منع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطىء الدجلة خوفاً عن الغرق ، و رخصة الأقوياء فيه يضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة ، إلّا أنّ ههنا موضع غرور و مزلّة قدم ، و هو أنّ كلّ ضعيف في عقله يظنّ أنّه يقدر على إدراك الحقائق كلّها و أنّه من جملة الأقوياء ، فربما يخوضون و يغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون ، و الصواب منع الخلق كلّهم إلّا الشاذّ النادر الّذي لا تسمح الأعصار إلّا بواحد منهم أو اثنين من تجاوز سلوك مسلك السلف في الإيمان المرسل و التصديق المجمل بكلّ ما أنزل الله تعالى و أخبر به رسوله ﷺ فمن اشتغل في الخوض فيه فقد أوقع نفسه في شغل شاغل إذ قال رسول الله ﷺ حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتّى احمرّت وجنتاه : « أفبهذا أمرتم تضربون

كتاب الله بعضه ببعض ؟ انظروا فما أمركم الله به فافعلوا و ما نهاكم عنه فانتهوا »[١]

فهذا تنبيه على منهج الحقّ واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب قواعد العقائد فاطلبه منه » .

انتهى كلامه - طاب ثراه -

و من كلام أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال في كلام له : « فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء و التقى من أُصول الدّين و حقائق اليقين والرضا و التسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق و مقالاتهم فيصعب عليك ، و قد أجمعت الأُمّة المختارة بأنّ الله واحد ليس كمثله شيءٌ ، و أنّه عدل في حكمه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ، ولا يقال له في شيء من صنعته : لِمَ ، و لا كان و لا يكون شيء إلّا بمشيّته ، و أنّه قادر على ما يشاء ، وصادق في وعده ووعيده ، و أنّ القرآن كلامه ، وأنّه كان قبل الكون و المكان والزمان ، و أنّ إحداثه و إفناءه غيره سواء ، ما ازداد باحداثه علماً ولا ينقص بفنائه ملكه ، عزّ سلطانه و جلّ سبحانه ، فمن أورد عليك ما ينقض هذا الأصل فلا تقبله ، و جرّد باطنك لذلك ترى بركاته عن قريب و تفوز مع الفائزين[٢]» .

﴿ فصل ﴾

قال أبو حامد : « فإن قلت : فعلم الجدل و الكلام مذمومٌ كعلم النجوم أو هو مباحٌ أو مندوبٌ إليه ؟ فاعلم أنّ للنّاس في هذا غلوّاً و إسرافاً في أطراف ، فمن قائل : إنّه بدعة و حرام ، و أنّ العبد إن لقى الله تعالى بكلّ ذنب سوى الشرك خيرٌ له من أن يلقاه بالكلام ، و من قائل : إنّه واجب و فرض إمّا على الكفاية أو على الأعيان و إنّه أفضل الأعمال و أعلى القربات فإنّه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعيّ ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، و سفيان وجميع أهل الحديث من السلف .

قال : الشافعيّ : حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد و يطاف بهم في

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ج ١ ص ٣٣ تحت رقم ٨٥ بلفظ آخر .

(٢) كشف المحجة في خاتمته .

العشائر و القبائل ، و يقال : هذا جزاء من ترك الكتاب و السنّة وأخذ في الكلام [1]

و قال أحمد : لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، و لا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلّا وفي قلبه دغلٌ [2] و بالغ فيه حتّى هجر المحاسبي مع زهده و ورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الردّ على المبتدعة ، فقال : ويحك ألست تحكي بدعتهم أوّلاً ثمّ تردّ عليهم ، ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة و التفكّر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي و البحث ؛ و قال أيضاً : علماء الكلام زنادقة .

و قال مالك : أرأيت ان جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كلّ يوم لدين جديد .

يعني أنّ أقوال المجادلين تتفاوت إلى غير ذلك من التشديدات و قالوا : ماسكت عنه الصحابة مع أنّهم أعرف بالحقائق و أفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلّا لعلمهم بما يتولّد منه من الشرّ ولذلك قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « هلك المتنطّعون ، هلك المتنطّعون ، هلك المتنطّعون » [3] أي المتعمّقون في البحث و الاستقصاء .

و احتجّوا أيضاً بأنّ ذلك لو كان من الدّين لكان ذلك أهمّ ما يأمر به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و يعلّم طريقه و يثني على أربابه فقد علّمهم الاستنجاء و ندبهم إلى حفظ الفرائض و أثنى عليهم ، و نهاهم عن الكلام في القدر و قال : « أمسكو » [4] و على هذا استمرّ الصحابة ، والزيادة على الأستاد طغيان و ظلم وهم الأستادون و نحن الأتباع والتلامذة» .

أقول : و قد أسلفنا أخباراً من أهل البيت عليهم السلام أيضاً في مذمّة الكلام عند ذكر آفات المناظرة من كتاب العلم ، قال الصدوق - رحمه الله - في اعتقاداته [5] : والجدل في اُمور الدّين منهيٌّ عنه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من طلب الدّين بالجدل تزندق » و قال الصادق عليه السلام : «يهلك أصحاب الكلام وينجو المسلّمون ، إنّ المسلّمين هم النجباء» .

---

(١) نقله ابن عبدالبر فى العلم كما فى المختصر ص ١٥٦ و هكذا القولين اللذين يأتيان بعده .

(٢) الدغل - محركة - : ما داخل الانسان من فساد أوحقداو ما يخالفه .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ج ٢ ص ٥٠٦ و قال الجزرى فى النهاية : فى الحديث «هلك المتنطعون» هم المتعمقون المغالون فى الكلام المتكلفون باقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعمل فى كل من تعمق قولا و فعلا .

(٤) أخرجه الطبرانى كمافى مجمع الزوائد ج٧ ص ٢٠٢ . (٥) الباب الحاديعشر .

و قال السيد بن طاووس - رحمه الله - : وجدت في كتاب عبدالله بن حمّاد الأنصاريّ في النسخة المقروءة على هارون بن موسى التلعكبريّ - رحمه الله - ما هذا لفظه « عن جميل ابن درّاج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : متكلّمو هذه العصابة من شرار من هم منهم »[(١)] .

قال أبو حامد : « و أمّا الفرقة الأُخرى فإنّهم احتجّوا بأنّ المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر و العرض و هذه الاصطلاحات الغريبة الّتي لم يعهدها الصحابة فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلّا و قد اُحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير و الفقه و لو عرض عليهم عبارة النقض و الكسر و التركيب و التعدية و فساد الوضع لما كانوا يفهمونه ، فإحداث عبارة للدّلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح ، و إن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلّا معرفة الدليل على حدوث العالم و وحدانيّة الخالق و صفاته كما جاء به الشرع فمن أين يحرم معرفة الله بالدّليل ؟ و إن كان المحذور هو الشغب[(٢)] و التعصّب والعداوة والبغضاء و ما يفضي إليه الكلام فذلك محرّم و يجب الاحتراز عنه كما أنّ الكبر و الرياء و طلب الرئاسة ممّا يفضي إليه علم الحديث و التفسير و الفقه و هو محرّم و يجب الاحتراز عنه و لكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه ، و كيف يكون ذكر الحجّة و المطالبة بها و البحث عنها محذوراً ؟ و قد قال تعالى : « قل هاتوا برهانكم »[(٣)] و قال تعالى : «ليهلك من هلك عن بيّنة »[(٤)] و قال تعالى : «إن عندكم من سلطان»[(٥)] أي من حجّة وبرهان و قال تعالى : « فللّه الحجّة البالغة »[(٦)] وقال تعالى : «ألم تر إلى الّذي حاجّ إبراهيم - إلى قوله - فبهت الّذي كفر »[(٧)] إذ ذكر احتجاج إبراهيم و مجادلته و إفحامه خصمه في معرض الثناء عليه و قال تعالى : « تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه »[(٨)] و قال

(١) كذا في كشف المحجة .

(٢) الشغب : كثرة الجلبة واللغط المؤدى الى الشر . وفى الاحياء «التشعب» .

(٣) الانبياء : ٢٤ . (٤) الانفال : ٤٢ .

(٥) يونس : ٦٨ . (٦) الانعام : ١٤٩ .

(٧) البقرة : ٢٥٨ . (٨) الانعام : ٨٣ .

تعالى : « قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا »[١] و قال تعالى في قصّة فرعون : « و ما ربّ العالمين - إلى قوله - أو لو جئتك بشيء مبين »[٢] و على الجملة فالقرآن من أوّله إلى آخره محاجّة مع الكفّار فعمدة أدلّة المتكلّمين في التوحيد قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا »[٣] و في البعث قوله عزّ وجلّ : « قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة »[٤] إلى غير ذلك من الأدلّة و لم يزل الرّسل يحاجّون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى : « و جادلهم بالّتي هي أحسن »[٥] و الصحابة أيضاً كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة و كانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم و أوّل من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحقّ عليّ عليه السلام إذ بعث ابن عبّاس إلى الخوارج يكلّمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل و لم يسب و لم يغنم ، قال : ذلك في قتال الكفّار أرأيتم لو سبيت عائشة في يوم الجمل فوقعت عائشة في سهم أحدكم أكنتم تستحلّون منها ما تستحلّون من ملككم ؟ و هي أمّكم في نصّ الكتاب ؟ فقالوا : لا ، و رجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان »[٦] .

أقول : و محاجّة الأئمّة المعصومين عليهم السلام مع الكفّار و أهل الخلاف مشهورة مستفيضة و قد تضمّن نبذاً منها كتاب الكافي و الاحتجاج للطبرسيّ وغيرهما .

قال : « فينبغي أن يقال : كان خوضهم فيه قليلاً لا كثيراً و قصيراً لا طويلاً و عند الحاجة لا بطريق التصنيف و التدريس و اتّخاذه صناعة ، فيقال : أمّا قلّة خوضهم فكان لقلّة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان و أمّا القصر فكانت الغاية إفحام الخصم و اعترافه و انكشاف الحقّ فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لامحالة إلزامهم و ما كانوا يقدّرون قدر الحاجة بميزان ولامكيال بعد الشروع فيها ، و أمّا عدم تصدّيهم للتدريس و التصنيف فهكذا كان في الفقه و التفسير و الحديث أيضاً ، فإن جاز تصنيف

(١) هود : ٣٢ .
(٢) الشعراء : ٣٠ .
(٣) الانبياء : ٢٢ .
(٤) يس : ٧٩ .
(٥) النحل : ١٢٥ .
(٦) أشار اليه ابن عبدالبر في العلم كما في المختصر ص ١٦٢ ، و رواه الطبرسي - رحمه الله - في الاحتجاج ص ١٠٠ من طبع النجف .

الفقه و وضع الصور النادرة الّتي لا تتّفق إلّا على الندور إمّا ادّخاراً ليوم وقوعها و إن كانت نادراً أو تشحيذاً للخاطر فنحن أيضاً نرتّب طريق المحاجّة لتوقّع وقوع الحاجة بثوران شبهة و هيجان مبتدع أولتشحيذ الخاطر أو لادّخار الحجّة حتّى لانعجز عنه عند الحاجة على البديهة و الارتجال كمن يعدّ السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين ».

فصل

« فإن قلت : فما المختار فيه عندك ؟ فاعلم أنّ الحقّ فيه أنّ إطلاق القول بذمّه في كلّ حال أو بحمده في كلّ حال خطأ بل لابدّ فيه من تفصيل ، فاعلم أوّلاً أنّ الشيء قد يحرم لذاته كالخمر و الميتة ، و أعني بقولي : « لذاته » أنّ علّة تحريمه وصف في ذاته و هو الإسكار و الموت و هذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنّه حرامٌ ولا نلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار و إباحة تجرّع الخمر إذا غصّ الإنسان بلقمة و لم يجد ما يسيغها به سوى الخمر و ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك في وقت الخيار و البيع في وقت النداء و كأكل الطين فإنّه يحرم لما فيه من الإضرار و هذا ينقسم إلى ما يضرّ قليله و كثيره ، فيطلق القول عليه بأنّه حرامٌ كالسمّ الّذي يقتل قليله و كثيره ، و إلى ما يضرّ عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإنّ كثيره يضرّ بالمحرور ، و كان إطلاق التحريم على الخمر و التحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فإن تصدّى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصّل فنعود إلى علم الكلام ونقول فيه منفعة و فيه مضرّة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوبٌ أو واجبٌ كما يقتضيه الحال ، و هو باعتبار مضرّته في وقت الاستضرار و محلّه حرام أمّا مضرّته فأثارة الشبهات و تحريك العقائد و إزالتها عن الجزم والتصميم فذلك ممّا يحصل في الابتداء و رجوعها بالدليل مشكوك فيه و يختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحقّ ، و له ضررٌ في تأكيد اعتقاد المبتدعة و تثبيته في صدورهم بحيث ينبعث دواعيهم

و يشتدّ حرصهم على الإصرار عليه و لكن هذا الضرر بواسطة التعصّب الّذي يثور من الجدل و لذلك ترى المبتدع العاميّ يمكن أن يزول اعتقاده باللّطف في أسرع زمان إلّا إذاكان نشوؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصّب فإنّه لواجتمع عليه الأوّلون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدوره بل الهوى و التعصّب و بغض خصومة المجادلين و فرق المخالفين يستولي على قلبه و يمنعه من إدراك الحقّ حتّى لوقيل له : هل تريدأن يكشف الله لك الغطاء و يعرّفك بالعيان أنّ الحقّ مع خصمك كره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه و هذا هو الداء العظيم الّذي استطار في البلاد و العباد و هو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصّب فهذا ضرره ، و أمّا منفعته فقديظنّ أنّ فائدته كشف الحقائق و معرفتها على ما هي عليها و هيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف و لعلّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف و هذا إذا سمعته من محدّث أوحشويّ ربّما خطر ببالك أنّ الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممّن خبر الكلام ثمّ قلاه بعد حقيقة الخبرة و بعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلّمين و جاوز ذلك إلى التعمّق في علوم آخر يناسب نوع الكلام و تحقّق أنّ الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود و لعمري لا ينفكّ الكلام عن كشف و تعريف و إيضاح لبعض الاُمور ولكن على الندور في اُمور جليّة تكادتفهم قبل التعمّق في صنعة الكلام ، بل منفعته شيء واحد و هو حراسة العقيدة الّتي ترجمناها على العوام و حفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل ، فإنّ العاميّ ضعيف يستفزّه جدل المبتدع و إن كان فاسداً و معارضة الفاسد بالفاسد تدفعه ، والناس متعبّدون بهذه العقائد إذ ورد بها الشرع لما فيهامن صلاح دينهم و دنياهم و العلماء متعبّدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبّد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجّمات الظلمة و الغصّاب ، و إذا وقعت الإحاطة بضرره و منفعته فينبغي أن تكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء المخطر إذ لا يضعه إلّا في موضعه ، و ذلك في وقت الحاجة و على قدر الحاجة ، و تفصيله أنّ العوام المشغولين بالحرف و الصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم الّتي اعتقدوها مهما تلقّفوا الاعتقاد الحقّ الّذي ذكرناه فإنّ تعليمهم الكلام ضرر محض في حقّهم إذ ربّما يثير لهم شكّاً و يزلزل عليهم

الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح و أمّا العاميّ المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعا إلى الحقّ بالتلطّف لا بالتعصّب و بالكلام اللّطيف المقنع للنفس المؤثّر في القلب القريب من سياق أدلّة القرآن و الحديث الممزوج بفنّ الوعظ و التحذير فإنّ ذلك أنفع من الجدل المصوغ (١) على شرط المتكلّمين إذ العاميّ إذا سمع ذلك اعتقد أنّه نوع صنعة تعلّمها المتكلّم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدّر أنّ المجادلين من مذهبه أيضاً يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأوّل حرام و كذا مع من وقع في شكّ إذ يجب إزالته باللّطف و الوعظ و الأدلّة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمّق الكلام و استقصاء الجدل و إنّما ينفع في موضع واحد و هو أن يفرض عاميّ اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحقّ و ذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ و التحذيرات العاميّة، فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه إلّا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه، و هذا في بلاد تقلّ فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الّذي ذكرناه و لا يتعرّض للأدلّة و يتربّص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة ، فإن كانت البدعة شائعة و كان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلّموا القدر الّذي أودعناه كتاب الرسالة القدسيّة ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات أهل البدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر و قد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره » .

أقول : و أمّا على طريقتنا فيبدّل ذلك بما أودعته في الأبواب الخمسة الوسطى من هذا الكتاب و قد أفردتها في رسالة و أضفت إليها ما يجب تعلّمه على الناس عامّة من العلم بالأعمال الظاهرة و الباطنة و الأخلاق الفاضلة و الرديّة و سمّيتها منهاج النجاة (٢) و هو إكسير المتعلّمين .

قال : « فإن كان فيه ذكاء وتنبّه بذكائه لموضع سؤال وثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلّة المحذورة وظهر الدّاء فلابدّ أن يرقى منه إلى القدر الّذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد

(١) في الاحياء « على الجدل الموضوع » .

(٢) طبع غير مرة على الحجر بطهران .

في الاعتقاد و هو قدر خمسين ورقة و ليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلّمين ».

أقول: و على طريقتنا يبدّل ذلك بما أودعته كتاب علم اليقين فإنّه و إن كان مبسوطاً إلّا أنّه لم يخرج عمّا ورد في القرآن و أحاديث أهل العصمة عليهم السلام إلّا قليلاً ممّا يحتاج إليه في شرحهما.

قال: « فإن أقنعه ذلك كفّ عنه و إن لم يشفه ذلك فقد صارت العلّة مزمنة والداء عضالاً و المرض سارياً فيتلطّف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله فيه إلى أن ينكشف له الحقّ بتنبيه من الله سبحانه أو يستمرّ على الشكّ و الشبهة إلى ما قدّر له، فالقدر الّذي يحويه ذلك الكتاب و جنسه من المصنّفات هو الّذي يرجى نفعه، فأمّا الخارج منه فقسمان: أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والأكوان وعن الإدراكات و الخوض في أنّ الرؤية هل لها ضدّ يسمّى المنع و العمى و إن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما يرى أو يثبت لكلّ مرئيّ يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترّهات المضلّة، و القسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلّة في غير تلك القواعد و زيادة أسولة و أجوبة و ذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلّا ضلالاً و جهلاً في حقّ من لم يقنعه ذلك القدر، فربّ كلام يزيده الإطناب و التقرير غموضاً.

و لو قال: قائل: البحث عن حكم الإدراكات و الاعتمادات فيه تشحيذ الخواطر و الخاطر آلة الدّين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحّذ الخاطر فهو من الدّين و ذلك هوس فإنّ الخاطر يتشحّذ بسائر علوم الشرع و لا يخاف منها مضرّة، فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحالة الّتي تذمّ منها و الحالة الّتي تحمد و الشخص الّذي ينتفع به و الّذي لا ينتفع».

فصل

« فإن قلت: مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع ؟ والآن فقد ثارت البدع و عمّت البلوى و ارهقت الحاجة فلابدّ و أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات

كالقيام بحراسة الأموال و سائر الحقوق كالقضاء و الولاية و غيرها و ما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك و التدريس فيه والبحث عنه لايدوم و لو ترك بالكلّيّة لاندرس و ليس في مجرّد الطباع كفاية لحلّ شبه المبتدعة ما لم يتعلّم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضاً من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فإنّ الحاجة ما كانت ماسّة إليه ، فاعلم أنّ الحقّ أنه لابدّ في كلّ بلد من قائم بهذا العلم مستقلّ بدفع شبه المبتدعة الّتي ثارت في تلك البلدة و ذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه عن العموم كتدريس الفقه والتفسير فإنّ هذا مثل الدّواء و الفقه مثل الغذاء و ضرر الغذاء لا يحذر و ضرر الدّواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصّص بتعليم هذا العلم مَن فيه ثلاث خصال : إحداها التجرّد للعلم و الحرص عليه ، فإنّ المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام و إزالة الشكوك إذا عرضت ، و الثانية الذّكاء و الفطنة و الفصاحة ، فإنّ البليد لاينتفع بفهمه و الفَدْم [1] لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام و لا يرجى فيه نفعه ، و الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح و الدّيانة و التقوى و لا يكون الشهوات عليه غالبة فإنّ الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عنه الدّين و إنّ ذلك يحلّ عنه الحجر و يرفع السدّ بينه و بين الملاذ ، فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلّص من أعباء التكليف ، فيكون ما يفسده مِثلُ هذا المتعلّم أكثر ممّا يصلحه ، و إذا عرفت هذه الانقسامات اتّضح لك أنّ الحجّة المحمودة في الكلام إنّما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللّطيفة المؤثّرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات و التدقيقات الّتي لايفهمها أكثر الناس و إذا فهموها اعتقدوا أنّها شعبدة و صنعة تعلّمها صاحبها للتلبيس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه، وعرفت أنّ السلف إنّما منعوا عن الخوض فيه و التجرّد له لما فيه من الضرر الّذي نبّهنا عليه و أنّ ما نقل عن ابن عبّاس من مناظرة الخوارج و ما نقل عن علي عليه السلام من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجليّ الظاهر وفي محلّ الحاجة و ذلك محمود في كلّ حال .

نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة و قلّتها و لايبعد أن يختلف الحكم لذلك

---

(١) الفدم : العاجز عن التكلم ، والعي عن الكلام .

فهذا كلّه حكم العقيدة الّتي تعبّد الخلق بها و حكم طريق النضال عنها و حفظها، و أمّا إزالة الشُّبه و كشف الحقائق و معرفة الأشياء على ما هي عليها و إدراك الأسرار الّتي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقائدفلامفتاح لها إلّا المجاهدة وقمع الشهوات، والإقبال بالكلّيّة على الله، و ملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات و هي رحمة من الله تعالى تفيض على من يتعرّض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرّض، وبقدر قبول المحلّ وطهارة القلب، فذلك البحر الّذي لايدرك غوره و لايبلغ ساحله.

﴿ فصل ﴾

قال: «فإن قلت: هذا الكلام يشير إلى أنّ هذه العلوم لها ظواهر و أسرار و بعضها جليّ يبدو أوّلاً و بعضها خفيّ يتّضح أخيراً بالمجاهدة و الرياضة، و الطلب الحثيث، و الفكر الصافي، و السرّ الخالي عن كلّ شيء من أشغال الدّنيا سوى المطلوب و هذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهرٌ و باطنٌ و سرٌّ و علنٌ بل الظاهر و الباطن و السرّ و العلن واحد، فاعلم أنّ انقسام هذه العلوم إلى خفيّة وجليّة لاينكرها ذو بصيرة و إنّما ينكرها القاصرون الّذين تلقّفوا أوّل الصبا شيئاً و جمدوا عليه فلم يكن لهم ترقّ إلى شأو العلى [(١)] و مقامات العلماء والأولياء و ذلك ظاهر من أدلّة الشرع، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ للقرآن ظاهراً و باطناً و حدّاً و مطلعاً» [(٢)].

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم النّاس على قدر عقولهم» [(٣)].

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما حدّث أحدٌ قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلّا كان فتنةً عليهم» [(٤)].

---

(١) الشأو ـ مصدر ـ: الامد. الغاية، ويقال: فلان بعيد الشأو اى عالى الهمة.

(٢) راجع المجلد التاسع عشر من البحار باب أن للقرآن ظهراً و بطناً و أورده بمختلف ألفاظه.

(٣) رواه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٢٣ تحت رقم ١٥ والصدوق فى الامالى ص ٢٥١.

(٤) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه ص ٩.

و قال علي عليه السلام ـ وأشار إلى صدره ـ : «إنّ ههنا علوماً جمّة لو وجدت لها حملة»[1].

و قال الله تعالى : « و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلّا العالمون »[2].

و قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً »[3].

فليت شعري إن لم يكن ذلك سرّاً منع من إفشائه لقصور الأفهام عن دركه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم فلاشكّ في أنّهم كانوا يصدّقونه لو ذكره لهم ، و قال ابن عبّاس في قوله تعالى : « الله الّذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ »[4]: لو ذكرت تفسيره لرجمتموني . وفي لفظ آخر لقلتم : إنّه كافر .

و قال سهل التستري : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، و علم باطن لايسعه إظهاره إلّا لأهله ، و علم هو بينه و بين الله لايظهره لأحد ، و قال بعض العارفين : إفشاء سرّ الربوبيّة كفر ؛ و قال بعضهم : للربوبيّة سرّ لو أظهر لبطلت النبوّة وللنبوّة سرّ لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سرّ لو أظهروه لبطلت الأحكام ، و هذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوّة في حقّ الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحقّ بل الصّحيح أنّه لاتناقض وأنّ الكامل من لايطفىء نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوّة ».

أقول : و قد أسلفنا في الباب الثاني من كتاب العلم عند ذكر تفصيل علم الآخرة أحاديث من أهل البيت عليهم السلام من هذا القبيل .

﴿ فصل ﴾

فإن قلت : هذه الآيات و الأخبار يتطرّق إليها تأويلات فبيّن كيفيّة اختلاف الظاهر و الباطن فإنّ الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع و هو قول من قال : إنّ الحقيقة خلاف الشريعة و هو كفر لأنّ الشريعة عبارة عن الظاهر ، و الحقيقة عن الباطن و إن كان لايناقضه ولايخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولايكون للشرع سرّ

(١) نهج البلاغة ح ١٤٧ . (٢) العنكبوت : ٤٣ .
(٣) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص ٢٥٧ و ٣١٢ و ٤٣٢ .
(٤) الطلاق : ١٢ .

لايفشى بل يكون الخفيّ و الجليّ واحداً ، فاعلم أن هذا السؤال يحرّك خطباً عظيماً و ينجرّ إلى علم المكاشفة و يخرج عن مقصود علم المعاملة و هو غرض هذا الكتاب فإنّ هذه العقائد الّتي ذكرناها من أعمال القلوب و قد تعبّدنا بتلقّيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لابأن يتوصّل إلى أن ينكشف لنا حقائقها ، فإنّ ذلك لم يكلّف به كافّة الخلق ، و لو لاأنّه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ، و لولا أنّه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأوّل من الكتاب وإنّما الكشف الحقيقي هو صفة سرّ القلب و باطنه و لكن إذا انجرّ الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلابدّ من كلام و جيز في حلّه ، فمَن قال : إنّ الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل أسرار الّتي يختصّ المقرّبون بدركها ولايشاركهم الأكثرون في علمها و يمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام :

الأوّل أن يكون الشيء في نفسه دقيقاً يكلّ أكثر الأفهام عن دركه فيختصّ بدركه الخواصّ ، وعليهم أن لايفشوه إلى غير أهله إذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك و إخفاء سرّ الروح و كفّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن بيانه من هذا القسم ، فإنّ حقيقته ممّا يكلّ الأفهام عن دركه ويقصر الأوهام عن تصوّر كنهه ، ولا تظنّنّ أنّ ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّ من لم يعرف الروح فكأنّه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربّه ، ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء و العلماء و إن لم يكونوا أنبياء و لكنّهم يتأدّبون بأدب الشرع فيسكتون عمّا سكت عنه بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما يقصر أفهام الجماهير عن دركه و لم يذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منها إلّا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتّى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهّموها إلى علمهم و قدرتهم إذا كانت لهم من الأوصاف ما يسمّى علماً و قدرة فيتوهّمون ذلك بنوع مقائسة ولو ذكر من صفاته ماليس للخلق ممّا يناسبه بعض المناسبة بشيء لم يفهموه بل لذّة الجماع إذا ذكرت للصّبيّ أو العنّين لم يفهمه إلّا بمناسبة إلى لذّة المطعوم الّذي يدركه و لا يكون ذلك فهماً على التحقيق ، و المخالفة بين علم الله و قدرته و علم الخلق و قدرتهم أكثر من المخالفة بين لذّة الجماع و الأكل ، و بالجملة فلا يدرك

الإنسان إلّا نفسه و صفات نفسه ممّا هو حاضر له في الحال أو ممّا كان له من قبل، ثمّ بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره، ثمّ قد يصدّق بأنّ بينهما تفاوتاً في الشرف و الكمال، فليس في قوّة البشر إلّا أن يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيره من الصفات مع التصديق بأنّ ذلك أكمل و أشرف، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختصّ الربّ تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١) و ليس المعنيّ به أنّي أعجز عن التعبير عمّا أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله و لذلك قال بعضهم: ما عرف الله بالحقيقة سوى الله و قال آخر: «الحمد لله الّذي لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته» و لنقبض عنان الكلام عن هذا النمط و لنرجع إلى الغرض و هو أنّ أحد الأقسام ما يكلّ الأفهام عن دركه و من جملته الروح، ومن جملته بعض صفات الله تعالى، و لعلّ الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كلّ من أدركه بصره».

القسم الثاني من الخفيّات الّتي يمتنع الأنبياء و الصدّيقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكلّ الفهم عنه ولكنّ ذكره يضرّ بأكثر المستمعين و لا يضرّ بالأنبياء و الصدّيقين و سرّ القدر الّذي منع أهل العلم به عن إفشائه من هذا القسم ولا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرّاً ببعض الخلق كما يضرّ نور الشمس بأبصار الخفافيش و كما يضرّ رياح الورد بالجُعَل.

و لو قال قائل: إنّ القيامة لو ذُكر ميقاتها و أنّها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقلّ لكان مفهوماً ولكن لم يذكره لمصلحة العباد و خوفاً من الضرر و لعلّ المدّة إليها بعيدة فيطول الأمن، و إذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّ اكتراثها أو لعلّها كانت قريبة في

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب الدعاء فى الركوع والسجود ج ١ ص ٢٠٣ وقوله: «لاحصى ثناء عليك» ولعل المعنى أنه ليس فى قدرتى شكرك الواجب على لان شكرى لك هو نعمة منك على فكيف بشكرها. و أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ٥١.

(٢) راجع كتاب السماء والعالم من بحار الانوار الباب السادس نقله بالفاظ مختلفة عن الفريقين.

علم الله و لو ذكرت لعظم الخوف و أعرض الناس عن الأعمال و خربت الدنيا فهذا المعنى لو اتّجه و صحّ فيكون مثالاً لهذا القسم.

القسم الثالث أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحاً لفهم و لم يكن فيه ضرر و لكن يكنّى عنه على سبيل الاستعارة و الرّمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب و له مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل: رأيت فلاناً يقلّد الدرّ في أعناق الخنازير، و كنّي به عن إفشاء العلم و بثّ الحكمة إلى غير أهلها، فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهره، والمحقّق إذا نظر وعلم أنّ ذلك الإنسان لم يكن معه درّ ولاكان في موضعه خنزير تفطّن لدرك السرّ والباطن فيتفاوت الناس بذلك، و هذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة الّتي يتضمّن عين المعنى أو مثله و منه قوله عليه السلام: «إنّ المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النّار»(١) و أنت ترى أنّ مساحة المسجد لا ينقص بالنخامة و معناه أنّ روح المسجد و معناه كونه معظّماً و رمي النخامة تحقير فيضادّ معنى المسجديّة مضادّة النّار لاتّصال أجزاء الجلدة و كذلك قوله عليه السلام: «أما يخشى الّذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار»(٢) و ذاك من حيث الصورة لم يكن قطّ ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته للونه و شكله بل لخاصيّته و هي البلادة و الحمق، و من رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الّذي هو قالب المعنى إذمن غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدّم فانّهما متناقضان وإنّما يعرف هذا السرّ على خلاف الظاهر إمّا بدليل عقليّ أو شرعيّ، أمّا العقلي بأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»(٣) إذ فتّشنا عن صدور المؤمنين فليست فيها أصابع فعلم أنّها كناية عن القدرة الّتي هي سرّ الأصبع و روحها الخفي و كنّي بالأصبع عن القدرة لأنّ ذلك أعظم وقعاً في تفهيم

(١) المجازات النبوية للشريف الرضي ص ١٣٣.

(٢) الحديث متفق عليه كما في مشكاة المصابيح ص ١٠٢.

(٣) قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث عمر و فيه «قلب العبد».

تمام الاقتدار، و من هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله تعالى: «إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»[١] فإنّ ظاهره ممتنع إذ قوله: «كن» إن كان خطاباً مع الشيء قبل وجوده فهو محالٌ إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتّى يمتثل، و إن كان بعد الوجود فهو يستغني عن التكوين و لكن لمّا كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها، وأمّا المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكناً ولكن يروى أنّه أُريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى: «أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها» - الآية -[٢] وأنّ معنى الماء هو القرآن، ومعنى الأودية القلوب و أنّ بعضها احتملت شيئاً كثيراً و بعضها قليلاً و بعضها لم يحتمل، و الزبد مثل للكفر فإنّه و إن ظهر وطفا[٣] على رأس الماء فإنّه لا يثبت، و الهداية الّتي تنفع الناس تمكث، و في هذا القسم تعمّق جماعة فأوّلوا ما ورد في الآخرة من الميزان و الصراط و غيرهما، و هو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية و إجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر».

أقول: تأويل الميزان و الصراط ليس ببدعة على طريقتنا لوروده عن أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كما أشرنا إليه فيما قبل و قد بيّنّا ذلك بما لا مزيد عليه في رسالة عليحدة.

«القسم الرابع أن يدرك الإنسان الشيء جملة، ثمّ يدركه تفصيلاً بالتحقيق و الذوق بأن يصير حالاً ملابساً له فيتفاوت العلمان فيكون الأوّل كالقشر، و الثاني كاللّبّ، و الأوّل كالظاهر، و الآخر كالباطن، و ذلك كما يتمثّل للإنسان في عينه شخصٌ في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما و لا يكون الأخير ضدّ الأوّل بل هو استكماله فكذلك في العلم و الإيمان و التصديق إذ قد يصدّق الإنسان بوجود العشق و المرض و الموت قبل وقوعه ولكن تحقّقه به عند الوقوع أكمل من تحقّقه قبل الوقوع، بل للإنسان في الشهوة

(١) النحل: ٤٠. (٢) الرعد: ١٧.

(٣) أي علا فوق الماء ولم يرسب.

و العشق و سائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة ، الأوّل تصديقه بوجوده قبل وقوعه ، والآخر عند وقوعه ، والآخر بعد تصرّمه ، فان تحقّقك بالحوع بعد الزوال يخالف التحقّق به قبل الزوال ، فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقاً فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ، ففرق بين علم المريض بالصحّة وبين علم الصحيح بها ، ففي هذه الأقسام الأربعة يتفاوت الخلق و ليس في شيء منه باطن يناقض الظاهر بل يتمّمه و يكمّله كما يتمّم اللبُّ القشر .

القسم الخامس أن يعبّر بلسان المقال عن لسان الحال ، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر و يعتقده نطقاً ، و البصير بالحقائق يدرك السرّ فيه و هذا كقول القائل : قال الجدار للوتد : لم تشقّني ؟ قال : سل من يدقّني فلم يتركني ورائي ، الحجر الّذي ورائي ، فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين »(١) فالبليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدّر لهما حياة وعقلاً و فهماً للخطاب وخطاباً هو صوت و حرف تسمعه الأرض وتجيب بصوت وحرف وتقول : أتينا طائعين ، و البصير يعلم أنّ ذلك لسان الحال و أنّه نبأ عن كونها مسخّرة بالضرورة و مضطرّة إلى التسخّر ، و من هذا قوله تعالى : « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده »(٢) فإنّ البليد يفتقر فيه إلى أن يقدّر للجماد حياة و عقلاً و نطقاً بصوت و حرف حتّى يقول : «سبحان الله » ليتحقّق تسبيحه ، والبصير يعلم أنّه ما اُريد به نطق اللّسان بل كونه مسبّحا بوجوده ، و مقدّساً بذاته ، و شاهداً بوحدانيّة الله تعالى كما يقال :

و في كلّ شيءٍ له آيةٌ ❊ تدلّ على أنّه واحد

و كما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصاحبها بحسن التدبير و كمال العلم ، لا بمعنى أنّها تقول : «أشهد» و لكن بالذّات و الحال ، فكذلك ما من شيء إلّا و هو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده و يبقيه و يديم أوصافه و يردّده في أطواره ، فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس ، يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على

---

(١) فصلت : ١١ (٢) الاسراء : ٤٤ .

الظواهر و لذلك قال تعالى : « و لكن لاتفقهون تسبيحهم » (١) أمّا القاصرون فلايفهمون أصلاً ، و أمّا المقرّبون و العلماء الراسخون فلا يفهمون كنهه و كماله إذ لكلّ شيء شهادات شتّى على تقديس الله و تسبيحه و يدرك كلٌ واحد بقدر رزقه و بصيرته ، و تعداد تلك الشهادات لايليق بعلم المعاملة ، فهذاأيضاً ممّا يتفاوت أرباب الظواهر و أرباب البصائر في علمه و تظهر به مفارقة الباطن للظاهر ، و في هذا المقام لأرباب المقامات إسراف و اقتصادٌ ، فمن مسرف في دفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر أو أكثرها حتّى حملوا قوله تعالى : « تكلّمنا أيديهم و تشهد أرجلهم » (٢) و قوله : « و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء » (٣) و كذلك المخاطبات الّتي تجري من منكر و نكير ، و في الميزان و الحساب ، ومناظرات أهل النار ، و أهل الجنّة في قولهم : « أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله » (٤) زعموا أنّ كلّ ذلك لسان الحال و غلا آخرون في حسم الباب (٥) منهم أحمد بن حنبل حتّى منع من تأويل قوله « كن فيكون » (٦) و زعم أنّ ذلك خطابٌ بحرف و صوت يوجد من الله تعالى في كلّ لحظة بعد د كلّ مكوّن حتّى سمعتُ بعض أصحابه يقول : إنّه حسم باب التأويل إلّا لثلاثة ألفاظ : قوله عليه السلام : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » (٧) و قوله عليه السلام : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرّحمن (٨) » وقوله عليه السلام : « إنّي لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن » (٩) . ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر ، و الظنّ بأحمد بن حنبل أنّه علم أنّ الاستواء ليس هو الاستقرار ، والنزول ليس هو الانتقال ، ولكنّه منع من التأويل حسماً للباب ، ورعاية لصلاح الخلق فإنّه إذا فتح الباب اتّسع الخرق على الراقع وخرج عن الضبط و جاوز الاقتصاد إذحدُّ الاقتصاد لا ينضبط ، ولابأس بهذا الزجر و يشهد له سيرة

(١) الاسراء : ٤٤ . (٢) يس : ٦٥ .
(٣) فصلت : ٢١ . (٤) الاعراف : ٥٠ .
(٥) الحسم : القطع . (٦) يس : ٨٢ .
(٧) الجامع الصغير باب الحاء عن الخطيب رواه فى تاريخه ، ورواه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤٥٧ بنحو أبسط . (٨) مر سابقاً .
(٩) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة كما فى المغنى .

السلف فإنّهم كانوا يقولون : أقرّوها كما جاءت حتّى قال مالك لمّا سئل عن الاستواء قال : الاستواء معلوم و الكيفيّة مجهولة ، و الإيمان به واجبٌ ، و السؤال عنه بدعة ، وذهب طائفة إلى الاقتصاد ففتحوا باب التأويل في كلّ ما يتعلّق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلّق بالآخرة على ظواهرها و منعوا من التأويل و هم الأشعريّة و زاد المعتزلة عليهم حتّى أوّلوا من صفات الله الرؤية ، و أوّلوا كونه سميعاً بصيراً ، و أوّلوا المعراج و زعموا أنّه لم يكن بالجسد و أوّلوا عذاب القبر والميزان و الصراط و جملةً من أحكام الآخرة و لكن أقرّوا بحشر الأجساد و بالجنّة و اشتمالها على المأكولات و المشروبات و المنكوحات و الملاذّ المحسوسة ، وبالنّار و اشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ، و يذيب الشحوم ، و من ترقّيهم إلى هذا الحدّ زاد الفلاسفة فأوّلوا كلّما ورد في الآخرة وردّوها إلى آلام عقليّة روحانيّة ولذّات عقليّة ، وأنكروا حشر الأجساد ، و قالوا ببقاء النفوس و أنّها تكون إمّا معذّبة و إمّا منعّمة ، بعذاب و نعيم لا يدرك بالحسّ ، و هؤلاء هم المسرفون ، و حدُّ الاقتصاد ما بين هذا الانحلال و بين جمود الحنابلة دقيقٌ غامضٌ لا يطّلع عليه إلّا الموفّقون الّذين يدركون الاُمور بنور إلهيّ لا بالسّماع، ثمّ إذا انكشف لهم أسرار الاُمور على ما هي عليها نظروا إلى السمع و الألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه و ما خالف أوّلوه ، فأمّا من يأخذ معرفة هذه الاُمور من السمع المجرّد فلا يستقرّ له فيه قدم ، و لا يتعيّن له موقف ، و الأليق بالمقتصر على السمع المجرّد مقام أحمد بن حنبل ، و الآن فكشف الغطاء عن حدّ الاقتصاد في هذه الاُمور داخلٌ في علم المكاشفة و القول فيه يطول فلانخوض فيه و الغرض بيان موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة» .

﴿ فصل ﴾

أقول : و إنّما ينكشف هذه الأسرار على القلوب بقدر قوّة الإيمان واليقين فيها وذلك إنّما يكون بقدر العلم الّذي به حياة القلب و هو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع

الحجاب بينه و بين الله جلّ جلاله . « الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور »[١] « أومن كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »[٢] ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه ، و هذا النور قابل للقوّة و الضعف و الاشتداد و النقص كسائر الأنوار « و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً »[٣] « و قل ربّ زدني علماً »[٤].

«الإيمان درجات و طبقات و منازل فمنه التامّ المنتهي تمامه و منه الناقص البيّن نقصانه و منه الراجح الزائد رجحانه » كذا قال مولانا الصادق عليه السلام[٥]. و كلّما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوي الإيمان و يتكامل إلى أن ينبسط نوره فينشرح صدره و يطّلع على حقائق الأشياء و يتجلّى له الغيوب و يعرف كلّ شيء في موضعه فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً و تفصيلاً على حسب نوره و بمقدار انشراح صدره ، و ينبعث من قلبه داعية العمل بكلّ مأمور و الاجتناب عن كلّ محظور ، فيضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة و الملكات الحميدة ، « نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم » « نور على نور » و كلّ عبادة تقع على وجهها تورث في القلب صفاءً يجعله مستعدّاً لحصول نور فيه و انشراح و معرفة و يقين ثمّ ذلك النور و المعرفة و اليقين تحمله على عبادة أخرى و إخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر و انشراحاً أتمّ و معرفة أخرى و يقيناً أقوى و هكذا إلى ماشاء الله جلّ جلاله ، و مثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلّما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لإضاءة قطعة أخرى منه و هكذا و في الحديث النبوي صلّى الله عليه وآله : « من علم و عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم »[٦]، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام « انّ الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نما و زاد حتّى يبيضّ القلب كلّه وانّ النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات زادت حتّى يسود القلب كلّه فيطبع على قلبه فذلك الختم و تلا « كلاّ بل ران

(١) البقرة : ٢٥٧ . (٢) الانعام : ١٢٢ .

(٣) الانفال : ٣ . (٤) طه : ١١٤ .

(٥) رواه الكليني في الكافي ج٢ ص ٣٨ تحت رقم ٧ في حديث طويل عن العالم عليه السلام .

(٦) قد مر في ص ١٤٨ عن أبي نعيم في الحلية .

على قلوبهم ما كانوا يكسبون »[١] .

قال أبو حامد : « و العمل يؤثّر في نماء تصميم الاعتقاد و زيادته كما يؤثّر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى : « فزادهم إيماناً »[٢] وقال : « زادتهم إيماناً »[٣] و قال : « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »[٤] و قد قال صلى الله عليه وآله فيما روي في بعض الأخبار : « الإيمان يزيد و ينقص »[٥] فذلك بتأثير الطاعات في القلب ، و هذا لا يدركه إلّا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة ، والتجرّد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور و إدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال ، بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه و تلطّف له أدرك من باطنه تأكّد الرحمة و تضاعفها بسبب العمل ، و كذلك معتقدالتواضع إذا عمل بموجبه مقبلاً أو ساجداً لغيره أحسّ من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة و هكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثمّ يعود أثرالأعمال عليها فيؤكّدها و يزيدها . وسيأتي هذا في ربع المنجيات و المهلكات عند بيان وجه تعلّق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد و القلوب » انتهى كلامه .

و لقد طوّل الكلام في الفرق بين الإيمان و الإسلام ومعانيهما و مراتبهما ، وما جاء في ذلك من اختلاف الأنام ، و ما يترتّب عليهما من الأحكام ، وغير ذلك ممّا ليس فيه كثير طائل بعد الاطّلاع على ما حقّقناه و على ما نورده في فصل آخر موجز على منهاج آخر غير ما سلكه ، وبالله التوفيق .

---

(١) المطففين : ١٣ . والخبر روى المفيد نحوه فى الاختصاص ص ٢٤٣ عن أبى عبدالله عليه السلام و أيضاً راجع بحار الانوار ج ١٥ (طبع الكمبانى) باب آثار الذنوب .

(٢) آل عمران : ١٧٣ .　(٣) الانفال : ٣ .

(٤) فتح : ٤ .

(٥) راجع صحيح البخارى ج١ ص ١٨ باب زيادة الايمان و نقصانه .

﴿فصل﴾

إنّ أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشكوك و الشبه على اختلاف مراتبها و يمكن معها الشرك «وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون»(١) وعنها يعبّر بالإسلام في الأكثر «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم»(٢).

و عن الصادق عليه السلام «الإيمان أرفع من الإسلام بدرجة»(٣)،

«إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لايشارك الإيمان في الباطن و إن اجتمعا في القول والصفة وأواسطها تصديقات لايشوبها شكّ و لاشبهة «الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا»(٤)، وأكثر إطلاق الإيمان عليها خاصّة «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون»(٥)، و أواخرها تصديقات كذلك مع كشف و شهود و ذوق و عيان و محبّة كاملة لله سبحانه و شوق تامّ إلى حضرته المقدّسة، «يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين» «ولا يخافون (في الله) لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(٦) و عنها العبارة تارة بالإحسان «الإحسان أن تعبدالله كأنّك تراه»(٧) و الأخرى بالإيقان «و بالآخرة هم يوقنون»(٨) و إلى المراتب الثلاث الاشارة بقوله تعالى: «ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثمّ اتّقوا و آمنوا ثمّ اتّقوا و أحسنوا والله يحبّ المحسنين»(٩) و إلى مقابلاتها الّتي

---

(١) يوسف: ١٠٦ (٢) الحجرات: ١٤.

(٣) راجع الكافي ج ٢ باب فضل الايمان على الاسلام.

(٤) الحجرات: ١٥.

(٥) الانفال: ٢. (٦) المائدة: ٥٤.

(٧) مسند أحمد ج ١ ص ٢٧. (٨) البقرة: ٤.

(٩) المائدة: ٩٣.

هي مراتب الكفر الإشارة بقوله عزّ وجلّ: «إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً»(١) فنسبة الإحسان واليقين إلى الإيمان كنسبة الإيمان إلى الإسلام. قال الصادق عليه السلام: «إنّ الإيمان أفضل من الإسلام، وإنّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعزّ من اليقين»(٢) ولليقين ثلاث مراتب علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين «كلاّ لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين»(٣) «إنّ هذا لهو حقّ اليقين»(٤) و الفرق بينهما إنّما ينكشف بمثال فعلم اليقين بالنار مثلاً مشاهدة المرئيّات بتوسط نورها وعين اليقين بما هو معاينة جرمها، وحقّ اليقين بها الاحتراق فيها و الصيرورة ناراً و ليس وراء هذا غاية و لاهو قابل للزيادة «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

هذا آخر الكلام في كتاب قواعد العقائد من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء و يتلوه كتاب أسرار الطهارة و مهمّاتها والحمدلله أوّلاً و آخراً وظاهراً و باطناً.

﴿كتاب أسرار الطهارة﴾

﴿ومهماتها﴾

(و هو الكتاب الثالث من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي تلطّف بعباده، فتعبّدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم، تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالرقّة واللّطافة، و الصلاة على محمّد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم و أكنافه، و على آله الطيّبين

(١) النساء: ١٣٧.
(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ١ ص ٥١ تحت رقم ١.
(٣) التكاثر: ٥ و ٦ و ٧. (٤) الواقعة: ٩٥.

الطّاهرين، تحمينا بركاتها يوم المخافة، و تنصب جنّة بيننا و بين كلّ آفة.

أمّا بعدفقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الدين على النظافة»[١]؛ وقال: «مفتاح الصّلاة الطهور»[٢]، و قال الله تعالى: «رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطّهّرين»[٣]؛ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الطهور نصف الإيمان»[٤] و قال تعالى: «ما يريدالله ليجعل عليكم من حرج و لكن يريد ليطهّركم»[٥].

فيتفطّن ذوو البصائر بهذه الظواهر أنّ أهمّ الأمور تطهير السرائر؛ إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الطهور نصف الإيمان» عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء، وتخريب الباطن و إبقائه مشحوناً بالأخباث و الأقذار، هيهات هيهات.

و الطهارة لها أربع مراتب: الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث و الأخباث و الفضلات؛ الثانية تطهير الجوارح من الجرائم و الآثام؛ الثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة و الرذائل الممقوتة؛ الرابعة تطهير السرّ عمّا سوى الله و هي طهارة الأنبياء عليهم السلام و الصدّيقين.

و الطهارة في كلّ رتبة نصف العمل الّذي فيها، فإنّ الغاية القصوى في عمل السرّ أن ينكشف له جلال الله وعظمته، ولن تحلّ له معرفة الله بالحقيقة في السرّ مالم يرتحل ما سوى الله، ولذلك قال الله تعالى: «قل الله ثمّ ذرهم»[٦] لأنّهما لايجتمعان في قلب «و ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه»[٧].

---

(١) قال العراقي: لم أجده هكذا، وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة «تنظفوا فان الاسلام نظيف». والطبراني في الاوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود «النظافة تدعوا الى الايمان» انتهى كلامه.

(٢) أخرجه الترمذي ج ٢ ص ١٥. و أحمد في المسند ج ١ ص ١٢٣.

(٣) التوبة: ١٠٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٦٠، وج ٥ ص٣٤٢. و صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٠ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٦٧ «الطهور شطر الايمان».

(٥) المائدة: ٦.

(٦) الانعام: ٩١.

(٧) الاحزاب: ٤.

و أمّا عمل القلب ، فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة و العقائد المشروعة ولن يتّصف بها مالم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة ، و الرذائل المذمومة ، فتطهيره أحد الشطرين و هو الشطر الأوّل الّذي هو شرط في الثاني ، فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى ، و كذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين ، و عمارتها بالطاعات الشطر الثاني ، و هذه مقامات الإيمان ، و لكلّ مقام طبقة ، ولن ينال العبد الطبقة العالية إلّا أن يجاوز الطبقة السافلة ، فلايصل إلى طهارة السرّ عن الصفات المذمومة و عمارته بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم و عمارته بالمحمود ، و لن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي و عمارتها بالطاعات ، و كلّما عزّ المطلوب و شرف صعب مسلكه و طال طريقه و كثرت عقباته ، ولا تظنّنّ أنّ هذا الأمر يدرك بالمنى ، وينال بالهوينا (١) .

نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلّا الدرجة الأخيرة الّتي هي كالقشر الأخير بالإضافة إلى اللّبّ المطلوب ، فصار يمعن فيه و يستقصي في مجاريه ، و يستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء و غسل الثياب و تنظيف الظاهر و طلب المياه الجارية الكثيرة ، ظنّاً منه بحكم الوسوسة و خبل العقل أنّ الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه نتط و جهلاً بسيرة الأوّلين و استغراقهم جميع الهمّ والفكر في تطهير القلوب ، و تساهلهم في أمر الظاهر حتّى أنّهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات و الأطعمة ، بل كانوا يتمسّحون أصابعهم بأخمص أقدامهم ، و عدّوا الأشنان من البدع المحدثة ، ولقد كانوا يصلّون على الأرض في المساجد و يمشون حفاة في الطرقات ، و من كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم ، وكانوا يجعلون الصلاة في النعلين أفضل ، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء ، وكانوا يأكلون من دقيق البرّ و الشعير و هو يداس بالدوابّ و تبول عليه ، و لا يحترزون من عرق الإبل و الفرس مع كثرة تمرّغها في النجاسات و لم ينقل قطّ

(١) الهوينا تصغير الهونى تأنيث الاهون وهو من الهون : الرفق واللين والمراد هنا التهاون فى امرالدين و ترك الاهتمام فيه .

من واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات ، فهكذا كان تساهلهم فيها .

وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمّون الرعونة نظافة ، ويقولون : هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها ، و الباطن خراب مشحون بخبائث الكبر و العجب و الجهل والرياء والنفاق ، و لايستنكرون ذلك و لايتعجّبون منه ، ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أومشى على الأرض حافياً أوصلّى على الأرض أو على بواري المساجد من غير سجّادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم أوتوضّأ من آنية عجوز ، أو رجل غير متقشّف أقاموا فيه القيامة و شدّدوا عليه النكير ولقّبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم ، واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته ، فسمّوا البذاذة الّتي هي من الإيمان قذارة ، و الرعونة نظافة ، فانظر كيف صار المنكر معروفاً و المعروف منكراً ، و كيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه و علمه .

﴿ فصل ﴾

فإن قلت : فتقول : إنّ هذه العادات الّتي أحدثها الصوفيّة في هيئاتهم و نظافتهم من المحذورات والمنكرات ، فأقول : حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ، ولكنّني أقول : هذا التكلف و التنظيف بإعداد الأواني و الآلات و استعمال غلاف القدم و الإزار المتقنّع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرّد ، فهي من المباحات و قديقترن بها أحوال و نيّات ، تلحقها تارة بالمعروف و تارة بالمنكرات ، وأمّا كونه مباحاً في نفسه فلا يخفى إذصاحبه متصرّف به في ماله و بدنه و ثيابه فليفعل به ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة و إسراف ، وأمّا مصيره منكراً فبأن يجعل ذلك أصل الدين و تفسير قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « بني الدين على النظافة » حتّى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأوّلين أوأن يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق ، و تحسين موقع نظرهم ، فإنّ ذلك هو الرياء المحظور ، فيصير منكراً بهذين الاعتبارين ، وأمّا كونه معروفاً فبأن يكون القصد منه الخير دون التزيّن ، وأن لاينكر على من ترك

ذلك ، ولا يؤخّر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ، و لا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه ، أو عن تربية علم أو غيره ، فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح ، يمكن أن يجعل قربة بالنيّة ، ولكن لا يتيسّر ذلك إلّا للبطّالين ، الّذين لولم يشتغلوا بصرف الأوقات إليه ، اشتغلوا بنوم أوحديث فيما لا يعني ، فيصير شغلهم به أولى لأنّ التشاغل بالطهارات يجدّد ذكرالله وذكر العبادات ، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر و إسراف و أمّا أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلّا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقّهم و تضييع للعمر الّذي هو أنفس الجواهر و أعزّها في حقّ من قدر على الانتفاع به، ولا تتعجّب من ذلك فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين ، فلاينبغي للبطّال أن يترك النظافة و ينكر على المتصوّفة ، و يزعم أنّه يتشبّه بالصحابة إذا التشبّه بهم في أن لا يتفرّغ له عمّا هو أهمّ منه ، فلهذا لا أرى للعالم ولا للعامل أن يضيّع وقته في غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة ، وتوهّماً بالقصار تقصيراً في الغسل ، فقد كانوا في العصر الأوّل يصلّون في الفرا المدبوغة ، و كم من الفرق بين المدبوغة و المقصورة في الطهارة و النجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ، ولا يدقّقون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأمّلون في دقائق الرياء و الظلم ، و كانوا يعدّون بحام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات ،ولووجد العالم عامياً يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل ، فإنّه بالإضافة إلى التساهل خير ، وذلك العاميّ ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمّارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال ، والنفس إن لم تشغل شغلت صاحبها ؛ و إذا قصد به التقرّب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرف إلي مثله فيبقى محفوظاً عليه ، وأشرف وقت العاميّ أن يشتغل بمثله ، فيتوفّر الخير من الجوانب وليفطّن بهذه الأمثال لنظائره من الأعمال ، وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهمّ من التدقيق في أموال الدنيا بحذا فيرها ، وإذا عرفت هذه المقدّمة و استثبت أنّ الطهارة لها أربع مراتب فاعلم أنّ في هذا الكتاب لسنا نتكلّم إلّا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر

لأنّا في الشطر الأوّل من الكتاب لا نتعرّض قصداً إلّا للظواهر ، فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث ، و طهارة عن الحدث ، و طهارة عن فضلات البدن ، وهي الّتي تحصل بالقلم و الاستحداد [(١)] و استعمال النورة والختان وغيره .

القسم الاول : في طهارة الخبث ، و النظر فيه يتعلّق بالمزال ، و المزال به ، و الإزالة . الطرف الأوّل في المزال وهي النجاسات» .

أقول : و لندع الآن ما أفتاه أبو حامد على مذاهب العامّة وأصحاب الرأي إلّا مالا بأس به منه و لنتكلّم على طريقة أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم ، فنقول : و بالله التوفيق :

النجاسات الّتي تجب إزالتها عن الثوب و البدن للصلاة والطواف وعن المساجد والمصاحف وجلودها و أكياسها ولفائفها ، والضرائح المقدّسة ، وكسوتها ، وما يلقي عليها وعن المأكول و المشروب ، والأواني المتوقّف استعمالها فيهما ، أو في الطهارة عليها هي « الدّم » و « المني » من ذي النفس سوى الدّم المتخلّف في المذبوح بعد القذف المعتاد فإنّه طاهر حلال ، و « البول » و « الغائط » من غير المأكول أصالة أولعارض كالجلّال و موطوء الإنسان و شارب لبن الخنزيرحتّى ينبت اللّحم سوى الطيرفإنّ فيه خلافاً قويّاً لقول الصادق عليه السلام : « كلّ شيء يطير لابأس بخرئه وبوله » [(٢)]. و « الميتة » إلّا العشرة الفقيدة الحياة ، و « المسكر » المائع أصالة من الخمر و غيرها على المشهور الأقوى ، و اُلحق به « الفقّاع » و إن لم يسكر لإطلاق الخمر عليه ، و ربّما يلحق به العصير العنبيّ إذا غلا ولو بالشمس حتّى يذهب ثلثاه و لم يثبت ، و « الكلب » و « الخنزير » غير المائيين ، و تعميم ابن إدريس ضعيف . و « الكافر » و إن أقرّ بالشهادتين كالخارج والناصب والمجسّم و الغالي على المشهور .

و حكم جماعة بطهارة أسئار أهل الكتاب لورود الأخبار الصحيحة بذلك ، وحملت على التقيّة ، و حكم الشيخ أبو جعفر : بنجاسة المجبّرة ، و السيّد المرتضى : بنجاسة

(١) الاستحداد استعمال الحديدة فى العانة .

(٢) رواه الكلينى - رحمه الله - فى الكافى ج ٣ ص ٥٨ تحت رقم ٩ . والخرء - بضم الخاء المعجمة - : العذرة جمع خروء ، والخبر أيضاً فى التهذيب ج١ ص ٧٥ .

المخالفين ، و ابن الجنيد : بنجاسة المذي عن شهوة ، ولبن الجارية ، و المفيد : بنجاسة عرق الجنب من الحرام ، وعرق الإبل الجلاّلة ، و بنجاسة الفارة ، والوزغة : وأبوالصلاح بنجاسة الثعلب والأرنب ، وسلاّر : بنجاسة المسوخ ، والكلّ شاذ .

و كلّ شيء غير ما ذكر فهو طاهر مالم يلاق شيئاً من النجاسات برطوبة ، وإن كان من الفضلات كالعرق ، والبصاق ، و المخاط ، والقيء ، و القيح ، و الودي ، والوذي ، و غيرها ، و كذا الدّم ، والمني من غير ذي النفس كالبعوض ، والبقّ ، و كذا البول ، و الروث ، من مأكول اللّحم ، و يكرهان من البغال ، و الحمير ، و الدوابّ ، و كذا زرق الدجاج ، و سؤر آكل الجيف ، و من لا يتوقّى النجاسة ، و ما اختلف في نجاسته و الحشرات ، والحديد ، والدم المتخلّف في اللّحم ، والقيء ، والقيح ، والمذي ـ و إن لم يكن من شهوة ـ والودي ، و طين الطريق بعد ثلاثة أيّام من انقطاع المطر ، و يعفى في الصلاة عمّالا يمكن تطهيره ، و عن نجاسة مالايتمّ الصلاة فيه منفردة ، و عمّادون الدرهم من الدّم ، و عن دم القروح و الجروح الّتي لاترقى و إن لم تعصب قلّ أم كثر ، ويشترط في وجوب الإزالة في الجميع العلم بالنجاسة فعن الصادق عليه السلام : « كلّ شيء نظيف حتّى تعلم أنّه قذر » (١) .

و الأحوط غسل المظنون ، و يستفاد من ظاهر الأخبار الاكتفاء فيه بالنضح و لو شكّ في الملاقات أولاقى مكروهاً رشّه بالماء استحباباً ، و كذا ملاقي الكلب يابساً ، و بول البعير و الشاة ، والأحوط في أبوال البغال ، والحمير و الدوابّ إزالته و لو جهل موضع الملاقات غسل كلّما وقع فيه الاشتباه وجوباً ، و إن لم يحكم بنجاسة كلّ جزء جزء .

الطرف الثاني في المزال به و هو إمّا ماء أو غيره ، أمّا الماء فهو طهور كلّه ، قال الله عزّ وجلّ : « و أنزلنا من السماء ماء طهوراً » (٢) ؛ و قال جلّ وعزّ : « وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهّركم به » (٣) و في الحديث النبويّ المستفيض « خلق الله

(١) أورده الصدوق في المقنع بلفظ « كل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر » مستدرك النوري ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) الفرقان : ٤٨ . (٣) الانفال : ١١ .

الماء طهوراً لا ينجّسه شيء إلّا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه »(١) و في الخبر الصحيح عن الصادق عليه السلام : « كلّما غلب الماء على ريح الجيفة فتوضأ من الماء واشرب ، فإذا تغيّر الماء و تغيّر الطعم فلا تتوضأ ولاتشرب »(٢) و عنه عليه السلام « الماء يطهّر ولايطهّر »(٣) و المستفاد منها و من كثير من الأخبار عن الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم و من شهادة الاعتبار و من إجماع المسلمين على جواز إزالة النجاسة بالماء القليل أنّ الماء لايخرج عن الطهارة و التطهير إلّا إذا استولت عليه النجاسة ، و حيث تغلبه على أحد أوصافه الثلاثة و لكنّ أكثر أصحابنا و طائفة من العامّة ذهبوا إلى أنّه إذا كان أقلّ من قدر كرّ أو قلّتين ينجّس بمجرّد ملاقاته لها ويروون في ذلك حديثاً ، أمّا أصحابنا فعن الصادق عليه السلام أنّه قال : « إذا كان الماء قدر كرّ لم ينجّسه شيء »(٤) ، و أمّا العامّة فعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : « إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل خبثاً »(٥) و هو الأحوط في العمل .

قال أبو حامد : « هذا مذهب الشافعيّ و كنت أودّ أن يكون مذهبه كمذهب مالك في أنّ الماء و إن قلّ فلا ينجّس إلّا بالتغير إذ الحاجة ماسّة إليه و مثار الوسواس اشتراط القلّتين ، ولأجله شقّ على النّاس ذلك و هو لعمري سبب المشقّة ويعرفه من يجرّبه و يتأمّله ، وممّالاأشكّ فيه أنّ ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسّر الطهارة مكّة و المدينة إذلايكثر فيهما المياه الجارية ولاالرّاكدة الكثيرة ، ومن أوّل عصر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة و لاسؤال عن كيفيّة حفظ الماء عن النجاسات ، و كانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان و الإماء و الّذين لايحترزون عن النجاسات ، ثمّ استدلّ على ذلك بوجوه ، ثمّ قال : فهذه الأمور مع الحاجة

(١) المعتبر للمحقق أبواب الطهارة وابن ادريس فى أول السرائر مرسلا وقال : قول الرسول صلى الله عليه و آله المتفق على روايته .

(٢) رواه الكلينى - رحمه الله - فى الكافى ج ٣ ص ٤ تحت رقم ٣ .

(٣) الحديث الاول من فروع الكافى .

(٤) رواه الكلينى - رحمه الله - فى الكافى ج ٣ ص ٢ تحت رقم ١ و ٢ .

(٥) أخرجه الشافعى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدار قطني والبيهقى وابن ماجه كما فى نيل الاوطار ج ١ ص ٤١ .

الشديدة تقوي في النفس أنّهم كانوا ينظرون إلى عدم التغيّر معوّلين على قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « خلق الماء طهوراً لا ينجّسه شيءٌ إلّا ماغيّر لونه أوطعمه أوريحه » و هذا فيه تحقيق ، و هو أنّ طبع كلّ مايع أن يقلّب إلى صفة نفسه كلّ ما يقع فيه و كان مغلوباً من جهته و كما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحاً و يحكم بطهارته لصيرورته ملحاً و زوال صفة الكلبيّة عنه ، فكذلك الخلّ يقع في الماء و اللّبن يقع فيه و هو قليل فيبطل صفته و يتّصف بصفة الماء و ينطبع بطبعه إلّا إذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه أولونه أو ريحه فهذا هو المعيار ، و قد أشار الشرع إليه في الماء القويّ على إزالة النجاسة فهو جدير بأن يعوّل عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهوراً إذ يغلب غيره فيطهّره كما صار كذلك فيما بعد القلّتين و في الغسالة و في الماء الجاري .

قال : « وأمّاقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لايحمل خبثاً » فهو في نفسه مبهم فإنّه يحمل إذاتغيّر ، فإن قيل : أراد به إذالم يتغيّرفيمكن أن يقال : أرادبه أنّه في الغالب لايتغيّربالنجاسات المعتادة و هو تمسّك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلّتين وترك المفهوم بأقلّ من الأدلّة الّتي ذكرناها ممكن ، وقوله : « لا يحمل خبثاً » ظاهره نفي الحمل أي يقلّبه إلى صفة نفسه كما يقال : المملحة لاتحمل كلباً ولاغيره ، أي ينقلب إلى صفته وذلك لأنّ الناس قديستنجون في المياه القليلة في الغدران (١) و يغمسون الأواني النجسة فيها ثمّ يتردّدون في أنّها تغيّرت تغيّراً مؤثّراً أم لا فيبيّن أنّه إذاكان قلّتين لايتغيّر بهذه النجاسات فإن قلت : فقد قال : « لا يحمل خبثاً » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنّها مهما كثرت حملها حكماً كما حملها حسّاً فلا بدّ من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً » .

أقول : المستفاد من أخبارنا أنّ الماء المستعمل في الطهارة من الحدث و الشرب اختياراً لابدّ له من مزيد اختصاص ولاسيّما المستعمل في الطهارة و أقلّه أن لا يلاقي شيئاً من النجاسات إن قلّ و على هذاجاز حمل ما يدلّ على انفعال الماء القليل بدون التغيّر على المنع من استعماله اختياراً في أحد الأمرين خاصّة دون سائر الاستعمالات ،

(١) الغدران جمع غدير وهي القطعة من الماء يغادرها السيل .

ويشهد لهذا ورود أكثرهفيهماوقد استوفيناالكلام في هذهالمسألةوفي حكم ماء البئرفي كتاب معتصم الشيعة في أحكام الشريعة فليرجع إليه من أراد الاطّلاع عليه ، وأمّا غير الماء فآلة الاستنجاء مطهّرة لمحلّه بشرط أن تكون طاهرة جافة قالعة منشفة ، والأرض تطهّر باطن الخفّ و النعل و أسفل القدم كما وردت به الروايات المستفيضة ، وعن الصادق عليه‌السلام « الأرض يطهّر بعضها بعضاً » (١) فذلك لاستحالة النجاسة و اضمحلالها بالوطىء عليها مرّة بعد اُخرى و انتقال بعضها إلى بعض و الاستحالة تطهّر الأعيان النجسة كأن تصير العذرة و الميتات تراباً أودوداً أورماداً أودخاناً أوفحماً و الكلب ملحاً و كذا الانقلاب كصيرورة الخمر خلاًّ سواء كان بعلاج أومن قبل نفسه ، و سواءكان ما يعالج به عيناً باقية أومستهلكة على خلاف في الباقية و إن كره العلاج كماورد في الخبر ، و في حكمهما انتقال دم الإنسان إلى البعوض و البقّ ، و صيرورة الكافر مسلماً و لو باللّحوق كمسبيّ المسلم ، والشمس تطهّر الأرض البورية والحصير من البول بالتجفيف على المشهور وقيل : بل إنّما تجوز الصلاة عليها فحسب فلولاقت شيئاً برطوبة نجّسته ، ولايخفى من قوّة و ربّما يلحق بالبول كلّ نجاسة مايعة و بالأرض و أخويها كلّ مالا يمكن نقله كالأشجار و الأبنية .

الطرف الثالث في كيفيّة الإزالة : فالنجاسة إن كانت حكميّة وهي الّتي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها و إن كانت عينيّة فلابدّ من إزالة العين ، ولابأس ببقاء الرائحة فيماله رائحة فائحة تعسّر إزالتها بعد الدلك و العصر مرّات متوالية و لااللّون فيما يلتصق به بعدالحتّ و القرص (٢) و قدورد في الحديث في دم الحيض الّذي لم يذهب أثره بالغسل أن اصبغيه بمشق (٣) و ورد الأمر بتثنية

(١) رواه الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج ٣ ص ٣٨ و٣٩ باسانيد مختلفة .

(٢) حت الشيء عن الثوب : ازاله و حكه . و قرص الثوب بالماء : غسله باطراف الاصابع .

(٣) راجع الكافي ج ٣ ص ١١٠ . والمشق ـ على مايقال له اليوم في العراق ـ : الطين الارمني .

الغسل من البول في الثوب و البدن إن غسل بالقليل [١] و ربّما يلحق به المنيّ لأنّ له قواماً و ثخناً فهو أولى بالتعدّد، و منهم من ألحق بهما سائر النجاسات، و منهم من اكتفى في الكلّ بالمرّة المزيلة، أمّا بول الصبيّ فلا خلاف في الاكتفاء فيه بصبّ الماء. و اعتبر السيّد المرتضى و جماعة في الإزالة و رود الماء على النجاسة فلوعكس نجس الماء ولم يفد المحلّ طهارة بناء على تنجّس القليل بورود النجاسة عليه و أبطله الشهيد ـ رحمه الله ـ لحصول امتزاج الماء بها على التقديرين و الورود لا يخرجه عن التلاقي فالتزم نجاسة الماء في الحالين مع طهارة المحلّ. والحقّ أنّ القائل بانفعال القليل بمجرّد الملاقات لابدّ له من ارتكاب أحد أمرين إمّا تخصيص ذلك بالملاقي للنجاسة العينيّة دون المتنجّس أعني ما أُزيلت نجاسته بغيرالتطهير الشرعي أو عدم جواز الإزالة بالقليل مطلقاً و الثاني خلاف الإجماع بل الضرورة من الدّين فتعيّن الأوّل ويؤيّده أنّه لا يستفاد من الدّليل الدالّ عليه أزيد من ذلك، وعلى هذا فيجب التزام وجوب المرّتين في كلّ نجاسة ليزال بالأولى العين ويكون الغسالة و المحلّ متنجّسين و يحصل بالثانية التطهير و يكونان طاهرين من غير فرق بين الورودين وله شواهد من الأخبار بل نقول: لادليل على تنجّس غيرالماء أيضاً بملاقاته للمتنجّس و إنّما الدليل دلّ على تنجّس الأشياء بملاقاتها للنجاسات العينيّة فحسب كما يظهر من التتبّع بل ربّما يستفاد من بعض الأخبار الحكم بطهارته وبه يرتفع الوسواس عن وجه الأرض بالكلّيّة إلّا أنّ هذا الفتوى لكبيرة إلّا على الّذين هداهم الله تعالى فإنّ أصحاب الوسواس الّذين غلب عليهم التقليد يعظّمونها يكفرون بنعمة الله ولا يشكرون سعة رحمة الله و في الحديث أنّ الخوارج «ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم و إنّ الدين أوسع من ذلك» [٢] ولا يجوز إزالة النجاسة بغير الماء من المايعات على المشهور خلافاً للمفيد والسيّد المرتضى فجوّزا بالماء المضاف و جوّز السيّد تطهير الأجسام الصقيلة بالمسح بحيث

---

(١) راجع الكافي ج ٣ ص ٥٥.

(٢) رواه الشيخ ـ رحمه الله ـ في التهذيب ج ١ ص ٢٤١، والصدوق في الفقيه ص ٧٠ تحت رقم ٣٩.

يزول العين لزوال العلّة و يمكن الاستيناس له ببعض الأخبار ، أمّا البواطن فلا ريب في طهارتها بزوال عين النجاسة عنها و كذا أعضاء الحيوان المتنجّسة غير الآدميّ و يستحبّ الاستظهار في الإزالة بتثنية الغسل و تثليثه و أن يباشرها بنفسه إذا كانت في ثوب صلاته و العصر في بول الرضيع و إزالة ما دون الدرهم من الدم للصلاة و صبغ لونه بمشق ونحوه ، و غسل ذي القروح ثوبه في كلّ يوم مرّة و إزالة المكروهات للصلاة .

قال أبو حامد : و « ينبغي أن يتذكّر بإزالة النجاسة تطهير قلبه من نجاسة الأخلاق و مساويها فإنّه إذا اُمر بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر و بتطهير الثياب و هي أبعد عن ذاته و هو قلبه فليجتهد له تطهيراً بالتوبة و الندم على ما فرط و تصميم العزم على ترك العود في المستقبل و يطهّر بها باطنه الّذي هو موقع نظر المعبود » .

القسم الثاني في طهارة الحدث و هي وضوء ، و غسل ، وتيمّم .

المطلب الأوّل في الوضوء وأسبابه الموجبة له : البول ، و الغائط ، والريح والنوم ، و كلّ ما يزيل العقل ، و الاستحاضة القليلة ، وزيد في المشهور غير القليلة منها ، والحيض و النفاس ، و مسّ الميّت بعد البرد و قبل الغسل ويأتي الكلام فيه ، كلّ ذلك ممّن عليه فريضة مشروطة بالطهارة و أراد فعلها و ما سوى ذلك من الوضوء فمسنون ، و لنورد أوّلاً آداب قضاء الحاجة و كيفيّة الاستنجاء و آدابه و سننه ، ثمّ فضيلة السواك و آدابه إذهو من مقدّمات الوضوء ، ثمّ كيفيّة الوضوء و آدابه و فضيلته .

✡ (آداب قضاء الحاجة) ✡

ينبغي أن يعمد إلى الخلاء و يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء ، و أن يتستّر بشيء إن وجده ، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن يغطّي رأسه لئلاّ يصل الرائحة إلى دماغه بل يقنّع فوق العمامة أيضاً كما كان يفعله الصادق عليه السلام (١) إقراراً بأنّه غير مبرّء نفسه عن العيوب و أن يقدّم في الدّخول رجله اليسرى و يقول : « بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » ويقول عند الكشف : « بسم الله » ليغضّ الشيطان بصره كذا في الحديث (٢) ، و أن لا يجلس في موارد المياه ،

(١) راجع التهذيب ج ١ ص ٨ ، والفقيه ص ٧ تحت رقم ٢ .
(٢) راجع الفقيه ص ٧ تحت رقم ٤ و ٥ . والكافي ج ٣ ص ١٦ .

و الطرق النافذة ، و مساقط الثمار ، و مواطن النزال ، و مواضع اللّعن كأبواب الدور ، و على القبر ، ولا يستقبل القبلة ، ولا يستدبرها خصوصاً في الصحراء ؛ و عن الرضا عليه السلام « من بال حذاء القبلة ثمّ ذكر فانحرف عنها إجلالاً للقبلة و تعظيماً لها لم يقم من مقعده ذلك حتّى يغفر له »[1] ولا يستقبل النيّرين بالفرج و لا الريح بالبول ، و لا يبول في الصلبة ، ولا قائماً ، ولا مطمّحا [2] ، ولا في الحجر ، ولا في الماء و يتأكّد في الراكد ، ولا يأكل عليه ، ولا يشرب ، ولا يستاك ولا يتكلّم إلّا لضرورة ، ولا بأس بذكر الله فإنّ موسى عليه السلام قال : يا ربّ إنّي أكون في أحوال اُجلّك أن أذكرك فيها ، فقال : يا موسى اُذكرني على كلّ حال » [3] ولا يدخل معه الخلاء خاتماً عليه اسم الله أو مصحفاً فيه القرآن ، فإن دخل و عليه خاتم عليه اسم الله فليحوّله عن يده اليسرى إذا أراد الاستنجاء ويقول عند الفعل : « الحمد الله الّذي أطعمني طيّباً في عافية و أخرجه منّي خبيثاً في عافية » و في الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله « ما من عبد إلّا و به ملك موكّل يلوي عنقه حتّى ينظر إلى حدثه ثمّ يقول له الملك : يا ابن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذته و إلى ما صار ، فعند ذلك ينبغي للعبد أن يقول : « اللّهمّ ارزقني الحلال وجنّبني الحرام »[4].

قال بعض علمائنا - رحمهم الله -[5] تذكر بتخلّيك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك وما تشتمل عليه من الأقذار و ما في باطنك و أنت تزيّن ظاهرك للناس والله تعالى مطّلع على خبث باطنك و خسّة حالك ، فاشتغل بإخراج نجاسات الباطن و الأخلاق الداخلة في الأعماق المفسدة لك على الإطلاق لتريح نفسك عند إخراجها وتسكن قلبك من دنسها

---

(١) الفقيه ص ٨ تحت رقم ٨ .

(٢) طمح الفرس - من باب التفعيل - رفع يديه ، وبالشيء : رماه في الهواء . وفى الفقيه ص ٨ نهى الرسول صلى الله عليه وآله أن يطمح ببوله فى الهواء من السطح أو من الشيء المرتفع .

(٣) رواه الصدوق - رحمه الله - فى التوحيد ص ١٧٤ و فى العيون والفقيه أيضاً .

(٤) رواه الصدوق فى علل الشرائع ج ١ باب ١٨٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(٥) يعنى الشهيد الثانى - رحمه الله - ذكره فى كتابه المسمى بأسرار الصلاة ص ١٨٢ من طبعه الملحق بكشف الفوائد .

و تخفف لبك من ثقلها و تصلح للوقوف على بساط الخدمة و التأهل للمناجات ولاتستر ما ظهر منك ، فلابد أن يظهر عليك ما بطن لأن الطبيعة تظهر ما كمن فيها و تفتضح حينئذ بما سترته عن الناس كما يفعله الله بكل مدلس ، قال الصادق عليه السلام : سمي المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات و استفراغ الكثافات و القذر فيها ، و المؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا كذلك تصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها و بتركها ، و يفرغ نفسه و قلبه عن شغلها ، و يستنكف عن جمعها و أخذها استنكافه عن النجاسة و الغائط و القذر ، و يتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ، و يعلم أن التمسك بالقناعة و التقوى تورث له راحة الدارين ، و أن الراحة في هوان الدنيا و الفراغ من التمتع بها و في إزالة النجاسة من الحرام و الشبهة فينغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها و يفر من الذنوب و يفتح باب التواضع و الندم و الحياء و يجتهد في أداء أوامره و اجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب و طيب الزلفى ، و يسجن نفسه في سجن الخوف و الصبر و الكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار و يذوق طعم رضاه فإن المعول ذلك و ما عداه لا شيء[1] .

✡ (كيفية الاستنجاء و آدابه) ✡

إذا فرغ من قضاء الحاجة يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار طاهرات منشفات أو خرق أو مدر أو نحوها ، ويحرم العظم والروث والمطعوم و المحترم فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة فليتمم خمسة أو سبعة إلى أن تنقي فالايتار نفل و الإنقاء فرض و في الحديث «من استجمر فليوتر»[2] هذا إن أراد الاقتصار على الحجر والأفضل أن يستنجي بالماء

(١) انتهى كلام الشهيد ـ رحمه الله ـ في أسرار الصلاة و نقل من خبر الصادق عليه السلام وما بعده الى هنا من مصباح الشريعة الباب التاسع .

(٢) أخرجه البزاز والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله كما في مجمع الزوائد ج١ ص ٢١١ ، ورواه الشيخ ـ رحمه الله ـ في التهذيب ج١ ص ١٣ والاستبصار طبع النجف ج١ ص٥٢ هكذا « اذا استنجى أحدكم فليوتر » .

ففي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله وسلم : « أنّه مطهّرة للحواشي و مذهبة للبواسير » [1] و الأكمل أن يجمع بينهما فقد روي أنّه لما نزل قوله تعالى : « فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا و الله يحبّ المطهّرين » [2] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل قبا : « ما هذه الطهارة الّتي أثنى الله بها عليكم ؟ قالوا : إنّا نجمع بين الماء و الحجر » [3] .

و في كتاب من لا يحضره الفقيه [4] « كان الناس يستنجون بالأحجار فأكل رجل من الأنصار طعاماً فلان بطنه فاستنجى بالماء فأنزل الله تبارك و تعالى فيه « إنّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين » [5] فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخشي الرجل أن يكون قد نزل فيه أمر يسوؤه فلمّا دخل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل عملت في يومك هذا شيئاً ؟ قال : نعم يارسول الله أكلت طعاماً فلان بطني فاستنجيت بالماء فقال له : أبشر فإنّ الله تبارك و تعالى قد أنزل فيك « إنّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين » .

وينبغي أن ينتقل من موضع الحاجة إلى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محلّ النجوويدلكه باليسرى حتّى لايبقى أثر يدركه الكفّ بحسّ اللّمس ويطمئنّ نفسه ، ولايستقصي فيه بالتعرّض للباطن فإنّ ذلك منبع الوسواس ، وليعلم أنّ كلّما لايصل إليه الماء فهو باطن ولايثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم يبرزو كلّ ماهوظاهروثبت له حكم النجاسة فحدّ طهوره أن يصل الماء إليه فيزيله فلامعنى للوسواس وليقل أوّل ماصبّ الماء على يده للاستنجاء : «الحمدلله الّذي جعل الماء طَهوراً ولم يَجعله نجساً » وعند الاستنجاء « اللّهمّ حصّن فرجي وأعفّه ، واستر عورتي ، وحرّمني على النّار» وعندالفراغ منه « الحمد لله الّذي أماط عنّي الأذى وهنّأني طعامي و شرابي و عافاني

(١) المراد بالحواشى جوانب المخرج والخبر فى التهذيب ج ١ ص ١٣ . والكافى ج ٣ ص ١٢ تحت رقم ١٢ .

(٢) التوبة : ١٠٨ .

(٣) راجع مجمع الزوائد ج١ ص ٢١٢ ، ونيل الاوطار ج ١ص ١٢٥ منقول فيهما عن البزاز والترمذى و أبى داود وابن ماجه .

(٤) ص ٨ تحت رقم ٢١ . (٥) البقرة : ٢٢٢ .

البلوى »(١) ويبتدىء في الاستنجاء بالمقعدة ثمّ بالإحليل، ويستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثاً(٢) بعد إمرار اليد على أسفل القضيب ثلاثاً ثمّ يغسل ذكره، و يكره مسّ الذكر باليمين.

قال أبوحامد: « ولا يكثر التفكّر في الاستبراء فيوسوس ويشقّ عليه الأمر ومايحسّ به من بلل فليقدّر أنّه بقيّة الماء، فإن كان يؤذيه ذلك فليرشّ الماء عليه حتّى يقوي في نفسه ذلك، ولا يتسلّط عليه الشيطان بالوسواس، و في الخبر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فعل ذلك أعني رشّ الماء و قدكان أخفّهم استبراء أفقههم فتدلّ الوسوسة فيه على قلّة الفقه ».

أقول: و في كتاب من لايحضره الفقيه «سأل حنان بن سدير أباعبدالله عليه السلام فقال: إنّي ربّما بلت فلا أقدر على الماء ويشتدّ ذلك عليّ فقال: إذا بلت و تمسّحت فامسح ذكرك بريقك فإن وجدت شيئاً فقل: هذا من ذاك »(٣) ولعلّ المراد بالذّكر غير محلّ النجاسة منه.

و في الصحيح « عن الصادق عليه السلام في الرجل يبول قال: ينتره ثلاثاً ثمّ إن سال حتّى يبلغ الساق فلايبالي »(٤).

و في الحسن « عن الباقر عليه السلام في رجل بال ولم يكن معه ماء قال: يعصر أصل ذكره إلى طرفه ثلاث عصرات و ينتر طرفه فإن خرج بعد ذلك شيء فليس من البول ولكنّه من الحبائل »(٥) والحبائل عروق الظهر.

(١) الفقيه ص ٨ تحت رقم ١٩ وراجع الكافي ج ٣ ص ١٦ والتهذيب ج١ ص١٠٠.

(٢) النتر: الجذب، والاستنتار من البول: استخراج بقية ما في الذكر بالاجتذاب والاهتمام به.

(٣) الفقيه ص ١٦ تحت رقم ١٢، والكافي ج ٣ ص ٢٠. و لعله شكا عن البلل الذي ربما يجده الانسان في ثوبه أو بدنه بعد البول بزمان و هو قد يكون من العرق و قد يكون خارجاً من مخرج البول و هو موجب للوسواس فعلمه عليه السلام حيلة شرعية ليتخلص بها عن تلك المضيقة.

(٤) التهذيب ج ١ ص ٩ وفي الاستبصار ج ١ ص ٩٤ نحوه.

(٥) الكافي ج ٣ ص ١٩ تحت رقم ١ و قد مر معنى النتر.

ولا يجري في تطهير مخرج البول غير الماء عند أصحابنا كافّة كذلك ورد عن أهل البيت عليهم السلام و إذا خرج من الخلاء فليقدّم رجله اليمنى وليقل ماسحاً بطنه: «الحمد لله الّذي أخرج عنّي أذاه وأبقى في جسدي قوّته فيالها من نعمة لايقدرالقادرون قدرها».

قال أبوحامد «في حديث سلمان: علّمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ شيء حتّى الخراءة أمرنا أن لا نستجمر بعظم ولاروث ونهاناأن نستقبل القبلة لغائط أوبول»[1] وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه: لا أحسبك تحسن الخراءة فقال: بلى و أبيك و إنّي بهالحاذق أبعد الأثر، وأعدّ المدر، واستقبل الشيح، وأستدبرالريح، وأقعى إقعاء الظبي، وأجفل جفال النعام.

الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية، و الإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه، والأجفال أن يرفع عجزه».

قال: «و من الرخصة أن يبول الإنسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع شدّة حيائه ليستنّ للنّاس».

فصل

(فضيلة السواك و آدابه)

إذا فرغ من الاستنجاء يشتغل بالوضوء، فقد قيل: لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطّ خارجاً من الغائط إلّا توضّأ ويبتدىء بالسواك.

فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أفواهكم طرق القرآن فطيّبوها بالسواك»[2] فينبغي أن ينوي عندالسواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكرالله في الصلاة.

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ج ٥ ص ٤٣٧.

(٢) رواه البرقي فى المحاسن ص٥٥٨. وأخرجه ابن ماجه عن على بن أبى طالب عليه السلام تحت رقم ٢٩١.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم «صلاة على أثر السواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير السواك»(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أن أشق على اُمّتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كلّ صلاة»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مالي أراكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا»(٣) أي صفر الأسنان.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يستاك في اللّيلة مراراً(٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مازال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالسواك حتّى خشيت أن اُحفي أو اُدرد»(٥) وهما على صيغة التكلّم أي استقصي على أسناني فاُذهبها بالتسوّك، والدرد: سقوط الأسنان.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «السّواك شطر الوضوء»(٦).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلّ شيء طهور وطهور الفم السواك»(٧).

وروي «لوعلم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحافهم»(٨).

وقال الباقر والصادق عليهما السلام: «صلاة ركعتين بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك»(٩).

وقال الباقر عليه السلام في السواك: «لاتدعه في كلّ ثلاثة أيّام ولو أن تمرّه مرّة واحدة»(١٠).

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى كتاب السواك من حديث ابن عمر. كما فى المغنى ونقله المجلسى ـ ره ـ فى البحار ج ١٦ باب السواك عن اعلام الدين للديلمى.

(٢) الكافى ج ٣ ص ٢٢. وسنن ابن ماجه تحت رقم ٢٨٧.

(٣) الكافى ج٦ ص ٤٩٦. والقلح صفرة تعلو الاسنان ووسخ بركبها.

(٤) راجع سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٠٦. وأبى داود ج ١ ص ١٤.

(٥) الكافى ج ٣ ص ٢٣، وج ٦ ص ٤٩٥.

(٦) البحار ج ١٦ باب السواك عن كتاب الامامة والتبصرة.

(٧) رواه الصدوق فى العلل ج١ باب ٢٢٧. والفقيه ص ١٣ تحت رقم ٩.

(٨) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٦.

(٩) الكافى ج ٣ ص ٢٢ تحت رقم ١، والفقيه ص ١٣ تحت رقم ١١.

(١٠) الكافى ج ٣ ص ٢٣ تحت رقم ٤. والفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٢.

وقال الصادق عليه السلام : « في السواك اثنتا عشرة خصلة : هو من السنّة ، و مطهرة للفمّ ، و مجلاة للبصر ، و يرضي الرحمن ، ويبيّض الأسنان ، و يذهب بالحفر ، و يشدّ اللّثة ، و يشهّي الطعام ، ويذهب بالبلغم ، ويزيد في الحفظ ، ويضاعف الحسنات ، وتفرح به الملائكة »[١] .

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار ممّا يخشن ويزيل القلح بالعرض ففي الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله « اكتحلوا وتراً ، واستاكوا عرضاً »[٢] .

ووقته عند كلّ صلاة ، وعند كلّ وضوء و إن لم يصلّ عقيبه ، وعند تغيّر النكهة بالنوم ، أوطول الازم[٣] أوأكل ما يكره رائحته .

و عن الصادق عليه السلام « إذا قمت بالّليل فاستك فإنّ الملك يأتيك فيضع فاه على فيك وليس من حرف تتلوه إلّا صعدبه إلى السماء ، فليكن فوك طيّب الرّيح »[٤] و يجوز الاعتياض عنه بالمسبّحة والإبهام عند عدمه أوضيق الوقت كمايستفاد من الأخبار .

و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « و كما تزيل ما تلوّث من أسنانك من مطعمك و مأكلك بالسواك كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرّع و الخشوع و التهجّد و الاستغفار بالأسحار و طهّر باطنك و ظاهرك من كدورات المخالفات و ركوب المناهي كلّها خالصاً لله فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد باستعماله مثلاً لأهل اليقظة ، وهو أنّ المسواك نبات لطيف نظيف و غصن شجر عذب مبارك ، و الأسنان خلقٌ خلقه الله تعالى في الفم آلة و أداة للمضغ و سبباً لاشتهاء الطعام وإصلاح المعدة ، و هي جوهرة صافية تتلوّث بصحبة تمضيغ الطعام و تتغيّر بها رائحة الفم و يتولّد منها الفساد في الدماغ فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللّطيف ومسحها على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد و التغيّر

---

(١) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٨ ، وفى المحاسن ص ٥٦٢ والكافى ج ٦ ص ٤٩٥ تحت رقم ٦ . والحفر - بالتحريك - : سلاق فى اصول الاسنان أو صفرة تعلوها ويسكن.

(٢) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٣ . (٣) الازم : الصمت والامساك .

(٤) رواه الكلينى - رحمه الله - فى الكافى ج ٣ ص ٢٣ . و روى نحوه البرقى فى المحاسن ص ٥٥٩ .

وعادت إلى أصلها كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً وجعل غذاءه الذكر و الفكر والهيبة و التعظيم و إذا شيب القلب الصافي معدلته بالغفلة والكدر صقل بمصقلة التوبة و نظّف بماء الإنابة ليعود إلى حالته الأولى و جوهرته الأصليّة الصافيّة، قال الله عزّ وجلّ: «إنّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين»، و قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «عليكم باستواك ظاهر الأسنان» و أراد هذا المعنى، و من أناخ تفكّره على عتبة باب العبرة في استخراج مثل هذه الأمثال في الأصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لايضيع أجر المحسنين»(١).

❁ (كيفية الوضوء وآدابه و سننه) ❁

إذا فرغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول: «بسم الله الرّحمن الرّحيم»، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله «لاوضوء لمن لم يسمّ الله»(٢) أي لاوضوء كاملاً.

و عنه صلى الله عليه وآله «من توضّأ فذكر اسم الله طهّر جميع جسده وكان الوضوء إلى الوضوء كفّارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يسمّ لم يطهر من جسده إلّا ما أصابه الماء».

و عن الصادق عليه السلام «من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنّما اغتسل» رواهما في الفقيه(٣).

ويقول عندالنظر إلى الماء: «الحمد لله الّذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً» ثم يغسل يديه من الزندين مرّة للنوم أوالبول، و مرّتين للغائط قبل إدخالهما الإناء إن اغترف من إناء ويقول: «بسم الله وبالله اللّهمّ اجعلني من التوّابين و اجعلني من المتطهّرين» و تجزىء هذه التسمية عن الأولى، ثمّ يمضمض ثلاثاً بثلاث أكفّ ويقول: «اللّهمّ لقنّي حجّتي يوم ألقاك و أطلق لساني بذكراك» ثمّ يستنشق كذلك ويقول: «اللّهمّ لاتحرمني ريح الجنّة واجعلني ممّن يشمّ ريحها وروحها وطيبها».

قال أبوحامد: «ثمّ يستنثر ما فيه و يقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من روائح النار و من سوء الدّار» لأنّ الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة» انتهى.

---

(١) مصباح الشريعة الباب الثامن.
(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ١٤٦ عن أبى هريرة.
(٣) ص ١٢ تحت رقم ١٧ و ١٨. ورواهما الدار قطنى من حديث أبى هريرة.

ثمّ يغترف بيمناه غرفة و ينوي نفسه أنّه يتوضّأ تقرّباً إلى الله تعالى و يغسل بها وجهه ضارباً بها عليه صيفاً و شتاء فإنّه إن كان ناعساً فزع و استيقظ و إن كان البرد فزع فلم يجد البرد (كذا عن الصادق عليه السلام) (١) و يبتدىء بأعلى الوجه قائلاً: «اللّهمّ بيّض وجهي يوم تسودّ الوجوه ولا تسوّد وجهي يوم تبيّض الوجوه» و يمرّ يده عليه و يخلّل الشعر و يفتح عينيه. وحدّ الوجه طولاً و عرضاً مادارت عليه الإبهام والوسطى ثمّ يأخذ غرفة بيده اليسرى و يغسل بها اليمنى مبتدئاً بالمرفق و بظاهر الذراع والمرأة بباطنها، يمرّ يده عليها، مخلّلاً للشعور والمساتر، محرّكاً للخاتم ونحوه، قائلاً: «اللّهمّ أعطني كتابي بيميني، و الخلد في الجنان بيساري، و حاسبني حساباً يسيراً» ثمّ يأخذ غرفة أخرى بيده اليمنى و يغسل بها اليسرى كاختها قائلاً: «اللّهمّ لا تعطني كتابي بشمالي، و لا تجعلها مغلولة إلى عنقي، و أعوذ بك من مقطّعات النيران» ثمّ يمسح بالبلل الّذي على يمينه بشرة مقدّم رأسه أوشعره الّذي لايخرج بمدّه عن حدّه بمقدار ثلاث أصابع مضمومة أو أكثر قائلاً: «اللّهمّ غشّني رحمتك و بركاتك» ثمّ ببقيّة ذلك البلل ظهر قدمه اليمنى من رؤوس الأصابع إلى الكعب - أعني مفصل الساق والقدم بكلّ الكف - ثمّ ببلل يساره قدمه اليسرى كذلك قائلاً فيهما: «اللّهمّ ثبّتني على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي» ويقول عند الفراغ: «الحمد لله ربّ العالمين».

والواجب فيه النيّة و غسل الوجه واليدين إلى المرفقين و مسح شيء من مقدّم الرأس وشيء من ظهر القدمين من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، و الترتيب و الموالات، والأولى وحدة الغسلات بل الاقتصار على غرفة أو غرفتين و الأصابع بمدّ، و ماورد أنّ الوضوء مرّتين مرّتين أو أنّ المرّتين إسباغ فمجمل مأوّل، و في الفقيه (٢) قال الصادق عليه السلام: «والله ماكان وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا مرّة مرّة، و توضّأ النبيّ صلى الله عليه وآله مرّة مرّة، فقال: هذا وضوء لايقبل الله الصلاة إلّا به».

---

(١) علل الشرائع ج١ باب ١٩٣ والتهذيب ج١ ص١٠٢ وفيه «فليصفق وجهه بالماء» وقد نهى النبي (ص) عن ضرب الماء بالوجه وقال: شنوا الماء شناً. التهذيب ج١ ص ١٠٢.
(٢) ص ١٠ تحت رقم ٣.

وفيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الوضوء مدّ والغسل صاع وسيأتي أقوام من بعدي يستقلّون ذلك فأولئك على خلاف سنّتي و الثابت على سنّتي معي في حظيرة القدس »(١) وطعن ـ رحمه الله ـ(٢) في أخبار المرّتين بانقطاع الإسناد و عدم الدلالة صريحاً و أيّد المرّة بما روي « أنّ الوضوء حدّ من حدود الله ليعلم الله من يطيعه و من يعصيه ، وأنّ المؤمن لاينجّسه شيء ، وإنّما يكفيه مثل الدّهن » و قد قال الله تعالى : « ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه »(٣).

وقال الصادق عليه السلام : « من تعدّى في وضوئه كان كناقضه »(٤) و إلى هذا ذهب ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني ـ رحمه الله ـ أيضاً(٥) ويمكن تنزيل حديث المرّتين على الغرفتين كما يشعر به ما ورد عن الباقر عليه السلام أنّه سئل « الغرفة الواحدة تجزىء للوجه و غرفة للذراع ؟ قال : نعم إذا بالغت فيها والثنتان تأتيان على ذلك كلّه »(٦).

ويكره الاستعانة ، والمشمّس(٧) والآجن ، وسؤر غير المأمون ، والمستعمل في رفع الأكبر .

قال أبوحامد : «و مهما فرغ عن وضوئه وأقبل على الصلاة ينبغي أن يخطر بباله أنّه طهّر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الربّ وليتحقّق أنّ طهارة القلب بالتوبة و الخلوّ عن الأخلاق الذميمة فإنّ من اقتصر على طهارة الظاهر فهو كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات و اشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدره بالتعرّض للمقت والبوار » انتهى كلامه .

وسيأتي في هذا الباب كلام آخر عن بعض علمائنا عن قريب .

---

(١) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٢ . (٢) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٤ .

(٣) الاية في سورة الطلاق : ٢ ، والخبر في الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٥ و٦ ، والكافي ج ٣ ص ٢١ تحت رقم ٢ .

(٤) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٦ . و قوله : « كناقضه » نقل عن السيد الداماد قراءته بالصاد . (٥) راجع الكافي ج ٣ ص ٢٧ ذيل الحديث التاسع .

(٦) التهذيب ج ١ ص ١٠٢ . (٧) اى الماء المسخن بالشمس .

✿ (بيان فضيلة الوضوء) ✿

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من توضّأ فأسبغ الوضوء وصلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته اُمّه » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفرله ما تقدّم من ذنبه »(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أنبئكم بما يكفّرالله به الخطايا و يرفع الدرجات ؟ إسباغ الوضوء في المكاره، ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعدالصلاة فذلكم الرباط »(٢)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « الوضوء على الوضوء نور على نور ومن جدّد وضوءه من غير حدث جدّد الله توبته من غير استغفار »(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « من توضّأ على طهر كتب الله له عشرحسنات »(٤).

وعن الصادق عليه السلام « الطهر على الطهر عشر حسنات »(٥).

وعن الكاظم عليه السلام « من توضّأ للمغرب كان وضوؤه ذلك كفّارة لمامضى من ذنوبه في نهاره ماخلا الكبائر ، و من توضّأ لصلاة الصبح كان وضوؤه ذلك كفّارة لما مضى من ذنوبه في ليلته إلّا الكبائر »(٦).

وروي « أنّ تجديد الوضوء لصلاة العشاء يمحو « لا والله » و « بلى والله »(٧).

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ج ٤ ص ١١٧ و ص ١١٢ . و ايضاً ابن المبارك فى الزهد و الرقائق . والراوندى فى لب اللباب كما فى مستدرك الوسائل ج ١ ص ٥٢ .

(٢) امالى الصدوق ـ رحمه الله ـ ص١٩٤ بادنى تغيير ، وبلفظه فى دعائم الاسلام كما فى مستدرك الوسائل ج ١ ص ٥١ .

(٣) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٥١٢ . و أبو داود ج ١ ص١٥ .

(٥) رواه الكلينى ـ رحمه الله ـ فى الكافى ج٣ ص ٧٢ تحت رقم ١٠.

(٦) الكافى ج ٣ ص ٧٢ تحت رقم ٩ .

(٧) ثواب الاعمال للصدوق ـ رحمه الله ـ ص ١٧.

❁ (المطلب الثاني في الغسل) ❁

و أسبابه الموجبة له : إنزال المني ، و إيلاج الحشفة ، والحيض ، والنفاس ، والاستحاضة غير القليلة ، و مسّ الميّت بعد البرد وقبل الغسل ممّن عليه فريضة مشروطة بالطهارة وأراد فعلها وماسوى ذلك من الأغسال فمسنون .

و كيفيّته أن يستبرىء بالبول إن قدر عليه وإلّا فبما مرّ في الاستبراء من البول إن كان منزلاً ويضع الإناء على يمينه ويزيل ماعلى بدنه من نجاسة و يغسل يديه من الزندين ثلاثاً قبل أن يدخلهما الإناء و إلى المرفقين أفضل ، ويسمّي ، و يمضمض ، ويستنشق آتياً بأدعيتها ثمّ ينوي في نفسه أنّه يغتسل تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ ، ويصبّ الماء على رأسه ثلاثاً ممرّاً يده عليه مخلّلاً أذنيه بأصبعيه ، موصلاً للماء إلى منابت الشعور كلّها ، ثمّ يغسل شقّه الأيمن كذلك ، ثمّ الأيسر كذلك مبالغاً في إيصال الماء وتخليل الموانع والسواتر .

قال الصادق عليه السلام : « من ترك شعرة من الجنابة متعمّداً فهو في النار »(١) ويقول عند غسل الأعضاء : « اللّهمّ طهّرقلبي ، وتقبّل سعيي ، واجعل ما عندك خيراً لي ، اللّهمّ اجعلني من التوّابين ، واجعلني من المتطهّرين » ويسبغ الغسل بصاع ، و إن ارتمس في الماء ارتماسة واحدةاجزأه ، وسقط الترتيب وذلك الجسد ، ويكره الاستعانة ، والمشمّس(٢) والآجن ، والراكد ، والمستعمل . فعن الرضا عليه السلام « من اغتسل من الماء الّذي قداغتسل فيه فأصابه الجذام فلايلومنّ إلّا نفسه »(٣) ، ولا موالاة في الغسل إتّفاقاً ، و الواجب فيه النيّة ، واستيعاب البدن بالغسل ، وتقديم الرأس على الجسد ، والأحوط تقديم الشقّ الأيمن على الأيسر أيضاً ، وأوجب جماعة من أصحابنا الوضوء مع الغسل في غير الجنابة قبله أوبعده ، و منهم من أوجب التقديم ومستندهم في ذلك مارواه ابن أبي عمير، عن رجل،

(١) رواه الصدوق ـره ـ في الامالي ص٢٩٠، والشيخ ـره ـ في التهذيب ج١ص٣٨ .

(٢) يعني الماءالذي يحمى بالشمس .

(٣) رواه الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج ٦ ص ٥٠٣ تحت رقم ٣٨ .

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كلّ غسل قبله وضوء إلّا غسل الجنابة »[١] و نفاه السيّد المرتضى - رحمه الله - وشرذمة ، وهو الصحيح للأخبار الصحيحة المستفيضة الراجحة على هذا الخبر بأنواع التراجيح المعتبرة ولاسيّما ماورد الأمر به عنهم عليهم السلام عند اختلاف أخبارهم كملاحظة حال الراوي في الأوثقيّة و الأفقهيّة و غيرهما ، و كمخالفته لفتوى العامّة وغير ذلك .

منها مارواه في التهذيب[٢] باسناده الصحيح « عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : الغسل يجزيء عن الوضوء ، و أيّ وضوء أطهر من الغسل » .

و منها مارواه فيه[٣] أيضاً باسناده الصحيح « عن حكم بن حكيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن غسل الجنابة - إلى أن قال - : قلت : إنّ الناس يقولون : يتوضّأ وضوء الصلاة قبل الغسل ، فضحك وقال : أيّ وضوء أنقى من الغسل وأبلغ » .

ومنها مارواه فيه[٤] أيضاً باسناده الموثّق « عن عمّار الساباطي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل أبوعبدالله عليه السلام عن الرجل إذا اغتسل من جنابة أو في يوم الجمعة أو يوم عيد هل عليه الوضوء قبل ذلك أو بعده ؟ فقال : لا ، ليس عليه قبل ولا بعد قد أجزأه الغسل ، و المرأة مثل ذلك إذا اغتسلت من حيض أو غير ذلك فليس عليها الوضوء لاقبل ولا بعد قد أجزأها الغسل »[٥] .

و في مكاتبة محمّد بن عبدالرّحمن إلى الهادي عليه السلام « يسأله عن الوضوء للصلاة في غسل الجمعة فكتب لا وضوء للصلاة في غسل يوم الجمعة ولا غيره »[٦] .

و في مرسلة حمّادبن عثمان « عن الصادق عليه السلام في الرجل يغتسل للجمعة أو غير ذلك أيجزئه عن الوضوء ؟ فقال عليه السلام : و أيّ وضوء أطهرمن الغسل »[٧] .

و في التهذيب عنهم عليهم السلام بعدّة روايات « أنّ الوضوء بعد الغسل بدعة» وفي بعضها « أنّ الوضوء قبل الغسل و بعده بدعة »[٨] .

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٥ تحت رقم ١٣ .

(٢) و (٣) و (٤) و(٥) في المجلد الاول ص ٣٩ .

(٦) و (٧) و (٨) التهذيب ج ١ ص ٣٩ . والاستبصار ج ١ ص ١٢٦ .

و يدلّ على ذلك أيضاً الأخبار الصحيحة المستفيضة المتضمّنةلوجوب الغسل على ذات شيء من الدماء الثلاثة حيث لا إشعار في شيء منها بالوضوء معه بوجه بل ظواهر ها تنفيه مع أنّها واردة في مقام البيان كما يظهر لمن يقف عليها . والله المستعان .

(المطلب الثالث في التيمم)

و أسبابه أسباب الوضوء و الغسل بعينها مع العجزعنهما ، إمّا لفقد الماء بعد طلبه أو لمانع من الوصول إليه من سبع أوحابس ، أو كون الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أوعطش رفيقه ، أو كونه ملكاً لغيره ولا يبيع إلّا بالثمن المجحف ، أوكان به جراحة أو مرض يخاف منه على نفسه فيصبرحتّى يدخل وقت الفريضة ، ثمّ يقصد صعيداً عليه تراب خالص طاهر لين يثور الغبار منه ، فينزع خاتمه ، ثمّ يضرب عليه بكفيّه مفرجي الأصابع ناوياً في نفسه أنّه يتيمّم تقرّباً إلى الله مسمّياً ، فيمسح بهما جبهته و يدخل الجبينين ، والأحوط إدخال الحاجبين أيضاً ، ثمّ يضرب ثانية فيمسح بباطن اليسرى ظاهر اليمنى من الزند و بالعكس ، و إن اقتصر على الضربة الأولى في المسحات الثلاث أجزأه بشرط بقاء علوق التراب على الأصحّ ، وجوّز بعض أصحابنا استيعاب الوجه و اليدين إلى المرفقين بالمسح لورود الروايات بذلك أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام ، ولا بأس به و إن كان تركه أحوط لاحتمال التقيّة فيها و الواجب فيه النيّة و الضرب والمسحات الثلاث والترتيب والموالات وطهارة التراب و طهارة المحال مع الإمكان ، فهذه أحكام الطهارات و آدابها ممّا لابدّ منه لسالك طريق الآخرة من علمه و عمله ، و ماعدا ها من المسائل يحتاج إليها في عوارض الأحوال ، فيرجع فيها إلى كتب الفقه هكذا قال أبوحامد بعد ما ذكر من المسائل نحواً ممّا ذكرناه .

فصل

قال بعض علمائنا (١) ـ رحمهم الله ـ : أمّا الطهارة فليستحضر في قلبه أنّ تكليفه

(١) يعني به الشهيد ـ رحمه الله ـ قاله في اسرار الصلاة ص ١٨٠ من طبعه الملحق بكشف الفوائد .

فيها بغسل الأطراف الظاهرة و تنظيفها لاطّلاع النّاس عليها ، و لكون تلك الأعضاء مباشرة للأمور الدنيويّة منهمكة في الكدورات الدنيّة ، فلأن يطهّر مع ذلك قلبه الّذي هو موضع نظر الحقّ - تعالى - « فإنّه لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » ، و لأنّه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح والمستخدم لها في تلك الأمور المبعّدة عن جنابه تعالى و تقدّس - أولى و أحرى ، بل هذا تنبيه واضح على ذلك و بيان شاف لما هنالك ، و ليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى و الإقبال عليه و الالتفات عن الدّنيا بالقلب و الحواسّ لتلقّي السعادة في الآخرة أنّ الدّنيا و الآخرة ضرّتان كلّما قربت من إحديهما بعدت عن الأخرى ، فلذلك أمر بالتطهير منها(١) عند الاشتغال و الاقبال على الآخرة ، فأُمر في الوضوء بغسل الوجه لأنّ التوجّه و الإقبال بوجه القلب على الله به ، و فيه أكثر الحواسّ الظاهرة الّتي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدّنيا فأُمر بغسله ليتوجّه به وهو خال من تلك الأدناس و يترقّى بذلك إلى تطهير ما هو الرّكن الأعظم في القياس ، ثمّ أُمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدّنيا الدنيّة و المشتهيات الطبيعيّة ، ثمّ بمسح الرأس لأنّ فيه القوّة المفكّرة الّتي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعيّة ، و تنبعث الحواسّ حينئذ إلى الإقبال على الأمور الدنيويّة ، المانع من الإقبال على الآخرة السنيّة ، ثمّ بمسح الرجلين لأنّ بهما يتوصّل إلى مطالبه و يتوسّل إلى تحصيل مآربه على نحو ما ذكر في باق الأعضاء و حينئذ فيسوغ له الدّخول في العبادة و الإقبال عليها فائزاً بالسعادة ، و أُمر في الغسل بغسل جميع البشرة لأنّ أدنى حالات الإنسان و أشدّها تعلّقاً و تملّكاً بالملكات الشهويّة حالة الجماع و موجبات الغسل ، ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة و لهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ تحت كلّ شعرة جنابة »(٢) فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العليّة ، منغمساً في اللّذات الدنيّة كان غسله أجمع من أهمّ المطالب الشرعيّة ليتأهّل لمقابلة الجهة الشريفة و الدّخول في العبادة المنيفة ، و يبعد عن القوى

---

(١) فى بعض النسخ [من الدنيا] .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ج ١ ص ٥٧ .

الحيوانيّة، واللّذات الدنيا ويّة ولمّا كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجّهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللّبيب العاقل، وأُمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلك الأعضاء الرّئيسة، و هضماً لها بتلقّيها بأثر التربة الخسيسة، وهكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرّذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والإزراء ويسقه بسياط الذلّ و الاغضاء عسى أن يطّلع عليه مولاه الرحيم وسيّده الكريم و هو منكسر متواضع فيهبه نفحة من نفحات نوره اللّامع، فإنّه عند القلوب المنكسرة كما ورد في الأثر، فترقّ من هذه الإشارات ونحوها إلى مايوجب لك الإقبال، و تلافي سالف الإهمال، و من الأسرار الواردة في الأثر من نظائر ذلك قول الصادق عليه السلام: « إذا أردت الطهارة و الوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله، فإنّ الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته و مناجاته و دليلاً إلى بساط خدمته »(١).

و كما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غيره، قال الله تعالى: « و هو الّذي أرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته و أنزلنا من السماء ماءً طهوراً »(٢) و قال عزّ وجلّ: « وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ »(٣) فكما أحيا به كلّ شيء من نعيم الدّنيا(٤) كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب في الطاعات، وتفكّر في صفاء الماء و رقّته و طهوره و بركته و لطيف امتزاجه بكلّ شيء و في كلّ شيء واستعمله في تطهير الأعضاء الّتي أمرك الله بتطهيرها وآت بآدابها فرائضه و سننه فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب، ثمّ عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كلّ شيء حقّه، ولايتغيّر عن

---

(١) مصباح الشريعة الباب العاشر.

(٢) الاعراف: ٥٧. (٣) الانبياء: ٣٠.

(٤) لامناسبة لذكر الاية الاخيرة هنا لان معناها خلقنا كل حيوان من الماء كقوله تعالى: « و الله خلق كل دابة من ماء » فالظاهر المراد من الماء النطفة، اللهم الا أن يقال: قرء « حيا » بالنصب مفعولا ثانيا لجعلنا.

معناه معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . « مثل المؤمن الخالص كمثل الماء »[١] ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً ، وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء »[٢] .

و في علل ابن شاذان ، عن الرضا عليه السلام[٣] « إنّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار عند مناجاته إيّاه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيّاً من الأدناس و النجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس ، و تزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار ، و إنّما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار ، فإنّما ينكشف من جوارحه و يظهر ما وجب فيه الوضوء و ذلك أنّه بوجهه يسجد و يخضع ، وبيده يسأل و يرغب و يرهب و يتبتّل ، و برأسه يستقبله في ركوعه و سجوده ، و برجليه يقوم و يقعد ، وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأنّ الجنابة من نفس الإنسان و هو شيء يخرج من جميع جسده و الخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو غذاء يدخل من باب و يخرج من باب »[٤] .

أقول : و في رواية أُخرى عنه عليه السلام : « و علّة التخفيف في البول و الغائط أنّه أكثر و أدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقّته و مجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة والجنابة لاتكون إلّا بالاستلذاذ منهم والإكراه لأنفسهم »[٥] .

و قد حرم أبوحامد عن أمثال هذه الأسرار في هذا المقام ولم يأت من هذا القبيل إلّا بقليل مع أنّه عنون الكتاب بأسرار الطهارة لأنّه لم يشرب من كأس متابعة أهل البيت عليهم السلام و فتئذ ، و نحن بحمد الله و توفيقه قد آتينا بما رامه . و إن لم نستوف تمامه .

قال : القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الطاهرة و هي نوعان : أوساخ ، وأجزاء . النوع الأوّل : الأوساخ و الرطوبات المترشّحة وهي ثمانية :

(١) مصباح الشريعة الباب العاشر . و في بعض نسخه « المؤمن المخلص » .
(٢) من قوله : « اذا أردت الطهارة و الوضوء » الى هنا في مصباح الشريعة الباب العاشر .
(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام باب ٣٤ .
(٤) انتهى كلام الشهيد - رحمه الله .　　(٥) العيون الباب الثالث و الثلاثون .

الأوّل : ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن و القمل ، و التنظيف عنه مستحبّ بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للتفث ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يدهّن الشعر ويرجّله غبّاً و يأمر به ويقول : « ادّهنوا غبّاً »[١] وقال صلى الله عليه وآله : « من كانت له شعرة فليكرمها »[٢] أي ليصنها عن الأوساخ ؛ و دخل عليه رجل ثائر الرأس ، أشعث اللّحية ، فقال : أما كان لهذا دهن يُسكّن به شعره ، ثمّ قال : يدخل أحدكم كأنّه شيطان »[٣].

أقول : المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّ جزّ الشعر و حلقه أفضل من إطالته و اتّخاذه ، وأنّ شعر رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبلغ الفرق إلّا في عام صدّ عن البيت .

و روى في الكافي[٤] عن عمرو بن ثابت ، عن أبي عبدالله عليه السلام « قال : قلت : إنّهم يروون أنّ الفرق من السنّة ؟ قال : من السنّة ، قلت : ويزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فرق قال : ما فرق النبيّ صلى الله عليه وآله ولا كانت الأنبياء عليهم السلام تمسك الشعر » .

وفي رواية أُخرى « أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا طال شعره كان إلى شحمة أُذنه »[٥]

و بإسناده ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام « قال : قال لي : استأصل شعرك يقلّ دَرَنه[٦] و دوابّه ووسخه و تغلظ رقبتك و يجلو بصرك » . و في رواية أُخرى « ويستريح بدنك »[٧] .

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٥١ . و قال ابو الصلاح : حديث « ادهنوا غبا » لم أجد له اصلا . و فى سنن النسائى ج ٨ ص ١٣٢ عن قتاده عن حسن « أن النبى صلى الله عليه وآله نهى عن الترجل الا غباً » . أى يوم ويوم لا . و فى سنن ابى داود ج ٢ ص ٣٩٤ عن عبدالله ابن مغفل مثله . و فى الكافى ج ٦ ص ٥٢٠ عن الصادق عليه السلام « لايدهن الرجل كل يوم » .

(٢) اخرجه أبو داود فى السنن ج٢ ص ٣٩٥ وفيه « من كان له شعر فليكرمه » .

(٣) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٤٥ من حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ بلفظ آخر. و ص ١٣٨ عن عطاء بن يسار و قال : أخرجه مالك .

(٤) المجلد السادس ص ٤٨٦ تحت رقم ٤ .

(٥) المجلد السادس ص ٤٨٥ تحت رقم ٣ .

(٦) استأصل شعر رأسك يعنى جزها . و الدرن ـ بالتحريك ـ : الوسخ .

(٧) المجلد السادس ٤٨٤ تحت رقم ١ .

و بالإسناد الصحيح « عن أبي الحسن عليه السلام ثلاث من عرفهنّ لم يدعهنّ: جزّ الشعر، وتشمير الثياب، ونكاح الإماء »[١].

وقيل للصادق عليه السلام : «إنّ النّاس يقولون : حلق الرّأس مثلة ، فقال عليه السلام : عمرة لنا و مثلة لأعدائنا »[٢].

وبإسناده عنه عليه السلام «قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من اتّخذ شعراً فليحسن ولايته أوليجزّه »[٣].

و في الفقيه « قال الصادق عليه السلام : من اتّخذ شعراً فلم يفرقه فرّقه الله بمنشار من ناريوم القيامة »[٤].

وقال رسول الله عليه السلام لرجل : « احلق رأسك فإنّه يزيد في جمالك »[٥].

قال أبو حامد :

« الثاني : ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأُذن و المسح يزيل ما يظهرمنه ، و ما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي أن ينظّف برفق عند الخروج من الحمّام ، فإنّ كثرة ذلك ربّما تضرّ بالسّمع .

الثّالث : ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها و يزيلها الاستنشاق و الاستنثار .

الرّابع : مايجتمع على الأسنان و أطراف اللّسان من القلح[٦] و يزيله السواك و المضمضة ، و قد ذكرناهما .

الخامس : مايجتمع في اللّحية من الوسخ والقمّل إذا لم يتعهّد ، ويستحبّ إزالة

---

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - فى الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٣ . وقال فى الوافى كتاب الطهارة ص ٩٨ : لعل المراد بجز الشعر مايعم سائر انحاء ازالته .

(٢) الكافى ج ٦ ص ٤٨٤ تحت رقم ٤ . (٣) الكافى ج ٦ ص ٤٨٥ تحت رقم ٢ .

(٤) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١١٦ دون قوله : « يوم القيامة » و هكذا نقله المحدث النورى فى المستدرك ج ١ ص ٥٨ و ٥٩ عن الجعفريات و دعائم الاسلام .

(٥) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٦ .

(٦) القلح - بتحريك - : الصفرة تعلو الاسنان .

ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنّه صلّى الله عليه وآله كان لايفارقه المشط والمدرى في سفر ولاحضر[۱] وهي سنّة العرب.

و في خبر غريب أنّه صلّى الله عليه وآله كان يسرّح لحيته في اليوم مرّتين[۲] فكان صلّى الله عليه وآله كثّ اللّحية،[۳] وكان علي عليه السلام عريض اللّحية، وقد ملأت مابين منكبيه[٤].

و في حديث أغرب منه قالت عائشة: اجتمع قوم بباب رسول الله صلّى الله عليه وآله فرأيته يطلع في الحبّ يسوّي من رأسه ولحيته، فقلت له: أوتفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال: «نعم، إنّ الله يحبّ من عبده أن يتجمّل لإخوانه إذا خرج إليهم»[٥] و الجاهل ربّما يظنّ أنّ ذلك من حبّ التزيّن للنّاس قياساً على أخلاق غيره، و تشبيهاً للملائكة بالحدّادين و هيهات فقدكان رسول الله صلّى الله عليه وآله مأموراً بالدّعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلايزدريه نفوسهم وتحسين صورته في أعينهم كيلايستصغره أعينهم فينفّرهم ذلك و يتعلّق المنافقون بذلك في تنفيرهم و هذا القصد واجب على كلّ عالم تصدّى لدعوة الخلق إلى الله تعالى، و هو أن يراعي من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمورعلى النيّة فإنّها أعمال مباحة في أنفسها تكتسب الأوصاف من القصود، فالتزيين على هذا القصد محبوب، وترك الشعث في اللّحية إظهاراً للزّهد وقلّة المبالات بالنفس محذور فتركه شغلاً بما هوأهمّ منه محبوب، فهذه أحوال باطنة بين العبد و بين الله تعالى، و الناقد بصيرٌ والتلبيس غير رائج عليه بحال، و كم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق و هو يلبّس على نفسه و على غيره ويزعم أنّ قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أنّ قصدهم إرغام المبتدعة والمخالفين والتقرّب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر

(۱) راجع مستدرك الوسائل ج ۲ ص ٤۲. و مكارم الاخلاق ص ۳٤ و المدرى نوع من المشط.

(۲) مكارم الاخلاق ص ۳٤. وقال العراقى: رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف.

(۳) فى خبر هند بن أبى هالة راجع معانى الاخبار ص ۸۰.

(٤) راجع المجلد التاسع من البحار ص ۷ و ۸ من طبع الكمبانى.

(٥) مكارم الاخلاق ص ٦۳. وقال العراقى: أخرجه ابن عدى و قال: حديث منكر.

و يوم يبعثر ما في القبور و يحصّل ما في الصدور ، فعند ذلك يتميّز السبيكة الخالصة من البهرج ، فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر ».

أقول : و قد ورد عن أهل البيت عليهم السلام في الحثّ على التمشّط أخبار كثيرة و هي مرويّة في الكافي و الفقيه وغيرهما .

وروى في الكافي[1] بسند حسن « عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « خذوا زينتكم عند كلّ مسجد »[2] قال : من ذلك التمشّط عند كلّ صلاة » .

و عن الكاظم عليه السلام « قال : المشط يذهب بالوباء ، وكان لأبي عبد الله عليه السلام مشط في المسجد يتمشّط به إذا فرغ من صلاته »[3] .

و عنه عليه السلام « تمشّطوا بالعاج فإنّ العاج يذهب بالوباء » .[4]

وعنه عليه السلام إذا سرّحت رأسك ولحيتك فأمرّ المشط على صدرك ، فإنه يذهب بالهمّ والوباء »[4] .

وعن الصادق عليه السلام « الثوب النقيّ يكبت العدوّ ، والدّهن يذهب بالبؤس ، والمشط للرأس يذهب بالوباء ، قيل : وما الوباء ؟ قال : الحمّى ، والمشط للّحية يشدّ الأضراس »[5] و في رواية أخرى « بالونا »[6] بالنون وهو الضعف .

و سئل عليه السلام « عن عظام الفيل مداهنها وأمشاطها ، قال : لابأس به »[7] .

---

(١) المصدر ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٧ . و الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ١٠٦ .

(٢) الاعراف : ٣١ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٨٨ تحت رقم ٢ .

(٤) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٠ . الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٣ .

(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٧ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٣٨٨ تحت رقم ١ .

(٦) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٢ . وقال العلامة المجلسي - رحمه الله - في المرآة ج ٤ ص ١١٢ : قال في الذكرى : الوباء - بالموحدة تحت و الهمزة - و روى البرقي «الونا» بالنون والقصر وهو الضعف .

(٧) الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ١١ .

و ينبغي أن يقول عند التسريح : « اللّهمّ سرّح عنّي الهموم و الغموم ، ووحشة الصدور ، ووسوسة الشيطان » كذا عن الصادق عليه السلام[(١)] .

و إذا فرغ منه يقول : « سبحان من زيّن الرجال باللّحى ، والنساء بالذوائب » .

و قد ورد في الحثّ على الخضاب أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام أخبار كثيرة ، ففي كتاب من لايحضره الفقيه : « دخل الحسن بن الجهم على أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام و قد اختضب بالسواد ، فقال : إنّ في الخضاب أجراً ، والخضاب والتهيئة ممّا يزيد الله عزّ وجلّ به في عفّة النساء ، و لقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهنّ التهيئة ، فقال له : بلغنا أنّ الحنّاء يزيد في الشيب ؟ فقال : أيّ شيء يزيد في الشيب ؟ الشيب يزيد في كلّ يوم » .

و سأل « محمّد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام عن الخضاب فقال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يختضب و هذا شعره عندنا » .

وروي « أنّه كان في رأسه ولحيته عليه السلام سبع عشرة شيبة » .

و « كان النبيّ صلّى الله عليه وآله والحسين بن عليّ و أبوجعفر محمّد بن عليّ عليهم السلام يختضبون بالكتم »[(٢)] .

و « كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يختضب بالحنّاء والكتم » .

وقال الصادق عليه السلام : « الخضاب بالسواد اُنس للنساء ، و مهابة للعدوّ » .

ر قال عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : « و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة »[(٣)] قال : منه الخضاب بالسواد ، و إنّ رجلاً دخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله و قد صفّر لحيته ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله : ما أحسن هذا ، ثمّ دخل عليه بعد ذلك وقد أقنى بالحنّاء ، فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله و قال : هذا أحسن من ذاك ، ثمّ دخل عليه بعد ذلك وقد خضب بالسواد فضحك إليه ، فقال : هذا أحسن من ذاك و ذاك » .

قال : « و قد خضب الأئمّة عليهم السلام بالوسمة ، و الخضاب بالصفرة خضاب الإيمان

(١) مكارم الاخلاق ص ٧٩ .
(٢) الكتم - بالفتح والتحريك - : نبات يخضب به الشعر ويصنع منه مداد للكتابة .
(٣) الانفال : ٦٠ .

و الاقتناء خضاب الإسلام ، و بالسواد إسلامٌ و إيمانٌ ونورٌ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : « يا عليّ درهم في الخضاب أفضل من ألف درهم في غيره في سبيل الله عزّوجلّ ، و فيه أربع عشرة خصلة : يطرد الريح من الأذنين ، و يجلو البصر ، ويليّن الخياشيم ، ويطيّب النكهة ، و يشدّ اللّثة ، و يذهب بالضنى (١) ويقلّ وسوسة الشيطان ، وتفرح به الملائكة ، و يستبشر به المؤمن ، و يغيظ به الكافر ، و هوزينة ، وطيب ، ويستحيي منه منكرونكير ، و هو براءة له في القبر »(٢).

و أكثرهذه الأخبار مرويٌّ في الكافي أيضاً بأسناد معتبرة(٣).

وفيه بإسناده الصحيح « عن عمربن يزيد قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إيّاك ونصول الخضاب فإنّ ذلك بؤس »(٤).

و بإسناده « عن حفص الأعور قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن خضاب اللّحية و الرأس أمن السنّة ؟ فقال : نعم ، قلت : إنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه لم يختضب ، قال : إنّما منعه قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ هذه ستخضب من هذه »(٥).

أقول : فلا تصغ إلى ما ذكره أبوحامد في هذا الباب من المبالغة في الزجر عن الخضاب وخصوصاً بالسواد فإنّ أهل البيت أدرى بما في البيت .

قال : « السادس : وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل ، كانت العرب لاتكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم صلى الله عليه وآله بغسل البراجم .

السابع : تنظيف الرواجب أمر صلى الله عليه وآله به العرب و هي رؤوس الأنامل و ماتحت الأظفار من الوسخ لأنّها كانت لايحضرها المقراض في كلّ وقت يجتمع فيها أوساخ

---

(١) الضنى : المرض و الهزال و سوء الحال .

(٢) جميع تلك الاخبار فى الفقيه ص ٢٨ و ٢٩ تحت رقم ٦٣ الى ٦٩ .

(٣) راجع المجلد السادس منه ص ٤٨٠ الى ٤٨٤ .

(٤) نصلت اللحية : خرجت عنه الخضاب (القاموس) ، و الخبرفى الكافى ج ٦ ص ٤٨٢ تحت رقم ١١ .

(٥) الكافى ج ٦ ص ٤٨١ تحت رقم ٥ .

فوقّت لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلم الأظفار، ونتف الإبط، و حلق العانة كلّ أربعين يوماً لكنّه أمر بتنظيف ماتحت الأظفار.

وجاء في الأثر «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استبطأ الوحي فلمّا هبط عليه جبرئيل عليه السلام قال له: كيف ينزل عليكم و أنتم لاتغسلون براجمكم، ولا تنظفون رواجبكم، و قلحاً لاتستاكون، مر اُمّتك بذلك»[1].

أقول: و من طريق الخاصّة ماروواه في الكافي[2] «عن الصادق عليه السلام قال: احتبس الوحي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: احتبس الوحي عنك، فقال: و كيف لا يحتبس و أنتم لا تقلّمون أظفاركم، ولا تنقون رواجبكم».

الثامن[3]: الدرن الّذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق، وذلك يزيله الحمّام».

أقول: ولنورد كيفيّة دخول الحمّام وسننه وآدابه على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

(بيان كيفية دخول الحمام وآدابه)

روى في الكافي بالإسناد الصحيح عن الصادق عليه السلام و رواه في الفقيه أيضاً «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمّام إلّا بمئزر»[4].

قال في الفقيه: وروى يحيى بن سعيد الأهوازيّ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن محمّد بن حمران قال: قال الصادق عليه السلام: «إذا دخلت الحمّام فقل في الوقت الّذي تنزع فيه ثيابك: «اللّهمّ انزع عنّي ربقة النفاق، وثبّتني على الإيمان»، و إذا دخلت البيت الأوّل فقل: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي و أستعيذ بك من أذاه»، فإذا دخلت البيت الثاني فقل: «اللّهمّ أذهب عنّي الرجس النجس و طهّر جسدي و قلبي»

---

(١) أخرجه احمد في مسنده ج ١ ص ٢٤٣ بلفظ آخر. ورواجب جمع راجبة وهي مابين عقد الاصابع من داخل، والبراجم جمع برجمة - بضم الباء و الجيم - وهي مفاصل الاصابع.

(٢) المجلد السادس ٤٩٧ تحت رقم ١٧.

(٣) تتمة كلام أبي حامد.

(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٩٧ تحت رقم ٣، و الفقيه ص ٢٥ تحت رقم ١.

وخذ من الماء الحارّ وضعه على هامتك، وصبّ منه على رجليك وإن أمكن أن تبلع منه جرعة فافعل فإنّه ينقي المثانة[1]، والبث في البيت الثاني ساعة، فإذا دخلت البيت الثالث فقل: «نعوذ بالله من النّار، وتسأله الجنّة» تردّدها إلى وقت خروجك من البيت الحارّ، وإيّاك وشرب الماء البارد، والفقّاع في الحمّام[2] فإنّه يفسد المعدة ولاتصبّنّ عليك الماء البارد فإنّه يضعف البدن، وصبّ الماء البارد على قدمك إذا خرجت فإنّه يسلّ الداء من جسدك، فإذا لبست ثيابك فقل: «اللّهمّ ألبسني التقوى، وجنّبني الرّدى» فإذا فعلت ذلك أمنت من كلّ داء، ولابأس بقراءة القرآن في الحمّام مالم ترد به الصوت إذا كان عليك مئزر»[3].

وسأل محمّد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام «فقال: أكان أميرالمؤمنين عليه السلام ينهى عن

---

(١) الذى يظهر من تتبع الاخبار أن الحمامات كانت فى عصرهم ذات بيوت أربعة، البيت الاول: بارد يابس - و فيه ينزعون ملابسهم -، و الثانى: بارد رطب - فيه مخزن الماء البارد -، الثالث: حار رطب - فيه مخزن الماء الحار - الرابع حار يابس - فيه يحمى المستحم بدنه فيدلك - راجع (الرسالة الذهبية - طب الرضا عليه السلام - ص ٩٤ ومستدرك النورى ج١ص ٥٤) وكان فى البيت الثالث الذى فيه مخزن الماء الحار بئر أوحوض يسيل فيه ماء الغسالة فقط، و كان ممنوعاً على المغتسل الارتماس فى مخزن الماء سواء كان حاراً او بارداً، وكان حول المخزن مواضع ومصطبات يقوم المغتسل عليها فيأخذ الماء من المخزن بالمشربة فيصب عليه و يخرج الغسالة منه الى البئر و كان فى بعض الحمامات حول المخزن حياض صغار يخرج الماء من المخزن فى انابيب خاصة الى تلك الحياض و يأخذ كل مستحم الماء بقدر حاجته. و المراد فى حديث الصدوق - رحمه الله - من بيوت الحمام البيوت التى كان يدخل فيها المستحم بعد نزع ثيابه، و المراد من تجرع الماء المنقى للمثانة ان يغترف من ماء المخزن أوالحوض الخاص الممنوع وروده لاماء المخازن التى يغتسلون الناس فيه ويدلكون كما كان فى عصرنا هذا فى بعض البلاد، بل الظاهر كراهية الاغتسال والارتماس فيه فضلا عن شربه كما فى الخبر الذى رواه الكلينى فى الكافى ج٦ ص ٥٠٣ عن ابى الحسن الرضا عليه السلام «من اغتسل فى الماء الذى يغتسل فيه فأصابه الجذام فلا يلومن الانفسه».

(٢) الفقاع وان كان حراماً الا أنه عليه السلام أكد حرمة شربه فى الحمام.

(٣) الفقيه ص ٢٧ تحت رقم ١٢.

قراءة القرآن في الحمّام؟ فقال: لا، إنّما ينهى أن يقرء الرجل وهو عريان، فأمّا إذا كان عليه إزار فلابأس»[١].

و قال عليّ بن يقطين لموسى بن جعفر عليه السلام: «أقرء في الحمّام وأنكح فيه؟ قال: لابأس»[٢].

قال الصدوق ـ رحمه الله ـ: و كذا النهي الوارد عن التسليم فيه إنّما هولمن لامئزر عليه[٣].

قال عليه السلام: «ويجب على الرجل أن يغضّ بصره، ويستر فرجه من أن ينظر إليه»[٤].

وسئل الصادق عليه السلام «عن قول الله عزّ وجلّ: «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم»[٥] فقال: كلّ ماكان في كتاب الله تعالى من ذكر حفظ الفرج فهومن الزّنى إلّا في هذا الموضع فإنّه الحفظ من أن ينظر إليه».

وروي عن الصادق عليه السلام «أنّه قال: إنّما أكره النظر إلى عورة المسلم، فأمّا النظر إلى عورة الذمّي ومن ليس بمسلم فهو مثل النظر إلى عورة الحمار»[٦].

و قال الصادق عليه السلام: «الفخذ ليس من العورة»[٧] ـ انتهى كلام الصدوق ـ.

و الأولى أن يستر من السرّة إلى الركبة كما فعله أبو جعفر عليه السلام حين يطليه غيره ثمّ قال: اُخرج عنّي، ثمّ طلى هو ماتحته بيده، ثمّ قال: هكذا فافعل. رواه في الكافي.[٨]

---

(١) و (٢) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٣ و ١٤. و الكافي ج ٦ ص ٥٠٢ تحت رقم ٣٢ و ٣١.

(٣) الفقيه ص ٢٧ ذيل الخبر السادس و الثلاثين.

(٤) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٨ من أبي الحسن موسى عليه السلام.

(٥) النور: ٣١، و الخبر في الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٩.

(٦) الكافي ج ٦ ص ٥٠١ تحت رقم ٢٧، والفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢٠ و قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في المرآة: يظهر من الكليني و الصدوق ـ رحمهماالله ـ القول بمدلول الخبر، و يظهر من الشهيد و جماعة عدم الخلاف في التحريم.

(٧) الفقيه ص ٢٧ تحت رقم ٣٨.

(٨) المصدر ص ٥٠١ تحت رقم ٢٢.

و ذلك لأنّ تلك المواضع بمنزلة حريم للعورة ، و قد قيل بوجوب سترها أيضاً .

قال الصدوق ـ رحمه الله ـ : وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : « نعم البيت الحمّام ، تذكر فيه النّار ويذهب بالدّرن»[١] .

وقال أميرالمومنين عليه السلام : « بئس البيت الحمّام يهتك الستر و يذهب بالحياء ».[٢]

وقال الصادق عليه السلام : « بئس البيت الحمّام يهتك الستر ويبدي العورة ، و نعم البيت الحمّام يذكر حرّ النّار »[٣] .

أقول : وقد ذكر أبوحامد في سنن الحمّام « أن يتذكّر حرّ النار بحرارته و يقدّر نفسه محبوساً في البيت الحارّ ساعة و يقيسه إلى جهنّم ، فإنّه أشبه بيت بجهنّم ، النّار من تحت ، والظلام من فوق ، نعوذ بالله منها ، قال : بل العاقل لايغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنّها مصيره و مستقرّه فيكون له في كلّ ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة و موعظة ، فإنّ المرء ينظر بحسب همّته ، فإذا دخل بزّاز ونجّار وبنّاء و حائك داراً معمورة مفروشة ، فإذا تفقّدتهم رأيت البزّاز ينظر إلى الفرش ، يتأمّل قيمتها ، و الحائك ينظر إلى الثياب ، يتأمّل نسجها ، والنجّار ينظر إلى السقف ، يتأمّل كيفيّة تركيبها[٤] ، والبنّاء ينظر إلى الحيطان ، يتأمّل كيفيّة إحكامها واستقامتها ، فكذلك سالك طريق الآخرة لايرى من الأشياء إلّا مايكون له موعظة من الآخرة ، بل لاينظر إلى شيء إلّا و يفتح الله له فيه طريق عبرة ، فإن نظر إلى سواد يذكر ظلمة اللّحد ، و إن نظر إلى حيّة يذكر أفاعي جهنّم ، و إن نظر إلى صورة قبيحة يذكر منكراً و نكيراً و الزبانية ، و إن سمع صوتاً هائلاً يذكر نفخة الصور ، و إن رأى شيئاً حسناً يذكر نعيم الجنّة ، وإن سمع كلمة ردّ أو قبول في سوق أودار يذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الردّ أو القبول ، و ما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذلا يصرفه عنه إلّا مهمّات الدنيا ، فإذا نسب مدّة المقام في الدّنيا إلى مدّة المقام

(١) و (٢) و (٣) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢١ و ٢٢ و ٢٣ .

(٤) أراد به السقوف التي كانت في زمانه حيث يزخرفون السقوف باشكال هندسية ولايزال بعضها باقياً الى عصرنا .

في الآخرة استحقرها إن لم يكن ممّن أقفل قلبه أو عميت بصيرته » ـ انتهى كلامه .

قال في الفقيه : « ومن الآداب أن لا يدخل الرّجل ولده معه الحمّام فينظر إلى عورته » .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يبعث بحليلته إلى الحمّام » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « من أطاع امرأته أكبّه الله على منخريه في النّار ، قيل : وما تلك الطاعة ؟ فقال : تدعوه إلى النياحات و العرسات والحمّامات و الثياب الرقاق فيجيبها » .

و قال الصادق عليه السلام : « لاتتّك في الحمّام فإنّه يذيب شحم الكليتين ، ولاتسرّح في الحمّام فإنّه يرقّق الشعر ، ولا تغسل رأسك بالطين فإنّه يسمج الوجه ـ[1] و في حديث آخر يذهب بالغيرة ـ ، ولا تدلك بالخزف فإنّه يورث البرص ، ولا تمسح وجهك بالإزار فإنّه يذهب بماء الوجه ، وروي أنّ ذلك طين مصر ، و خزف الشام ؛ و السواك في الحمّام يورث و باء الأسنان ، ولا يجوز التطهير والغسل بغسالة الحمّام » .

وقال أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : « لاتدخلوا الحمّام على الريق ولاتدخلوا حتّى تطعموا شيئاً » .

و قال عليه السلام : « الحمّام يوم و يوم لا ، يكثر اللّحم ، و إدمانه كلّ يوم يذيب شحم الكليتين »[2] .

و « دخل الصادق عليه السلام الحمّام ، فقال له صاحب الحمّام : نخلّيه لك ؟ قال : لا ، إنّ المؤمن خفيف المؤونة »[3] .

و قال الصادق عليه السلام : « غسل الرأس بالخطمي ينفي الفقر ويزيد في الرزق »[4] .

وقال عليه السلام : « غسل الرأس بالخطمي في كلّ جمعة أمان من البرص والجنون » .

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام : « غسل الرأس بالخطمي يذهب بالدرن ، وينقي الأقذار »

(١) اى يقبح .

(٢) جميع تلك الاخبار فى الفقيه ص ٢٦ و٢٧ فلتراجع .

(٣) الكافى ج ٦ ص ٥٠٣ تحت رقم ٣٧ .

(٤) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٩ ، والكافى ج ٦ ص ٥٠٤ تحت رقم ١ ، والخبران بعده تحت رقم ٢ و ٣ .

و «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله اغتمّ فأمره جبرئيل عليه السلام بغسل رأسه بالسدر، و كان ذلك سدراً من سدرة المنتهى»[١].

وقال أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: «غسل الرأس بالسدر يجلب الرزق جلباً».

وقال الصادق عليه السلام: «اغسلوا رؤوسكم بورق السدر فإنّه قدّسه كلّ ملك مقرّب و كلّ نبيّ مرسل، ومن غسل رأسه بورق السدر صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً، ومن صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً لم يعص ومن لم يعص دخل الجنّة».

و «خرج الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام من الحمّام فقال له رجل: طاب استحمامك، فقال: يا لكع و ماتصنع بالإست ههنا[٢]؟ فقال: طاب حمّامك، قال: إذا طاب الحمّام فماراحة البدن منه؟ قال: فطاب حميمك، فقال: ويحك أما علمت أنّ الحميم العرق، قال له: فكيف أقول؟ قال: قل طاب ماطهر منك وطهر ماطاب منك»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «إذا قال لك أخوك وقد خرجت من الحمّام: طاب حمّامك فقل له: أنعم الله بالك»[٤].

أقول: و أمّا الكلام في غسل الجمعة و آدابه فسنورده في مباحث صلاة الجمعة كما فعله أبوحامد.

قال: «النوع الثاني ما يحذف من البدن من الأجزاء، و هي ثمانية:

الأوّل: شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف، و لا بتركه لمن يدهن و

---

(١) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٨٠، و اللذان بعده تحت رقم ٨٢ و ٨٣.

(٢) قال العلامة المجلسي - رحمه الله - في المرآة: أي لامناسبة لحروف الطلب ههنا بعد الخروج من الحمام مع استهجان لفظ الاست بمعناه الاخر.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٥٠٠ تحت رقم ٢١. و قال الجوهري: الحميم: الحار، و العرق، و قد استحم أي عرق، و قوله عليه السلام: «طهر» اي طهرالله من المعاصي «ما طاب منك» من نفسك و قلبك و طيب من العلل و الامراض و عن المعاصي ما طهر منك بالغسل. (كذا في المرآة).

(٤) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٨٦.

يرجّل إلّا إذا تركه قزعاً [١] قطعاً فهي دأب الشطارة ، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم ، فإنّه إذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبيساً » .

أقول : و قد ذكرنا أنّ حلق الرأس أفضل من تركه و أجمل ، و أمّا القنازع فقد ورد كراهته عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً .

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام « قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تحلقوا الصبيان القزع ، و القزع أن يحلق موضعاً و يدع موضعاً » [٢] .

و عنه عليه السلام « أنّه كره القزع في رؤوس الصبيان ، و ذكر أنّ القزع أن يحلق الرأس إلّا قليلاً وسط الرأس يسمّى القزعة » [٣] .

و عنه عليه السلام « قال : اُتي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بصبيّ يدعو له وله قنازع فأبى أن يدعو له وأمر أن يحلق رأسه » [٤] .

الثاني : شعر الأنف ويستحبّ نتفه أو قرضه ففي الكافي والفقيه عن الصادق عليه السلام « أنّه قال : أخذ شعر الأنف يحسّن الوجه » [٥] و القرض أولى من النتف كما ورد [٦] ، ولم يذكره أبو حامد و ذكر بدله في السادس زيادة السرّة ، قال : و يقطع في أوّل الولادة و اقتصر عليه ، وأخّر ما طال من اللّحية إلى الثامن لمصلحة زعمها فيه فهي ساقطة عندنا و لذا ذكرناه في محلّه و ما فعلناه أولى كما لايخفى .

الثالث : شعر الشارب و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « قصّوا الشوارب » [٧] و في لفظ آخر

---

(١) القزع ـ بالتحريك ـ يأتي معناه وفى بعض النسخ [قنزعاً] و القنزع ـ بضم القاف والزاى ـ هى الخصلة من الشعر ترك على الرأس ، و أيضاً الشعر حول الرأس .

(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٠ تحت رقم ١ .

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٠ تحت رقم ٢ . و فيه « القنزعة » .

(٤) المصدر ج ٦ ص ٤٠ .

(٥) الكافى ج ٦ ص ٤٨٨ تحت رقم١ ، والفقيه ص ٢٩تحت رقم ٧٨ .

(٦) راجع الكافي ج٦ ص٤٩٢ باب جزالشيب ونتفة ، وسنن النسائى ج٨ ص ١٤٨ .

(٧) أخرجه أحمد فى المسند ج ٢ ص ٢٢٩ عن ابى هريرة .

« جزّوا الشوارب»(١) و في لفظ آخر «حفّوا الشوارب ، وأعفوا اللّحى» (٢) أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها ، و حفاف الشيء حوله ، و منه قوله تعالى : « و ترى الملائكة حافّين من حول العرش » (٣) و في لفظ آخر « أحفوا الشوارب » (٤) و هذا يشعر بالاستيصال ، و قوله : « حفّوا » يدلّ على ما دون ذلك ، قال تعالى : « إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا » (٥) أي يستقصي عليكم ، و أمّا الحلق فلم يرد ، و الإحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة ؛ نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتني أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ، ولا بأس بترك سباليه و هما طرفا الشارب ، فعل ذلك بعض الصحابة لأنّ ذلك لا يستر الفمّ و لا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه ، و قوله : « أعفوا اللّحى » أي كثّروها ، و في الخبر أنّ اليهود يعفون شواربهم و يقصّون لحاهم فخالفوهم» .(٦) و كره بعض العلماء الحلق و رآه بدعة » .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه (٧) « عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال : إنّ المجوس جزّوا لحاهم ووفّروا شواربهم وإنّا نحن نجزّ الشوارب ونعفي اللّحى وهي الفطرة» .

و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم : « أحفوا الشوارب ، و أعفوا اللّحى ، و لا تتشبّهوا باليهود » (٩) .

و روى في الكافي (١٠) « عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : لا يطولّنّ

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ١ ص ١٥٣ عن أبى هريرة ، وأخرجه أيضاً احمد فى المسند ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) أخرجه النسائى فى سننه ج ٨ ص ١٢٩ ، وأحمد فى المسند ج ١ ص ٥٢ .

(٣) الزمر : ٧٥ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ١ ص ١٥٣ ، والنسائى ج ١ ص ١٦ عن ابن عمر .

(٥) سورة محمد . ٣٧ .

(٦) اخرج أحمد فى مسنده ج ٢ ص ٣٥٦ نحوه ، و أيضاً روى القاضى نعمان فى دعائم الاسلام مثله كما فى المستدرك للنورى ج ١ ص ٥٩ .

(٧) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١١٩ .

(٩) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٨ .

(١٠) المصدر ج ٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ١١ .

أحد كم شاربه فإنّ الشيطان يتّخذه مخبأ يستتر به »(١).

وعن الباقر عليه السلام « من أخذ من أظفاره وشاربه كلّ جمعة و قال حين يأخذه : « بسم الله وبالله وعلى سنّة محمّد رسول الله وآل محمّد صلوات الله عليهم لم تسقط منه قلامة ولاجزازة إلّا كتب الله عزّوجلّ له بها عتق نسمة ، ولا يمرض إلّا مرضه الّذي يموت فيه »(٢).

وعن الصادق عليه السلام « أخذ الشارب من الجمعة إلى الجمعة أمان من الجذام »(٣).

وقال عبدالله بن أبي يعفور للصادق عليه السلام : «جعلت فداك يقال : ما استنزل الرزق بشيء مثل التعقيب فيمابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فقال : أجل ولكن اُخبرك بخير من ذلك أخذ الشارب وتقليم الأظفار يوم الجمعة »(٤)

و في الكافي(٥) « عن عبدالله بن عثمان أنّه رأى أبا عبدالله عليه السلام أحفى شاربه حتّى ألصقه بالعسيب » وهومنبت الشعر .

وفيه عنه عليه السلام « قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ من السنّة أن يأخذ الشارب حتّى يبلغ الإطار »(٦)

الرابع : ما طال من اللّحية قال في الفقيه : « نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى رجل طويل اللّحية فقال : ما كان على هذا لو هيّأ من لحيته ؟ فبلغ الرجل ذلك فهيّأ لحيته بين

---

(١) المخبأ : موضع الاختباء اى الاستتار . وفى بعض النسخ [مجنا] بمعناه .

(٢) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩١ ونحوه فى الكافى ج ٣ ص ٤١٧ عن ابى عبدالله عليه السلام ، و قال العلامة المجلسى ـ رحمه الله ـ : لعل التخلف فى بعض الموارد للاخلال بشرائطه و القصور فى النية اوالمراد أن هذا الفعل فى نفسه هذا ثمرته فلا ينافى أن ينفك هذا الاثر عنه بسبب ما يرتكبه العبد من المعاصى مما يوجب العقوبة كما أن الطبيب يقول : الفلفل يسخن ، فاذا أكله أحد وداواه بضده فلم يظهر فيه أثر التسخين لايوجب تكذيب الطبيب . انتهى . والقلامة : ما سقط من الظفر ، و الجزازة : ما يسقط على الارض .

(٣) الكافى ج ٣ ص ٤١٨ تحت رقم ٧ ، و فى الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩٣ .

(٤) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩٨ .

(٥) و (٦) الكافى ج ٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ٩ و ٦ ، و الاطار ـ ككتاب ـ : ما يفصل بين الشفة و شعرات الشارب . (القاموس)

اللّحيتين ثمّ دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا رآه قال: هكذا فافعلوا» [١].

و قال الصادق عليه السلام: «مازاد في اللّحية عن القبضة فهو في النار» [٢].

و قال محمّد بن مسلم: «رأيت أبا جعفر الباقر عليهما السلام و الحجّام يأخذ من لحيته فقال: دوّرها» [٣].

وقال الصادق عليه السلام: «تقبض بيدك على لحيتك و تجزّ مافضل» [٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشيب في مقدّم الرأس يُمن، و في العارضين سخاء، و في الذوائب شجاعة، و في القفا شوم» [٥].

و قال الصادق عليه السلام: «أوّل من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام و أنّه هيّأ لحيته فرأى طاقة بيضاء، فقال: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال: هذا و قار، فقال إبراهيم عليه السلام: «اللّهمّ زدني وقاراً» [٦].

وقال صلى الله عليه وآله: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورٌ يوم القيامة» [٧].

وقال صلى الله عليه وآله: «الشيب نور فلاتنتفوه» [٨].

وكان عليّ عليه السلام: «لايرى بجزّ الشيب بأساً و يكره نتفه» [٩].

فالنّهي عن نتف الشيب نهي كراهيّة لانهي تحريم لأنّ الصادق عليه السلام يقول [١٠]: «لا بأس بجزّ الشمط ونتفه [١١] و جزّه أحبّ إليّ من نتفه» فأخبارهم عليهم السلام لايختلف في حالة واحدة لأنّ مخرجها من عند الله تعالى ذكره وإنّما تختلف بحسب اختلاف الأحوال [١٢].

أقول: و أمّا حلق اللّحية فقد قيل بتحريمه، ولم يتعرّض له أبوحامد في هذا الكتاب ولا مَن يوثق به من أصحابنا، و لعلّ وجه حرمته أنّه خلاف السنّة فيكون بدعة ولمخالفته قول الرسول صلى الله عليه وآله: «أعفوا اللّحى» ولقوله تعالى - حكاية عن الشيطان اللّعين -: «ولآمرنّهم فليغيّرنّ خلق الله» [١٣] فإنّ إزالة الشعور الأخر مأذونة من الشارع

---

(١) الى (١٠) جميع تلك الاخبار فى الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٨ الى ١٢٥ . وبعضها فى الكافي ج٦ ص٤٨٦ الى ٤٨٨ . (١١) الشمط: اختلاط الشيب بسواد الشباب .

(١٢) من كلام الصدوق - رحمه الله - كما فى الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١٢٥ .

(١٣) النساء: ١١٩ .

بخلاف اللّحية بتمامها، و لماروا في الكافي عن حبابة الوالبيّة قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس و معه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاعي الجرّيّ و المارماهي والزّمار و يقول لهم: يا بيّاعي مسوخ بني إسرائيل و جند بني مروان، فقام إليه فرات ابن أحنف فقال: يا أمير المؤمنين: وما جند بني مروان؟ قال: فقال له: أقوام حلقوا اللّحى و فتلوا الشوارب فمسخوا - الحديث -»[1] و هو طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

قال أبو حامد: «و أمّا نتفها في أوّل النبات تشبّهاً بالمرد فمن المنكرات الكبار فإنّ اللّحية زينة الرجال فللّه ملائكة يقسمون: والّذي زيّن بني آدم باللّحى. و هي من تمام الخلق و بها يتميّز الرجال عن النساء، و قيل في غريب التأويل: اللّحية هي المراد بقوله: «يزيد في الخلق ما يشاء»[2].

قال أصحاب الأحنف: وَدِدنا أن نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفاً، وقال شريح القاضي: وَدِدت أن يكون لي لحية بعشرة آلاف؛ و كيف يكره اللّحية و فيها تعظيم الرجل، و النظر إليه بعين العلم و الوقار، و الرفع في المجالس، و إقبال الوجوه إليه، و التقدّم على الجماعة، و وقاية العرض، فإنّ من يشتم يعرّض باللّحية إذا كان للمشتوم لحية. و قيل: إنّ أهل الجنّة مردٌ إلّا هارون أخو موسى عليهما السلام فإنّ له لحية إلى سرّته تخصيصاً له و تفضيلاً».

الخامس والسادس: شعر الإبط و العانة، ويلحق بهما شعر سائر الجسد ويستحبّ إزالتها إمّا بالحلق أو بالنورة، و أمّا النتف فإيلام و تعذيب و المقصود النظافة، و أن لا يجتمع الوسخ في خللها و يحصل ذلك بالأسهل.

و في الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يطوّلنّ أحدكم شعر إبطيه فإنّ الشيطان يتّخذه مجنّاً[3] يستتر به»[4].

---

(١) المصدر ج ١ ص ٣٤٦، و رواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في كمال الدين ص ٢٩٤ من حديث حبابة الوالبية. (٢) الفاطر: ١.

(٣) المجن كل ماوقى من السلاح. و في بعض النسخ [مخبأ] والمخبأ موضع الاستتار.

(٤) المصدر ص ٢٨ تحت رقم ٥٠.

و قال صلى الله عليه و آله : « من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً ، ولا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يوماً»(١).

و قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أُحبّ للمؤمن أن يطلي في كلّ خمسة عشر يوماً »(٢).

و قال الصادق عليه السلام : «السنّة في النورة في كلّ خمسة عشر يوماً ، فإن أتت عليك عشرون يوماً و ليس عندك فاستقرض على الله عزّ وجلّ »(٣).

و كان الصادق عليه السلام يطلي إبطيه في الحمّام و يقول : « نتف الإبط يضعف المنكبين و يوهي ، و يضعف البصر »(٤).

و قال عليه السلام : « حلقه أفضل من نتفه ، و طليه أفضل من حلقه »(٥).

و قال عليّ عليه السلام : «نتف الإبط ينفي الرائحة المكروهة ، و هو طهور و سنّة ممّا أمر به الطيّب عليه و آله السلام »(٦). و قال عليه السلام : « أيضاً النورة طهور »(٧).

و قال الصادق عليه السلام : « من أراد أن يتنوّر فليأخذ من النورة و يجعله على طرف أنفه و يقول : « اللّهمّ ارحم سليمان بن داود كما أمر بالنورة ، فإنّه لاتحرقه إن شاء الله تعالى»(٨).

و روي « أنّ من جلس و هو متنوّر خيف عليه الفتق »(٩)« والجنب لا بأس بأن يطلي فإنّ النورة تزيده نظافة »(١٠).

و قال الصادق عليه السلام : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : ينبغي للرّجل أن يتوقّى النورة يوم الأربعاء فإنّه يوم نحس مستمرّ و يجوز النورة في سائر الأيّام »(١١).

و روي « أنّها في يوم الجمعة تورث البرص»(١٢).

و روى الريّان بن الصّلت عمّن أخبره ، عن أبي الحسن عليه السلام « قال : من تنوّر يوم الجمعة فأصابه البرص فلا يلومنّ إلّا نفسه»(١٣).

أقول : و قد روى في الكافي عن البرقي رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام « قال : قيل له يزعم بعض الناس أنّ النورة يوم الجمعة مكروهة ، فقال : ليس حيث ذهبت أي طهور أطهر

---

(١) الى (١٣) جميع تلك الروايات في الفقيه باب غسل يوم الجمعة تحت رقم ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ على الترتيب.

من النورة يوم الجمعة »(١).

و فيه عن الصادق عليه السلام « قال : طلية في الصيف خيرٌ من عشر في الشتاء »(٢).

و عنه عليه السلام « قال : كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يطلي العانة و ما تحت الأليتين في كلّ جمعة »(٣).

و عن « سدير أنّه سمع عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : من قال إذا أطلى بالنورة : « اللّهمّ طيّب ما طهر منّي ، و طهّر ما طاب منّي ، و أبدلني شعراً طاهراً لا يعصيك اللّهمّ إنّي تطهّرت ابتغاء سنّة المرسلين ، و ابتغاء رضوانك و مغفرتك ، فحرّم شعري و بشري على النار ، و طهّر خَلقي ، و طيّب خُلقي ، و زكّ عملي ، و اجعلني ممّن يلقاك على الحنيفيّة السمحة ، ملّة إبراهيم خليلك ، و دين محمّد صلى الله عليه و آله و سلم حبيبك و رسولك ، عاملاً بشرائعك ، تابعاً لسنّة نبيّك ، آخذاً به متأدّباً بحسن تأديبك و تأديب رسولك صلى الله عليه و آله و سلم و تأديب أوليائك ، الّذين غذوتهم بأدبك ، و زرعت الحكمة في صدورهم ، و جعلتهم معادن لعلمك صلواتك عليهم » من قال ذلك طهّره الله من الأدناس في الدنيا ، و من الذنوب ، و أبدله شعراً لا يعصي ، و خلق الله بكلّ شعرة من جسده ملكاً يسبّح له إلى أن تقوم الساعة ، و أنّ تسبيحة من تسبيحهم تعدل بألف تسبيحة من تسبيح أهل الأرض »(٤).

و عن الحكم بن عتيبة « قال : رأيت أبا جعفر عليه السلام و قد أخذ الحنّاء و جعله على أظافيره ، فقال : يا حكم ما تقول في هذا ؟ فقلت : ما عسيت أن أقول فيه و أنت تفعله ، و إنّ عندنا يفعله الشبّان ، فقال : يا حكم إنّ الأظافير إذا أصابتها النورة غيّرتها حتّى تشبه أظافير الموتى فغيّرها بالحنّاء »(٥)

و عن أحمد بن عبدوس « قال : رأيت أبا جعفر عليه السلام و قد خرج من الحمّام و هو من قرنه إلى قدمه مثل الوردة من أثر الحنّاء »(٦).

وفي الفقيه « قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : من أطلى و اختضب بالحنّاء آمنه الله تعالى

(١) الى(٦) راجع الكافى ٦: ص ٥٠٥ باب النورة ، ٥٠٧ باب الابط ، و ص٥٠٩ باب الحناء بعد النورة.

من ثلاث خصال : الجذام ، و البرص ، و الآكلة إلى طلية مثلها » (١) .

و قال الصادق عليه السلام : « الحنّاء على أثر النورة أمان من الجذام والبرص» (٢) .

و روي « أنّ من أطلى فتدلّك بالحنّاء من قرنه إلى قدمه نفى الله عنه الفقر » (٣) .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اختضبوا بالحنّاء فإنّه يجلو البصر ، و ينبت الشعر ، ويطيّب الريح ، ويسكّن الزوجة » (٤) .

وقال الصادق عليه السلام : « الحنّاء يذهب بالسهك(*) ويزيد في ماء الوجه ، ويطيّب النكهة ، ويحسن الولد » (٥) .

و قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الخضاب هدى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من السنّة » (٦) .

و قال الصادق عليه السلام : « لا بأس بالخضاب كلّه » (٧) .

ولا بأس أن يتدلّك الرجل في الحمّام بالسويق ، و الدقيق ، و النخالة ، ولا بأس بأن يتدلّك بالدقيق الملتوت بالزيت ، و ليس فيما ينفع البدن إسراف ، إنّما الإسراف فيما أتلف المال و أضرّ بالبدن .

السابع : الأظفار و قلمها مستحبّ لشناعة صورتها إذا طالت ، ولما يجتمع فيها من الوسخ ؛ روي في الكافي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّما قصّ الأظفار لأنّها مقيل الشيطان ، و منه يكون النسيان » (٨) .

و عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ أستر و أخفى ما يسلّط الشيطان من ابن آدم أن صار يسكن تحت الأظافير » (٩)

و عن الحسن بن راشد « عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : تقليم الأظفار يمنع الداء الأعظم ويدرّ الرزق » (١٠) .

و عن محمّد بن طلحة « قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : تقليم الأظفار و قصّ الشارب ،

(*) السهك ـ محركة ـ : ريح كريهة تجدها ممن عرق .

(١) الى (٧) الفقيه باب غسل الجمعة ص ٢٥ تحت رقم ٥٦ : الى ٦٢ .

(٨) الى (١٠) الكافي ج ٦ باب تقليم الاظفار ص ٤٩٠ رقم ٦ ، ٧ ، ١ ، على الترتيب .

وغسل الرأس بالخطمي في كلّ جمعة ينفي الفقر، و يزيد في الرزق»[(١)].

وعن أبي بصير «قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما ثواب من أخذ من شاربه، و قلّم أظفاره في كلّ جمعة؟ قال: لايزال مطهّراً إلى الجمعة الأُخرى»[(٢)].

و عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام «قال: تقليم الأظفار يوم الجمعة يؤمن من الجنون و الجذام و البرص و العمى و إن لم تحتج فحكّها حكّاً»[(٣)].

قال في الفقيه: و في خبر آخر «فان لم تحتج فأمرّ عليها السكّين أوالمقراض»[(٤)].

قال: «و تقليم الأظفار يوم الخميس يرفع الرّمد»[(٥)].

و قال أبو جعفر عليه السلام: «من أخذ من أظفاره كلّ خميس لم يرمد ولده»[(٦)].

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام «من أدمن أخذ أظفاره كلّ خميس لم يرمد عينيه»[(٧)].

و في الفقيه «قال الصادق عليه السلام: من قلّم أظفاره يوم الجمعة لم تشعث أنامله»[(٨)].

وقال: «من قصّ أظفاره يوم الخميس، وترك واحداً ليوم الجمعة نفى الله عنه الفقر»[(٩)].

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قلّم أظفاره يوم السبت و يوم الخميس، وأخذ من شاربه عوفي من وجع الضرس، و وجع العين»[(١٠)].

و قال موسى بن بكر للصادق عليه السلام: «إنّ أصحابنا يقولون: إنّما أخذ الشارب و الأظفار يوم الجمعة، فقال: سبحان الله خذها إن شئت في يوم الجمعة و إن شئت في سائر الأيّام، و قال: قصّها إذا طالت»[(١١)].

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «للرّجال: قصّوا أظافيركم، و للنساء: اتركن من أظافيركنّ فإنّه أزين لكنّ»[(١٢)].

---

(١) و (٢) الكافي ج ٦ باب تقليم الاظفار ص ٤٩٠ تحت رقم ١٠، ٨، على الترتيب.

(٣) الى (٦) الفقيه باب غسل الجمعة ص ٢٥ تحت رقم ٨٩، ٩٠، ٩٨، ٩٩.

(٧) المصدر ج ٦ ص ٤٩١ رقم ١٤.

(٨) الى (١٢) فى الفقيه باب غسل الجمعة رقم ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، على الترتيب.

وقال الصادق عليه السلام: «يدفن الرجل أظافيره وشعره إذا أخذ منها وهي سنّة»[(١)].

و روي «أنّ من السنّة دفن الشعر، و الظفر، و الدّم»[(٢)].

أقول و قد ذكرنا دعاء القلم في أخذ الشارب، وأمّا ترتيبه ففي الكتابين[(٣)] رواية أنّه يبدء بخنصره اليسرى و يختم بخنصره اليمنى، و قد روي بالعكس وغيرهما.

قال أبو حامد ولم أر في الكتب خبراً مرويّاً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنّه روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بدأ بمسبّحة اليمنى و ختم بإبهام اليمنى فابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام وفي اليمنى من المسبّحة إلى الخنصر والختم بإبهام اليمنى[(٤)]. ولمّا تأمّلت في هذا خطر لي من المعنى ما يدلّ على أنّ الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلّا بنور النبوّة و أمّا العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه، و الّذي لاح لي فيه ـ و العلم عند الله ـ أنّه لابدّ من قلم أظفار اليد و الرجل، و اليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثمّ اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها، ثمّ على اليمنى خمسة أصابع و المسبّحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ثمّ بعدها ينبغي أن يبتدأ بما على يمينها إذ الشرع يستحبّ إدارة الطهور وغيره على اليمين، و إن وضعت ظهر اليد على الأرض فالإبهام هو اليمين و إن وضعت بطن الكفّ فالوسطى هي اليمين، و اليد إذا تركت بطبعها كان الكفّ مائلاً إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار و استتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكفّ عالياً فما يقتضيه الطبع أولى، ثمّ إذا وضعت الكفّ على الكفّ صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبّحة إلى أن يعود إلى المسبّحة فتقع البداية بخنصر اليسرى و الختم بإبهامها، و يبقى إبهام اليمنى، و إنّما قدّرت الكفّ موضوعاً على الكفّ حتّى تصير الأصابع كالأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها و تقدير ذلك أولى

(١) و (٢) فى الفقيه باب غسل الجمعة رقم ١٠٤، ١٠٥ على الترتيب.

(٣) الكافى ج ٦ ص ٤٩٢ رقم ١٦، الفقيه باب غسل الجمعة رقم ٩٢.

(٤) قال العراقى: لم أجد له أصلا و قد أنكره أبو عبدالله المازرى فى الرد على الغزالى و شنع عليه.

من تقدير وضع الكفّ على ظهر الكفّ، فإنّ ذلك لا يقتضيه الطبع، و أمّا أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيه نقل أن يبدأ بخنصره اليمنى ثمّ يختم بخنصره اليسرى كما في التخليل[١]، فإنّ المعاني الّتي ذكرناها لا يتّجه ههنا إذ لا مسبّحة في الرجل و هذه الأصابع في حكم صفّ واحد ثابت على الأرض، فيبدأ من جانب اليمين فإنّ تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين».

أقول: و هذا هو الوجه في الرواية الثانية من طريقنا في اليد، فإنّه لم ينظر فيها إلى المعاني المذكورة بل اكتفى بما يرى بالنظر الجليل[٢] مع ترك اليد بطبعها، وأمّا الرواية الأولى فلعلّ السرّ فيها تحصيل التيامن في كلّ أصبع أصبع، بعد الأولى مع الترتيب فيها و وضع اليدين على مايقتضيه الطبع.

قال أبوحامد: «وهذه الدّقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوّة في لحظة واحدة و إنّما يطول التعب علينا ثمّ لوسئلنا ابتداء ربّما لم يخطر لنا، و إذا ذكر لنا فعله صلّى الله عليه وآله و ترتيبه ربّما يتيسّر لنا بإعانته صلّى الله عليه وآله - بشهادة الحكم و تنبيهه على المعنى - استنباط المعنى، و لا تظننّ أنّ أفعاله صلّى الله عليه وآله في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن و قانون و ترتيب، بل جميع الأمور الاختياريّة الّتي يتردّد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لايقدم على واحد معيّن بالاتّفاق، بل بمعنى يقتضي الإقدام و التقديم، فإنّ الاسترسال مهملاً كما يتّفق سجيّة البهائم. و ضبط الحركات بموازين المعاني سجيّة أولياء الله تعالى، و كلّما كانت حركات الإنسان و خطراته إلى الضبط أقرب، و عن الإهمال و تركه سدى أبعد، كان قربه إلى رتبة الأنبياء و الأولياء أكثر، و كان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبيّ صلّى الله عليه وآله - وهو قريب من الله - لابدّ و أن يكون قريباً فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره، فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى، و اعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلّى الله عليه وآله فإنّه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً و في اليسرى اثنين[٣] فبدايته باليمنى لشرفها

---

(١) اشار الى ما قاله فى غسل الرجلين فى الوضوء على مذهبه. (٢) كذا.
(٣) ومجمع الزوائد ج٥ ص ٩٥. وفى الكافى ج ٦ ص٤٩٥ رقم١٢ «كان صلى الله عليه و آله يكتحل قبل أن ينام أربعاً فى اليمنى و ثلاثا فى اليسرى».

و تفاوته بين العينين ليكون الجملة و تراً ، فإنّ للوتر فضلاً على الزّوج ، فإنّ الله و تر يحبّ الوتر ، فلاينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من أوصاف الربّ ، و لذلك استحبّ الإيتار في الاستجمار ، و إنّما لم يقتصر على الثلاث و هو وتر لأنّ اليسرى لايخصّها إلّا واحدة و الغالب أنّ الواحدة لاتستوعب اُصول الأجفان بالكحل و إنّما خصّص اليمين بالزيادة لأنّ التفضيل لابدّ منه للإيتار و اليمين أفضل فهي بالزيادة أحقّ (١).

و إن قلت : لِمَ اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج ؟ فذلك ضرورة إذ لوجعل لكلّ واحدة وتراً كان المجموع زوجاً إذ الوتر مع الوتر زوج و رعاية الإيتار في مجموع الفعل و هو في حكم الخصلة الواحدة أحبّ من رعايته في الآحاد ، و لذلك أيضاً وجه و هو أن يكتحل في كلّ واحدة ثلاثاً ولو ذهبت أستقصي دقائق ماراعاه صلى الله عليه وآله وسلم في حركاته لطال الأمر فقس على ما سمعته مالم تسمعه ، و اعلم أنّ العالم لايكون وارثاً (٢) إلّا إذا اطّلع على جميع معاني الشريعة حتّى لايكون بينه و بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا درجة وهي درجة النبوّة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث و المورث ، إذ المورث هو الّذي حصل المال له و استقلّ بتحصيله و اقتدر عليه ، والوارث هو الّذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه و تلقّاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار و الأسرار لايستقلّ بدركها ابتداء إلّا الأنبياء عليهم السلام ولا يستقلّ باستنباطها تلقّياً بعد تنبيه الأنبياء عليها إلّا العلماء الّذين هم ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم ».

---

(١) العجب من أبى حامد حيث تفوه بأمثال هذه الكلمات التى لاطائل تحتها و لا ينبغى للمؤمن أن يضيع عمره فى اصغاء أمثال هذه الترهات . لان الخبر الذى ورد «أنه صلى الله عليه وآله يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثاً وفى اليسرى اثنين» رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط والبزاز فى مسنده عن عقبة بن على وهو ضعيف وأيضاً معارض للخبر الذى رواه الكلينى كما مر و كذا الخبر الذى رواه أحمد ج ١ من المسند ص ٣٥٤ بالاسناد الحسن عن ابن عباس انه صلى الله عليه وآله كان يكتحل فى كل عين ثلاثة اميال . وعلى فرض صحة الخبر لعل وجهه تفاوت العينين من جهة القوة والضعف لاما نسجه أبو حامد من الاباطيل .

(٢) أى للنبى صلى الله عليه و آله كما فى الاحياء .

الثامن : غلفة الحشفة قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « الختان سنّة في الرجال و مكرمة في النساء » رواه الخاصّة والعامّة[١] ، و كذلك روي عن الصادق عليه السلام .

و في الفقيه « روى غياث بن إبراهيم ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه قال : قال عليّ عليه السلام : لابأس أن تختتن المرأة فأمّا الرجل فلابدّ منه »[٢] .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام « قال : ختان الغلام من السنّة ، و خفض الجارية ليس من السنّة »[٣] .

و في رواية اُخرى « خفض النساء مكرمة ، وليس من السنّة ، و لاشيئاً واجباً ، و أيّ شيء أفضل من المكرمة »[٤] .

قال أبوحامد : « عادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحبّ وأبعد عن الخطر » .

أقول : بل الأولى اليوم السابع فقدورد بالإسناد الصحيح في الكتابين[٥] « أنّه كتب عبد الله بن جعفر الحميريّ إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه روي عن الصالحين عليهم السلام أن اختنوا أولادكم يوم السابع يطهروا ، فإنّ الأرض تضجّ إلى الله تعالى من بول الأغلف ، وليس جعلني الله فداك لحجّامي بلدنا حذقٌ بذلك ، ولا يحسنونه يوم السابع وعندنا حجّام من اليهود فهل يجوز لليهود أن يختنوا أولاد المسلمين أم لا ؟ فوقّع عليه السلام السنّة يوم السابع فلاتخالفوا السنن إن شاء الله » .

و في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام « قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طهّروا أولادكم يوم السابع ، فإنّه أطهر وأطيب و أسرع لنبات اللّحم ، و إنّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين صباحاً »[٦] . و في معناه غيره من الأخبار .

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٧٥ و فيه « مكرمة للنساء » ، و الكافي ج ٦ ص ٣٧ تحت رقم ٤ .

(٢) المصدر ص ٤٣٨ تحت رقم ١٤ .

(٣) و (٤) الكافي ج ٦ ص ٣٧ تحت رقم ٢ و ٣ .

(٥) الكافي ج ٦ ص ٣٥ تحت رقم ٣ ، الفقيه ص ٤٣٨ تحت رقم ١٥ .

(٦) الكافي ج ٦ ص ٣٥ تحت رقم ٢ .

و بإسناده الصحيح عن عليّ بن يقطين « قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن ختان الصبيّ لسبعة أيّام من السنّة هو أو يؤخّر فأيّهما أفضل ؟ قال : لسبعة أيّام من السنّة ، و إن أُخّر فلا بأس »(١).

و بإسناده عن الصادق عليه السلام « قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا أسلم الرجل اختتن ولو بلغ ثمانين سنة »(٢).

و في الفقيه « روي عن مرازم بن حكيم عن أبي عبدالله عليه السلام في الصبيّ إذا ختن قال : يقول : « اللّهمّ إنّ هذه سنّتك و سنّة نبيّك صلواتك عليه وآله ، واتّباع منّا لك و لنبيّك بمشيّتك وبإرادتك وقضائك لأمر أردته ، وقضاء حتمته ، و أمر أنفذته ، فأذقته حرّ الحديد في ختانه و حجامته لأمر أنت أعرف به منّي ، اللّهمّ فطهّره من الذّنوب ، وزد في عمره ، و ادفع الآفات من بدنه ، والأوجاع عن جسمه ، وزده من الغنى ، وادفع عنه الفقر ، فإنّك تعلم ولانعلم »(٣).

و قال أبوعبدالله عليه السلام : « أيّ رجل لم يقلها عند ختان ولده فليقلها عليه من قبل أن يحتلم فإن قالها كفي حرّ الحديد من قتل أوغيره »(٤).

قال أبوحامد : « و ينبغي أن لايبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وآله وسلم لأُمّ عطيّة - وكانت تخفض - : « يا أُمّ عطيّة أشمّي ولاتنهكي ، فإنّه أسرى للوجه ، و أحظى عند الزوج »(٥) أي أكثر لماء الوجه ، وأحسن في جماعها ».

أقول : و في الكافي وغيره من كتبنا هكذا « إذا أنت خفضت فأشمّي ولا تجحفي ، فإنّه أصفى للّون ، و أحظى عندالبعل »(٦).

و في رواية أُخرى « أنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم لأُمّ حبيب - وكانت خافضة تخفض الجواري - : « يا أُمّ حبيب العمل الّذي كان في يدك هو في يدك اليوم ؟ قالت : نعم يا رسول الله إلّا

(١) و (٢) الكافي ج ٦ ص ٣٦ تحت رقم ٧ و ١٠ .
(٣) المصدر ص ٤٣٨ تحت رقم ١٦ .
(٤) الفقيه ص ٤٣٨ تحت رقم ٢٠ .
(٥) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦٥٧ ، وفيه « أنور للوجه » .
(٦) المصدر ج ٦ ص ٣٨ تحت رقم ٥ .

أن يكون حراماً فتنهاني عنه، قال: لا بل حلالٌ فادني منّي حتّى اُعلّمك، فدنت منه، فقال: يا اُمّ حبيب إذا أنت فعلت فلاتنهكي - أي لاتستأصلي - و أشمّي فإنّه أشرق للوجه، و أحظى عند الزّوج»[1].

قال أبوحامد: «فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية و إلى إشراق نورالنبوّة من مصالح الآخرة الّتي هي أهمّ مقاصد النبوّة إلى مصالح الدنيا حتّى انكشف له و هو اُمّيّ من هذا الأمر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته[2] مصالح الدّنيا و الدّين صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال: فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزيّن والنظافة، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد ثنتا عشرة: خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس، والمضمضة والاستنشاق، و السواك، وقصّ الشارب؛ وثلاثة في اليد و الرجل و هي القلم، و غسل البراجم، وتنظيف الرواجب، وأربعة في الجسد: وهي نتف الإبط، والاستحداد، والختان، والاستنجاء بالماء، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك».

أقول: وقد ذكر في الفقيه «أنّ الحنيفيّة عشر سُنن: خمس في الرأس، وخمس في الجسد[3]»، ثمّ ذكرماذكره أبوحامد سوى غسل البراجم و تنظيف الرواجب.

قال: «و الفرق لمن طال شعر رأسه، ومن لم يفرق شعر رأسه فرقه الله يوم القيامة بمنشار من نار»، و ذكر بدل الاستحداد حلق العانة و هما بمعنى واحد.

قال في النهاية: و فيه: السنّة عشر و عدّ فيها الاستحداد و هو حلق شعر العانة بالحديد و منه الحديث الآخر أمهلوا كي تمتشط الشعثة، وتستحدّ المغيبة، و هواستفعال من الحديد ذكر على سبيل الكناية و التورية.

قال أبوحامد: «و إذا كان غرض هذا الكتاب التعرّض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا و ليتحقّق أنّ فضلات الباطن وأوساخه الّتي يجب التنظيف منها

(١) الكافي ج ٦ ص ٣٨ تحت رقم ٦.

(٢) في بعض النسخ [بيمن تقنينه] و هوليس بصواب لان النبي عليه الصلاة والسلام ليس بمقنن بل الشارع هو سبحانه و تعالى كما هوالمذهب الحق.

(٣) المصدر ص١٣ تحت رقم ١٠.

أكثر من أن تحصى ، و سيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في إزالتها و تطهير القلب منها إن شاء الله ».

هذا آخر كتاب أسرار الطهارة و مهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه كتاب أسرار الصلاة و مهمّاتها و الحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

﴿كتاب أسرار الصلاة﴾

(ومهماتها)

(وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي غمر العباد بلطائفه ، وعمّر قلوبهم بأنوار الدّين و وظائفه ، الّذي فارق الملوك مع التفرّد بالجلال و الكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء ، فقال : « هل من داع فأستجيب له ، وهل من مستغفر فأغفر له » و باين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب ، فرخّص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلّبت بهم الحالات في الجماعات و الخلوات ، ولم يقتصر على الرخصة ، بل تلطّف بالترغيب و الدّعوة ، و غيره من ضعفاء الملوك لايسمح بالخلوة إلّا بعد تقديم الهديّة و الرشوة ، فسبحان ما أعظم شأنه ، و أقوى سلطانه ، و أتمّ لطفه ، و أعمّ إحسانه ، و الصلاة على محمّد نبيّه المصطفى و وليّه المجتبى ، وعلى آله و أصحابه ، مفاتيح الهدى ، و مصابيح الدجى و سلّم .

أما بعد فإنّ الصلاة عماد الدّين ، و عصام اليقين ، وسيّد القربات ، وغرّة الطاعات و قد استقصينا في فنّ الفقه أُصولها و فروعها و مسائلها و أحكامها ، و نحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لابدّ للمريد منه من أعمالها الظاهرة ، و أسرارها الباطنة ، و كاشفون من دقائق معانيها الخفيّة في معاني الخشوع و الإخلاص و النيّة مالم تجري العادة بذكرها في الفقه ، و مرتّبون الكتاب على سبعة أبواب :

الباب الأوّل في فضائل الصلوات و متعلّقاتها ، الباب الثاني في تفصيل الأعمال الظاهرة من الصلاة ، الباب الثالث في تفصيل الأعمال الباطنة منها ، الباب الرابع في الإمامة و القدوة ، الباب الخامس في صلاة الجمعة و آدابها ، الباب السادس في مسائل متفرّقة يعمّ بها البلوى ، الباب السابع في سائر الصلوات .

(الباب الاول)

(في فضائل الصلوات ، والسجود ، والجماعة ، والأذان ، و غيرها)

أقول : ما أورده أبوحامد في هذا الباب من الروايات أكثره ممّا رواه أصحابنا أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام من طريق الخاصّة بأدنى تفاوت في الألفاظ ، فنحن نرويه عنهم عليهم السلام برواية أصحابنا إلّا قليلاً ممّا فيه زيادة فائدة من رواية العامّة ، و مالم يروه أصحابنا ممّا له فائدة معتدّ بها ، ونذكر ما قاله أبوحامد من تحقيقاته و فوائده كلاًّ في محلّه ناسبين إليه ، و كذلك في كلّ باب إن شاء الله ، وننقل أكثر ما نرويه عن أهل البيت عليهم السلام من كتابي الكافي و الفقيه لأنّ جميع ما روي في الكتابين قد صحّ عنهم عليهم السلام كما شهد به مصنّفا هما في أوّليهما .

☼ (فضيلة الاذان) ☼

روى في الفقيه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : « من أذّن في مصر من أمصار المسلمين سنة وَجَبت له الجنّة[(۱)] » .

وعن الباقر عليه السلام « المؤذّن يغفر الله له مدّ بصره ، ومدّ صوته في السماء ، ويصدّقه كلّ رطب ويابس يسمعه ، وله من كلّ من يصلّي معه في مسجده سهم ، وله بكلّ من يصلّي بصوته حسنة[(۲)] » .

و قال عليه السلام : « من أذّن سبع سنين محتسباً جاء يوم القيامة ولاذنب عليه[(۳)] » .

و روي « أنّ الملائكة إذا سمعت الأذان من أهل الأرض قالت : هذه أصوات اُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بتوحيد الله ، فيستغفرون الله لاُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى يفرغوا من تلك الصلاة[(٤)] » .

(۱) الى (٤) الفقيه باب الاذان والاقامة ص ٧٧ رقم ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ على الترتيب .

و روي « أنّ من صلّى بأذان و إقامة صلّى خلفه صفّان من الملائكة ، و من صلّى بإقامة بغير أذان صلّى خلفه صفٌ واحدٌ ، وحدُّ الصفّ ما بين المشرق والمغرب[١]» .

و في رواية العبّاس بن هلال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام « أنّه قال : من أذّن وأقام صلّى وراءه صفّان من الملائكة ، و إن أقام بغير أذان صلّى عن يمينه واحد و عن شماله واحدٌ ، ثمّ قال : اغتنم الصفّين[٢]» .

و في رواية ابن أبي ليلى عن عليّ عليه السلام أنّه قال : « من صلّى بأذان وإقامة صلّى خلفه صفّان من الملائكة لايرى طرفاهما ، و من صلّى بإقامة صلّى خلفه ملك[٣]» .

و روى الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : « من سمع المؤذّن يقولَ : « أشهد أن لا إله إلّا الله ، و أشهد أنّ محمّداً رسول الله » فقال مصدّقاً محتسباً : « و أنا أشهد أن لاإله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، أكتفي بهما عن كلّ من أبى وجحد ، و أُعين بهما من أقرّ و شهد» كان له من الأجر عدد من أنكر وجحد ، و عدد من أقرّ وشهد[٤]» .

و قال أبوجعفر عليه السلام لمحمد بن مسلم يا ابن مسلم : « لاتدعَنّ ذكر الله على كلّ حال ، ولو سمعت المنادي ينادي بالأذان و أنت على الخلاء فاذكر الله عزّ وجلّ وقل كما يقول المؤذّن[٥]» .

أقول : و في بعض الأخبار أنّه يحولق[٦] عند سماع الحيعلة[٧] « و أنّ من فعل ذلك من قلبه دخل الجنّة » وهوحسن .

✿(فضيلة المكتوبة)✿

قال الله سبحانه : « إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً[٨]» .

---

(١) الى (٥) الفقيه ص٧٦ باب الاذان رقم ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ على الترتيب .

(٦) أى قال : «لاحول ولا قوة الا بالله» .

(٧) أى «حى على الصلاة ، وحى على الفلاح »وهومصدرجعلى وراجع مكارم الاخلاق ص ٣٤٧ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣١ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٤ .

(٨) النساء : ١٠٣ .

و في الفقيه قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «مامن صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس: أيّها النّاس قوموا إلى نيرانكم الّتي أوقدتموها على ظهوركم، فاطفؤوها بصلاتكم»[1].

و دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد و فيه ناس من أصحابه فقال: «تدرون ما قال ربّكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: إنّ ربّكم يقول: إنّ هذه الصلوات الخمس المفروضات من صلّاهنّ لوقتهنّ، و حافظ عليهنّ لقيني يوم القيامة وله عندي عهد اُدخله به الجنّة، و من لم يصلهنّ لوقتهنّ و لم يحافظ عليهنّ فذاك إليّ إن شئت عذّبته و إن شئت غفرت له»[2].

و قال الصادق عليه السلام: «أوّل مايحاسب به العبد عن الصلاة فإذا قبلت منه قبل سائر عمله، و إذا ردّت عليه ردّ عليه سائر عمله»[3].

وقال عليه السلام: «صلاة فريضة خير من عشرين حجّة، وحجّة خير من بيت مملوّ ذهباً يتصدّق منه حتّى يفنى»[4].

وسأله معاوية بن وهب عن أفضل مايتقرّب به العباد إلى ربّهم و أحبّ ذلك إلى الله عزّوجلّ ماهو؟ فقال: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألاترى أنّ العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: «و أوصاني بالصلاة»[5].

وقال أبوالحسن الرضا عليه السلام: «الصلاة قربان كلّ تقي»[6].

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبت الأطناب والأوتاد والغشاء، و إذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولاوتد ولاغشاء»[7].

و قال صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل الصلاة فيكم كمثل السريّ ـ و هوالنهر ـ على باب أحدكم، يخرج إليه في اليوم و اللّيلة، يغتسل منه خمس مرّات، فلم يبق الدرن على الغسل خمس مرّات، ولم يبق الذنوب على الصلاة خمس مرّات»[8].

و قال الصادق عليه السلام: «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذّبه، و من قبل الله له حسنة لم يعذّبه»[9].

(۱) الى (۹) فى الفقيه ص ٥٥ باب فضل الصلاة تحت رقم ۳ و ٤ و ٥ و ۹ و ۱۳ و١٦ و١٨ و ١٩ و ٢٠ على الترتيب.

و قال عليه السلام : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من حبس نفسه على صلاة فريضة ينتظر وقتها ، فصلاّها في أوّل وقتها ، فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها ، ثمّ مجّد الله عزّ وجل و عظّمه وحمده حتّى يدخل وقت صلاة أُخرى لم يلغ بينهما كتب الله له كأجر الحاجّ المعتمر ، وكان من أهل علّيّين[1] » .

أقول : و في الصّحيح عن الباقر عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما بين المسلم وبين أن يكفر إلاّ أن يترك الصلاة الفريضة متعمّداً ، أو يتهاون بها ، فلا يصلّيها»[2] .

وفي رواية أُخرى « من ترك صلاة متعمّداً فقد كفر[3] » .

قال أبوحامد : « أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده ، كما يقال لمن قارب المدينة : إنّه بلغها و دخلها » .

☼ (فضيلة اتمام الاركان) ☼

في الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الصلاة ميزان من وفّى استوفي »[4] . يعني بذلك أن يكون ركوعه مثل سجوده ، ولبثه في الأولى والثانية سواء ، من و فى بذلك استوفي الأجر .

وقال الصادق عليه السلام : « إنّ العبد إذا صلّى الصلاة في وقتها ، وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة ، تقول : حفظتني حفظك الله ، وإذا لم يصلّها لوقتها ، ولم يحافظ عليها رجعت عليه سوداء مظلمة ، تقول : ضيّعتني ضيّعك الله[5] » .

أقول : وفي الحسن عن الباقر عليه السلام قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلّى فلم يتمّ ركوعه ولاسجوده فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نقر كنقر الغراب لئن

(١) فى الفقيه ص ٥٦ باب فضل الصلاة تحت رقم ٢١ .
(٢) محاسن البرقى ص ٨٠ ، وعقاب الاعمال للصدوق ـ رحمه الله ـ ص ٢٢٣ .
(٣) رواه الطبرانى فى الاوسط كما فى الجامع الصغير باب الميم .
(٤) المصدر ص ٥٥ تحت رقم ١، الكافى ج٣ ص٢٦٦ تحت رقم ١٣ . وأخرجه البيهقى فى شعب الايمان كما فى الجامع الصغير باب الصاد .
(٥) الكافى ج ٣ ص ٢٦٨ تحت رقم ٤ .

مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني » رواه في الكافي والتهذيب[1].

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم « إنّ الرجلين من اُمّتي ليقومان إلى الصلاة و ركوعهما و سجود هما واحد و إنّ ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض »[2] وأشار إلى الخشوع.

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « والله إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنة ما قبل الله منه صلاة واحدة ، فأيّ شيء أشدّ من هذا ، والله إنّكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لوكان يصلّي لبعضكم ماقبلها منه لاستخفافه بها ، إنّ الله لايقبل إلّاالحسن فكيف يقبل ما استخفّ به[3] » .

وفي الصحيح عنه عليه السلام قال : « إذاقام العبد في الصلاة فخفّف صلاته قال الله تعالى لملائكته : أما ترون إلى عبدي كأنّه يرى أنّ قضاء حوائجه بيد غيري ، أما يعلم أنّ قضاء حوائجه بيدي » رواهما في التهذيب[4].

✡ (فضيلة الجماعة) ✡

في الفقيه[5] وقال الله تبارك وتعالى : « و اقيموا الصلاة و آتوا الزكوة و اركعوا مع الراكعين »[6] فأمر بالجماعة كما أمر بالصلاة ، و فرض الله تبارك وتعالى على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً و ثلاثين صلاة ، منها صلاة واحدة فرضها الله تعالى في جماعة وهي الجمعة ، وأمّا سائر الصلوات فليس الاجتماع عليها بمفروض ولكنّه سنّة ، من تركها رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علّة فلا صلاة له ، و من ترك ثلاث جمعات متواليات من غير علّة فهو منافق ، وصلاة الرجل في جماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بخمس و عشرين صلاة » .

أقول : هذا كلّه مروي عن مولينا الصادق عليه السلام في الصحيح وغيره .

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٦٨ تحت رقم٦، والتهذيب ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) قال العراقي : أخرجه ابن المحبر في العقل من حديث أبو أيوب الانصاري بنحوه ، وهو موضوع و رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن المحبر .

(٣) و (٤) التهذيب ج ١ ص ٢٠٤ .

(٥) الفقيه ص ١٠٢ تحت رقم١ . (٦) البقرة : ٤٣ .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاصلاة لمن لايصلّي في المسجد مع المسلمين إلّا من علّة[١] » .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لاغيبة إلّا لمن صلّى في بيته ، ورغب عن جماعتنا ، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجب على المسلمين غيبته ، و سقطت بينهم عدالته ، و وجب هجرانه ، و إذا رفع إلى إمام المسلمين أنذره و حذّره ، فإن حضر جماعة المسلمين و إلّا أحرق عليه بيته »[٢] .

و روى شيخنا الشهيد ـ رحمه الله ـ عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : « إن سئلت عمّن لم يشهد الجماعة فقل : لا أعرفه »[٣].

قال : وعن الصادق عليه السلام « الصلاة خلف العالم بألف ركعة ، و خلف المولى خمس و عشرون[٤] » .

قال في الفقيه : و روى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « لاصلاة لمن لايشهد الصلاة من جيران المسجد إلّا مريض أو مشغول[٥] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقوم : « لتحضرنّ المسجد أولأحرقنّ عليكم منازلكم[٦] » .

و قال صلى الله عليه وآله : « من صلّى الصلاة الخمس جماعة فظنّوا به كلّ خير[٧] » .

وقال صلى الله عليه وآله : « الاثنان جماعة[٨] » .

و سأل الحسن الصيقل أبا عبدالله عليه السلام « عن أقلّ مايكون الجماعة قال : رجل و امرأة ، و إذا لم يحضر المسجد أحد فالمؤمن وحده جماعة ، لأنّه متى أذّن و أقام صلّى خلفه صفّان من الملائكة ، ومتى أقام ولم يؤذّن صلّى خلفه صفّ واحد ، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن وحده حجّة ، والمؤمن وحده جماعة[٩] » .

---

(١) علل الشرايع ج٢ باب ١٨. وفى الكافى ج ٣ ص ٣٧٢ تحت رقم ٦ نحوه .

(٢) أورده الشهيد ـ رحمه الله ـ فى النفلية كما فى البحار ج ١٨ ص ٦١٢ .

(٣) النفلية كما فى مستدرك الوسائل ج١ ص ٤٨٩ .

(٤) النفلية كما فى البحار ج ١٨ ص ٦١١ و تمام الخبر هكذا « الصلاة خلف العالم بألف ركعة ، وخلف القرشي بمائة ، وخلف العربى خمسون ، وخلف المولى خمس و عشرون » .

(٥) الى (٩) الفقيه ص ١٠٣ تحت رقم ٢ الى ٧ .

و صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الفجر ذات يوم فلمّا انصرف أقبل بوجهه على أصحابه، فسأل عن اُناس يسمّيهم بأسمائهم هل حضروا الصلاة؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: غيّبٌ هم؟ فقالوا: لا يا رسول الله، قال: أما إنّه ليس من صلاة أثقل على المنافقين من هذه الصلاة، وصلاة العشاء الآخرة، ولو علموا الفضل الّذي فيهما لأتوهما ولو حبواً(١).

وقال الصادق عليه السلام: «من صلّى الغداة و العشاء الآخرة في جماعة فهو في ذمّة الله عزّ وجلّ، ومن ظلمه فإنّما يظلم الله، ومن حقّره فإنّما يحقّر الله عزّ وجلّ، وإذا كان مطر أو برد شديد فجائز للرجل أن يصلّي في رحله، ولا يحضر المسجد لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا ابتلّت النعال فالصلاة في الرحال(٢)».

أقول: ويستحبُّ حضور جماعه أهل الخلاف استحباباً مؤكّداً، ولكنّه لا يعتدُّ بقراءتهم بل يقرء لنفسه ولو مثل حديث النفس(٣).

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام «من صلّى معهم في الصف الأوّل كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في الصف الأوّل»(٤).

وفي الصحيح عنه عليه السلام «يحسب لك إذا دخلت معهم و إن كنت لا تقتدي بهم مثل ما يحسب لك إذا كنت مع من تقتدي به»(٥).

و في الصحيح عنه عليه السلام ما من عبد يصلّي في الوقت و يفرغ، ثمّ يأتيهم و يصلّي معهم و هو على وضوء إلّا كتب الله له خمساً وعشرين درجة»(٦)

قال أبو حامد: «و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلّى أربعين يوماً الصلوات في جماعة

---

(١) و (٢) الفقيه ص١٠٣ تحت رقم ٨ و ١٠، وحبى الصبي اذا مشى على استه. وقوله: «حقره فانما يحقر الله عزوجل» في روايات العامة «ومن خفره فانما يخفر الله عزوجل» والخفر نقض العهد.

(٣) كما في التهذيب ج ١ ص ١٦٢، والكافي ج ٣ ص ٣١٥ رقم ١٦.

(٤) رواه الصدوق - رحمه الله - في الهداية باب التقية ص ١٠.

(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٢٩، والفقيه ص ١٠٥ رقم ٣٩.

(٦) الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٥.

لا يفوته تكبيرة الإحرام كتب له براءتان براءة من النفاق و براءة من النار »[١].

و قال ابن عبّاس : من سمع المنادي ثمّ لم يجب لم يرد خيراً و لم يرد به .

و يقال : إنّه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرّي فيقول لهم الملائكة : ما أعمالكم ؟ فيقولون : كنّا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة ، لا يشغلنا غيرها ، ثمّ يحشر طائفة وجوههم كالأقمار ، فيقولون بعد السؤال : كنّا نتوضّأ قبل الوقت ، ثمّ يحشر طائفة وجوههم كالشمس ، فيقولون : كنّا نسمع الأذان في المسجد .

و قال حاتم الأصم : فاتتني الجماعة فعزّاني البخاريّ وحده ، و لو مات لي ولد لعزّاني أكثر من عشرة آلاف لأنّ مصيبة الدّين أهون عند الناس من مصيبة الدّنيا .

و روي أنّ السلف كانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيّام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، و يعزّون سبعاً إذا فاتتهم الجماعة ، و قد كانوا يبالغون في ذلك حتّى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى باب دار من تخلّف عن الجماعة ، إشارة إلى أنّ الميّت هو الّذي يتأخّر عن الجماعة دون الحيّ .

أقول : فانظر كيف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتّبعوا الشهوات حتّى آلَ الحال إلى ما آل .

✡(فضيلة السجود والقول فيه)✡

في الفقيه « قال الصادق عليه السلام : أقرب ما يكون العبد إلى الله عزّ وجلّ وهو ساجد قال الله تعالى و اسجد و اقترب »[٢].

---

(١) أخرجه الترمذى ج٢ ص٤٠ . وقال : لاأعلم أحد رفعه الاما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن حبيب بن أبي حبيب البجلى عن أنس بن مالك . أقول : و نقله الشهيد - رحمه الله - فى الذكرى .

(٢) المصدر ص ٥٥ تحت رقم ٧ . والاية فى العلق : ١٩ . قال الرضى - رضى الله عنه - : ان كانت الحال جملة اسمية فعند غير الكسائى يجب معها واو الحال ، قال صلى الله عليه وآله : « أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد » اذ الحال فضلة و قد وقعت موقع العمدة فيجب معها علامة الحالية لان كل واقع غير موقعه ينكر ، وجوز الكسائى تجردها من الواو بوقوعها موقع الخبر فتقول : ضربى زيداً أبوه قائم .

و قال عليه السلام: «إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: ياويلاه أطاع وعصيت و سجد وأبيت»(١).

و في الكافي بإسناده الصحيح «عن الصادق عليه السلام قال: مرّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله رجلٌ و هو يعالج بعض حجراته، فقال: يا رسول الله ألا أكفيك؟ فقال: شأنك، فلمّا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: حاجتك؟ قال: الجنّة، فأطرق رسول الله، ثمّ قال: نعم، فلمّا ولّى قال له: يا عبد الله أعنّا بطول السجود»(٢).

قال أبو حامد: «و روي أنّ رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك، و يرزقني مرافقتك في الجنّة، قال: أعنّي بكثرة السجود»(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تقرّب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفيّ»(٤).

و قال: «ما من مسلم يسجد لله سجدة إلّا رفعه بها درجة، و حطّ بها عنه خطيئة»(٥).

و قال عزّ و جلّ: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود»(٦) فقيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود، وقيل: هو نور الخشوع فانّه يشرق من الباطن على الظاهر و هو الأصحّ، و قيل: هي الغرر الّتي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء.

أقول: و في الفقيه «كان أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يسجد بعد ما يصلّي فلا يرفع رأسه حتّى يتعالى النهار»(٧).

---

(١) الفقيه ص ٥٦ تحت رقم ١٧، والكافي ج ٣ ص ٢٦٤ تحت رقم ٢.
(٢) المصدر ج ٣ ص ٢٦٦ تحت رقم ٨.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ونحوه مسلم وأبوداود، راجع الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٤٩.
(٤) أخرجه ابن المبارك عن حمزة بن حبيب مرسلا كما في الجامع الصغير باب الميم.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٧٦ من حديث ثوبان مولى رسول الله (ص).
(٦) الفتح: ٢٩.
(٧) المصدر ص ٩١ تحت رقم ٥.

وروى عبد الرحمن بن الحجّاج ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من سجد سجدة الشكر لنعمة و هو متوضّئ كتب الله له بها عشر صلوات ، ومحى عنه عشر خطايا عظام»[١].

و في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد خمس سجدات ، فلمّا ركب قالوا : يا رسول الله إنّا رأينا صنعت شيئاً لم تصنعه ؟ فقال : نعم استقبلني جبرئيل فبشّرني ببشارات من الله ، فسجدت لله شكراً ، لكلّ بشرى سجدة »[٢].

و فيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا ذكر أحدكم نعمة الله تعالى فليضع خدّه على التراب ، و إن لم يكن يقدر على النزول للشّهرة فليضع خدّه على قربوسه ، فإن لم يقدر فليضع خدّه على كفّه ، ثمّ ليحمد الله على ما أنعم عليه »[٣].

و بإسناده عن هشام بن أحمر قال : « كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنّى رجله عن دابّته فخرّ ساجداً فأطال وأطال ، ثمّ رفع رأسه وركب دابّته ، فقلت : جعلت فداك قد أطلت السجود ؟ فقال : إنّني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ فأحببت أن أشكر ربّي »[٤].

و في الفقيه روى إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « كان موسى ابن عمران عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض ، و خدّه الأيسر بالأرض »[٥].

و قال أبو جعفر عليه السلام : « أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي ؟ قال موسى : لا يا ربّ ، قال : يا موسى ، إنّي قلبت عبادي ظهراً وبطناً ، فلم أجد فيهم أحداً أذلّ نفساً لي منك ، يا موسى إذا صلّيت وضعت خدّيك على التراب»[٦].

و قال الصادق عليه السلام : « إنّ العبد إذا سجد و قال : « يا ربّ يا ربّ يا ربّ » حتّى

---

(١) الفقيه ص ٩١ تحت رقم ٦ .

(٢) و (٣) و (٤) الكافي ج ٢ ص ٩٨ رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ .

(٥) و (٦) الفقيه ص ٩١ تحت رقم ٨ و ٩ .

ينقطع نفسه ، قال له الرب تبارك و تعالى : لبيك ما حاجتك ؟ » [١].

و كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول في سجوده : « اللهم إن كنت قد عصيتك فإني أطعتك في أحب الأشياء إليك و هو الإيمان بك ، منا منك علي ، لا منا مني عليك ، و تركت معصيتك في أبغض الأشياء إليك و هو أن أدعولك شريكا ، منا منك علي ، لا منا مني عليك ، و عصيتك في أشياء على غير وجه مكابرة ولا معاندة ، و لا استكبار عن عبادتك ، ولا جحود لربوبيتك ، ولكن اتبعت هواي و استزلني الشيطان بعدالحجة علي و البيان ، فإن تعذبني فبذنوبي ، غير ظالم لي ، و إن تغفر لي و ترحمني فبجودك وكرمك يا أرحم الراحمين » [٢].

و في الكافي في الصحيح « عن الصادق عليه السلام أنه قال : قل فيه : « يارب الأرباب ، و يا ملك الملوك ، و يا سيد السادات ، و يا جبار الجبابرة ، و يا إله الآلهة صل على محمد و آل محمد ، و افعل بي كذا و كذا » ثم قل : « إني عبدك ، ناصيتي في قبضتك » ، ثم ادع بما شئت و سله ، فإنه جواد لا يتعاظمه شيء » [٣].

و في رواية أخرى « ادع فيه للدنيا والآخرة فإنه رب الدنيا والآخرة » [٤].

و عن محمد بن سليمان ، عن أبيه عن الكاظم عليه السلام : قال : « خرجت معه في بعض أمواله فقام إلى صلاة الظهر ، فلما فرغ خر لله ساجداً ، فسمعته يقول بصوت حزين ويغرغر دموعه : [٥] « رب عصيتك بلساني ، و لو شئت و عزتك لأخرستني ، و عصيتك ببصري ، و لو شئت و عزتك لأكمهتني [٦] ، و عصيتك بسمعي ، و لو شئت و عزتك لأصممتني ، و عصيتك بيدي ، و لو شئت و عزتك لكنعتني [٧] ، و عصيتك برجلي ، و لو شئت و عزتك لجذمتني [٨] ، و عصيتك بفرجي ، و لو شئت و عزتك لعقمتني ، و عصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها علي و ليس هذا جزاؤك مني » ، قال : ثم أحصيت له

(١) و (٢) الفقيه ص ٩١ رقم ١٠ و ١١ .
(٣) و (٤) الكافي ج ٣ ص ٣٢٣ رقم ٧ و ٦ .
(٥) الغرغرة : ترديد الماء في الحلق . (القاموس) .
(٦) الكمه : العمى . (٧) الاكنع : الاشل .
(٨) « لجذمتني » أي لقطعتني، والاجذم المقطوع اليد .

ألف مرّة و هو يقول : العفو ، العفو ، ثمّ ألصق خدّه الأيمن بالأرض وسمعته وهو يقول بصوت حزين : « بؤت إليك بذنبي ، عملت سوءاً ، وظلمت نفسي ، فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذّنوب غيرك ، مولاي ! » ثلاث مرّات ، ثمّ ألصق خدّه الأيسر بالأرض فسمعته يقول : « ارحم من أساء و اقترف ، و استكان و اعترف » ثلاث مرّات ، ثمّ رفع رأسه » [١].

قال في الفقيه[٢] : « وينبغي لمن يسجد سجدة الشكر أن يضع ذراعيه على الأرض و يلحق جؤجؤه بالأرض » [٣].

و في رواية أبي الحسن الأسدي أنّ الصادق عليه السلام قال : « إنّما يسجد المصلّي سجدة بعد الفريضة ليشكر الله تعالى ذكره فيها على مامنّ به عليه من أداء فرضه ، و أدنى ما يجزيء فيها شكر الله ثلاث مرّات » [٤].

و روى أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن حريز ، عن مرازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام « قال : سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم ، تتمّ بها صلواتك ، و ترضي بها ربّك ، و تعجب الملائكة منك ، و إنّ العبد إذا صلّى ثم سجد سجدة الشكر فتح الربّ تبارك و تعالى الحجاب بين العبد و بين الملائكة ، فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي ، و أتمّ عهدي ، ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه ، ملائكتي ما ذا له عندي ؟ قال : فتقول الملائكة : يا ربّنا رحمتك ، ثمّ يقول الربّ تبارك و تعالى : ثمّ ما ذاله ؟ فتقول الملائكة : يا ربّنا جنّتك ، فيقول الربّ تبارك وتعالى : ثمّ ماذا له ؟ فتقول الملائكة : ياربّنا كفاية مهمّه ، فيقول الله تبارك وتعالى : ثمّ ماذاله ؟ قال : ولا يبقى شيء من الخير إلّا قالته الملائكة ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي ثمّ ماذا ؟ فتقول الملائكة : يا ربّنا لاعلم لنا ، قال : فيقول الله تبارك و تعالى : أشكر له كما شكر لي وأقبل إليه بفضلي و اُريه وجهي » [٥].

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٢٦ رقم١٩ .

(٢) المصدر ص ٩١ تحت رقم ١٢ .

(٣) الجؤجؤ - بضم الجيم - :لصدا .

(٤) و (٥) الفقيه ص ٩١ رقم ١٣و١٤ وللصدوق - رحمه الله - بيان في معنى الوجه .

﴿ فضيلة الخشوع ومعناه ﴾

قال الله تعالى : « و الّذين هم في صلاتهم خاشعون » (١) وقال عزّ و جلّ : « فويل للمصلّين * الّذين هم عن صلوتهم ساهون » (٢) ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لأنّهم سهوا عنها و تركوها .

قال أبو حامد : « قال الله عزّ و جلّ : « و أقم الصلاة لذكري » (٣)؛ و قال تعالى : « و لا تكن من الغافلين » (٤) ؛ و قال تعالى : « و لا تقربوا الصلوة و أنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون » (٥) قيل : سكارى من كثرة الهمّ؛ و قيل : من حبّ الدنيا ، وهَبْ (٦) أنّ المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بيّن فيه العلّة فقال تعالى : « حتّى تعلموا ما تقولون » و كم من مصلّ لم يشرب الخمر و هو لا يعلم ما يقول في صلاته .

و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدّم من ذنبه » (٧).

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّما الصلاة تمسكن (٨) و تواضع و تضرّع و تبأس (٩) و تندّم ؛ و تقنع بمدّ يديك فتقول : « اللّهمّ اللّهمّ » فمن لم يفعل فهي خِداج » (١٠) .

وروي عن الله (١١) في الكتب السالفة « أنّه قال : ليس كلّ مصلّ أتقبّل صلاته ، إنّما

---

(١) المؤمنون : ٣ . (٢) الماعون : ٤ و ٥ .

(٣) طه : ١٤ . (٤) الاعراف : ٢٠٥ .

(٥) النساء : ٤٣ . (٦) فى الاحياء « قال وهب » .

(٧) مر سابقاً عن أحمد أخرجه فى مسنده .

(٨) تمفعل من سكن . بمعنى الذل والفقر والخضوع .

(٩) تبأس أى تفاقر وأرى تخشع الفقراء اخباتاً و تضرعاً .

(١٠) أخرجه أحمد فى المسند ج٤ ص١٦٧ ونحوه الترمذى فى السنن ج٢ ص١٧٥ والنسائى وابن خزيمة . كما فى الترغيب ج١ ص ٣٤٨ و ٣٤٩ . و لفظه « الصلاة مثنى مثنى ، تشهد فى كل ركعتين و تخشع و تضرع وتمسكن » كلها بصيغة الامر . والخداج بكسر الخاء المعجمة ـ ههنا بمعنى الناقص .

(١١) كذا فى النسخ فى بعض نسخ الاحياء « قال وهب » .

أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ، و لم يتكبّر عليّ ، و أطعم الفقير الجائع لوجهي » .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّما فرضت الصلاة و اُمر بالحج و الطواف و أشعرت المناسك لإقامة ذكر الله »(١) فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الّذي هو المقصود والمبتغي عظمته و هيبته فما قيمة ذكرك .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « و إذا صلّيت صلاة فصلّ صلاة مودّع »(٢) أي مودّع لنفسه ، مودّع لهواه ، مودّع لعمره ، سائر إلى مولاه كما قال تعالى : « يا أيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه »(٣) .

و قال تعالى : « و اتّقوا الله و اعلموا أنّكم ملاقوه »(٤) .

أقول : و من طريق الخاصّة عن الصادق عليه السلام « إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّ لوقتها صلاة مودّع تخاف ألّا تعود إليها »(٥) و مثله عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بطريق حسن .

قال أبو حامد : « و قال صلى الله عليه وآله وسلم : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً »(٦) ، و الصلاة مناجاة فكيف يكون مع الغفلة .

قيل : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت ، قيل : كيف ذلك ؟ قال : تسبغ وضوءك و تدخل محرابك فإذن أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن و كلّمته بغير ترجمان .

و عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدّثنا و نحدّثه فإذا حضرت الصلاة

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي بنحو آخر عن عائشة دون قوله ذكر الصلاة و قال الترمذي حسن صحيح . (المغني)

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب والحاكم في المستدرك كما في المغني .

(٣) الانشقاق : ٧ . وقوله : «كادح» أي عامل أوساع في عملك .

(٤) البقرة : ٢٢٣ .

(٥) رواه الصدوق في الامالي ص ١٥٥ . وفي الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ ص ١٦٥ . وفي دعائم الاسلام عن النبي صلى الله عليه و آله مثله كما في مستدرك الوسائل .

(٦) أخرجه ابن جرير عن الحسن وأخرجه ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس أيضاً كما في الدر المنثور ج ٥ ص ١٤٦ . ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره أيضاً .

فكأنه لم يعرفنا و لم نعرفه إشتغالاً بعظمة الله [١] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينظر الله إلى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه» [٢] وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه إذا قام إلى الصلاة سمع و جيب قلبه على ميلين .

و كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن ، فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » [٣] .

وروي عن علي بن الحسين عليهما السلام « أنه كان إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتارك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم » [٤] .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في عدة الداعي [٥] أن إبراهيم عليه السلام كان يسمع تأوهه على حد ميل حتى مدحه الله تعالى بقوله : « إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب » [٦] وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل [٧] و كذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك ، و كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله ، وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله [٨] ؛ و كان الحسن عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغير لونه فقيل له في ذلك ، فقال : حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه ؛ و يروى مثل هذا عن زين العابدين عليه السلام .

---

(١) عدة الداعى آخر الفصل الاول من الباب الرابع ص ١٠٩ .

(٢) رواه الراوندى - رحمه الله - فى لب اللباب كما فى مستدرك الوسائل ج١ ص ٢٦٦ .

(٣) رواه ابن شهر آشوب فى التنزيل عن تفسير القشيرى كما فى البحار ج ١٨ باب آداب الصلاة ، ورواه أيضاً جعفر بن أحمد القمى فى كتاب زهد النبى صلى الله عليه وآله كما فى المستدرك ج ١ ص ٢٦٦.

(٤) علل الشرايع ص ٨٨ عن أبان بن تغلب .

(٥) الباب الرابع من الكتاب ص ١٠٨ . (٦) هود : ٧٥ .

(٧) قال الجوهرى : الازيز : صوت الرعد وصوت غليان القدر ، و قد أزت القدر تؤز أزيزاً : غلت وفى الحديث « أنه يصلى و لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء » .

(٨) النهج - بالتحريك - : البهر و تتابع النفس .

وفي التهذيب عن أبي حمزة الثمالي «قال: رأيت عليّ بن الحسين عليهما السلام يصلّي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته، قال: فسألته عن ذلك، فقال: ويحك أتدري بين يدي من كنت، إنّ العبد لا تقبل منه صلاة إلّا ما أقبل فيها، فقلت: جعلت فداك هلكنا، قال: كلّا إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل» (١).

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام «قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام في الصلاة تغيّر لونه، و إذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفضّ عرقاً» (٢).

و عنه عليه السلام قال: «كان أبي يقول: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه إلّا ما حرّكت الريح منه» (٣).

و عنه عليه السلام «أنّه سئل عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشياً عليه فلمّا أفاق قيل له في ذلك، فقال: ما زلت أردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته» (٤). قيل: وكان لسان الإمام في تلك الحال كشجرة طور حين قالت: إنّي أنا الله.

و عنه عليه السلام قال: «لا يجتمع الرغبة و الرهبة في قلب إلّا وجبت له الجنّة، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ و جلّ فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ و جلّ في صلاته و دعائه إلّا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين و أيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة» (٥).

و عنه عليه السلام بسند حسن «إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشّع و الإقبال على صلاتك فإنّ الله تعالى يقول: «الّذين هم في صلاتهم خاشعون»» (٦).

---

(١) المصدر ج ١ ص ٢٣٣، و رواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في العلل ص٨٨.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٥، وارفضاض الدموع: ترشيشها.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٤.

(٤) نقله المجلسي - رحمه الله - في البحار ج ١٨ ص ١٩٧ من فلاح السائل للسيد ابن طاووس، والظاهر المراد بالآية «مالك يوم الدين» كما في فلاح السائل أيضاً رواه عن الكليني - رحمه الله -.

(٥) رواه المفيد - رحمه الله - بنحو أبسط في أماليه كما في المستدرك ج١ص٢٦٥.

(٦) الكافي ج٣ ص ٣٠٠ تحت رقم٣، والآية في المؤمنون: ٣.

و قيل في تفسير قوله تعالى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة »(١) أي بجد و اجتهاد ، و أخذه بالجد أن يتجرد عند قراءته بحذف جميع المشتغلات و الهموم عنه .

و عن الرضا عليه السلام «أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : طوبى لمن أخلص لله العبادة و الدعاء ، و لم يشتغل قلبه بما ترى عيناه ، و لم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره »(٢).

قال أبو حامد : « و يروى عن ابن عباس أنه قال : قال داود عليه السلام : إلهي من يسكن بيتك ؟ و ممن تقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي و أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وقطع نهاره بذكري ، و كف نفسه عن الشهوات من أجلي ، يطعم الجائع ، ويؤوي الغريب ، ويرحم المصاب ، فذلك يضيء نوره في السماء كالشمس ، إذا دعاني لبيته ، و إن سألني أعطيته ، أجعل له في الجهل حلماً ، و في الغفلة ذكراً ، و في الظلمة نوراً ، و إنما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا ييبس أنهارها ولا يتغير ثمارها »(٣) .

و يروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته ، فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء و أتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ، ثم أقوم إلى صلاتي فأجعل الكعبة بين حاجبي ، و الصراط تحت قدمي ، و الجنة عن يميني ، و النار عن يساري ، و ملك الموت ورائي ، و أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء و الخوف و أكبر تكبيراً بتحقق ، و أقرأ القرآن بترتيل ، و أركع ركوعاً بتواضع ، و أسجد سجوداً بتخشع ، و أقعد على الورك اليسرى ، و أفرش ظهر قدمها ، و أنصب قدم اليمنى على الإبهام ، و أتبعها الإخلاص ، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا » .

و قال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

أقول : الخشوع في الصلاة خشوعان : خشوع بالقلب وهو أن يتفرغ لجمع الهمة لها و الإعراض عما سواها بحيث لا يكون فيه غير المعبود ، قال الصادق عليه السلام : « إنما أريد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة »(٤) و خشوع بالجوارح وهو أن يغض بصره

(١) مريم : ١٢ .
(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج ٢ ص ١٦ رقم ٣ .
(٣) رواه البرقي في المحاسن ص ١٥ دون ذكر داود عليه السلام عن الصادق عليه السلام .
(٤) الكافي ج ٢ ص ١٦ تحت رقم ٥ .

و يقبل عليها ولا يلتفت ولا يعبث ، (١) و بالجملة لا يتحرّك لغير الصلاة ، و لا يفعل من المكروهات شيئاً .

روى في الكافي بإسناده الصحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما يحسب لك منها ما أقبلت عليه ، ولا تعبث فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك ، ولاتحدّث نفسك ولا تتثاءب ولا تتمطّ (٢) ولا تكفّر فإنّما يفعل ذلك المجوس ، ولا تلثّم (٣) ، ولاتحتفز ، وتفرّج كمايتفرّج البعير ، ولا تقع على قدميك ، ولا تفترش ذراعيك ، ولا تفرقع أصابعك فإنّ ذلك كلّه نقصان في الصلاة ، ولا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولامتناعساً ولا متثاقلاً فإنّها من خلال النفاق ، فإنّ الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة و هم سكارى يعني سكر النوم ، و قال للمنافقين : « و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلّا قليلاً » (٤) .

قوله عليه السلام : « ولا تكفّر » التفكير هو وضع اليمين على الشمال كما يفعله العامّة ، والاحتفاز - بالحاء المهملة و الزاي - أن يتضأم في سجوده و جلوسه ، و الإقعاء عند أهل اللّغة أن يجلس على وركيه و ينصب ركبتيه ، و عند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثياً و ليس على الأرض إلّا رؤوس أصابع الرجلين والركبتين .

و في الصحيح عن الباقر عليه السلام : « إيّاك و القعود على قدميك فتتأذّى بذلك ولا تكون قاعداً على الأرض وإنّما قعد بعضك على بعض فلاتصبر للتشهد والدعاء » (٤) .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام « لا صلاة لحاقن ولا حاقب » (٥) وهو بمنزلة من هو في ثيابه ، و الحقن حبس البول ، و الحقب حبس الغائط .

و رواه أبو حامد عن النبيّ صلى الله عليه وآله و زاد « الحازق » و هو صاحب الخفّ الضيق .

---

(١) روى الصدوق في الخصال ج ٢ ص ١٦٥ نحوه .

(٢) التثوباء : فتح الفم ، والتمطى : مد اليدين .

(٣) المتلثم : المتنقب .

(٤) الكافى ج ٣ ص ٢٩٩ . والاية فى سورة النساء : ١٤٢ .

(٥) رواه الصدوق - رحمه الله - فى المجالس ص ٢٤٨، والمعانى ص ٢٣٧ .

و «الصفن» و هو رفع إحدى الرجلين . و «الصفد» و هو اقتران القدمين . و «الاختصار» و هو وضع يديه على خاصرتيه . و «الصلب» وهو ذلك مع التجافي بين عضديه . و «السدل» و هو إدخال اليدين تحت الثوب في الركوع و السجود ، و عقص شعر الرأس للرجال وهو الكفّ . و وضع إحدى الكفّين على الأخرى ، وإدخالهما بين الفخدين في الركوع و هو التطبيق . و نفخ موضع السجود » .

و زاد أصحابنا على ذلك كلّه تحديد النظر في شيء و الامتخاط والتنخّم و البصاق و التبسّم أمّا القهقهة فمبطلة ، والتصفيق إلّا لضرورة ، و العجن باليدين أو إحديهما في النهوض و التبازخ في الركوع ـ بالتاء المثنّاة الفوقانية و الباء الموحّدة و الزاي و الخاء المعجمة ـ وهو تقويس الظهر إلى فوق مع إخراج الصدر . والتدبيخ ـ بالتاء المثنّاة الفوقانيّة والدال المهملة والباء الموحّدة والياء المثنّاة التحتانية والخاء المعجمة ـ و يروى ـ بالحاء . أيضاً و هو تقويس الظهر إلى فوق مع طأطأة الرأس ، و خشوع القلب يستلزم خشوع الجوارح و لهذا لمّا رأى النبيّ صلّى الله عليه و آله العابث في الصلاة قال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » [(١)] بخلاف العكس لأنّ القلب هو الأصل و عليه المدار .

✡(فضيلة المساجد و مواضع الصلاة)✡

قال الله تعالى : « إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» [(٢)] .

و في الفقيه « روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : من صلّى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة قبل الله بها منه كلّ صلاة صلّاها منذ يوم وجبت عليه الصلاة و كلّ صلاة يصلّيها إلى أن يموت » [(٣)] .

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : « الصلاة في مسجدي كألف صلاة في غيره إلّا المسجد الحرام فإنّ صلاة في المسجد الحرام كألف صلاة في مسجدي» [(٤)] .

وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي : « المساجد الأربعة ـ : المسجد الحرام ،

---

(١) الجعفريات ص ٣٦ . (٢) التوبة :١٨ .

(٣) و (٤) الفقيه باب فضل المساجد رقم٢ و٣ .

و مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومسجد بيت المقدس ، و مسجد الكوفة - يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجّة . والنافلة تعدل عمرة »(١).

و قال علي عليه السلام : « صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة ، وصلاة في المسجد الأعظم تعدل مائة [ألف] صلاة ، وصلاة في مسجد القبيلة تعدل خمساً و عشرين صلاة ، وصلاة في مسجد السوق تعدل اثنتي عشرة صلاة ، وصلاة الرّجل في بيته صلاة واحدة »(٢).

و قال أبو جعفر عليه السلام : « من بنى مسجداً كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة »(٣).

و قال أبو عبيدة الحذاء ، و مرّ عليه السلام بي و أنا بين مكّة و المدينة أضع الأحجار ، فقلتُ : هذا من ذاك ؟ فقال : نعم »(٤).

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان : أخاً مستفاداً في الله عزّ وجلّ أو علماً مستطرفاً ، أو آية محكمة ، أو رحمة منتظرة ، أو كلمة تردّه عن ردى ، أو يسمع كلمة تدلّه على هدى ، أو يترك ذنباً خشية أوحياء »(٥).

و قال الصادق عليه السلام : « من مشى إلى المسجد لم يضع رجليه على رطب ولا يابس إلّا سبّح الله له إلى الأرضين السابعة »(٦).

و قال عليه السلام : « من تنخّم في المسجد ثمّ ردّها في جوفه لم تمرّ بداء إلّا أبرأته »(٧).

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنس المسجد يوم الخميس فأخرج منه من التراب ما يذرُ في العين غفر الله له »(٨).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة و حملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوء من السراج »(٩).

و روي : « أنّ في التوراة مكتوباً أنّ بيوتي في الأرض المساجد ، فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي ، ألا إنّ علي المزور كرامة الزائر ، ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة »(١٠).

---

(١) الى (١٠) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٥ و ٢٦ و ٢٧ و٢٨ و٣٥ و ٢٥ و ٢٣ و٢٤ و ٣٩ و ٤٤ .

و روي أنّ البيوت الّتي يصلّى فيها باللّيل يضيء نورها لأهل السماء كما يضيء نور الكواكب لأهل الأرض»(١).

و من أراد دخول المسجد فليدخله على سكون و وقار، فإنّ المساجد بيوت الله وأحبّ البقاع إليه. وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ رجلاً أوّلهم دخولاً وآخرهم خروجاً ومن دخل المسجد فليدخل رجله اليمنى قبل اليسرى وليقل «بسم الله وبالله السلام عليك أيّها النبيّ و رحمة الله وبركاته، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و افتح لنا أبواب رحمتك واجعلنا من عمّار مساجدك، جلّ ثناء وجهك» و إذا خرج فليخرج رجله اليسرى قبل اليمنى و ليقل «اللّهم صلّ على محمّد و آل محمّد وافتح لنا باب فضلك»(٢) هذا كلّه من الفقيه.

و في الصحيح، عن ابن سنان عن الصادق عليه السلام «قال: سمعته يقول: إنّ أُناساً كانوا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبطأوا عن الصلاة في المسجد فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فيوقد عليهم نار فيحرق عليهم بيوتهم»(٣).

و عنه عن أبيه، عن علي عليه السلام: «قال: لا صلاة لمن لم يشهد الصلوات المكتوبات من جيران المسجد إذا كان فارغاً صحيحاً»(٤).

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتّى يركع وليدع الله عقيبهما وليصلّ على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعا الله وسأله حاجته»(٥).

و عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم «الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة مالم يُحدث، فقيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب»(٦).

---

(١) و (٢) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٤٥ و ٤٧ و ٤٨.

(٣) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٢٥٢.

(٤) رواه الشيخ ـ رحمه الله ـ في التهذيب ج ١ ص ٣٢٧.

(٥) أخرج صدره البخاري ج ١ ص ١١٤، ومسلم ج ٢ ص ١٥٥، والترمذي ج٢ ص ١١٢، وغيره كلهم عن أبي قتادة، وراجع أيضاً البحار ج ١٨ باب صلاة التحية والدعاء عند الخروج الى الصلاة ص ١٤١.

(٦) رواه الصدوق في الامالي كما في البحار ج ١٨ ص ١٣٦.

قال أبوحامد: « قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: « الملائكة تصلّي على أحدكم مادام في مصلّاه الّذي يصلّي فيه: اللّهمّ اغفر له اللّهمّ ارحمه. مالم يحدث أويخرج من المسجد(١) ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « من ألف المسجد ألفه الله (٢) ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إذا رأيتم الرّجل يعتادالمسجد فاشهدوا له بالايمان»(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في آخرالزّمان [أ]ناس من اُمّتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً، ذكرهم الدنيا وحبّ الدّنيا، لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة (٤) ».

وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إذامات العبدبكى عليه مصلّاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثمّ قرأ «فمابكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين (٥) ».

وقال ابن عباس: « تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً (٦) ».

وقيل: إنّها تشهدله بها يوم القيامة، ويقال: مامن منزل ينزله قوم إلّا أصبح ذلك المنزل يصلّي عليهم أويلعنهم.

﴿ الباب الثانى ﴾

☼(فى كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة)☼

أقول: و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول: ينبغي للمصلّي إذا فرغ

(١) أخرجه البغوى فى المصابيح ج ١ ص ٤٨، والنسائى فى السنن ج٢ص٥٥.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الاوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٣.

(٣) أخرجه الترمذى ج١١ ص ٢٣٧. وأحمد فى المسند ج ٣ ص ٧٦.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير وفيه بزيع أبو الخليل ونسب الى الوضع كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٤.

(٥) أخرجه ابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا و ابن المنذر من طريق المسيب بن رافع كما فى الدرالمنثور ج ٦ ص ٣١، والاية فى سورة الدخان: ٢٣.

(٦) أخرجه الحاكم وابن أبى الدنيا كما فى الدرالمنثور ج ٦ص ٣١.

من الطهارة و إزالة الخبث عن البدن و الثوب و محلّ السجود بل كلّ المكان و من ستر العورة بل من السرّة إلى الركبة بما يجوز لبسه في الصلاة أعني غير الحرير المحض، ولا جلد الميتة، ولا ما لا يؤكل لحمه، ولا شعره و وبره سوى ما استثني أن ينتصب[1] قائماً متوجّهاً إلى القبلة عينها أو جهتها بوقار وخشوع، واصفاً يديه على فخذيه بإزاء ركبتيه، مفرّجاً بين قدميه بقدر ثلاث أصابع مفرّجات إلى شبر، مستقبلاً بأصابع رجليه جميعاً القبلة، مسدلاً منكبيه، مقيماً صلبه، ناظراً إلى موضع سجوده، غير مجاوز بصره عن مصلاه، ولا رافع له إلى السماء، فإن لم يكن مصلّى فليقرب من جدار، أو يضع بين يديه شيئاً، أو يخطّ خطّاً ليستتر بذلك ممّن يمرّ بين يديه، ويقصر مسافة البصر، و يمنع تفرّق الفكر، قال الصادق عليه السلام: « لا يقطع الصلاة شيء لا كلب ولا حمار ولا امرأة ولكن استتروا بشيء[2] » فإذا استوى قيامه واستقباله وإقباله على الصلاة فليحضر النيّة بأن يقصد بقلبه أنّه يؤدّي فريضة الظهر مثلاً لله ليميّزه بقوله أؤدّي عن القضاء، و بالفريضة عن النفل، وبالظهر عن العصر وغيره، ويقارن بها إحدى التكبيرات السبع الإفتتاحية و يجعلها تحريمه، ويرفع بكلّ منها يديه فإنّه زينة الصلاة والعبودية ويتأكد للإمام، و يستقبل بكفّيه القبلة، ضامّاً أصابعه سوى الإبهامين، غير متجاوز بكفّيه أذنيه، مبتدئاً بالتكبير حال ابتداء الرّفع، منتهياً بانتهائه، و كذلك في كلّ تكبير في الصلاة، ويقطع همزتي الجلالة وأكبر من غير مدّ، ويضمّ الهاء من الجلالة ضمّة خفيفة من غير مبالغة، ولا يمدّ بين اللام والهاء زيادة على العادة، ويجزم راء التكبير ولا يضمّه، ويأتي بالتكبيرات السبع بأدعيتها فعند الثالثة « اللّهمّ أنت الملك الحقّ، لا إله إلّا أنت، سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت، وبعد الخامسة « لبّيك وسعديك، والخير في يديك والشرّ ليس إليك، والمهديّ من هديت لا ملجأ منك إلّا إليك، سبحانك وحنانيك تباركت وتعاليت سبحانك ربّ البيت[3] » و في بعض الأخبار بعد قوله: « والمهديّ من هديت »

(١) قوله : « أن ينتصب » مربوط بقوله « ينبغى ».

(٢) الكافى ج ٣ ص ٢٩٧، التهذيب ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) قوله : « لبيك و سعديك » أى اقامة على طاعتك بعد اقامة و مساعدة على ←

« منك وبك ولك وإليك » وبعد السابعة « وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، حنيفاً مسلماً و ما أنا من المشركين ، إنّ صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله ربّ العالمين ، لاشريك له وبذلك اُمرت وأنامن المسلمين » وفي بعض الأخبار بدل «عالم الغيب والشهادة» «على دين محمّد ومنهاج علي» ثمّ يقول : «أعوذبالله السميع العليم من الشيطان الرّجيم » متخافتاً بها ، ثمّ يقرء الحمد على الوجه المنقول بالتواتر ، مخرجاً للحروف من مخارجها ، مراعياً للوقوف في مواضعها ، مرتّلاً موالياً لأجزائها عرفاً ، آتياً بالبسملة لأنّها جزء منها و يجهر بها في الصبح و اُوليي العشائين والجمعة ، و يخافت في غيرها فيما عدا البسملة ، ويسكت بعدها بقدر نفس ، ثمّ يقرأسورة كذلك مع بسملتها ، وينبغي أن تكون مثل الأعلى والشمس في الظهر والعشاء ، ومثل الفتح والتكاثر في العصر والمغرب ، ومثل النبأ والدّهر في الصبح ، وفي الجمعتين الجمعتين[1] و في ليلتها و غداتها الجمعة و في غداة الخميس و الإثنين الدّهر ، و في بعض الأخبار القدر في جميع الفرائض و في الثانية التوحيد وفي بعضها بالعكس ، ويسكت بعدها كماسكت قبلها ، ثمّ يرفع يديه كرفعه في السبع ، آتياً بالتكبير وهو قائم ، ثمّ يركع واضعاً يمناه على ركبته اليمنى قبل يسراه على اليسرى ، مالئاً كفّيه بركبتيه ، ملقماً لهما بأطراف أصابعه مفرّجات ، رادّاً لهما إلى خلف ، مستوياً ظهره بحيث لوصبّ عليه قطرة من ماء أودهن لم تزل ، مادّاً عنقه مغمّضاً عينيه أوناظراً إلى مابين قدميه ، ثم يقول : « اللّهمّ لك ركعت ولك أسلمت و بك آمنت وعليك توكّلت وأنت ربّي خشع لك سمعي وبصيري وشعري وبشري ولحمي ودمي ومخّي وعصبي وعظامي وما أقلّته قدماي ، غير مستنكف ولا مستكبر ولا مستحسر[2] ،

← امتثال أمرك بعد مساعدة . « والشر ليس اليك » أى ليس منسوباً اليك ولا صادراً عنك . والحنان - بتخفيف النون - : الرحمة وبتشديدها ذوالرحمة : وقوله : «سبحانك وحنانيك» أى انزهك عما لايليق بك تنزيها والحال أنى أسألك رحمة بعد رحمة .

(١) كذا فى النسخ .

(٢) قوله « أقلته قدماى» أى ما حملته قدماى . والاستنكاف معناه بالفارسية ننگ داشتن . والاستحسار - بالحاء المهملة والسين - التعب والمراد انى لاأجد فى الركوع تعباً ولا كلالا ولامشقة بل أجد لذة وراحة . وقوله : «سبحان ربى العظيم وبحمده» يعنى انزه ربى ←

ثمّ يقول: «سبحان ربّي العظيم وبحمده» مرّة أوثلاثاً أوخمساً أوسبعاً إلى مايتّسع له الصدر فقد عُدّ للصادق عليه السلام في الركوع والسجود تسعون تسبيحة، ثمّ ينتصب ويقول: «سمع الله لمن حمده» رافعاً يديد، ثمّ يقول: «والحمد لله ربّ العالمين أهل الكبرياء والعظمة والجودوالجبروت»، ثمّ يكبّر على قياس ما ذكر وهو قائمٌ ويهوي للسجود بخضوع وخشوع، متلقياً الأرض بكفيه قبل ركبتيه، مجنّحاً بيديه، باسطاً كفيه، مضمومتي الأصابع حيال منكبيه ووجهه، ولا يلزقهما بركبتيه، ولا يدنهما من وجهه، ولا يضع شيئاً من جسده على شيء منه في ركوع ولاسجود، ويسجد على الأرض أوما نبت منها غير مأكول ولاملبوس عادة، ولا معدن لأنّ أبناء الدّنيا عبيدٌ لما يأكلون ويلبسون ـ كذا عن الصادق عليه السلام ـ [1].

وقال عليه السلام: «وان تسجد على الأرض أحبُّ إليّ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبّ أن يمكّن جبهته من الأرض فأنا أُحبُّ لك ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه» [2].

وقال عليه السلام: «وإن أفضيت بيديك إلى الأرض فهو أفضل [3]» وأفضل المساجد التربة الحسينيّة على مشرفها السلام، فإنّها تنور إلى الأرضين السبع وتخرق الحجب. كذاعن أئمة الهدى صلوات الله عليهم [4] ويضع مع الجبهة الكفّين والركبتين وإبهامي

ــــ العظيم عما لايليق بعز شأنه تنزيهاً وأنامتلبس بحمده على ما وفقني له من تنزيهه وعبادته. كأن المصلى لما أسند التنزيه الى نفسه خاف أن يكون فى هذا الاسناد نوع تبجح بأنه مصدر لهذا الفعل العظيم فتدارك ذلك بقوله: وأنامتلبس بحمده على أن صيرني أهلا لتسبيحه وقابلا لعبادته، فسبحان مصدر ـ كغفران ـ ومعناه التنزيه ونصبه على أنه مفعول مطلق وعامله محذوف سماعاً، والواو فى «وبحمده» وأو الحال وبعض النحاة يجعلها عاطفة وهو من قبيل عطف الجملة الاسمية على الفعلية (كذا قال الشيخ البهائى فى مفتاح الفلاح).

(١) الفقيه ص ٧٣ رقم ١، والعلل ج ٢ باب ٤٢، والتهذيب ج ١ ص ٢٠٢.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) التهذيب ج ١ ص ١٥٧.

(٤) راجع الفقيه ص ٧٢ تحت رقم ٢، والاحتجاج للطبرسى ص ٢٧٤ ومصباح المتهجد ص ٥١١.

الرّجلين و يجعل الأنف ثامنها ويرغم به ويقول ناظراً إلى طرفه : « اللّهمّ لك سجدت وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكّلت ، وأنت ربّي سجد وجهي للّذي خلقه و شقّ سمعه وبصره ، الحمد لله ربّ العالمين تبارك الله أحسن الخالقين » ثمّ يقول : « سبحان ربّي الأعلى وبحمده » مرّة أوثلاثاً أوخمساً أوسبعاً إلى مايتّسع له الصّدر ، ثمّ يرفع رأسه ويكبّر جالساً على فخذه الأيسروقد وضع ظهرقدمه اليمنى على بطن اليسرى ويقول : « أستغفرالله ربّي وأتوب إليه » ، ثمّ يقول : « اللّهمّ اغفرلي وارحمني وأجرني وادفع عنّي إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير تبارك الله ربّ العالمين » ثمّ يكبّرو يسجد السجدة الثانية كالأولى ثم يرفع رأسه ويجلس متورّكاً كما ذكرهنيئة و هي جلسة الاستراحة ثمّ يقوم رافعاً ركبتيه قبل كفّيه معتمداً عليهما قائلاً « بحولك اللّهمّ وقوّتك أقوم وأقعد » وإن شاء يقول : « وأركع وأسجد » فإذا انتصب قائماً فيأتي بالبسملة و الحمد و سورة و أفضلها التوّحيد في جميع الفرائض ، ثمّ يسكت بقدرنفس ، ثمّ يكبّر للقنوت ويرفع كفّيه تلقاء وجهه ، مستقبلاً ببطنيهما السّماء ، ضامّاً أصابعهما ماعدا الإبهامين ، وينظر إليهما ويأتي بكلمات الفرج ، ثمّ يدعو بماشاء وأفضله المأثورات و يجهر به و يطيل فيه ، ففي الحديث « أطولكم قنوتاً في دار الدّنيا أطولكم راحة يوم القيامة »(١) ثمّ يرفع يديه بالتكبيرويركع ويسجد السّجدتين كمامرّ ، ثمّ يجلس للتشهد متورّكاً ، لاصقاً ركبتيه على الأرض ، مفرّجاً بينهما شيئاً ويقول : ناظراً إلى حجره : « بسم الله وبالله وخير الأسماء لله أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي السّاعة ، وأشهد أنّ ربّي نعم الرّبّ وأنّ محمّداً نعم الرّسول ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبّل شفاعته في اُمّته وارفع درجته » ، ثمّ يحمد الله مرّتين أو ثلاثاً إن كانت غير ثنائية ، ويقوم إلى الثالثة آتياً بما قاله عند نهوضه إلى الثانية فإذا انتصب قائماً قرء الحمد أوسبّح التسبيحات الأربع فإن ثلّثها وأضاف إليها الاستغفارفهوأفضل ، ثم يركع ويسجد آتياً بالتكبيرات والأذكار ، ثمّ يأتي بالرّابعة كذلك إن كانت رباعية ، ثمّ يتشهّد ثانياً كما مرّ ويضيف إليه ما في رواية أبي بصيرالمشهورة عن الصادق عليه السلام (٢) إلى آخر التسليمات

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في الامالي ص ٣٠٤ .
(٢) راجع التهذيب ج ١ ص ١٦٢ .

المستحبّة ، ثمّ يشير بمؤخّر عينه إلى يمينه ويقول : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ناوياً به الخروج عن صلاته ، قاصداً بالخطاب الأنبياء و الأئمة و الحفظة عليهم السلام فهذه هيئة صلاة المنفرد .

ثمّ يشرع في التعقيب متورّكاً مستقبل القبلة ، ملازماً لمصلّاه ، مستديماً طهارته ، مجتنباً كلّ ما يبطل الصلاة أو ينقص ثوابها ، فقد روي «أن كلّ ما يضرّ بالصّلاة يضرّ بالتعقيب ، وهو أفضل من الصّلاة تنفّلاً ، وأبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد[1]» والأذكار الواردة فيه عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة ويأتي بعضها في كتاب ترتيب الأوراد ، و أفضلها تسبيح الزّهراء عليها السلام و هو أفضل من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم . ـ كذا عن الصادق عليه السلام ـ[2] .

فإذا فرغ من التعقيب سجد سجدتي الشكر ويطيلهما ما استطاع ، ويفترش ذراعيه فيهما ، ويلصق صدره و بطنه بالأرض و يعفّر جبينيه و خدّيه أي يضعهما على العفَر ـ بفتحتين وهو التراب ـ وبوضع الخدّين يتحقّق الفصل بينهما ويدعو فيهما بالمأثور و قد مرّ نبذ منه .

☼(بيان تمييز الفرائض والسنن و تفاوت بعضها عن بعض)☼

أقول : جملة ما ذكرناه اشتملت على السنن والهيئات والآداب الّتي ينبغي أن يراعي مريد طريق الآخرة جميعها والفرض منها القيام ، و النيّة ، و تكبيرة الاحرام ، و قراءة الفاتحة على الوجه المنقول بالتواتر والجهر بها أو الإخفات ؛ والانحناء في الرّكوع إلى أن ينال راحتاه ركبتيه ، و الذكر فيه و الطمأنينة بقدره ، و رفع الرأس منه مطمئنّاً فيه والسّجدتان على الأعضاء السّبعة ، و الذكر فيهما ، مطمئنّاً بقدره ، و رفع الرأس عنهما والجلوس بينهما مطمئنّاً ، والشهادتان في موضعيهما مع الصّلاة على النبيّ و آله عليهم السلام ، و الجلوس لهما ، والتسليم على خلاف فيه وهو تحليل الصّلاة كما أن التكبير تحريمها و الطهور مفتاحها . و في وجوب السورة بعد الحمد والقنوت أو استحبابهما خلاف ، و كذا

(۱) راجع مفتاح الفلاح ص ٤۹ . والكافي ج ۳ ص ۳٤۲ ، والتهذيب ج۱ ص ۱٦٤ .
(۲) الكافي ج ۳ ص ۳٤۳ تحت رقم ۱٤ و ۱٥ .

في وجوب الجهر بالبسملة في مواضع الإخفات أو استحبابه.

وما عداهذه فليس بواجب بل هي سنن وهيئات وآداب فيهاوفي الفرائض، وللكل درجات متفاوتة في الفضل والإهتمام به فأهمّها النيّة، وأفضل الأفعال الأركانية السجود، ثمّ الركوع، ثمّ القيام وهذه الأربعة أركان تبطل الصلاة بتركها عمداً و سهواً و نظيرها من الشروط الطهور قال الصادق عليه السلام: «الصلاة ثلاثة أثلاث: ثلث طهور، وثلث ركوع، وثلث سجود[1]» ثمّ الجلوس للتشهد وفيما بين السجدتين، ثمّ رفع اليدين في التكبيرات ثمّ سائر الهيئات وهي تابعة لذي الفضل في الفضل وما هومنها أدلّ على الخشوع فهوأفضل، وأفضل الأذكار تكبيرة الإحرام، وهو من الأركان، ثمّ الفاتحة، ثمّ التشهد، ثمّ أذكار الركوع والسجود، ثمّ التسليم، ثمّ السورة وسائر التكبيرات، ثمّ القنوت، ثمّ التعوّذ، ثمّ دعاء الإفتتاح الأخير، ثمّ الأوّلان، ثمّ سائر الأذكار، هذا مايناسب طريقتنا في التفاوت والتفضيل بمّا فهمتـه من فحاوي الأخبار، ولم أرمن أصحابنا من تعرّض لذلك[2].

قال أبوحامد بعد تمييز الفرائض والسّنن وتفضيل بعض السّنن على بعض على طريقة العامّة: «فإن قلت: تمييز السّنن عن الفرائض معقول إذتفوت الصّحة بفوت الفرض دون السّنة ويتوجّه العقاب به دونها فأمّا تمييز سنّة عن سنّة والكلّ مأموربه على سبيل الاستحباب ولاعقاب في ترك الكلّ والثواب مرجوّ على الكلّ فمامعناه؟.

فاعلم أنّ اشتراكها في الثواب و العقاب و الاستحباب لا يدفع تفاوتها، ولنكشف لك ذلك بمثال-وهو أنّ الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلّا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة، فالمعنى الباطن هو الحياة و الروح، و الظاهر أجسام أعضائه، ثمّ بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمه وتفوت الحياة بفواته؛ كالقلب والكبد و الدماغ، وبعضها لا يفوت به الحياة و لكن يفوت به مقاصد الحياة؛ كالعين و اليد و الرجل و اللّسان،

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٧٣ تحت رقم ٨.

(٢) في هامش بعض النسخ منه - رحمه الله - كذا: «لم يتعرض أبوحامد لتفضيل بعض الفرائض على بعض و تفاوتها في الدرجة ولاغيره من أصحابنا وانما ذلك من خواص هذا الكتاب».

و بعضها لا يفوت به الحياة و لا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن ؛ كالحاجبين و اللّحية و الأهداب و حسن اللّون ، و بعضها لا يفوت به أصل الجمال ولكن كماله ؛ كاستقواس الحاجبين ، و سواد شعر اللّحية و تناسب خلقة الأعضاء ، و لامتزاج الحمرة بالبياض في اللّون ، فهذه درجات متفاوته ، فكذلك العبادة صورة صوّرها الشرع و تعبّدنا باكتسابها فروحها و حياتها الباطنة الخشوع و النيّة و حضور القلب و الإخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع و السجود و القيام و سائر الأركان يجري منها مجرى القلب و الرأس و الكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها ، و السنن الّتي ذكرناها من رفع اليدين و دعاء الاستفتاح وغيرهما يجري منها مجرى اليدين و العينين و الرجلين لايفوت الصحّة بفواتها كما لايفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوّه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه ، فكذلك من اقتصر على أقلّ ما يجزىء من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حيّاً مقطوع الأطراف ، و أمّا الهيئات وهي ماوراء السنن فيجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين و اللّحية و الأهداب و حسن اللّون ، و أمّا لطائف الآداب في تلك السنن فهي مكمّلات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللّحية و غيرها و الصلاة عندك قربة و تحفة تتقرّب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يُهديها طالب القربة من السلاطين إليهم و هذه التحفة تعرض على الله ثمّ تردّ عليك في يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها فإن أحسنت فلنفسك و إن أسأت فعليها ، ولا ينبغي أن يكون حظّك من ممارسة الفقه أن يتميّز لك السنّة عن الفرض فلا يعبق بفهمك من أوصاف السنّة إلّا أنّه يجوز تركها فتتركها فإنّ ذلك يضاهي قول الطبيب : إنّ فقأ العينين لا يبطل وجود الإنسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرّب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهديّة ، فهكذا ينبغي أن يفهم مراتب السنن والهيئات والآداب ، و كلّ صلاة لم يتمّ الإنسان ركوعها و سجودها فهي الخصم الأوّل على صاحبها تقول : ضيّعك الله كما ضيّعتني ، فطالع الأخبار الّتي أوردناها في إكمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها » .

﴿الباب الثالث﴾

☼(فى الشروط الباطنة من أعمال القلب)☼

قال أبو حامد: « و لنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب، ثمّ لنذكر المعاني الباطنة و حدودها و أسبابها و علاجها، ثمّ لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كلّ ركن من الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة.

☼(بيان اشتراط الخشوع و حضور القلب)☼

اعلم أنّ أدلّة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى: « أقم الصلاة لذكري » و ظاهر الأمر للواجب و الغفلة تضادّ الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره؛ و قوله: « ولا تكن من الغافلين » نهي و ظاهره للتحريم؛ و قوله تعالى: « حتّى تعلموا ما تقولون» تعليل لنهي السكران وهو مطّرد في الغافل المستغرق الهمّ بالوساوس و أفكار الدنيا، و قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « إنّما الصلاة تمسكنٌ و تواضعٌ » (١) حصر بالألف و اللّام و كلمة إنّما للتحقيق و التمحيق (☼)، و قد فهم الفقهاء من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « إنّما الشفعة فيما لم يقسم الحصر و الإثبات و النفي، و قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم تزده من الله إلّا بعداً » (٢) و صلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء؛ و قال صلى الله عليه وآله وسلم: « كم من قائم حظّه من صلاته التعب والنصب» (٣) و ما أراد به إلّا الغافل. و قال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: « ليس للعبد من صلاته إلّا ما عقل » (٤).

و التحقيق فيه أنّ المصلّي مناج ربّه كما ورد الخبر به و الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتّة، و بيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة

---

(١) و (٢) مر سابقاً. (☼) كذا فى النسخ وفى الاحياء «والتوكيد».

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبرانى والبيهقى بالفاظ مختلفة وفى لفظ الطبرانى « رب قائم حظه من قيامه السهر » راجع الجامع الصغير باب الراء.

(٤) نقله النورى - رحمه‌الله - فى المستدرك ج١ ص٢٦٤ من كتاب غوالي اللئالى.

للشهوة ، شديدة على النفس ، و كذا الصوم قاهر للقوى ، كاسر لسطوة الهوى الّذي هو آلة الشيطان عدوّ الله ، فلا يبعد أن يحصل منهما مقصود مع الغفلة ، و كذلك الحجّ أفعاله شاقّة شديدة ، و فيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام ، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن ، أمّا الصلاة فليس فيها إلّا ذكر و قراءة و ركوع و سجود و قيام و قعود ، أمّا الذكر فإنّه محاورة و مناجاة مع الله تعالى فامّا أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاورة ، أوالمقصود الحروف والأصوات إمتحاناً للّسان بالعمل كما يمتحن المعدة و الفرج بالإمساك في الصوم ، و كما يمتحن البدن بمشاقّ الحجّ و يمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة و اقتطاع المال المعشوق ، و لا شكّ في أنّ هذا القسم باطلٌ فإنّ تحريك اللّسان بالهذيان ما أخفّه على العاقل فليس فيه امتحان من حيث أنّه عملٌ بل المقصود الحروف من حيث أنّه نطق ولا يكون نطقاً إلّا إذا أعرب عمّا في الضمير ، ولا يكون معرباً إلّا بحضور القلب فأيّ سؤال في قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » إذا كان القلب غافلاً ، وإن لم يقصد كونه تضرّعاً و دعاء فأيّ مشقّة في حركة اللّسان به في الغفلة لا سيّما بعد الاعتياد ؟ هذا حكم الأذكار بل أقول : لو حلف الإنسان و قال : لأشكرنّ فلاناً و اُثني عليه و أسألنّه حاجة ثمّ جرت الألفاظ الدالّة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبرّ في يمينه و لو جرى على لسانه في ظلمة و ذلك الإنسان حاضرٌ وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه ، إذ لا يكون كلامه خطاباً و نطقاً معه ما لم يكن هو حاضراً في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلّا أنّه في بياض النهار غافلٌ لكونه مستغرق الهمّ بفكر من الأفكار و لم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر باراً في يمينه ولا شك في أنّ المقصود من القراءة والأذكار الحمد و الثناء و التضرّع والدعاء و المخاطب هوالله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوبٌ عنه ، فلا يراه ولا يشاهده ، بل هو غافلٌ عن المخاطب و لسانه يتحرّك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة الّتي شرعت لتصقيل القلب و تجديد ذكر الله و رسوخ عقد الإيمان بها ، هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصيّة لاسبيل إلى إنكارها في النطق و تمييزه بها عن الفعل ، و أمّا الركوع و السجود فالمقصود

التعظيم بهما قطعاً و لو جاز أن يكون معظّماً لله بفعله و هو غافل عنه لجاز أن يكون معظّماً لصنم موضوع بين يديه وهو غافلٌ عنه، أو يكون معظّماً للحائط الّذي بين يديه و هو غافلٌ، و إذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلّا مجرد حركة الظهر و الرأس وليس فيه من المشقّة ما يقصد الامتحان به، ثمّ يجعل عماد الدّين، و الفاصل بين الكفر و الإسلام و يقدّم على الحجّ وسائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ما أرى أنّ هذه العظمة كلّها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلّا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإنّ ذلك يتقدّم على الصوم و الزكاة و الحجّ و غيرها بل الضحايا و القرابين الّتي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيه «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم»[(١)] أي الصفة الّتي استولت على القلب حتّى حملت على امتثال الأوامر و هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة و الأدب في أفعالها فهذا ما يدلّ من حيث المعنى على الاشتراط حضور القلب.

فصل

فإن قلت: إن حكمت ببطلان الصلاة و جعلت حضور القلب شرطاً في صحّتها خالفت به إجماع الفقهاء فإنّهم لم يشترطوا إلّا حضور القلب عند التكبير، فاعلم أنّه قد تقدّم في كتاب العلم أنّ الفقهاء لا يتصرّفون في الباطن و لا مطلع لهم على ما في القلوب ولا في الطريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح و ظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل أو تعزير السلطان فأمّا أنّه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه، على أنّه لايمكن أن يدعى الإجماع فيه فقد نقل عن بعض السلف أنّه قال: من لم يخشع فسدت صلاته، و قال آخر: كلّ صلاة لايحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع، وروي أيضاً مسنداً عن النبي ﷺ أنّه قال: «أنّ العبد ليصلّي الصلاة لا يكتب له سدسها و لاعشرها و إنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها»[(٢)] و هذا لو نقل

(١) الحج: ٣٧.

(٢) مر عن غوالى اللئالى لابن أبى جمهور الاحسائى.

من غيره لجعل مذهباً فكيف لا يتمسّك به ؟ و قال عبد الرحمن بن زيد : أجمعت العلماء على أنّه ليس للعبد من صلاته إلّا ما عقل منها فجعله إجماعاً ، وما نقل من هذا الجنس من الفقهاء المتورّعين و عن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى ».

أقول : و قد ورد مضمون هذا الحديث عن الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم في ألفاظ متعدّدة و قد أشرنا إلى بعضها فيما سبق .

قال : « و الحقّ الرجوع إلى أدلّة الشرع ، و الآيات و الأخبار ظاهرة في هذا الشرط إلّا أنّ مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيّد بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإنّ ذلك يعجز عنه كلّ البشر إلّا الأقلّين و إذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردّ له إلّا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم و لو في اللّحظة الواحدة و أولى اللّحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ، و نحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلّيّة ، فإنّه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً ، و أحضر القلب لحظة ، و كيف لا ؟ و الّذي صلّى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله ، و لكن له أجر ما بحسب فعله و على قدر قصوره و عذره و مع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشدّ من حال التارك و كيف لا ؟ و الّذي يحضر الخدمة و يتهاون بالحضرة و يتكلّم بكلام الغافل المستحقر أشدّ حالاً من الّذي يُعرض عن الخدمة ، و إذا تعارض أسباب الخوف و الرجاء و صار الأمر مخطراً في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط و التساهل ، و مع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحّة مع الغفلة و إنّ ذلك ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ، و من عرف سر الصلاة علم أنّ الغفلة ، تضادّها و لكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن و الظاهر في كتاب قواعد العقائد أنّ قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكلّ ماينكشف من أسرار الشرع ، فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإنّ فيه مقنعاً للمريد الطالب لطريق الآخرة ، و أمّا المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن ، و حاصل الكلام أنّ حضور القلب هو روح الصلاة و أنّ أقلّ ما يبقى به رمق الرّوح الحضور عند التكبير

فالنقصان منه هلاك، و بقدر الزيادة عليه ينبسط الرّوح في أجزاء الصلاة، و كم من حيّ لا حراك به قريب من ميّت، فصلاة الغافل في جميعها إلّا عند التكبير حيّ لا حراك به.

﴿ بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة ﴾

اعلم أنّ هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ستّ جمل و هي حضور القلب، و التفهّم، والتعظيم، و الهيبة، و الرجاء، والحياء فلنذكر تفاصيلها ثمّ أسبابها ثمّ العلاج في اكتسابها.

أما التفاصيل: فالأوّل حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلّم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما ولا يكون الفكر جارياً في غيرهما، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كلّ شيء فقد حصل حضور القلب، و لكن التفهّم لمعنى الكلام أمر و راء حضور القلب فربما يكون القلب حاضراً مع اللّفظ و لا يكون حاضراً مع معنى اللّفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللّفظ هو الّذي أردناه بالتفهّم و هذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهّم المعاني للقرآن والتسبيحات و كم من معان لطيفة يفهمها المصلّي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله، و من هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء و المنكر فإنّها تفهّم أموراً تلك الأمور تمنع من الفحشاء لا محالة.

وأمّا التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل ربّما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه و متفهّم لمعناه ولا يكون معظّماً له فالتعظيم [له] زائدٌ عليهما.

وأمّا الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأنّ من لا يخاف لا يسمّى هائباً، و المخافة من العقرب و سوء خلق العبد و ما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمّى مَهابة، بل الخوف من السلطان المعظّم يسمّى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الإجلال.

وأمّا الرّجاء فلاشكّ في أنّه زائد فكم من معظّم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرّته، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنّه خائف بتقصيره عقاب الله عزّ وجلّ.

وأمّا الحياء فهو زائد على الجملة لأنّ مستنده استشعار تقصير وتوهّم ذنب ويتصوّر التعظيم والخوف والرّجاء من غير حياء حيث لا يكون توهّم تقصير وارتكاب ذنب.

وأما أسباب هذه المعاني الستة

فاعلم أنّ حضور القلب سببه الهمّة فإنّ قلبك تابع لهمّتك فلا يحضر إلّا فيما يهمّك، ومهما أهمّك أمر حضر القلب شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخّر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطّلاً بل كان حاضراً فيما الهمّة مصروفة إليه من أمور الدّنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلّا بصرف الهمّة إلى الصّلاة، و الهمّة لا تنصرف إليها ما لم يتبيّن أنّ الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأنّ الآخرة خير وأبقى وأنّ الصلاة وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدّنيا ومهانتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلّة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممّن لا يقدر على مضرّتك و منفعتك، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الّذي بيده الملك والملكوت والنفع والضرّ فلا تظنّنّ أنّ له سبباً سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان، وطريقه مستقصى في غير هذا الموضع.

وأمّا التفهّم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمّر لرفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادّها أعني النزوع عن تلك الأسباب الّتي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك الموادّ لا ينصرف عنها الخواطر، فمن أحبّ شيئاً أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى أنّ من أحبّ غير الله لا يصفو له صلاة عن الخواطر.

وأمّا التعظيم فهي حالة للقلب تتولّد من معرفتين: إحديهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من أصول الإيمان فإنّ من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه. الثانية معرفة حقارة النفس وخسّتها و كونها عبداً مسخّراً مربوباً حتّى يتولّد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبّر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرّبّ لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فإنّ المستغني عن غيره، الآمن على

نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ، ولايكون الخشوع والتعظيم حاله لأنّ القرينة الأُخرى وهي معرفة حقارة النّفس وحاجتها لم تقترن إليه .

وأمّا الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولّد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيّته فيه مع قلّة المبالاة به وإنّه لو أهلك الأوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرّة ، هذا مع مطالعة مايجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدّفع على خلاف مايشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلّما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات .

وأمّا الرّجاء فسببه معرفة لطف الله و كرمه وعميم إنعامه و لطائف صنعه و معرفة صدقه في وعده الجنّة بالصّلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

و أمّا الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة و علمه بالعجز عن القيام بعظيم حقّ الله ، و يقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها و قلّة إخلاصها و خبث دخلتها و ميلها إلى الحظّ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله ، و العلم بأنّه مطّلع على السريرة وخطرات القلب و إن دقّت و خفيت و هذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمّى الحياء .

فهذه أسباب هذه الصفات ، و كلّ ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج و رابطة جميع هذه الأسباب الإيمان و اليقين أعني به هذه المعارف الّتي ذكرناها ، ومعنى كونها يقيناً انتفاء الشكّ و استيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم ، وبقدر اليقين يخشع القلب ، ولذلك قالت عائشة : كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يحدّثنا و نحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا و لم نعرفه .(١)

و قد روي «أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني و أنت تنتفض أعضاؤك ، و كن عند ذكري خاشعاً مطمئنّاً ، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك ، و إذا قمت بين يديّ فقم قيام العبد الذليل و ناجني بقلب وجل و لسان

(١) قد مر سابقاً .

صادق » [1] .

وروي أنّه أوحي إليه « قل لعصاة اُمّتك : لا يذكروني فإنّي آليت على نفسي أنّ من ذكرني ذكرته و إذا ذكروني بالغفلة ذكرتهم باللّعنة » [2] هذا في عاص غيرغافل فكيف إذا اجتمعت الغفلة و العصيان ؛ وباختلاف المعاني الّتي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمّم صلاته و لم يحضر قلبه في لحظة و إلى من يتمّم و لم يغب قلبه في لحظة ، بل ربما كان مستوعب الهمّ بها بحيث لا يحسّ بما يجري بين يديه ، و لذلك لم يحسّ بعضهم بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدّة ولم يعرف قطّ من على يمينه و يساره ، و وجيب قلب إبراهيم الخليل صلوات الله عليه كان يسمع على ميلين ، و بجماعة كانت تصفرّ وجوههم و ترتعد فرائصهم و كلّ ذلك غير مستبعد ، فإنّ أضعافه مشاهدة في همّ الدّنيا و خوف ملوك الدّنيا مع ضعفهم و عجزهم و خساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتّى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدّثه بمهمّ و يخرج و لو سئل عمّن حواليه و عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همّه به عن ثوبه و الحاضرين حوله ، و لكلّ درجات ممّا عملوا ، فحظّ كلّ واحد من صلاته بقدر خوفه و خشوعه و تعظيمه ، فإنّ موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات و لذلك قال بعض الصحابة : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة و الهدوء ، ومن وجود النعيم بها واللّذّة . و لقد صدق فإنّه يحشر على ما مات عليه و يموت على ما عاش عليه و يراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه ، فمن صفات القلوب يصاغ الصور في الدّار الآخرة و لا ينجو إلّا من أتى الله بقلب سليم .

✿(بيان الدواء النافع فى حضور القلب)✿

اعلم أنّ المؤمن لابدّ وأن يكون معظّماً لله ، و خائفاً منه ، و راجياً و مستحيياً من تقصيره ، فلا ينفكّ عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوّتها بقدر قوّة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلّا تفرّق الفكر و تقسيم الخاطر و غيبة القلب عن المناجاة

(١) و (٢) ماعثرت عليهما فى أصل .

و الغفلة عن الصلاة ولا تلهي عن الصلاة إلّا الخواطر الرّدية الشاغلة ، فالدّواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، و لايدفع الشيء إلّا بدفع سببه فليعلم سببه ، و سبب توارد الخواطر إمّا أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً .

أمّا الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإنّ ذلك قد يختطف الهمّ حتّى يتبعه و يتصرّف فيه ، ثمّ ينجرّ منه الفكر إلى غيره و يتسلسل و يكون الأبصار سبباً للافتكار ، ثمّ يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض و من قويت رتبته و علت همّته لم يلهه ما يجري على حواسّه ، ولكن الضعيف لابدّ و أن يتفرّق به فكره ، فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغضّ بصره أو يصلّي في بيت مظلم ، و لا يترك بين يديه ما يشغل حسّه ، و يقرب من حائط عند صلاته حتّى لا يتّسع مسافة بصره ، و يحترز من الصلاة على الشوارع و في المواضع المنقوشة المصبوغة و على الفرش المصبوغة و لذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم ، سعته بقدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمّ ، و الأقوياء كانوا يحضرون المساجد و يغضّون البصر و لا يجاوزونه موضع السجود و يرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم و شمالهم » .

أقول : قال الشهيد الثاني ـ رحمه الله [1] ـ : ينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر و هي جعله قائماً إلى موضع سجوده و غيره من الأمور المعلومة شرعاً ، فإن تعذّر القيام بها مع فتحهما فالغمض أولى لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة و صفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر انتهى كلامه ، و يمكن أن يقال : إنّ الغضّ الّذي هو من خشوع الجوارح المأمور به يغني عن الغمض فلا حاجة إلى ترك السنّة من وظيفة النظر ، اللّهمّ إلّا أن يشتغل بالتأمّل في موضع سجوده و ما بين قدميه و نحوهما فحينئذ لا يبعد ما قاله رحمه الله .

قال أبو حامد : « و أمّا الأسباب الباطنة فهي أشدّ فإنّ من تشعّبت الهموم به في أودية الدّنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب و غضّ البصر لا يغنيه فإنّ ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يردّ النفس قهراً

---

(١) أسرار الصلاة ص ١٧٧ .

إلى فهم ما يقرأه في الصلاة و يشغلها به عن غيره و يعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة و موقف المناجاة و خطر المقام بين يدي الله تعالى و هول المطّلع ، و يفرغ قلبه قبل التّحريم بالصلاة عمّا يهمّه ، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعثمان بن أبي شيبة : « إنّي نسيت أن أقول لك : تخمّر القدير الّذي في البيت فإنّه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم »[1] فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذه الدّواء المسكّن فلا ينجيه إلّا المسهل الّذي يقمع مادّة الدّاء من أعماق العروق و هوأن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شكّ في أنّها تعود إلى مهمّاته و أنّها إنّما صارت مهمّاً بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات و قطع تلك العلائق ، فكلّ ما يشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه و جند إبليس عدوّه ، فامساكه أضرّ عليه من إخراجه فيتخلّص عنه باخراجه .

كما روي « أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا لبس الخميصة الّتي أتاه بها أبو جهم و عليها علم و صلّى فيها نزع بعد صلاته وقال : اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنّها ألهتني آنفاً عن صلاتي و ائتوني بأنبجانيّة أبي جهم و أمر بتجديد شراك نعله ، ثمّ نظر إليه في الصلاة إذ كان جديداً فأمر أن ينزع منها و يردّ الشراك الخلق »[2] .

وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم قد احتذى نعلاً فأعجبه حسنها فسجد فقال : تواضعت لربّي كيلا يمقتني ثمّ خرج بها فدفعها إلى أوّل سائل لقيه ، ثمّ أمر عليّاً عليه السلام أن يشتري له نعلين سبتيّتين

---

(١) قال العراقي : الحديث أخرجه أبو داود من حديث عثمان الحجبى و هو عثمان ابن طلحة كما فى مسند أحمد و وقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم

(٢) قال الفيومى فى المصباح : الخميصة : كساء أسود معلم الطرفين و يكون من خز أوصوف وان لم يكن معلماً فليس بخميصة . وظاهر النووى فى شرحه على صحيح مسلم أن الكساء اذا كان له علم فهو خميصة واذا لم يكن له علم فهو انبجانية اه وهى - بالباء المفتوحة - كما فى القاموس فى مادة ن ب ج و منبج - كمجلس - موضع ، وكساء منبجانى وانبجانى بفتح بائهما نسبة على غير قياس . و الخبر رواه مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ٧٨ ونحوه النسائى فى السنن ج ٢ ص ٧٢ . و ابن ماجه تحت رقم ٣٥٥٠ .

جرداوين فلبسهما[١] .

و كان في يده صلّى الله عليه و آله خاتم ذهب قبل التحريم و كان على المنبر فرماه و قال : «شغلني هذا نظرة إليه و نظرة إليكم»[٢] .

أقول : و نسبة أمثال هذه إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله لا يليق بجلالة قدره و يشبه أن يكون من اختلاقات العامّة ذبّاً عن الطعن في أئمّتهم بما يشبهها كما هو دأبهم و العلم عند الله .

قال أبو حامد : « و قيل : إنّ بعضهم صلّى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسيّ طار في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه بصره ساعة ثمّ لم يدر كم صلّى فجعل حائطه صدقة ندماً و رجاءً للعوض عمّا فاته ، و هكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادّة الفكر ، و كفّارة لما جرى من نقصان الصلاة و هذا هو الدّواء القامع لمادّة العلّة و لا يغني غيره فإنّ ما ذكرناه من التلطّف بالتسكين و الردّ إلى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة ، و الهمم الّتي لا تشغل إلّا حواشي القلب فأمّا الشهوة القويّة المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجاذبك ثمّ تغلبك وينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة ، ومثاله رجلٌ تحت شجرة أراد أن يصفوله فكره و كانت أصوات العصافير تشوّش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له : إن هذا سير السواني [٣] ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقلع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت وتفرّعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذّباب إلى الأقذار ، و الشغل يطول في دفعها فإنّ الذّباب كلّما ذُبّ آب و لأجله سمّي ذباباً فكذلك الخواطر و هذه الشهوات كثيرة و قلّما يخلو العبد عنها ، و يجمعها أصل واحد و هو حبّ الدنيا و ذلك رأس كلّ خطيئة ، و أساس كلّ نقصان و منبع كلّ فساد ، ومن انطوى باطنه على حبّ الدّنيا حتّى مال إلى شيء منها لا ليتزوّد منها و يستعين

(١) أخرجه ابن حقيق فى شرف الفقراء بسند ضعيف . (المغنى)
(٢) أخرجه النسائى فى سننه ج ٨ ص ١٩٥ عن ابن عباس .
(٣) السانية : الناقة التى يستقى عليه من البئر ، جمعها سوان .

بها على الآخرة فلا يطمعنّ في أن يصفوله لذّة المناجاة في الصلاة فإنّ من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله و بمناجاته و همّة الرّجل مع قرّة عينه فإن كانت قرّة عينه في الدّنيا انصرف لا محالة إليها همّه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة و ردّ القلب إلى الصلاة و تقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدّواء و لمرارته استبشعه أكثر الطباع ، وبقيت العلّة مزمنة و صار الداء عضالاً حتّى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدّثون أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عنه فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس لنكون ممّن خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً ، و على الجملة فهمّة الدنيا و همّة الآخرة في القلب مثل الماء الّذي يصبّ في قدح فيه خلّ فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخلّ لا محالة ولا يجتمعان » .

﴿ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن و شرط ﴾
﴿ من أعمال الصلاة ﴾

« فنقول : حقّك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أوّلاً عن التنبيهات الّتي في شروط الصلاة و أركانها ، أمّا الشروط و السوابق فهي الأذان و الطهارة و ستر العورة و استقبال القبلة و الانتصاب قائماً والنيّة » .

أقول : و كان ينبغي أن يذكر الوقت و المكان و التوجّه بالتكبيرات أيضاً و نحن نذكرها في التفصيل إن شاء الله .

قال : « فإذا سمعت نداء المؤذّن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة و تشمّر بظاهرك و باطنك للإجابة و المسارعة ، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء هم الّذين ينادون باللّطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوّاً بالفرح و الاستبشار ، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى و الفوز يوم القضاء و لذلك قال صلّى الله عليه وآله : « أرحنا يا بلال »(١) أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كانت قرّة عينه فيها » .

---

(١) قال العراقي : حديث ارحنا يا بلال أخرجه الدار قطني في العلل من حديث بلال ولابي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح .

أقول : قال بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ[1] و اعتبر بفصول الأذان و كلماته كيف افتتحت بالله و اختتمت بالله و اعتبر بذلك أنّ الله جلّ جلاله هوالأوّل و الآخر والظاهر و الباطن : و وطّن قلبك بتعظيمه و تكبيره عند سماع التكبير و استحقر الدنيا و ما فيها لئلّا تكون كاذباً في تكبيرك ، وانف عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل و أحضر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و تأدّب بين يديه و أشهد له بالرسالة مخلصاً و صلّ عليه و آله ، وحرّك نفسك ، واسع بقلبك و قالبك عند الدعاء إلى الصلاة و ما يوجب الفلاح و ما هو خير الأعمال و أفضلها ، و جدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله و تعظيمه و اختمه بذكره كما افتتحت به و اجعل مبدأك منه و عودك إليه و قوامك به و اعتمادك على حوله و قوّته فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

فصل

أقول : وأمّا الوقت فقد قال بعض علمائنا[1] ـ رحمهم الله جميعاً ـ : استحضر عند دخوله أنّه ميقات جعله الله تعالى لك لتقوم فيه بخدمته ، و تتأهّل للمثول في حضرته و الفوز بطاعته ، و ليظهر على قلبك السرور و على وجهك البهجة عند دخوله لكونه سبباً لقربك و وسيلة إلى فوزك ، فاستعدّ له بالطهارة و النظافة و لبس الثياب الصالحة للمناجاة كما تتأهّب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا ، و تلقّاه بالوقار و السكينة و الخوف و الرجاء ، قال : و استحضر عظمة الله و جلاله و نقصان قدرك و كماله .

وقد روي عن بعض أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قالت :كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كلّ شيء ، وكان عليّ عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها ، وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا حضر الوضوء اصفرّ لونه إلى غير ذلك .

(١) راجع اسرار الصلاة ص ١٨٦ و ١٨٥ .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « و أمّا الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك و هو ظرفك الأبعد ، ثمّ في ثيابك و هو غلافك الأقرب ، ثمّ في بشرتك و هي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبّك الّذي هو ذاتك و هو قلبك ، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على مافرط ، وتصميم العزم على الترك في المستقبل ، فطهّر بها باطنك فإنّه موضع نظر معبودك » .

أقول : و قد ذكرنا في كتاب أسرار الطهارة كلاماً عن مولانا الصادق عليه السلام وآخر عن بعض علمائنا فتذكّر .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « و أمّا ستر العورة فاعلم ، أنّ معناه تغطية مقابح بدنك من أبصار الخلق ، فإنّ ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رأيك في عورات باطنك و فضائح سرّك الّتي لا يطّلع عليها إلّا ربّك ، فاخطر تلك الفضائح ببالك ، و طالب نفسك بسترها و تحقّق أنّه لايستر عن عين الله سبحانه ساتر ، وإنّما يكفرها الندم و الحياء و الخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذلّ به نفسك و تستكين تحت الخجلة قلبك و تقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيىء الآبق الّذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء و الخوف » .

أقول : وفي مصباح الشريعة قال مولانا الصادق عليه السلام : « أزين اللّباس للمؤمنين لباس التقوى ، وأنعمه الإيمان قال الله عزّ وجلّ : « ولباس التقوى ذلك خير »[1] و أمّا اللّباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم ، و هي كرامة أكرم الله بها عباده ذرّيّة آدم عليه السلام ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم ، وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله تعالى بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك إلى العجب و الرياء و التزيّن و المفاخرة و الخيلاء فإنّها من آفات الدّين و مورثة القسوة في

(١) الاعراف : ٢٦ .

القلب ، و إذ لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته ، و ألبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة و ظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عزّ و جلّ حيث خلق أسباب اللّباس لتستّر العورات الظاهرة و فتح أبواب التوبة و الإنابة لتستر بها عورات الباطن من الذّنوب و أخلاق السوء ، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك ، واصفح عمّا لا يعنيك حاله و أمره و احذر أن يفني عمرك بعمل غيرك و يتّجر برأس مالك غيرك و تهلك نفسك ، فإنّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل و أوفر أسباب العقوبة في الآجل ، و ما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل على الآفات ، غائص في بحر رحمة الله تعالى يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة و البيان ومادام ناسياً لذنوبه جاهلاً لعيوبه راجعاً إلى حوله و قوّته لايفلح إذاً أبداً [1]».

﴿فصل﴾

أقول : وأمّا المكان فقدقال بعض علمائنا[2] ـ رحمهم الله ـ : استحضر فيه أنّك كائن بين يدي ملك الملوك تريد مناجاته و التضرّع إليه و التماس رضاه و نظره إليك بعين الرّحمة ، فانظر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشريفة و المشاهد المطهّرة مع الإمكان فإنّه تعالى جعل تلك المواضع محلاً لاجابته و مظنّة لقبوله ورحمته ، و معدناً لمرضاته و مغفرته على مثال حضرة الملوك الّذين يجعلونها وسيلة لذلك فادخلها ملازماً للسّكينة و الوقار و مراقباً للخشوع و الانكسار ، سائلاً أن يجعلك من خلّص عباده و أن يلحقك بالماضين منهم ، و راقب الله كأنّك على الصراط جائز ، وكن متردّداً بين الخوف و الرجاء و بين القبول و الطرد ، فيخشع حينئذ قلبك و يخضع لبّك و تتأهّل لأن يفيض عليك الرّحمة و تنالك يد العاطفة ، وترعاك عين العناية ، قال الصادق عليه السلام : «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلّا المطهّرون ، و لا يؤذن لمجالسته إلّا

(١) الى هنا منقول من مصباح الشريعة الباب السابع . (٢) اسرار الصلاة ص ١٨٤ .

الصدّيقون ، وهب القدوم إلى بساط خدمته هيبة الملك فإنّك على خطر عظيم إن غفلت ، و اعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل و الفضل معك و بك ، فإن عطف عليك بفضله و رحمته قبل منك يسير الطاعة و أجزل عليها ثواباً كثيراً ، و إن طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلاً بك حجبك و ردّ طاعتك و إن كثرت و هو فعّال لما يريد ، و اعترف بعجزك و تقصيرك و فقرك بين يديه فإنّك قد توجّهت للعبادة له و المؤانسة به و اعرض أسرارك عليه و ليعلم أنّه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين و علانيتهم ، وكن كأفقر عباده بين يديه ، وأخل قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلّا الأطهر و الأخلص ، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك فإن ذقت من حلاوة مناجاته و لذيذ مخاطباته و شربت بكأس رحمته و كراماته من حسن إقباله عليك و اجاباته ، و قد صلحت لخدمته فادخل فلك الإذن والأمان وإلّا فقف وقوف مضطرّ قد انقطع عنه الحيل و قصر عنه الأمل و قضى الأجل ، و إذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة و الرّحمة و العطف ، و وفّقك لما يحبّ و يرضى فإنّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه المحدقين على بابه لطلب رضاته قال الله تعالى : « أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه » (١) .

﴿فصل﴾

قال أبوحامد : « و أمّا الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله ، أفترى أنّ صرف القلب من سائر الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك هيهات فلامطلوب سواه و إنّما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتّى لا تبغي على القلب فإنّها إذا بغت و ظلمت في حركاتها إلى جهاتها استتبعت القلب و انقلبت به عن وجه الله ، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك ، و اعلم أنّه كما لا يتوجّه الوجه إلى جهة البيت إلّا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب

(١) النمل : ٦٢ . والخبر في مصباح الشريعة الباب الثاني عشر .

إلىالله تعالى إلّا بالتفرّغ عمّا سوى الله تعالى ، و قد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا قام العبد إلى صلاته و كان هواه و قلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته اُمّه »(١).

أقول : و ممّا روي في هذا الباب عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « أما يخاف الّذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار(٢)» قيل : هذا نهي عن الالتفات عن الله و ملاحظة عظمته في حال الصلاة ، فانّ الملتفت يميناً و شمالاً ملتفت عن الله تعالى و غافل عن مطالعة أنوار كبريائه و من كان كذلك فيوشك أن يدوم تلك الغفلة عليه فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقله للاُمور العلوية و عدم فهمه للعلوم ، و عن مولانا الصادق عليه السلام : « إذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا و ما فيها والخلق وما هم فيه ، و استفرغ قلبك من كلّ شاغل يشغلك عن الله تعالى ، وعاين بسرّك عظمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلّ نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق ، وقف على قدم الخوف و الرجاء »(٣).

﴿فصل﴾

قال أبوحامد : « و أمّا الإعتدال قائماً فهو مثول بالشخص و القلب بين يدي الله ، فليكن رأسك الّذي هو أرفع أعضائك مطرقاً متطأطأً متنكّساً ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع و التذلّل والتبرّي عن الترأس و التكبّر ، وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطّلع(٤) عند التعرّض للسؤال ، و اعلم في الحال أنّك قائم بين يدي الله و هو مطّلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك

---

(١) و (٢) نقلهما الشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ في اسرار الصلاة .

(٣) مصباح الشريعة الباب الثالث عشر .

(٤) المطلع ـ بفتح اللام ـ قال الجزرى هومكان الاطلاع من موضع عال ، يقال : مطلع هذا الجبل من مكان كذا أى مأتاه و مصعده .

أنّك ملحوظ و مرقوب بعين كالئة[1] من رجل صالح من أهلك أو ممّن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنّه يهدأ عند ذلك أطرافك و يخشع جوارحك و يسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلّة الخشوع، و إذا أحسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك و قل لها: إنّك تدّعين معرفة الله و حبّه أفلا تستحين من اجترائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين النّاس ولا تخشينه و هو أحقّ أن يخشى، ولذلك لماقيل للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: كيف الحياء من الله فقال: «تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك»[2]

فصل

أقول: وأمّا التوجّه فقد قال بعض علمائنا[3]: إذا توجّهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه و صغّر نفسك و خسّة عبادتك في جنب عظمته و انحطاط همّتك عن القيام بوظائف خدمته و استتمام حقائق عبادته، و تفكّر عند قولك: «اللّهمّ أنت الملك الحقّ» في عظيم ملكه و عموم قدرته و استيلائه على جميع العوالم ثمّ ارجع على نفسك بالذّل و الانكسار و الاعتراف بالذّنوب و الاستغفار عند قولك: «عملت سوءاً و ظلمت نفسي فاغفرلي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت» و احضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة، و مثّل نفسك بين يديه و أنّه قريب منك يجيب دعوة الدّاعي إذا دعاه، و يسمع نداءه، و أنّ بيده خير الدنيا و الآخرة لا بيد غيره عند قولك: «لبيك و سعديك و الخير في يديك» و نزّهه من الأعمال السيّئة و أفعال الشرّ و أبدله بها محض الهداية و الإرشاد عند قولك: «و الشرّ ليس إليك، و المهديّ من هديت» و اعترف له بالعبودية و أنّ قوام وجودك و بدءه ومعاده منه بقولك: «عبدك وابن عبديك، منك وبك ولك وإليك» أي

(١) أكلاه بصره في الشيء: ردده فيه مصوبا ومصعداً.

(٢) قال العراقي: أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابي هريرة، و روى البيهقي في شعب الايمان من حديث سعيد بن زيد نحوه مرسلا.

(٣) يعني به الشهيد الثاني - رحمه الله - في اسرار الصلاة ص ١٨٧.

منك وجوده ، و بك قوامه ، و لك ملكه ، و إليك معاده ، و هو الّذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده ، و هو أهون عليه ، وله المثل الأعلى ، فاحضر في ذهنك هذه الحقائق و ترقّ منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار و الدّقائق و تلقّى الفيض من العالم الأعلى .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « و أمّا النيّة فاعزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة و إتمامها ، والكفّ عن نواقضها و مفسداتها ، و إخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه ، و طلباً للقربة منه ، متقلّداً للمنّة بإذنه إيّاك في المناجاة مع سوء أدبك و كثرة عصيانك ، و عظّم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي و كيف تناجي ، وبما ذا تناجي ، و عند هذا ينبغي أن تعرق جبينك من الخجلة ، و ترتعد فرائصك من الهيبة و يصفرّ وجهك من الخوف » .

أقول : روي عن مولانا الصادق عليه السلام : « أنّ الإخلاص بجميع حواصل الأعمال و هو معنى مفتاحه القبول »(١) و أدنى حدّ الإخلاص بذل العبد طاقته ، ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافاته بعمله لعلّه أنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز ، و أدنى مقام المخلص لله في الدنيا السلامة من جميع الآثام و في الآخرة النجاة من النار ، و الفوز بالجنّة ، و قال عليه السلام : صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلّص النيّة لله في الأمور كلّها ، قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم »(٢) ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الأوقات في معني قوّته و ضعفه و صاحب النيّة الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله و الحياء منه .

(١) نقله المحدث النوري عن مصباح الشريعة وفيه « الاخلاص يجمع فواضل الاعمال » . وهومعنى مفتاحه القبول » راجع المستدرك ج ١ ص ١٠ لكن في اسرار الصلاة مثل ما في المتن .
(٢) مصباح الشريعة الباب الرابع ، والاية في الشعراء : ٨٩ .

﴿فصل﴾

أقول : و أمّا التكبير فمعناه أنّ الله سبحانه أكبر من كلّ شيء ، أو أكبر من أن يوصف ، أو أن يدرك بالحواسّ ، أو يقاس بالناس .

قال أبو حامد : « فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك و إن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنّك كاذب و إن كان الكلام صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم إنّه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله و أنت أطوع له منك لله فقد اتّخذته إلهك و كبّرته ، فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللّسان المجرد و قد تخلّف القلب عن مساعدته و ما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة و الاستغفار و حسن الظنّ بكرم الله وعفوه » .

أقول : و في مصباح الشريعة [1] عن الصادق عليه السلام « إذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلى و الثرى دون كبريائه ، فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد و هو يكبّر و في قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال : يا كاذب أتخدعني و عزّتي و جلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري و لأحجبنّك عن قربي و المسرّة بمناجاتي » .

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها و في نفسك سرورها و بهجتها و قلبك مسروراً بمناجاته ملتذّاً بمخاطباته فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك له و إلّا فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة و حرمان حلاوة العبادة أنّه دليل على تكذيب الله لك و طردك عن بابه .

﴿فصل﴾

قال أبو حامد : « وأمّا دعاء الاستفتاح فأوّل كلماته قولك : « وجهت وجهي للّذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً مسلماً » ، و ليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنّك إنّما

(١) الباب الثالث عشر .

وجّهته إلى جهة القبلة و الله سبحانه يتقدّس عن أن يحدّه الجهات حتّى تقبل بوجه بدنك عليه، و إنّما وجه القلب هو الّذي يتوجّه به إلى فاطر السماوات و الأرض فانظر إليه أمتوجّه هو إلى أمانيه وهممه في البيت و السوق، و متّبع للشهوات أم مقبل على فاطر السماوات و الأرض و إيّاك و أن يكون أوّل مفاتحتك للمناجاة بالكذب و الاختلاق و لن ينصرف الوجه إلى الله إلّا بانصرافه عمّا سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه و إن عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقاً و إذا قلت: «حنيفاً مسلماً» فينبغي أن يخطر ببالك أنّ المسلم هو الّذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال و تندم على ما سبق من الأحوال، و إذا قلت: «وما أنا من المشركين» فاخطر ببالك الشرك الخفيّ فإنّ قوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً»[1] نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس و كن منفيّاً من هذا الشرك، واستشعر الخجلة في قلبك أن وصفت نفسك بأنّك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فإنّ اسم الشرك يقع على القليل و الكثير منه، و إذا قلت محياي و مماتي لله فاعلم أنّ هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيّده و أنّه إن صدر ممّن رضاه و غضبه و قيامه و قعوده و رغبته في الحياة و رهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائماً للحال، و إذا قلت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فاعلم أنّه عدوّك و مترصّد لصرف قلبك عن الله، حسداً لك على مناجاتك مع الله و سجودك له مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها و لم يوفّق لها وإنّ استعاذتك بالله منه بترك ما يحبّه و تبديله بما يحبّ الله لا بمجرّد قولك و إنّ من قصده سبعٌ أوعدوٌّ ليفترسه أو يقتله فقال: «أعوذ منك بذلك الحصن الحصين» و هو ثابت على مكانه إنّ ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلّا تبديل المكان فكذلك من يتّبع الشهوات الّتي هي محابّ الشيطان و مكاره الرّحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوّذ بحصن الله عزّ و جلّ عن شرّ الشيطان و حصنه لا إله إلّا الله إذ قال تعالى فيما أخبرعنه

---

(١) الكهف: ١١٠.

نبيّنا صلّی الله علیه وآله «لا إله إلّا الله حصني» (١) و المتحصّن به من لا معبود له سوى الله فأمّا من اتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله، و اعلم أنّ من مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة و تدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ، فاعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فإنّ حركة اللّسان غير مقصودة بل المقصود معانيها، وأمّا القراءة فالنّاس فيها ثلاثة رجل يتحرّك لسانه وقلبه غافل، و رجل يتحرّك لسانه و قلبه يتبع اللّسان فيسمع و يفهم منه كأنّه يسمعه من غيره و هو درجة أصحاب اليمين، و رجل يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً ثمّ يخدم اللّسان قلبه فيترجمه، ففرق بين أن يكون اللّسان ترجمان القلب أو يكون معلّم القلب، و المقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب».

❁ (تفصيل ترجمان المعاني) ❁

«إنّك إذا قلت: «بسم الله الرّحمن الرّحيم» فانو به التبرّك لابتداء القراءة لكلام الله، و افهم أنّ معناه أنّ الأُمور كلّها بالله و أنّ المراد بالاسم ههنا هو المسمّى و إذا كانت الأُمور بالله فلا جرم كان «الحمد لله» و معناه أنّ الشكر لله إذ النعم من الله و من يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنّه مسخّر من الله ففي تسميته و تحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله، فإذا قلت: «الرّحمن الرّحيم» فأحضر في قلبك أنواع لطفه ليتّضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك، ثمّ استثر من قلبك له التعظيم و الخوف بقولك: «مالك يوم الدّين» أمّا العظمة فلأنّه لا ملك إلّا له و أمّا الخوف فلهول يوم الجزاء و الحساب الّذي هو مالكه، ثمّ جدّد الاخلاص بقولك: «إيّاك نعبد» و جدّد العجز و الاحتياج و التبرّي عن الحول و القوّة بقولك: «إيّاك نستعين» و تحقّق أنّه ما تيسّرت طاعتك إلّا بإعانته و أنّ له المنّة إذ وفّقك لطاعته، و استخدمك لعبادته، وجعلك أهلاً لمناجاته و لو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللّعين، ثمّ إذا فرغت عن التعوّذ ومن قولك: «بسم الله» و عن التحميد وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعيّن سؤالك ولا تطلب إلّا أهمّ حاجاتك وقل: «اهدنا الصراط المستقيم»

(١) في الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب راجع عيون اخبار الرضا ص ٢٧٥.

الّذي يسوقنا إلى جوارك و يفضي بنا إلى مرضاتك ، وزده شرحاً و تفصيلاً و تأكيداً واستشهاداً بالّذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصدّيقين و الشهداء والصالحين ، دون الّذين غضب عليهم من الكفّار و الزائغين من اليهود و النصارى و الصابئين ، فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم « قسّمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين ، نصفها لي و نصفها لعبدي ، يقول العبد : « الحمد لله ربّ العالمين » فيقول الله : حمدني عبدي و أثنى عليّ و هو معنى قوله : « سمع الله لمن حمده » - الحديث إلى آخره - »(١) فإن لم يكن لك من صلواتك حظّ سوى ذكر الله في جلاله و عظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه و فضله و كذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السورة كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره و نهيه و وعده و وعيده و مواعظه و أخبار أنبيائه و ذكر مننه و إحسانه فلكلّ واحد حقّ فالرّجا حقّ الوعد ، و الخوف حقّ الوعيد ، و العزم حقّ الأمر والنهي ، والاتّعاظ حقّ الموعظة ، و الشكر حقّ ذكر المنّة ، و الاعتبار حقّ أخبار الأنبياء ، و تكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم و يكون الفهم بحسب وفور العلم و صفاء القلب ، و درجات ذلك لا تنحصر و الصلاة مفتاح القلوب فبها ينكشف أسرار الكلمات فهذا حقّ القراءة و هو حقّ الأذكار و التسبيحات أيضاً ، ثمّ يراعي الهيئة في القراءة فيرتّل و لا يسرد ولا يعجّل فإنّ ذلك أيسر للتأمّل ويفرّق بين نغماته في آية الرّحمة و العذاب ، والوعد و الوعيد ، و التحميد و التعظيم ، و التقديس و التسبيح و التمجيد ،كان بعضهم إذا مرّ بمثل قوله تعالى : « ما اتّخذ الله من ولد و ما كان معه من إله » يغضّ صوته كالمستحي

(١) أخرجه مسلم ج ٢ ص ٩ عن ابى هريرة فى حديث قال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين و لعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، و اذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى على عبدى ، و اذا قال : مالك يوم الدين ، قال مجدنى عبدى ، واذا قال : اياك نعبد واياك نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدى ولعبدى ماسأل . وأخرجه أيضاً النسائى ج٢ ص١٣٦.

عن أن يذكره بكلّ شيء ويقال لصاحب القرآن : « اقرء وارق ، و رتّل كما كنت ترتّل في الدنيا » (١).

أقول : و مثله ورد عن أهل البيت عليهم السلام من طريق الخاصّة أيضاً و سنذكر في كتاب تلاوة القرآن كلاماً عن الصادق عليه السلام في هذا الباب إن شاء الله .

فصل

« و أمّا دوام القيام فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وآله : « إنّ الله مقبل على المصلّي ما لم يلتفت » (٢) و كما تجب حراسة الرأس و العين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السرّ عن الالتفات إلى غير الصلاة فإن التفت إلى غيرها فذكّره باطّلاع الله عليك و قبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ليعود إليه ، و ألزم الخشوع للقلب فإنّ الخلاص عن الالتفات باطناً و ظاهراً ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر ، قال صلى الله عليه وآله وقد رأى مصلّياً يعبث بلحيته : « أمّا هذا لوخشع قلبه لخشعت جوارحه » (٣) فإنّ الرعيّة بحكم الراعي و لهذا ورد في الدعاء « اللّهمّ أصلح الراعي و الرّعيّة » (٤) و هو القلب و الجوارح و كلّ ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظّم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ، ومن يطمئنّ بين يدي غير الله خاشعاً و تضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله و عن إطّلاعه على سرّه و ضميره وتدبّر قوله تعالى : « الّذي يراك حين تقوم * و تقلّبك في الساجدين » (٥).

---

(١) أخرجه النسائي ج ١ ص٣٣٨ . والترمذي ج ١١ ص٣٦ . ورواه الصدوق في ثواب الاعمال ص ١٢٤ .

(٢) أخرجه أبوداود ج ١ص ٢٠٩ ، وأخرجه النسائي والدارمي أيضاً كما في مشكاة المصابيح ج ١ ص ٩١ . (٣) مر سابقاً .

(٤) ما عثرت على اصل له في كتب الفريقين .

(٥) الشعراء : ٢١٨ و ٢١٩ .

﴿فصل﴾

« وأمّا الركوع والسجود فينبغي أن تجدّد عندهما ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه، و متّبعاً سنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ تستأنف له ذلّا و تواضعاً بركوعك، و تجتهد في ترقيق قلبك و تجديد خشوعك، و تستشعر ذلك عزّ مولاك و اتّضاعك و علوّ ربّك، و تستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبّح ربّك و تشهدله بالعظمة وأنّه أعظم من كلّ عظيم و تكرّر ذلك على قلبك لتؤكّده بالتكرار، ثمّ ترتفع من ركوعك راجياً أنّه راحمٌ ذلك وتؤكّدالرّجاء في نفسك بقولك: « سمع الله لمن حمده » أي أجاب الله لمن شكره، ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول: « الحمد لله ربّ العالمين ».

أقول: ثمّ تزيد في الخشوع و التذلّل فتقول: أهل الكبرياء و العظمة و الجود و الجبروت.

و في الفقيه[1] « عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن معنى مدّ العنق في الرّكوع فقال: تأويله آمنت بك و لو ضربت عنقي ».

و في مصباح الشريعة[2] عن الصادق عليه السلام « لا يركع عبد لله ركوعاً على الحقيقة إلّا زيّنه الله تعالى بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه و كساه كسوة أصفيائه، والرّكوع أوّل والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني، وفي الرّكوع أدب و في السجود قربٌ، و من لايحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله عزّوجلّ بقلبه متذلّل وجل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين، و حكي أنّ ربيع بن خثيم كان يسهر باللّيل إلى الفجر في ركعة واحدة فإذا هو أصبح يزفر و قال: آه سبق المخلصون و قُطع بنا. و استوف ركوعك باستواء ظهرك و انحطّ عن همّتك في القيام بخدمته إلّا بعونه، و فرّ بالقلب من وساوس

(١) ص ٨٥ تحت رقم ٢٥. (٢) الباب الخامس عشر.

الشيطان و خدائعه و مكائده ، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ، و يهديهم إلى اُصول التواضع و الخضوع و الخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرائرهم ».

قال أبو حامد : « ثمّ تهوي إلى السجود و هو أعلى درجات الاستكانة ، فمكّن أعزّ أعضائك و هو الوجه من أذلّ الأشياء وهو التراب ، و إن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنّه أجلب للخضوع و أدلّ على الذلّ ، و إذا وضعت نفسك موضع الذلّ فاعلم أنّك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله ، فإنّك من التراب خلقت و إليه رددت ، فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل : « سبحان ربّي الأعلى » و أكّده بالتكرار فإنّ المرّة الواحدة ضعيفة الآثار ، فإذا رقّ قلبك وطهر لبّك فليصدق رجاؤك في رحمة ربّك ، فإنّ رحمته تتسارع إلى الضعف و الذلّ لا إلى التكبّر و البطر فارفع رأسك مكبّراً وسائلاً حاجتك ومستغفراً من ذنوبك ، ثمّ أكّد التواضع بالتكرار وعد إلى السجود ثانياً كذلك ».

أقول : و في الفقيه (١) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل ما معنى السجدة الاُولى ؟ قال : « تأويلها اللّهمّ إنّك منها خلقتنا » يعني من الأرض ، وتأويل رفع رأسك « و منها أخرجتنا » والسجدة الثانية « وإليها تعيدنا » ، ورفع رأسك « ومنها تخرجنا تارة اُخرى » .

وفي مصباح الشريعة (٢) عن الصادق عليه السلام « ماخسر والله من أتى بحقيقة السجود ولوكان في العمر مرّة واحدة ، و ما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه غافل لاه عمّا أعدّ الله للساجدين من اُنس العاجل و راحة الآجل ، ولا بعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود ، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده ، فاسجد سجود متواضع لله ، ذليل علم أنّه خُلق من تراب تطأه الخلق ، و أنّه ركّب من نطفة يستقذرها كلّ أحد [و كوّن ولم يكن] و قد جعل الله معنى السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسرّ والرّوح ، فمن قرب منه بعُد من غيره ، ألا ترى في الظاهر أنّه لايستوي حال السجود إلّا بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كلّ ماتراه العيون كذلك [أراد الله] أمر الباطن فمن كان قلبه متعلّقاً في

(١) المصدر ص ٨٦ تحت رقم ٣٢ . (٢) الباب السادس عشر .

صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال الله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله تعالى: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعة وجهي، وابتغاء مرضاتي إلّا تولّيت تقويمه وسياسته [وتقرّبت منه] ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين».

فصل

قال بعض علمائنا (١): إذا جلست للتّشهد بعد هذه الأفعال الدقيقة والأسرار العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة والأهوال العظيمة فاستشعر الخوف التامّ والرهبة والحياء والوجل أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ولا محصلاً لوظيفته وشرطه، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين، فاجعل يدك صفراً من فوائدها، إلّا أن يتداركك الله برحمته ويقبّل عملك الناقص بفضله وارجع إلى مبدء الأمر وأصل الدّين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله تعالى الّذي من دخله كان آمناً إن لم يكن حصل في يدك غيره واشهد له بالوحدانيّة وأحضر رسوله الكريم ونبيّه العظيم صلى الله عليه وآله ببالك واشهد له بالعبوديّة والرسالة وصلّ عليه وعلى آله، مجدّداً عهد الله بإعادة كلمتي الشهادة متعرّضاً بهما لتأسيس مراتب العبادة فإنّهما أوّل الوسائل وأساس الفواضل وجماع أمر الفضائل، مترقّباً لإجابته صلى الله عليه وآله لك بصلاتك عشراً من صلاته إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه الّتي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً.

وقال الصادق عليه السلام: «التشهّد ثناء على الله فكن عبداً له في السرّ، خاضعاً له في الفعل كما أنّك له عبد بالقول والدعوى، وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنّه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقّق عبوديّتك له بربوبيّته لك وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيّته وهم

(١) يعنى به الشهيد ـ رحمه الله ـ في اسرار الصلاة.

عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه و إرادته ، قال الله عزّ وجلّ : «وربّك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة (من أمرهم) سبحان الله وتعالى عما يشركون»[١] فكن لله عبداً ذاكراً بالقول و الدعوى ، وصل صدق لسانك بصفاء سرّك ، فإنّه خلقك فعزّ وجلّ أن تكون إرادة و مشيّة لأحد إلّا بسابق إرادته ومشيّته فاستعمل العبوديّة في الرّضاء بحكمته و بالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصلاة على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله فأوصل صلاته بصلاته ، وطاعته بطاعته ، وشهادته بشهادته ، وانظر ألّا تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته و أمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر و النهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجلّ[٢].

فصل

قال بعض علمائنا : و إذا فرغت من التشهّد فأحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقرّبين و قل : السلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته إلى آخر التسليم المستحبّ ، ثمّ أحضر في بالك النبيّ صلى الله عليه وآله و بقيّة أنبياء الله و أئمّته عليهم السلام و الحفظة لك من الملائكة المقرّبين المحصين لأعمالك وقل : السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللّاعبين ، و كيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد لولا فضل الله تعالى و رحمته الشاملة ورأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب و إن كان بعيداً عن درجات القبول ، منحطّاً عن أوج القرب والوصول ، وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصدوا هم الرّد عليك أيضاً ثمّ يقصدوا مقصدك بسلام ثان ، فإذا فعلتم ذلك فقد أدّيتم وظيفة السلام و استحققتم من الله عزّ وجلّ مزيد الإكرام ، و أصل السلام مشترك بين التحيّة الخاصّة و بين الاسم المقدّس من أسماء الله تعالى و المعني هنا على الأوّل ظاهر

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) مصباح الشريعة الباب السابع عشر .

و على الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله تعالى للتفأل بالسلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده .

قال الصادق عليه السلام : «معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان» أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله خاضعاً له خاشعاً منه فله الأمان من بلاء الدّنيا و براءة من عذاب الآخرة . و السلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات و الأمانات والانصافات ، و تصديق مصاحبتهم و مجالستهم فيما بينهم ، وصحّة معاشرتهم و إن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدّي معناه فاتّق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ألّا تدنّسها بظلمة المعاصي ، و لتسلم منك حفظتك أن لا تبرمهم و لا تملّهم و توحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثمّ صديقك ثمّ عدوّك فإنّ من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى ، و من لا يضع السلام مواضعه هذه فلاسلام ولا إسلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق[١] » .

﴿ فصل ﴾

قال أبوحامد : « ثمّ ادع في آخر صلاتك يعني بعد التشهد بالدّعاء المأثور مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهال ، وصدق الرّجاء بالاجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، و اقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين ، و انو ختم الصّلاة به ، واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لاتمام هذه الطاعة ، وتوهّم أنّك مودّع لصلاتك هذه وأنّك ربما لاتعيش لمثلها ، قال صلى الله عليه وآله : « صلّ صلاة مودّع » ثمّ أشعر قلبك الوجل و الحياء من التقصير في الصلاة و خف أن لا يقبل صلاتك و أن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فتردُّ صلاتك في وجهك و ترجو مع ذلك أن يقبلها بفضله و كرمه ، فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الّذين هم على صلواتهم يحافظون ، و الّذين هم على صلاتهم دائمون ، و الّذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الّذي تيسّر له منها ينبغي أن يفرح و على ما يفوته ينبغي أن

(١) مصباح الشريعة الباب الثامن عشر .

يتحسر، و في مداومة ذلك ينبغي أن يجتهد، وأمّا صلاة الغافلين فإنّها مخطرة إلّا أن يتغمّده الله برحمته والرّحمة و اسعة و الكرم فائض، فنسأل الله تعالى أن يغمرنا برحمته و يتغمّدنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلّا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته، و اعلم أنّ تخليص الصلاة عن الآفات و إخلاصها لوجه الله وأداءها بالشروط الباطنة الّتي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب، تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة، فأولياء الله المكاشفون بملكوت السماوات والأرض وأسرار الربوبيّة إنّما يكاشفون في الصّلاة لاسيّما في السجود إذ يتقرّب العبد بالسجود و لذلك قال تعالى: « واسجدواقترب » ويكون مكاشفة كلّ مصلّ على قدر صفائه عن كدورات الدّنيا ويختلف ذلك بالقوّة والضعف والقلّة والكثرة والجلاء والخفاء حتّى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه و ينكشف لبعضهم الشيء بمثاله، كما كشف لبعضهم الدّنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها، و يختلف أيضاً بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من أفعاله و لبعضهم من دقائق علوم المعاملة وتكون لتعيّن تلك المعاني في كلّ وقت أسباب خفيّة لاتحصى وأشدّها مناسبة الهمّة فإنّها إذا كانت مصروفة إلى شيء معيّن كان ذلك أولى بالانكشاف. و لمّا كانت هذه الأمور لاتتراءى إلّا في المرائي الصّقيلة، وكانت المرائي كلّها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لابخل من جهة المنعم بالهداية بل بخبث متراكم الصدء على مصبّ الهداية و تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر، ولو كان للجنين عقل مثلاً لأنكر إمكان وجود إنسان في متّسع الهواء، ولو كان للطفل تمييز مّا ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السماوات والأرض وهكذا الإنسان في كلّ طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النّبوّة، و قد خُلق الخلق أطواراً فلا ينبغي أن ينكر كلُّ واحد ماوراء درجته نعم لمّا طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عمّا سوى الله فقدوه فأنكروه، ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقلّ من أن يؤمن بالغيب و يصدّق به إلى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر « إنّ العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه و بين عبده و واجهه بوجهه و قامت الملائكة من

لدن منكبيه إلى الهواء يصلّون بصلاته و يؤمّنون على دعائه ، و إنّ المصلّي لينثر عليه البرّ من أعنان السماء إلى مفرق رأسه وينادیه مناد لوعلم المصلّي من يناجي ماالتفت ، وإنّ أبواب السماء تفتح للمصلّين وإنّ الله يباهي ملائكته بصدق المصلّي ففتح أبواب السّماء»[1] ومواجهة الله إيّاه بوجهه كناية عن الكشف الّذي ذكرناه ، وفي التوراة مكتوب : يا ابن آدم لاتعجز أن تقوم بين يديّ مصلّياً باكياً فأنا الله الّذي اقتربت من قلبك و بالغيب رأيت نوري قال : فكنّا نرى أن تلك الرقّة والبكاء والشرح والفتوح الّذي يجده المصلّي في قلبه من دنوّ الرّبّ تعالى من القلب وإذالم يكن هذا الدنوّ هو القرب بالمكان فلامعنى له إلّا الدنوّ بالهداية والرّحمة و كشف الحجاب و يقال : إنّ العبد إذا صلّى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كلّ صفّ منهم عشرة الآف وباهى الله به مائة ألف ملك . وذلك أنّ العبد قد جمع في الصلاة بين القيام و القعود والركوع والسجود و قدفرق ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لايركعون إلى يوم القيامة ، والساجدون لايرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الراكعون والقاعدون فإنّ مارزق الملائكة من القربة و الرّتبة لازم لهم ، مستمرّ على حالة واحدة ، لايزيد ولاينقص ، ولذلك قالوا : «وما منّا إلّا له مقام معلوم »[2] وفارق الإنسان الملائكة في الترقّي من درجة إلى درجة ، فإنّه لايزال يتقرّب إلى الله فيستفيد مزيداً وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكلّ واحد إلّا رتبته الّتي وقف عليها وعبادته الّتي هومشغول بها ،لاينتقل إلى غيرها ولايفترعنها ، فلايستحسرون ، يسبّحون اللّيل والنهار لايفترون ،[3] ومفتاح مزيد الدّرجات هي الصلوات قال الله تعالى : « قدأفلح المؤمنون ☆ الّذين هم في صلاتهم خاشعون » فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة و هي المقرونة بالخشوع ، ثمّ ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال في آخرها : « و الّذين هم على صلواتهم يحافظون» ، ثمّ قال في ثمرة تلك الصفات : «اُولئك هم الوارثون * الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [4] » فوصفهم بالفلاح أوّلاً وبوراثة الفردوس آخراً و ماعندي

(١) قال العراقي : لم أجده في أصل .
(٢) أشار الى قوله تعالى في الصافات : ١٦٤ .
(٣) اشارة الى قوله تعالى في سورة الانبياء : ١٩ و ٢٠ .
(٤) الايات في سورة المؤمنون .

أنّ هذرمة اللّسان[1] مع غفلة القلب ينتهي درجتها إلى هذا الحدّ" ولذلك قال في أضدادهم «ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين[2]» ، والمصلّون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتّعون بقربه ودنوّه من قلوبهم نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم و أن يعيذنا من عقوبة من تزيّنت أقواله وقبحت أفعاله إنّه الكريم المنّان القديم الإحسان » .

﴿حكايات واخبار في صلاة الخاشعين﴾

اعلم أنّ الخشوع ثمرة الإيمان و نتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه و من رزق ذلك فإنّه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة ، فإنّ موجب الخشوع معرفة اطّلاع الله على العبد ، ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد ؛ فمن هذه المعارف يتولّد الخشوع وليست مختصّة بالصلاة و لذلك روي عن بعضهم أنّه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله وخشوعاً له وكان الربيع بن خثيم من شدّة غضّه للبصر وإطراقه يظنّ بعض الناس أنّه أعمى وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول : وبشّر المخبتين ، أما والله لو رآك محمّد لفرح بك . وفي آخر لأحبّك ، و مشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدّادين فلمّا نظر إلى الأكوار تنفخ و إلى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيّاً عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشيّاً عليه إلى الساعة الّتي صعق فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول : هذا والله الخوف ، وكان الرّبيع يقول : ما دخلت في صلاة قطّ فأهمّني فيها إلّا ما أقول وما يقال لي . ويروى عن بعضهم أنّه كان يصلّي يوماً في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتّى انصرف من الصلاة وتأكّل[3] طرف من أطراف بعضهم واحتيج إلى القطع فلم يمكن منه ، فقيل : إنّه في الصلاة لا يحسّ بما يجرى عليه فقطع و هو في الصلاة » .

أقول : ومثل هذا ينسب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه وقع في رجله نصل فلم

---

(١) ان سرعة اللسان . (٢) المدثر : ٤٢ .

(٣) في القاموس : أكل العضو ـ كفرح ـ وائتكل ، و تأكل من باب التفعيل ـ : أكل بعضه بعضاً ، والاسم كغراب و كتاب . والاكلة ـ كفرحة ـ : داء في العضو .

يمكن من إخراجه فقالت فاطمة عليها السلام : أخرجوه في حال صلاته فإنّه لايحسّ بمايجري عليه حينئذ ، فأُخرج وهو عليه السلام في صلاته .

قال : « وقال بعضهم : الصلاة من الآخرة فإذا دخلت في الصلاة خرجت من الدُّنيا . وكان أبوالدّرداء يقول : من فقه الرجل أن يبدء بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ . وكان بعضهم يخفّف الصلاة خيفة الوسواس فروي أنّ عمّاربن ياسر صلّى صلاة فأخفّها فقيل له : خفّفت ياأبااليقظان فقال : هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : إنّي بادرت سهوالشيطان ، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : « إنّ العبد ليصلّي الصلاة فلايكتب له نصفها ولا ثلثها ولاربعها ولاخمسها ولاسدسها ولاعشرها وكان يقول إنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) » .

و اعلم أنّ الصلاة قديحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلّت عليه الأخبار وإن كان الفقيه يقول : إنّ الصلاة في الصحّة لاتتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه و هذا المعنى دلّت عليه الأحاديث إذورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل (٢) .

في الخبر قال عيسى عليه السلام : يقول الله تعالى : بالفرائض ينجومنّي عبدي وبالنوافل يتقرّب إليّ عبدي .

و قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « قال الله تعالى : لاينجومنّي عبدي إلّا بأداء ماافترضت عليه » وقال بعضهم : إنّ العبد يسجد السجدة وعنده أنّه تقرّب بها إلى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته هلكوا ، قيل : و كيف ذاك ؟ قال : يكون ساجداً عند الله و قلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قداستولى عليه فهذه صفة الخاشعين فتدلّ هذه الحكايات والأخبار مع ماسبق على أنّ الأصل في الصلاة الخشوع و حضور القلب وأنّ مجرّد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد .

تمّ الجزء الأوّل و يليه الجزء الثاني أوّله الباب الرابع في الإمامة والقدوة

---

(١) مر عن غوالي اللئالي وأخرجه أبو داود ج ١ ص ١٨٤ بأدنى اختلاف .
(٢) راجع مسند أحمد ج ٤ ص ٦٥ و ١٣٠ ، وسنن النسائي ج ١ ص ٢٣٢ .

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع
٢	مقدّمة المؤلّف .
٤	مقدّمة الكتاب .
٨	كتاب العلم .
٨	فضل العلم و التعليم و التعلّم و شواهدها من القرآن .
١٠	قول بعض العلماء في ذلك .
١٣	نبويّات في فضائل العلم من طريق العامّة .
٢٤	أحاديث في فضل العلم من طريق الخاصّة .
٣٣	شواهد من الكتب السالفة في فضل العلم و العلماء .
٣٣	شواهد فضل العلم و العلماء من الآثار و فيه تحقيقات لبعض العلماء .
٣٧	الشواهد العقليّة الّتي ذكرها أبو حامد في فضل العلم .
٤١	الشواهد العقليّة الّتي ذكرها المؤلّف في فضل العلم .
٤٣	في المحمود و المذموم من العلوم .
٤٣	العلم الّذي هو فرض عين .
٤٧	بيان العلم الّذي هو فرض كفاية .
٤٩	انحصار علم القرآن بما روي عن المعصومين عليهم السلام .
٥٤	قول أبي حامد في أنّ الفقه من علوم الدنيا .
٥٩	ردٌّ شديدٌ للمؤلّف على أبي حامد في معنى علم الفقه .
٦١	تفصيل علم الآخرة و نقل الأخبار في ذلك .

رقم الصفحة	الموضوع
٦٦	علم أحوال القلب .
٦٩	وجه عدم ذكر علم الكلام و الفلسفة في أقسام العلوم .
٧١	إشكال المؤلّف على أبي حامد .
٧٤	فيما يعدُّه العامّة من العلوم المحمودة وليس منها .
٧٥	بيان علّة ذمّ العلم المذموم .
٨١	بيان ما بدّل من ألفاظ العلوم .
٨١	تبديل لفظ الفقه .
٨٣	تبديل لفظ العلم .
٨٤	تبديل لفظ التوحيد .
٨٦	تبديل لفظ الذكر و التذكير .
٨٩	ذمّ تكثير الأشعار في المواعظ .
٩٠	الشطح الّذي أحدثه بعض الصوفيّة .
٩٢	الطامات .
٩٤	تبديل لفظ الحكمة .
٩٥	بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة .
٩٨	سبب إقبال الخلق على المناظرة .
٩٩	بيان شروط المناظرة وآدابها .
١٠٢	بيان آفات المناظرة و ما يتبعها .
١٠٧	ما ورد من طريق الخاصّة في مذمّة المناظرة .
١٠٨	آفة بعض أنواع الوعظ و التذكير .
١٠٩	آداب المتعلّم و المعلّم .
١١٨	بيان وظائف المرشد المعلّم .

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٥	آفات العلم و بيان علامات علماء الآخرة و العلماء السوء .
١٢٦	أخبار من طريق الخاصّة في ذلك .
١٣٠	عقاب العالم مضاعف .
١٣٥	أخبار ذلك من طريق الخاصّة وعلامة علماء الآخرة .
١٦٩	في العقل و شرفه و حقيقته وأقسامه .
١٧٢	ما ورد في ذلك من طريق الخاصّة .
١٧٧	بيان حقيقة العقل و أقسامه .
١٨٠	نقل بعض روايات الخاصّة في ذلك .
١٨٢	بيان تفاوت الناس في العقل .
١٨٦	**كتاب قواعد العقائد**
١٨٧	طريق التخلّص عن مضائق بدع أهل الأهواء .
١٨٩	أعقل العقلاء نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم و خير الشرائع شرعه .
١٩٠	وصايا سيّد بن طاؤوس .
١٩٣	تحقيق للمؤلّف .
١٩٧	بيان أمر أهل البيت عليهم السلام إنّما هو في كتاب الله عزّ وجلّ .
٢٠٢	كلام منقول من صاحب كشف الغمّة .
٢٠٦	دلائل التوحيد .
٢٠٨	من دلائل التوحيد .
٢١١	التصديق بوجوده سبحانه أمر فطريّ .
٢١٣	إنّ الله سبحانه واحد لاشريك له .
٢١٤	إنّه سبحانه فردٌ لاندّ له .
٢١٦	إنّه سبحانه متكلّم بمايشاء كيف يشاء .
٢١٨	انّه سبحانه أحديّ المعنى .

رقم الصفحة	الموضوع
٢١٩	إنّه سبحانه قديم لم يزل ولايزال .
٢٢٠	إنّه سبحانه عادل لايفعل القبيح .
٢٢١	إنّه سبحانه أرحم بخلقه .
٢٢٢	إنّه تعالى لا يفعل بعباده إلّا ما هو أصلح .
٢٢٣	إنّه تعالى لم يفرغ من الأمر كما زعمته اليهود .
٢٢٤	النبوّة و أدلّتها .
٢٢٥	وجوب عصمة الأنبياء .
٢٢٦	الأنبياء أفضل من الملائكة .
٢٢٩	القرآن كلام الله ووحيه وقوله و كتابه .
٢٣٠	الإمامة و بيان الاضطرار إلى الإمام .
٢٣٢	من أدلّة وجوب عصمة الإمام .
٢٤٣	بيان عدد الأئمّة و ذكر النصوص عليهم عليهم السلام .
٢٤٧	حبّ أولياء الله واجب و كذا بغض أعداء الله والبراءة منهم .
٢٤٨	المعاد ـ الموت .
٢٤٨	المساءلة في القبر .
٢٤٩	البعث بعد الموت .
٢٤٩	الصراط .
٢٥١	الميزان والحساب .
٢٥٢	ما ورد في الشرع من أهوال يوم القيامة وطوله وحرّه .
٢٥٣	الشفاعة والحوض .
٢٥٤	الجنّة والنار .
٢٥٥	الجنّة لأهل الإيمان .
٢٥٥	في وجه التدرّج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد .

رقم الصفحة	الموضوع
٢٥٧	نقل قول الخواجه نصيرالدّين الطوسي ـ رحمه الله ـ .
٢٥٩	في ذمّ الكلام، وحدّه .
٢٦٣	مقدار ما يحمد أو يذمّ من علم الكلام .
٢٦٦	ردّ إشكال .
٢٦٨	ردّ إشكال أيضاً .
٢٦٩	كيفيّة اختلاف الظاهر والباطن .
٢٧٦	انكشاف الأسرار بقدر قدرة الإيمان .
٢٧٧	الإيمان درجات وطبقات ومنازل .
٢٧٩	أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشكوك .
٢٨٠	**كتاب أسرار الطهارة ومهماتها**
٢٨١	الطهارة له أربع مراتب .
٢٨٢	ردّ إشكال .
٢٨٥	في طهارة الخبث .
٢٨٦	في المزال به وهو إمّا ماء أو غيره .
٢٩١	في طهارة الحدث .
٢٩١	آداب قضاء الحاجة .
٢٩٣	كيفيّة الاستنجاء و آدابه .
٢٩٦	فضيلة السواك و آدابه .
٢٩٩	كيفيّة الوضوء و آدابه وسننه .
٣٠٢	بيان فضيلة الوضوء .
٣٠٣	في الغسل و أسبابه الموجبة له .
٣٠٥	في التيمّم و أسبابه .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٠٥	أسرار الطهارة .
٣٠٨	النظافة والتنظيف عن الفضلات الطاهرة .
٣١٥	بيان كيفيّة دخول الحمّام و آدابه .
٣١٨	قول أبي حامد في سنن الحمّام .
٣٣٦	**كتاب أسرار الصلاة و مهماتها .**
٣٣٧	في فضائل الصلوات ، و السجود ، و الجماعة ، و الأذان ، و غيرها .
٣٣٧	فضيلة الأذان .
٣٣٨	فضيلة المكتوبة .
٣٤٠	فضيلة إتمام الأركان .
٣٤١	فضيلة الجماعة
٣٤٤	فضيلة السجود و القول فيه .
٣٤٩	فضيلة الخشوع و معناه .
٣٥٥	فضيلة المساجد و مواضع الصلاة .
٣٥٨	كيفيّة الأعمال الظاهرة من الصلاة .
٣٦٣	تمييز الفرائض و السنن و تفاوت بعضها عن بعض .
٣٦٦	الشروط الباطنة من أعمال القلب .
٣٦٦	اشتراط الخشوع و حضور القلب .
٣٦٨	ردّ إشكال .
٣٧١	أسباب هذه المعاني الستّة .
٣٧٣	بيان الدواء النافع في حضور القلب .
٣٧٧	بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عنده من أعمال الصلاة .
٣٧٨	الوقت و استحضار القلب فيه .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٩	الطهارة .
٣٧٩	ستر العورة
٣٨٠	المكان .
٣٨١	الاستقبال .
٣٨٢	الاعتدال .
٣٨٣	التوجّه إلى الله .
٣٨٤	النيّة و الإخلاص فيها .
٣٨٥	مع التكبير .
٣٨٥	دعاء الاستفتاح .
٣٨٧	تفصيل ترجمان المعاني .
٣٨٩	دوام القيام تنبيه على إقامة القلب مع الله .
٣٩٠	معنى الركوع والسجود .
٣٩٢	معنى التشهّد و قول الشهيد ـ رحمه الله ـ .
٣٩٤	الدعاء بعد الصلاة .
٣٩٧	حكايات و أخبار في صلاة الخاشعين .

المحجة البيضاء

في تهذيب الأحياء

تأليف

المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو

بالمولى محسن الكاشاني ره

المتوفى ١٠٩١ هـ

صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري

طبع على نفقة

دفتر انتشارات اسلامى

وابسته به جامعهٔ مدرسين

حوزهٔ علميه قم

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

قم - چاپ مهر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا من جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، و طريقاً من طرق الاعتراف بوحدانيّته ، و سبباً لمزيد فضله و نعمه ، و محجّة بيضاء لطالبي فضله و إحسانه .

وصلاة على رسولك الأعظم ، والهادي إلى صراطك الأقوم وعلى آله أئمّة الهدى ، و مصابيح الدّجى .

﴿الباب الرّابع﴾

﴿في الامامة والقدوة﴾

أقول : قد ذكر أبوحامد في هذا الباب وظائف كلّ من الإمام والمأموم زيادة على المنفرد على طريقته . ونحن نذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول وبالله التوفيق :

من وظائف الإمام أن يكون مؤمناً ـ أي اثني عشرياً ـ ، عدلاً ـ أي موثوقاً بدينه وأمانته ـ كما ورد في الأخبار ورخّص في الاكتفاء بكونه غيرمعلوم الفسق ففي الفقيه قال الصادق عليه السلام : « ثلاثة لا يصلّى خلفهم : المجهول ، والغالي وإن كان يقول بقولك ، والمجاهر بالفسق وإن كان مقتصداً »(١) فإنّ المراد بالمجهول المجهول المذهب والاعتقاد دون العدالة لأنّه جعله قسيم المجاهر بالفسق ، وكذا المراد بالمقتصد المقتصد في الاعتقاد أي لا يكون غالياً ولا مفرّطاً كما هو ظاهر .

وفي التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إذا كان الرّجل لا تعرفه يؤمّ الناس ويقرأ القرآن فلا تقرأ خلفه واعتدّ بصلاته »(٢).

وفي الفقيه قال عليّ بن محمّد ، ومحمّد بن عليّ عليهما السلام : « من قال بالجسم فلا تعطوه شيئاً من الزكاة ولا تصلّوا خلفه »(٣).

وكتب أبو عبدالله البرقيّ إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام : يجوز جعلت فداك الصلاة خلف من وقف على أبيك وجدّك عليهما السلام ؟ فأجاب لا تصلّ وراءه »(٤).

وسأل عمر بن يزيد أباعبدالله عليه السلام عن إمام لا بأس به في جميع أُموره ، عارف غير أنّه

(١) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢١ .
(٢) المصدر ج ١ ص ٣٣١ ، وذلك لان الاصل في المسلمين العدالة .
(٣) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٤ .
(٤) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٥ .

يسمع أبويه الكلام الغليظ الّذي يغيظهما أقرء خلفه ؟ قال : «لاتقرأ خلفه مالم يكن عاقاً قاطعاً»[١] .

وروى محمّد بن عليّ الحلبيّ عنه عليه السلام أنّه قال : «لاتصلّ خلف من يشهد عليك بالكفر، ولا خلف من شهدت عليه بالكفر»[٢] .

و روى سعد بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن الرضا عليه السلام أنّه قال : «سألته عن الرّجل يقارف الذّنب نصلّي خلفه أم لا ؟ قال : لا»[٣] .

ومنها أن يكون طاهر المولد أي لايعلم كونه ولدزنا و أن يكون ذكراًسالماًمن الجذام والبرص والحدّ الشرعي و الأعرابيّة واللّحن والقعود وإن كان لعذر إلّا أن يؤمّ لمثله في الجميع ، ولم يجوّز السيّدالمرتضىإمامة الأنثى مطلقاً وجوّزهاالآخرون لمثلها ، ويكره إمامة المسافرللحاضر وبالعكس ، و المقيّد للمطلقين ، وصاحب الفالج للأصحّاء ، والمتيمّم للمتوضّين ، والأعمى للبصراء في الصحراء إلّا أن يوجّه إلى القبلة ، و العبد إلّا لأهله .

ومنها أن لا يتقدّم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلّون هم أهل الخير والدّين فالنظرإليهم أولى .

و في الحديث «ثلاثة لايجاوز صلاتهم رؤوسهم : العبدالآبق ، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وإمام قوم وهم له كارهون»[٤] .

وينبغي أن يقدّموا صاحب المسجد الراتب فيه وساكن المنزل ، ثمّ الأعلم بالسنّة والأفقه في الدّين ، ثمّ الأقرء للقرآن ، ثمّ الأقدم هجرة ، ثمّ الأكبرسنّاً .

و في بعض الأخبار تقديم الثلاثة الأخيرة مع ترتيبها المذكور على الأعلم[٥] لكن ما ذكرناه هو الأصحّ .

---

(١) الى (٣) المصدر ص ١٠٤ رقم ٢٦ الى ٢٨ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٧١ ونحوه الشيخ فى الامالى ص ١٢١ والترمذى ج ٢ ص ١٥٤ .

(٥) راجع الكافى ج٣ ص٣٧٦ والفقيه ص١٠٣ رقم ١١ . والتهذيب ج١ ص١٢٢ .

و في الفقيه « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إمام القوم وافدهم ، فقدّموا أفضلكم (١) ».

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن سرّكم أن تزكو صلاتكم فقدّموا خياركم (٢) ».

وقال أبوذرّ ـ رضي الله عنه ـ : إنّ إمامك شفيعك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيعك سفيهاً ولا فاسقا (٣) ».

و كما ينهى عن تقدّمه مع كراهتهم فينهى عنه إن كان وراءه من هو أفقه منه وأقرء.

ففي الفقيه « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى بقوم وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة (٤) ».

نعم إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدّم ، فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدّم مهما قدّم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ، ولا ينبغي عند ذلك المدافعة إلّا لمن لم يتعوّد ذلك فإنّه ربما يشتغل قلبه ويتشوّش عليه الإخلاص في الصلاة حياءً من المقتدين لاسيّما في جهره بالقراءة.

و إذا خيّر بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة لأنّها أفضل ، ولايكره الجمع بينهما عندنا لوقوعه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه أصحابنا و أنّه صلى الله عليه وآله وسلم ربما كان يؤذّن ويقيم غيره و ربما كان بالعكس.

ولاخطر في الإمامة كمازعمه أبوحامد لأنّ الإمام لايضمن عندنا سوى القراءة كما رواه في الفقيه عن الصادق عليه السلام (٥) فعليه يحمل قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « الإمام ضامن و المؤذّن مؤتمن » (٦) أوعلى أنّه يضمن مايتركه المأموم سهواً من الأذكار غير تكبيرة الافتتاح كمارواه فيه (٧) عن عمّار الساباطي « أنّه سأل أباعبدالله عليه السلام عن رجل سهى خلف إمام بعد ما افتتح الصلاة فلم يقل شيئاً ولم يكبّر ولم يسبّح و لم يتشهّد و لم يسلّم ؟ فقال : قدجازت صلاته و ليس عليه شيء إذا سهى خلف الإمام ولاسجدتا السهو لأنّ الإمام

(١) و(٢) و(٣) الفقيه ص ١٠٣ رقم١٢و١٤و١٥ .
(٤) الفقيه ص ١٠٣ رقم ١٣ . وفى التهذيب ج ١ ص ١٣٠ مثله .
(٥) المصدر ص ١٠٣ رقم ١٦ .
(٦) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨١ . وأبوداود ج ١ ص ١٢٣ .
(٧) أى فى الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٩٩ .

ضامن لصلاة من صلّى خلفه ».

وروى محمّد بن سهل عن الرّضا عليه السلام أنّه قال : « الإمام يحمل أوهام من خلفه إلّا تكبيرة الافتتاح [1] ».

قال الصدوق : « والّذي رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام حين قال له : أيضمن الإمام الصلاة ؟ فقال : لا ، ليس بضامن» ليس بخلاف خبر عمّار وخبر الرضا عليه السلام لأنّ الإمام ضامن لصلاة من صلّى خلفه متى سهى عن شيء منها غير تكبيرة الافتتاح وليس بضامن لما يتركه المأموم متعمّداً .

قال : ووجه آخر وهو أنّه ليس على الإمام ضمان لإتمام الصلاة بالقوم لأنّه ربما حدث به حدث قبل أن يتمّها أو يذكر أنّه على غير طهر .

وتصديق ذلك ما رواه جميل بن درّاج عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال : « سألته عن رجل صلّى بقوم ركعتين ثمّ أخبرهم أنّه ليس على وضوء ؟ قال : يتمّ القوم صلاتهم فإنّه ليس على الإمام ضمان » [2] .

قال أبو حامد : « قال بعض السلف : ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ، ولا بعد العلماء أفضل من أئمّة المصلّين لأنّ هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوّة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدّين وهو الصلاة » .

ومنها أن يؤمّ مخلصاً لوجه الله ومؤدّياً أمانة الله تعالى في طهارته و جميع شروط صلاته . ـ قاله أبو حامد ـ .

قال : « فأمّا الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجراً فقد أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عثمان ابن أبي العاص الثقفيّ فقال : « واتّخذ موذّناً لا يأخذ على الأذان أجراً [3] » ، والأذان طريق إلى الصلاة والإمامة عين الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر ، فإن أخذ رزقاً من المسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من آحاد النّاس فلا يحكم بتحريمه ولكنّه مكروه والكراهية في الفرائض أشدّ منها في النوافل ، و تكون اُجرة له

(١) الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٢٠ .
(٢) راجع الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٢.
(٣) أخرجه أبوداود ج ١ ص ١٢٦ . والنسائي ج٢ ص ٢٣ .

على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة .

و أمّا الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسوق و الكبائر والإصرار على الصغائر فالمرشّح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك جهده فإنّه كالوفد والشفيع للقوم ، فينبغي أن يكون خير القوم .

و كذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فإنّه لا يطّلع عليه سواه ، فإن تذكّر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريحٌ فلا ينبغي أن يستحي بل ليأخذ بيد من يقرب منه و ليستخلفه .

ومنها أن يؤخّر المؤذّن الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر « ليتمهّل المؤذّن بين الأذان و الإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه و المعتصر من اعتصاره »(١) وذلك لأنّه نهي عن مدافعة الأخبثين (٢) وأمر بتقديم العشاء على العشاء(٣) طلباً لفراغ القلب - كذا قال أبو حامد - .

قال : « ولا ينبغي أن يؤخّر الصلاة لانتظار كثرة الجمع ، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أوّل الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ، وقد قيل :كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس » .

ومنها أن لا يتنفّل حال الإقامة ويقوم للصلاة عند قول المؤذّن : «قد قامت الصلاة» ولا يتكلّم بعده ، قال الصادق عليه السلام : « إذا قال المؤذّن : « قد قامت الصلاة » ينبغي لمن في المسجد أن يقوموا على أرجلهم ويقدّموا بعضهم »(٤) .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : «إذا قال المؤذّن : «قد قامت الصلاة» فقد حرم الكلام على أهل المسجد إلّا أن يكونوا قد اجتمعوا من شتّى وليس لهم إمام ، فلا بأس أن يقول بعضهم لبعض : تقدّم يا فلان »(٥) .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٠٤ .
(٢) راجع التهذيب ج١ ص ٢٩٩ .
(٣) راجع سنن ابن ماجه تحت رقم ٩٣٣، و مسند أحمد ج٢ ص ٢٠ .
(٤) رواه الشيخ - رحمه الله - في التهذيب ج١ ص ١٢٦ على ما رقم ولا يخفى ما في رقومه من السهو والخلط والاشتباه وص ٢٥٧ حسبما رقمناه صحيحاً .
(٥) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ١٤٩ .

ومنها أن لايقف المأموم قدّام الإمام بل يتأخّر عنه ، أمّا التساوي في الموقف فجوّزه الأكثرون ومنعه آخرون وهو أحوط إلّا إذا كانا اثنين فيقف المأموم عن يمين الإمام بلاخلاف ، و ينبغي للمرأة الواحدة مع التأخّر الوقوف إلى جهة يمين الإمام ، والصبيّ يتقدّمها وإن كان عبداً ، ولو كان الإمام امرأة وقلنا بجواز ذلك وقفت النساء إلى جانبيها و كذا العاري المصلّي بالعراة غير أنّه يبرز بركبتيه .

و يكره الوقوف في الصف وحده ففي الحديث « لاتكوننّ في العشكل »[١] فإن تعذّر الدّخول في الصف لضيق ونحوه جرّ إلى نفسه غيره فإن تعذّر قام بحذاء الإمام .

ومنها أن يكون في الصفّ الأوّل أهل الفضل أي المزيّة الكاملة من علم أو عمل أو عقل ، و في الثاني من دونهم ، وهكذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « ليلينّي أولو الأحلام ، ثمّ الّذين يلونهم »[٢] ثمّ الصبيان ، ثمّ النساء .

وقال الباقر عليه السلام : « ليكن الّذين يلون الإمام أولي الأحلام منكم والنهى ، فإن نسي الإمام أو تعايا قوّموه »[٣] .

وقال الكاظم عليه السلام : « الصلاة في الصفّ الأوّل كالجهاد في سبيل الله »[٤] .

وروى في الكافي « أنّ فضل ميامن الصفوف على مياسرها كفضل الجماعة على صلاة الفرد »[٥] .

ومنها أن لايكبّر الإمام حتّى يسوّي الصفوف فيلتفت يميناً و شمالاً فإن رأى خللاً أمر بالتسوية ، قيل : كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامّون في الكعاب ، ورأى النبيّ

---

(١) في التهذيب ج١ص ٣٣٣ حسب مارقمناه باسناده عن ابي عبدالله عن امير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « لاتكونن في العثكل ، قلت : وما العثكل ؟ قال : أن تصلى خلف الصفوف وحدك فان لم يمكن الدخول في الصف قام حذاء الامام أجزأه فان هو عاند الصف فسدت عليه صلاته » .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ج ٢ ص ٩٠ ، وأبوداود أيضاً في المجلد الاول ص ١٥٦ من السنن .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٧٢ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٢٩ .

(٤) الفقيه ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢ .

(٥) المصدر ج ٣ ص ٣٧٣ . رقم ٨ .

صلى الله عليه وآله رجلاً بادياً صدره من الصف فقال: عبادالله لتسوُّنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم »(١).

و في الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « أقيموا صفوفكم فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من قدّامي و من بين يديّ، ولا تخالفوا فيخالف الله بين قلوبكم(٢) ».

وفي التهذيب عنه صلى الله عليه وآله « سوّوا بين صفوفكم و حاذوا بين مناكبكم، لا يستحوذ عليكم الشيطان »(٣)، وفي حديث آخر « أنّ تسوية الصفوف من تمام الصلاة »(٤).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله « ما من خطوة أحبّ إلى الله من خطوة تمشيها تصل بها صفّاً »(٥).

وفي الفقيه روى الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا أرى بالصفوف بين الأساطين بأساً؛ وقال: أتمّوا صفوفكم إذا رأيتم خللاً ولا يضرّك أن يتأخّر وراءك إذا وجدت ضيقاً في الصفّ الأوّل إلى الصفّ الّذي خلفك وتمشي منحرفاً(٦) ».

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «ينبغي الصفوف أن تكون تامّة، متواصلة بعضها إلى بعض، ولا يكون بين الصفّين ما لا يتخطّى يكون قدر ذلك مسقط جسد إنسان إذا سجد »(٧).

وقال أبو جعفر عليه السلام: « إن صلّى قوم وبينهم وبين الإمام ما لا يتخطّى فليس ذلك الإمام لهم بإمام، وأيّ صفّ كان أهله يصلّون بصلاة إمام وبينهم وبين الصفّ الّذي يتقدّمهم ما لا يتخطّى فليس تلك لهم بصلاة، وإن كان ستر أو جدار فليس تلك لهم بصلاة إلّا من كان بحيال الباب، قال: وقال: هذه المقاصير(٧) إنّما أحدثها الجبّارون وليس لمن صلّى خلفها مقتدياً بصلاة من فيها صلاة، قال: وقال: أيّما امرأة صلّت خلف إمام و بينها وبينه ما لا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢ ص٣١، والنسائي في السنن ج٢ ص٨٩، وأبو داود في السنن ج ١ ص١٥٣.

(٢) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢.

(٣) المصدر ص ٣٣٣ حسبما رقمناه و٢٠١ حسبما رقم.

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٩٣، ومسلم في الصحيح ج ٢ ص ٣٠.

(٥) رواه الصدوق - رحمه الله في الخصال ج ١ ص ٢٦ باب الاثنين.

(٦) و(٧) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٣، و ص ١٠٦ تحت رقم ٥٤.

(٧) جمع مقصورة وهي محراب كان حولها بناء يحجب الامام عن المأمومين.

يتخطّى فليس لهاتلك بصلاة، قال: قلت: فإن جاء إنسان يريد أن يصلّي كيف يصنع وهي إلى جانب الرّجل؟ قال: يدخل بينها وبين الرجل وتنحدر هي شيئاً [(١)].

ومنها أن ينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينوصحّت صلاة القوم إذا نووا الإقتداء و نالوا فضل القدوة، و يجب عليهم نيّة الإيتمام و تعيين الإمام و متابعته في الأفعال إذاكان مرضيّاً بمعنى عدم تقدّمهم عليه بل إمّا يتأخّرون عنه أو يقارنونه و في الحديث النبويّ «إنّما جعل الأمام إماماً ليؤتمّ به، فإذا ركع فاركعوا و إذا سجد فاسجدوا» [(٢)].

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ: إنّ من المأمومين من لاصلاة له وهوالّذي يسبق الإمام في ركوعه وسجوده و رفعه، ومنهم من له صلاة واحدة وهوالمقارن له في ذلك، ومنهم من له أربع وعشرون ركعة وهو الّذي يتّبع الإمام في كلّ شيء، فيركع بعده و يسجد بعده ويرفع منهما بعده [(٣)].

قال أبوحامد: «لاينبغي أن يساوق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخّر فلايهوي للسجود إلّا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلّى الله عليه وآله و لايهوي للركوع حتّى يستوي الإمام راكعاً، وقد قيل: إنّ الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الّذين يكبّرون و يركعون بعد ركوع الإمام، وطائفة بصلاة واحدة وهم الّذين يساوقونه، و طائفة بلاصلاة و هم الّذين يسبقون الإمام.

وقد اختلف في أنّ الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال فضل جماعتهم وإدراكهم لتلك الرّكعة؟ ولعلّ الأولى أنّ ذلك مع الإخلاص لابأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقّهم مرعيّ في ترك التطويل عليهم».

اقول: وقد سأل جابر الجعفي أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هذه المسألة فقال: «ما

---

(١) الفقيه ص ١٠٦ تحت رقم ٥٥.

(٢) أخرجه البغوى بنحوأبسط فى المصابيح ج ١ ص ٧٧. وابن ماجه فى السنن تحت رقم ١٢٣٨.

(٣) راجع المجلد الثامن عشر من البحار ص٦٢٧.

أعجب ماتسأل عنه يا جابر انتظرمثلي ركوعك فإن انقطعوا وإلّا فارفع رأسك »[١].

ولو رفع المأموم رأسه عن الركوع أوالسجود أو أهوى إليهما قبل الإمام أعاد مطلقاً وقيل : بل إنّما يعيد مع النسيان دون العمد لا بطال تعمّد الزيادة في الرّكن وأكثر الروايات المعتبرة مع الأوّل و إن كان الثاني أشهر ويجوزأن يكون تعمّد الزيادة مغتفراً ههنا.

وهل يجب متابعة الإمام في الأقوال أم يستحبّ ؟ أكثر أصحابنا على الثاني والمتابعة أحوط.

ومنها أن يسرّ الإمام بالتكبيرات الستّ الافتتاحيّة و يجهر بتكبيرة الإحرام ويُسمع من خلفه جميع الأذكار لاسيّما التشهّد ولايسمعه من خلفه شيئاً ولا يقرء المأموم خلف الإمام المرضيّ بل ينصت في الجهريّة ويسبّح في الإخفاتيّة ، ففي الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قرأ خلف إمام يأتمّ به بعث على غير الفطرة »[٢].

وفي معناه أخباراُخرعن أهل البيت عليهم السلام ، نعم إذاكانت الصلاة جهريّة ولايسمع شيئاً حتّى الهمهمة فيستحبّ القراءة حينئذ كما ورد في الروايات المعتبرة [٣] وفي بعضها لابأس إن صمت وإن قرأ و كذا إذا كان مسبوقاً وكانت الرّكعة من الأولين وللإمام من الأخيرتين فيقرء حينئذ أيضاً كما في بعض الرّوايات المعتبرة ، وقيل : ترك القراءة في غير الصورتين المذكورتين مستحبّ وليس بواجب ، وقيل : يختصّ بالجهريّة ، وقيل فيه أقوال اُخرمنتشرة والأصحّ ما قلناه لأنّ قراءة الإمام بدلٌ عن قراءة المأموم ؛ و في الصّحيح ، عن بكر بن محمّد الأزدي عن الصادق عليه السلام قال : «إنّي أكره للمرء أن يصلّي خلف الإمام صلاة لايجهر فيها بالقراءة فيقوم كأنّه حمار ، قال : قلت : جعلت فداك فيصنع ماذا ؟ قال :

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٥٩ .
(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٧٨ . والتهذيب ج ١ ص ٣٣٠ .
(٣) راجع الكافي ج ٣ص ٣٧٧ رقم٢ و٣ ، وعلل الشرايع ص ١١٦، و التهذيب ج ١ ص ٢٥٤، والاستبصار ج ١ ص٤٢٧ .

يسبّح (١) .

أمّا الإمام الغير المرضيّ فلايسقط القراءة خلفه بل يجب الإتيان به ولو بمثل حديث النفس والإقتصارعلى الحمد كما يستفاد من الروايات المعتبرة (٢) .

وفي الصحيح «قلت : من لا أقتدي به في الصلاة ؟ قال : افرغ قبل أن يفرغ فإنّك في حصار فإن فرغ قبلك فاقطع القراءة و اركع معه (٣) .

و يستحبّ أن يقول المأموم عند فراغ الإمام من الفاتحة : الحمد لله ربّ العالمين ، و كذا عند قوله : « سمع الله لمن حمده » و لا يأتي هو بالسمعلة .

و يكره أن يخصّ الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين فإنّه خيانة .

ومنها أن يصلّي الإمام صلاة أضعف من خلفه ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «آخر ما فارقت عليه حبيب قلبي أن قال : يا عليّ إذا صلّيت فصلّ صلاة أضعف من خلفك ولاتتّخذنّ مؤذّناً يأخذ على أذانه أجراً (٤) » .

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « قال صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله : الظهر والعصر فخفّف الصلاة في الركعتين فلمّا انصرف قال له الناس : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : وماذلك ؟ قالوا : خفّفت في الركعتين الأخيرتين ، فقال لهم : أماسمعتم صراخ الصبيّ » (٥) .

و في حديث سماعة من كان يقوي على أن يطوّل الركوع و السجود فليطوّل ما استطاع - إلى أن قال - : فأمّا الإمام فإنّه إذا قام بالناس فلا ينبغي أن يطوّل بهم فإنّ في الناس الضعيف و من له الحاجة ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا صلّى بالناس خفّف بهم (٦) » .

---

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ ، قرب الاسناد ص ١٨. والفقيه ص ١٠٧ .

(٢) راجع الكافى ج٣ ص٣٧٣، والاستبصارج ١ص ٤٢٩ والتهذيب ج١ ص٢٥٥.

(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ .

(٤) الفقيه ص ٧٦ تحت رقم ٧، والتهذيب ج ١ ص ٢١٧ .

(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٣١ ، ورواه الصدوق فى علل الشرايع ص ١٢٢ بنحو أوجز نقله ابن فهد فى عدة الداعى كما فى مستدرك الوسائل ج ١ص ٤٩٧ .

(٦) التهذيب ج ١ ص ١٥٥ .

قال أبوحامد : التخفيف أولى سيّما إذا كثر الجمع : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا صلّى أحدكم بالنّاس فليخفّف فإنّ فيهم الضعيف والكبير و ذا الحاجة وإذا صلّى لنفسه فليطوّل ما شاء»(١).

و قد كان معاذ بن جبل يصلّي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجلٌ من الصلاة و أتمّ لنفسه ، فقالوا : نافق الرجل ، فتشا كيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فزجر معاذاً و قال : أفتّانٌ أنت ؟ أقرء سورة «سبّح» و «السماء و الطارق» و «الشمس وضحاها»(٢).

أقول : هذا الخبر رواه الصدوق في الفقيه بأدنى تفاوت(٣).

قال في الذكرى : ولو علم من المأمومين حبّ الاستطالة استحبّ له التطويل و في بعض الأخبار دلالة عليه ولكن ينبغي أن يقيّد بما إذا كان علمه حاضراً بهم .

ومنها أن لا يقوم الإمام من مصلاّه إلى أن يتمّ المسبوقون صلاتهم كما ورد في الروايات المعتبرة وأن يستنيب إذا فرغ قبلهم أو عرض له حاجة و يدرك المأموم الركعة و الفضيلة بإدراك الركوع و يجعله أوّل صلاته فيتمّ ما بقي عليه و إن لحق في سجدتي الأخيرة نال الفضل ، و يستأنف صلاته وإن كان في التشهّد الأخير يتبعه ناوياً و يقوم من غير تجديد نيّة و كلّما يتشهّد الإمام ، وليس له محلّ تشهّد تجافى ولم يتمكّن من القعود و يتّبع الإمام في التشهّد فإنّما التشهّد بركة ، فإذا كان له محلّ التشهّد دون الإمام فليلبث قليلاً إذا قام الإمام بقدر ما يتشهّد ثمّ يلحق الإمام . ـ كذا عن الصادق عليه السلام في الصحيح ـ (٤).

فهذه جمل آداب القدوة و الإمامة .

---

(١) أخرجه النسائي ج ٢ ص ٩٤ ، و أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٧١ ، و مسلم ج ٢ ص ٤٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨٦ ، ورواه غيره .

(٣) المصدر ص ١٠٦ تحت رقم ٦٦ .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٣٨١ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٥٩ .

﴿الباب الخامس﴾

في فضل الجمعة و شروطها و آدابها وسننها

﴿ فضيلة الجمعة ﴾

اعلم أنّ يوم الجمعة يوم عظيم ، عظّم الله به الإسلام وخصّص به المسلمين ، وقال : « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع [١] » حرّم الاشتغال بأُمور الدنيا و بكلّ صارف عن السعي إلى الجمعة .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا [٢] » .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه [٣] » .

و في لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام و راء ظهره [٤] » .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح عن أبي بصير ؛ و محمّد بن مسلم عن مولينا الباقر عليه السلام قال : « من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية طبع الله على قلبه [٥] » .

و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه [٦] » .

و في رواية « من ترك ثلاث جمع متعمّداً من غير علّة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق [٧] » .

---

(١) الجمعة : ٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى حديث طويل تحت رقم ١٠٨١ ، ورواه الطبرانى فى الاوسط كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) و(٤) رواه أبو يعلى بسند صحيح كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٩٣ .

(٥) المصدر ج ١ ص ٣٢١ ، ورواه البرقى فى المحاسن ص ٨٥ .

(٦) أخرجه النسائى ج ٣ ص ٨٨ ، وابن ماجه بلفظ آخر تحت رقم ١١٢٥ . وأبوداود بلفظه ج ١ ص ٢٤٢ .

(٧) نقله الشهيد فى رسالة الجمعة : كما فى الوسائل أبواب صلاة الجمعة رقم ٢٦ .

و في رواية « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين (١) ».

و عنه صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة طويلة حث فيها على صلاة الجمعة « إن الله فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي أو بعد موتي و له إمام عادل استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله و لا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حج له ، ألا و لا صوم له ، ألا ولا بر له حتى يتوب (٢) » :

قال أبو حامد : « و اختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة و لا جماعة ؟ فقال : في النار ، فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك و هو يقول : في النار » .

و في الخبر « أن أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له وأخره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أول الناس به سبقاً وأهل الكتابين لهم تبع (٣) » .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كلها وإن جهنم لا تسعر فيه (٤) » .

أقول : و من طريق الخاصة ما رواه في الفقيه « عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود ؟ قال : لأن الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيق الأيام ، فقيل له : ولم جعله أضيق الأيام ؟ قال : لأنه لا يعذب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده (٥) » .

---

(١) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٨٨ .
(٢) أخرجه ابن ماجه كما في الدرالمنثورج ٦ ص ٢١٨ .
(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٨٣ بلفظ آخر وهكذا رواه البزاز بسند صحيح كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٦٥ .
(٤) أخرجه أبو داود بنحو أوجز - ج ١ ص ٢٤٩ من السنن ، ورواه القاضي نعمان في دعائم الاسلام كما في المستدرك ج١ ص ٤١٨ .
(٥) المصدر ص ٦٠ رقم ٢ باب ركود الشمس .

وفي عدّة الداعي «عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة سيّد الأيّام وأعظمها عندالله، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم إلى الأرض، و فيه توفّى الله آدم، و فيه ساعة لا يسأل الله عزّ و جلّ فيها أحدٌ شيئاً إلّا أعطاه ما لم يسأل حراماً، و ما من ملك مقرّب و لا سماء و لا أرض ولا رياح و لا جبال و لا شجر إلّا و هو يشفق من يوم الجمعة أن تقوم القيامة فيه (١)».

و في الفقيه روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك و تعالى لينادي كلّ ليلة جمعة من فوق عرشه من أوّل اللّيل إلى آخره ألا عبدٌ مؤمنٌ يدعوني لآخرته و دنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ قد قتّرت عليه رزقه يسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده و أوسّع عليه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأُعافيه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ محبوس مغموم يسألني أن اُطلقه من حبسه فاخلي سربه، ألا عبد مؤمن مظلوم يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له و آخذ له بظلامته؟ قال: فما يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر (٢)».

و روى عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ - رضي الله عنه -، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: «قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: إنّ الله تبارك و تعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك إنّما قال: إنّ الله تبارك و تعالى ينزّل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير و ليلة الجمعة في أوّل اللّيل فيأمره فينادي هل من سائل فأُعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، و يا طالب الشرّ أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجرعاد إلى محلّه من ملكوت السماء، حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣)».

(١) المصدر ص٢٨، وأخرج نحوه ابن ماجه تحت رقم١٠٨٤ وأبو داود ج١ص ٢٤٠.
(٢) و(٣) المصدر ص ١١٣ و ١١٤ تحت رقم ٢٤ و٢٥.

و روي أنّه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة ، وكان اليوم الّذي نصب فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خمّ يوم الجمعة ، وقيام القائم عليه السلام في يوم الجمعة ، و تقوم القيامة في يوم الجمعة ، يجمع الله فيه الأوّلين و الآخرين ، قال الله عزّ وجلّ : « ذلك يوم مجموع له النّاس و ذلك يوم مشهود » (١) .

و روى محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يعقوب لبنيه : « سوف أستغفر لكم ربّي » قال : أخّرها إلى السحر ليلة الجمعة (٢) .

و روى أبو بصير عن أحدهما عليهما السلام قال : « إنّ العبد المؤمن ليسأل الله جلّ جلاله الحاجة فيؤخّر الله عزّ و جلّ قضاء حاجته الّتي سأل إلى يوم الجمعة ليخصّه بفضل يوم الجمعة » (٣) .

و روى داود بن سرحان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ و جلّ : « و شاهد و مشهود » قال : الشاهد يوم الجمعة » (٤) .

و روى المعلّى بن خنيس عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال : « من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلنّ بشيء غير العبادة فإنّ فيها يغفر للعباد وتنزل عليهم الرحمة » (٥) .

وروى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : « ليلة الجمعة ليلة غرّاء ويومها يوم أزهر ، ومن مات ليلة الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر ، و من مات يوم الجمعة كتب له براءة من النار » (٦) .

وروى هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام « في الرّجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا قال : يستحبّ أن يكون ذلك يوم الجمعة فإنّ العمل يوم الجمعة يضاعف » (٧) .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « أطرفوا أهليكم كلّ يوم جمعة بشيء من الفاكهة واللّحم حتّى يفرحوا بالجمعة » إلى هنا من الفقيه (٨) .

وفيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل (٩) » .

(١) و (٢) الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٦ و ٢٧ .
(٣) الى (٨) الفقيه ص ١١٣ وص١١٤ رقم ٢٨ الى ٣٣ .
(٩) المصدر ص١١٤ رقم ٤٧ .

وفي الخبر المشهور « الجمعة حجّ المساكين »(١) .

✡(بيان شروط الجمعة)✡

أقول : إنّما تجب الجمعة على كلّ مكلّف ذكر حرّ ، حاضر ، سالم من العمى والمرض والتمريض المنحصر فيه والهم ، و كلّ ما يؤدّي مع التكليف بها إلى الحرج بشرط وجود إمام يكون على شرائط القدوة و قد مرّ ذكرها ، و وجود أربعة نفر ذكور غيره من المسلمين المكلّفين الأحرار الحاضرين غير بعيدين جميعاً بفرسخين ، و تجزىء حينئذ عن فرض الظهر بشروط ثلاثة هي شروط صحّتها : الخطبتان ، والجماعة ، وعدم جمعة أُخرى بينهما أقلّ من فرسخ ، فإن اتّفقتا معاً بطلتا وإلّا فالمتأخرة خاصّة ، ولا يجزىء الظهر عنها إلّا إذا كانوا أقلّ من سبعة أو يكون هناك تقيّة أو أثارة فتنة .

و أكثر هذه الشروط مجمعٌ عليه بين أصحابنا ، منصوص به في الصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام و إنّما الخلاف في موضعين : أحدهما انحصار الشروط فيما ذكر فقد قيل باشتراط حضور إمام الأصل عليه السلام أو نائبه المأذون من قبله عليه السلام بالإذن الخاصّ أيضاً و إلّا لم تشرع . والثاني عدم إجزاء الظهر عنها فقد قيل بإجزائه عنها في زمن غيبة الإمام عليه السلام مطلقاً و إنّ وجوبها حينئذ تخييريّ و إن كانت الجمعة أفضل ، ومن الأصحاب من زعم اشتراط النائب العام ، وهو الفقيه الجامع لشرائط الفتوى في أصل الوجوب في الغيبة .

و الكلّ ضعيف مقدوحٌ لا دليل عليه من كتاب و لا سنّة ولا إجماع معتبر كما بيّناه في كتابنا المسمّى بمعتصم الشيعة في أحكام الشريعة .

و روى المحمّدون الثلاثة(٢) في الصحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام

---

(١) أخرجه ابن الزنجى فى ترغيبه والقضاعى عن ابن عباس ، ورواه ابن عساكر عن ابن عباس هكذا « الجمعة حج الفقراء » . كما فى الجامع الصغير باب الجيم .

(٢) يعنى بهم مؤلفى كتب الاربعة : محمد بن يعقوب الكلينى ، ومحمد بن على بن الحسين بن بابويه ، ومحمد بن الحسن الطوسى - رحمهم الله تعالى - راجع الكافى ج ٣ ص ٤١٩ ، والفقيه ص ١١١ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٥١ .

قال: «فرض الله على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها الله في جماعة و هي الجمعة و وضعها عن تسعة، عن الصغير و الكبير و المجنون و المسافر والعبد و المرأة و المريض و الأعمى ومن كان على رأس فرسخين».

و في الصحيح عنه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له: على من تجب الجمعة؟ قال: تجب على سبعة نفر من المسلمين، ولاجمعة لأقل من خمسة من المسلمين أحدهم الإمام فإذا اجتمع سبعة و لم يخافوا أمهم بعضهم وخطبهم»(١).

و في الموثق عن الفضل بن عبدالملك، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سمعته يقول: إذا كان قوم في قرية صلوا الجمعة أربع ركعات فإن كان لهم من يخطب لهم جمعوا إذا كانوا خمسة نفر، وإنما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين»(٢).

و الأخبار في هذه المعاني كثيرة، و الذين وضع الله عنهم الجمعة متى حضروها لزمهم الدخول فيها سوى غير المكلف والمرأة، ويحتسبون من العدد سوى المسافر والعبد لأن الساقط عنهم إنما هو السعي و لذا من كان على رأس فرسخين يجب عليه مع الحضور قطعاً، و يستفاد من بعض الأخبار إجزاء الجمعة عن المرأة أيضاً.

ويجب تقديم الخطبتين على الصلاة و الطهارة فيهما و القيام إلا مع العجز واشتمال كل منهما على حمد الله و الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله و الوعظ و قراءة سورة في الأولى و الدعاء في الثانية.

و قيل باستحباب القراءة و الدعاء، و يستحب قراءة آية في الثانية أيضاً و الأولى أن يعمل بالمأثور وفي وجوب عربيتهما و رفع الصوت بهما بحيث يسمع العدد، و الفصل بينهما بجلسة خفيفة، والإصغاء لهما وترك الكلام في أثنائهما أو استحباب ذلك كله خلاف أما استقبال الناس، والسلام عليهم أول مايصعد وردهم له، والجلوس حتى يفرغ المؤذنون والتعمم شاتياً و قائظاً، والتردي ببرد يمنية، والاعتماد على سيف أوقوس أو عنزة(٣)،

(١) الفقيه ص ١١١ تحت رقم ٢.
(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٢١. والاستبصار ج١ ص ٤٢٠.
(٣) العنزة ـ بالمهملة ـ مثل نصف الرمح أوأكبر و فيها سنان.

و بلاغة الخطيب ، و اتصافه بما يأمر به ، وانزجاره عمّا ينهى عنه فكلّها مستحبة .

قال أبوحامد : « ولا يستعمل غريب اللّغة ولا يمطّط[1] ولايتغنّى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ، و لا يسلّم من دخل و الخطيب يخطب فإن سلّم لم يستحق جواباً و الإشارة بالجواب حسن ، ولايسمّت العاطس أيضاً[2] .

☼(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة)☼

و هي عشر جمل : الاُولى أن يستعدّ لها يوم الخميس عزماً عليها و استقبالاً لفضلها فيشتغل بالدعاء و الاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنّها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة ، قال بعض السلف : إنّ لله فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلّا من سأله عشيّة الخميس و يوم الجمعة ، و يغسل في هذا اليوم ثيابه و يبيضها و يعدّ الطيب إن لم يكن عنده ، ويفرغ قلبه من الأشغال الّتي يمنعه من البكور إلى الجمعة و يجامع أهله في هذه اللّيلة أو في يوم الجمعة ، فقد استحبّ ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « رحم الله من بكّر وابتكر وغسّل و اغتسل[3] » - و هو حمل الأهل على الغسل - ، و قيل : معناه غسل ثيابه ، فروي بالتخفيف و اغتسل لجسده و بهذا يتمّ أدب الاستقبال ، و يخرج عن زمرة الغافلين الّذين إذا أصبحوا قالوا : ما هذا اليوم ؟.

قال بعض السلف : أوفى الناس نصيباً من الجمعة من انتظرها وراعاها من الأمس ، وأخسّهم نصيباً من أصبح فيقول : أيش هذا اليوم ؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها .

أقول : و في الفقيه « كان موسى بن جعفر عليهما السلام يتهيّأ يوم الخميس للجمعة[4] » . و فيه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا يشرب أحدكم الدواء يوم الخميس ، فقيل :

---

(١) تمطط في الكلام مده ولون فيه .

(٢) تسميت العاطس و تشميته . الدعاء له .

(٣) راجع سنن النسائي ج ٣ ص ٩٥ و٩٧، وابن ماجه تحت رقم ١٠٨٧ . رواه بلفظ آخر ، وفي مجمع الزوائد عن الطبراني أيضاً .

(٤) المصدر ص ١١٢ تحت رقم ١٢ .

يا أمير المؤمنين و لم ؟ قال : لئلا يضعف عن إتيان الجمعة »[١].

الثانية إذا أصبح ابتدء بالغسل بعد طلوع الفجر و إن كان لا يبكّر فأقربه إلى الرواح أحبّ ليكون أقرب عهداً بالنظافة .

فالغسل مستحبّ استحباباً مؤكّداً و ذهب بعض العلماء إلى وجوبه .

أقول : و كذا الخلاف فيه بين علمائنا ـ رحمهم الله ـ والأكثر على استحبابه ، و في الصحيح عن عليّ بن يقطين عن الرضا عليه السلام « قال : سألته عن الغسل في الجمعة و الأضحى و الفطر ، قال : سنّة و ليس بفريضة[٢] » .

و في الصحيح ، عن عبد الله بن المغيرة عن الرضا عليه السلام « قال : سألته عن الغسل يوم الجمعة ، فقال : واجب على كلّ ذكر و أنثى عبد أو حرّ[٣] » وحمل على تأكدالاستحباب .

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه : وغسل يوم الجمعة واجب على الرجال والنساء في السفر و الحضر إلّا أنّه رخّص للنساء في السفر لقلّة الماء ، و من كان في سفر و وجد الماء في يوم الخميس و خشي أن لا يجده يوم الجمعة فلا بأس بأن يغتسل الخميس للجمعة فإن وجد الماء يوم الجمعة اغتسل و إن لم يجد أجزأه .

فقد روى الحسن بن موسى بن جعفر عن اُمّه و اُمّ أحمد بن موسى قالتا كنّا مع أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في البادية و نحن نريد بغداد فقال لنا يوم الخميس : اغتسلا اليوم لغد ـ يوم الجمعة ـ فإنّ الماء غداً بها قليل قالتا : فاغتسلنا يوم الخميس للجمعة.

وغسل يوم الجمعة سنّة واجبة ويجوز من وقت طلوع الفجر يوم الجمعة إلى قرب الزوال وأفضل ذلك ماقرب من الزّوال ، ومن نسي الغسل أوفاته لعلّة فليغتسل بعدالعصر أويوم السبت ، ويجزىء الغسل للجمعة كمايكون للزّواج والوضوء فيه قبل الغسل[٤] ، انتهى كلام الصدوق ـ رحمه الله ـ .

وقد بيّنّا فيماسبق أنّ الحقّ أنّ الوضوء يسقط مع الغسل مطلقاً ، أيّ غسل كان

(١) الفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٨ .

(٢) رواه الشيخ فى التهذيب ج ١ ص ٣١ .

(٣) الكافى ج ٣ ص٤١ تحت رقم١، والتهذيب ج ١ ص ٣١.

(٤) المصدر ص ٢٥ تحت رقم ٦و٧.

كما ذهب إليه السيد المرتضى - رحمه الله - و إن كان المشهور بين أصحابنا عدم سقوطه إلّا في غسل الجنابة وأمّا قوله : و يجزىء الغسل للجمعة كما يكون للزواج فمعناه أنّه يجزىء لهما غسل واحد وهذا حقٌّ فإنّ الصحيح أنّ الأغسال يتداخل بعضها في بعض إذا اجتمعت أسبابها كالوضوء ، يدلّ على ذلك الرّوايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام .

قال - رحمه الله - [1] و يقول المغتسل للجمعة : « اللّهمّ طهّرني وطهّر قلبي وأنق غسلي و أجر على لساني مدحتك » .

وقال الصادق عليه السلام : « من اغتسل للجمعة فقال : « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده و رسوله ، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد ، واجعلني من التوّابين ، واجعلني من المتطهّرين » كان طهراً من الجمعة إلى الجمعة » .

وقال الصادق عليه السلام : « غسل يوم الجمعة طهورٌ و كفّارةٌ لما بينهما من الذنوب من الجمعة إلى الجمعة » .

وقال الصادق عليه السلام في علّة غسل يوم الجمعة : « إنّ الأنصار كانت تعمل في نواضحها و أموالها فإذا كان يوم الجمعة حضروا المسجد فتأذّى الناس بأرواح آباطهم و أجسادهم فأمرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بالغسل فجرت بذلك السنّة » .

وروي « أنّ الله تبارك وتعالى أتمّ صلاة الفريضة بصلاة النافلة ، وأتمّ صيام الفريضة بصيام النافلة ، وأتمّ الوضوء بغسل يوم الجمعة » [2] .

أقول : و في رواية أُخرى « ما كان في ذلك من سهو أو تقصير أو نسيان » [3] و عن الأصبغ بن نباتة أنّه قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل يقول له : والله لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة فإنّه لا يزال في طهر إلى يوم الجمعة الأُخرى [4] » .

الثالثة الزينة وهي مستحبّة في هذا اليوم وهي في ثلاثة : الكسوة ، و النظافة ،

---

(١) يعني الصدوق - رحمه الله - في الفقيه ص ٢٥ .
(٢) الاحاديث كلها في الفقيه ص ٢٥ رقم ٨و٩و١٠و١١ .
(٣) و(٤) الكافي ج ٣ ص ٤٢ تحت رقم ٤ و٥ .

وتطيّب الرائحة .

أمّا النظافة فبالسواك ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر ، وقصّ الشارب ، وسائرماسبق في كتاب الطهارة ، فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود وليتطيّب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروايح الكريهة و يوصل به الرّوح و الراحة إلى مشام الحاضرين في جواره ، و أحبّ طيب الرّجال ماظهرريحه و خفي لونه و طيب النساء ما ظهرلونه و خفي ريحه . أقول : روى هذا في الكافي عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

و فيه عنه عليه السلام « قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الطيب في الشارب من أخلاق النبيّين و كرامة للكاتبين » (٢) .

و فيه و في التهذيب عن مولينا الصادق عليه السلام أنّه قال : « ليتزيّن أحدكم يوم الجمعة يغتسل ، و يتطيّب ، و يسرّح لحيته ، و يلبس أنظف ثيابه ، و ليتهيّأ للجمعة و ليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار و ليحسن عبادة ربّه وليفعل الخير ما استطاع فإنّ الله يطلع على الأرض ليضاعف الحسنات (٣) » .

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام « قلّموا أظفاركم يوم الثلثاء ، واستحمّوا يوم الأربعاء وأصيبوا من الحجامة حاجتكم يوم الخميس ، و تطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة »(٤) .

و فيه عن الرّضا عليه السلام « ينبغي للرّجل أن لايدع أن يمسّ شيئاً من الطيب في كلّ يوم فإن لم يقدر فيوم و يوم لا ، فإن لم يقدر ففي كلّ جمعة لايدع ذلك ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم الجمعة ولم يصب طيباً دعا بثوب مصبوغ بزعفران فرشّ عليه الماء ثمّ مسحه بيده ثمّ مسح به وجهه (٥) » . و في الكافي ما يقرب من صدر هذا الحديث بإسناد صحيح .

---

(١) المصدرج ٦ ص ٥١٢ رقم ١٧ .
(٢) المصدرج ٦ ص ٥١٠ رقم ٥ ، و راجع ج ٣ ص ٤١٧ منه .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤١٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٤٨ .
(٤) المصدرص ٣١ تحت رقم ١٢٧ .
(٥) المصدرص ١١٤ تحت رقم ٤٢ . وفي الكافي ج ٦ ص ٥١٠ تحت رقم ٤ .

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليتطيّب أحدكم يوم الجمعة ولومن قارورة امرأته»[١].

وفيه عنه عليه السلام «حقّ على كلّ مسلم في كلّ جمعة أخذ شاربه وأظفاره ومسّ شيء من الطيب»[٢].

وقد ورد في الحثّ على الطيب أحاديث متكثرة تتضمّن أنّه من أخلاق المرسلين، وأنّه يقوّي القلب، ويزيد في الرّزق، ويحفظ العقل، وأنّ صلاة متطيّب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب، وأنّ الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن، وأنّ ما أنفق في الطيب ليس بسرف، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطّعام[٣].

قال أبو حامد: «و أمّا الكسوة فأحبّها البيض من الثياب إذ أحبّ الثياب إلى الله تعالى البيض، و لا يلبس ما فيه شهرة، و لبس السواد ليس من السنّة و لا فيه فضل، بل كره جماعة النظر إليه لأنّه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و العمامة مستحبّة في هذا اليوم ففي الخبر «أنّ الله و ملائكته يصلّون على أصحاب العمائم يوم الجمعة[٤]»

أقول: ومن طريق الخاصّة مارواه في الكافي[٥] «عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألبسوا البياض فإنّه أطيب وأطهر، و كفّنوا فيه موتاكم».

و عنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: البسوا ثياب القطن، فإنّها لباس رسول الله صلى الله عليه وآله وهولباسنا»[٦]. وعنه عليه السلام: «إنّ الله يبغض شهرة اللّباس[٧]».

وعن الحسين صلوات الله عليه «من لبس ثوباً يشهره كساه الله يوم القيامة ثوباً من النّار»[٨].

---

(١) و(٢) الكافي ج ٦ ص ٥١١ تحت رقم ١٣ و١٠.
(٣) راجع الكافي ج ٦ ص ٥١٢ تحت رقم ١ الى ١٨.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الالف.
(٥) المصدر ج ٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ١ و٢.
(٦) الكافي ج ٦ ص ٤٤٦ تحت رقم ٤.
(٧) المصدر ج ٦ ص ٤٤٤ رقم ١ و الشهرة: ظهور الشيء في شنعة حتى يشهره الناس.
(٨) المصدر ج ٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ٤.

وفيه وفي الفقيه « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكره السواد إلّا في ثلاث : الخفّ والعمامة والكساء »[١].

وفي الفقيه « يستحبّ أن يعتمّ الرجل يوم الجمعة وأن يلبس أحسن ثيابه وأنظفها ويتطيّب ويدّهن بأطيب دهنه »[٢].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « انّ الثوب النقي يكبت العدوّ »[٣]، و قيل : إنّه يذهب بالهمّ.

الرابعة البكور إلى الجامع و يدخل وقته بطلوع الفجر وفضله عظيم، وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله إيّاه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه.

وقد قال صلى الله عليه وآله : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنّما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما أهدى دجاجة، و من راح في الساعة الخامسة فكأنّما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر »[٤] فمن جاء بعد ذلك فإنّما جاء لحقّ الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الأولى إلى طلوع الشمس، والثانية إلى ارتفاعها، و الثالثة إلى انبساطها حتّى ترمض الأقدام، و الرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال.

وقال صلى الله عليه وآله : « ثلاث لو يعلم الناس مافيهنّ لركضوا الإبل في طلبهنّ : الأذان والصفّ الأول، والغدوّ إلى الجمعة »[٥].

وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٤٩، والفقيه ص ٦٨ تحت رقم ١٨.

(٢) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٤.

(٣) المصدر ج ٦ ص ٤٤١ تحت رقم ١.

(٤) أخرجه النسائي في السنن ج٣ ص ٩٩ وفيه «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة الخ» وهكذا رواه مسلم ج ٣ ص ٤.

(٥) أخرجه ابن النجار عن ابي هريرة بلفظ آخر كما في الجامع الصغير باب الثاء.

من فضّة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم »[١].

أقول: روي هذا في الكافي والفقيه[٢] بالإسناد الصحيح عن مولينا الباقر عليه السلام قال: «إنّ الملائكة المقرّبين يهبطون في كلّ جمعة معهم قراطيس الفضّة وأقلام الذّهب فيجلسون على أبواب المسجد على كراسيّ من نور فيكتبون من حضر الجمعة الأوّل والثاني والثالث حتّى يخرج الإمام فإذا خرج الإمام طووا صحفهم».

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: «فضّل الله الجمعة على غيرها من الأيّام، وإنّ الجنان لتزخرف وتزيّن يوم الجمعة، وإنّكم تتسابقون إلى الجنّة على قدر سبقكم إلى الجمعة، وإنّ أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد»[٣].

قال أبوحامد: «وكان يرى في القرن الأوّل سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيّام العيد حتّى اندرس ذلك فقيل: أوّل بدعة اُحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع، وكيف لا يستحي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكّرون إلى البيع والكنايس يوم السبت والأحد وطلّاب الدّنيا كيف يبكّرون إلى رحاب الجامع للبيع والربح فلم لايسابقهم طالب الآخرة، ودخل ابن مسعود الجامع بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتمّ لذلك وجعل يقول لنفسه معاتباً إيّاها: رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد.

الخامسة في هيئة الدّخول فينبغي أنّ لايتخطّى رقاب الناس ولايمرّ بين أيديهم والبكور يسهّل عليه ذلك فقد ورد وعيدٌ شديدٌ في تخطّي الرقاب وهو أنّه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطّاه الناس، وفي المرور بين يدي المصلّي قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمرّ بين يدي المصلّي[٤]» ومهما كان الصف الأوّل متروكاً خالياً فله أن يتخطّى رقاب الناس لأنّهم تركوا حقّهم وتركوا موضع الفضيلة وإذا لم يكن في المسجد

---

(١) رواه النسائي في السنن ج ٣ ص ٩٨ بلفظ آخر.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤١٣ تحت رقم ٢، والفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٦.

(٣) رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٤١٥ تحت رقم ٩.

(٤) أخرجه أبوداود في السنن ج ١ ص ١٦١، والنسائي ج ٢ ص ٦٦.

إلّا من يصلّي فينبغي أن لايسلّم فإنّه تكليف جواب في غير محلّه .

السادسة أن يجلس قريباً من اسطوانة أوحائط حتّى لايمرّوا بين يديه إذسوّى صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث آخر بين المارّ و المصلّي حيث صلّى على الطريق أو قصّر في الدفع فقال : « لويعلم المارّ بين يدي المصلّي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمرّ بين يديه »(١) .

والأُسطوانة والحائط والمصلّى المفروش حدّ المصلّي، فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه .
قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « ليدفعه فإن أبى فليدفعه ، فإن أبى فليقاتله فإنّه شيطان(٢) » فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئاً طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحدّه .

أقول : وقد أشرنا إلى ذلك من طريق الخاصّة فيماسبق .

وفي الكافي والتهذيب بإسناد حسن عن الحلبيّ عن الصادق عليه السلام قال : « سألته عن الرّجل أيقطع صلاته شيء ممّا يمرّ بين يديه ؟ فقال : لايقطع صلاة المسلم شيء و لكن ادره ما استطعت »(٣) .

و فيهما بإسناد صحيح عن الصادق عليه السلام : « قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يجعل العنزة بين يديه إذا صلّى »(٤) .

وعن الرّضا عليه السلام « في الرّجل يصلّي ، قال : يكون بين يديه كومة من تراب أويخطّ بين يديه بخطّ »(٥) .

السابعة أن يطلب الصفّ الأوّل فإنّ فضله كثير كما رويناه في الخبر « من غسّل واغتسل و بكّر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له ذلك كفّارة لمابين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيّام» . وفي لفظ آخر « غفرالله له إلى الجمعة الأُخرى» و قد اشترط في بعضها « و لم

---

(١) أخرج نحوه أبوداود فى السنن ج ١ص ١٦٠ والنسائى ج ٢ ص ٦٦.

(٢) أخرجه أبو داود ج ١ ص ١٦٠ .

(٣) الكافى ج٣ ص ٢٩٧ ، والتهذيب ج١ص٢٢٨ . يعنى ادفعوا آفة المار بالاستتار.

(٤) الكافى ج ٣ ص ٢٩٦ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٢٧ .

(٥) التهذيب ج ١ ص٢٤٤، والاستبصار ج ١ ص ٤٠٧ .

يتخطّ رقاب الناس »[١].

أقول: وفي لفظ آخر هكذا « من غسّل واغتسل ، فبكّر وابتكر ، و دنا وأنصت ، ولم يلغ كان له بكلّ خطوة كأجر عبادة سنة صيامها وقيامها »[٢].

وقد مضى أنّ معنى غسّل - بالتشديد - حمل الأهل على الغسل و بالتخفيف غسل الثياب . وقيل : غسل مواضع الوضوء وهو إنّما يصحّ عند من أوجب الوضوء مع الغسل ولو فسّر بغسل اليدين من الدّنس والتفث لكان له وجهاً ، و « بكّر » أي في الاغتسال و « ابتكر » أي إلى المسجد و « دنا » أي من المنبر ، و « أنصت » أي إلى الخطبة .

قيل : في بعض الأخبار « انّ الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر لمن وراءه ».

قال أبوحامد : « فمن تأخّر على هذه النيّة إيثاراً وإظهاراً لحسن الخُلق فلابأس وعند هذا يقال : الأعمال بالنيات ».

أقول : و كذا إذا نوى إيثار فضيلة الصف الأوّل للأفضل .

الثامنة أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذّن ثمّ باستماع الخطبة ، قال عليّ عليه السلام « يكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب » ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت أوصه فقد لغا[٣] ، ومن لغا والإمام يخطب فلاجمعة له[٤] ، وهذا يدلّ على أنّ الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أورمي حصاة لابالنطق ، ومن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت لأنّ ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينمة[٥] ينتهي إلى المستمعين وإذا كان يكره الصلاة في وقت الخطبة فالكلام أولى .

اقول و في الفقيه قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا كلام و الإمام يخطب ولا التفات إلّا كما يحلّ في الصلاة ، وإنّما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبتين وجعلتا مكان

---

(١) أخرجهما الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٢٨٢ و٢٨٣ .
(٢) أخرجه النسائى فى السنن ج ٣ ص ٩٥، وابن ماجه تحت رقم ١٠٨٧ .
(٣) أخرجه الترمذى فى السنن ج ٢ ص ٣٠٠ .
(٤) رواه جعفر بن أحمد القمى فى كتاب العروس كما فى مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٩ . ومثله فى الفقيه ص ٤٦٧ فى حديث المناهى . (٥) أى الصوت الخفى .

الركعتين الأخيرتين فهي صلاة حتّى ينزل الإمام »[1].

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « لابأس أن يتكلّم الرجل إذا فرغ الإمام من الخطبة يوم الجمعة ما بينه وبين أن تقام الصلاة »[2].

التاسعة أن يراعي في قدوة الجمعة مايراعي في غيرها ـ كذا قال أبوحامد : ـ ثمّ أورد ذكراً للفراغ منها .

أقول : ولمّا لم تكن هذه المراعاة ممّا يختصّ بالجمعة و ما عطفه عليه من الذكر الخاصّ بعد الفراغ لم يرد من طريق الخاصّة فنحن نذكر بدله ما قاله بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ [3] في هذا المقام .

قال : ويختص الجمعة باستحضار أنّ يومها يومٌ عظيم وعيدٌ شريف ، خصّ الله به هذه الاُمّة ، وجعله وقتاً شريفاً لعباده ليقرّبهم فيه من جواره و يبعدهم من طرده و ناره ، وحثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال ، و تلافي ما فرّط منهم في بقيّة الاُسبوع من الإهمال ، وجعل أهمّ مايقع فيه من طاعته و مايوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته صلاة الجمعة وعبّر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله الجسيم وخصّها من بين سائر الصلوات الّتي هي أفضل القربات بالذكر الخاصّ فقال سبحانه وتعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون »[4].

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ماينبّه له من له حظّ من المعاني ومن أهمّ رمزها ههنا التعبير عن الصلاة بذكر الله ، ونبّه بهذا على أنّ الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرّد الحركات والسكنات والرّكوع و السجود بل ذكر الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال فإنّ هذا وأشباهه هوالسرّ في كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى : « إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر » إذ كان سببهما

(١) و(٢) الفقيه ص ١١٢ تحت رقم ١٤و١٥ .

(٣) يعنى به الشهيد فى اسرارالصلاة ص ٢٢١ من طبعه الملحق بكشف الفوائد .

(٤) الجمعة :٨ .

القوّة النزوعيّة إذا خرجت عن حكم العقل ، وهذا كلّه إنّما يتمّ مع التوجّه التامّ إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الّذي هو الذكر الأكبر والكثير[1] على ما ورد في بعض تفسيراته فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة لاجرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيىء والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه في الوقت الشريف والنوع الشريف من العبادة ، وأحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدّنيا بالمثول في حضرته و الفوز بمخاطبته في وقت معيّن أما كنت تتأهّب له بتمام الاستعداد و التهيئة والسكينة والوقار والتنظيف والتطيّب وغير ذلك مما يليق بحال الملك ، ومن هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة والتنظيف والتطيّب و التعمّم و حلق الرأس وقصّ الشارب والأظفار وغير ذلك من السنن ، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف ، وعمل مخلص ، وقصد متقرّب ونيّة خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدّنيا إن لم تعظم همّتك عن ذلك ولاتقصد بهذه الوظائف حظّك من الرفاهية ومطلب نفسك من الطيب والزينة فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك ، و كلّما أمكنك تكثير المطالب الّتي يترتّب عليها الثواب بعملك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها ، فانو بالغسل يوم الجمعة سنّة الجمعة والتوبة ودخول المسجد ، وبالثياب الحسنة و الطيب سنّة رسول الله ﷺ وتعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى ، فلايحبّ أن تدخله زائراً له إلّاطيّب الرائحة و أن يقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته ، ويقصد به دفع الرّوايح الكريهة عن نفسه حسماً لباب الغيبة عن المغتابين إذ اغتابوه بالرّوائح الكريهة فيعصون الله بسببه ، فقد قيل : إن من تعرّض للغيبة وهو قادرٌ على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما أشار إليه تعالى بقوله : « ولاتسبّوا الّذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم[2] » ، وإذا حضرت للصلاة فأحضر قلبك فهم مواقع الموعظة واستعدّ لتلقّي الأوامر والنواهي على وجهها ، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة والخطيب والمنبر واستماع الناس وتحريم الكلام خلالها ووجوب الإصغاء إليها فاعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقرّبين الذين

---

(١) في آيتين من الكتاب العزيز . (٢) الانعام : ١٠٨ .

يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشريف ويعرضونهم على الحضرة الالهيّة ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة فقد روي أنّ الملائكة المقرّبين تقف على أبواب المساجد ـ الحديث ـ فإذا أحضرت هذا ببالك و أنّ الملائكة يستمعون و هم حولك و الله سبحانه ناظر إليك لزمك ارتداء الهيبة وادّراع السكينة وتجلبب الخشية ، وعند ذلك تستحقّ أن تفاض عليك الرّحمة ، وتحفّك البركة ، وتصير صلاتك مقبولة و دعوتك مسموعة ، وأكثر في ذلك اليوم من الذكر والاستغفار والدّعاء و تلاوة القرآن و الصلاة على النبيّ و آله صلّى الله عليهم والصدقة فإنّ اليوم شريف ، و الفضل فائض ، والجود تامّ ، و الرّحمة واسعة ، فإذا كان المحلّ قابلاً تمّت السعادة وحصلت الإرادة ، وتذكّر أنّ في يوم الجمعة ساعة لا يردّ الله فيها دعوة مؤمن ، فاجتهد أن تصادفها داعياً أو مستغفراً أو ذاكراً فإنّ الله يعطي الذاكر فوق مايعطي السائل و إن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل فإن لم يمكن فإلى العصر ، و كن حسن المراقبة ، مجتمع الهمّة عسى أن تظفر بتلك الساعة ، فقد قيل : إنّها مبهمة في جميع اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه ليحافظوا عليها كما أخفى ليلة القدر في جميع السنة ليحافظوا عليها .

و روي أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس وساعة اُخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس ، واجعل هذا اليوم خاصّة من الاُسبوع لآخرتك فعساه أن يكون كفّارة و استدراكاً لبقية الاُسبوع ، و يكفيك في الاهتمام بالجمعة و وظائفها أنّ الله سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار و صرّح به العلماء الأخيار حيث دلّا على أنّ الواجب أفضل من الندب و أنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات ، وأنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصلوات ، و أنّ الصلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس ، والمختار أنّها الظهر و الجمعة أولى من الظهر فتكون أفضل منها لو أمكن تصوّر فضل لها ، و حينئذ فتكون أفضل الأعمال و هذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها و أبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبّر وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها « ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون » و قد ورد الأمر بقراءة سورتها و سورة المنافقين فيها ليتكرّر سماع الحثّ عليها فيها و قد قال في

سورة المنافقين بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً « يا أيّها الّذين آمنوا لا تلهكم أموالكم و لا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاُولئك هم الخاسرون »[١]، فكرّر هذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفلحين .

قال أبو حامد :

العاشرة أن يلازم المسجد حتّى يصلّي العصر فإن وقف إلى المغرب فهو الأفضل فإن لم يأمن التصنّع و دخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه ، أو خاف الخوض فيما لايعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً لله تعالى ، متفكّراً في آلائه ، شاكراً على توفيقه ، خائفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه و لسانه إلى غروب الشمس حتّى لا يفوته السّاعة الشريفة .

ففي الخبر المشهور «انّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلّا أعطاه»[٢] و في خبر آخر « لايصادفها عبدٌ يصلّي» و اختلف فيها فقيل : إنّها عند طلوع الشمس ، و قيل : عندالزوال ، و قيل : مع الأذان ، وقيل : إذا صعدالخطيب المنبر و أخذ في الخطبة ، و قيل : إذا قام الناس إلى الصلاة ، و قيل : آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار ، وقيل : قبيل غروب الشمس ، و كانت فاطمة عليها السلام تراعي ذلك الوقت و تأمر خادمتها أن تنظر الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء و الاستغفار إلى أن تغرب و تخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة و تأثر عن أبيها صلى الله عليه وآله[٣] .

و قال بعض العلماء : هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليله القدر حتّى يتوفّر الدواعي على مراقبتها ، و قد قيل : إنّها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كنقل ليلة القدر ، و هذا هو الأشبه و له سرٌّ لا يليق بعلم المعاملة ذكره ، ولكن ينبغي أن يصدّق بما قال صلى الله عليه وآله : « إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها[٤]» ، و يوم الجمعة من

---

(١) المنافقون : ٩ .

(٢) رواه الصدوق - رحمه الله - فى معانى الاخبار ص ٣٩٩ وفيه «لايراقبها رجل» وأخرجه النسائى فى السنن ج ٣ ص ١١٥ كما فى المتن .

(٣) راجع معانى الاخبار ص ٤٠٠ رقم ٥٩ .

(٤) أخرجه الطبرانى عن محمد بن مسلمة بسند ضعيف كما فى الجامع الصغير باب الالف.

تلك الأيّام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرّضاً لها بإحضار القلب و ملازمة الذكر و النزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات » .

اقول : و يستحبّ أن يدعو قبيل غروب الشمس بدعاء السمات المنقول عن أهل البيت عليهم السلام وهو مشهور (١) .

و قد ذكر أبو حامد من الآداب و السنن الخارجة عن الترتيب السابق الّذي يعمّ جميع النهار أشياء أُخر ولمّا كان ما ذكرناه في الجملة التاسعة قد تضمّن خلاصة ذلك والمعتبر منه عندنا طوينا ذكرها .

﴿الباب السادس﴾

« في مسائل متفرّقة يعمّ البلوى بها ويحتاج المريد إلى معرفتها فأمّا المسائل الّتي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه» .

أقول : ما ذكره أبو حامد في هذا الباب من المسائل بعضه قد مضى ذكره في كلامنا على طريقة أهل البيت عليهم السلام و بعضه قليل الجدوى عندنا فأنا أذكر بدل ذلك مسائل أُخرى مهمّة مع قليل ممّا ذكره ممّا سوى القسمين ، و أذكر ما يتعلّق بالقبلة والتقصير و الصلاة على الراحلة و ماشياً و في السفينة في كتاب آداب السفر من ربع العادات كما فعله هو إن شاء الله .

مسألة لكلّ من الصلوات الخمس وقتان أوّلهما للفضيلة والآخر للإجزاء على المشهور ، و قيل : بل الأوّل للمختار والآخر للمضطرّ ، فالأوّل للظهر والزوال إلى أن يصير الفيىء مثل الشاخص و الثاني إلى أن يبقى للغروب مقدار أداء العصر ؛ و الأوّل للعصر الفراغ من الظهر و لو تقديراً إلى أن يصير الفيىء مثلي الشاخص ، و الثاني إلى الغروب ؛ و الأوّل للمغرب الغروب إلى ذهاب الشفق الغربيّ وربما قيل بانحصار وقته في ذلك و إنّ له وقتاً واحداً ، والثاني إلى أن يبقى لانتصاف اللّيل مقدار أداء العشاء ؛ والأوّل

(١) راجع مصباح الكفعمي ص ٤٢٣ .

للعشاء الفراغ من المغرب ولو تقديراً إلى ثلث الليل ، والثاني إلى نصفه ؛ والأول للصبح طلوع الفجر الثاني المتسيطر في الأفق إلى اسفرار الصبح و الثاني إلى طلوع الشمس .

وظاهر عبارة الصدوق اشتراك تمام الوقت في كل من الظهرين والعشائين بين الصلاتين من غير اختصاص ولا يخلو من قوة ، وقيل : أول أول العشاء ذهاب الشفق الغربي وآخر آخرها ثلث الليل ، و قيل : آخر آخر المغرب ذهاب الشفق ، و قيل : ربع الليل ، وقيل : يمتد وقت العشائين إلى طلوع الفجر و حمل على المضطر .

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام « أول الوقت رضوان الله و آخره عفو الله »[1] .

و في الكافي بإسناده الصحيح عن بكر بن محمد الأزدي عن الصادق عليه السلام قال : « لفضل الوقت الأول على الأخير خير للرجل من ولده وماله »[2] .

و في التهذيب بإسناده الصحيح عن سعد بن أبي خلف عن الكاظم عليه السلام قال : « الصلوات المفروضات في أول وقتها إذا أقيم حدودها أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجرة في طيبه و ريحه و طراوته ، فعليكم بالوقت الأول »[3] .

و في الصحيح عن زرارة و الفضيل عن الباقر عليه السلام : قال : « إن لكل صلاة وقتين غير المغرب فإن وقتها وجوبها ووقت فوتها غيبوبة الشفق »[4] و حمل على تأكد استحباب المبادرة بها جمعاً بين الأخبار ، والضمير في وجوبها راجع إلى الشمس والوجوب : السقوط قال الله تعالى : « فإذا وجبت جنوبها »[5] والمراد به ههنا الغروب ، و يستحب التفريق بين كل من الظهرين و العشائين ، و ادعى الشهيد معلوميته من مذهب الإمامية كمعلومية جواز الجمع ، و استثنى المفيد ظهري الجمعة وحد بأن يؤتى بالثانية من انقضاء فضيلة الأولى ؛ و قيل بأن يؤتى بها بعد نافلتها وهو أظهر كما يستفاد من بعض الروايات

---

(١) المصدر ص ٥٨ تحت رقم ٥ وزاد فيه « والعفو لا يكون الامن ذنب » .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٧ ومثله فى الفقيه ص ٥٨ .

(٣) المصدر ج١ ص ٢٤٥ . ومثله فى ثواب الاعمال للصدوق ٣٥ .

(٤) الكافى ج ٣ ص ٢٨٠ تحت رقم ٩ وفيه « سقوط الشفق » . و المراد بفوتها فوت فضيلتها .

(٥) الحج : ٣٩ . أى سقطت جنوبها الى الارض .

مضافاً إلى إطلاق ما دلّ على فضيلة أوّل الوقت فالأوّل ، نعم إن فرغ من نافلة المغرب ولمّا يذهب الشفق انتظر ذهابه للعشاء ، لكن لا يؤخّر العشاء إن أدرك الذهاب و لمّا يتنفل ، و الخبر المشعر بفضيلة تأخيرها عنه ضعيف .

و وقت صلاة الجمعة الزّوال إلى أن يمضي مقدار الأذان والخطبة وركعتي الفرض وما يلزم ذلك من صعود المنبر و نزوله و الدّعاء أمام الصلاة فإذا مضى ذلك فقد فاتت ولزم أداؤها أربعاً بلاخطبة و هو ظاهر عبارة أبي الصلاح و الجعفي ، ويدلّ عليه ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « إنّ من الأُمور أُموراً مضيّقة وأُموراً موسّعة وإنّ الوقت وقتان والصلاة ممّا فيه السعة فربما عجّل رسول الله صلى الله عليه وآله و ربما أخّر إلّا صلاة الجمعة فإنّ صلاة الجمعة من الأمر المضيّق ، إنّما لها وقت واحد حين تزول الشمس»(١) ، و الأكثر على امتداد وقته إلى أن يصير ظلّ كلّ شيء مثله ولا حجّة لهم يعتدّ بها و قيل : يمتدّ بامتداد الظهر التفاتاً إلى مقتضى البدليّة وأصالة البقاء فيحمل الرّواية على الأفضليّة ولايخلو من قوّة و إن كان الأوّل أقوى لاستغنائه عن التأويل .

مسألة : يُعرف الزّوال بزيادة الظلّ بعد نقصه أوحدوثه بعد عدمه وبميل الشمس إلى الحاجب الأيمن لمن استقبل نقطة الجنوب و بميل الظلّ عن خطّ نصف النّهار إلى جهة المشرق ، و يُعرف الغروب باستتار القرص وغيبته عن النظر مع انتفاء الحائل كما يستفاد من صحاح الأخبار ، و قيل : بل بذهاب الحمرة المشرقيّة ، و إليه ذهب الأكثر وهو أحوط لصلاة المغرب و الإفطار . ويعرف انتصاف اللّيل بانحدار النجوم الطالعة عند الغروب عن سمت الرأس و بمنازل القمر و عدة غروبه و طلوعه ، و يعرف الفجر الأوّل بالضوء المستدق المستطيل الّذي يتوسّط بينه و بين الأفق ظلمة و الفجر الثاني بازدياد ذلك الضوء بحيث يأخذ طولاً وعرضاً و ينبسط في عرض الأُفق ويتّصل به .

قال أبوحامد : « و إدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوّله إلّا أن يتعلّم منازل القمر إذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدلّ بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإنّ القمر يطلع مع الفجر ليلة ستّ و عشرين و يطلع الصبح مع

(١) المصدر ج ١ ص ٢٤٩ ومثله فى الكافى ج ٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٢ .

غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر ، هذا هو الغالب و يتطرّق إليه تفاوت في بعض البروج و شرح ذلك يطول ، و تعلّم منازل القمر من المهمّات للمريد حتّى يطّلع به على مقادير الأوقات باللّيل وعلى الصبح » قال : « والزوال يعرف بزيادة ظلّ الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة المشرق إذ يقع للشخص ظلّ عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا يزال الشمس ترتفع و الظلّ ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن يبلغ الشمس منتهى ارتفاعها و هو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظلّ فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظلّ في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة مدركة بالحسّ دخل وقت الظهر ويعلم قطعاً أنّ الزوال في علم الله وقع قبله و لكن التكاليف لاترتبط إلّا بمايدخل تحت الحسّ ، و القدر الباقي من الظلّ الّذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء و يقصر في الصيف ، و منتهى طوله بلوغ الشمس أوّل الجدي و منتهى قصره بلوغها أوّل السرطان ويعرف ذلك بالأقدام و الموازين و من الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي باللّيل و يضع على الأرض لوحاً مربّعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهّمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثمّ توهّمت خطّاً من مسقط الحجر إلى الضلع الّذي يليه من اللّوح لقام الخطّ على الضلع على زاويتين قائمتين ، أي لايكون الخطّ مائلاً إلى أحد الضلعين

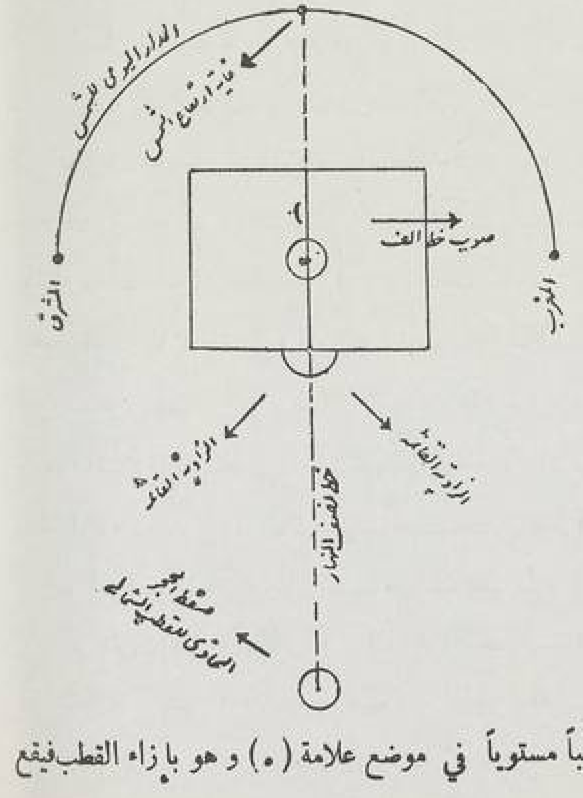

ثمّ تنصب عموداً على اللّوح نصباً مستوياً في موضع علامة (ه) و هو بإزاء القطب فيقع

ظلّه في أوّل النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خطّ (الف) ثمّ لايزال يميل إلى أن ينطبق على خطّ (ب) بحيث لومدّ رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر و يكون موازياً للضلع الشرقي و الغربي، غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع، فإذا انحرف الظلّ عن الخطّ الّذي على اللّوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس، وهذا يدرك بالحسّ تحقيقاً في وقت هوقريب من أوّل الزوال في علم الله».

أقول: و لتعرّف ذلك طرق اُخرى بعضها أوضح و أسهل ممّا ذكره و قد أوردنا طرفاً منها في كتابنا المعتصم.

مسألة: لايجوز التعويل على الظنّ في دخول الوقت مع التمكّن من العلم، و يجوز مع عدمه التعويل على الأمارات ولوانكشف فساد ظنّه أعاد على الأصح، وقيل: إن دخل الوقت و هو متلبّس بها ولو قبل التسليم لم يعد و عليه الأكثر، و من أدرك ركعة من آخر الوقت فقد أدرك الصلاة تامّة، فلو أدرك قبل الغروب أو الانتصاف مقدار خمس لزمته الفريضتان و كذا لو أدرك قبل الانتصاف مقدار أربع على مذهب الصدوق، ولو اشتغل بالعصر أو العشاء أوّلاً فإن ذكروهو في صلاته عدل بنيّته و إن فرغ أجزأته إن لم تقع في الوقت المختصّ بالاُولى و على قول الصدوق أجزأته مطلقاً.

مسألة: يكره التنفّل بعد دخول وقت الفريضة، سوى الرواتب في أوقاتها المخصوصة كما يأتي و الأكثر على تحريمه، و كذا القول في التنفّل لمن عليه فريضة ويكره ابتداء النافلة بعد صلاتي الصبح والعصرحتّى تطلع الشمس و تغرب و عند قيامها في غير يوم الجمعة أمّا ماله سبب كالطواف و الزيارة و تحيّة المسجد والاستسقاء فلابأس كذا في المشهور و ليس في الروايات قيد الابتداء ولا التنفّل بل مطلق الصلاة، نعم في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال: «أربع صلوات يصلّيهنّ الرّجل في كلّ ساعة صلاة فاتتك فمتى ذكرتها أدّيتها، وصلاة ركعتي طواف الفريضة، وصلاة الكسوف، و الصلاة على الميّت، هذه يصلّيهنّ الرجل في الساعات كلّها»[1].

(١) الكافي ج ٣ ص٢٨٨، والخصال ج ١ ص ١١٨، والفقيه ص ١١٦.

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام «خمس صلوات لايترك على كلّ حال : إذا طفت بالبيت ، و إذا أردت أن تحرم ، و صلاة الكسوف ، و إذا نسيت فصلّ إذا ذكرت ، و الجنازة (١) » .

قال أبوحامد : «في النهي عن أوقات الكراهية مهمّات ثلاثة : أحدها التوقّي عن مضاهاة عبدة الشمس ، والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وآله : «إنّ الشمس تطلع و معها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها ، فإذا ارتفعت فارقها ، فإذا استوت قارنها ، فإذا زالت فارقها ، فإذا تضيّفت للغروب قارنها ، فإذا غربت فارقها (٢) » ونهى عن الصلاة في هذه الأوقات و نبّه على العلّة ، و الثالث أنّ سالكي طريق الآخرة لايزالون يواظبون على الصلاة في جميع الأوقات ، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال ، ومهما منع منها ساعة زاد النشاط و انبعثت الدواعي ، و الإنسان حريص على مامنع منه ، ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريص وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصّصت هذه الأوقات بالتسبيح و الاستغفار حذراً من الملال بالمداومة وتفرّجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ، ففي الاستطراف و الاستحداد لذّة و نشاط و في الاستمرار على شيء واحد استثقال و ملال ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرّداً ولا ركوعاً مجرّداً ولاقياماً مجرّداً بل رتّبت العبادات من أعمال مختلفة و أذكار متباينة ، فإنّ القلب يدرك من كلّ عمل منها لذّة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملال ، فإذا كانت هذه اُموراً مهمّة في النهي عن أوقات الكراهية إلى غير ذلك من أسرار اُخر ، ليس في قوّة البشر الاطّلاع عليها والله و رسوله أعلم بها فهذه المهمّات لاتترك إلّا بأسباب مهمّة في الشرع مثل قضاء الصلوات ، و صلاة الاستسقاء و الخسوف و تحيّة المسجد فأمّا ماضعف منها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي» .

أقول : ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي (٣) في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : «تصلّى على الجنازة في كلّ ساعة إنّها ليست بصلاة ركوع و سجود إنّما تكره الصلاة عند

(١) التهذيب ج١ ص ١٨٤ ، والكافي ج٣ ص ٢٨٧ تحت رقم ٢ .

(٢) أخرجه النسائي ج ١ ص ٢٧٥.

(٣) المجلد الثالث ص ١٨٠ .

طلوع الشمس و عند غروبها الّتي فيها الخشوع و الرّكوع و السجود لأنّها تطلع بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان [١] و في رواية اُخرى عن الصادق عليه السلام «أنّ رجلاً قال له : إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان ؟ قال : نعم إنّ ابليس اتّخذ عرشاً بين السماء و الأرض فإذا طلعت الشمس و سجد في ذلك الوقت الناس قال إبليس لشياطينه : إنّ بني آدم يصلّون لي » رواه في الكافي [٢].

و في الفقيه[٣]، روى لي جماعة من مشائخنا عن أبي الحسين محمّد بن جعفر الأسدي

---

(١) ذكر فيه وجوه أحدها أن الشيطان ينصب قائماً فى وجه الشمس عند طلوعها لكون طلوعها بين قرنيه فيكون مستقبلا لمن يسجد للشمس فيصير عبادتهم له فنهوا عن الصلاة فى ذلك الوقت مخالفة لعبدة الشمس . وثانيها أن يراد بقرنيها حزباه اللذان يبعثهما لاغواء الناس ، يقال : هؤلاء قرناى أى امتى ومتبعى . وثالثها أنه من باب التمثيل شبه الشيطان فيما تسول لعبدة الشمس و يدعوهم الى معاندة الحق بذوات القرون التى يعالج الاشياء ويدافعها بقرونها . و رابعها يراد بالقرن القوة من قولهم أنا مقرن له أى مطيق والمختار هوالوجه الاول لمعاضدة الروايات . أقول : هذا البيان كان فى هامش نسخة الكافى الطبع الحجرى و نسبه الى المجلسى - رحمه الله - و لكن ليس فى مرآة العقول ولعله فى البحار أو كان للمجلسى الاول . وفى المرآة قوله عليه السلام : « بين قرنى الشيطان» قال فى النهاية : فيه أن الشمس تطلع بين قرنى الشيطان أى ناحيتى رأسه وجانبيه . و قيل : القرن : القوة أى حين تطلع يتحرك الشيطان ويتسلط فيكون كالمعين لها . وقيل : بين قرنيه اى امتيه الاولين والاخرين وكل هذا تمثيل لمن يسجد للشمس عند طلوعها فكان الشيطان سول له ذلك فاذا سجدلها كان كأن الشيطان مقترن بها . انتهى . و قال النووى فى شرح المسلم : أى حزبيه اللذين يبعثهما للاغواء . وقيل : جانبى رأسه فانه يدنى رأسه الى الشمس فى هذين الوقتين ليكون الساجدون لها كالساجدين له و يخيل لنفسه ولاعوانه أنهم يسجدون له وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط فى تلبيس المصلين انتهى . هذا اخرمافى المرآة ولشارح الخصال بالفارسية بيان لهذا الحديث طبع فى آخر مجلده الثالث فمن أراد الاطلاع فليراجع هناك .

(٢) المجلد الثالث ص ٢٨٩ تحت رقم ٨ .

(٣) ص ١٣٢ تحت رقم ٥ .

- رضي الله عنه - أنّه ورد عليه فيما ورد من جواب مسائله من محمّد بن عثمان العمري قدس سرّه و أمّا ماسألت من الصلاة عند طلوع الشمس و غروبها فلئن كان كما يقوله الناس إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان فما أرغم أنف الشيطان بشيء أفضل من الصلاة فصلّها وأرغم الشيطان » .

مسألة إذا صلّى مع النجاسة جاهلاً ولم يعلم بها حتّى خرج الوقت صحّت بلا خلاف بين أصحابنا و إن علم بها في الأثناء فإن أمكنه نزعه مع الستر أو تبديله أو تطهيره استمرّ و إلّا استأنف إلّا إذا استيقن سبقها على الصلاة فيستأنف مطلقاً ، وقيل بالتفصيل و إن استيقن السبق ، و قيل يستأنف مطلقاً مع سعة الوقت وإن علم بها بعد الفراغ فإن كان عالماً بها قبلها و لكنّه نسي فيجب عليه الإعادة مع بقاء الوقت دون خروجه ، و قيل : يعيد مطلقاً و عليه الأكثر ، و قيل : لايعيد مطلقاً و إن لم يكن علمها فلا يعيد مطلقاً و قيل : يعيد مع بقاء الوقت و ما اخترناه هو الّذي يقتضيه الجمع بين الأخبار الصحيحة ، و ما قالوه يقتضيه خصوص بعضها ، و إن لم يمكنه التطهير صلّى فيه كما في الأخبار الصحيحة و يجوز نزعه و الصلاة عرياناً قاعداً مومياً للخبرين المنجبر ضعفهما بالشهرة ولتعارض الستر والقيام واستيفاء الأفعال مع المانع لكنّ الأولى الأوّل وفاقاً لابن الجنيد ، وقيل : بل يجب النزع حتماً وليس بشيء .

مسألة من أحدث في الصلاة حدثاً بطلت صلاته و كذلك لو تكلّم ، أو تقهقه ، أو التفت فاحشاً ، أوفعل فعلاً كثيراً خارجاً عنها مع تعمّد الجميع والفعل القليل غيرمبطل و إن كره ، وكذا الكثير مع السهو إذا لم تنمح معه صورة الصلاة فتبطل ، و المرجع في القلّة و الكثرة إلى العرف لعدم التحديد في الشرع ، نعم كلّ ما ورد في الأخبار المعتبرة جواز فعله فهو في حيّز القليل كقتل البرغوث و الحيّة و العقرب و البقّة و النملة و الذباب ، و حمل الصبي الصغير و إرضاعه ، و الإشارة باليد و الإيماء بالرأس و رفع القلنسوة من الأرض و وضعها على الرأس ، و رمي الغير بالحصى طلباً لإقباله و التصفيق لذلك إلى غير ذلك .

و في الصحاح المستفيضة (١) : لو أنّ رجلاً رعف في صلاته و كان عنده ماء أو من يشير إليه بماء فيناوله فمال برأسه فغسله فليبن على صلاته ولا يقطعها و في بعضها ينفتل و يغسل أنفه و يعود في صلاته و إن تكلّم فليعد صلاته و حمل على ما إذا لم يكثر فمحى صورة الصلاة جمعاً بينها و بين الصحيح الآخر بحمله على الماحي .

مسألة من ترك ركناً من أركان الصلاة الخمسة عمداً أو سهواً بطلت صلاته إلّا أن يتداركه قبل الدخول في الآخر و كذا إن زاده على المشهور و لو شكّ فيه فإن كان محلّه باقياً أتى به و إلّا فقد مضت صلاته و من سها عن غير الركن تداركه قبل الدخول في الركن و يمضي بعده و يقضيه إن كان سجوداً أو تشهّداً أو قنوتاً و إلّا فلا ، و إن شكّ فيه أتى به إن كان في محلّه و مضى إن دخل في فعل آخر و من زاد ركعة عمّا زاد بطلت صلاته و إن كان سهواً وفيه قول آخر .

و إن نقص أتمّ و لو بعد الفراغ و فعل المنافي عند الصدوق للصحاح المستفيضة و الأكثر على وجوب الإعادة إن كان المنافيّ ممّا يبطل الصلاة عمداً وسهواً كالحدث والفعل الكثير الماحي للصورة للأخبار المعتبرة ويمكن حملها على الإستحباب ، وربما يخصّ بغير الرباعيّات .

مسألة من نسي سجدة واحدة أو التشهّد الأوّل إلى أن يركع أو تكلّم في الصلاة ناسياً أو سلّم في غير موضعه أو شكّ بين الأربع و الزيادة أو لم يدر زاد في صلاته أم نقص ، أو لم يدر زاد ركوعاً أم نقصه ، أو زاد سجدة أم نقصها و كان قد تجاوز محلّها ، أو قام أو قعد في غير محلّهما سجد سجدتي السهو المسمّيتين بالمرغمتين لإرغامهما الشيطان ، و قيل : و في كلّ زيادة و نقصان ، و محلّهما بعد التسليم كما في الصحاح المستفيضة (٢) وقيل : قبله للخبر و قيل : إن كان للنقصان فقبل و إن كان للزيادة فبعد للآخر و حملا على التقيّة وصورتهما في المشهور أن ينوي ثمّ يكبر ثمّ يسجد ثمّ يرفع رأسه ثمّ يسجد ثانية ، ثمّ يرفع رأسه و يتشهّد تشهّداً خفيفاً ثمّ يسلّم ويقول فيهما : «بسم الله و بالله اللّهمّ صلّ على

---

(١) راجع وسائل الشيعة أبواب قواطع الصلاة الباب الثاني .
(٢) راجع الوسائل أبواب الخلل الواقع في الصلاة الباب الثاني والثلاثون .

محمد و آل محمد» أو «بسم الله و بالله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته» والظاهر من الأخبار عدم وجوب ما عدا السجدتين.

مسألة من شك في عدد الثنائية أو الثلاثية أوالأولين من الرباعية، أولم يدر كم صلى مطلقاً بطلت صلاته على المشهور وجوز الصدوق البناء على الأقل أيضاً ولا يخلو من قوة و لو ظن أحد الطرفين بني عليه، وكذا في كل فعل ولو شك فيما زاد على الاثنتين من الرباعية بنى على الأكثر و أتم ثم احتاط بما شك فيه على المشهور، و للصدوق قول آخر، و المحتاط بها إن كانت واحدة تخير بين ركعتين من جلوس أو واحدة من قيام و إن كانت مرددة بين الركعة والركعتين صلى اثنتين من قيام و أخريين من جلوس، ولابد في صلاة الاحتياط من نية و إحرام و تشهد و تسليم لأنها منفردة.

مسألة لاشك للمأمومين مع حفظ الإمام ولا له مع حفظهم و يجوز رجوع الظان منهما إلى المتيقن، و الشاك إلى الظان، ولا حكم للشك مع كثرته فلايلتفت مطلقاً، بل يبني على وقوع المشكوك فيه و إن كان في محله، و يستحب لكثير السهو أن يطعن فخذه اليسرى باصبعه اليمنى المسبحة ثم يقول: «بسم الله و بالله و توكلت على الله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» فإنه يزجره ويطرده كذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

مسألة قال أبو حامد: «الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل[2] في العقل أوجهل بالشرع لأن امتثال أمر الله مثل امتثال أمر غيره و تعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد و من دخل عليه عالم فقام له فلو قال: نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضيلته متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه و يعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه و يكون معظماً إلا إذا قام لشغل آخر أوفي غفلة، و اشتراط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كالاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل و انتفاء باعث آخر سواه و قصد التعظيم به ليكون تعظيماً، فإنه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً، ثم هذه الصفات

---

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في المجلد الثالث من الكافي ص ٣٥٨ تحت رقم ٤.
(٢) الخبل - بالتحريك - نقصان في العقل وفساد فيه.

لابدّ و أن تكون معلومة و أن تكون مقصودة ، ثمّ لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة و إنّما يطول نظم الألفاظ الدالّة عليها إمّا تلفّظاً باللّسان و إمّا تفكّراً بالقلب فمن لم يفهم نيّة الصلاة على هذا الوجه فكأنّه لم يفهم النيّة فليس فيه إلّا أنّك دعيت إلى أن تصلّي في وقت فأجبت و قمت فالوسوسة محض الجهل فإنّ هذه القصود و هذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة و لا تكون مفصّلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس و تتأمّلها و فرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضادّ للعزوب و للغفلة و إن لم يكن مفصّلاً فإنّ من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة و هذا العلم يتضمّن علوماً هي حاضرة و إن لم تكن مفصّلة ، و إنّ من علم الحادث فقد علم الموجود و المعدوم ، والتقدّم و التأخّر و الزمان ، و أنّ التقدّم للعدم و أنّ التأخّر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أنّ العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له : هل علمت التقدّم قطّ أو التأخّر أوالعدم أو تقدّم العدم أو تأخّر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدّم و المتأخّر ؟ فقال : ما عرفته قطّ كان كاذباً و كان قوله مناقضاً لقوله : إنّي أعلم الحادث و من الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس ، فإنّ الموسوس يكلّف نفسه أن يحضر في قلبه الظهريّة والأدائيّة و الفرضيّة في حالة واحدة فيفصّلها بألفاظها و هو يطالعها و ذلك محالٌ و لو كلّف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذّر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس ، و هو أن يعلم أنّ امتثال أمر الله في النيّة كامتثال أمر غيره ثمّ أزيد عليه على سبيل التسهيل و الرُخصة ، وأقول : لو لم يفهم الموسوس النيّة إلّا بإحضار هذه الأُمور مفصّلة و لم يتمثّل في نفسه الامتثال دفعة واحدة فأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوّله إلى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير إلّا و قد حصلت النيّة كفاه ذلك و لا يكلّفه أن يقرن الجميع بأوّل التكبير أو آخره فإنّ ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأوّلين سؤال عنه و لوسوس واحد من الصحابة في النيّة فعدم وقوع ذلك دليل على أنّ الأمر على التساهل فكيف ما تيسّرت النيّة للموسوس ينبغي أن يقنع به حتّى يتعوّد ذلك و يفارقه الوسوسة ولايطالب نفسه بتحقيق ذلك فانّ التحقيق يزيد فيه .

و قد ذكرنا في الفتاوي وجوهاً من التحقيق في تفصيل العلوم و القصود المتعلّقة بالنيّة يفتقر العلماء إلى معرفتها فأمّا العامل فربما يضرّه سماعها و يهيّج عليه الوسواس فلذلك تركنا ذكرها ».

﴿ الباب السابع ﴾

(في سائر الصلوات)

أقول : و هي عندنا قسمان فرائض و نوافل :

القسم الاول الفرائض و هي خمس الأولى صلاة العيدين قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل بن درّاج : « صلاة العيدين فريضة »[١] .

و يشترط فيهما مايشترط في الجمعة سوى الخطبتين فإنّ الأصحّ عدم اشتراطهما فيها لاستحبابهما و عدم وجوب استماعهما و هما بعد الصلاة هنا و تقديمهما بدعة .

و كيفيّتهما مثل كيفيّة خطبتي الجمعة غير أنّ الإمام يذكر في خطبة الفطر ما يتعلّق بالفطرة من الشرائط والقدر والوقت وفي الأضحى مايتعلّق بالأضحيّة ، ومع اختلال الشرائط يستحبّ الإتيان بها فرادى و في جواز الجماعة فيها حينئذ نظر والأحوط المنع .

و يستحبّ الإصحار[٢] بها في غير مكّة و مباشرة الأرض و السجود عليها و أن يطعم قبل خروجه في الفطر وبعد عوده في الأضحى ممّا يضحّى به ، و أن يخرج بعد الغسل متطيّباً غير العجائز فإنّهنّ يخرجن تفلات[٣] ، لابساً أحسن ثيابه ، ماشياً حافياً على سكينة ووقار ، ذاكراً الله تعالى ، داعياً بالمأثور ، متعمّماً متردّياً وهماهنا آكد ، ذاهباً من طريق ، عائداً بآخر ، و أن يقول المؤذّن بأرفع صوته عند القيام إليها : الصلاة ثلاثاً .

ثمّ يصلّي الإمام بالناس ركعتين يقرأ في الأولى الشمس وفي الثانية الغاشية ، وفي رواية في الأولى الأعلى وفي الثانية الشمس ، فإذا فرغ من القراءة في الأولى كبّر ثمّ رفع

(١) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١ .

(٢) الاصحار : الاجهار و كونها في الصحراء .　　(٣) أي غير متطيبات .

يديه و يقول : « اللّهمّ أهل الكبرياء و العظمة ، وأهل الجود و الجبروت ، و أهل العفو والرّحمة ، و أهل التقوى و المغفرة ، أسألك بحقّ هذا اليوم الّذي جعلته للمسلمين عيداً و لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ذخراً و كرامة ومزيداً أن تصلّي على محمّد و آل محمّد ، وأن تدخلني في كلّ خير أدخلت فيه محمّداً وآل محمّد ، و أن تخرجني من كلّ سوء أخرجت منه محمّداً و آل محمّد صلواتك عليه وعليهم ، اللّهمّ إنّي أسألك خير ما سألك عبادك الصالحون وأعوذ بك ممّا استعاذ منه عبادك الصالحون » .

و إن أضاف إليه ما أورده في الفقيه [١] من الزوائد فهو أفضل ، ثمّ يكبّر ثانية وثالثة ورابعة و خامسة ، و يأتي بعد كلّ منها بالدّعاء المذكور رافعاً يديه . ثمّ يكبّر للرّكوع فيركع ويسجد سجدتين ، ثمّ يقوم إلى الثانية ويصنع كما صنع في الاولى إلّا أنّه يكبّر أربعاً عقيبها أربع قنوتات .

و في بعض الرّوايات [٢] أنّ التكبيرات والقنوتات قبل القراءة و إليه ذهب جماعة و حمله آخرون على التقيّة لموافقته لمذهب العامّة .

فإذا فرغ من الصلاة أتى بدعاء زين العابدين عليه السلام المذكور في الصحيفة الكاملة [٣] .

و ينبغي أن يكبّر في الفطر عقيب أربع صلوات أوّلها المغرب و آخرها صلاة العيد يقول : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلّا الله والله أكبر ، و لله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا » و في الأضحى عقيب خمس عشرة أوّلها الظهر يوم النحر لمن كان بمنى و عقيب عشرة لغيره ويزيد على المذكور « الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، و الحمد لله على ما أولانا » .

و يكره الخروج بالسلاح والتنفّل في ذلك اليوم إلى الزّوال إلّا ركعتين في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة والسفر بعد طلوع الفجر ، أمّا بعد طلوع الشمس فحرام لاستلزامه

(١) ص ١٣٥ تحت رقم ٣٠و٣٧ .

(٢) راجع وسائل الشيعة باب كيفية صلاة العيدين .

(٣) الدعاء الثامن والاربعون .

الإخلال بالواجب .

و إذا اجتمع عيد وجمعة تخيّر من صلّى العيد في حضور الجمعة وعدمه ، كما ورد في الصحيح عن الصادق عليه السلام ، و رواه العامّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله [(١)] ، و قيل : بل يجب الحضور ، و قيل : يختصّ التخيير بمن كان منزله بعيداً ، والأوّل أصحّ .

ويستحبّ إحياء ليلتي العيدين بالصلاة والدعاء والذكر .

فعن النبيّ صلى الله عليه وآله «من أحيى ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم يموت القلوب» [(٢)] .

وعن عليّ عليه السلام «أنّه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة وهي أوّل ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة النحر» [(٣)] .

قال الشهيد ـ رحمه الله ـ : تحصل فضيلة الإحياء بمعظم اللّيل تنزيلاً لأكثر الشيء منزلته .

و عن ابن عبّاس : الإحياء أن تصلّي العشاء في الجماعة .

و يستحبّ الغسل ليلة الفطر والأضحية يوم الأضحى أوبعده إلى يومين و قيل : بوجوبها و في الصحيح الأضحيّة واجبة على من وجد من صغير أو كبير وهي سنّة [(٤)] و في رواية « سئل فما ترى في العيال؟ قال : إن شئت فعلت وإن شئت لم تفعل فأمّا أنت فلا تدعه» [(٥)] .

و من لم يجد ينبغي أن يتصدّق بثمنها و يقول عند الذبح : « وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات ـ إلى قوله ـ : و أنا من المسلمين ، اللّهمّ منك و لك بسم الله والله أكبر ، اللّهمّ تقبّل منّي » و إن أشرك فيها أحداً يقول : اللّهمّ هذا عنّي وعن فلان ، روي « أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ضحّى بكبش و ذبح بيده و قال : بسم الله و الله أكبر هذا منّي و من لم يضحّ من أمّتي » [(٦)] .

---

(١) راجع الفقيه ص ١٣٥ تحت رقم ٢٠ وسنن ابن ماجه تحت رقم ١٣١٠ وبعده.

(٢) ثواب الاعمال ص ٧٤ .

(٣) قرب الاسناد ص ٢٦ ومصباح المتهجد ص ٤٥٠ .

(٤) و (٥) الفقيه ص ٢٧٣ تحت رقم ١و٢ .

(٦) فى الفقيه «ضحى رسول الله صلى الله عليه و آله بكبشين ذبح واحداً بيده فقال: اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أهل بيتى وذبح الاخر فقال : اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من امتى» .

و يا كل منها و يطعم إخوانه والفقراء ولابأس بادّخارلحمها ولو بعد ثلاثة أيّام و تحريمه منسوخ .

قال بعض علمائنا : [١] و أمّا العيد فأحضرفي قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة و إفاضة المواهب على من قبل صومه وقام بوظائفه ، فأكثر من الخشوع في صلاتك و الابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها و بعدها في قبول أعمالك ، و العفوعن تقصيرك و استشعر الحياء والخجلة من حيرة الردّ وخذلان الطرد ، فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد و إنّما هو عيد من أمن من الوعيد وسلم من النقاش و التهديد و استحقّ بصالح أعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف والتنظيف والتطييب وغيره من أسباب التهيّؤ للإقبال بالقلب على ربّك والوقوف بين يديه عسى أن تصلح للمناجاة و الخضوع لديه ، فإنّه مع ذلك يوم شريفٌ ، و زمانٌ منيف ، يقبل فيه خير الأعمال ، و تستجاب فيه الدعوات ، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله ، و لم يجعل عيداً بسببه من المأكل والمشرب و اللّباس و غير ذلك من متاع الدنيا ، و إنّما هو عيد لكثرة عوائد الله تعالى فيه على من عامله بمتاجر الآخرة .

❊(الثانية)❊

﴿ صلاة الايات ﴾

قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل : « وصلاة الخسوف فريضة » [٢] وتجب بكسوف أحد النيّرين و الزلزلة والأصحّ وجوبها للرياح المظلمة و غيرها من أخاويف السماء المخوّفة لعامّة الناس كما يستفاد من الصحاح ، و قيل : بل يستحبّ لذلك ، وقيل : يجب للريح المخوّفة والظلمة الشديدة خاصّة ، و يشترط فيها زيادة على شرائط الصلوات العلم بالآية لاستحالة تكليف الغافل ، نعم يجب القضاء في الكسوفين مع الاستيعاب إذا لم يعلم وهو فرض مستأنف وهي عشر ركعات وأربع سجدات يكبّر ويقرأ الحمد وسورة ثمّ يركع ثمّ يرفع رأسه ويقرأ الحمد وسورة وهكذا إلى خمس مرّات ، ثمّ يسجد سجدتين ، ثمّ

(١) اسرار الصلاة ص ٢٢٣ .

(٢) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١ .

يوم ويفعل مثل ذلك ، وإن شاء أن يفرّق سورة واحدة على كلّ من الخمس جاز ، ولا يقرأ الحمد حينئذ إلّا في الاولى و السادسة .

و يستحبّ الغسل لها مع استيعاب القرص ، أداء كانت أو قضاء ، و أن يصلّي تحت السماء جماعة و أن يطيلها بقدر الآية و أن يكون سجوده بقدر ركوعه و قراءته و أن يعيدها إن فرغ قبل الانجلاء أو يدعو حتّى ينجلي ، و أن يقول عند الزلزلة : « إنّ الله يمسك السماوات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً » و يدعو و يكبّر عند الرياح رافعاً بهما صوته .

قال بعض علمائنا [1] : و أمّا الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة و زلازلها و تكوير الشمس والقمر و ظلمة القيامة ، و وجل الخلائق والتجاءهم و اجتماعهم في تلك العرصة و خوفهم من الأخذ و النكال و العقوبة و الاستيصال ، فأكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخشوع والخضوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة ، و المسامحة على الهفوة والزلّة ، وتب إلى الله من جميع ذنوبك و أحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس ، مطرق الرأس ، مستحيي من التقصير ، فيقبل توبتك و يسامح هفوتك ، فإنّه يقبل القلوب المنكسرة ، و يحبّ النفوس الخاشعة و الأعناق الخاضعة و التململ من ثقل الأوزار و الحذر من منقلب الاصرار .

أقول : روي في الفقيه [2] عن سيّد العابدين عليه السلام أنّه قال في حديث له : « أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلّا من كان من شيعتنا فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله تعالى و راجعوه » .

قال : وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تبارك و تعالى ، تجريان بتقديره ، و تنتهيان إلى أمره ، لا تنكسفان لموت أحد و لا لحياة أحد فإذا انكسف أحدهما فبادروا إلى مساجدكم » [3] .

و انكسفت الشمس على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصلّي بهم حتّى كان الرجل ينظر

(١) اسرار الصلاة ص٢٢٣ .
(٢) الفقيه ص ١٤١ تحت رقم ١ .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٦٣ .

إلى الرجل قد ابتلّت قدمه من عرقه(١)».

وسأل عبد الرحمن بن أبي عبدالله عن الريح و الظلمة تكون في السماء والكسوف، فقال الصادق عليه السلام: «صلاتهما سواء(٢)» وفي العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: «إنّما جعلت للكسوف صلاة لأنّه من آيات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت أم العذاب، فأحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله أن يفزع اُمّته إلى خالقها و راحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرّعوا إلى الله عزّ وجلّ»(٣).

(الثالثة)

﴿ صلاة الطواف ﴾

و هي ركعتان بعده، واجبتان مع وجوبه مستحبّتان مع استحبابه، و القول باستحبابهما مطلقاً شاذّ، قال الله تعالى: «واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى»(٤) ويستحبّ أن يقرأ فيهما بالتوحيد و الجحد كما ورد في الأخبار(٥).

قال بعض علمائنا: (٦) و أمّا صلاة الطواف فاستحضر عندها جلالة البيت بجلالة ربّ البيت، و اعلم أنّك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق و الحاكم المحقّق فإنّه و إن كان في جميع أحوالك مطّلع على سريرتك محيط بباطنك وظاهرك، لكن الحال في ذلك الموطن أقوى و المراقبة فيه أتمّ و أولى، والغفلة ثمّة أصعب و أدهى، و أين المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيّه و بين النائي عنه و البعيد منه ؛ و إن كان علمه شاملاً للجميع و محيطاً بالكلّ فليزد ذلك في خشوعك و إقبالك، و ليحذر بسبب ذلك من إعراضك و إهمالك، و من ثمّة كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً والحسنة أيضاً فيها مضاعفة، و تفكّر فيمن سبق من الأنبياء المقرّبين و الأولياء الصالحين فترى آثارهم و قربهم و ما أورثهم عملهم و حبّهم من السعادة المخلّدة و النعمة المؤبّدة المجدّدة

(١) الى(٣) الفقيه ص ١٤٢ تحت رقم ٣ و٤ و٥ .

(٤) البقرة : ١٢٥ .

(٥) الكافي ج ٤ ص ٤٢٣ .

(٦) يعني الشهيد في اسرار الصلاة ص ٢٢٤ .

على مرّ الدهور، المطّردة على كرّ العصور وتأسّ بهم في الأعمال و كمال الإقبال وليكن ذلك و نظائره مقدّمة على الصلاة لا مقارنة، فإنّ وظيفة الصلاة هي الإقبال بها خاصّة، و ترقّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج.

❁(الرابعة)❁

﴿ صلاة الجنازة ﴾

و فرضها كفائيٌّ يسقط عن جميع المطّلعين بفعل بعضهم وهي خمس تكبيرات بينهنّ أربع دعوات بعد النيّة و الاستقبال، و جعل رأس الجنازة إلى يمين المصلّي في غير المأموم، و وضع الميّت مستلقياً بحيث لو اضطجع على يمينه كان بإزاء القبلة، بعد التغسيل و التكفين.

و يستحبّ فيها الطهارة، و رفع اليدين في كلّ تكبيرة سيّما الأولى، و وقوف الإمام عند وسط الرجل و صدر المرأة، و يتقدّم الرجل هنا و لو كان المأموم واحداً، و أن يؤمّ أولى الناس به أو يأمر من يحبّ إلّا أن يوصي الميّت ذلك لغيره، و أن يخلع نعليه ويقف بعد الفراغ حتّى ترفع الجنازة وأن يصلّي في المواضع المعتادة ليكثر المصلّون، ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام «إذا مات الميّت فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا: «اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً و أنت أعلم به منّا» قال الله تبارك و تعالى قد أجزت شهادتكم و غفرت له ما أعلم ممّا لا تعلمون»[١].

و من أدرك الإمام في الأثناء تابعه و أتمّ التكبيرات بعد فراغه متتابعاً كما ورد في الأخبار الصحيحة [٢].

و الأصحّ عدم تعيين لفظ في الدعاء لاختلاف الأخبار فيه و لما ورد بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس فيها دعاء موقّت تدعو بما بدا لك»[٣] خلافاً لجمع من المتأخّرين حيث أوجبوا الشهادتين عقيب الأولى، والصلاة على النبيّ وآله عقيب الثانية،

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٤ .
(٢) راجع الفقيه ص ٤٢ تحت رقم ٢٦ .
(٣) الكافي ج ٣ ص ١٨٥ تحت رقم ١ .

و الدعاء للمؤمنين عقيب الثالثة ، و للميّت عقيب الرابعة و بعض قدمائنا جعل الأفضل جمع الأذكار الأربعة عقيب كلّ تكبيرة و هو أقرب إلى الاحتياط و الأخبار المعتبرة ، و الأولى أن يعمل بصحيح أبي ولّاد عن الصادق عليه السلام[1] و هو «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد ، اللّهمّ إنّ هذا المسجّى قدّامنا عبدك ابن عبدك و قد قبضت روحه إليك و قد احتاج إلى رحمتك و أنت غنيّ عن عذابه ، اللّهمّ ولا نعلم من ظاهره إلّا خيراً و أنت أعلم بسريرته ، اللّهمّ إن كان محسناً فضاعف في إحسانه و إن كان مسيئاً فتجاوز عن إساءته» يكرّره بين كلّ تكبيرتين .

و إن كان مستضعفاً يقول بعد الصلاة على النبيّ و آله و الدعاء للمؤمنين : «اللّهمّ اغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم» .

وإن كان مجهولاً يقول : «اللّهمّ هذه النفوس أنت أحييتها وأنت أمتّها اللّهمّ ولّها ما تولّت و احشرها مع من أحبّت» .

و للطفل يقول : «اللّهمّ اجعله لأبويه و لنا سلفاً و فرطاً وأجراً» .

و إن كان جاحداً للحقّ يقول : «اللّهمّ املأ جوفه ناراً و قبره ناراً و سلّط عليه الحيّات و العقارب» .

و عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «مات رجل من المنافقين فخرج الحسين بن عليّ عليهما السلام يمشي فلقي مولى له فقال له : إلى أين تذهب ؟ فقال : أفرّ من جنازة هذا المنافق أن أصلّي عليه ، فقال له الحسين عليه السلام : قم إلى جنبي فماسمعتني أقول فقل مثله قال : فرفع يديه فقال : «اللّهمّ اخز عبدك في عبادك وبلادك ، اللّهمّ أصله أشدّ نارك ، اللّهمّ أذقه حرّ عذابك ، فإنّه كان يوالي أعداءك و يعادي أولياءك ويبغض أهل بيت نبيّك»[2] .

أقول : ويقتصر حينئذ على أربع تكبيرات ، هكذا جرت السنّة .

وتجوز الصلاة الواحدة على الجنائز المتعددة بلا خلاف و في العكس أقوال .

والأخبار في فضل الصلاة على الجنازة و تشييعها و تربيعها كثيرة و سنذكر بعضها

---

(١) الكافي ج ٣ ص ١٨٤ تحت رقم ٣ .

(٢) الفقيه ص ٤٣ تحت رقم ٤٦ ، والكافي ج ٣ ص ١٨٨ تحت رقم ٢ .

في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ربع العادات .

قال بعض علمائنا [١]: وأمّا الجنازة فأحضر عند مشاهدتها و وضعها بين يديك ما قد خلّفته من الأهل و الأولاد و تركته من الأموال وقدمت على الله صفر اليد ، لم يصحبها إلّا الأعمال الصالحة و ما تاجرته من أعمال الآخرة الرابحة وتأمّل بهجته كيف ذهبت و جلدته كيف تحوّلت ، و عن قريب يمحو التراب صورته ، و تزيل الأرض بهجته ، و ما قد حصل له من يتم أولاده و ترمّل نسائه و تضيّع أمواله ، و خلوّ مسجده و مجلسه و انقطاع آثاره ، بعد طول أمله و كثرة حيله و انخداعه بمؤاتاة الأسباب ، و غفلته عن الدخول في هذا التراب ، و القدوم على ما سطر عليه في الكتاب ، و ركونه إلى القوّة و الشباب ، و اشتغاله عمّا بين يديه من الموت الذريع و الهلاك السريع ، و كيف كان يتردّد و يشيّع غيره من الأموات ، و الآن قد تهدّمت رجلاه و مفاصله و كيف كان ينطق و قد فسد لسانه ، و كيف كان يضحك و قد تغيّرت أسنانه ، و كيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلّا شهراً و أقلّ ، و هو غافلٌ عمّا يراد به حتّى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فقرع سمعه نداء الجبّار إمّا بالجنّة أو النار ، و لينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته و سيكون عاقبته كعاقبته فلينهض حينئذ إلى الاستعداد و ليشتغل با كثار الزاد ، فإنّ المسافة بعيدة ، و العقبة كؤودٌ ، و الخطر شديدٌ ، و الندامة بعد الموت غير نافعة فهذا الفكر وأمثاله يحصّل قصر الأمل و الاستعداد بصالح العمل ، و محلّه خارج الصلاة كما مرّ .

✡(الخامسة)✡

الصلاة الّتي أوجبها المكلّف على نفسه بنذر أو يمين أو عهد فإنّه يجب عليه الإيفاء بها حسبما شرطه كمّاً و كيفاً ومكاناً و زماناً ما لم يكن الشرط منافياً لحقيقة الصلاة و لو لم يكن له مزيّة ففي انعقاده قولان أصحّهما ذلك و في الإجزاء بالإتيان بها بدونه وجهان قال الله تعالى : «أوفوا بالعقود [٢]» وقال : « يوفون بالنذر [٣]» و قال : «ولاتنقضوا

(١) يعني الشهيد في اسرار الصلاة ص٢٢٥ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) الدهر : ٦ .

الأيمان بعد توكيدها »[1] إلى غير ذلك .

قال بعض علمائنا : و أمّا صلاة النذر و العهد و نحوهما فليستشعر قبولها و الرغبة في القيام بها و الإهتمام بشأنها وفاء لعهد الله و امتثالاً لأمره و لا يرم بها توهّماً أنّها ليست واجبة بالأصالة فقد لحقت بمثلها في العظمة و الجلالة و ليمثّل في نفسه أنّه لو عاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال بحيث يكون فعله له بمرأى منه و مسمع كيف يكون إقباله على عمله و اجتهاده في إصلاحه و إتقانه ، و امتلاء قلبه منه ومراقبته لنظر الملك بمجرّد الوعد فضلاً عن توكيده بالعهد فلا يجعل نظر الله سبحانه دون نظر عبده فإنّ ذلك عنوان النفاق و انموذج الشرك .

قال : و هكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها و يقوم بمرتبتها وأدبها و لا يقتصر على ما بيّناه من الوظائف بل يترقّى بنظره إلى ما يفتح الله عليه من المعارف فإنّ أبواب الفيض مفتوحة ، و أنوار الجود هابطة مبذولة ، واصلة إلى النفوس الإنسانيّة على قدر استعدادها .

﴿ القسم الثانی ﴾

(النوافل وهي يومية وغير يومية)

أمّا اليوميّة فهي أربع و ثلاثون ركعة في كلّ يوم و ليلة ضعف الفرائض يكون معها إحدى و خمسين ركعة ، و قد ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام « أنّ علامات المؤمن خمس : صلاة الإحدى والخمسين و زيارة الأربعين وتعفير الجبين و التختّم باليمين و الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »[2] .

يصلّي ثمان إذا زالت ، وثمان بعد الظهر ، و أربع بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء تعدّان بواحدة ، و ثلاث عشرة ركعة بعد انتصاف اللّيل إلى الفجر الثاني ، منها ركعتان نافلة الفجر و في بعض الصحاح أقلّ من ذلك بإسقاط أربع بعد الظهر و ركعتين بعد

---

(١) النحل : ٩١ .

(٢) التهذيب ج ٢ ص ١٧ .

المغرب و الّلتين بعد العشاء ، و حمل على ما يتأكّد فيه الاستحباب من ذلك .

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « لاتصلّ أقلّ من أربع وأربعين ركعة (١) » ، يعني مع الفريضة .

و في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال بعد عدّ النوافل : « إنّما هذا كلّه تطوّع وليس بمفروض ، إنّ تارك الفريضة كافر ، و إنّ تارك هذا ليس بكافر و لكنّها معصية لأنّه يستحبّ إذا عمل الرجل عملاً من الخير أن يدوم عليه (٢) » .

و الإتيان بالنوافل يقتضي تكميل ما نقص من الفرائض بترك الإقبال بها ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام : « أنّ العبد ليرفع له من صلاته ثلثها و ربعها و خمسها فما يرفع له إلّا ما أقبل منها بقلبه ، و إنّما اُمروا بالنوافل ليتمّ لهم ما نقصوا من الفريضة (٣) » .

و الأخبار في فضل التهجّد و صلاة الّليل كثيرة و سنذكر نبذاً منها في كتاب ترتيب الأوراد إن شاء الله .

و من فاته صلاة الّليل فقام قبل الفجر ، فصلّى الوتر و سنّة الفجر كتبت له صلاة الّليل كذا في الصحيح عن الصادق عليه السلام (٤) .

و المراد بالوتر الركعات الثلاث والتسليم بعد اُوليها لاينبغي تركه ، و إن ضاق الوقت عن الخمس اقتصر على ركعتي الفجر ، وإن تلبّس بأربع من صلاة الّليل فطلع الفجر أتمّها ، و يجوز الإتيان بجميعها أيضاً بعد الفجر أحياناً و لا تتّخذ ذلك عادة ، و كلّما خاف ضيق الوقت خفّف بالاقتصار على الحمد .

و يستحبّ الاستغفار في قنوت مفردة الوتر مائة مرّة أو سبعين و إطالة الدعاء و الذكر فيه بالمأثور كما هو مذكور في مظانّه .

---

(١) التهذيب ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ١٣٥ .

(٣) مرسابقاً وروى بنحوه القاضي نعمان في دعائم الاسلام كمافي المستدرك ج ١ ص ١٧٧ . وفي المحاسن ص ٢٩ أيضاً وكذا في التهذيب ج ١ ص ٢٣٣ .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٢٣٢ و٢٣٣ .

وفي الفقيه(١)، قال أبي - رضي الله عنه - في رسالته إليّ : اعلم يا بنيّ إنّ أفضل النوافل ركعتا الفجر و بعدهما ركعة الوتر و بعدها ركعتا الزوال و بعدهما نوافل المغرب و بعدها تمام صلاة اللّيل و بعدها تمام نوافل النهار».

و فيه «قال الصادق عليه السلام : كلّما فاتك باللّيل فاقضه بالنهار ، قال الله تبارك وتعالى : « و هو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً »(٢) يعني أن يقضي الرجل ما فاته باللّيل بالنهار و ما فاته بالنهار باللّيل ، « واقض ما فاتك من صلاة اللّيل أيّ وقت شئت من ليل أو نهار ما لم يكن وقت فريضة »(٣) .

و قال الصادق عليه السلام : « قضاء صلاة اللّيل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمّد المخزون »(٤) .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ الله تبارك و تعالى يباهي ملائكته بالعبد يقضي صلاة اللّيل بالنهار فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترضه عليه أشهد كم أنّي قد غفرت له »(٥) .

و روى بريد بن معاوية العجليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « أفضل قضاء صلاة اللّيل في الساعة الّتي فاتتك آخر اللّيل ، و ليس بأس أن تقضيها بالنهار و قبل أن يزول الشمس » انتهى كلام الفقيه(٦) .

و يجوز تقديم صلاة اللّيل أوّل اللّيل في السفر وعند الضرورة إلّا أنّ القضاء أفضل منه عند أهل البيت عليهم السلام و سيأتي بيان كيفيّة صلاة النوافل و آدابها في كتاب ترتيب الأوراد من هذا الربع إن شاء الله .

و يزيد في رواتب يوم الجمعة أربع ركعات لأنّه نقص من فريضة ركعتين فيصلّي فيه عشرين ركعة ، و الأخبار في توزيعها مختلفة ففي بعضها ستّ ركعات ارتفاع النهار ، و ستّ ركعات قبل نصف النهار ، ور كعتين إذا زالت الشمس قبل الجمعة ، وستّ ركعات

---

(١) ص ١٣ باب أفضل النوافل .
(٢) الفرقان : ٦٢.
(٣) الى (٦) الفقيه ص١٣٢ رقم١و٦و ٧ .

بعد الجمعة . و في بعضها غير ذلك ، و منها ما يدلّ على أزيد من ذلك ، و منها ما يدلّ على أقلّ ، و منها ما يدلّ على أنّه قبل الفريضة أفضل . و في خبر أنّها بعدها أفضل و هو محمول على ما إذا لم يصلّها حتّى دخل وقت الفريضة و العمل بمضمون الكلّ حسن .

و يزيد في شهر رمضان على هذه الرواتب ألف ركعة على المشهور بين أصحابنا لأخبار مستفيضة بذلك و هي مختلفة في توظيفها و توزيعها على اللّيالي و أنكره الصدوق رحمه الله و له أخبار صحيحة[1] .

و لكلّ ليلة من ليالي هذا الشهر المبارك و أخويه رجب و شعبان صلاة خاصّة زيادة على الرواتب و الألف مذكورة في مظانّها .

✡(و أما غير اليومية)✡

فمنها صلاة تحيّة المسجد عند دخوله إذا لم يكن وقت صلاة فإن اشتغل بفرض أو قضاء أو راتبة تأدّى به التحيّة و حصل الفضل ، إذ المقصود أن لايخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصّة بالمسجد قياماً لحقّه ، و لهذا يكره دخوله على غير وضوء .

و منها صلاة الاستسقاء ، و هي مستحبّة عند غور الأنهار ، و فتور الأمطار استحباباً مؤكّداً ، و هي ركعتان و خطبتان بعدهما على هيئة العيدين بعينها إلّا أنّه يذكر في قنوتاته و خطبته ما يناسب نزول المطر و أفضله المأثور عن أهل البيت عليهم السلام .

و في الفقيه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا استسقى قال : « اللّهمّ اسق عبادك وبهائمك ، و انشر رحمتك ، واحي بلادك الميتة »[2] يردّدها [ثلاث] مرّات .

ويستحبّ فيه الغسل وصيام الناس ثلاثة أيّام ، و خروجهم يوم الثالث ، و كونه الاثنين و إلى الصحراء حفاة على سكينة و وقار بين أيديهم المؤذّنون وإخراجهم الشيوخ و الأطفال و العجائز و البهائم معهم ، و تفريقهم بين الأطفال و أمّهاتهم ليكثر البكاء والعجيج ولمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لولاصبيان رضّع ومشايخ ركّع وبهائم

---

(١) راجع الفقيه ص ١٨٦ باب الصلاة فى شهر رمضان .
(٢) المصدر ص ١٣٩ رقم ١٥ .

رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً »[١] .

قيل : ولو خرج أهل الذّمّة متميّزين لم يمنعوا وإذا فرغ الإمام من الخطبتين أو كان في أثناء الثانية يقلّب رداءه فيجعل الّذي على يمينه على يساره وبالعكس تفألاً بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ثمّ يستقبل القبلة فيكبّر الله مائة تكبيرة ثمّ يلتفت إلى الناس عن يمينه فيسبّح الله مائة تسبيحة ، ثمّ يلتفت إليهم عن يساره فيهلّل الله مائة تهليلة ، ثمّ يستقبل الناس فيحمد الله مائة تحميدة ، في كلّ ذلك يرفع صوته ، ثمّ يرفع يديه فيدعو ، ثمّ يدعون ، ويكرّر الخروج لو تأخّرت الإجابة .

قال أبو حامد : « ولا بأس بالدّعاء إدبار الصلوات في الأيّام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدّعاء آداب وشروط باطنة من التوبة وردّ المظالم وغيرهما وسيأتي ذلك في كتاب الدّعوات » .

ومنها صلاة جعفر بن أبي طالب ويسمّى بصلاة التسبيح ، وصلاة الحبوة وهي من وكيد النوافل وشهيرها بين العامّة والخاصّة .

روى في التهذيب[٢] بإسناده الصحيح « عن بسطام عن الصادق عليه السلام أنّه قال له رجل : جعلت فداك أيلتزم الرّجل أخاه ؟ فقال : نعم إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم فتح خيبر أتاه الخبر أنّ جعفراً قد قدم فقال : والله ما أدري بأيّهما أنا أشدّ سروراً بقدوم جعفر أو فتح خيبر ، قال : فلم يلبث أن جاء جعفر قال : فوثب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فالتزمه و قبّل ما بين عينيه قال : فقال له الرّجل : الأربع ركعات الّتي بلغني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر جعفراً أن يصلّيها ؟ فقال : لمّا قدم عليه قال له : يا جعفر ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ؟ قال : فتشرّف الناس و رأوا أنّه يعطيه ذهباً أو فضّة ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : صلّ أربع ركعات متى ما صلّيتهنّ غفر الله لك ما بينهنّ ، إن استطعت كلّ يوم وإلّا فكلّ يومين أو كلّ جمعة أو كلّ شهر أو كلّ سنة فإنّه يغفر لك ما بينهما ، قال : كيف أصلّيها ؟ قال : تفتتح الصلاة ثمّ تقرأ ثمّ يقول : خمس عشرة مرّة و أنت قائم : « سبحان الله و الحمد لله

(١) أخرجه البيهقي في شعب الايمان والطبراني عن مسافع الديلمي كما في الجامع الصغير باب اللام .

(٢) المجلد اول ص ٣٠٧ حسب ما رقمناه .

ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإذا ركعت قلت ذلك عشراً ، و إذا رفعت رأسك فعشراً ، وإذا سجدت فعشراً ، وإذا رفعت رأسك فعشراً ، وإذا سجدت الثانية فعشراً ، وإذا رفعت رأسك فعشراً ، فذلك خمس وسبعون تكون ثلاث مائة في أربع ركعات فهي ألف و مائتان » .

و في الصحيح « عن إبراهيم بن أبي البلاد عن الكاظم عليه السلام قال : قلت له : أيّ شيء لمن صلّى صلاة جعفر ؟ قال : لو كان عليه مثل رمل عالج و زبد البحر ذنوباً لغفرها الله له ، قال : قلت : هذه لنا ؟ قال : فلمن هي ؟ إلّا لكم خاصّة (١) » .

و في صحيح أبي حمزة الثمالي المرويّ في الفقيه(٢) « أنّ التسبيح قبل القراءة وأنّ صورته الله أكبر و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله ، والأوّل أشهر وعليه الأكثر .

و في الرّواية الأولى أنّه يقرأ فيها بالتوحيد والجحد وفي الثانية أنّه يقرأ بالزلزلة والنصر و القدر و التوحيد و في ثالثة الزّلزلة و العاديات و النصر و التوحيد و الكلّ حسن ، وينبغي أن يقول في آخر سجدة منها : « يامن لبس العزّ والوقار(٣) ، يامن تعطّف بالمجد وتكرّم به ، يا من لاينبغي التسبيح إلّا له ، يا من أحصى كلّ شيء علمه ، ياذا النعمة و الطول ، ياذا المنّ والفضل ، ياذا القدرة والكرم أسألك بمعاقد العزّ من عرشك و بمنتهى الرّحمة من كتابك و باسمك الأعظم الأعلى و كلماتك التامّات أن تصلّي على محمّد وآل محمّد و أن تفعل بي كذا و كذا » .

و يجوز أن يجعل هذه الصلاة من النوافل اليوميّة و قضائها لصحيحة ذريح عن الصادق عليه السلام (٤) « قال : إن شئت صلّ صلاة التسبيح باللّيل وإن شئت بالنهار و إن شئت في السفر وإن شئت جعلتها من نوافلك و إن شئت من قضاء صلاة » و أفضل أوقاتها يوم الجمعة صدر النهار كما ورد عن صاحب الأمر عليه السلام ، و يجوز تجريدها من التسبيح ثمّ قضاؤه بعدها و هو ذاهب في حوائجه لمن كان مستعجلاً كما ورد في رواية أبان ، عن

(١) الفقيه ص ١٤٥ رقم ٤ والتهذيب ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) المصدر ص١٤٤ رقم ١ .

(٣) هكذا في الفقيه وفي الكافي ج ٣ ص ٤٦٧ « سبحان من لبس العز والوقار، سبحان من تعطف وهكذا الى آخره بلفظ «سبحان» .

(٤) في الكافي ج٣ ص ٤٦٦ ، والفقيه ص١٤٥ تحت رقم ٧ .

الصادق عليه السلام [(١)].

ومنها صلاة الاستخارة روى في الكافي [(٢)] بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «صلّ ركعتين واستخر الله، فو الله ما استخار الله مسلم إلّا خار له البتّة».

و بإسناده عن الباقر عليه السلام «قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا همّ بأمر حجّ أو عمرة أو بيع أو شراء أو عتق تطهّر، ثمّ صلّى ركعتي الاستخارة فقرأ فيهما بسورة الحشر و بسورة الرّحمن، ثمّ يقرأ المعوذّتين و قل هو الله أحد إذا فرغ و هو جالس ثمّ يقول: «اللّهمّ إن كان كذا و كذا خيراً لي في ديني و دنياي وعاجل أمري وآجله فصلّ على محمّد وآل محمّد و يسّره لي على أحسن الوجوه و أجملها، اللّهمّ إن كان كذا و كذا شرّاً لي في ديني و دنياي و عاجل أمري وآجله فصلّ على محمّد وآله واصرفه عنّي، ربّ صلّ على محمّد وآله و أعزم لي على رشدي وإن كرهت ذلك أوأبته نفسي [(٣)]».

و بإسناده، عن مرازم قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إذا أراد أحدكم شيئاً فليصلّ ركعتين ثمّ ليحمدالله فليثن عليه وليصلّ على محمّد وأهل بيته ويقول: اللّهمّ إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسّره لي و أقدره و إن كان غير ذلك فاصرفه عنّي فسألته أي شيء أقرأ فيهما؟ فقال: اقرأفيهما ماشئت وإن شئت قرأت فيهما قل هوالله أحد وقل يا أيّها الكافرون [(٤)]».

و بإسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ربما أردت الأمر يفرق منّي فريقان أحدهما يأمرني والآخر ينهاني، قال: فقال: إذا كنت كذلك فصلّ ركعتين و استخر الله مائة مرّة ومرّة ثمّ انظر أجزم الأمرين لك فافعله فإنّ الخيرة فيه إن شاء الله و لتكن استخارتك في عافية فإنّه ربما خير للرجل في قطع يده وموت ولده وذهاب ماله» [(٥)].

و بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «إذا أردت أمراً فخذ ستّ رقاع فاكتب في

---

(١) الكافي ج ٣ ص٤٦٦ تحت رقم٣.
(٢) المجلد الثالث ص ٤٧٠ رقم ١ .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٧٠ تحت رقم ٢ .
(٤) و (٥) الكافي ج ٣ ص ٤٧٢ تحت رقم ٦ و٧ .

ثلاث منها بسم‌الله الرّحمن الرّحيم خيرة من‌الله العزيز الحكيم لفلان بن‌فلانة افعل. وفي ثلاث منها بسم الله الرّحمن الرّحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان‌بن فلانة لاتفعل. ثمّ ضعها تحت مصلاك ثمّ صلّ ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرّة: أستخيرالله برحمته خيرة في عافية، ثمّ استوجالساً وقل: اللّهمّ خرلي واخترلي في جميع أموري في يسرمنك وعافية ثمّ اضرب بيدك إلى الرقاع فشوّشها وأخرج واحدة واحدة فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الّذي تريده وإن خرج ثلاث متواليات لاتفعل فلاتفعله وإن خرجت واحدة افعل والاُخرى لاتفعل فأخرج من‌الرقاع إلى‌خمس فانظر أكثرها فاعمل به ودع السادسة لاتحتاج إليها»[١].

ومنها الصلاة في طلب الرزق روى في الكافي بإسناده، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال: يا رسول‌الله إنّي ذوعيال وعليّ دين وقد اشتدّت حالي فعلّمني دعاء إذا دعوت الله به رزقني الله ما أقضي به ديني وأستعين به على عيالي فقال: يا عبدالله توضّأ وأسبغ وضوءك ثمّ صلّ ركعتين تتمّ الرّكوع والسجود فيهما، ثمّ قل: «يا ماجد يا واحد يا كريم أتوجّه إليك بمحمّد نبيّك نبيّ الرّحمة يا محمّد يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّك وربّ كلّ شيء أن تصلّي على محمّد وعلى أهل بيته وأسألك نفحة من نفحاتك وفتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً ألمّ به شعثي وأقضي به ديني وأستعين به على عيالي»[٢].

وعن الصادق عليه‌السلام من جاع فليتوضّأ وليصلّ ركعتين، ثمّ يقول: «يا ربّ إنّي جائع فأطعمني» فإنّه يطعم من ساعته[٣].

ومنها صلاة الحوائج روى في الكافي عن عبدالرحيم القصير قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه‌السلام فقلت: جعلت فداك إنّي اخترعت دعاءً قال: دعني من اختراعك إذا نزل

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٧٠ رقم ٣.

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٧٣ رقم ٢ وقوله: «نفحة من نفحاتك» النفحة: فوح الطيب واللم: الجمع. والشعث ـ محركة ـ: انتشار الامر والم الله شعثه قارب بين شتيت أموره.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٧٥ تحت رقم ٦.

بك أمرٌ فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلِّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت : كيف أصنع ؟ قال : تغتسل وتصلّي ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة ، وتشهّد تشهّد الفريضة ، فإذا فرغت من التشهّد وسلّمت قلت : «اللّهمّ أنت السلام ومنك السلام وإليك السلام اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد وبلّغ روح محمّد منّي السلام وأرواح الأئمّة الصادقين سلامي ، واردد عليّ منهم السلام والسلام عليهم و رحمة الله و بركاته ، اللّهمّ إنّ هاتين الركعتين هديّة منّي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأثبني عليهما ما أمّلت و رجوت فيك و في رسولك يا وليّ المؤمنين » ثمّ تخرّ ساجداً و تقول : « يا حيّ يا قيّوم ، يا حيّ لايموت ، يا حيّ لا إله إلّا أنت يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الرّاحمين » أربعين مرّة ، ثمّ ضع خدّك الأيمن فتقولها أربعين مرّة ثمّ ضع خدّك الأيسر فتقولها أربعين مرّة ، ثمّ ترفع رأسك وتمدّ يدك فتقول أربعين مرّة ، ثمّ تردّ يدك إلى رقبتك وتلوذ بسبّابتك و تقول ذلك أربعين مرّة ، ثمّ خذلحيتك بيدك اليسرى وابك أوتباك وقل : « يا محمّد يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك حاجتي وأشكو إلى أهل بيتك الراشدين حاجتي وبكم أتوجّه إلى الله في حاجتي » ثمّ تسجد و تقول : « يا الله يا الله ـ حتّى ينقطع نفسك ـ صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بي كذا و كذا » قال أبوعبدالله عليه السلام : فأنا الضامن على الله تعالى أن لايبرح حتّى يقضي حاجته[١] .

و فيه[٢] عن مقاتل بن مقاتل « قال : قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك علّمني دعاء لقضاء الحوائج ، فقال : إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى مهمّة فاغتسل و ألبس أنظف ثيابك وشمّ شيئاً من الطيب ، ثمّ ابرز تحت السماء فصلّ ركعتين تفتح الصلاة فتقرأ فاتحة الكتاب و قل هو الله أحد خمس عشرة مرّة ، ثمّ تركع فتقرأ خمس عشرة مرّة ، ثمّ تتمّها على مثال صلاة التسبيح غير أنّ القراءة خمس عشرة مرّة فإذا سلّمت فاقرأها خمس عشرة مرّة ، ثمّ تسجد فتقول في سجودك : « اللّهمّ إنّ كلّ معبود من لدن عرشك إلى قرار أرضك فهو باطل سواك فإنّك أنت الله الحقّ المبين اقض لي حاجة ـ كذا و كذا ـ

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٧٦ رقم ١ .

(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٧٧ تحت رقم ٣ .

الساعة الساعة و تلحّ فيما أردت » .

و فيه [١] عن الصادق عليه السلام قال : « من توضّأ فأحسن الوضوء و صلّي ركعتين فأتمّ ركوعهما و سجودهما ثمّ جلس فأثنى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ سأل حاجته فقد طلب الخير في مظانّه و من طلب الخير في مظانّه لم يخب » .

و فيه في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت حاجة فصلّ ركعتين وصلّ على محمد و آل محمد وسل تعطه [٢]» .

ومنها صلاة من خاف مكروهاً في الكافي [٣] عن الصادق عليه السلام قال : « كان عليّ عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة ، ثمّ تلا هذه الآية « و استعينوا بالصبر والصلاة [٤]» .

و فيه [٥] عن حريز عنه عليه السلام قال : « اتّخذ مسجداً في بيتك فإذا خفت شيئاً فالبس ثوبين غليظين من أغلظ ثيابك وصلّ فيهما ، ثمّ اجث على ركبتيك فاصرخ إلى الله و سله الجنّة و تعوّذ بالله من شرّ الّذي تخافه وإيّاك أن يسمع الله منك كلمة بغي وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك » .

ومنها صلاة الشكر في الكافي [٦] عن الصادق عليه السلام قال في صلاة الشكر : « إذا أنعم الله عليك بنعمة فصلّ ركعتين تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب و قل هو الله أحد ، و تقرأ في الثانية بفاتحة الكتاب و قل يا أيّها الكافرون ، و تقول في الركعة الأولى في ركوعك و سجودك : « الحمد لله شكراً شكراً و حمداً » ، و تقول في الركعة الثانية في ركوعك و سجودك : « الحمد لله الّذي استجاب دعائي وأعطاني مسألتي» .

ومنها صلاة من أراد سفراً في الكافي [٧] عن الصادق عليه السلام قال : « قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما استخلف عبدٌ على أهله بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد سفراً

---

(١) و (٢) الكافي ج٣ ص ٤٧٨ تحت رقم ٥ ، وص ٤٧٩ تحت رقم ١٠ .
(٣) المجلد الثالث ص ٤٨٠ تحت رقم ١ .
(٤) البقرة : ٤٥ .
(٥) المصدر ج ٣ ص ٤٨٠ تحت رقم ٢ .
(٦) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ١ .
(٧) المجلد الثالث ص ٤٨٠ .

يقول : « اللّهمّ إنّي أستودعك نفسي وأهلي و مالي و ديني و دنياي وآخرتي و أمانتي و خواتيم عملي إلّا أعطاه الله ما سأل » .

ومنها صلاة من أراد أن يتزوّج أو يدخل بأهله في الكافي [١] عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إذا تزوّج أحدكم كيف يصنع ؟ قلت لا أدري ، قال : إذا همّ بذلك فليصلّ ركعتين و يحمد الله ثمّ يقول : « اللّهمّ إنّي اُريد أن أتزوّج فقدّر لي من النساء أعفّهنّ فرجاً ، وأحفظهنّ لي في نفسها و في مالي ، و أوسعهنّ رزقاً ، وأعظمهنّ بركة ، و قدّر لي ولداً طيّباً تجعله خلفاً صالحاً في حياتي وبعد مماتي » .

و في رواية أنّه يصلّي ركعتين عند دخوله عليها و يأمرها بذلك ، ثمّ يمجّد الله و يصلّي على محمّد وآل محمّد ، ثمّ يدعو الله ويأمر من معها أن يؤمّنوا على دعائه و يقول : « اللّهمّ ارزقني إلفها وودّها و رضاها و أرضني بها ثمّ اجمع بيننا بأحسن اجتماع و أسرّ ائتلاف ، فإنّك تحبّ الحلال و تكره الحرام [٢] » .

ومنها غير ذلك من الصلوات و هي كثيرة مذكورة في الكتب المصنّفة لذلك مع كيفيّاتها و آدابها وفيما ذكرناه كفاية هنا إن شاء الله و في الخبر « الصلاة خير موضوع فمن شاء استكثر و من شاء استقلّ » [٣] .

هذا آخر الكلام في كتاب أسرار الصلاة و مهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة و مهمّاتها و الحمد لله أوّلاً وآخراً .

---

(١) و (٢) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ٢ و ١ .

(٣) رواه جعفر بن أحمد القمى فى كتاب الغايات عن الصادق عليه السلام كما فى المستدرك ج ١ ص ١٧٧ ، ورواه على بن بابويه فى كتاب الامامة والتبصرة كمافى البحار .

كتاب أسرار الزكاة ومهماتها

و هو الكتاب الخامس من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أفقر و أغنى ، و أمات و أحيى ، و أضحك و أبكى ، و أوجد و أفنى ، الّذي خلق الإنسان من نطفة تمنى ، ثمّ تفرّد عن الخلق بوصف الغنى ، ثمّ خصّص بعض عباده بالحسنى ، فأفاض عليه من نعمه ما أيسر به و استغنى ، و أحوج إليه من أخفق في رزقه و أكدى ، إظهاراً للامتحان و الابتلاء ، ثمّ جعل الزكاة للدين أساساً و مبنى ، و بيّن أنّ بفضله تزكّى من عباده من تزكّى ، ومن غناه زكّى ماله من زكّى ، و الصلاة على محمّد المصطفى سيد الورى و شمس الهدى و على آله المعصومين و أصحابه المخصوصين بالعلم و التقى ، وسلّم كثيراً .

أمّا بعد فإنّ الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام و أردفها بذكر الصلاة الّتي هي أعلى الأعلام فقال : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »(1) .

و قال صلّى الله عليه وآله : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة » (2) و شدّد الوعيد على المقصّرين فيها ، فقال تعالى : « و الّذين يكنزون الذهب والفضّة ولاينفقونهافي سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم (3) »ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حقّ الزكاة .

(1) البقرة : ١١٠ .
(2) راجع الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الاسلام .
(3) التوبة : ٣٤ .

و عن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال : «بشّر الكانزين بكيّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم و بكيّ من قبل أقفائهم يخرج من جباههم» و في رواية «أنّه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفه (١)، ويوضع على نغض كتفه حتّى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل» و قال أبوذرّ : «انتهيت إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و هو جالس في ظلّ الكعبة فلمّا رآني قال : هم الأخسرون وربّ الكعبة ، فقلت : من هم ؟ قال : الأكثرون أموالاً إلّا من قال هكذا و هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه و شماله و قليلٌ ما هم ، ما من صاحب إبل و لا بقر ولا غنم لا يؤدّي زكاتها إلّا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت و أسمنه ، تنطحه بقرونها و تطؤه بأظلافها ، كلّما نفدت اُخراها عادت عليه اُولاها حتّى يقضى بين الناس (٢)» .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه (٣) بإسناده الصحيح عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : «ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ، و سلّط عليه شجاعاً أقرع ، يريده و هو يحيد عنه ، فإذا رأى أنّه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ، ثمّ يصير طوقاً في عنقه وذلك قول الله عزّ وجلّ : «سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة (٤)» و ما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها ، و تنهشه كلّ ذي ناب بنابها ، و ما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته إلّا طوّقه الله عزّ و جلّ ربعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة» (٥).

---

(١) النغض ـ بفتح النون و ضمها ـ اعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق وفى النهاية فى حديث أبى ذر « بشر الكنازين » . والخبر فى صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٧ بادنى اختلاف فى اللفظ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٣ ص ٧٤ ، ونحوه النسائى فى السنن ج ٥ ص ١٠ ، وأيضا البخارى ج ٢ ص ١٤١ و ١٢٦ عن أبى هريرة .

(٣) ص ١٥١ تحت رقم ١ .

(٤) آل عمران : ١٨٠ .

(٥) الربعة : واحدة الربع ـ بالكسر ـ : المرتفع من الارض والجمع الربعان . ←

و بإسناده الصحيح عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يمنع درهماً من حقّ إلّا أنفق اثنين في غير حقّه، و ما من رجل يمنع حقّاً من ماله إلّا طوّقه الله عزّ و جلّ حيّة من نار يوم القيامة»(١).

و بإسناده الصحيح عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك و تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكوة» فمن أقام الصلاة و لم يؤت الزكاة فكأنّه لم يقم الصلاة»(٢).

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ و جلّ فرض للفقراء من أموال الأغنياء ما يكتفون به، و لو علم أنّ الّذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم، و إنّما يؤتى الفقراء فيما أُوتوا من منع مَن منعهم حقوقهم لا من الفريضة»(٣).

و في الصحيح عنه عليه السلام قال: «إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها»(٤).

ــ والمراد ههنا أصل أرضه التى فيها الكرم والنخل والزراعة الواجبة فيها الزكاة أى يصير الارض طوقاً فى عنقه الى يوم يحشر. و قد يقرأ فى بعض النسخ [الربعة] بالباء الموحدة. وفى معانى الاخبار ص ٣٣٥ «ربقة أرضه» بالراء الموحدة والقاف. و قوله: «يحيد» من حاد يحيد حيداً وحيداناً عن الطريق مال و عدل. و قوله: «فقضمها» قضم الشى: كسره باطراف أسنانه وأكله. والظلف من البقرة و نحوها بمنزلة الحافر من الفرس والقدم من الانسان. والكرم ـ بفتح الكاف وسكون الراء ـ: العنب. وفى معانى الاخبار «قال الاصمعى: القاع: المكان المستوى ليس فيه ارتفاع ولا انخفاض، و قال أبو عبيد: و هو القيعة أيضاً، قال الله تعالى: «كسراب بقيعة» و جمع قيعة قاع، قال الله تعالى: «فيذرها قاعاً صفصفا». والقرقر: المستوى أيضاً، ويروى «بقاع قفر» ويروى «بقاع قرق» وهو مثل القرقر فى المعنى قال الشاعر:

كان أيديهن بالقاع القرق ☆ أيدى عذارى يتعاطين الورق. اه

والشجاع ضرب من الحيات، والاقرع ما سقط شعر رأسه منها لكثرة سمه.

(١) الفقيه ص ١٥٢ تحت رقم ٦.

(٢) الفقيه ص ١٥١ تحت رقم ٢.

(٣) المصدر ص ١٥٠ الحديث الاول، وفى الكافى ج ٣ ص ٤٩٦ مثله.

(٤) الكافى ج ٣ ص ٥٠٥ تحت رقم ١٧.

قال أبو حامد : «و إذا كان هذه التشديدات مخرجة في الصحيحين فصار من مهمّات الدين الكشف عن أسرار الزكاة و شروطها الجليّة و الخفيّة و معانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني من معرفتها مؤدّي الزكاة و قابضها ، و ينكشف ذلك في أربعة فصول :

الأوّل في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها . الثاني في آدابها و شروطها الظاهرة و الباطنة . الثالث في القابض و شروط استحقاقه وآداب قبضه . الرابع في صدقة التطوّع و فضلها » .

أقول : و أزيد خامساً في زكاة الجسد و أجعلها أبواباً لتقبل التفصيل بالفصول ولتوافق سائر الكتب .

(الباب الاول)

(في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها)

أقول : و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول و بالله التوفيق : الزكاة قسمان زكاة مال ، و زكاة فطر ، و لمّا حرّم الله الزكاة على بني هاشم لأنّها من أوساخ أيدي الناس فرض لهم الخمس في الغنائم الّتي لم يفرض فيها الزكاة إكراماً لهم وتعظيماً فهنا ثلاثة مطالب :

المطلب الاول زكاة المال و إنّما تجب على مالكه البالغ العاقل الحرّ المتمكّن من التصرّف في الذهب والفضّة المسكوكين ، والإبل والبقر و الغنم السائمة الغيرالعاملة والحنطة والشعير والتمر والزبيب المملوكة بالزراعة أو المنتقلة إليه قبل انعقاد الحبّ و بدو الصّلاح بشرط بلوغ كلّ من التسعة النصاب المعتبر فيه ، و حؤول الحول على النصاب في الخمسة الأوّل كلّ ذلك بإجماعنا والنصوص المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام ، و القول باشتراط الأنوثة في الأنعام شاذّ ، و اشتراط وضع المؤن كلّها في الغلّات كما هو المشهور لا دليل عليه يعتدّ به بل يدفعه ظاهر الأخبار حيث استثنى

فيها حصة مقاسمة السلطان خاصة .

و نقل في الخلاف على خلافه الإجماع إلّا من عطاء ، و يشهد له أيضاً وجوب العشر فيما المؤونة فيه أقلّ و نصفه فيما هي فيه أكثر ، ولاتجب الزكاة في غير ما ذكر ولابدون القيود والشروط المذكورة على الأصحّ المشهور بين أصحابنا لحصر الوجوب في الأجناس التسعة في الصحاح المستفيضة و لنفيه صريحاً فيما ظنّ فيه ممّا سوى ذلك في الأخبار المعتبرة .

و قيل بوجوبها في غلّات الصبيّ و المجنون و مواشيهما لظاهر بعض الأخبار[١] و هو مأوّل ، و أوجب في الخلاف ما يخرج يوم الحصاد والجداد من الضغث بعد الضغث و الحفنة بعد الحفنة لقوله تعالى : « و آتوا حقّه يوم حصاده »[٢] و حمل على الاستحباب لما ورد عن أبي جعفر عليه السلام « أنّ هذا من الصدقة »[٣] .

وفي رواية « ليس ذلك الزكاة ألا ترى أنّه تعالى قال : « ولا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين » قال السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ : وهذه نكتة منه عليه السلام مليحة لأنّ النهي عن السرف لا يكون إلّا فيما ليس بمقدّر والزكاة مقدّر[٤] .

وفي رواية أخرى « في الزرع حقّان حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه ، أمّا الّذي تؤخذ به فالعشر و نصف العشر ، وأمّا الّذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ : « وآتوا حقّه يوم حصاده » يعني من حضرك الشيء بعد الشيء ولا أعلمه إلّا قال : الضغث ثمّ الضغث حتّى تفرغ »[٥] .

وفي الفقيه قال الصادق عليه السلام : « لا تحصد باللّيل ، و لا تصرم باللّيل ، و لا تجدّ باللّيل ، ولا تضحّ باللّيل ، ولا تبذر باللّيل لأنّك تعطي في البذر كما تعطي في الحصاد ، و متى فعلت ذلك باللّيل لم يحضرك المساكين والسؤّال ولا القانع ولا المعترّ »[٦] .

---

(١) كما فى الكافى ج ٣ ص ٥٤٢ .

(٢) الانعام : ١٤١ .

(٣) راجع الكافى ج ٣ ص ٥٦٥ باب الحصاد والجداد والجداد : صرام النخل اى قطع ثمرتها .

(٤) الانتصار ص٤٣ .

(٥) الكافى ج ٣ ص ٥٦٤ .

(٦) المصدر ص ١٥٩ تحت رقم ٣ ، والكافى ج ٣ ص ٥٦٥ تحت رقم ٣ .

و يستحبّ الزكاة على المشهور في العلس والسلت و في كلّ ما أنبت الأرض ممّا يكال أو يوزن عدا الخضر من بقل و قثّاء و بطّيخ ونحوها بشرط بلوغه النصاب وفي مال التجارة بشرط قيام رأس المال طول الحول و بلوغ قيمته نصاب أحد النقدين و إن كان للصبيّ أوالمجنون إذا اتّجر لهما الولي وفيما فرّ به من الزكاة و ما شكّ في بلوغه النصاب و ما غاب سنتين فصاعداً بحيث لا يتمكّن من التصرّف فيه فيزكّى لسنة ، وفي اُناث الخيل السائمة بشرط الحول و في مال التجارة إذا كان على النقيصة أحوال فيزكّي لسنة وفي نماء العقار المتّخذ له كالخان والحمام و شبههما وفي الحليّ المحرّم كالخلخال للرّجال والمنطقة للمرأة وكالأواني المتّخذة من الذّهب والفضّة ، كلّ ذلك منصوص عن أهل البيت عليهم السلام سوى الأخيرين فلم أجد فيهما نصّاً وفيماسوى الأربعة الأجناس من الحبوب قول بالوجوب شاذّ ، و كذا في مال التجارة ، والمستفاد من بعض الأخبار أنّهم عليهم السلام إنّما أفتوا فيهما بالزكاة تقيّة و على هذا فالاستحباب أيضاًغير ثابت ، وزكاة القرض على المقترض إلّا إذا أدّاه المقرض ، والدّين لايمنع الزكاة سواءكان له وفاء من غيره أولا ، استوعبه النصاب أولا ، ولا يضمّ مال غيره إلى ماله وإن اختلطا جدّاً ولايفرّق بين ماليه وإن تباعدا جدّاً أو أدرك بعض الغلّات قبل بعض ولا بين جنس واحد وإن اختلفت أفراده في النفاسة والرّداءة جدّاً أو في الصنف كالمعز والضأن والبقر والجاموس والعرابيّ والبخاتي ولا يجبر قصور جنس بآخروإن اشتركا في كونهما ثمناً أوقوتاً أونحوذلك كلّ ذلك لإجماعنا وصحاحنا المستفيضة والخبر المخالف للأخير شاذّ ، والمرجع في السوم والعامليّة إلى العرف ، وقيل بل يعتبر في السوم الأغلبيّة ، وقيل الاستمرارطول الحول فلوعلفها ولو يوماً استأنف الحول .

و حدّ الحول دخول الشهر الثاني عشر بالنصّ والإجماع .

فصل

و أمّا النصاب والقدر فلا شيء فيما دون عشرين ديناراً و فيه نصف دينار ، ثمّ في كلّ أربعة عشر دينار ، ولا فيمادون مائتي درهم وفيه خمسة ، ثمّ في كلّ أربعين درهم ، والضابط فيهما ربع العشر وفي الذّهب قول بالأربعين والدّينار أولاً شاذّ ، والدّينار مثقال

وهو قدر درهم وثلاثة أسباع درهم والدّرهم ستّة دوانيق والدانق قدر سبع حبّات من أوسط الشعير ولا شيء في المغشوشة ما لم يعلم أنّ الصافي منها نصاب والأحوط استعلامه بالسبك أو نحوه، وفي حكم النقدين مال التجارة قدراً و نصاباً و كذا نماء العقار، ولا شيء فيما دون خمس من الإبل و فيها شاة، ثمّ كلّما زادت خمس زادت شاة إلى ستّ و عشرين فبنت مخاض و هي ما دخلت في الثانية إلى ستّ و ثلاثين فبنت لبون و هي ما دخلت في الثالثة إلى ستّ و أربعين فحقّة و هي ما دخلت في الرابعة إلى إحدى و ستّين فجذعة -بفتح الجيم- وهي ما دخلت في الخامسة إلى ستّ وسبعين فبنتا لبون إلى إحدى وتسعين فحقّتان إلى مائة وإحدى وعشرين ففي كلّ خمسين حقّة وفي كلّ أربعين بنت لبون كذا في النصوص المستفيضة وعليه علماؤنا كافّة سوى ابن أبي عقيل وابن الجنيد فإنهما أسقطا النصاب السادس و أوجبا بنت المخاض في خمس و عشرين إلى ستّ و ثلاثين موافقاً للجمهور وهو شاذّ، ولا شيء فيما دون الثلاثين من البقرة و فيها تبيع حوليّ أو تبيعة و في كلّ أربعين مسنّة بالنصّ والإجماع - والتبيع في اللّغة ما يكون في السنة الأولى من ولد البقر و حوليّته - أي إكمال حوله - مستفاد من النصّ. والمسنّة شرعاً ما دخلت في الثالثة بلا خلاف ولم نقف في اللّغة على مدلولها -، ولا شيء فيما دون أربعين من الغنم و فيها شاة إلى مائة وإحدى و عشرين فشاتان إلى مائتين و واحدة فثلاث بلا خلاف إلى ثلاثمائة و واحدة ففي كلّ مائة شاة وقيل فأربع إلى أربعمائة فصاعداً ففي كلّ مائة شاة، وخبر الأوّل أصحّ سنداً و أوضح متناً إلّا أنّ الثاني أشهر وعليه الأكثر و لعلّه لموافقة الأوّل للعامّة. وفي هذا المقام سؤال و جواب مشهوران(١) وفي عدّ السمينة المعدّة للأكل وفحل

---

(١) فى هامش بعض النسخ «ملخص السؤال أنه اذا وجب فى أربعمائة ما وجب فى ثلاثمائة و واحدة فأى مدخل للزائد؟ والجواب أنه اذا تلف من الاربعمائة واحدة بعد الحول بلا تفريط نقص من الواجب جزء من مائة جزء من شاة ولو كانت ناقصة عن الاربعمائة ولو واحدة وتلف شيء لم يسقط من الفريضة شيء مادامت ثلاثمائة و واحدة وربما يناقش فى عدم سقوط شيء من الفريضة فى صورة النقص عن الاربعمائة لان مقتضى الاشاعة توزيع التالف الحقين وان كان الزائد على النصاب عفواً اذ لا منافاة بينهما - منه رحمه الله -.

الضراب من النصاب خلاف وفي الصحيح ليس في الأكيلة ولا في الرُّبّى الّتي تربّى اثنين ولا شاة لبن ولا فحل الغنم صدقة ولا شيء فيمادون ثلاثمائة صاع من الغلّات و فيهافصاعداً العشر إن سقيت من السّماء أو بجريان الماء أو بقربه منها بانجذاب العروق وإلّا فنصف العشر بإجماع العلماء كافّة والصحاح المستفيضة والضابط عدم توقّف ترقية الماء إلى الأرض على آلة من دولاب ونحوه و توقّفه على ذلك و مع تساوي السقيين ثلاثة أرباع العشر وإلّا فالأغلب، والصّاع يزيد على المن التبريزي بنصف عشر المن تقريباً، و في كلّ عتيق من الخيل ديناران، وفي كلّ برزون دينار بالنصّ والإجماع.

المطلب الثاني زكاة الفطر و إنّما تجب على البالغ العاقل الحرّ الّذي يفي دخله بها و بخرجه الضروري، وضابطه على المشهور من يملك مؤونة سنةله ولعياله وفي الخلاف من يملك نصاباً أو قيمته، و قيل: عينه خاصّة، وقيل: من فضل لهصاع عن قوت يومه.

و في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام «أنّه سئل عن رجل يأخذ الزكاة عليه صدقة الفطرة؟ قال: لا»[٢]. وفي آخر «ليس على من لايجد مايتصدّق به حرج».

وفي الموثّق عنه عليه السلام قال: «من لم يكن عنده من الفطرة إلّا مايؤدّي عن نفسه وحدها يعطي بعض عياله ثمّ يعطي الآخر عن نفسه يرددونها فيكون عنهم جميعاً فطرة واحدة»[٣] و حمل على الاستحباب.

و يجب إخراجها عن نفسه، و عن جميع من يعوله و لو تبرّعاً، صغيراً كان أو كبيراً، حرّاً أو عبداً، مسلماً أو كافراً.

و في الصحيح عن عمر بن يزيد قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرّجل يكون عنده الضيف من إخوانه فيحضر يوم الفطر فيؤدّي عنه الفطرة؟ قال: نعم الفطرة واجبة

(١) الربى ـ كحبلى ـ: الشاة اذا ولدت واذا مات ولدها أيضاً وقال أبوزيد: الربى من المعز وقال غيره من المعز والضأن جميعاً وربما جاء في الابل أيضاً. كما في الصحاح وغيره.

(٢) التهذيب ج١ ص ٣٦٩، والاستبصار ج٢ ص ٤٠، والخبر الاخر فى التهذيب ج١ ص ٣٧٠، والاستبصار ج ٢ ص٤٢ رقم ١٣.

(٣) الكافى ج ٤ ص١٧٢، والتهذيب ج١ ص٣٦٩، والفقيه ص ١٩٨ تحت رقم ٦.

على كلّ من يعول من ذكر أو أنثى صغير أو كبير حرّ أو مملوك»[١] وفي رواية أخرى «كلّ من ضممت إلى عيالك من حرّ أو مملوك فعليك أن تؤدّي الفطرة عنه»[٢].

و من استكمل له شرائط الوجوب ببلوغ أو زوال جنون أو غنى أو حصول ولدله أو مملوك، فإن كان قبل الهلال بأن يكون قبل غروب الشمس ليلة الفطر ولو بلحظة وجبت عليه و إلّا فإن كان قبل مضيّ صلاة العيد أي الزّوال استحبّت وإلّا سقطت.

و كلّ من وجبت فطرته على غيره سقطت عن نفسه وإن كان لو انفرد وجبت عليه كالضيف الغني والزّوجة لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: لاثنيى في صدقة»[٣] و في الضيف قول آخر.

و كلّ من اقتات قوتاً فعليه أن يؤدّي فطرته من ذلك القوت كما يستفاد من الرّوايات[٤] و قيل بانحصارها في الغلّات الأربع الزكويّة، و أضاف إليها الآخرون الأرز والأقط واللّبن وتجزىء القيمة بلاخلاف، وقدرها صاع بالإجماع والصحاح المستفيضة.

المطلب الثالث الخمس و إنّما يجب في الغنائم و هي الفوائد فمنها ما غنم في الحربيّين[٥]، قلّ أو كثر واشتراط المفيد بلوغه عشرين ديناراً شاذّ، وفي حكمه مال البغاة عند الأكثر وفي ما يسرق أو يؤخذ غيلة[٦] قولان وقيل: إذا غزا قوم بغير إذن الإمام عليه السلام فغنيمتهم كلّها له للخبر[٧] و فيه ضعف و له معارضٌ أقوى.

ومنها المعادن كلّها حتّى الملح والكبريت وفي مثل المغرة[٨] وطين الغسل وحجارة الرّحى والجصّ والنورة إشكال لانتفاء النصّ الخاص والشكّ في إطلاق اسم المعدن عليها و يشترط فيها بلوغه عشرين ديناراً على الأصحّ للخبر الصّحيح[٩].

(١) الفقيه ص ١٩٨، والكافي ج٤ ص ١٧٣ تحت رقم ١٦.
(٢) الكافي ج٤ ص ١٧٠ تحت رقم ١، والتهذيب ج١ ص ٣٦٩.
(٣) راجع مختلف الشيعة ج٢ص٢٥و٢٦ الاختلاف في المسألة والخبر منقول هناك.
(٤) راجع الفقيه ص ١٩٨ تحت رقم ٤، والتهذيب ج١ص ٣٧٠، والاستبصار ج٢ ص ٤٢، والكافي ج ٤ ص ١٧٣.
(٥) كذا ولعل الصواب «من» مكان «في».
(٦) الغيلة: الخديعة و يقال: قتله غيلة أى خدعه فذهب به الى موضع فقتله.
(٧) الكافي ج ٥ ص ٤٣ والتهذيب ج١ص٣٨٨.
(٨) بالفتح والسكون وفتح الراء: الطين الاحمر.
(٩) التهذيب ج ١ ص ٣٨٩، وله معارض رواه في ص ٣٨٤ و ٣٨١ أيضاً.

ومنها الكنوز بشرط أن لايكون للأرض مالك يعرفه فإنّه حينئذ لقطة وألحق به أكثر المتأخّرين كلّ ما وجد في دارالإسلام وعليه أثره و هو ضعيف . و يشترط فيه بلوغه نصاب الزكاة للخبر الصحيح[١].

ومنها ما يخرج بالغوص كاللّؤلؤ والمرجان والعنبر وفي اعتبار النصّاب فيه ثمّ في كونه ديناراً أو عشرين إشكال ، والدينار مرويٌّ في الفقيه مرسلاً[٢].

ومنها أرباح التجارات والصناعات والزّراعات على المشهور لعموم «ما غنمتم» و للنصوص المستفيضة بل المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام و في بعضها « حتّى الخياط يخيط قميصاً بخمسة دوانيق فلنا منه دانق إلّا من أحللناه من شيعتنالتطيب لهم به الولادة »[٣] وأضاف إليها بعضهم الميراث والهبة والهديّة والعسل الجبلي والمنّ والصمغ وشبهه ، وحمله آخرون على الاستحباب وظاهر بعض قدمائنا العفو عن هذا النوع مطلقاً كما يظهر من الصحاح المستفيضة الّتي لا معارض لها كصحيح الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قلت له : إنّ لنا أموالاً من غلّات و تجارات ونحو ذلك ، وقد علمت أنّ لك فيها حقّاً قال : فلم أحللناه إذاً لشيعتنا إلّا لتطيب ولادتهم و كلّ من والى أبائي فهم في حل ممّا في أيديهم من حقّنا فليبلّغ الشاهد الغائب »[٤].

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : «قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : « هلك الناس في بطونهم و فروجهم لأنّهم لايؤدّون إلينا حقّنا ألا وإنّ شيعتنا من ذلك و أبناءهم في حلّ »[٥] .

وفي بعض الصحاح «يحلّ لهم ذلك إلى أن يقوم قائمنا»[٦] والأخبار كثيرة في هذا المعنى .

وقال ابن الجنيد : لايصحّ التحليل إلّا لصاحب الحقّ في زمانه إذ لايسوغ تحليل مايملكه غيره وأجابه الشيخ المحقّق نجم الدّين الحلّي بأنّ الإمام لايحلّ إلّا مايعلم أنّ

(١) رواه المفيد فى المقنعة ص ٤٦ .

(٢) ص ١٥٨ باب الخمس الخبر الاول .

(٣) راجع التهذيب ج١ ص ٣٨٤ .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٣٩١ .

(٥) التهذيب ج١ص ٣٩١ فى خبر طويل .

(٦) التهذيب ج١ ص ٣٩١ .

له الولاية في تحليله ، نعم يتوجّه اختصاص العفو بحقّهم دون حقوق الأصناف الباقية إلّا أن نقول باختصاص هذا النوع من الخمس كلّه بالإمام عليه السلام كما يأتي الكلام فيه .

فصل

و إنّما يجب الخمس بعد المؤونة الّتي يفتقر إليها إخراج الكنز والمعدن بلاخلاف لأنّها وصلة إلى تحصيله فكانت من الجميع كالشريكين و في اعتبار النصاب بعد ها أوقبلها وجهان ، وفي الأرباح بعد مؤونة سنةله ولواجبي نفقته ومندوبيها ، والنّذوروالكفّارات و مأخوذ الظالم غصباً أومصانعة ، والهديّة والصلة اللائقتين بحاله ، ومؤونة الحجّ الواجب عام الاكتساب ، وضروريات أسفار الطاعات ، والتزويج ونحوه كذا قاله أصحابنا .

وفي النصوص « أنّ الخمس بعد المؤونة[1] » وفيه إجمال ولوكان لهمال آخر لاخمس فيه ففي احتساب المؤونة منه أومن الكسب أومنهما بالنسبة أوجه ، ولامدخل للحول في شيء من الأنواع بلاخلاف ، نعم يحتاط في الأرباح بالتأخير إلى كماله لاحتمال تجدّد مؤونة .

الباب الثانى

في الأداء وشروطه وآدابه الباطنة والظاهرة

(بيان الشروط و الآداب الظاهرة)

أقول : وهي ستّة الأوّل النيّة- وهي واجبة فيه بإجماع العلماء إلّا الأوزاعي - مقارنة للدّفع أومتأخّرة عنه ، أمّا التقدّم فلا ولا بدّ فيها من التعيين والقربة وإن كان له مال غائب فقال : هذا عن مالي الغائب إن كان سالماً و إلّا فهو نافلة جاز لأنّه إن لم يصرّح به فكذلك يكون عند إطلاقه ولا يفتقر إلى تعيين الجنس الّذي يخرج منه بلاخلاف .

(١) الفقيه ص ١٥٨ .

قال في المعتبر : والنيّة اعتقاد بالقلب ، فإذا اعتقد عند دفعها أنّها زكاة تقرّباً إلى الله كفى ذلك ، وتجزىء نيّة الوكيل والولي عنه و في نيّته عند دفعه إلى الوكيل قولان أصحّهما الإجزاء ونيّة السلطان تقوم مقام نيّة المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدّنيا أعني في قطع المطالبة عنه أمّا في الآخرة فلا بل تبقى ذمّته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة .

الثاني البدار به عقيب الحول و هو مستحبٌ على الأصحّ وقيل بوجوبه مع وجود المستحقّ ويدفعه ظاهر الأخبار المفيدة لجواز التأخير سيّما إذا قصد به البسط أو دفعها إلى الأفضل ، نعم يضمن بالتأخير مع وجود المستحقّ لابدونه ، و ينبغي عزلها فوراً وجد المستحقّ أولم يجد ، ولا ضمان حينئذ إلّا بالتفريط و لا يجوز تقديمها إلّا على سبيل القرض والاحتساب بعد الوقت مع بقاء الوجوب والاستحقاق ، وقيل : بل يجوز تقديمها شهرين ، وفي الفطر تمام شهر رمضان والأوّل أصحّ لما روي في الحسن عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل أيزكّي الرّجل ماله إذا مضى ثلث السنة ؟ قال : لا أيصلّي الأولى قبل الزّوال[(١)]» ، و في جواز تأخيرها في الفطر عن الصلاة قولان والأكثر على العدم وقيل يجوز تأخيره إلى الزوال ويدخل وقت وجوبها فيه بغروب ليلة العيد وقيل : بل بطلوع فجره والأوّل أصحّ.

ووقت الوجوب في الغلّتين انعقاد الحبّ ، وفي الثمرتين صيرورتهما حصرماً[(٢)] وبسراً وقيل : عنباً وتمراً وقيل : زبيباً وتمراً ، أمّا الإخراج ففي الغلّتين التصفية ، و في الثمرتين الزبيبيّة والتمريّة بلاخلاف .

و يجوز الدفع على رؤوس الأشجار و الخرص على أصحاب النخيل و الكروم وتضمينهم حصّة الفقراء لفعل النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك ، ولاحتياج أربابها إلى الأكل والتصرف .

الثالث أن لايدفع القيمة في الأنعام بدلاً عن الفرض إلّا مع عدم الفرض وهو واجب عند المفيد خلافاً لآخرين فيجوّزون القيمة ، وإن وجد الفرض وله الخيار في دفع ما شاء مع تعدّد ماهو بصفة الواجب وليس له أن يدفع المريضة ولا الهرمة ولا ذات عوار بلاخلاف وإن انحصر السنّ الواجب فيها إلّا أن يشاء المصدّق إلّا أن يكون كلّه كذلك فلم يكلّف

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٢٤ تحت رقم ٩ . (٢) الحصرم ـ بالكسر ـ اول العنب مادام أخضر .

شراء الصحيح .

ويجزىء ابن لبون عن بنت مخاض مع فقدها بلاخلاف ، فمع فقدهما تخيّر في ابتياع أيّهما شاء وإن كان شراء بنت المخاض مع الإمكان أولى ، ومن ليس عنده ما وجب عليه دفع الأخفض بسنة مع شاتين أو عشرين درهماً أوأعلى بسنة وأخذ ذلك بالنصّ والإجماع ولايجزىء هذا فيما عدا الإبل والواجب في الشاة المسمّى ، و قيل : بل يجب جذع من الضأن أوثنيّ من المعز وهوأحوط .

والجذع في اللّغة ما بلغ ستّة أشهروالثنيّ فيها ما دخل في الثالثة ومن فسرّه من متأخّرينا بمادخل في الثانية فلعلّ مستنده العرف ودفع القيمة في النقدين والغلّات مجزىء عندنا بالنصّ والإجماع و كذا في الفطروالأفضل فيه دفع التمرلأنّه أقرب إلى الأكل و في الصحيح «لأن أُعطي صاعاً من تمرأحبّ إليّ من أن أُعطي صاعاً من ذهب»[1] ، والأصحّ تعلّق الماليّة بالعين و إن جاز العدول إلى القيمة تسهيلاً للمالك .

الرابع أن لاينقلها إلى بلدآخرسيّما في الفطر ، فإنّ أعين المساكين في كلّ بلد تمتدّ إلى أموالها وفي النقل تخييب للظنون و هذا ليس بواجب على الأصحّ لورود جواز النقل في الصحاح[2] وإن وجد المستحقّ في البلد خلافاً للخلاف و جماعة مع وجود المستحقّ لأنّ فيه نوع خطروتغريربها وتعريض لإتلافها واُجيب بأنّه مندفع بالضمان فانّه يضمن بنقلها حينئذ بلاخلاف أمّا الإجزاء فإجماعي ومع فقدان المستحقّ لاضمان ولا إثم إلّا مع التفريط قولاً واحداً .

الخامس أن لايعطى الفقيرأقلّ ممّا يجب في النصاب الأوّل وأوجبه الأكثرون لما ورد في الصحيح «لايعطى أحدٌ من الزكاة أقلّ من خمسة دراهم و هو أقلّ ما فرض الله عزّوجلّ من الزكاة في أموال المسلمين ، فلاتعطوا أحداً أقلّ من خمسة دراهم فصاعداً»[3] ،

---

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٧٢ ، والمقنعة ص ٤٠ .

(٢) راجع الكافى ج٣ ص ٥٥٤ ، والفقيه ص١٥٦ ، والتهذيب ج١ص٣٦١و٣٦٢ .

(٣) الكافى ج٣ ص ٥٤٨ ، والمقنعة ص٤٠ ، والمحاسن ص ٣١٩ ، والتهذيب ج١ ص ٣٦٦ .

وفي معناه رواية أخرى وفي رواية في الفطر «لاتعط أحداً أقلّ من رأس»[(١)] واستحبه الآخرون إلّا أن يجتمع جماعة لايتسّع لهم فالبسط أولى تعميماً للنفع ودفعاً لأذيّة المؤمن وفي بعض الصحاح جواز إعطاء الدّرهم والثلاثة ولا حدّ للأكثر إجماعاً و في الصحيح «أعطه من الزكاة حتّى تغنيه»[(٢)] وفي الموثّق «إذا أعطيته فأغنه»[(٣)] ولايجب بسطها على الأصناف الثمانية عندنا ، بل لوخصّ بها شخصاً واحداً من بعضها جازبإجماعنا والصحاح المستفيضة ولا ينافيه الآية الشريفة[(٤)] إذ اللاّم فيها للاختصاص لا الملك و التشريك ، وفي الخمس قولان أحوطهما البسط لعقد النصّ فيه وأوجب المفيد المفاوتة بين الفقراء بحسب فقههم وديانتهم وفي الأخبار مايؤيّده وفي الصحيح «يفضّل الّذي لايسأل على الّذي يسأل»[(٥)].

السادس أن يحملها إلى الإمام أو نائبه الخاصّ ومع الغيبة الفقيه المأمون لأنّهم أبصر بمواقعها[(٦)] ، و أوجب المفيد وجماعة ذلك في الماليّة وآخرون على استحبابه مطلقاً.

☼(بيان دقايق الاداب الباطنة فى الزكاة)☼

اعلم أنّ على من يريد طريق الآخرة بزكاته وظائف : الأولى فهم وجوب الزكاة ومعناها ، ووجه الامتحان فيها ، وأنّها لِم جعلت من مباني الإسلام مع أنّها تصرّف ماليّ وليست من عبادات الأبدان وفيه ثلاثة معان :

---

(١) التهذيب ج١ ص٣٧٣ وقال المحقق فى المعتبر ص٢٩١ : الرواية مرسلة فلاتقوى أن تكون حجة والاولى أن يحمل ذلك على الاستحباب تفصياً من خلاف الاصحاب ويدل على جواز الشركة ما رواه اسحاق بن المبارك [التهذيب ج١ص ٣٧٣] قال : سألت أبا ابراهيم عليه السلام عن صدقة الفطر قلت : «أجعلها فضة واعطيها رجلا واحد واثنين ؟ قال : تفرقها أحب الى » فأطلق استحباب التفرقة من غير تفصيل.

(٢) الكافى ج ٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٤ باختلاف يسير فى اللفظ.

(٣) الكافى ج ٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٣ و ٤.

(٤) « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم و فى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم» التوبة : ٦٠.

(٥) الكافى ج ٣ ص ٥٥٠ تحت رقم ٢ ، والفقيه ص ١٥٧ تحت رقم ٥٦.

(٦) يعنى أبصر بمواقعها التى عينها الشارع.

الأوّل أنّ التلفّظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود، وشرط تمام الوفاء بذلك أن لايبقى للموحّد محبوبٌ سوى الواحد الفرد، فإنّ المحبّة لاتقبل الشركة، و التوحيد باللّسان قليل الجدوى، و إنّما يمتحن درجة الحبّ بمفارقة المحبوبات، والأموال محبوبة عندالخلق لأنّها آلة تمتّعهم بالدّنيا، وبسببها يأنسون بهذا العالم، وينفرون عن الموت مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الّذي هو مرموقهم[١] ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة[٢]» وذلك بالجهاد وهومسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله، والمسامحة بالمال أهون.

ولمّا فهم هذاالمعنى في بذل الأموال انقسم الناس ثلاثة أقسام: فقسم صدقوا التوحيد و وفوا بعهده، و نزلوا عن جميع أموالهم، فلم يدّخروا ديناراً ولا درهماً و أبوا أن يتعرّضوا لوجوب الزكاة عليهم حتّى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال له: أمّا على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأمّا نحن فيجب علينا بذل الجميع.

أقول: وأحسن منه ما قاله مولانا الصادق عليه السلام «حين سأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال له: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقال: اُريدهما جميعاً، قال: أمّا الظاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون وأمّا الباطنة فلاتستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك»[٣] وفي الكافي[٤] عن عبدالملك بن عمرو الأحول قال: «تلا أبو عبدالله عليه السلام هذه الآية «الّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً[٥]» قال: فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال: هذا الإقتار الّذي ذكره الله في كتابه، ثمّ أخذ قبضة اُخرى فأرخى كفّه، ثمّ قال: هذاالإسراف، ثمّ أخذ قبضة اُخرى فأرخى بعضها وأمسك

(١) رمق الشيء اذا أطال النظر اليه.

(٢) التوبة: ١١١. والمهجة: الدم أو دم القلب. والروح.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٠٠.

(٤) المصدر ج ٤ ص ٥٤ تحت رقم ١.

(٥) الفرقان: ٦٧. والاقتار: التضييق، والقوام حالة الوسطى.

بعضها وقال: هذا القوام».

قال أبوحامد:

«القسم الثاني درجتهم دون هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادّخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعّم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البرّ مهما ظهر وجوهه وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة، وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أنّ في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد أن قيل له: هل في المال حقٌّ سوى الزكاة؟ قال: نعم أما سمعت قوله تعالى: «وآتى المال على حبّه ذوي القربى- الآية-[1]» - و استدلّوا بقوله تعالى: «أنفقوا ممّا رزقناكم[2]» وزعموا أنّ ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حقّ المسلم على المسلم، ومعناه أنّه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة والّذي يصحّ في الفقه من هذا أنّه مهما ارهقت حاجة كان إزالتها فرض كفاية إذ لايجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال: ليس على الموسر إلّا تسليم مايزيل الحاجة قرضاً فلا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه، و يحتمل أن يقال: يلزمه بذله في الحال ولايجوز له الإقراض أي لايجوز تكليف الفقير قبول القرض و هذا مختلف فيه والإقراض نزول إلى الدّرجة الأخيرة من درجات العوام، وهي درجة.

القسم الثالث الّذين يقتصرون على أداء الواجب فلايزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو أقلّ المراتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبّهم للآخرة قال الله تعالى: «إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا»[3] يحفكم أي يستقصِ عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأنّ له الجنّة وبين عبد لايستقصى عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله تعالى عباده ببذل الأموال».

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) البقرة: ٢٥٤.

(٣) سورة محمد: ٣٧ «فيحفكم» أى يجهدكم و يطلب منكم جميع أموالكم أو يستقص كما في المتن.

أقول : وعن مولانا الصادق عليه السلام باسناد حسن « أنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر، إنّما حقن بها دمه وسمّي مسلماً ، ولولم يؤدّها لم تقبل له صلاة ، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزّكاة ، فقلت : أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله أما تسمع الله تعالى يقول في كتابه : « والّذين في أموالهم حقّ معلوم * للسائل والمحروم » ؟(١) قال : قلت : فماذا الحقّ المعلوم الّذي علينا ؟ قال : هو و الله الشيء يعمله الرّجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدوم عليه وقوله تعالى : « ويمنعون الماعون »(٢) قال : هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعير ، ومنه الزكاة ، فقلت : إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعنا كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم ؟ فقال : لاليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك ، قال : قلت له : « يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » (٣) قال : ليس من الزكاة ، قلت : قوله تعالى : « ينفقون أموالهم بالّليل والنهار سرّاً وعلانية »(٤) قال : ليس من الزكاة ، قلت له : قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » (٥) قال : ليس من الزكاة ، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة »(٦).

و في الفقيه (٧) عنه عليه السلام قال : « إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله عزّ وجلّ ، ولم يعطكموها لتكنزوها ».

قال أبوحامد :

« المعنى الثاني التطهير عن صفة البخل فانّه من المهلكات قال صلى الله عليه وآله : « ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع وإعجاب المرء بنفسه »(٨) وقال الله تعالى : « ومن يوق شحّ نفسه

---

(١) المعارج :٢٤و٢٥ . (٢) الماعون : ٧ .

(٣) الدهر : ٨ . (٤) البقرة :٢٧٤ .

(٥) البقرة : ٢٧١ . (٦) الكافى ج ٣ ص ٤٩٩ .

(٧) المصدر ص ١٦٢ تحت رقم ١٤ .

(٨) أخرجه أبو الشيخ فى التوبيخ والطبرانى فى الاوسط عن أنس كما فى الجامع الصغير ، و رواه الصدوق فى الخصال ج١ ص ٤٢ .

فأولئك هم المفلحون» [١] .

و سيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكاً و كيفيّة التفصّي عنه [٢] و إنّما تزول صفة البخل بأن يتعوّد بذل المال فحبّ الشيء لا ينقطع إلّا بقهر النفس على مفارقته حتّى يصير ذلك اعتياداً ، فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهّر صاحبها عن خبث البخل المهلك و إنّما طهارته بقدر بذله و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

المعنى الثالث شكر النعمة فإنّ لله على عبده نعمةً في نفسه و في ماله فالعبادات البدنيّة شكر لنعمة البدن و الماليّة شكر لنعمة المال ، و ما أخسّ من ينظر إلى الفقير و قد ضيق الرزق عليه و أحوج إليه ثمّ لا تسمح نفسه بأن يؤدّي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال و إحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله .

الوظيفة الثانية في وقت الأداء . من آداب وقت الأداء عند ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال ، و إيصالاً للسرور إلى قلوب الفقراء ، و مبادرة لعوائق الزمان أن تعوّقه عن الخيرات ، و علماً بأنّ في التأخير آفات مع ما يتعرّض العبد له من العصيان لو أخّر عن وقت الوجوب » .

أقول : وليكن التقديم بالعزل أو على سبيل القرض لما قد عرفت من عدم إجزائه بدون ذلك .

قال : « و مهما ظهرت داعية الخير من الباطن ، فينبغي أن يغتنم فإنّ ذلك لمّة الملك و قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرّحمن فما أسرع تقلّبه ، و الشيطان يعد الفقر و يأمر بالفحشاء و المنكر و له لمّة عقيب كلّ لمّة للملك ، فليغتنم الفرصة و ليعيّن لزكاته إن كان يؤدّيها جميعاً شهراً معلوماً ، و ليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته و تضاعف زكاته ، و ذلك كشهر رمضان فقد كان صلّى الله عليه وآله وسلّم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً [٣] ، ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانّه اُنزل فيه القرآن ، و ذو الحجّة أيضاً من الشهور الكبيرة الفضل ، فإنّه شهر حرام و فيه الحجّ الأكبر و فيه الأيّام المعلومات و هي العشر الأوّل ، و الأيّام المعدودات و هي أيّام

(١) الحشر : ٩ . (٢) أى التخلص منه . (٣) البخارى ج٤ص ٢٢٩ .

التشريق ، وأفضل أيّام رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيّام ذي الحجّة العشر الأول.

الوظيفة الثالثة الإسرار فإنّ ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضل الصدقة جهد المقلّ إلى فقير في سرّ»[١].

وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البرّ منها إخفاء الصدقة وقد روي أيضاً مسنداً[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ العبد ليعمل عملاً في السرّ فيكتبه الله سرّاً فإن أظهره نقل من السرّ وكتب في العلانية فإن تحدّث به نقل من السرّ والعلانية وكتب رياء»[٣].

وفي الحديث المشهور «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه أحدهم رجل تصدّق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطته يمينه»[٤].

وفي الخبر «صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ تعالى»[٥] وقال تعالى : «وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم»[٦] وفائدة الإخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منّان»[٧] والمتحدّث بصدقته يطلب السمعة في ملأ من الناس يبغي الرياء ، والإخفاء والسكوت هو المخلّص من ذلك ، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتّى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي ، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى ، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث

---

(١) رواه أحمد في حديث طويل عن أبي ذر والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١١٥ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتاب الايجاز وجوامع الكلم عن ابن عباس كما في المغني .

(٣) قال العراقي : أخرج نحوه الخطيب في التاريخ من حديث أنس باسناد ضعيف .

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ج ٢ ص ١٣١ ، ومسلم ج ٣ ص ٩٣ ، ورواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ٢ .

(٥) الكافي ج ٤ ص ٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

(٦) البقرة : ٢٧١ .

(٧) لم أعثر عليه في أحد من الاصول وفي بطلان العمل بالرياء جاءت روايات عدة راجع وسائل الشيعة الباب الثاني عشر من أبواب مقدمة العبادات وكذا في مستدرك الوسائل الباب المذكور .

يراه ولا يرى المعطي ، وبعضهم كان يصرّه (١) في ثوب الفقير وهو نائم ، و بعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي ، وكان يستكتم المتوسّط شأنه و يوصيه بأن لا يفشيه ، كلّ ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الربّ و احترازاً من الرياء و السمعة ومهما لم يمكن إلّا بأن يعرفه شخصٌ واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلّم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء و المنّة جميعاً و ليس [في معرفة] المتوسّط إلّا الرياء ، و مهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأنّ الزكاة إزالة للبخل و تضعيف لحبّ المال وحبّ الجاه أشدّ استيلاء على النفس من حبّ المال ، و كلّ واحد منها مهلك في الآخرة ، ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقرباً لداغة ، وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال أفعى من الأفاعي وهو مأمور بتضعيفهما وقتلهما لدفع أذاهما فمهما قصد الرياء و السمعة فكأنّه جعل بعض أطراف العقرب قوتاً للحيّة فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوّة الحيّة و لو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه و قوّة هذه الصفات الّتي بها قوتها العمل بمقتضاها و ضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها و العمل بخلاف مقتضاها ، فأيّ فائدة في أن يخالف دواعي البخل و يجيب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوي الأقوى ، وسيأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات» .

أقول : وظيفة الإسرار عندنا مختصّة بالصدقة المندوبة دون الزكاة المفروضة ، قال الصادق عليه السلام فيما روي عنه بإسناد حسن : « كلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره ، و كلّ ما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه ، فلو أنّ رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلاً » (٢) و في الموثّق عنه عليه السلام في قوله تعالى : « و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم » (٣) قال : هي سوى الزكاة ، إنّ الزكاة علانية غير سرّ » (٤) نعم الإسرار الّذي يجري في الزكاة الواجبة أن يعطى

(١) الصرة : الدارهم و صررت الصرة شددتها .
(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٠١ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .
(٣) البقرة : ٢٧١ .
(٤) الكافي ج ١ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٣٧٨ .

المستحيي من أخذها لاعلى اسم الزكاة ، ففي الفقيه [١] عن عاصم بن حميد قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : الرجل من أصحابنا من يستحيي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة و لا أسمّي له أنّها من الزكاة ؟ فقال : أعطه و لا تسمّ له ولا تذلّ المؤمن » .

الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أنّ في الإظهار ترغيباً للناس في الاقتداء و يحرس سرّه عن داعية الرياء بالطريق الّذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال تعالى : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي » [٢] و ذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إمّا للاقتداء وإمّا لأنّ السائل إنّما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدّق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدّق و يحفظ سرّه عن الرياء بقدر الإمكان و هذا لأنّ في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ و الرياء ، و هو هتك ستر الفقير ، فإنّه ربّما يتأذّى بأن يرى في صورة المحتاج ، فمن أظهر السؤال فهو الّذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره و هو كإظهار الفسق على من يتستّر به فإنّه محظور [٣] و التجسّس فيه و الإغتياب بذكره منهيّ عنه ، فأمّا من أظهره فاقامة الحدّ عليه إشاعة و لكن هو السبب فيها و لمثل هذا المعنى قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » [٤] و قد قال تعالى : « و أنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانية » [٥] ندب إلى العلانية أيضاً لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمّل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الّذي فيها فإنّ ذلك يختلف بالأحوال و الأشخاص فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل و من عرف الفوائد و الغوائل و لم ينظر بعين الشهوة اتّضح له الأولى و الأليق بكلّ حال .

الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالمنّ و الأذى قال تعالى : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » [٦] واختلفوا في حقيقة المنّ والأذى فقيل : المنّ أن يذكرها ، و

---

(١) المصدر ص ١٥٢ .

(٢) البقرة : ٢٧١ . (٣) أى ممنوع شرعاً .

(٤) رواه البيهقي في شعب الايمان عن أنس بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٥) الرعد : ٢٢ .

(٦) البقرة : ٢٦٤ .

الأذى أن يظهرها ، وقيل : المنّ أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيّره بالفقر، وقيل : المنّ أن يتكبّر عليه لأجل عطائه و الأذى أن ينتهره أو يوبّخه بالمسألة ، و قد قال صلّى الله عليه وآله : « لايقبل الله صدقة منّان » (١) و عندي أنّ المنّ له أصل و مغرس هو من أحوال القلب و صفاته ، ثمّ يتفرّع عليه أفعال ظاهرة على اللّسان و الجوارح و أصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه و حقّه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حقّ الله تعالى منه الّذي هو طهرته ونجاته من النار و أنّه لو لم يقبله لبقي مرتهناً به ، فحقّه أن يتقلّد منّة من الفقير إذ جعل كفّه نائباً عن الله في قبض حقّه ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل» (٢) فليتحقّق أنّه مسلّم إلى الله ، و الفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلّماً إلى الله عزّ و جلّ ، و لو كان عليه دين لانسان فأحال به صاحب الدين عبده أو خادمه الّذي هو متكفّل برزقه لكان اعتقاد مؤدّي الدين كون القابض تحت منّته سفهاً وجهلاً فإنّ المحسن إليه هو المتكفّل برزقه ، أمّا هو فإنّما يقضي الدين الّذي لزمه بشراء ما أحبّه ، فهو ساع في حقّ نفسه فلم يمنّ به على غيره ؟ و مهما عرف المعاني الثلاثة الّتي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلّا إلى نفسه إمّا يبذل ماله إظهاراً لحبّ الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ، و كيفما كان فلا معاملة بينه و بين الفقير حتّى يرى نفسه محسناً إليه و مهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرّع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المنّ و هو التحدّث به و إظهاره و طلب المكافاة منه بالشكر و الدعاء و الخدمة و التوقير و التعظيم و القيام بالحقوق و التقديم في المجالس و المتابعة في الأمور فهذه كلّها ثمرات المنّة و معنى المنّة في الباطن ما ذكرناه .

و أمّا الأذى فظاهره التوبيخ و التعيير و تخشين الكلام و تقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه ـ و هو منبعه ـ أمران أحدهما كراهيته لرفع

(١) مر الكلام فيه .

(٢) رواه العياشي في تفسيره كما في الوسائل ج٦ ص٣٠٣ الطبعة الحروفية الحديثة . و مثله في عدة الداعي ص ٤٤ ، ورواه البيهقي في شعب الايمان بسند ضعيف كما في المغني .

اليد عن المال و شدّة ذلك على نفسه ، فإنّ ذلك يضيق الخلق لا محالة ، و الثاني رؤيته أنّه خير من الفقير ، و أنّ الفقير بسبب حاجته أخسّ رتبةً منه ، و كلاهما منشاؤه الجهل أمّا كراهية تسليم المال فهو حمق لأنّ من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوي ألفاً فهو شديد الحماقة ، ومعلوم أنّه يبذل المال يطلب رضى الله عزّ و جلّ و الثواب في دار الآخرة و ذلك أشرف ممّا بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل و شكراً لطلب المزيد ، و كيفما فرض فالكراهية لا وجه لها . أمّا الثاني فهو أيضاً جهل لأنّه لو عرف فضل الفقير على الغني و عرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرّك به و تمنّى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنّة بعد الفقراء بخمسمائة عام و لذلك قال صلى الله عليه وآله : «هم الأخسرون و ربّ الكعبة ، فقال أبو ذرّ : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً الحديث»[1] ثمّ كيف يستحقر الفقير و قد جعله الله سخرة له[2] إذ يكتسب المال بجهده و يستكثر منه و يجتهد في حفظه . و قد ألزم أن يسلّم إلى الفقير قدر حاجته و يكفّ عنه الفاضل الّذي يضرّه لو سلّم إليه فالغني يستخدم للسعي في رزق الفقير و يتميّز عنه بتقلّد المظالم و التزام المشاقّ و حراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكلها أعداؤه فإذن مهما انتفت الكراهية و تبدّلت بالسرور و الفرح بتوفيق الله له في أداء الواجب و تقبيضه للفقير حتّى يخلّصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى و التوبيخ و تقطيب الوجه و تبدّل بالاستبشار و الثناء و قبول المنّة فهذا منشأ المنّ و الأذى».

أقول : وفي الكافي عن الصادق عليه السلام «قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من علم أنّ ما صنع إنّما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم[3] و لم يستزدهم في

(١) تمام الحديث كما في مشكاة المصابيح ص ١٦٤ هكذا «عن أبي ذر قال : انتهيت الى النبي صلى الله عليه وآله وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال : هم الاخسرون و رب الكعبة ، فقلت : فداك أبي وامي من هم ؟ قال : هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا و هكذا و هكذا وهكذا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه وعن شماله و قليل ماهم» وقد مر آنفاً عن مصادر عدة .

(٢) قال الجزري : السخرة : التكليف والحمل على الفعل بغير اجرة .

(٣) يعني لم يتوقع منهم أن يشكروه . «و لم يستزدهم في مودتهم اياه» يعني لم يطلب منهم زيادة مودتهم اياه بما صنع اليهم ـ منه رحمه الله ـ .

مودّتهم إيّاه فلاتلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك و اعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن ردّه»[1].

قال أبو حامد: «فإن قلت: فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن به قلبه فيعرف به أنّه لم ير نفسه محسناً؟ فاعلم أنّ له علامة دقيقة واضحة و هو أن يقدّر أنّ الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوّاً له[2] عليه مثلاً هل كان يزيد استنكاره و استبعاده له على استنكاره قبل التصدّق، فإن زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنّة لأنّه توقّع بسببه ما لم يكن يتوقّعه قبل ذلك.

فإن قلت: فهذا أمر غامض ولا ينفكّ قلب أحد عنه فمادواؤه؟ فاعلم أنّ له دواءً باطناً و دواءً ظاهراً:

أمّا الباطن فالمعرفة بالحقائق الّتي ذكرناها في فهم الوجوب، و أنّ الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول؛ و أمّا الظاهر فالأعمال الّتي يتعاطاها متقلّد المنّة فإنّ الأفعال الّتي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثّل قائماً بين يديه يسأله قبولها حتّى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده، و كان بعضهم يبسط كفّه ليأخذ الفقير ويكون يد الفقير هي العليا، وكان بعضهم إذا أرسل معروفاً إلى فقير قال للرسول: احفظ ما يدعو به، ثمّ كان يردّ عليه مثل قوله: «و يقول: هذا بذاك حتّى يخلص لي صدقتي، فكانوا لا يتعوّقون الدعاء لأنّه شبه المكافاة و كانوا يقابلون الدعاء بمثله».

أقول: و الظاهر من طريقة أهل البيت عليهم السلام خلاف ذلك فقد روي «أنّ زين العابدين عليه السلام كان يقول للخادم: أمسكي قليلاً حتّى يدعو فإنّ دعوة السائل الفقير لا تردّ»، وكان عليه السلام يأمر الخادم إذا أعطت السائل أن تأمره أن يدعو بالخير» و عن أحدهما عليهما السلام «إذا أعطيتموهم فلقّنوهم الدعاء فإنّهم يستجاب لهم فيكم و لا يستجاب

(١) المصدر ج ٤ ص ٢٨.
(٢) مالاه على الامر ساعده.

لهم في أنفسهم »[١].

قال أبوحامد: «فهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلّا هذه الأعمال الدالّة على التذلّل و التواضع و قبول المنّة و من حيث الباطن المعارف الّتي ذكرناها، هذا من حيث العمل و ذلك من حيث العلم ولا تعالج القلب إلّا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة و ثبت ذلك بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليس للمرء من صلاته إلّا ماعقل منها»[٢] و هذا بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يقبل الله صدقة منّان»[٣] و بقوله تعالى: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى»[٤] و أمّا فتوى الفقيه بوقوعها موقعها و براءة ذمّته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر و قد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة.

الوظيفة السادسة أن يستصغر العطيّة فإنّه إن استعظمها أعجب بها والعُجب من المهلكات و هو محبط للأعمال، قال الله تعالى: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين»[٥] و يقال: إنّ الطاعة كلّما استصغرت كبرت عند الله و المعصية كلّما استعظمت صغرت عند الله، و قيل: لا يتمّ المعروف إلّا بثلاث: تصغيره وتعجيله و ستره».

أقول: هذا ممّا رواه في الفقيه[٦] عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «رأيت المعروف لا يصلح إلّا بثلاث خصال: تصغيره و ستره و تعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، و إذا سترته تمّمته، و إذا عجّلته هنّأته، و إن كان غير ذلك محقته و نكدته».

قال أبو حامد: «و ليس الاستعظام هو المنّ و الأذى فإنّه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن المنّ والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات، و دواؤه علم و عمل أمّا العلم فهو أن يعلم أنّ العشر أو نصف-

(١) عدة الداعي ص ٤٤.
(٢) و (٣) مرسابقاً.
(٤) البقرة: ٢٦٤.
(٥) التوبة: ٢٥.
(٦) ص ١٦٢ تحت رقم ١٢.

العشر قليل من كثير و أنّه قد قنع لنفسه بأخسّ درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب ، فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه و إن ارتقى إلي الدرجة العليا فبذل كلّ ماله أو أكثره فليتأمّل أنّه من أين له المال و إلى ما ذا يصرفه ، فالمال لله وله المنّة عليه إذ أعطاه ، ثمّ وفّقه لبذله فلم يستعظم في حقّ الله ما هو عين حقّ الله سبحانه و إن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة و أنّه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه ؛ و أمّا العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساكه بقيّة ماله عن الله فيكون هيئته في الانكسار و الحياء كهيئة من يطالب بردّ وديعة فيمسك بعضها و يردّ البعض لأنّ المال كلّه لله و بذل جميعه هو الأحبّ عند الله و إنّما لم يأمر به عبده لأنّه يشقّ عليه بسبب بخله كما قال تعالى : «إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا»(١).

الوظيفة السابعة أن ينتقي من ماله أجوده وأحبّه إليه و أجلّه و أطيبه فإنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً ، و إذا كان المخرج من شبهة فربّما لا يكون ملكاً له طلقاً فلا يقع الموقع و في بعض الأخبار «طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية»(٢) و إذا لم يكن المخرج من جيّد المال فهو من سوء الأدب إذ يمسك الجيّد لنفسه أولعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله غيره و لو فعل هذا بضيفه و قدّم إليه أردى طعام في بيته لأوغر به صدره . هذا إن كان نظره إلى الله و إن كان نظره إلى نفسه و ثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، و ليس له من ماله إلّا ما تصدّق فأبقى أو أكل فأفنى و الّذي يأكله قضاء وطر في الحال ، فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادّخار ، و قد قال تعالى : «أنفقوا من طيّبات ما كسبتم و ممّا أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون و لستم بآخذيه إلّا أن تغمضوا فيه»(٣) أي ما لاتأخذونه إلّا مع كراهية و حياء ، و هو معنى الاغماض ، فلا تؤثروا به ربّكم ؛ في الخبر «سبق درهم مائة ألف درهم»(٤) و ذلك بأن يخرجه الإنسان و هو من أجلّ ماله و أجوده فيصدر ذلك عن الرضا و الفرح بالبذل ، و قد يخرج مائة ألف درهم ممّا يكره من ماله

---

(١) سورة محمد : ٣٧ . (٢) مر سابقاً عن الكافي وغيره .
(٣) البقرة : ٢٦٧ . (٤) أخرجه النسائي ج ٥ ص ٥٩ .

فيدلّ على أنّه ليس يؤثر الله بشيء ممّا يحبّه و لذلك ذمّ الله تعالى قوماً جعلوا لله ما يكرهون فقال : « و يجعلون لله ما يكرهون و تصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ثمّ ابتدأ وقال : - جرم أنّ لهم النار»[1] أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .

الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فإنّ في عمومهم خصوصاً فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستّة :

الصفة الاولى أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجرّدين لتجارة الآخرة . قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تأكل إلّا طعام تقيّ ولا يأكل طعامك إلّا تقيّ »[2] هذا لأنّ التقيّ يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعاته بإعانتك إيّاه .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أطعموا طعامكم الأتقياء و أولوا[3] معروفكم المؤمنين » - وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبّه بالله » .

الصفة الثانية أن يكون من أهل العلم خاصّة ، فإنّ ذلك إعانة له على العلم ، و العلم أشرف العبادات مهما صحّت فيه النيّة ، و كان ابن المبارك يخصّص بمعروفه أهل العلم ، فقيل له : لو عممت ؟ فقال : إنّي لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء ، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرّغ للعلم و لم يقبل على التعلّم ، فتفريغهم للعلم أفضل .

الصفة الثالثة أن يكون صادقاً في تقواه و علمه بالتوحيد و توحيده أنّه إذا أخذ العطاء حمد الله و شكره و رأى النعمة منه و لم ينظر إلى واسطة فهذا هو شكر العباد لله ، و هو أن يرى النعم كلّها منه . ومن وصيّة لقمان لابنه « لا تجعل بينك و بين الله منعماً

(١) النحل : ٦٢ .

(٢) أخرج الدارمى ج ٢ ص ١٠٣ عن ابى سعيد الخدرى أنه ، سمع نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تصحب الا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقى » .

(٣) كذا وقال العراقى : أخرجه ابن المبارك فى البر والصلة من حديث ابى سعيد الخدري و كذا ما بعده عن الضحاك مرسلا .

و اعدد نعمة غيره عليك مغرماً » و من رأى النعمة من غير الله فكأنّه لم يعرف المنعم و لم يتيقّن أنّ الواسطة مقهور مسخرٌ بتسخير الله إذ سلّط الله عليه دواعي الفعل و يسّر له الأسباب فأعطى ، فمن تيقّن هذا لم يكن له نظر إلّا إلى مسبّب الأسباب ، و يقين مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره و شكره فذلك حركة لسان يقلّ في الأكثر جدواها ، و إعانة مثل هذا الموحّد لا تضيع ، فأمّا الّذي يمدح بالعطاء و يدعو بالخير فيذمّ بالمنع ، و يدعو بالشرّ عند الإيذاء ، و أحواله متفاوتة ، و من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلّا من حيث أنّهم وسائط فكأنّه لم ينفكّ عن الشرك الخفي سرّه فليتّق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه ».

أقول : و في هذا المعني ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : « و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا و هم مشركون »[(١)] قال : « هو قول الرجل لولا فلان لهلكت و لولا فلان لما أصبت كذا و كذا و لو لا فلان لضاع عيالي ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه ، قلت : فيقول : لولا أنّ الله منّ عليّ بفلان لهلكت ؟ قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه » رواه أحمد بن فهد رحمه الله في العدّة[(٢)] و ينبغي أن لا يمنعه علمه بالتوحيد عن شكر الواسطة ، ففي الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من أتى إليه معروف فليكاف به وإن عجز فليثن فإن لم يفعل فقد كفر النعمة[(٣)] » و قال الصادق عليه السلام : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : و ما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره »[(٤)] و يأتي تمام الكلام فيه في وظائف القابض إن شاء الله .

الصفة الرابعة أن يكون متستّراً مخفياً حاجته لا يكثر البثّ و الشكوى ، أو يكون من أهل المروّة و ممّن ذهبت نعمته و بقيت عادته فهو يتعيّش في جلباب التجمّل قال الله : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف[(٥)] تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس ،

---

(١) يوسف : ١٠٦ . (٢) ص ٧٠ .
(٣) و(٤) رواهما الصدوق في الفقيه ص١٦٢ رقم ١٦ و١٧ وفي الكافي ج ٤ ص٣٣ .
(٥) التعفف ترك السؤال يعني من أجل تعففهم عن السؤال يظن الجاهل بحالهم أنهم مستغنون

الحافاً » [١] أي لا يلحّون في سؤال لأنّهم أغنياء بيقينهم ، أعزّة بصبرهم و هذا ينبغي أن يطلب بالتفحّص عن أهل الدين في كلّ محلّة و يستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير و التجمّل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال .

الصفة الخامسة أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى : «للفقراء الّذين اُحصروا في سبيل» [٢] أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة و إصلاح قلب لا يستطيعون ضرباً في الأرض لأنّهم مقصوصوا الجناح ، مقيّدوا الأطراف بهذه الأسباب وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله يعطي العطاء على قدر العيلة .

الصفة السادسة أن يكون من الأقارب و ذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة ، و في صلة الرحم من الثواب مالا يخفى والأصدقاء و إخوان الخير أيضاً يتقدّمون على المعارف كما يتقدّم الأقارب على الأجانب . قال عليّ عليه السلام : « لئن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحبّ إليّ من أن أتصدّق بعشرين درهماً ، و لئن أصله بعشرين درهماً أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائة درهم و لئن أصله بمائة درهم أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة » [٣] .

فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة و في كلّ صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها فإن و جد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى و الغنيمة العظمى و مهما اجتهد في ذلك و أصاب فله أجران و إن أخطأ فله أجر واحد فإنّ أحد أجريه في الحال تطهير[ه] نفسه عن صفة البخل و تأكيده حبّ الله في قلبه و اجتهاده في طاعته و هذه الصفات هي الّتي تقوي في قلبه فتشوّقه إلى لقاء الله ، و الأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ و همّته فإنّ قلوب الأبرار لها آثار في الحال و المآل ، فإن أصاب حصل الأجران و إن أخطأ حصل الأوّل دون الثاني ، فهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا و في سائر المواضع و الله أعلم » .

أقول : ما ذكره أبو حامد من الصفات للمستحقّ و الاجتهاد فيها إنّما يعتبر في مستحقّ البرّ والصلة دون مستحقّ الزكاة والصدقة ، دليل ذلك مارواه مولانا العسكري عليه السلام

---

(١) و (٢) البقرة : ٢٧٣ .

(٣) لم أجده .

في تفسيره [(١)] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل قال : « فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فمن مستحق الزكاة ؟ قال : المستضعفون من شيعة محمد و آله الذين لم يقو بصائرهم فأما من قويت بصيرته و حسنت بالولاية لأوليائهم و البراءة من أعدائهم معرفته فذاك أخوكم في الدين أمس بكم رحماً من الآباء و الأمهات المخالفين فلا تعطوه زكاة و لا صدقة فإن موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد يحرم على جماعتنا الزكاة و الصدقة وليكن ماتعطونه إخوانكم المستبصرين البر وارفعوهم عن الزكوات والصدقات ونزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم ، أيحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم المؤمنين ، ولا تقصدوا أيضاً بصدقاتكم و زكواتكم المعاندين لآل محمد المحبين لأعدائهم ، فإن المتصدق على أعدائنا كالسارق في حرم ربنا عز وجل و حرمي . فقيل : يا رسول الله فما للمستضعفين من المخالفين الجاهلين ، لاهم في مخالفتنا مستبصرون و لا هم لنا معاندون ؟ قال : يعطى الواحد من الدراهم ما دون الدرهم و من الخبز ما دون الرغيف ، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثم كل معروف بعد ذلك و ما وقيتم به أعراضكم و صنتموها عن ألسنة كلاب الناس كالشعراء و الوقاعين في الأعراض تكفونهم فهو محسوب لكم في الصدقات » - انتهى كلامه صلوات الله عليه و سلامه .

أقول : و من الوظائف أن يقبل يده بعد الإعطاء لأنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده إلى فيه فيقبلها فإن الله عز و جل يأخذ قبل أن تقع في يده فإنه عز و جل يأخذ الصدقات » [(٢)] .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الآية « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات و أن الله هو التواب الرحيم » [(٣)] .

---

(١) ص٢٩ . (٢) رواه الصدوق في الخصال ج ٢ ص ١٦٠ في حديث الاربعمائة .

(٣) التوبة : ١٠٤ ، والخبر رواه ابن فهد في عدة الداعي ص ٤٤ .

و عن الصادق عليه السلام « ان الله تعالى يقول : ما من شيء إلّا و قد وكّلت من يقبضه غيري إلّا الصدقة فإنّي أتلقّفها بيدي تلقّفاً [١] حتّى أنّ الرجل ليتصدّق أو المرأة لتتصدّق بالتمرة أو بشقّ تمرة فأربّيها له كما يربّي الرجل فلوه و فصيله فتلقاني يوم القيامة و هي مثل جبل اُحد » [٢].

﴿ الباب الثالث ﴾

(فى القابض و اسباب استحقاقه و وظائف قبضه)

(أسباب الاستحقاق)

« اعلم أنّه لا يستحقّ الزكاة إلّا حرّ مسلم ليس بهاشميّ و لا مطّلبي اتّصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى [٣]، فلا تصرف زكاة إلى كافر ، و لا إلى عبد ، و لا إلى هاشميّ أو مطّلبي ، أمّا الصبيّ و المجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليّهما » .

أقول : اشتراط الحرّيّة على الإطلاق غير صحيح كما سيأتي و إلحاق المطّلبي بالهاشميّ شاذّ عندنا قولاً و رواية ، و يجوز إعطاء الهاشميّ إذا كان المزكّي هاشمياً أو قصر الخمس عن مؤونته ، و يشترط عندنا في غير المؤلّفة أن يكون اثنى عشريّ المذهب بإجماعنا و الصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام [٤] حتّى أنّه لو كان المزكّي مخالفاً و أعطاها أهل نحلته ثمّ استبصر وجب عليه إعادة الزكاة و إن لم يجب عليه إعادة سائر عباداته ، و في اشتراط العدالة في غيرهم و غير العاملين خلاف و الأصحّ الاكتفاء باجتناب التظاهر بالفسق ، أمّا في العاملين فشرطٌ بلاخلاف لتضمّن العمالة الاستيمان

---

(١) لقفت الشى و تلقفته أى تناولته بسرعة .

(٢) التهذيب ج ١ص ٣٨٠ ، رجال الكشى ص١٥٢ ، الكافى ج ٤ص٤٧ ، والفلو : المهر يفصل عن امه والجمع أفلاء . والمهر - بضم الميم - : ولد الفرس .

(٣) فى الاية الخامسة والعشرين من سورة التوبة .

(٤) راجع وسائل الشيعة كتاب الزكاة الباب الخامس .

كما لا خلاف في عدم اشتراطه في المؤلّفة ، و يشترط أن لا يكونوا واجبي نفقة للمزكّي إلّا من يصرفه في غير النفقة الواجبة كالغازي و الغارم و المكاتب ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام « خمسة لا يعطون من الزكاة شيئاً : الأب و الأمّ و الولد و المملوك و المرأة وذلك أنّهم عياله لازمون له »[١] قال أبو حامد : « ولنذكر

(صفات الاصناف الثمانية)

الصنف الأوّل الفقراء و الفقير هو الّذي ليس له مال و لا قدرة على الكسب فإن كان معه قوت يومه و كسوة حاله فليس بفقير و لكنّه مسكين و إن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، و إن كان معه قميص و ليس معه منديل ولا خفّ ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنّه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه و هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة ، فإنّ هذا غلوّ و الغالب أن لا يوجد مثله ، ولايخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال فلا يجعل السؤال كسباً بخلاف ما لو قدر على الكسب فإنّ ذلك يخرجه عن الفقر ، فإن قدر على الكسب بآلة فهوفقير و يجوز أن يشترى له الآلة و إن قدر على كسب لايليق بمروءته و بحال مثله فهو فقير و إن كان متفقّهاً و يمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقّه فهو فقير ولا يعتبر قدرته و إن كان متعبّداً يمنعه الكسب عن وظائف العبادات و أوراد الأوقات فليكتسب لأنّ الكسب أولى منه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة »[٢] و إن كان مكفياً بنفقة أبيه أومن يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير » .

أقول : إلّا إذا لم يوسّع عليه المنفق كما رواه أصحابنا في الصحيح عن الكاظم عليه السلام « أنّه سئل عن الرجل أن يكون أبوه أو عمّه أو أخوه يكفيه مؤنته أيأخذ الزكاة فيوسّع به إذا كانوا لايوسّعون عليه في كلّ ما يحتاج إليه ؟ قال : لا بأس »[٣] و فيه قول آخر .

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٥٢ تحت رقم ٥ .
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الطاء .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٥ ، التهذيب ج ١ ص ٣٧٩ ، المقنعة ص ٤٣ .

و اعلم أنّ ما ذكره أبو حامد في تفسير الفقير و كذا ما سيذكره في تفسير المسكين مبنيٌّ على أنّ الفقير أسوء حالاً من المسكين و هو أحد القولين في هذه المسألة و القول الآخر أنّ الأمر بالعكس و لعلّه الأصحّ لما رواه أصحابنا في الصحيح (١) عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «الفقير الّذي لا يسأل و المسكين الّذي هو أجهد منه الّذي يسأل» و في الحسن مثله و زاد «و البائس أجهدهم» (٢) و على هذا يتعاكس التفسيران.

«الصنف الثاني المساكين والمسكين هو الّذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم و هو مسكين و قد لا يملك إلّا فاساً و حبلاً و هو غنيٌّ، و الدويرة الّتي يسكنها و الثوب الّذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين، و كذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه و ذلك ما يليق به، و كذا كتب الفقه لا يخرجه عن المسكنة، فإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر».

أقول: و ممّا يدلّ على هذه الأحكام من أخبار أهل البيت عليهم السلام ما رواه معاوية ابن وهب في الصحيح عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن الرجل يكون له ثلاثمائة درهم أو أربعمائة درهم وله عيالٌ و هو يحترف فلا يصيب نفقته فيها أيكبُّ فيأكلها و لا يأخذ الزكاة أو يأخذ الزكاة؟ قال: لا بل ينظر إلى فضلها فيقوت بها نفسه و من وسّعه ذلك من عياله و يأخذ البقية من الزكاة و يتصرّف بهذه لا ينفقها» (٣).

و في الموثّق عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن الزكاة هل تصلح لصاحب الدار والخادم؟ فقال: نعم إلّا أن تكون داره دار غلّة فيخرج له من غلّتها ما يكفيه لنفسه وعياله، فان لم تكن الغلّة تكفيه لنفسه و عياله في طعامهم و كسوتهم و حاجتهم من غير إسراف فقد حلّت له الزكاة وإن كانت غلّتها تكفيهم فلا» (٤).

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن الرجل له دار أو خادم أو عبد أيقبل الزكاة؟ قال: نعم إنّ الدار و الخادم ليسا بمال» (٥). و في التعليل إشعارٌ باستثناء

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٨.
(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٧٨، الكافي ج ٣ ص ٥٠١ تحت رقم ١٦.
(٣)، (٤)، (٥) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٦، و ٥٦٠ رقم ٤، و ٥٦١ رقم ٧، و التهذيب ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٧٩، والمقنعة ص ٤٣، والفقيه ص ١٥٦ رقم ٥٤.

ماساوى الدار و الخادم في المغني.

و في الموثّق عن الصادق عليه السلام قال: «قد تحلّ الزكاة لصاحب السبعمائة و تحرم على صاحب الخمسين درهماً، فقيل له: و كيف يكون هذا؟ فقال: إذا كان صاحب السبعمائة له عيال كثير فلو قسّمها بينهم لم تكفه فليعف عنها نفسه و ليأخذها لعياله و أمّا صاحب الخمسين فإنّه تحرم عليه إذا كان وحده و هو محترف يعمل بها وهو يصيب منها مايكفيه إن شاء الله» (١).

إلى غير ذلك من الأخبار ممّا في معناها وهي مؤيّدة لما ذهب إليه الشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ في المبسوط في تفسير الأحسن حالاً من الصنفين أنّه من لم يقدر على كفايته و كفاية من يلزمه من عياله عادة على الدوام بربح مال أو غلّة أو صنعة، و المشهور وسيّما بين متأخرينا أنّه من لم يملك مؤونة سنة له ولو أجبي نفقته، و قيل: من لم يملك نصاباً يجب فيه الزكاة أو قيمته.

و يستدلّ للمشهور بما روي في الموثّق عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «يأخذ الزكاة صاحب السبعمائة إذا لم يجد غيره، قيل: فإنّ صاحب السبعمائة تجب عليه الزكاة؟ فقال: زكاته صدقة على عياله فلا يأخذها إلّا أن يكون إذا اعتمد على السبعمائة أنفدها في أقلّ من سنة فهذا يأخذها، ولاتحلّ الزكاة لمن كان محترفاً و عنده ما يجب فيه الزكاة أن يأخذ الزكاة» (٢) و تحصيل الضابطة فيه على وجه يتلائم الأخبار و الأقوال و شهادة العقل و اللّغة و العرف لا يخلو من إشكال.

قال أبوحامد: «وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنّه يحتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى الكتاب، فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم و الاستفادة والتفرّج بالمطالعة، أمّا حاجة التفرّج فلا يعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار و أمثال ذلك ممّا لاينفع في الآخرة ولا يجدى في الدّنيا إلّا مجرّد التفرّج و الاستيناس فهذا يباع في الكفّارة و زكاة الفطر، و يمنع اسم المسكنة، و أمّا

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٩.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٦٠.

حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمعلّم و المؤدّب و المدرّس بأُجرة فهذا آلته فلا يباع في الفطرة كأدوات الخياط و سائر المحترفين و إن كان يدرّس للقيام بفرض الكفاية فلا يباع أيضاً ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنّها حاجة مهمّة و أمّا حاجة الاستفادة و التعلّم من الكتاب كادّخاره كتاب طبّ ليعالج به نفسه أو كتاب وعظ ليطالع و يتّعظ فإن كان في البلد طبيب و واعظ فهذا مستغن عنه و إن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثمّ ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلّا بعد مدّة فينبغي أن يضبط مدّة الحاجة و الاقرب أن يقال : مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستغن عنه ، فإنّ من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة فإذا قدّر حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت و ثياب البدن ينبغي أن يقدّر بالسنة فلايباع ثياب الصيف في الشتاء ، والكتب بالثياب و الأثاث أشبه فلا تباع ، وقد يكون له من كتاب نسختان فلاحاجة إلّا إلى أحدهما فإن قال : أحدهما أصحّ والآخر أحسن فأنا أحتاج إليهما ، قلنا : اكتف بالأصحّ وبع الأحسن ودع التفرّج و الترفّه وإن كانت نسختان من علم واحد أحديهما بسيط و الأُخرى وجيز فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كلّ واحدة فائدة ليست في الأُخرى وأمثال هذه الصور لاتنحصر ولم يتعرّض له في فنّ الفقه فإنّما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره ، فإنّ استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدّى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدّار في سعتها وضيقها وليس لهذه الأُمور حدود محدودة ، ولكنّ الفقيه يجتهد فيها رأيه ويقرب في التحديدات بمايراه ويقتحم فيه خطر الشبهات ، والمتورّع يأخذ بالأحوط و يدع مايريبه إلى مالا يريبه والدّرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجليّة كثيرة ولاينجي منها إلّا بالاحتياط » .

الصنف الثالث العاملون .

أقول : العاملون هم عمّال الصدقات جباية و كتابة وحفظاً وقسمة ونحوها ولو كانوا أغنياء ولا يشترط حرّيتهم خلافاً للمبسوط .

والمؤلّفة هم الكفّار المستمالون إلى الجهاد ، وقيل : هم المنافقون ، وجوّز جماعة

كونهم مسلمين .

و في الرقاب هم المكاتبون الّذين ليس لهم ما يصرفونه في كتابتهم ، والعبيد الّذين كانوا تحت شدّة فيعتقون منها ومع عدم الشدّة قولان لتعارض النصوص إلّا مع عدم مستحقّ غيره فيجوز بلاخلاف .

والغارمون هم المدينون في غير معصية أومع التوبة مع عدم تمكّنهم من القضاء و يجوز مقاصتّهم بما عليهم من الزكاة بلا خلاف و الدّفع إلى أرباب الدّيون بدون إذنهم وبعد موتهم .

وفي سبيل الله ما يتوصّل به إلى رضاه سبحانه كالجهاد و تعمير مسجد و جسر و مدرسة ومعونة زائر ونحوها كما يستفاد من تفسير العسكري عليه السلام وغيره و عليه الأكثر وفي الصحيح عن عليّ بن يقطين « قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : يكون عندي المال من الزكاة أفأحجّ به مواليّ وأقاربي ؟ قال : نعم » (١) فتخصيصه بالجهاد كما في النهاية ليس بجيّد مع أنّه بعيد عن ظاهر اللّفظ ، وفي اشتراط حاجتهم خلاف والأصحّ جواز صرفه في كلّ قربة لايتمكّن فاعلها الإتيان بها بدونه و إن كان غنيّاً ، أمّا الغازي فيعطى قدر كفايته على حسب حاله وإن كان غنيّاً بلاخلاف .

وابن السبيل هو المنقطع به في غير معصية وإن كان غنيّاً في بلده فيعطى قدر بلغته واعتبار عجزه عن الاستدانة أوبيع ماله بعيد عن اللّفظ .

ويصدّق مدّعي الفقر أو المسكنة من غير بيّنة ولا يمين مالم يعلم كذبه والأحوط اعتبار الظنّ الغالب بصدقه ولو ظهر عدم الاستحقاق فإن كان قد فحص أوّلاً أجزأت و إلّا فلا .

و في سائر الأصناف لابدّ من الثبوت فإن صرفوا في غير أغراضهم استردّ .

وهذه مصارف زكاة المال و الفطر . و قال المفيد : بل الفطر يختصّ بالمساكين و ظاهر الأخبار معه فهو أحوط .

---

(١) و رواه الصدوق فى الفقيه ص ١٥٧ رقم ٦٠ .

﴿فصل﴾

و أمّا الخمس فيقسّم ستّة أسهم ثلاثة للإمام عليه السلام هي سهمه و سهم الله و سهم رسوله صلى الله عليه وآله ، و ثلاثة للأصناف الثلاثة : اليتامى و المساكين و ابن السبيل كما هو ظاهر الآية الشريفة و النصوص المستفيضة ، و قيل : بل خمسة أسهم سهم للإمام عليه السلام و سهم لأقرباء الرسول صلى الله عليه وآله و ثلاثة للثلاثة الباقية للخبر الصحيح و يشعر بعض النصوص باختصاص خمس الأرباح كلّه بالإمام عليه السلام ، و يشترط في الأصناف الثلاثة كونه اثني عشريّ المذهب لا العدالة بلا خلاف و أن يكونوا هاشميّين للأخبار المستفيضة خلافاً لابن الجنيد لإطلاق الآية و الخبر الصحيح و لا يكفي الانتساب بالأمّ عند الأكثر خلافاً للسيّد المرتضى وابن حمزة .

و لا يعتبر الفقر في ابن السبيل بل الحاجة في بلد التسليم خاصّة كما مرّ في الزكاة ؛ و في اليتيم قولان ولا يجب استيعاب أشخاص الثلاثة بلا خلاف إذ المراد بهم في الآية الجنس لا العموم ، وفي بعض الأخبار المعتبرة أنّ ذاك إلى الإمام (١) . و في وجوب بسط حصصهم عليهم ، أو جواز تخصيص واحدة بها قولان ، أشهرهما الثاني و أحوطهما الأوّل كما أشرنا إليه سابقاً .

و هل يسقط فرض الخمس حال غيبة الإمام عليه السلام لما ورد من الرخص في الأخبار المستفيضة أم يجب حفظه ثمّ الوصيّة به إلى حضوره عليه السلام لأنّه حقّه فوجب إيصاله إليه مهما أمكن أن يدفن لأنّه إذا قام دلّه الله على الكنوز كما جاء في الخبر ، أم يصرف النصف إلى مستحقّيه و يحفظ ما يختصّ به بالوصاية أو الدفن ، أم يصرف الكلّ إلى الموجودين لأنّ عليه إتمام كفايتهم مع العوز (٢) وله الزيادة في حضوره كما ورد في الرواية فكذلك مع الغيبة ؟ أقوال و يحتمل قوياً سقوط ما يختصّ بالامام عليه السلام لتحليلهم عليهم السلام ذلك لشيعتهم و وجوب صرف حصص الباقين إلى أهلها لعدم مانع منه و لو صرف الكلّ إليهم لكان أحوط و أحسن ولكن يتولّى ذلك الفقيه المأمون بحقّ النيابة كما يتولّى عن

(١) راجع الكافي ج١ ص ٥٤٤ وقرب الاسناد ص ١٧٠ . (٢) أي الحاجة والضيق .

الغائب و ربما يؤيد ذلك بأنه على تقدير ثبوت حقه عليه السلام لاضرر في مثل هذا التصرف عليه بوجه فينتفي المانع منه بل ربما يعلم رضاه إذا كان المدفوع إليه من أهل الاضطرار و التقوى و كان المال في معرض التلف مع التأخير كما هو الغالب في مثل هذا الزمان فيكون دفعه إليهم إحساناً محضاً و ما على المحسنين من سبيل .

(بيان وظائف القابض و هي خمسة)

«الأولى أن يفهم أن الله أوجب صرفه إليه ليكفي مهمته ويجعل همومه هماً واحداً فقد تعبد الله الخلق بأن يكون همهم واحداً و هو الله أصلاً و اليوم الآخر تبعاً ، و هو المعني بقوله تعالى : « و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون »(١) ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات و الحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات ، فأكثر الأموال و صبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم و وسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة و بلية فأقحمه متن الخطر و منهم من أحبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضوله و ساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون شغل الكسب و التعب في الجمع و الحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله و الاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا و لا يشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة ، فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ، و يتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه و بيانه ، فليأخذ ما يأخذه من الله رزقاً و عوناً له على الطاعة ، وليكن نيته فيه أن يتقوي به على طاعته ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله تعالى فإن استعان به على معصية الله كان كافراً لأنعم الله مستحقاً للبعد و المقت من الله .

الثانية أن يشكر المعطي و يدعو له و يثني عليه و يكون شكره و دعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله إليه و للطريق حق من حيث جعله الله طريقاً و واسطة و ذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله و قد قال صلى الله عليه وآله : « من

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) و قد أثنى الله على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها ، و خالق القدرة عليها ، نحو « نعم العبد إنّه أوّاب » (٢) إلى غير ذلك و ليقل القابض في دعائه : طهّر الله قلبك في قلوب الأبرار ، و زكى عملك في عمل الأخيار ، و صلّى على روحك في أرواح الشهداء . و قد قال صلّى الله عليه و آله و سلّم : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتّى تروا أن قد كافأتموه » (٣) .

أقول : و قد مرّ هذا الحديث من طريق الخاصّة أيضاً مع حديث آخر في هذا الباب و في الكافي عن الصادق عليه السلام « قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من صنع بمثل ما صنع إليه فإنّما كافأه و من أضعفه كان شكوراً و من شكر كان كريماً » (٤) .

قال أبو حامد : « و من تمام الشكر أن يستر عيوب صاحب العطاء إن كان فيه عيبٌ ولا يحقّره ولا يذمّه ، ولا يعيّره بالمنع إذا منع ، و يفخّم عند نفسه و عند الناس صنيعه » فوظيفة المعطي الاستصغار ، و وظيفة القابض تقلّد المنّة و الاستعظام ، وعلى كلّ عبد القيام بحقّه و ذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير و التعظيم تتعارض و النافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير و يضرّه خلافه ، و الآخذ بالعكس منه و كلّ ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فإنّ من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل و إنّما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً .

الثالثة أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حلّه تورّع عنه « فمن يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب » ولن يعدم المتورّع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك و الجنود و عمّال السلاطين و من أكثر كسبه من الحرام إلّا إذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلّم إليه لا يعرف له مالكاً معيّناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإنّ فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدّق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال

---

(١) أخرجه الترمذى ج ٨ ص ١٣٣ وأحمد ج٢ ص٢٥٢ و ابو داود ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٢) سورة (ص) : ٤٤ .

(٣) أخرجه أبو داود فى حديث عن ابن عمر و فيه « من صنع اليكم معروفاً » والنسائى ج٥ ص٨٢ فى حديث وفيه « من آتى اليكم » .

(٤) المصدر ج ٤ ص ٢٧ .

و الحرام و ذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤدّيه وهو حرام ».

أقول : وليتورّع العالم من أخذ الزكاة مطلقاً ما لم يضطرّ إليه تنزيهاً لنفسه عن أوساخ أيدي الناس كمامرّ ذكره .

« الرابعة أن يتوقّى مواقع الريبة و الاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ إلّا القدر المباح ، و لا يأخذ إلّا إذا تحقّق أنّه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذ بالكتابة أو الغرامة فلا يزيد على قدر الدّين و إن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اُجرة المثل ، فإن اُعطى زيادة أبى و امتنع إذ ليس المال للمعطي حتّى يتبرّع به ، و إن كان مسافراً لم يزد على الزاد و كراء الدابة إلى مقصده ، و إن كان غازياً لم يأخذ إلّا قدر ما يحتاج إليه للغزو خاصّة من خيل و سلاح و نفقة ، و تقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حدّ ، و كذا زاد السفر ، والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، و إن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلاً إلى أثاث بيته وثيابه و كتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه أو يستغني عن نفاسته ، فيمكن أن يبدّل بما يكفي و يفضل بعض قيمته ، و كلّ ذلك إلى اجتهاده ، و فيه طرف ظاهر يتحقّق معه أنّه يستحقّ و طرف آخر مقابل يتحقّق معه أنّه غير مستحقّ و بينهما أوساط مشتبهة ، و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، و الاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً ، و للمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق و التوسيع فلا ينحصر مراتبه و ميل الورع إلى التضييق و ميل المتساهل إلى التوسيع حتّى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسّع وهو ممقوت في الشرع ، ثمّ إذا تحقّقت حاجته فلا يأخذنّ مالاً كثيراً بل ما يتمّم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخّص فيه من حيث أنّ السنة إذا تكرّرت تكرّر أسباب الدخل ومن حيث « أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ادّخر لعياله قوت سنة » (١) فهذا أقرب ما يحدّ به حقّ الفقير والمسكين ، و لو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى ، و مذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة و الصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حدّ أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته لنهيه صلى الله عليه وآله

(١) قال العراقي : أخرجه مسلم و البخاري من حديث عمر وفيهما « يعزل نفقة اهله سنة » .

عن السؤال مع الغنى « فسئل عن الغنى ، فقال : غداؤه وعشاؤه »[١] و قال آخرون : يأخذ إلى حدّ الغنى و هو نصاب الزكاة أذلم يوجب الله الزكاة إلّا على الأغنياء ، فقالوا : له أن يأخذ لنفسه و لكلّ واحد من عياله نصاب زكاة و قال قائلون : حدّ الغنى خمسون درهماً لقوله صلى الله عليه وآله : « من سأل و له مال يغنيه جاء يوم القيامة و في وجهه خموش ، قيل و ماغناه ؟ فقال : خمسون أو قيمتها من الذهب »[٢] و قال قوم : أربعون لقوله صلى الله عليه وآله : « من سأل و له أوقيّة فقد ألحف في السؤال »[٣] و بالغ آخرون في التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يهيّىء بها بضاعة ليتّجر فيها و يستغني لأنّ هذا هو الغنى فهذا ما حكي فيه ، أمّا التقليل إلى قوت اليوم أوالأوقيّة فذلك ورد في كراهية السؤال و التردّد على الأبواب ، و ذلك مستنكر وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها عن السؤال أقرب إلى الاحتمال و هو أيضاً مائل إلى الإسراف» .

أقول : بل هذا هو الأصحّ و هو المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام و لا ينافيه النهي عن السؤال لمن له قوت اليوم أو الأوقيّة لأنّ السؤال مذموم مطلقاً كما يأتي ، و الأخذمن غير سؤال إلى هذا الحدّ جائز سيّما إذا كان متعلّق القلب بأمر المعاش بدونه و لم يتفرّغ همّه للعلم و العبادة و لم يكن صاحب توكّل .

قال أبو حامد : « والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر و فيما دونه فيه تضييق و هذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلّا الحكم بما يقع له ، ثمّ يقال للورع : استفت قلبك و إن أفتوك و أفتوك كما قال صلى الله عليه وآله[٤]

---

(١) أخرجه ابن حزم في المحلى ج ٦ ص ١٥٢ .

(٢) رواه ابن ماجه في السنن تحت رقم ١٨٤٠ و الخموش كالخدوش و وزناً و معنى ورواه غيره من اصحاب السنن و قال الترمذى حسن وضعفه النسائى .

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى ج ٦ ص ١٥٣ ، و النسائى ج ٥ ص ٩٨ وفيه «وله قيمة أوقية» .

(٤) قد مر في المجلد الاول عن أحمد رواه في المسند ج ٤ ص ٢٢٨ .

إذ الإثم حوازّ القلوب (١) فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً ممّا يأخذه فليتّق الله فيه ولا يترخّص تعلّلاً بالفتوى من علماء الظاهر فإنّ لفتاويهم قيوداً ومطلقات من الضرورات و فيها تخمينات واقتحام شبهات ، والتوقّي من الشبهات من شيم ذوي الدين و عادات السالكين لطريق الآخرة .

الخامسة أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ » .

أقول : و هذه الوظيفة ساقطة عندنا لما عرفت من عدم وجوب البسط على الأصناف إلّا في الخمس على القول الأحوط ، فأنا أذكر بدلها ترك السؤال .

قال الصادق عليه السلام : « شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولومات جوعاً » (٢) .

و قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « شهادة الّذي يسأل في كفّه تردّ » (٣) .

و نظر عليّ بن الحسين عليهما السلام يوم عرفة إلى رجال يسألون فقال : « هؤلاء شرار من خلق الله ، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس » (٤) .

و قال الصادق عليه السلام : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحدٌ أحداً ، و لو يعلم المسؤل ما عليه إذا منع ما منع أحد أحداً » (٥) .

و قال عليه السلام : « من سأل من غير فقر فإنّما يأكل الجمر » (٦) .

و قال الباقر عليه السلام : « أُقسم بالله - و هو حقّ - ما فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر » (٧) .

وقال سيّد العابدين عليه السلام : « ضمنت على ربّي أن لا يسأل أحدٌ أحداً من غير حاجة إلّا اضطرّته حاجة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة » (٨) .

---

(١) رواه أحمد من حديث ابن مسعود وقد مر في المجلد الاول ص ٥٧ مع بيانه .

(٢) و(٣) و(٤) عدة الداعي ص ٧٠ .

(٥) عدة الداعي ص ٧٠ وفي الكافي ج٤ ص٢٠ تحت رقم ٢ ، والفقيه ص١٦٦ تحت رقم ٣١ بادني اختلاف في اللفظ .

(٦) عدة الداعي ص ٧٠ ورواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحة والبيهقي أيضاً في شعب الايمان كما في الترغيب ج ١ ص ٥٧٤ .

(٧) و(٨) الكافي ج ٤ ص١٩ تحت رقم٢ و١ ، والفقيه ص١٦٦ تحت رقم ٢٦ و ٢٧ .

و قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله يوماً لأصحابه : « ألا تبايعوني ؟ فقالوا : قد بايعناك يا رسول الله قال : تبايعوني على أن لاتسألوا الناس شيئاً فكان بعد ذلك تقع المخصرة من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد : ناولنيها» (١) .

و قال صلّى الله عليه وآله : « لو أنّ أحدكم يأخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل» (٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « اشتدّت حال رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقالت له امرأته : لو أتيت النبيَّ صلّى الله عليه وآله فسألته ؟ فجاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فسمعه يقول : من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله ، فقال الرجل : ما يعني غيري ؛ فرجع إلى امرأته فأعلمها فقالت : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بشر فأعلمه فأتاه فلمّا رآه قال : من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثمّ ذهب الرجل فاستعار فاساً ، ثمّ أتى الجبل فصعده و قطع حطباً ثمّ جاء به فباعه بنصف مدّ من دقيق ثمّ ذهب من الغد فجاء بأكثر منه فباعه و لم يزل يعمل و يجمع حتّى اشترى فاساً ، ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين و غلاماً ثمّ أثرى و حسنت حاله فجاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمعه يقول : فقال صلّى الله عليه وآله : قلت لك : من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله» (٣).

و قال الباقر عليه السلام : « طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزّة و مذهبة للحياء ، و اليأس ممّا في أيدي الناس عزّ المؤمن ، و الطمع هو الفقر الحاضر » (٤)

و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله « من استغنى أغناه الله ، و من استعفّ أعفّه الله ، و من سأل

---

(١) عدة الداعي ص٧٠ ، الكافي ج ٤ ص ٢١ ، و الصدوق رواه في الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم٣٢ بلفظ أبسط ، وفي الترغيب ج١ ص٥٧٨ مثله وقال رواه مسلم والترمذي والنسائي باختصار ، و أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٧ من السنن ، والمخصرة كالعصاء و نحوه شيء يتوكأ عليه .

(٢) عدة الداعي ص٧١ ، وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٦ والبخاري ج٢ ص١٤٥ .

(٣) الكافي ج٢ ص ١٣٩ تحت رقم ٧ . وعدة الداعي ص ٧١ .

(٤) الكافي ج٢ ص١٤٨ رقم٤ ، عدة الداعي ص٧١ وفي الوسائل «استسلاب للعزة» .

أعطاه الله ، و من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسدّ أدناها شيء» [١] .

و سأله رجل « فقال : أسألك بوجه الله ، قال : فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فضرب خمسة أسواط ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « سل بوجهك اللّئيم و لا تسأل بوجه الله الكريم » [٢] .

وهذه الأخبار كلّها نقلت من عدّة الداعي لأحمد بن فهد ـ رحمه الله ـ و أكثرها مذكور في الفقيه و الكافي .

الباب الرّابع

في صدقة التطوّع وفضلها و آداب أخذها و إعطائها

(بيان فضل الصدقة)

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « تصدّقوا و لو بتمرة فإنّها تسدّ من الجائع ، وتطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار » [٣] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيّبة » [٤] .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من عبد مسلم يتصدّق بصدقة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلّا طيّباً ـ إلّا كان الله عزّ و جلّ يأخذها بيمينه فيربّيها له كما يأتي أحدكم فصيله حتّى يبلغ التمرة مثل أُحد [٥] » .

---

(١) عدة الداعي ص ٧١ .

(٢) أخرج النسائي في السنن ج ٥ ص ٨٣ نحوه . وفي العده ص ٧١ مثله .

(٣) أخرجه ابن المبارك عن عكرمة مرسلا في الزهد كما في الجامع الصغير باب التاء .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح ج ٣ ص ٨٦ و أخرج صدره البخاري ج ٢ ص ١٣٠ ، و رواه الشيخ في المجالس ص ٢٩٢ .

(٥) أخرج نحوه البخاري في الصحيح ج٢ ص١٢٨ ومسلم ج٣ ص٨٥ وقدمر عن غيرهما من المصادر آنفاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي الدرداء : « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف[١] » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أحسن عبد الصدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته[٢] » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « كلّ امرىء في ظلّ صدقته حتّى يقضى بين الناس[٣] » .

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم « أيّ الصدقة أفضل ؟ قال : أن تتصدّق و أنت صحيح شحيح ، تأمل البقاء و تخشى الفاقة ولا تمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا[٤] » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه : « تصدّقوا فقال رجل : إنّ عندي ديناراً ؟ قال : أنفقه على نفسك قال : إنّ عندي آخر ؟ قال : أنفقه على زوجتك ، قال : إنّ عندي آخر ؟ قال : أنفقه على ولدك ، قال : إنّ عندي آخر ؟ فقال : أنفقه على خادمك ، قال : إنّ عندي آخر ؟ قال : أنت أبصر به[٥] » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تحلّ الصدقة لآل محمّد إنّما هي أوساخ الناس[٦] » .

أقول : المراد بالصدقة في هذا الحديث الزكاة المفروضة كما ورد عن الصادقين عليهما السلام وفي دخول النذور و الكفّارات فيها قولان أمّا المندوبة فلا خلاف بين أصحابنا في إباحتها لهم والنصوص به مستفيضة .

وفي الصحيح عنهم عليهم السلام « إنّما تلك الصدقة الواجبة على الناس لا تحلّ لنا فأمّا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص١٤٩ و١٥٦ من حديث أبي ذر ، وفي مجمع الزوائد ج ٥ ص١٩ عنه وعن البزاز من حديث جابر . ولعل ما ذكره الغزالي من حديث أبي الدرداء و هم أو تصحيف .

(٢) أخرجه ابن المبارك عن ابن شهاب مرسلا كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٣) أخرجه احمد في المسند ج ٤ ص ١٤٧ وفيه «يفصل بين الناس» .

(٤) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٣٠ و مسلم ج٢ ص ٩٣ وفيهما «تخش الفقر و تأمل الغنى» وصدره النسائي ج٥ ص٦٨ .

(٥) أخرجه النسائي في السنن ج٥ ص٦٢ . وابو داود ج ٢ ص٣٩٣ .

(٦) أخرجه النسائي ج٥ ص١٠٦ .

غيرذلك فليس به بأس[١] «وفي آخر «لو حرّمت الصدقة علينا لم تحلّ لنا أن نخرج إلى مكّة لأنّ كلّ مابين مكّة والمدينة فهو صدقة» وفي آخر «هذه المياه عامّتها صدقة[٢]» .

﴿ومن طريق الخاصة في فضل الصدقة﴾

ماروا في الفقيه « قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أرض القيامة نار ماخلاظلّ المؤمن فإنّ صدقته تظلّه»[٣] .

وقال أبوجعفر عليه السلام : «البرّ والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء»[٣] .

وقال الصادق عليه السلام : «داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة فإنّها تفكّ من بين لحي سبعمائة (*) شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الربّ قبل أن تقع في يد العبد[٤]» .

وقال عليه السلام : «الصدقة باليد تقي ميتة السوء و تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء وتفكّ عن لحي سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لايفعل[٥]» .

و قال عليه السلام : «يستحبّ للمريض أن يعطي السائل بيده ، و يؤمر السائل أن يدعو له[٦]» .

وقال عليه السلام : «باكروا بالصدقة فإنّ البلايا لا تتخطّاها ، ومن تصدّق بصدقة أوّل النهار دفع الله عنه شرّ ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، فإن تصدّق أوّل الليل دفع الله عنه شرّ ماينزل من السماء في تلك الليلة[٧]» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله لاإله إلّا هو ليدفع بالصدقة الداء والدّبيلة (*) والحرق والغرق والهدم والجنون وعدّ سبعين باباً من الشرّ[٨]» .

وقال عليه السلام : «صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ جلّ جلاله[٩]» .

(١) و(٢) التهذيب ج١ ص٣٦٦ والكافي ج٤ ص٥٩ وقال الصدوق في الفقيه ص١٥٧ «وصدقة غيربني هاشم لاتحل لبني هاشم الافي وجهين اذا كانوا عطاشاً فاصابوا ماء فشربوا ، وصدقة بعضهم على بعض» . (*) كذا وفي بعض نسخ الحديث «تفك عن لحي سبعين» .

(٣) الى (٩) الفقيه ص١٦٤ رقم١ الى ٨ .

(*) الدبيلة -بضم الدال- الداهية ، والطاعون وداء في الجوف .

وروى عمّار عن الصادق عليه السلام : « قال : قال لي : « يا عمّار الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية فكذلك والله العبادة في السرّ أفضل من العبادة في العلانية [١] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا طرقكم سائل ذكر بليل فلا تردّوه [٢] » .

وقال عليه السلام : « الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الإخوان بعشرين ، وصلة الرّحم بأربعة وعشرين [٣] » .

وسئل عليه السلام : « أيّ الصدقة أفضل ؟ قال : على ذي الرحم الكاشح [٤](*) » .

وقال عليه السلام : « لاصدقة وذورحم محتاج [٥] » .

وقال عليه السلام : « ملعون ملعونٌ من ألقى كلّه على الناس ، ملعون ملعونٌ من ضيّع من يعول [٦] » .

و قال أبوالحسن الرّضا عليه السلام : « ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلاّ يتمنّوا موته » [٧] .

و « سئل الصادق عليه السلام عن السائل يسأل ولايدرى ما هو فقال : أعط من وقع في قلبك الرحمة له [٨] » .

وقال عليه السلام : « أعطه دون الدرّهم ، قلت : أكثر مايعطى ؟ قال : أربعة دوانيق [٩] » .

وروى الوصافي عن أبي جعفر عليه السلام « قال : كان فيماناجى الله عزّوجلّ موسى عليه السلام أن قال : ياموسى أكرم السائل ببذل يسيرأو بردّ جميل ، إنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانّ ، ملائكة من ملائكة الرحمن ، يبلونك فيماخوّلتك ، ويسألونك ممّا نوّلتك ، فانظر كيف أنت صانع ياابن عمران [١٠] » .

وقال عليه السلام : أعط السائل ولو على ظهر فرس [١١] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لاتقطعوا على السائل مسألته ، فلولا أنّ المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم [١٢] » .

---

(١) الى (١٦) الفقيه ص ١٦٥ تحت رقم ٩ الى ٢٥ .

(*) الكاشح المبغض قال ابن الجوزى كانه يضم العداوة فى كشحه وهى خاصرته وانما فضلت الصدقة عليه لمكان مخالفة هوى النفس وأما من أعطى من يحبه فانما ينفق على قلبه وهواه .

وروى عن الوليد بن صبيح قال: « كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فجاءه سائل فأعطاه ثمّ جاء آخر فأعطاه، ثمّ جاء آخر فأعطاه، ثمّ جاء آخر فقال: وسّع الله عليك، ثمّ قال: إنّ رجلاً لوكان له مال يبلغ ثلاثين أوأربعين ألف درهم، ثمّ شاء أن لا يبقى منها شيئاً إلّا وضعه في حقّ لفعل فيبقى لامال له فيكون من الثلاثة الّذين يردّ دعاؤهم، قال: قلت: من هم؟ قال: أحدهم رجلٌ كان له مالٌ فأنفقه في غير وجهه، ثمّ قال: يا ربّ ارزقني، فيقول الربّ عزّ وجلّ: ألم أرزقك، ورجلٌ جلس في بيته ولايسعى في طلب الرزق ويقول: يارب ارزقني فيقول الرّبّ عزّ وجلّ: ألم أجعل لك سبيلاً إلى طلب الرزق، و رجل له امرأة تؤذيه فيقول: يارب خلّصني منها، فيقول عزّ وجلّ: ألم أجعل أمرها بيدك[1] ».

وقال الصادق عليه السلام: « في السؤّال أطعموا ثلاثة وإن شئتم أن تزدادوا فازدادوا و إلّا فقد أدّيتم حقّ يومكم[2] ».

وقال عليه السلام: « إذا أعطيتم فلقّنوهم الدّعاء، فإنّه يستجاب لهم فيكم، ولايستجاب لهم في أنفسهم[3] ».

وقال الصادق عليه السلام: « في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسّمها قال: يجري له من الأجر مثل مايجري للمعطي ولاينقص من أجره شيئاً، و لو أنّ المعروف جرى على سبعين يداً لأوجروا كلّهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء[4] ».

وسئل الصادق عليه السلام «أيّ الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقلّ أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: « ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة (*) » هل ترى ههنا فضلاً[5] ».

---

(١) الى (٥) الفقيه ص١٦٥ تحت رقم ٢١ الى ٢٥.

(*) الحشر: ٩، وفي لفظ آخر عن النبي صلى الله عليه وآله « خير الصدقة جهد من مقل » والجهد هو الطاقة و فيه اشعار ببقاء مايستعين به على حاجته فلا ينافي قوله صلى الله عليه وآله: « خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى » أو نقول لكل وجه فضيلة أما صدقة المقل فلانه يحتاج اليها فيجاهد نفسه باخراجها بخلاف الغني فانه واجد فلايكترث بها واما صدقة الغني فلانه لا يضطر بسببها ولا يبقى عائلا لانه يغرف من بحر زاخر و الفقير ان تصدق بماله بقي عاجزا، ذكر السجستاني في سننه [ج١ ص ٣٨٩] عن جابر قال: كنا ←

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تبارك و تعالى كره لي ستّ خصال و كرهتهنّ للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي: العبث في الصلاة، و الرفث في الصوم، و المنّ بعد الصدقة، وإتيان المساجد جنباً، والتطلّع في الدُور، والضحك بين القبور[1]».

وروي عن مسعدة بن صدقة، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام «أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة[2] وكان الرجل ممّن يرجي نوافله[3] و يرضى نائله ورفده، وكان لا يسأل عليّاً عليه السلام ولا غيره شيئاً، فقال رجلٌ لأميرالمؤمنين عليه السلام: والله ما سألك فلانٌ شيئاً ولقد كان يجزئه من الخمسة الأوساق وسق فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: لا كثّر الله في المؤمنين ضربك اُعطي أنا و تبخل به أنت إذا أنا لم

← عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذجاءه رجل بمثل بيضة من ذهب فقال: يارسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أتاه من قبل ركنه الايمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فخذفه بها فلو أصابته لاوجعته أو لعقرته وقال: يأتي احدكم بمايملك ويقول: هذه صدقة ويقعد فيستكف الناس خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى، وقيل: يعنى بذلك ما يفضل عن العيال فيستغنون منه وهو حسن، وأحسن منه وأتم ماقيل: ان جهد المقل محمول على المتفرد لان الايثار على النفس حسن قال الله عزوجل: «ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة» و عن ظهر غنى وارد في المعيل لان الايثار على العيال غير مستحسن لقوله عليه السلام: «ملعون من ضيع من يعول» ولقوله صلى الله عليه وآله: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدء بمن تعول، وخير الصدقة ماكان على ظهر غنى، من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله» وفي معنى هذا الحديث ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام خير الصدقة ما ابقت غنى (منه - رحمه الله -).

(١) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٥، والكافي ج٤ص٢٢.

(٢) البغيبغة - بيائين موحدتين وغينين معجمتين وفي الوسطياء مثناة وفي الاخرهاء: ضيعة أوعين بالمدينة، غزيرة كثيرة النخل لال الرسول، و في تاريخ السمهودى البغيبغة تصغير البغبغ وهى البئر القريبة الرشا و البغبغات والمبغبغة عيون عملها على بن أبي طالب عليه السلام ينبع اول ماصارت اليه وتصدق بها و بلغ جذاذ ها فى زمنه ألف وسق ومنها خيف الاراك وخيف ليلى وخيف الطاس.

(٣) النوافل: العطايا وقوله: «يرجى نوافله» فى بعض نسخ الكافى «يرجو».

أُعط الّذي يرجوني إلّا من بعد مسألتي ، ثمّ أُعطيته بعد المسألة فلم أُعطه إلّا ثمن ما أخذت منه وذلك لأنّي عرّضته لأن يبذل لي وجهه الّذي يعفره في التراب لربّي و ربّه عزّوجلّ عند تعبّده له و طلب حوائجه إليه فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدّق الله عزّوجلّ في دعائه له حيث يتمنّى له الجنّة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله ، وذلك أنّ العبد قد يقول في دعائه : اللّهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإذا دعا له بالمغفرة فقد طلب له الجنّة ، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحقّقه بالفعل »(١) .

وقال الصادق عليه السلام : « من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا يكتب له ثواب صلتنا ، ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا (٢) » .

و في الفقيه أيضا قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أوّل ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء -يعني في الأجر- (٣)» .

وقال أبوجعفر عليه السلام : « إنّ الله تعالى يحبّ إبراد الكبد الحرّى و من سقى كبداً حرّى من بهيمة وغيرها أظلّه الله في ظلّ عرشه يوم لاظلّ إلّا ظلّه (٤) » .

و روى معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً ، ومن أحيى نفساً فكأنّما أحيى الناس جميعاً (٥)» .

(بيان اخفاء أخذ الصدقة و اظهاره)

« قد اختلف طرق طلّاب الإخلاص في ذلك فمال قوم إلى أنّ الإخفاء أفضل ومال قوم إلى الإظهار ونحن نشير إلى ما في كلّ واحد من المعاني والآفات ثمّ نكشف الغطاء عن الحقّ فيه .

أمّا الإخفاء ففيه خمسة معان : الأوّل أنّه أبقى للستر على الآخذ فإنّ أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة و كشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفّف والتصوّن المحبوب

(١) الفقيه ص١٦٦ تحت رقم ٣٦ ، والكافي ج ٤ ص٢٢ .
(٢) الى (٥) الفقيه ص ١٦٧ تحت رقم ٣٠ وص ١٦٤ تحت رقم ١و٢و٣ .

الّذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفّف .

الثاني أنّه أسلم لقلوب الناس ولألسنتهم فإنّهم ربّما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنّون أنّه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن و الغيبة من الذّنوب الكبائر ، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى ، وقال أبو أيّوب السختياني : إنّي لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً . وقال بعض الزّهاد : ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون : من أين له هذا ؛ و عن إبراهيم التيمي أنّه رئي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال : كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أنّ أهله علموا به ماقبلته .

الثالث إعانة المعطي على إسرار العمل فإنّ فضل السرّ على الجهر في الإعطاء أكثر ، والإعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لايتمّ إلّا باثنين ؛ فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي .

دفع رجلٌ إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه ، و دفع إليه آخر شيئاً في السرّ فقبله ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : إنّ هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه فقبلته و ذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه .

وأعطى رجل بعض الصوفيّة شيئاً في الملأ فردّه ، فقال : لِم تردُّ على الله ما أعطاك ؟ فقال : إنّك أشركت غير الله فيما كان لله ، ولم تقنع بعين الله عزّ وجلّ فرددتُ عليك شركك.

الرابع أنّ في إظهار الأخذ ذلا و امتهاناً ، و ليس للمؤمن أن يذلّ نفسه .

كان بعض العلماء يأخذ في السرّ و لا يأخذ في العلانية ، و يقول : إنّ في إظهاره إذلالاً للعلم و امتهاناً لأهله ، فما كنت بالّذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم و إذلال أهله .

الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من أهدي له هديّة و عنده قوم فهم شركاؤه فيها » (١) .

---

(١) قال العراقي : أخرجه العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الاوسط و البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن محمّد بن مسلم قال : قال : « جلساء الرجل شركاؤه في الهديّة » (١).

و عن عثمان بن عيسى رفعه قال : « إذا أُهدي إلى الرجل هديّة من طعام و عنده قومٌ فهم شركاؤه في الهديّة الفاكهة وغيرها » (٢).

قال أبوحامد : « و بأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هديّة فانفراده بما يعطى بالملأ مكروه إلّا برضى جميعهم و لا يخلو عن شبهة فإذا انفرد سلم عن هذه الشبهة .

وأما الاظهار والتحدّث به ففيه معان أربعة :

الأوّل الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال و المراياة .

الثاني إسقاط الجاه والمنزلة و إظهار العبوديّة و المسكنة ، والتبرّي عن الكبرياء و دعوى الاستغناء و إسقاط النفس عن أعين الخلق ، قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كلّ حال إن كنت آخذاً فإنّك لا تخلو من أحد رجلين : رجل تسقط من قلبه إن فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنّه أسلم لدينك و أقلّ لآفات نفسك ، أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك هو الّذي يريده أخوك كأنّه يزداد ثواباً بزيادة حبّه لك و تعظيمه إيّاك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه .

الثالث هو أنّ العارف لا نظر له إلّا إلى الله و السرّ و العلانية في حقّه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد .

قال بعضهم : كنّا لانعبؤ بدعاء من يأخذ في السرّ ويردّ في العلانية ، والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال ، بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد .

حكي أنّ بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشقّ على الآخرين ذلك فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كلّ واحد منهم طائراً و قال له : اذبح هذا حيث لا يراك أحدٌ ، فذهبوا ثمّ جاؤوا قد ذبح كلّ واحد منهم طائره إلّا

---

(١) المصدر ج٥ ص١٤٣ تحت رقم ١٠ ، وفي الدروس يستحب المكافاة على الهدية ومشاركة الجلساء فيها اذا كانت طعاماً فاكهة أوغيرها .

(٢) الكافي ج ٥ ص ١٤٤ .

ذلك المريد فإنّه ردّ طائره حياً ، فقال الشيخ : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال : لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد فإنّ الله تعالى يراني في كلّ موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنّه لا يلتفت إلى غير الله عزّ وجلّ .

الرابع أنّ الإظهار إقامة لسنّة الشكر و قد قال تعالى : « و أمّا بنعمة ربّك فحدّث »(١) والكتمان كفران للنعمة ، و قد ذمّ الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل و قال : « الّذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله »(٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحبّ أن ترى عليه »(٣) وأعطى رجل بعض العارفين شيئاً في السرّ فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسرّ في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم : إذا اُعطيت في الملأ فخذ ثمّ اردد في السرّ .

و الشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »(٤) ، و الشكر قائم مقام المكافأة حتّى قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيراً و ادعوا له حتّى تعلموا أنّكم قد كافأتموه »(٥) و لمّا قالت المهاجرين في الشكر : « يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الأموال حتّى خفنا أن قد ذهبوا بالأجر كلّه ؟ فقال : كلاّ ما شكرتم لهم و أثنيتم به عليهم »(٦) أي هو مكافأة .

فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أنّ ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافاً في المسألة بل هو اختلاف حال ، فكشف الغطاء في هذا أنّا لا نحكم حكماً بتّاً بأن الإخفاء أفضل في كلّ حال أو الإظهار أفضل ، بل يختلف ذلك باختلاف النيّات ، و يختلف النيّات باختلاف الأحوال و الأشخاص ، فينبغي أن يكون المخلص مراقباً لنفسه حتّى لا يتدلّى بحبل الغرور ، و لا ينخدع بتلبيس الطبع و مكر الشيطان ، و المكر و الخداع أغلب في معاني الإخفاء منه في الإظهار مع أنّ له دخلاً في كلّ واحد منهما ، فأمّا

---

(١) الضحى : ١١ . (٢) النساء : ٣٦ .
(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده ص ٤٠ رقم ٣١٢ باختلاف في اللفظ مع زيادة .
(٤) و(٥) تقدما آنفاً .
(٦) رواه الترمذي في صحيحه كما في مشكاة المصابيح ص ٢٦١ .

مدخل الخداع في الإسرار من ميل الطبع إليه لما فيه من حفظ الجاه و المنزلة و سقوط القدر من أعين الناس و نظر الخلق إليه بعين الازدراء و إلى المعطي بعين المنعم المحسن إليه فهذا هو الداء الدفين و يستكنّ في النفس و الشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلّل بالمعاني الخمسة الّتي ذكرناها ، و معيار كلّ ذلك و محكه أمرٌ واحدٌ وهو أن يكون تألّمة بانكشاف أخذه للصدقة كتألّمه بانكشاف صدقة أخذها بعض أقرانه و أمثاله ، فإنّه إن كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة و الحسد و سوء الظنّ أو يتّقي انهتاك الستر أو إعانة المعطي على الإسرار أو صيانة العلم عن الابتذال ، فكلّ ذلك ممّا يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني أغاليط و أباطيل من مكر الشيطان و خدعه ، فإنّ إذلال العلم محذورٌ من حيث أنّه علم لا من حيث أنّه علم زيد أو علم عمرو ، و الغيبة محذورة من حيث أنّها تعرّض لعرض مصون لا من حيث أنّها تعرّض لعرض زيد على الخصوص و من أحسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه و إلّا فلا يزال كثير العمل قليل الحظّ ، و أمّا جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث أنّه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله و إظهاره عند غيره أنّه من المبالغين في الشكر حتّى يرغبوا في إكرامه و تفقّده ، و هذا داءٌ دفين في الباطن و الشيطان لا يقدر على المتديّن إلّا بأن يروّج عليه هذا الخبث في معرض السنّة ، و يقول له : الشكر من السنّة و الإخفاء من الرياء و يورد عليه المعاني الّتي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ، ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لاينتهي الخبر إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطيّة ويرغبون في إخفائها و عادتهم أنّهم لايعطون إلّا من يخفى ولايشكر ، فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أنّ باعثه هو إقامة السنّة في الشكر والتحدّث بالنعمة وإلّا فهو مغرورٌ ، ثمّ إذا علم أنّ باعثه السنّة فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حقّ المعطي فينظر فإن كان هو ممّن يحبّ الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأنّ قضاء حقّه أن لا ينصره على الظلم و طلبه الشكر ظلم و إذا علم من حاله أنّه لايحبّ الشكر ولايقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ، ولذلك

قال ﷺ للرجل الّذي مدح بين يديه : « ضربتم عنقه لوسمعها ما أفلح [١] » مع أنّه ﷺ كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأنّ ذلك لايضرّهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد : « إنّه سيّد أهل الوبر [٢] » وقال في آخر : « إذاجاءكم كريم قوم فأكرموه [٣] » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال : «إنّ من البيان لسحراً [٤] ».

وقال : « إذا علم أحدكم من أخيه خيراً فليخبره فإنّه يزداد رغبة في الخير [٥] » وقال : « إذامدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه [٦] » وقيل : من عرف نفسه لم يضرّه مدح الناس .

فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه ، فإنّ أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلّة النفع ، ومثل هذاالعلم هو الّذي يقال فيه : إنّ تعلّم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة . إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطّل وعلى الجملة فالأخذ في الملأ والردّ في السرّ أحسن المسالك وأسلمها ، فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلّا أن تكمل المعرفة بحيث يستوي السرّ والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر يتحدّث به ولا يرى .

✿(بيان الافضل من أخذ الصدقة او الزكاة)✿

قيل : إنّ الأخذ من الصدقة أفضل لأنّ في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين

(١) قال العراقى : الحديث متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ « ويحك قطعت عنق صاحبك» وزاد الطبرانى فى رواية « والله لوسمعها ما أفلح أبداً » : أقول : أخرج صدره أحمد فى المسند ج ٥ ص ٤١ .

(٢) نقله ابن الاثير فى اسدالغابة ج ٤ ص ٢١٩ من حديث قيس بن عاصم و أن النبى صلى الله عليه وآله قال له ذلك .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧١٢ . وفى لفظه «اذا أتاكم الخ» . وهكذا فى الكافى ج ٢ ص ٦٥٩ .

(٤) أخرجه الترمذى فى الصحيح ج ٨ ص ١٨٤ .

(٥) رواه الدار قطنى فى العلل من حديث أبى هريرة . (المغنى) .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك كما فى الجامع الصغير باب الهمزة .

وتضييق عليهم، ولأنّه ربما لايكمل في أخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب. وأمّا الصدقة فالأمر فيها أوسع، وقيل: بل أخذ الزكاة أولى لأنّه إعانة على واجب ولوترك المساكين كلّهم أخذ الزكاة لأثموا، ولأنّ الزكاة لامنّة فيها وإنّما هي حقّ واجبٌ لله رزقاً لعباده المحتاجين، ولأنّه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعاً وأخذ الصدقة أخذ بالدّين فإنّ الغالب أنّ المتصدّق يعطي من يعتقد فيه خيراً ولأنّ مراقبة المساكين أدخل في الذّلّ والمسكنة وأبعد عن التكبّر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهديّة فلا تتميّز عنها وهذا تنصيص على ذلّ الأخذ وحاجته.

والقول الحقّ في هذا أنّ هذا يختلف باختلاف أحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النيّة، فإن كان في شبهة من اتّصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة وإذا علم أنّه مستحقٌ قطعاً كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحقٌ قطعاً فإذا خيّر هذا بين الزكاة والصدقة فإن كان صاحب الصدقة لا يتصدّق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإنّ الزكاة الواجبة يصرفه صاحبه إلى مستحقّه، ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين، وإن كان المال معرضاً للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخيّرٌ والأمر فيهما متقارب، وأخذ الزكاة أشدّ في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال».

أقول: في الشقّ الأخير أيضاً أخذ الصدقة أولى لأنّها أطهر لإباحتها للمعصومين عليهم السلام كما عرفت سيّما إذا كان الآخذ من أهل العلم والبصيرة بل لاينبغي له أخذ الصدقة أيضاً إلّا مع الضّرورة الشديدة فضلاً عن الزكاة لما عرفت من حديث العسكري عليه السلام ومع الضرورة يجب الأخذ، قال الصادق عليه السلام: «تارك الزكاة وقد وجبت له مثل مانعه وقد وجبت عليه[1]».

﴿الباب الخامس في زكاة الجسد﴾

روى في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه:

(۱) التهذيب ج ۱ ص ۳۷۸. و الكافي ج۳ ص ٥٦٣ رقم ۲.

«ملعون كلّ مال لايزكّى، ملعون كلّ جسد لايزكّى، ولو في كلّ أربعين يوماً مرّة، فقيل له: يا رسول الله أمّا زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد؟ فقال لهم: أن تصاب بآفة، قال: فتغيّرت وجوه الّذين سمعوا ذلك منه، قال: فلمّا رآهم قد تغيّرت ألوانهم قال: هل تدرون ما عنيت بقولي؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: إنّ الرّجل يخدش الخدشة، وينكب النكبة، ويعثر العثرة، و يمرض المرضة، ويشاك الشوكة وما أشبه هذا - حتّى ذكر في حديثه اختلاج العين -»[1].

وعن الصادق عليه السلام: «على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ منبت شعرك، بل على كلّ لحظة من لحظاتك، فزكاة العين النظر بالعبر والغضّ عن الشهوات ومايضاهيها، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن و فوائد الدّين من الموعظة والنصيحة ومافيه نجاتك بالإعراض عمّا هوضدّه من الكذب والغيبة وأشباههما، وزكاة اللّسان النصح للمسلمين، والتيقّظ للغافلين، و كثرة التسبيح والذكر وغيره، وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله به عليك، وتحريكها بكتبة العلوم، و منافع ينفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى، والقبض عن الشرور، وزكاة الرّجل السعي في حقوق زيارة الصالحين، ومجالس الذكر، وإصلاح الناس، وصلة الرحم، والجهاد، ومافيه صلاح قلبك وسلامة دينك، هذا ما تحمّل القلوب والتقوى استعماله وما لايشرف عليه إلّا عباده المقرّبون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم»[2].

هذا آخر كتاب أسرار الزكاة ومهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الصيام ومهمّاته والحمد لله أوّلاً وآخراً.

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٨ تحت رقم ٢٦. وقوله: «ينكب النكبة» هو أن يقع رجله على حجارة و نحوها، أو يسقط على وجهه، أو اصابته بلية خفيفة من بلايا الدهر وأمثال ذلك، و قوله: «يشاك الشوكة» يقال: شاكته الشوكة تشوكه وشيكة اذا دخلت فى جسده شوكة، و الاختلاج حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن.

(٢) مصباح الشريعة الباب الثاني والعشرون.

كتاب اسرار الصيام ومهماته

وهو الكتاب السادس من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أعظم على عباده المنّة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه ، ورد أمله وخيّب ظنّه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجُنّة ، وفتح لهم أبواب الجنّة و عرّفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنّة ، وأنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنّة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها ، قويّة المُنّة[(١)]

والصلاة على محمّد قائد الحقّ و ممهّد السُنّة ، و على آله المعصومين و أصحابه ذوي العقول المرجحنّة[(٢)] ، وسلّم كثيراً .

اما بعد فإنّ الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلّى الله عليه وآله : « الصوم نصف الصبر »[(٣)] وبمقتضى قوله : « الصبر نصف الإيمان »[(٤)] ، ثمّ هو متميّز بخاصيّة النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيّه صلّى الله عليه وآله : « كلّ حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به »[(٥)] ، وقد قال تعالى : « إنّما

---

(١) المنة ـ بالضم ـ : القوة .

(٢) قال في القاموس باب النون فصل الراء : جيش مرجحن ورحى مرجحنة أي ثقيلة .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٦٠ . وفي لفظ ابن ماجه والبيهقي « الصيام نصف الصبر » كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب كما في الجامع الصغير باب الصاد .

(٥) أخرجه النسائي في سننه ج ٤ ص ١٦٢ عن أبي هريرة باختلاف في اللفظ .

يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب[١]» والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ، وناهيك في فضيلته قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «والّذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عزّ وجلّ : إنّما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به»[٢] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «للجنّة باب يقال له : الرّيّان لايدخل منه إلّا الصائمون[٣]» وهو موعودٌ بلقاء الله تعالى في جزاء صومه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه[٤] » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لكلّ شيء باب وباب العبادة الصوم[٥] » .

وقال : « نوم الصائم عبادة[٦] » .

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه[٧]:

قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة والزكاة والحجّ

---

(١) الزمر : ١٠ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٠ و فيه « انما يترك شهوته » . والنسائي ج ٤ ص ١٦٣ وفيه « انما يدع شهوته » . وخلوف الفم - بضم المعجمة واللام وسكون الواو على المشهور وقيل بفتح المعجمة - وهو تغير رائحته .

(٣) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٣٠ ، و النسائي ج ٤ ص ١٦٨ بلفظ آخر و كذا في سنن ابن ماجه . وقال الزركشي : الريان فعلان أي كثير الري ضد العطش سمي به لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم و اكتفى بذكر الري عن الشبع لانه يدل عليه من حيث أنه يستلزم .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٦٣٨ ، وفي سنن النسائي ج ٤ ص ١٥٩ .

(٥) قال العراقي : أخرجه ابن المبارك في الزهد . وقال في الجامع الصغير : اخرجه هناد عن ضمرة بن حبيب مرسلا .

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الايمان وفيه « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح و عمله مضاعف» كما في الجامع الصغير باب النون .

(٧) باب فضل الصيام ص ١٦٧.

والصوم والولاية [١] ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الصوم جُنّة من النار [٢] ».

وقال صلى الله عليه وآله : « الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه مالم يغتب مسلماً [٣] ».

وقال صلى الله عليه وآله : « قال الله تعالى : الصوم لي وأنا أجزي به ، وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربّه عزّ وجلّ ، و الّذي نفس محمّد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك [٤] ».

وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه : « ألا اُخبر كم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الصوم يسوّد وجهه ، و الصّدقة تكسر ظهره ، والحبّ في الله والموازرة على العمل الصالح تقطع دابره ، والاستغفار يقطع وتينه ، ولكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام [٥] ».

و قال صلى الله عليه وآله : « إنّ الله تعالى و كّل ملائكة بالدّعاء للصائمين ، و قال : أخبرني جبرئيل عن ربّه تعالى ذكره أنّه قال : ما أمرت ملائكتي بالدّعاء لأحد من خلقي إلّا استجبت لهم فيه [٦] ».

وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « استعينوا بالصبر والصلاة [٧] » قال : « يعني بالصبر الصوم ».

و قال عليه السلام : إذا نزلت بالرّجل النازلة أو الشدّة فليصم ، فإنّ الله تعالى يقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة »[٨].

وقال عليه السلام : « من صام لله عز وجلّ يوماً في شدّة الحرّ فأصابه ظمأ وكّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتّى إذا أفطر ، قال الله تعالى : « ما أطيب ريحك وروحك

---

(١) الى (٦) المصدر ص ١٦٧ رقم ١ الى ٦ ورقم ١٠ و ١١ . والموازرة : المعاونة ، و دابره اى آخره بحيث لم يبق منه شيء ويمكن أن يقال : الدابر ههنا التابع والجند او كناية عن الاستيصال . والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه .

(٧) البقرة : ٤٥ .

(٨) الكافى ج ٤ ص ٦٣ رقم ٧ ، والفقيه ص ١٦٨ رقم ٨ و ٩ .

يا ملائكتي اشهدوا أنّي قد غفرت له (١) ».

وقال أبوالحسن الأوّل عليه السلام : « قيلوا فإنّ الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه (٢) ».

وقال الصادق عليه السلام : « نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، و عمله متقبّل ، و دعاؤه مستجاب (٣) ».

وأعظم الصيام أجراً صوم شهررمضان في الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله « من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً ، و كفّ سمعه و بصره ولسانه عن النّاس قبل الله صومه و غفرله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وأعطاه ثواب الصابرين (٤) ».

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن ليلة القدر ، فقام خطيباً فقال بعد الثناء على الله عزّ وجلّ : « أمّا بعد فإنّكم سألتموني عن ليلة القدر ولم أطوها عنكم لأنّي لم أكن بها عالماً اعلموا أيّها النّاس أنّه من ورد عليه شهر رمضان وهو صحيح سويّ فصام نهاره وقام ورداً من ليله وواظب على صلاته و هجر إلى جمعته وغدا إلى عيده فقد أدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرّبّ ؛ قال الصادق عليه السلام : «فاز والله بجوائز ليست كجوائز العباد (٥) ».

و في الصحيح عنه عليه السلام : « قال : إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير وذلك أنّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير لأنّ الغنيّ كلّما أراد شيئاً قدر عليه فأراد الله عزّ و جلّ أن يسوّي بين خلقه ، و أن يذيق الغنيّ نيل الجوع و الألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع (٦) ».

---

(١) الكافي ج ٤ ص٦٤ رقم ٨ وص٦٥ رقم ١٧ . والفقيه ص ١٦٨ رقم ١٤ .

(٢) الكافي ج ٤ ص ٦٥ رقم ١٤ والفقيه ص ١٦٨ ، رقم ١٥ وقوله : « قيلوا » أمر من قال يقيل قيلولة بمعنى النوم قبل الظهر .

(٣) الفقيه ص١٦٨ رقم ١٦ .

(٤) رواه المفيد ـ رحمه الله ـ في المقنعة ص ٤٩ .

(٥) رواه الصدوق في الفقيه ص ١٧٤ تحت رقم ٤ و ٥ . و طوى الحديث كتمه . وهجر الى جمعته أي ذهب اليه في الهاجرة .

(٦) الفقيه ص ١٦٧ رقم ١ .

قيل : لولم يكن في الصوم إلا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية إلى ذروة التشبه بالملائكة الروحانية لكفى به فضلاً ومنقبة .

قال أبوحامد : « إنما كان الصوم لله ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إليه والأرض كلها له لمعنيين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يعلمه إلا الله تعالى فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد ، والثاني أنه قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وإنما يقوي الشهوات بالأكل والشرب و لذلك قال ﷺ : «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (١) » وسيأتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات ، فلما كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله ففي قمع عدو الله نصرة لله ونصرة الله للعبد موقوفة على النصرة له قال الله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٢) » فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (٣) » وقال : «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٤) » و إنما التغيير بكسر الشهوات ، فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فمادامت مخصبة (٥) لم ينقطع ترددهم وماداموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله و كان محجوباً عن لقائه قال رسول الله ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٦) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة فإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلابد من بيان شروطه وذكر أركانه وآدابه وسننه الظاهرة والباطنة ونبين ذلك بثلاثة أبواب :

(١) أخرج صدره البخاري ج ٣ص٦٢ وأحمد في المسند ج٣ص١٥٦ و٢٧٥ و٣٠٩.
(٢) سورة محمد : ٧ . (٣) العنكبوت : ٦٩ .
(٤) الرعد : ١١ .
(٥) الخصب ـ بالكسر ـ : كثرة العشب وهو الكلاء .
(٦) أخرجه أحمد عن أبي هريرة باختلاف و قوله : « يحومون » من حام الطائر حول الشيء اذا دار .

﴿الباب الاول﴾

✿(فى الشروط والواجبات والمكروهات والسنن الظاهرة)✿
✿(واللوازم بافاده)✿

أقول : ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول :

أمّا الشروط فالصوم إنّما هوعلى كلّ مكلّف خال عن الحيض والنفاس ، صحيح من المرض المستضرّ به ، مقيم أو في حكمه ولايصحّ بدون هذه الشروط إلّا من النائم والمغمى عليه والمجنون مع سبق النيّة منهم ومن الصبيّ المميّز على خلاف في غير النائم أمّا الحائض و النفساء وا لمريض المتضرّر به فلا يصحّ منهم قولاً واحداً .

وأمّا المسافر فلا يصحّ منه صوم رمضان بلاخلاف ولا غيره من الصيام الواجب إلّا ثلاثة أيّام بدل الهدي و ثمانية عشر بدل البدنة لمن أفاض من عرفات قبل الغروب عامداً ، والنذر المشترط سفراً و حضراً على إشكال في الأخير والأحوط عدم التعرّض لإيقاع مثل هذا النذر وفي المندوب أقوال ثالثها الكراهة ، والأصحّ المنع منه مطلقاً إلّا ثلاثة أيّام الحاجة عند قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ولا يجزيه الصوم من أحد من ذوي الأعذار المذكورة إلّا المسافر مع جهله بالحكم والحائض والنفساء يقضيان و كذا المريض والمسافر ، ولوزال عذرهذين قبل الزوال وجب عليهما بخلاف الآخرين ، ولوحصل عذرهما في الأثناء فالمريض يفطرولو قبيل الغروب كالمرأتين و أمّا المسافر فالأصحّ أنّه إن خرج من بيته قبل الزّوال أفطروإن خرج بعده صام واعتدّ به كما في الصحاح المستفيضة وفيه أقوال أُخر ؛ والحامل المقرب والمرضعة القليلة اللّبن إذا ظنّتا الضرر بهما أو بولدهما تفطران وتتصدّقان بمدّ وتقضيان و كذا الشيخ والشيخة وذوالعطاش ، ومدّان لهذه الثلاثة أحسن وأحوط ، وفي وجوب القضاء عليهم خلاف ، وفي الصحيح السقوط .

ويشترط في الصوم النيّة المعيّنة الجازمة ولوكان معيّناً كرمضان والنذر المعيّن كفت القربة و وقتها الاختياريّ فيهما طول اللّيل و الاضطراري إلى الزّوال و في غيرهما إليه

مطلقاً و في النافلة إلى قبيل الغروب كما في الصحاح وفي بعضها إن هونوى الصوم قبل أن تزول الشمس حسب له يومه وإن نواه بعدالزوال حسب لهمن الوقت الّذي نوى فيه ، وفي إجزاء نيّة واحدة لصيام الشهر كلّه خلاف ، ويجزىء صوم يوم الشكّ عن رمضان إذا نواه ندباً ثمّ انكشف أنّه منه للاكتفاء فيه بالقربة ولا يجزىء عنه إذانواه منه خلافاً للخلاف وإنّما يثبت الهلال بالرؤية ولوانفردبها إذا لم يشكّ وبمضيّ ثلاثين من شعبان ، وبشاهدين عدلين متوافقين ، وبالشياع المفيد للظنّ المتاخم للعلم لاغير ، و يختلف الحكم باختلاف مطالع البلاد .

و أمّا الواجبات و لوازم الإفساد فيجب الإمساك عن تعمّد الأكل و الشرب والجماع والاستمناء والقيء والكذب[1] بلاخلاف ، وعن تعمّد البقاء على الجنابة إلى طلوع الفجر في شهر رمضان وقضائه خاصّة على الأقوى الأشهر ، وعن الارتماس في الماء والحقنة بالمايع على الأصحّ وإلّا فيقضي بغير الأخيرين ، والكذب إن كان الصوم واجباً بلاخلاف ، ويكفّر أيضاً بغير القيء على خلاف فيه ، وفي تعمّد البقاء على الجنابة لصوم رمضان بعتق رقبة ، أو إطعام ستّين مسكيناً أوصوم شهرين متتابعين ؛ و للنذر المعيّن بكفّارة اليمين كما بيّن في القرآن ، ولقضاء رمضان إن أفطر بعد العصر ، وقيل : بعد الزّوال بإطعام عشرة ، ومع العجز فصيام ثلاثة .

وفي وجوب القضاء خاصّة بالارتماس ، والحقنة بالمايع ، والكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام ، أومع الكفّارة أوالعدم خلافٌ ، أمّا الحقنة بالجامد و الكذب الآخر فلايفسد .

و في إيصال الغبار إلى الحلق مطلقاً أوالغليظ منه خاصّة ثمّ في وجوب القضاء به خاصّة أومع الكفّارة أوالعدم أقوال .

و في الموثّق عن الرّضا عليه السلام « أنّه سئل عن الصائم يدخّن بعود أو غير ذلك فتدخل الدخنة في حلقه ؟ قال : لابأس ؛ وعن الصائم يدخل الغبار في حلقه ؟ قال : لابأس[2] » وفي معارضه ضعفٌ سنداً ودلالةً .

---

(١) أي على الله تعالى و رسوله والائمة عليهم السلام كما يأتي .

(٢) رواه الشيخ فى التهذيب ج١ ص٤٤٤ .

وفي الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : «لا يضرّ الصائم ما صنع إذا اجتنب أربع خصال : الطعام و الشراب و النساء و الارتماس في الماء»(١) .

و ليس على الناسي شيء و لا على الموجود في حلقه و لا المكره و لا المتّقي و لا الجاهل بالحكم و القضاء له أحوط و قيل بالكفارة أيضاً .

و من أفطر عامداً في طرفي النهار ثمّ ظهر أنّه وقع نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء سواء راعي الوقت أولا ، و إن بقي على حكم ظنّه واجتهاده فلا قضاء ، و مع الشكّ يجوز فعل المفطر في أوّل النهار دون آخره .

و إن نام الجنب حتّى أصبح فإن كان عازماً على الغسل قبل الفجر فلا قضاء عليه و إلّا فيقضي و إن كان عازماً على ترك الطهارة فعليه الكفّارة أيضاً .

و يجب الإمساك بقيّة النهار إن عصى بالإفطار أوقصّر و يستحبّ في مواضع يأتي بيانها في الباب الثالث .

و يجوز إفساد غير المعيّن قبل الزوال مطلقاً ويكره بعده في غير قضاء رمضان و فيه لا يجوز فيكفّر والأفضل للمتطوّع إذا دعي إلى طعام أن يفطر ولو بعد الزوال .

وأما المكروهات فيكره ابتلاع النخامة ، و الريق المتغيّر الطعم بطاهر إذا لم يدخله أجزاء منه ، و صبّ الدواء في الأذن و العين و الأنف إذا لم يبلغ الحلق وفي الإحليل ، و الاكتحال ، و شمّ الرائحة الغليظة و كذا الرياحين و سيّما النرجس ، و الاستنقاع في الماء للمرأة خاصّة ، و بلّ الثوب على الجسد ، و الاستياك بالرطب ، وفي أكثر ذلك قول بالإفساد شاذّ .

و لا بأس بمصّ الخاتم و مضغ الطعام للصبيّ وزقّ الطائر و ذوق المرق ، و يكره النساء تقبيلاً و لمساً و ملاعبة مع ظنّ عدم الإمناء لمن يحرّك شهوته بذلك وفعل ما يوجب الضعف من دخول الحمّام و إخراج الدم و نحوهما ، و إنشاد الشعر في شهر رمضان ، و السفر بعد دخوله إلّا مع الضرورة ، و القول بتحريمه شاذّ .

---

(١) الفقيه ص ١٧٧ ، والتهذيب ج ١ ص ٤٠٩ و٤٠٦ و٤٤٢ .

و تزول الكراهة بمضي ثلاثة و عشرين يوماً منه كما في الرواية (١) ، و التملّي من الطعام و الشراب للمسافر و الجماع أشدّ كراهة وحرّمه بعضهم .

و اما السنن فيستحبّ الدعاء عند رؤية هلال رمضان أوّل ليلة و إلّا فإلى ثلاث (٢) رافعاً يديه مستقبل القبلة لا إليه ، غير مشير نحوه فيقول : « اللّهمّ أهلّه علينا بالأمن و الإيمان ، و السلامة و الإسلام ، و العافية المجلّلة ، والرزق الواسع ، و دفع الاسقام ، اللّهمّ ارزقنا صيامه و قيامه و تلاوة القرآن فيه ، اللّهمّ سلّمه لنا و تسلّمه منّا » .

وأن يغتسل في أوّل ليلة منه ، و في ليلة تسع عشرة ، و إحدى وعشرين . وثلاث وعشرين .

و إيتان النساء أوّل ليله منه ، والدعاء لكلّ ليلة ويوم منه و عند دخوله و اسحاره و وداعه بالمأثور ، و كثرة تلاوة القرآن فيه و قيام لياليه كلّها وخصوصاً فراداه ، والإتيان بالنوافل المختصّة به مع دعواتها المأثورة - و قراءة سورتي العنكبوت و الروم ليلة ثلاث وعشرين ، و سورة القدر فيها ألف مرّة ، و كثرة الجود و البذل في هذا الشهر فإنّه يتضاعف في الأجر ، و تفطير الصائمين .

ففي الخبر « فطرك أخاك الصائم خيرٌ من صيامك (٣)» و الإفطار على الحلو فإن لم يجد فالماء الفاتر فإنّه يغسل درن القلب ، وتأخيره عن الصلاة إلّا أن ينتظر إفطاره أو نازعته نفسه .

قال الصادق عليه السلام : «قد حضرك فرضان الإفطار و الصلاة فابدأ بأفضلهما وأفضلهما

(١) التهذيب ج١ ص٤١٣ .

(٢) قال شيخنا البهائى - رحمه الله - : وقت الدعاء يمتد بامتداد وقت التسمية هلالا ، والاولى عدم تأخيره عن الاول عملا بالمتيقن عليه لغة و عرفاً ، فان لم يتيسر فمن الثانية لقول أكثر أهل اللغة بالامتداد اليها فان فاتت فمن الثالثة لقول كثير منهم بانها آخر لياليه ، واما ماذكره صاحب القاموس وشيخنا الشيخ أبوعلي - رحمه الله - من اطلاق الهلال عليه الى السابعة فهوخلاف المشهور لغة وعرفاً وكانه مجازمن قبيل اطلاقه عليه فى الليلتين الاخريين .

(٣) الكافى ج ٤ ص ٦٨ ، والتهذيب ج١ ص ٤٠٩ ، والمحاسن ص ٣٩٦ .

الصلاة، ثمّ قال : تصلّي و أنت صائمٌ قبلت صلاتك تلك وتختم بالصوم أحبّ إليّ » [١] .

و تقول عند الإفطار : «اللّهمّ لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبّله منّا ذهب الظماء و ابتلّت العروق و بقي الأجر» .

والسحور ففي الخبر « تسحّروا ولو بجرع الماء ألا صلوات الله على المتسحّرين» [٢]

و يتأكّد في الواجب المعيّن - و في رمضان آكد ، و أقلّه الماء و أفضله السويق والتمر ، و كلّما قرب من الفجر كان أفضل .

و الاعتكاف فيه لا سيّما في العشر الأخير منه و هي عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش و شدّ المئزر و دأب و أدأب أهله [٣] أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر ، و الأغلب أنّها في أوتارها و أشبه أوتاره ليلة إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين .

ولا اعتكاف عندنا أقلّ من ثلاثة أيّام و لا في غير مسجد جامع ، و يحرم فيه النساء جماعاً و لمساً و تقبيلاً ، نهاراً و ليلاً ، و كذا المماراة و البيع و الشراء و شمّ الطيب و التلذّذ بالريحان والخروج من المسجد إلّا لقضاء حاجة أو حضور جمعة أو تشييع جنازة أو عيادة مريض أو نحوها ، ثمّ لا يجلس حتّى يرجع ، و لا بأس بالصعود إلى السطح و الخروج ببعض بدنه أو مكرها أو سهواً .

﴿ الباب الثانى ﴾

(فى أسرار الصوم و شروطه الباطنة)

«اعلم أنّ للصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أمّا صوم العموم فهو كفّ البطن و الفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله .

وأمّا صوم الخصوص فهو كفّ السمع والبصر واللّسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام» .

---

(١) التهذيب ج ١ص ٤٠٨ رواه عن زرارة وفضيل عن أبي جعفر عليه السلام .

(٢) التهذيب ج ١ص ٤٠٨ ورواه أيضا فى الامالى ص ٣١٧ . وفى المقنعة ص٥ .

(٣) روى مسلم فى صحيحه ج ٣ص ١٧٦ مثله .

أقول : و إليه الإشارة بمارواه أصحابنا بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و شعرك و جلدك - وعدّ أشياء غيرهذا - وقال : لايكون يوم صومك كيوم فطرك[١]، و زاد في خبر آخر « ودع المراء وأذى الخادم و ليكن عليك وقار الصيام فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسبّ جاريتها و هي صائمة فدعا بطعام فقال لها : كلي ، فقالت إنّي صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب[٢] » .

قال أبوحامد : « و أمّا صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيّة والأفكار الدنيويّة و كفّه عمّا سوى الله بالكلّية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله و اليوم الآخر ، و بالفكر في الدّنيا إلّا دنيا تراد للدّين فإنّ ذلك زاد الآخرة وليس من الدّنيا حتّى قال أرباب القلوب : من تحرّكت همّته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإنّ ذلك من قلّة الوثوق بفضل الله وقلّة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصدّيقين والمقرّبين ولايطول النظر في تفصيله قولاً ولكن في تحقيقه عملاً فإنّه إقبال بكنه الهمّة على الله وانصراف عن غير الله وتلبّس بمعنى قوله تعالى « قل الله ثمّ ذرهم »[٣] .

أقول : وإليه الإشارة بماروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الصوم جنّة »[٤] أي ستر من آفات الدّنيا وحجاب من عذاب الآخرة ، فإذاصمت فانو بصومك كفّ النفس عن الشهوات وقطع الهمّة عن خطوات الشيطان ، فأنزل نفسك منزلة المرضى لاتشتهي طعاماً وشراباً متوقّعاً في كلّ لحظة شفاءك من مرض الذّنوب ، و طهّر باطنك من كلّ كدر و غفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « قال الله عزّوجلّ : الصوم لي وأنا أجزي به[٥] » فالصوم يميت مرادّ

(١) الكافي ج ٤ ص ٨٧، والفقيه ص ١٧٧ . و كذا الخبر الاخر .
(٢) الكافي ج ٤ ص ٨٧ رقم ٣ ، والفقيه ص ١٧٨ ، والتهذيب ج ١ ص ٤٠٧ .
(٣) الانعام : ٩١ .
(٤) الكافي ج ٤ ص ٦٢ و فيه « الصوم جنة من النار » .
(٥) رواه العامة والخاصة كما مر ، ورواه أحمد ج ١ ص ١٩٥ .

النفس وشهوة الطبع ، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر و الباطن و الشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء و زيادة التضرّع و الخشوع والبكاء وحبل الإلتجاء إلى الله وسبب انكسار الهمّة و تخفيف الحساب و تضعيف الحسنات ، و فيه من الفوائد مالا يحصى و كفى بما ذكرناه منبّهاً لمن عقل و وفّق لا ستعماله .

قال أبوحامد : « و أمّا صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كفّ الجوارح عن الآثام و تمامه بستّة أمور :

الأوّل غضّ البصر و كفّه عن الاتّساع في النظر إلى كلّ ما يذمّ ويُكره ، و إلى كلّ ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله ، قال صلى الله عليه وآله : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه [1] » .

و عنه صلى الله عليه وآله « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة و اليمين الكاذبة والنظر بشهوة »[2] .

الثاني حفظ اللّسان عن الهذيان ، و الكذب ، و الغيبة ، و النميمة ، و الفحش ، و الجفاء والخصومة ، و المراء ، و إلزامه السكوت أوشغله بذكرالله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللّسان ، و قد قال صلى الله عليه وآله : « إنّما الصوم جُنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولايجهل ، وإن امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل : إنّي صائم[3] » وجاء في الخبر[4] « أنّ امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأجهد هما الجوع والعطش من آخرالنهار حتّى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تستأذناه في الافطار ، فأرسل إليهما قدحاً وقال : قل لهما قيئافيه ماأكلتما ، فقاءت إحداهما نصفه دماًعبيطاً ولحماً غريضاً ، و قاءت الأخرى مثل ذلك حتّى ملأتاه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله عليه وآله : ها تان صامتا عمّا أحلّ الله لهما و أفطرتا على ما حرّم الله عليهما ، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد ج ٨ ص ٦٣ .
(٢) قال العراقى : الحديث أخرجه الازدى فى الضعفاء من رواية جابان .
(٣) أخرجه أحمد فى المسند ج ٢ ص ٣٠٦ و٣١٣ و٣٥٦ وج ٦ ص ٢٤٤ .
(٤) رواه أحمد فى المسند كما فى مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٧١ .

الناس فهذا ما أكلنا من لحومهم ».

أقول: و من طريق الخاصّة ماروا ه الصدوق بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: « من اغتاب مسلماً بطل صومه و نقض وضوؤه فإن مات وهو كذلك مات و هو مستحلّ لما حرّم الله [۱] ».

و في الكافي [۲] بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: « إنّ الكذبة لتفطر الصائم، قلت: وأيّنا لايكونّ ذلك منه؟ قال: ليس حيث تذهب إنّماذاك الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام ».

« الثالث كفّ السمع عن الاصغاء إلى كلّ مكروه لأنّ كلّ ما حرّم قوله حرّم الإصغاء إليه ولذلك سوّى الله تعالى بين المستمع للكذب وآكل السحت فقال: « سمّاعون للكذب أكّالون للسحت [۳] »، و قال تعالى: « لولا ينهاهم الرّبّانيّون و الأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت [٤] » فالسكوت على الغيبة حرامٌ وقال أيضا: « إنّكم إذاً مثلهم [٥] » ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله: « المغتاب والمستمع شريكان في الإثم [٦] ».

الرابع كفّ بقيّة الجوارح من اليد والرجل عن المكاره و كفّ البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلامعنى للصوم و هو كفٌّ عن الطعام الحلال، ثمّ الإفطار على الحرام، فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصراً، فإنّ الطعام الحلال إنّما يضرّ بكثرته لابنوعه فالصوم لتقليله و تارك الاستكثار من الدّواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السمّ كان سفيهاً والحرام سمٌّ يهلك الدّين والحلال دواءٌ ينفع قليله و يضرّ كثيره، وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وآله: « كم من صائم ليس له من صومه إلّا الجوع والعطش [۷] »

(۱) رواه في عقاب الاعمال.
(۲) المصدر ج ۲ ص۳٤ تحت رقم ۹.
(۳) المائدة : ٤۲. (٤) المائدة :٦۳.
(٥) النساء : ١٤٠.
(٦) جامع الاخبار باب الغيبة مثله و قال العراقي: الحديث غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى صلى الله عليه و آله وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة.
(۷) أخرجه أحمد في مسنده ج ۲ ص٤٤١.

فقيل : هو الّذي يفطر على الحرام ، وقيل : هو الّذي يمسك عن الطعام الحلال و يفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل : هو الّذي لايحفظ جوارحه عن الآثام .

الخامس أن لايستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من حلال و كيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله و كسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره ، و ربما يزيد في ألوان الطعام حتّى استمرّت العادات بأن يدّخر جميع الأطعمة لرمضان فيأكل من الأطعمة فيه مالايؤكل في عدّة أشهر ، ومعلومٌ أنّ مقصود الصوم الخوى [1] و كسر الهوى ليقوي النفس على التقوى ، و إذا دفعت المعدة ضحوة النهار إلى العشاء حتّى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثمّ أطعمت من اللّذات وأشبعت زادت لذّتها ، وتضاعفت قوّتها ، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها ، فروح الصوم وسرّه تضعيف القوى الّتي هي وسائل الشيطان في القود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلّا بالتقليل وهو أن يأكل أكلة الّتي كان يأكلها كلّ ليلة لو لم يصم ، و أمّا إذا جمع ماكان يأكل ضحوة إلى ماكان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه ، بل من الآداب أن لايكثر النوم بالنهار حتّى يحسّ بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كلّ ليلة قدراً من الضعف حتّى يخفّ عليه تهجّده وأوراده ، فعسى الشيطان لايحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء ، وليلة القدر عبارة عن اللّيلة الّتي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر [2]» ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلايكفيه ذلك لرفع الحجاب حتّى يخلو همّته عن غير الله تعالى وذلك هو الأمر كلّه ، ومبدء جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله .

السادس أن يكون قلبه بعد الإفطار معلّقاً مضطرباً بين الخوف و الرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقرّبين أو يردّ عليه فهو من الممقوتين ، وليكن كذلك في آخر

---

(١) الخوى ـ بفتح المعجمة و فتح الواو مقصوراً ـ و الخواء ـ ممدوداً ـ: خلو الجوف من الطعام .

(٢) القدر : ٢ .

كلّ عبادة يفرغ منها ، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن أنّه مرّ بقوم يوم العيد و هم يضحكون فقال : «إنّ الله عزّ وجلّ جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه لطاعته ، فسبق أقوامٌ ففازوا ، و تخلّف أقوامٌ فخابوا ، فالعجب كلّ العجب للضاحك اللاعب في اليوم الّذي فاز فيه المسارعون و خاب فيه المبطلون ، أما والله لو قد كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء عن إساءته » أي كان سرور المقبول يشغله عن اللّعب ، وحسرة المردود تسدّ عليه باب الضحك » .

أقول : وهذا الخبر رواه في الفقيه [١] في كتاب الصلاة عن الحسن بن علي عليهما السلام ، و في كتاب الصوم [٢] عن الحسين بن علي عليهما السلام بأدنى تغيير في اللّفظ .

قال أبو حامد : « فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم .

فصل

فإن قلت : فمن اقتصر على كفّ شهوة البطن و الفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء : صومه صحيح فما معناه ؟

فاعلم أنّ فقهاء الظاهر يثبتون شروطه الظاهرة بأدلّة هي أضعف من هذه الأدلّة الّتي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيّما الغيبة و أمثالها ، و لكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلّا ما يتيسّر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته ، فأمّا علماء الآخرة فيعنون بالصحّة القبول و بالقبول الوصول إلى المقصود و يفهمون أنّ المقصود من الصوم التخلّق بخلق من أخلاق الله تعالى ، و هو الصمديّة و الاقتداء بالملائكة في الكفّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنّهم منزّهون عن الشهوات ، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، و دون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه و كونه مبتلى بمجاهدتها ، فكلّما انهمك في الشهوات انحط إلى

(١) المصدر ص ١٣٥ تحت رقم ٢٧ .
(٢) المصدر ص ١٩٧ تحت رقم ١٩ .

أسفل السافلين و التحق بغمار البهائم ، و كلّما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى علّيين ، والتحق بأُفق الملائكة ، و الملائكة مقرّبون من الله ، و الّذي يقتدي بهم و يتشبّه بأخلاقهم يقرب من الله كقربهم ، فإنّ الشبيه من القريب قريب ، و ليس القرب ثمّة بالمكان بل بالصفات و إذا كان هذا سرّ الصوم عند أرباب الألباب و أصحاب القلوب فأيّ جدوى لتأخير أكلة و جمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأُخر طول النهار ، ولو كان لمثله جدوى فأيّ معنى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه إلّا الجوع و العطش » ، و لهذا قال أبو الدرداء : يا حبّذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف يغبنون صوم الحمقى و سهرهم ، و لذرّة من ذي يقين و تقوى أفضل و أرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترّين ؛ و لذلك قال العلماء : كم من صائم مفطر ، و كم من مفطر صائم ؛ و المفطر الصائم هو الّذي يحفظ جوارحه عن الآثام و يأكل و يشرب ، والصائم المفطر هو الّذي يجوع و يعطش و يطلق جوارحه ، و من فهم معنى الصوم و سرّه علم أنّ مثل من كفّ عن الأكل و الجماع و أفطر بمقارفة الآثام كمن مسح كلّ عضو من أعضائه في الوضوء و أتى بجميع الآداب و السنن و الأذكار فقد وافق في الفضائل إلّا أنّه ترك المهمّ و هو الغسل ، فصلاته مردودة عليه لجهله ، و مثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه الواجب غسلها ومسح الواجب مسحه و اقتصر على الفرائض ، فصلاته صحيحة متقبّلة لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ، ومثل من جمع بينهما كمن جمع بين الأصل و الفضل في الوضوء و هو الكمال ، و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » (١) ولمّا تلا قوله تعالى : « إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها » وضع يده على سمعه و بصره فقال : السمع أمانة و البصر أمانة » (٢) و لولا أنّه من أمانات الصوم لما قال : « فليقل إنّي صائم » أي إنّي أودعت لساني لأحفظ فكيف

---

(١) قال العراقي : أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود في حديث الامانة والصوم واسناده حسن .

(٢) الاية في سورة النساء : ٥٨ والخبر أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم وابن حبان وابوداود كما في الدر المنثور ج٢ص ١٧٥ . بدون قوله : «السمع أمانة والبصر أمانة».

أطلقه بجوابك ، فإذن قد ظهر أنّ لكلّ عبادة ظاهراً و باطناً و قشراً و لبّاً ، و للقشور درجات ولكلّ درجة طبقات ، فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللّباب أوتتحيّز إلى غمار أرباب الألباب (١).

﴿الباب الثالث﴾

﴿ في التطوّع بالصيام ﴾

أقول : روى في الفقيه عن عليّ عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صام يوماً تطوّعاً أدخله الله عزّ و جلّ الجنّة » (٢).

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من ختم له بصيام يوم دخل الجنّة » (٣).

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صام يوماً في سبيل الله كان له كعدل سنة يصومها » (٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلّا سبّحت له أعضاؤه وكانت صلاة الملائكة عليه و كانت صلاتهم استغفاراً » (٥).

قال : و روى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن محمّد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتّى يقال : لا يفطر ، و يفطر حتّى يقال : لا يصوم ، ثمّ صام يوماً و أفطر يوماً ، ثمّ صام الاثنين و الخميس ثمّ آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيّام في الشهر : الخميس في أوّل الشهر ، وأربعاء في وسط الشهر و خميس في آخر الشهر ، وكان يقول : ذلك صوم الدهر ».

و قد كان أبي عليه السلام يقول : « ما من أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ من رجل يقال : له : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل كذا و كذا ، فيقول : لا يعذّبني الله على أن أجتهد في

---

(١) غمار الناس جمعهم المتكاثف (النهاية).

(٢) الى (٥) المصدر ص ١٧١ رقم ٢و٣و٤و٦ .

الصلاة و الصوم كأنّه يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه »(١) .

و في رواية حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « صام رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قيل : ما يفطر ثمّ أفطر حتّى قيل : ما يصوم ، ثمّ صام صوم داود عليه السلام يوماً ويوماً لا ، ثمّ قبض صلى الله عليه وآله على صيام ثلاثة أيّام في الشهر وقال : يعدلن صوم الدهر ويذهبن بوحر الصدر ، قال حمّاد : الوحر الوسوسة ؛ قال حمّاد فقلت : وأيّ الأيّام هي؟ قال : أوّل خميس في الشهر ، وأوّل أربعاء بعد العشر منه ، و آخر خميس فيه ، فقلت : و كيف صارت هذه الأيّام تصام فيهنّ ؟ فقال : لأنّ من قبلنا من الأمم كانوا إذا نزل على أحدهم العذاب نزل في هذه الأيّام فصام رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الأيّام لأنّها الأيّام المخوفة »(٢) .

وروى الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا صام أحدكم الثلاثة الأيّام من الشهر فلا يجادلنّ أحداً ولا يجهل ولا يسرع إلى الحلف والأيمان بالله و إن جهل عليه أحد فليتحمّل »(٣) .

و روى عبدالله بن المغيرة عن حبيب الخثعمي قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن التطوّع وعن هذه الثلاثة الأيّام إذا أجنبت في أوّل اللّيل فأعلم أنّي أجنبت فأنام متعمّداً حتّى ينفجر الفجر أصوم أولا أصوم ؟ قال : صم »(٤) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « صيام شهر الصبر وثلاثة أيّام من كلّ شهر يذهب ببلابل الصدر ، و صيام ثلاثة أيّام في كلّ شهر صيام الدّهر ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها(٥) » .

و في رواية عبدالله بن سنان قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : « إذا كان في أوّل الشهر

---

(١) المصدر ص ١٦٩ رقم ١ ، والكافي ج ٤ ص ٩٠ رقم ٣ .
(٢) الفقيه ص ١٦٩ رقم ٣ ، والكافي ج٤ ص٨٩ رقم ١ .
(٣) الكافي ج ٤ ص ٨٨ تحت رقم ٤ ، وفي الفقيه ص ١٧٠ رقم ٥ .
(٤) الفقيه ص ١٧٠ رقم ٦ .
(٥) الانعام : ١٦٠. والبلبال : الهم والحزن والوسواس والخبر في الفقيه ص ١٧٠ رقم ٧ .

خميسان فصم أوّلهما فإنّه أفضل، وإذا كان في آخر الشهر خميسان فصم آخرهما فإنّه أفضل[١]».

وسئل العالم عليه السلام «عن خميسين يتّفقان في آخر العشر(*) فقال: صم الأوّل فلعلّك لا تلحق الثاني[٢]».

وسأل عيص بن القاسم أبا عبدالله عليه السلام «عمّن لم يصم الثلاثة من كلّ شهر وهو يشتدّ عليه الصيام هل فيه فداء؟ فقال: مدّ من طعام في كلّ يوم[٣]».

وروى ابن مسكان عن إبراهيم بن المثنّى قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي قد اشتدّ عليّ صوم ثلاثة أيّام في كلّ شهر فما يجزىء عنّي أن أتصدّق مكان كلّ يوم بدرهم؟ فقال: صدقة درهم أفضل من صيام يوم[٤]».

وروى الحسن بن محبوب عن الحسن بن أبي حمزة قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: أو لأبي عبدالله عليه السلام: صوم ثلاثة أيّام في الشهر أؤخّره في الصيف إلى الشتاء فإنّي أجده أهون عليّ؟ فقال: نعم فاحفظها[٥]».

وفي رواية ابن بكير عن زرارة «أنّ صوم الثلاثة الأيّام يجيع ما جرت به السنّة في الصوم[٦]».

﴿فصل﴾

ومن الصيام المتأكّد صوم رجب وشعبان أو ما تيسّر منهما فإنّ رجب شهر أمير المؤمنين عليه السلام وشعبان شهر رسول الله صلى الله عليه وآله كما أنّ رمضان شهر الله عزّ وجلّ؛ وقد ورد في صومها الحثّ الأكيد والثواب الجزيل، وكذا في أبعاضهما على التفصيل يوماً ويومين وثلاثة إلى الثلاثين نطوي ذكرها روماً للاختصار.

وفي الفقيه[٧] «روي عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: من صام أوّل يوم من ذي الحجّة

(*) لعل الصواب «آخر الشهر» كما في بعض نسخ الفقيه.

(١) الى (٦) الفقيه ص١٧٠ رقم ١٠ و٨ و١١ و١٢ و١٣ و١٤.

(٧) المصدر ص ١٧١ رقم ٧.

كتب الله له صوم ثمانين شهراً فإن صام التسع كتب الله عزّ وجلّ له صوم الدّهر» وقال الصادق عليه السلام: «صوم يوم التروية كفّارة سنة ويوم عرفة كفارة سنتين»(١).

وروي «أنّ في أوّل ذي الحجّة أُنزلت توبة داود عليه السلام فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة تسعين سنة(٢)».

وروى عن يعقوب بن شعيب قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن صوم يوم عرفة قال: إن شئت صمت وإن شئت لم تصم(٣)».

وروى حنان بن سدير عن أبيه قال: «سألته عن صوم يوم عرفة فقلت: جعلت فداك إنّهم يزعمون أنّه يعدل صوم سنة، قال: كان أبي عليه السلام لا يصومه، قلت: ولم جعلت فداك؟ قال: يوم عرفة يوم دعاء ومسألة فأتخوّف أن يضعفني عن الدّعاء وأكره أن أصومه أتخوّف أن يكون يوم عرفة يوم الأضحى وليس بيوم صوم(٤)».

وروى الحسن بن عليّ الوشاء قال: «كنت مع أبي وأنا غلام فتعشّينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال له: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم، وولد فيها عيسى ابن مريم، وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستّين شهراً(٥)».

وروي «أنّ في تسع وعشرين من ذي القعدة أنزل الله عزّ وجلّ الكعبة وهي أوّل رحمة نزلت فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة سبعين سنة(٦)».

وروى الحسن بن راشد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن وأعظمهما وأشرفهما، قال: قلت له: فأيّ يوم هو؟ قال: يوم نصب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام علماً للناس، قلت: جعلت فداك وأيّ يوم هو؟ قال: إنّ الأيّام تدور وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة، قال: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصومه يا حسن وتكثر فيه الصلاة على محمّد وأهل بيته عليهم السلام وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ ممّن ظلمهم حقّهم، فإنّ الأنبياء عليهم السلام كانت تأمر الأوصياء باليوم الّذي كان يقام فيه الوصيّ أن يتّخذ عيداً، قال: قلت: ما لمن صامه منّا؟ قال: صيام ستّين

(١) الى (٦) المصدر ص ١٧١ رقم ٨و٩و١٠و١٣و١٧و١٨.

شهراً ولا تدع صيام يوم سبعة وعشرين من رجب فإنّه هو اليوم الّذي أُنزلت فيه النبوّة على محمّد صلّى الله عليه وآله وثوابه مثل ستّين شهراً لكم[(١)].

وروى المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صوم يوم غدير خمّ كفّارة ستّين سنة[(٢)]».

و «في أوّل يوم من المحرّم دعا زكريّا عليه السلام ربّه عزّوجلّ فمن صام ذلك اليوم استجاب الله له كما استجاب لزكريّا عليه السلام[(٣)]».

قال:[(٤)] وسأل محمّد بن مسلم وزرارة بن أعين أباجعفر الباقر عليهما السلام عن صوم يوم عاشورا فقال: «كان صومه قبل شهر رمضان فلمّا نزل شهر رمضان ترك».

أقول: ويؤيّد ذلك ماورد عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً «أنّ من صامه كان حظّه من ذلك حظّ ابن مرجانة وآل زياد وهو النار[(٥)]».

وأمّا ما ورد «أنّ صومه كفّارة سنة[(٦)]» فمحمول على التقيّة أوعلى الإمساك إلى العصر على وجه الحزن كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «صمه من غير تبييت وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة على شربة من ماء فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلّى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم[(٧)]».

وينبغي العمل على هذا الحديث لاعتبار سنده، ومثل هذا الصوم يسمّى بصوم التأديب وهو الإمساك عن المفطرات في بعض النهار تشبيهاً بالصائمين، وهو ثابت في سبعة مواطن غير هذا بالنصّ والإجماع: المسافر إذا قدم أهله أو بلداً يعزم فيه إقامة عشرة فمازاد بعد الزوال أوقبله وقد أفطر، وكذا المريض إذا برىء، والحائض والنفساء إذا طهرتا في أثناء

---

(١) الى (٣) المصدر ص ١٧١ رقم ١٩و٢٠و٢١.
(٤) يعنى الصدوق رحمه الله ـ فى الفقيه ص ١٧١ تحت رقم ١ .
(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٣٧ ، الكافى ج ٤ ص١٤٧.
(٦) التهذيب ج ١ ص ٤٣٧ ، الاستبصار ج ٢ ص ١٣٤
(٧) رواه الشيخ فى مصباح المتهجد ص ٥٤٧ . و فى النهاية الملحمة هي الحرب و موضع القتال .

النهار، والكافر إذا أسلم، والصبيّ إذا بلغ، والمجنون إذا أفاق، وكذا المغمى عليه، ويلحق به تمرين الصبيّ لتسع سنين.

فصل

يحرم صوم العيدين وأيّام التشريق لمن كان بمنى، ويوم الشكّ بنيّة رمضان، وصوم المرأة والمملوك ندباً بغير إذن الزوج والمولى؛ وفي المرض والسفر إلّا ما استثني؛ وصوم الصمت والوصال.

وفي الفقيه روى معاوية بن عمّار قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن صيام أيّام التشريق، قال: إنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صيامها بمنى فأمّا بغيرها فلا بأس، ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصال في الصيام وكان يواصل فقيل له في ذلك، فقال: إنّي لست كأحدكم إنّي أظلّ عند ربّي فيطعمني ويسقيني[1]».

وقال الصادق عليه السلام: «الوصال الّذي نهي عنه هو أن يجعل الرّجل عشاءه سحوره[3]» وسأل زرارة أبا عبدالله عليه السلام عن صوم الدّهر، فقال: لم يزل مكروهاً، وقال: لا وصال في صيام ولا صمت يوماً إلى اللّيل[4]».

وفي حديث الزهري[5] عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «وأمّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الأضحى وثلاثة أيّام التشريق وصوم يوم الشك أُمرنا به ونهينا عنه، أُمرنا أن نصومه مع شعبان ونهينا عنه أن يتفرّد الرّجل بصيامه في اليوم الّذي يشكّ فيه الناس، فقلت له: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال: ينوي ليلة الشكّ أنّه صائم من شعبان فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه وإن كان من شعبان لم يضرّه، فقلت له: وكيف يجزىء صوم تطوّع عن صوم فريضة؟ فقال: لو أنّ رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوّعاً وهو لا يدري ولا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه لأنّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه، وصوم الوصال حرامٌ، وصوم الصمت حرامٌ، وصوم نذر المعصية حرامٌ، وصوم الدّهر حرامٌ».

---

(١) الى (٤) الفقيه ص ١٩٦ و١٩٧ تحت رقم ٧و٩و١٠و١١.
(٥) الكافي ج ٤ ص ٧٥، والفقيه ص ١٦٩.

قال عليه السلام : « وأمّا الصوم الّذي يكون صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين ، وصوم البيض ، وصوم ستّة أيّام من شوّال بعد شهر رمضان ، وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر » .

أقول : يعني أنّ هذه الأيّام ليست لها مزيّة على سائر الأيّام للصيام كما زعمته العامّة .

قال عليه السلام : « و أمّا الصوم في السفر والمرض فإنّ العامّة اختلفت فيه فقال قوم : يصوم ، وقال قوم : لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام و إن شاء أفطر ، فأمّا نحن فنقول : يفطر في الحالتين جميعاً فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء وذلك لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام اُخر » .

وذكر الصدوق في علل الشرايع[1] أنّ صوم أيّام البيض منسوخ بصوم الخميسين والأربعاء و ربما يشعر به بعض النصوص وفسّر بعض علمائنا الأيّام البيض بذلك والمشهور خلافهما .

وأمّا صوم الستّة الأيّام فقد ورد في بعض الأخبار من طريقنا أيضاً إلّا أنّ في الصحيح « لا صيام بعد الأضحى ثلاثة أيّام ولا بعد الفطر ثلاثة أنّها أيّام أكل وشرب[2] » وهو المعتمد .

وفي الفقيه أيضاً « روى الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا دخل رجل بلدة فهو ضيف على من بها من أهل دينه حتّى يرحل عنهم ، و لا ينبغي للضيف أن يصوم إلّا بإذنهم لئلّا يعملوا شيئاً فيفسد ، ولا ينبغي لهم أن يصوموا إلّا بإذن الضيف لئلا يحتشمهم فيشتهي فيتركه لهم[3] » .

و روى نشيط بن صالح عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من فقه الضيف أن لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن صاحبه ، و من طاعة المرأة لزوجها أن لا تصوم تطوّعاً إلّا بإذنه وأمره ، ومن صلاح العبد وطاعته و نصيحته لمولاه أن لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن مولاه ، و من برّ الولد بأبويه أن لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن أبويه وأمرهما ، وإلّا كان الضيف جاهلاً وكانت المرأة عاصية و كان العبد فاسقاً عاصياً ، و كان

(١) المصدر ص ١٣٣ .
(٢) التهذيب ج ١ ص ٤٤٥ ، والكافي ج ٤ ص ١٤٨ .
(٣) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ١و٢ باب صوم الاذن .

الولدعاقاً »[١].

قال :[٢] وردت الأخبار والآثار عن الأئمّة عليهم السلام أنّه لايجوز أن يتطوّع الرجل بالصيام وعليه شيء من الفرض ، وممّن روى ذلك الحلبيّ وأبو الصبّاح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال :[٣] وروى داود الرقّي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «لإفطارك في منزل أخيك أفضل من صيامك سبعين ضعفاً أو تسعين ضعفاً».

و روى جميل بن درّاج عنه عليه السلام أنّه قال : « من دخل على أخيه وهو صائم فأفطر عنده ولم يُعلمه بصومه فيمنّ عليه كتب الله له صوم سنة »[٤] ، قال : و قال مصنّف هذا الكتاب ـ رحمه الله ـ : هذا في السنّة والتطوّع جميعاً .

أقول : أراد بالسنّة صوم الثلاثة الأيّام من كلّ شهر وبالتطوّع ما عداه من الصيام المستحبّ .

قال أبوحامد : « وإذ ظهر أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأنّ مقصوده تصفية القلب وتفريق الهمّ لله ، والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم ، وقد يقتضي دوام الفطر ، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم ، فإذا فهم المعنى وتحقّق حدّه في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيباً مستمرّاً ، ولذلك روي « أنّه صلى الله عليه وآله كان يصوم حتّى يقال : إنّه لايفطر ويفطر حتّى يقال : لايصوم ، وينام حتّى يقال : لايقوم ويقوم حتّى يقال : لاينام»[٥] وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات والحمد لله » .

هذا آخر كتاب أسرار الصيام ومهمّاته من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الحجّ ومهمّاته والحمد لله أوّلاً وآخراً .

(١) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ٢ باب صوم الاذن .
(٢) الفقيه ص ١٨٦ رقم ١ .
(٣) و(٤) الفقيه ص ١٧٠ تحت رقم ١٥ و١٦ و١٧ .
(٥) مرصدر الحديث آنفاً .

كتاب اسرار الحج ومهماته

وهو الكتاب السابع من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً ، و جعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفاً وتخصيصاً و منّاً ، و جعل زيارته والتطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب ومجنّاً ، والصلاة على محمّد نبيّ الرحمة و سيّد الأمّة وعلى آله المعصومين وأصحابه المرضيّين قادة الحقّ وسادة الخلق ، وسلّم تسليما كثيراً.

اما بعد فإنّ الحجّ من بين أركان الإسلام و مبانيه عبادة العمر وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، و كمال الدّين فيه ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : « من مات ولم يحجّ فليمت إن شاء يهوديّاً وإن شاء نصرانيّاً[(١)] ».

أقول : ومن طريق الخاصّة ما ورد في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « من مات و لم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لايطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه منه فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً[(٢)] ».

قال أبوحامد : « فأعظم بعبادة يعدم الدّين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال ، وأجدربها أن تصرف العناية إلى شرحها و تفصيل أركانها و سننها وآدابها وفضائلها وأسرارها ، وجملة ذلك تنكشف بتوفيق الله في ثلاثة أبواب : الباب الأوّل

---

(١) قال العراقي : أخرجه ابن عدي . أقول : أخرج نحوه ابن مردويه باسناده عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله كما في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) الفقيه ص ٢٦٥ تحت رقم ٣ ، والكافي ج ٤ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ وقوله : « تجحف » في القاموس أجحف به : ذهب ، وبه الفاقة : أفقرته الفاقة وايضاً قاربه و دنا منه ، و حمل على المبالغة .

في فضائلها و فضائل مكّة و البيت العتيق وجمل أركانها و شرائط و جوبها ؛ الباب الثاني في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدء السفر إلى الرّجوع ؛ الباب الثالث في آدابها الدقيقة ، وأسرارها الخفيّة ، وأعمالها الباطنة .

فلنبدء بالباب الأوّل وفيه فصلان : الفصل الأوّل في فضائل الحجّ والبيت و مكّة والمدينة وشدّ الرحال إلى المشاهد .

✡(فضيلة الحج)✡

قال الله تعالى : « و أذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر[١]» قال قتادة : لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن في الناس بالحجّ نادى يا أيّها الناس إنّ لله بيتاً فحجّوه فأسمع الله نداءه كلّ من يريدالله أن يحجّ من ذرّيّته إلى يوم القيامة »

أقول : وفي الفقيه « أنّ إبراهيم عليه السلام نادى هلمّ إلى الحجّ هلمّ إلى الحجّ فلو ناداهم هلمّوا إلى الحجّ لم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسيّاً مخلوقاً ولكنّه نادى هلمّ إلى الحجّ ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال وأرحام النساء لبّيك داعي الله لبّيك داعي الله ، فمن لبّى مرّة حجّ حجّة ، ومن لبّى عشراً حجّ عشر حجج ، ومن لم يلبّ لم يحجّ »[٢] .

وفيه قال الله تعالى : « ففرّوا إلى الله [٣] » يعني حجّوا إلى الله ومن اتّخذ محملاً للحجّ كان كمن ارتبط فرساً في سبيل الله [٤] » .

قال : و روي أنّ الجبّار جلّ جلاله يقول : «إنّ عبداً أحسنت إليه وأجملت إليه فلم يزرني في هذا المكان في كلّ خمس سنين لمحروم [٥] » :

وقال أبوجعفر عليه السلام : « ما من عبد يؤثر على الحجّ حاجة من حوائج الدّنيا إلّا نظر إلى المحلّقين قد انصرفوا قبل أن يقضى له تلك الحاجة [٦] » .

---

(١) الحج : ٢٧ والضامر : البعير أو الفرس المهزول .
(٢) المصدر ص ٢١٢ باب نكت في حج الانبياء والمرسلين .
(٣) الذاريات : ٥٠ .
(٤) الفقيه ص ٢٠٤ باب فضائل الحج .
(٥) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٣٠ .
(٦) الفقيه ص ٢٥٨ باب علة التخلف عن الحج .

وقال الصادق عليه السلام : «ما تخلّف رجلٌ عن الحجّ إلّا بذنب ، وما يعفو الله أكثر[١]» .

و «سئل عليه السلام عن رجل ذي دين يستدين و يحجّ ؟ فقال : نعم هو أقضى للدَّين» انتهى كلام الفقيه[٢] .

و في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لقيه أعرابيٌّ فقال : يا رسول الله إنّي خرجت اُريد الحجّ ففاتني و أنا رجلٌ ميّلٌ[٣] فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاجّ ، قال : فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : انظر إلى أبي قبيس فلو أنّ أبا قبيس لك ذهبة حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاجّ ، ثمّ قال : إنّ الحاجّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلّا كتب له عشر حسنات ، و محا عنه عشر سيّئات ، و رفع له عشر درجات ، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً ولم يضعه إلّا كتب الله له مثل ذلك ، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه ، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه ، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه ، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه ، [قال : فعدّد رسول الله صلّى الله عليه وآله كذا و كذا موقفاً إذا وقفها الحاجُّ خرج من ذنوبه] ، ثمّ قال : أنّى لك أن تبلغ ما تبلغه الحاجّ ، قال أبو عبد الله عليه السلام : ولا يكتب عليه الذنوب أربعة أشهر و يكتب له الحسنات إلّا أن يأتي بكبيرة»[٤] .

و في الصحيح عن معاوية بن عمّار عنه عليه السلام قال : «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الحجُّ و العمرة ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد ، قال معاوية : فقلت : حجّة أفضل أو عتق رقبة ؟ قال : حجّة أفضل ، قلت : فثنتين ؟ قال : حجّة أفضل ، فلم أزل أزيد و يقول : حجّة أفضل حتّى بلغت ثلاثين رقبة ، فقال : حجّة أفضل»[٥] .

و في الصحيح «الحاجُّ ثلاثة أصناف : صنف يعتق من النار ، و صنف يخرج من

---

(١) الفقيه باب علة التخلف عن الحج ص ٢٥٨ ، وفى الكافى ج٤ ص٢٧٠ نحوه .
(٢) المصدر ص ٢٦٢ تحت رقم ٥ .
(٣) يعنى كثير المال وفى بعض النسخ [انى رجل ميل] وهو بمعناه .
(٤) التهذيب ج ١ ص٤٤٧ حسبما رقمناه .
(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٤٨ .

ذنوبه كهيئة يوم ولدته اُمّه ، وصنف يحفظ في أهله وماله وهو أدنى ما يرجع به الحاجّ »(١).

وفي الفقيه « قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما من مُهلّ يهلّ بالتلبية إلّا أهلّ من عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب ومن عن يساره إلى مقطع التراب ، وقال له الملكان : أبشر يا عبد الله ومايبشّر الله عبداً إلّا بالجنّة ، ومن لبّى في إحرامه سبعين مرّة إيماناً واحتساباً أشهد الله له ألف ملك ببراءة من النّار وبراءة من النفاق ، ومن انتهى إلى الحرم فنزل واغتسل وأخذ نعليه بيده ، ثمّ دخل الحرم حافياً تواضعاً لله عزّ وجلّ محا الله عنه مائة ألف سيّئة وكتب الله له مائة ألف حسنة وبنى له مائة ألف درجة وقضى له مائة ألف حاجة ، ومن دخل مكّة بسكينة غفر الله له ذنبه وهو أن يدخلها غير متكبّر ولامتجبّر ومن دخل المسجد حافياً على سكينة ووقار وخشوع غفر الله له ، ومن نظر إلى الكعبة عارفاً بحقّها غفر الله له ذنوبه وكفى ما أهمّه »(٢).

وفيه « قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة فتشفع فيه بالإيجاب »(٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام : « مايقف أحد على تلك الجبال برّ ولا فاجر إلّا استجاب الله له فأمّا البرّ فيستجاب له في آخرته وأمّا الفاجر فيستجاب له في دنياه »(٤).

وقال الصادق عليه السلام : « ما من رجل من أهل كورة وقف بعرفة من المؤمنين إلّاغفر الله عزّ وجلّ لأهل تلك الكورة من المؤمنين وما من رجل وقف بعرفة من أهل بيت من المؤمنين إلّا غفر الله لأهل ذلك البيت من المؤمنين »(٥).

وفيه « وأعظم الناس جرماً من أهل عرفات الّذي ينصرف من عرفات وهو يظنّ

---

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٥٣ ، والتهذيب ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر ص ٢٠٥ تحت رقم ٣ .

(٣) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٤ .

(٤) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٢ .

(٥) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٣ .

أنّه لم يغفر له ـ يعني الّذي يقنط من رحمة الله عزّ وجلّ ـ »[(١)].

وأسنده أبو حامد إلى الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام.

قال: « و يقال: إنّ من الذنوب ذنوباً لا يكفّرها إلّا الوقوف بعرفة و قد أسنده جعفر بن محمّد عليهما السلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ».

و في الفقيه قال الصادق عليه السلام: « من حجّ حجّة الإسلام فقد حلّ عقدة من النّار من عنقه، و من حجّ حجّتين لم يزل في خير حتّى يموت، و من حجّ ثلاث حجج متوالية ثمّ حجّ أو لم يحجّ فهو بمنزلة مد من الحجّ »[(٢)].

و روي « أنّ من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقر أبداً، و أيّما بعير حجّ عليه ثلاث سنين جعل من نعم الجنّة ـ وروي سبع سنين ـ »[(٣)].

و قال الرضا عليه السلام: « من حجّ بثلاثة من المؤمنين فقد اشترى نفسه من الله عزّ و جلّ بالثمن و لم يسأله من أين اكتسب ماله من حلال أو حرام[(٤)] ومن حجّ أربع حجج لم يصبه ضغطة القبر أبداً وإذا مات صوّر الله عزّ وجلّ الحجج الّتي حجّ في صورة حسنة أحسن ما يكون من الصور بين عينيه تصلّي في جوف قبره حتّى يبعثه الله عزّ و جلّ من قبره، و يكون ثواب تلك الصلاة له، و اعلم أنّ الركعة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميّين، و من حجّ خمس حجج لم يعذّبه الله أبداً، ومن حجّ عشر حجج لم يحاسبه الله أبداً، و من حجّ عشرين حجّة لم ير جهنّم و لم يسمع شهيقها ولا زفيرها، و من حجّ أربعين حجّة قيل له: اشفع فيمن أحببت و يفتح له باب من أبواب الجنّة، يدخل منه هو و من يشفع له، و من حجّ خمسين حجّة بني له مدينة في جنّة عدن فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف حوراء من حور العين، و ألف زوجة، و يجعل من رفقاء

---

(١) المصدر ص ٢٠٧ رقم ٣٦.

(٢) و(٣) المصدر ٢٠٨ تحت رقم ٤٨ و٤٩.

(٤) قال الصدوق فى العيون بعد نقل تمام الخبر: يعنى بذلك أنه لم يسأله عما وقع فى ماله من الشبهة ويرضى عنه خصماءه بالعوض. و قال المؤلف بعد نقله فى الوافى: لعل ذلك بشرط التوبة وعدم معرفة أصحاب المال باعيانهم ليرده عليهم.

محمّد صلّى الله عليه وآله في الجنّة ، و من حجّ أكثر من خمسين حجّة كان كمن حجّ خمسين حجّة مع محمّد و الأوصياء صلوات الله عليهم و كان ممّن يزوره الله تبارك و تعالى كلّ جمعة وهو ممّن يدخل جنّة عدن الّتي خلقها الله عزّ و جلّ بيده ، و لم ترها عين ، و لم يطلع عليها مخلوق ، ومامن أحد يكثر الحجّ إلّا بنى الله عزّ وجلّ له بكلّ حجّة مدينة في الجنّة فيها غرف في كلّ غرفة منها حوراء من حور العين ، مع كلّ حوراء ثلاثمائة جارية لم ينظر الناس إلى مثلهنّ حسناً وجمالاً » (١).

و قال الصادق عليه السلام من حجّ سنة و سنة لا فهو ممّن أدمن الحجّ » (٢).

و قال إسحاق بن عمّار قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « إنّي قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي ، فقال : و قد عزمت على ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : إن فعلت ذلك فأيقن بكثرة المال أو أبشر بكثرة المال » (٣).

و روي « أنّه ما تقرّب العبد إلى الله عزّ وجلّ بشيء أحبّ إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين ، و أنّ الحجّة الواحدة تعدل سبعين حجّة ، و من مشى عن جمله كتب الله له ثواب ما بين مشيه و ركوبه ، و الحاجّ إذا انقطع شسع نعله كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى متنعّل ، و الحجّ راكباً أفضل منه ماشياً لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حجّ راكباً» (٤).

و الجمع ما بين الخبرين في هذا المعنى ما رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام « أنّه سأله عن المشي أفضل أو الركوب ؟ فقال : إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته ، فالركوب أفضل» (٥).

و كان الحسن بن علي عليهما السلام يمشي و تساق معه المحامل و الرحال » (٦).

و قد روي « أنّ الحجّ أفضل من الصلاة و الصيام لأنّ المصلّي إنّما يشتغل عن أهله ساعة و أنّ الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم و أنّ الحاجّ يشخص بدنه ، و يضحى نفسه ، و ينفق ماله ، و يطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة » (٧).

---

(١) الى (٦) الفقيه ص ٢٠٨ رقم ٥١ الى ٥٥ .
(٧) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٧٠ .

و روي عن إسحاق بن عمّار قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ رجلاً استشارني في الحجّ و كان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لا يحجّ ، فقال : ما أخلقك أن تمرض سنة قال : فمرضت سنة » (١).

وقال الصادق عليه السلام : « ليحذر أحدكم أن يعوّق أخاه عن الحجّ فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدّخر له في الآخرة » (٢).

و سئل الصادق عليه السلام عن الرجل يحجّ عن آخر ، له من الأجر والثواب شيء ؟ فقال : « للّذي يحجّ عن الرجل أجر وثواب عشر حجج ، و يغفر له و لأبيه و لأمّه و لابنه و لابنته و لأخيه ولأخته و لعمّه ولعمّته ولخاله ولخالته ، إنّ الله واسع كريم » (٣)

و قال الصادق عليه السلام : « من حجّ عن إنسان اشتركا حتّى إذا قضى طواف الفريضة انقطعت الشركة ، فما كان بعد ذلك من عمل كان لذلك الحاجّ » (٤).

وقال الصادق عليه السلام : « لو أشركت ألفاً في حجّتك كان لكلّ واحد حجّ من غير أن ينقص من حجّتك شيء » (٥).

وروي « أنّ الله تبارك و تعالى جاعلٌ له ولهم حجّاً وله أجراً لصلته إيّاهم » (٦)

و قال الصادق عليه السلام : « من أنفق درهماً في الحجّ كان خيراً له من مائة ألف درهم ينفقها في حقّ » (٧).

و قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « يا معشر من لم يحجّ استبشروا بالحاجّ إذا قدموا فصافحوهم و عظّموهم فإنّ ذلك يجب عليكم ، تشاركوهم في الأجر » (٨)

و قال عليه السلام : « بادروا بالسلام على الحاجّ و المعتمرين و مصافحتهم من قبل أن يخالطهم الذنوب » (٩).

---

(١) الى (٣) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٦٨ و٦٩ و٨٣ و قوله : « ما أخلقك » أى ما أليق بك ذلك .

(٤) و(٥) و(٦) المصدر ص ٢١٠ رقم ٧٤ و٧٥ و٧٧ .

(٧) الكافى ج ٤ ص ٢٥٥ تحت رقم ١٥ .

(٨) المصدر ج ٤ ص ٢٦٤ تحت رقم ٤٨ .

(٩) المصدر ج ٤ ص ٢٥٦ تحت رقم ١٧ .

✡(فضيلة البيت ومكة)✡

في الفقيه « قال أبو جعفر عليه السلام : لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً ، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ، ثمّ جعله جبلاً من زبد ، ثمّ دحا الأرض من تحته وهو قول الله عزّ و جلّ : « إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركاً » (١) فأوّل بيت خلقت من الأرض الكعبة ، ثمّ مدّت الأرض منها » (٢).

و قال أبو جعفر عليه السلام : « أتى آدم عليه السلام هذا البيت ألف أتية على قدميه ، منها سبعمائة حجّة و ثلاثمائة عمرة ، و كان يأتيه من ناحية الشام ، وكان يحجّ على ثور ، و المكان الّذي تيب فيه عليه الحطيم ، و هو ما بين باب البيت و الحجر الأسود ، و طاف آدم قبل أن ينظر إلى حوّاء مائة عام ، و قال له جبرئيل عليه السلام : حيّاك الله وبيّاك - يعني أصلحك - » (٣).

و قال الصادق عليه السلام : « لمّا أفاض آدم من منى تلقّته الملائكة بالأبطح فقالوا : يا آدم برّ حجّك أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بألفي عام» (٤).

و روى سعيد بن عبد الله الأعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « أحبّ الأرض إلى الله عزّ و جلّ مكّة ، ما تربة أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من تربتها ، ولاحجر أحبّ إلى الله عزّوجلّ من حجرها ، ولا شجر أحبّ إلى الله عزّوجلّ من شجرها ، ولا جبال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من جبالها ، و لا ماء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من مائها » (٥).

و في خبر آخر « ما خلق الله تبارك و تعالى بقعة في الأرض أحبّ إليه منها - و أومأ بيده نحو الكعبة - و لا أكرم على الله عزّ و جلّ منها ، لها حرّم الله الأشهر الحرم

---

(١) آل عمران : ٩٥ .

(٢) المصدر باب ابتداء الكعبة و فضائلها ص ٢١٤ . و في الكافي ج ٤ ص ١٨٩.

(٣) المصدر ص ٢١١ باب نكت في حج الانبياء وفي بعض نسخه «حياك الله و بياك».

(٤) الكافي ج ٤ ص ١٩٤ تحت رقم ٣ .

(٥) الفقيه ص ٢١٥ تحت رقم ٨ .

في كتابه يوم خلق السماوات والأرض » (١)

و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله عزّ وجلّ اختار من كلّ شيء شيئاً ، اختار من الأرض موضع الكعبة » (٢) .

و قال عليه السلام : « لا يزال الدّين قائماً ما قامت الكعبة » (٣) .

و روي عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لنا عليّ بن الحسين عليهما السلام : « أيّ البقاع أفضل ؟ فقلت : الله و رسوله و ابن رسوله أعلم . فقال : أما أفضل البقاع ما بين الركن و المقام و لو أنّ رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً ، يصوم النهار و يقوم اللّيل في ذلك المكان ثمّ لقي الله عزّ و جلّ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً » (٤)

و قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : « من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتّى يرى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ، و يرى منزله من الجنّة ، و تسبيحة بمكّة تعدل خراج العراقين ينفق في سبيل الله ، و من صلّى بمكّة سبعين ركعة فقرأ في كلّ ركعة بقل هو الله أحد ، و إنّا أنزلناه ، و آية السخرة (٥) ، و آية الكرسي لم يمت إلّا شهيداً ، و الطاعم بمكّة كالصائم فيما سواها ، و صيام يوم بمكّة تعدل صيام سنة فيما سواها ، و الماشي بمكّة في عبادة الله عزّ وجلّ » (٦) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : «من جاور سنة بمكّة غفر الله له ذنوبه و لأهل بيته و لكلّ من استغفر له ولعشيرته ولجيرانه ذنوب تسع سنين وقد مضت ، و عصموا من كلّ سوء أربعين ومائة سنة ، والانصراف و الرجوع أفضل من المجاورة ، و النائم بمكّة كالمجتهد في البلدان ، و الساجد بمكّة كالمتشحّط بدمه في سبيل الله ، ومن خلّف حاجّاً في أهله بخير كان له كأجره حتّى كأنّه يستلم الحجر » (٧) .

و قال الصادق عليه السلام : « إنّ لله تبارك و تعالى حول الكعبة عشرين و مائة رحمة

(١) الى (٤) الفقيه ص٢١٥ تحت رقم ٩ الى ١١ و رقم ١٨ .

(٥) المرادمنهاقوله تعالى فى سورة الاعراف آية ٥٤ الى ٥٦ « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض . الى قوله - ان رحمة الله قريب من المحسنين» .

(٦) و(٧) الفقيه ص ٢١١ تحت رقم ٩١ و٩٢ .

منها ستّون للطائفين ، و أربعون للمصلّين ، و عشرون للناظرين» (١) .

و روي « أنّ من نظر إلى الكعبة لم يزل يكتب له حسنة و يمحى عنه سيئة حتّى يصرف ببصره » (٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « الركن اليماني بابنا الّذي ندخل منه الجنّة ، و قال : فيه باب من أبواب الجنّة لم يغلق منذ فتح ، و فيه نهرٌ من الجنّة يلقى فيه أعمال العباد » (٣) .

و روي «أنّه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه » (٤) .

و روي « أنّه من روى من ماء زمزم أحدث له به شفاء ، و صرف عنه داء ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة » (٥) .

قال أبو حامد : « قال النبيُّ صلى الله عليه وآله : «إنّ الله وعد هذا البيت أن يحجّه في كلّ سنة ستّمائة ألف ، فإن نقصوا أكملهم الله بالملائكة ، و إنّ الكعبة تحشر كالعروس المزفوف و كلٌّ من حجّها يتعلّق بأستارها يسعون حولها حتّى تدخل الجنّة فيدخلون معها » (٦) .

و في الخبر « أنّ الحجر ياقوتة من يواقيت الجنّة و أنّه يبعث يوم القيامة له عينان و لسان ينطق به و يشهد لمن استلمه بحقّ و صدق » (٧) و كان صلى الله عليه وآله يقبّله كثيراً (٨) .

و روي « أنّه سجد عليه ، و كان يطوف على الراحلة و يضع المحجن عليه ثمّ يقبّل

---

(١) المصدر ص ٢٠٦ تحت رقم ١٥ .

(٢) الكافي ج ٤ ص ٢٤٠ تحت رقم ٤ .

(٣) الى (٥) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٠ الى ٢٢ .

(٦) قال العراقي : لم أجد لهذا الحديث أصلا .

(٧) أخرجه الطبراني في مسنده الكبيرمن طريق بكربن محمد بأدنى اختلاف كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤٢ . ونحوه الترمذي في الصحيح ج ٤ ص ١٠٨و١٨٢ .

(٨) راجع في كل ذلك مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤١وسنن النسائي ج ٥ ص ٢٣٣ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٧٦ وصحيح مسلم ج ٤ص ٦٦ وصحيح الترمذي ج ٤ ص٩٣.

طرف المحجن (١)، و قبّله عمر ثمّ قال : إنّي لأعلم أنّك حجر لاتضرّ و لاتنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك لما قبّلتك، ثمّ بكى ثمّ علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليّاً عليه السلام فقال : يا أبا حسن ههنا تسكب العبرات، فقال عليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين بل هو يضرّ وينفع، قال : و كيف ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخذ الميثاق على الذريّة كتب عليهم كتاباً ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء و يشهد على الكافر بالجحود» قيل : فذلك هو قول الناس عند الاستلام : «اللّهمّ إيماناً بك وتصديقاً بكتابك و وفاء بعهدك».

(فضيلة المقام بمكة و كراهته)

قال أبو حامد : «كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكّة لمعان ثلاثة : أحدها خوف التبرّم و الاُنس بالبيت، فإنّ ذلك ربما يؤثّر في تسكين حرقة القلب في الاحترام، و الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإنّ الله جعل البيت مثابة للنّاس أي يتوبون و يعودون إليه مرّة بعد اُخرى و لا يقضون منه وطراً، وقال بعضهم : لأن تكون في بلد و قلبك مشتاق إلى مكّة متعلّق بهذا البيت خيرٌ لك من أن تكون فيه و أنت متبرّم بالمقام و قلبك في بلد آخر، الثالث الخوف من ركوب الخطايا و الذنوب بها فإنّ ذلك مخطر وبالحريّ أن يورث مقت الله لشرف الموضع. قال ابن مسعود : ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمّة قبل العمل إلّا مكّة وتلا قوله تعالى : «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» (٢).

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه معاوية بن عمّار في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال : «سألته عن قول الله عزّ وجلّ : «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» قال : كلّ ظلم إلحاد و ضرب الخادم في غير ذنب من ذلك الإلحاد» رواه في الفقيه (٣).

(١) أخرجه البخارى ج ٢ ص ١٧٦ ومسلم ج ٤ ص ٦٧ وأبو داود ج ١ ص ٤٣٣ بدون الزيادة التى رواها أن علياً عليه السلام وراءه. وأخرجه مع الزيادة الحاكم فى المستدرك ج٢ ص٤٥٧ بدون شرط الشيخين.

(٢) الحج : ٢٥.

(٣) ص ٢١٧ تحت رقم ٣٥.

قال : و في رواية أبي الصباح الكناني عنه عليه السلام قال : «كلّ ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنّي أراه إلحاداً ، ولذلك كان يتّقي الفقهاء أن يسكنوا مكّة »(١).

قال : و روى العلاء عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكّة سنة ، قلت : كيف يصنع ؟ قال : يتحوّل عنها ، و لا ينبغي أن يرفع بناء فوق الكعبة(٢) ، و روي أنّ المقام بمكّة يقسي القلب »(٣).

و روى داود الرقّي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « إذا فرغت من نسكك فارجع فإنّه أشوق لك إلى الرجوع »(٤).

قال أبو حامد : « و لا تظنن أنّ كراهية المقام يناقض فضل البقعة لأنّ هذه كراهة علّتها ضعف الخلق و قصورهم عن القيام بحقّ الموضع فمعنى قولنا : « إنّ ترك المقام به أفضل » أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرّم ، فأمّا أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقّه فهيهات و كيف لا ؟ و لمّا عاد صلى الله عليه وآله إلى مكّة استقبل القبلة و قال : «إنّك لخير أرض و أحبّ بلاد الله تعالى إليّ و لولا أنّي اُخرجت منك ما خرجت »(٥) و كيف لا والنظر إلى البيت عبادة و الحسنات فيها مضاعفة ».

أقول : قال : في الفقيه «لم يبت أميرالمؤمنين عليه السلام بمكّة بعد أن هاجر منها حتّى قبض لأنّه كان يكره أن يبيت بأرض قد هاجر منها ».

(فضيلة المدينة و سائر البلاد)

قال أبو حامد : « ما بعد مكّة بقعة أفضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فالأعمال فيها أيضاً تضاعف ».

قال صلى الله عليه وآله : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد

(١) الفقيه ص ٢١٧ تحت رقم٣٦ .
(٢) الى (٤)جميع تلك الاخبارفى الفقيه ص ٢١٨ تحت رقم ٤٣ الى ٤٥ .
(٥) أخرجه ابويعلى كما فى مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٨٣ . وأخرج الترمذىمثله.

الحرام »(١) «و كذلك كلّ عمل بالمدينة بألف و بعد مدينته الأرض المقدّسة فإنّ الصلاة فيها بخمسمائة »(٢) و كذا سائر الأعمال.

أقول: و قد مرّ الحديث في ذلك من طريق الخاصّة في كتاب الصلاة وفي الفقيه: روى خالد بن ماد القلانسيّ، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «مكّة حرم الله و حرم رسوله و حرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، و الدرهم فيها بمائة ألف درهم، و المدينة حرم الله و حرم رسوله و حرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة، و الدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، و الكوفة حرم الله و حرم رسوله و حرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام و الصلاة فيها بألف صلاة، و سكت عن الدرهم »(٣).

و قال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «المساجد الأربعة: المسجد الحرام و مسجد الرسول و مسجد بيت المقدس، و مسجد الكوفة يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجّة، والنافلة تعدل عمرة »(٤).

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أتى مسجدي مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة »(٥).

و لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة قال: «اللّهمّ حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكّة أو أشدّ و بارك في صاعها و مدّها و انقل حمّاها و وباها إلى الجحفة »(٦).

و روي «أنّ الصادق عليه السلام ذكر الدّجال فقال: لا يبقى منها منهل إلّا وطئه إلّا مكّة و المدينة، فإنّ على كلّ نقب من أنقابهما ملك يحفظهما من الطاعون و الدجال »(٧).

---

(١) رواه أحمد والبزاز كما في مجمع الزوائد ج ٤ ص ٤ وأيضاً ابويعلى والطبرانى فى الكبير كما فى المجمع أيضاً ج ٤ ص ٥.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات كما فى المجمع ج ٤ ص ٧.

(٣) المصدر ص ٦١ باب فضل المساجد وحرمتها من كتاب الصلاة رقم ١ وفى الكافى ج ٤ ص ٥٨٦ وفيه « والدرهم فيها بألف درهم ».

(٤) و(٥) الفقيه ص ٦١ تحت رقم ٥ و ٧.

(٦) و(٧) الفقيه ص ٢٩٣ تحت رقم ٧ و ٨، و روى نحوه البخارى ج ٣ ص ٢٧ عن النبى صلي الله عليه وآله

و سأل عبد الأعلى مولى آل سام أبا عبد الله عليه السلام « كم كان مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله ؟ قال : كان ثلاثة آلاف و ستمائة ذراع مكسّرة »(١) .

و قال الصادق : « حد مسجد الكوفة آخر السراجين ، خطّه آدم عليه السلام و أنا أكره أن أدخله راكباً ، قيل : فمن غيّره عن خطّته ؟ قال : أمّا أوّل ذلك فالطوفان في زمن نوح عليه السلام ، ثمّ غيّره كسرى و النعمان ، ثمّ غيّره زياد بن أبي سفيان ، و كأنّي أنظر إلى ديرانيّ في مسجد الكوفة في دير له فيما بين الزاوية و المنبر فيه سبع نخلات وهومشرف من ديره على نوح يكلّمه »(٢) .

وقال أبو بصير : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : « نعم المسجد مسجد الكوفة ، صلّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ و منه فار التنّور ، وفيه نجرت السفينة ، ميمنته رضوان الله ، و وسطه روضة من رياض الجنّة ، و ميسرته مكر - يعني منازل الشياطين - »(٣) .

و قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، و مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله ، و مسجد الكوفة »(٤) (*) .

و قال النبيّ صلى الله عليه و آله : « لمّا أسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة ، و أنا على البراق و معي جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد أنزل فصلّ في هذا المكان قال : فنزلت فصلّيت فقلت : ياجبرئيل أيّ شيء في هذا الموضع ؟ قال : يامحمّد هذه كوفان ، وهذا مسجدها أما إنّي فقد رأيتها عشرين مرّة خراباً ، و عشرين مرّة عمراناً بين كلّ مرّة خمسمائة سنة »(٥) .

و روي عن الأصبغ بن نباتة قال : بينما نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) الى (٥) الفقيه ص ٦١ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ٤ ورقم ١٤ الى ١٨ .

(*) هذا الحديث رواه أبوحامد عن النبى صلى الله عليه وآله و ذكر بدل مسجد الكوفة المسجد الاقصى ، قال : واستدل به بعض العلماء على عدم جواز السفر لزيارة المشاهد وأجاب بأن المراد من الحديث المساجد خاصة دون المشاهد وغيرها لان غير هذه المساجد سواء فى الفضيلة وليس بلد الاوفيه مسجد أو أكثر فلاوجه للسفر لها ، قال : ولو شمل الحديث المشاهد أيضاً لما جاز السفر لزيارة قبور الانبياء وهو باطل قطعاً بل لما جاز السفر لزيارة الاحياء من العلماء والصلحاء وليس كذلك - منه رحمه الله - .

في مسجد الكوفة إذ قال : يا أهل الكوفة لقد حبا كم الله عزّ وجلّ بما لم يحب به أحداً من فضل مصلاّكم ، فيه بيت آدم و بيت نوح وبيت إدريس ومصلّى إبراهيم الخليل ومصلّى أخي الخضر و مصلاّي ، و إنّ مسجد كم هذا لأحد الأربعة المساجد الّتي اختارها الله تعالى لأهلها و كأنّي به قد اُوتي به يوم القيامة في ثوبين ابيضين يتشبّه بالمحرم و يشفع لأهله و لمن يصلّي فيه فلا تردّ شفاعته ولا تذهب الأيّام و اللّيالي حتّى ينصب الحجر الأسود فيه و ليأتينّ عليه زمانٌ يكون مصلّى المهديّ من ولدي و مصلّى كلّ مؤمن ولا يبقى على الأرض مؤمن إلّا كان به أو حنّ قلبه إليه فلا تهجره ، و تقرّبوا إلى الله عزّ وجلّ بالصلاة فيه و ارغبوا إليه في قضاء حوائجكم فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج »(١) .

وأما مسجد السهلة فقد قال الصادق عليه السلام : « لو استجار عمّي زيد به لأجاره الله سنة ، ذاك موضع بيت إدريس الّذي كان يخيط فيه ، و هو الموضع الّذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة ، و هو الموضع الّذي خرج منه داود إلى جالوت ، و تحته صخرة خضراء فيها صورة وجه كلّ نبيّ ، خلقه الله عزّ وجلّ ، ومن تحتها اُخذت طينة كلّ نبيّ وهو موضع الراكب ، فقيل له : وما الراكب ؟ قال : الخضر عليه السلام »(٢) .

وأما مسجد براثا ببغداد فصلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام « لمّا رجع من قتال أهل النهروان »(٣) انتهى .

الفصل الثانى

في شروط وجوب الحجّ ، ـ وصحّته ، و واجباته و أركانه ، ومحظوراته ، وأنواعه .

أقول : و لنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام .

و أمّا الشروط فشرط صحّة الحجّ اثنان : الوقت و الاسلام ، فيصحّ حجّ الصبيّ

---

(١) الفقيه ص ٦٢ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ١٩ .

(٢) و(٣) المصدر ص ٦٣ تحت رقم ٢١ و٢٢ .

و يحرم بنفسه إن كان مميّزاً ، و يحرم عنه وليّه إن كان صغيراً و يفعل به المناسك من الطواف والسعي وغيره .

و أمّا الوقت فهو شوّال ،و ذو القعدة ، و تسع من ذي الحجّة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن أحرم في غير هذه المدّة فهي عمرة ، و جميع السنة وقت العمرة و أفضله رجب ، و لكن من كان معكوفاً على النسك أيّام مني ، فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لاشتغاله بأعمال منى ، و لا ينبغي أيضاً أن يجعل بين العمرتين أقلّ من شهر .

و أمّا شروط وقوعه عن حجّة الإسلام فخمسة : الإسلام ، و الحريّة ، والبلوغ ، و العقل ، و الوقت . فإن أحرم الصبيّ أو العبد ولكن اعتق العبد و بلغ الصبيّ بأحد الموقفين أجزأهما عن حجّة الاسلام ، و يشترط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلّا الوقت في غير التمتّع .

وأمّا شرط وقوع الحجّ نفلاً عن الحرّ البالغ فهو براءة ذمّته عن الواجب .

و أمّا شرط لزوم الحجّ فخمسة : الإسلام ، و البلوغ ، و الحرّيّة ، و العقل ، و الاستطاعة . و من لزمه فرض الحجّ لزمه فرض العمرة و من أراد دخول مكّة لزيارة أو تجارة و لم يكن ممّن يتكرّر دخوله كالحطّاب و الحشّاش لزمه الإحرام ثمّ يتحلّل بعمل عمرة أو حجّ .

وأمّا الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة وذلك له أسباب إمّا في نفسه فالصحّة ، وإمّا في الطريق فبأن يكون خصبة آمنة ، و إمّا في المال فبأن يجد نفقة ذهابه و إيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأنّ مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدّة ، وأن يملك ما يقضي به ديونه ، و أن يقدر على راحلة أو كراها ، ومحمل أو زاملة إن احتاج إلى ذلك .

و أمّا النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله[1] أن يستأجر من يحجّ عنه ويكفي نفقه الذّهاب في هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صاربه مستطيعاً ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعاً لأنّ الخدمة بالبدن فيه شرف للولد و بذل المال فيه

(١) المعضوب : الضعيف ، الزمن ، المخبول لاحراك له .

منّة على الوالد ، ومن استطاع لزمه الحجّ فوراً وتأخيره كبيرة موبقة .

واما واجباته فسبعة عشر : الإحرام ، و التلبية أو ما يقوم مقامها ، و لبس ثوبي الإحرام ، والوقوف بعرفة ، و المبيت بالمشعر الحرام ، والوقوف به ، ورمي جمرة القصوى ، وذبح الهدي إن كان ، والحلق أو التقصير ، وطواف الزيارة ، وركعتاه ، والسعي بين الصفا والمروة ، وطواف النساء ، وركعتاه ، والمبيت بمنى ليالي التشريق ، ورمي الجمرات الثلاث ، والترتيب بين الأفعال .

والركن منها سبعة : الإحرام ، و التلبية ، و الوقوفان ، و الطواف ، و السعي ، والترتيب ، فيبطل بترك شيء منها عمداً لا سهواً إلّا أن يكون الفائت الوقوفين معاً فيبطل و إن كان سهواً ، و يسقط في العمرة الوقوفان ، والمبيت بالمشعر ، ومناسك منى ، و طواف النساء ، فواجباتها ثمانية وأركانها خمسة .

واما محظوراته فسبعة : الأوّل لبس القميص ، والسراويل ، و الخفّ ، و العمامة ، والقباء ، والثوب المزرّر ، والمدرع بل ينبغي أن يلبس إزاراً و رداءً ونعلين فإن لم يجد نعلين فمكعّباً فإن لم يجد إزاراً فسراويل ويجوز المنطقة والهميان و كذا الخفّ والجورب مع الضرورة ، و كذا الطيلسان إذا لم يزره عليه ، ولا يلبس الخاتم للزّينة وجاز للسنّة والفارق القصد ، ولا يستظلّ بالمحمل راكباً ولا يغطّي رأسه فإنّ إحرام الرجل في رأسه . وللمرأة أن تلبس كلّ مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسّه فإنّ إحرامها في وجهها .

الثاني الطيب فليجتنب كلّ ما يعدّه العقلاء طيباً والأدهان المطيبة وان ادّهن بها قبل الإحرام إذا بقيت رائحته إليه وأمّا غير المطيبة من غير ضرورة ففيه قولان ، وليجتنب الإكتحال بما فيه طيب .

الثالث الزينة والتنظيف وما يتبع ذلك فليجتنب الاكتحال بالسواد و النظر في المرآة وإزالة الشعر وتقليم الأظفار ، وقتل هوامّ الجسد ، وإخراج الدّم ، ويكره الحنّاء للزّينة ، ودخول الحمّام وتدليك الجسد .

الرابع الجماع ومقدّماته من التقبيل ، واللّمس ، و النظر بشهوة ، و الاستمناء ، والنكاح ، والإنكاح ، والشهادة على العقد وإقامتها .

الخامس صيد البرّ أعني مايؤكل عندقوم ، ومطلق الممتنع بالأصالة عندآخرين إلّا الأفعي والعقرب والفارة ، وقيل : كلّ ماخيف منه ويحرم حيازته وذبحه وأكله والدّلالة عليه والإشارة إليه والتسبيب بإعارة سلاح ونحوه .

السادس ، و السابع : الفسوق ، والجدال ، وفسّر الأوّل بالكذب والسباب ، وفي الصحيح الكذب والمفاخرة ، والثاني بقول : « لا والله » ، « بلى والله » ، و قيل : بل كلّ ما يسمّى يميناً .

و كفّارة هذه المحظورات وسائرأحكامها مذكورة في الكتب الفقهيّة ، ولا فرق بين العمرة والحجّ في شيء من ذلك .

وأمّا أنواعه فثلاثة : التمتّع ، والقران ، والإفراد ، والتمتّع أفضلها ويتقدّم عمرته على حجّه ويرتبط به وتوقع في أشهر الحجّ وتسمّى العمرة المتمتّع بها إلى الحجّ ، وما سواها تسمّى بالعمرة المفردة ، والتمتّع فرض من نأى عن مكّة بثمانية وأربعين ميلاً ، وليس لهؤلاء غير التمتّع عند أصحابنا لنصّ القرآن والصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام إلّا مع الإضطرار كضيق الوقت أوطرء الحيض ونحو ذلك والآخران فرض أهل مكّة ومن بينه وبينها دون المسافة المذكورة على التخيير بينهما ولايجوزلهم العدول إلى التمتّع على الأصحّ إلّا مع الاضطرار فالمتطوّع يتخيّر بين الأنواع الثلاثة إلّاأنّ الأفضل له التمتّع وكذا الناذر إذا لم يعيّن أحدها ، و كذا من له منزلان بمكّة وغيرهايتساويان في إقامته فيهما ، فإن غلب أحدهماعليه لزمه فرضه ، ومن أقام بمكّةسنتين فهومن أهل مكّة لامتعةله .

والقران إنّما يتميّز عن الإفراد ويفضل عليه بسياق الهدي عند إحرامه فحسب عند الأكثر، وقيل به وبالجمع بين العبادتين فيه من غير تحلّل بينهماولهذاسمّي بالقران .

الباب الثاني

« في ترتيب الأعمال الظاهرة من أوّل السفر إلى الرجوع وهي عشرجمل » :

أقول : و أنا أتصرّف في تقرير الجمل كلّها وأذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام سوى الأولى فأتركها على حالها لعدم بعدها عنها و لأنّني سأورد ما فيها على طريقتهم

عليه السلام في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله .

«الجملة الاولى في السنن من أول الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية :

الأولى في المال فينبغي أن يبدء بالتوبة و ردّ المظالم و قضاء الديون و إعداد النفقه لكلّ من يلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، و يردّ ما عنده من الودايع و يستصحب المال من الطيّب الحلال ما يكفيه لذهابه و إيابه من غير تقتير ، بل على وجه يمكنه معه التوسيع في الزاد و الرفق بالضعفاء و الفقراء ، و يتصدّق بشيء قبل خروجه ، و يشتري لنفسه دابّة قويّة على الحمل لا يضعف أو يكتريها فإن اكترى فليظهر للمكاري كلّ ما يريد أن يحمله من قليل و كثير و يحصّل رضاه فيه .

الثانية في الرفق ينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً محبّاً للخير معيناً عليه ، إن نسي ذكّره ، و إن ذكر أعانه ، و إن جبن شجّعه ، وإن عجز قوّاه ، وإن ضاق صدره صبّره . و أمّا رفقاؤه المقيمون و إخوانه فيودّعهم و يلتمس أدعيتهم ، فإنّ الله تعالى جاعلٌ في دعائهم خيراً و السنّة في الوداع أن يقول : « أستودع الله دينك و أمانتك و خواتيم عملك» و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لمن أراد السفر : « في حفظ الله و كنفه ، زوّدك الله التقوى ، و غفر ذنبك ، و وجّهك للخير أينما توجّهت ».

الثالثة في الخروج من الدار ينبغي إذا همّ بالخروج أن يصلّي أوّلاً ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل : يا أيّها الكافرون ، و في الثانية الإخلاص فإذا فرغ يرفع يديه و دعا الله عن إخلاص صاف و نيّة صادقة ، و قال : « اللّهمّ أنت الصاحب في السفر و أنت الخليفة في المال و الأهل والولد والأصحاب ، احفظنا وإيّاهم من كلّ آفة وعاهة ، اللّهمّ إنّا نسألك في مسيرنا هذا البرّ و التوفيق و التقوى و من العمل ما ترضاه ، اللّهمّ إنّا نسألك أن تطوي لنا الأرض ، و تهوّن علينا السفر ، و أن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن و الدين و المال ، و تبلّغنا حجّ بيتك الحرام وزيارة قبر نبيّك عليه السلام ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من وعثاء السفر و كآبة المنقلب [1] و سوء المنظر في الأهل و المال و الولد و الأصحاب ، اللّهمّ اجعلنا و إيّاهم في جوارك ، و لا تسلبنا و إيّاهم نعمتك ، ولا تغيّر ما بنا و بهم

(١) الوعثاء : المشقة والتعب . والكآبة : الغم والحزن .

من عافيتك ».

الرابعة إذا حصل على باب الدار قال: « بسم الله توكّلت على الله ولا حول ولاقوّة إلّا بالله، ربّ أعوذ بك أن أضلّ أو اُضلّ، أوأظلم أو اُظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ، اللّهمَّ إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولاسُمعة بل خرجت اتّقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك و قضاء لفرضك واتّباع سنّة نبيّك صلى الله عليه وآله وشوقاً إلى لقائك »، فإذا مشى قال: «اللّهمّ بك انتشرت، وعليك توكّلت، وبك اعتصمت، و إليك توجّهت، اللّهمَّ أنت ثقتي و أنت رجائي فاكفني ما أهمّني، و ما لم أهتمّ به، و ما أنت أعلم به منّي، عزّ جارك، و جلّ ثناؤك، و لا إله غيرك، اللّهمّ زوّدني التقوى، و اغفرلي ذنبي و وجّهني للخير أينما توجّهت» - و يدعو بهذا الدعاء في كلّ منزل يرحل عنه.

الخامسة في الركوب فإذا ركب الراحلة يقول: « بسم الله وبالله والله أكبر توكّلت على الله و لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن، سبحان الّذي سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين [1]، و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون، اللّهمّ إنّي وجّهت وجهي إليك و فوّضت أمري إليك و توكّلت في جميع اُموري عليك، أنت حسبي ونعم الوكيل»، فإذا استوى على الراحلة و استوت تحته قال: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر - سبع مرّات - وقال: « الحمد لله الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللّهمَّ أنت الحامل على الظهر، وأنت المستعان على الاُمور».

السادسة في النزول والسنّة أن لا ينزل حتّى يحمي النهار و يكون أكثر سيره في اللّيل، قال صلى الله عليه وآله: «عليكم بالدلجة فإنّ الأرض تطوي باللّيل مالا تطوي بالنهار»[2] و ليقلّل نومه باللّيل حتّى يكون عوناً على السير، و مهما أشرف على المنزل فليقل:

---

(١) أقرن أي أطاق.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤٤٥. و رواه الصدوق في الفقيه ص٢٢٢ وفيه « عليكم بالسير بالليل » والدلجة بمعناه و أخرجه بلفظه أبويعلى والبزاز وابوداود كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢١٣.

« اللّهمّ ربّ السماوات السبع و ما أظللن ، و ربّ الأرضين السبع و ما أقللن ، و ربّ الشياطين و ما أضللن ، وربّ الرياح وما ذرين(١) ، و ربّ البحار وماجرين ، أسألك خير هذا المنزل و خير أهله و أعوذ بك من شرّ هذا المنزل و شرّ ما فيه . اصرف عني شرّ شرارهم » فإذا نزل المنزل صلّى فيه ركعتين ، ثمّ قال : « اللّهمّ إنّي أعوذ بكلماتك التامّات الّتي لا يجاوزهنّ برٌّ و لا فاجرٌ من شرّ ما خلقت » فإذا جنّ عليه اللّيل يقول : « يا أرض ربّي وربّك الله ، أعوذ بالله من شرّك وشرّ ما فيك و شرّ ما دبّ عليك ، أعوذ بالله من شرّ كلّ أسد و أسود وحيّة وعقرب و من شرّ ساكن البلد و والد و ما ولد ، وله ما سكن في اللّيل و النهار و هو السميع العليم » .

السابعة في الحراسة ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة لأنّه ربما يغتال أو ينقطع ، و يكون باللّيل متحفّظاً عند النوم ، و إن نام في ابتداء اللّيل افترش ذراعه و إن نام في آخر اللّيل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفّه ، هكذا كان ينام رسول الله صلّى الله عليه وآله في أسفاره ، فإنّه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس و هو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل ممّا في الحجّ . و الأحبّ باللّيل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهوالسنّة ، و إن قصده عدوٌّ أو سبع في ليل أو نهار فليقرء آية الكرسيّ ، و شهد الله ، و الإخلاص ، و المعوّذتين و ليقل : « بسم الله ما شاءالله ، لاقوّة إلّا بالله ، حسبي الله ، توكّلت على الله ، ماشاء الله ، لا يأتي بالخيرات إلّا الله ، لا يصرف السوء إلّا الله ، حسبي الله و كفى ، سمع الله لمن دعاء ، ليس وراء الله منتهى ، و لا دون الله ملجأ ، كتب الله لا غلبنّ أنا و رسلي إنّ الله قويٌّ عزيزٌ ، تحصّنت بالله العظيم ، و استعنت بالحيّ الّذي لا يموت ، اللّهمّ احرسنا بعينك الّتي لا تنام واكنفنا بركنك الّذي لايُرام ، اللّهمّ ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك و أنت ثقتنا و رجاؤنا ، اللّهمّ اعطف علينا قلوب عبادك و إمائك برأفة ورحمة إنّك أنت أرحم الراحمين» .

الثامنة مهما علا نشزاً(٢) من الأرض في الطريق فيستحبّ أن يكبّر ثلاثاً ثمّ يقول :

---

(١) ذرى الريح التراب : أطارته وفرقته .

(٢) النشز ـ محركة ـ : المكان المرتفع .

« اللّهمّ لك الشرف على كلّ شرف ولك الحمد على كلّ حال» و مهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة في سفره قال : « سبحان الله الملك القدّوس ربّ الملائكة و الروح جللت السماوات و الأرض بالعزّة و الجبروت »

الجملة الثانية في آداب الإحرام من الميقات وهي ستّة : الأوّل أن يغتسل و ينوي به غسل الإحرام أعني إذا انتهى إلى الميقات المشهور الّذي يحرم الناس منه و إن كان لحجّ التمتّع فيحرم من مكّة ولا يجزىء من غير ذلك إلّا مع الجهل أو النسيان و يتمّم غسله بالتنظيف أوّلاً والاطلاء سيّما للعانة و الإبطين ، و تقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والسواك وينبغي أن يوفّر شعر رأسه من أوّل ذي العقدة وهو من السنن المؤكّدة .

الثاني أن يفارق الثياب المخيطة و يلبس ثوب الاحرام فيتّزر و يرتدي بثوبين طاهرين نظيفين أبيضين ممّا يجوز فيه الصلاة .

الثالث أن يحرم عقيب فريضة فإن لم يتّفق صلّى ركعتين ، و في بعض الأخبار ستّ ركعات و أفضل الساعات للإحرام عند زوال الشمس .

الرابع أن يدعو عقيب الصلاة و يتلفّظ بما يعزم عليه و يشترط أن يحلّه الله حيث حبسه و إن لم تكن حجّة فعمرة ، و في صحيحة معاوية بن عمّار (١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « فإذا انفتلت من الصلاة فاحمد الله عزّ و جلّ وأثن عليه و صلّ على النبيّ صلّى الله عليه وآله و تقول : « اللّهمّ إنّي أسألك أن تجعلني ممّن استجاب لك و آمن بوعدك واتّبع أمرك فإنّي عبدك و في قبضتك لا اوقي إلّا ما وقيت ولا آخذ إلّا ما أعطيت و قد ذكرت بالحجّ فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك و سنّة نبيّك و تقوّيني على ما ضعفت عنه و تسلّم منّي (٢) مناسكي في يسر منك و عافية و اجعلني من وفدك الّذي رضيت و ارتضيت وسمّيت و كتبت ، اللّهمّ إنّي خرجت من شقّة بعيدة ، وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك ، اللّهمّ فتمّم لي حجّي ، اللّهمّ إنّي أريد التمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك و سنّة

(١) التهذيب ج ١ ص ٤٦٨ . و الكافي ج ٤ ص ٣٣١ . والفقيه ص ٢٣٦ ، و قوله «انفتلت» أى انصرفت .

(٢) أى تقبل مني ، وفي الكافي بحذف احدى التائين .

نبيّك صلواتك عليه وآله ، فإن عرض لي عارضٌ يحبسني فحلّني حيث حبسني لقدرك الّذي قدّرت عليّ ، اللّهمّ إن لم تكن حجّة فعمرة[١] أحرم لك شعري و بشري ولحمي ودمي و عظامي و مخّي و عصبي من النساء والثياب و الطيب أبتغي بذلك وجهك و الدار الآخرة» يجزئك أن تقول : « هذا مرّة واحدة حين تحرم ثمّ قم فامش هنيئة فإذا استوت بك الأرض[٢] ما شيا كنت أو راكباً فلبّ » .

و في صحيحة حمّاد بن عثمان عنه عليه السلام قال : « قلت : إنّي اُريد أن أتمتّع بالعمرة إلى الحجّ فكيف أقول ؟ قال : تقول : « اللّهمّ إنّي اُريد أن أتمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك و سنّة نبيّك » و إن شئت أضمرت الّذي تريده »[٣] .

الخامس أن يصبر بعد التهيّؤ و العزم حتّى ينبعث به راحلته إن كان راكباً أو يبتدىء السير إن كان راجلاً ، ثمّ يأتي بالتلبية كما مرّ في الرواية المتقدّمة .

و في صحيح آخر « و الأفضل أن تمضي قليلاً ثمّ تلبّي»[٤].

و **صورة** التلبية « لبّيك اللّهمّ لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنعمة لك ، و الملك لاشريك لك » - و إن زاد قال : - « لبّيك ذا المعارج لبّيك » و إن شاء زاد عليه بما ورد في الأخبار من التلبيات ، و ينبغي أن يذكر في تلبية عمرة التمتّع الحجّ والعمرة معاً فينوي فعل العمرة أوّلاً ثمّ الحجّ بعدها باعتبار دخولها في حجّ التمتّع .

و في الصحيح « أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول فيها : « لبّيك بحجّة و عمرة معاً لبّيك »[٥] و لو أهلّ المتمتّع بالحجّ جاز لدخول عمرة التمتّع فيه .

و من وقت الإحرام حرّم عليه المحظورات الّتي ذكرناها من قبل .

و القارن بالخيار بين أن يعقد إحرامه بالتلبية أو الإشعار أو التقليد و بأيّها بدأ كان الآخر مستحبّاً ، و لا يلزم الإحرام إلّا بأحدها .

---

(١) اى ان لم يتيسر لى اتمام الحج فيكون هذا الاحرام للعمرة فأتمها عمرة .
(٢) اى سلكت فيها .
(٣) الكافى ج ٤ ص ٢٣٢ .
(٤) الفقيه ص ٢٣٧ من رواية هشام بن الحكم . تحت رقم ٦ .
(٥) التهذيب ج ١ ص ٤٧٠ في حديث .

و الإشعار أن يطعن في سنامها من الجانب الأيمن، قيل: و يلطخ صفحته بدمه، و التقليد أن يقلّد في رقبته نعلاً خلقاً و يختصّ به البقر والغنم لضعفهما.

السادس أن يكثر من التلبية و يكرّرها في دوام الإحرام و خصوصاً قوله: «لبّيك ذا المعارج لبّيك» و يجدّدها، كلّما لقي راكباً أو علا أكمة [١]، أو هبط وادياً، ومن آخر اللّيل، و عند الاستيقاظ، و في أدبار الصلوات، و عند كلّ ركوب و نزول رافعاً بها صوته؛ و في رواية حريز [٢] «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا أحرم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: مر أصحابك بالعجّ و الثجّ، فالعجّ رفع الصوت بالتلبية، و الثجّ نحر البدن».

ومن أحرم من مسجد الشجرة و كان راكباً فالأفضل أن لايجهر بالتلبية حتّى علت راحلته البيداء، و من أحرم من مكّة فلا يلبّي حتّى ينتهي إلى الرقطاء [٣] ولا يجهر بها حتّى يشرف على الأبطح [٤]، ويجب قطعها عند زوال الشمس من يوم عرفة إن كان حاجّاً، و إذا شاهد بيوت مكّة إن كان معتمراً بمتعة، وعند مشاهدة الكعبة إن كان معتمراً بمفردة وقد خرج من مكّة للإحرام، وإن أحرم من خارج فعند دخول الحرم.

الجملة الثالثة في آداب دخول الحرم إلى الطواف وهي ستّة: الأوّل أن يغتسل لدخول الحرم من بئر ميمون أو من فخّ [٥] ويقول عند دخوله: «اللّهمّ إنّك قلت في كتابك المنزل - وقولك الحقّ - «و أذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق»؛ اللّهمّ و إنّي أرجو أن أكون ممّن أجاب دعوتك وقد جئت من

(١) الاكمة - محركة -: التل من القف من حجارة واحدة أوهى دون الجبال أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهوغليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. (القاموس)

(٢) الكافي ج ٤ ص ٣٣٦ تحت رقم ٥.

(٣) الرقطاء: موضع دون الردم والردم هو الحاجز الذى يمنع السيل عن البيت المحرم وسمى المدعى.

(٤) الابطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى أوله عند منقطع الشعب بين وادى منى وآخره متصل بالمقبرة التى تسمى المعلى عند أهل مكة.

(٥) بئر ميمون بمكة باعلاها دفن عندها المنصور. وفخ - بفتح أوله و تشديد ثانيه واد بمكة قتل به الحسين بن على بن الحسن العلوى يوم التروية سنة تسع وستين ومائة وقتل جماعة من أهل بيته. (المراصد).

شُقّة بعيدة ومن فجّ عميق، سامعاً لندائك ومستجيباً لك، مطيعاً لأمرك وكلّ ذلك بفضلك عليّ وإحسانك إليّ فلك الحمد على ما وفّقتني له، أبتغي بذلك الزُّلفة عندك والقربة إليك، والمنزلة لديك والمغفرة لذنوبي والتوبة عليّ منها بمنّك، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وحرّم بدني على النّار وآمنّي من عذابك وعقابك برحمتك يا كريم».

الثاني أن يدخل مكّة على غسل بسكينة ووقار من جانب الأبطح من ثنيّة كدا - بفتح الكاف - قيل: عدل رسول الله صلى الله عليه وآله من جادّة الطريق إليها وإذا خرج خرج من ثنيّة كدا - بضم الكاف - وهي الثنيّة السفلى، والأولى هي العليا.

الثالث أن يدخل المسجد الحرام على غسل بسكينة ووقار من باب بني شيبة حافياً مقدّماً للرّجل اليمنى بخشوع فإنّه من دخله بخشوع غفر له، ويقول وهو على باب المسجد: «السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، والسلام على رسول الله وآله، والسلام على إبراهيم وآله، والسلام على أنبياء الله ورسله، والحمد لله ربّ العالمين».

الرابع أن يقول عند النظر إلى الكعبة «الحمد لله الّذي عظّمك وشرّفك وكرّمك، وجعلك مثابة للناس وأمناً، مباركاً وهدى للعالمين».

الخامس أن يقول عند النظر إلى الحجر الأسود وهو مستقبل إليه: «الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حيّ لايموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كأفضل ماصلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وسلامٌ على جميع النبيّين والمرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إنّي أُومن بوعدك وأُصدّق رسلك وأتّبع كتابك».

السادس أن يستلم الحجر ويقبّله، فإن لم يقدر فيمسّه بيده ويقبّلها، فإن لم يقدر فيشير إليه بيده ويقبّلها ويقول: «أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت واللّات والعزّى وعبادة الشيطان وعبادة

الأوثان وعبادة كلّ ندّ يدعى من دون الله.

الجملة الرابعة في الطواف، ويجب أن يراعي فيه شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة، وأن يكون مختوناً، والطهارة إنّما يشترط في الطواف الواجب دون المندوب، ويجب فيه النيّة والبداءة بالحجر والختم به وتكفي البداءة العرفيّة، والمتأخّرون أوجبوا جعل أوّل جزء من الحجر محاذياً لأوّل جزء من مقاديم بدنه بحيث يمرّ عليه بعد النيّة بجميع بدنه علماً أو ظنّاً، ويجب جعل البيت على يساره وأن يدخل الحجر[1] في الطواف، وأن يطوف بين البيت والمقام مراعياً قدر ما بينهما من جميع الجهات إلّا مع الضرورة وأن يكمله سبعاً.

ويستحبّ أن يكون على سكينة ووقار، وأن يقارب بين خطاه، وأن يدنو من البيت ولكن لا يطوف على الشادروان فإنّه من البيت، وأن يقبّل الحجر في كلّ شوط كما وصفناه، ويلتزم الأركان كلّها سيّما اليماني فإذا بلغ باب البيت قال: «سائلك فقيرك مسكينك ببابك فتصدّق عليه بالجنّة، اللّهمّ البيت بيتك، والحرم حرمك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ المستجير بك من النار، فأعتقني ووالديّ وأهلي وولدي وإخواني المؤمنين من النّار يا جواد يا كريم».

فاذا بلغ مقابل الميزاب قال: «اللّهمّ أعتق رقبتي من النّار ووسّع عليّ من الرزق الحلال وادرء عنّي شرّ فسقة العرب والعجم، وشرّ فسقة الجنّ والإنس»؛ ويقول وهو جائز: «اللّهمّ إنّي إليك فقير وإنّي منك خائف مستجير فلا تبدّل اسمي ولا تغيّر جسمي».

ويقول في الطواف: «اللّهمّ إنّي أسألك باسمك الّذي يمشى به على طلل الماء[2] كما يمشى به على جدد الأرض، وأسألك باسمك المخزون المكنون عندك، وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الّذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا».

فإذا بلغ الركن اليماني التزمه وقبّله وصلّى على النبيّ وآله في كلّ شوط ويقول بين هذا الركن والركن الّذي فيه الحجر: «ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي

(١) بكسر المهملة وسكون المعجمة. (٢) الطلل: الموضع المرتفع.

الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار» فإذا كان في الشوط السابع وقف بالمستجار وهو مؤخّر الكعبة ممّا يلي الركن اليماني بحذاء باب الكعبة، فبسط يديه على البيت وألزق خدّه وبطنه بالبيت ويقول: «اللّهمّ البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النّار، اللّهمّ إنّي حللت بفنائك فاجعل قراي مغفرتك، وهب لي ما بيني و بينك، واستوهبني من خلقك» ويدعو بماشاء ثمّ يقرّ لربّه بذنوبه و يقول: «اللّهمّ من قبلك الرّوح و الرّاحة والفرج والعافية، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي و اغفرلي مااطّلعت عليه منّي وخفي على خلقك، أستجير بالله من النار» ويكثر لنفسه من الدّعاء ثمّ يستلم الركن اليماني والّذي فيه الحجر الأسود ويقبّله ويختم به ويقول: «اللّهمّ قنّعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني».

فإذا فرغ من الطواف أتى مقام إبراهيم ويصلّي ركعتين ويجعل المقام أمامه ويقرأ في الأولى بعد الحمد التوحيد، وفي الثانية الجحد، ثمّ يتشهّد ويسلّم ويحمد الله ويثني عليه ويصلّي على النبيّ وآله ويسأل الله أن يتقبّله منه وأن لايجعله آخر العهد منه فيقول: «الحمد لله بمحامده كلّها على نعمائه كلّها حتّى ينتهي الحمد إلى مايحبّ ربّي ويرضى، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، و تقبّل منّي، وطهّر قلبي، و زكّ عملي» وليجتهد في الدعاء ثمّ يأتي الحجر الأسود فيستلمه ويقبّله أويمسحه بيده أو يشير إليه ويقول ماقاله أوّلاً فإنّه لابدّ من ذلك، وقد عرفت أنّ الطواف ركن في كلّ من الحجّ والعمرة، من تركه عامداً بطل حجّه أو عمرته، فلو كان ناسياً قضاه ولو بعد المناسك، ولو شقّ العود استناب فيه.

الجملة الخامسة في السعي فإذا فرغ من الطواف وتوابعه أتى زمزم فإن قدر أن يشرب من مائه قبل أن يخرج إلى الصفا فليفعل ويقول حين يشرب: «اللّهمّ اجعله علماً نافعاً، و رزقاً واسعاً، وشفاء من كلّ داء وسقم، إنّك قادر يا ربّ العالمين».

ثمّ يخرج إلى الصفا من بابه ويقوم عليه حتّى ينظر إلى البيت و يستقبل الركن الّذي فيه الحجر ويحمد الله و يثني عليه ويذكر من آلائه وحسن ما صنع إليه ما قدر عليه، ثمّ يقول: «لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيي و يميت

وهو على كلّ شيء قدير » ـ ثلاث مرّات ـ ويقول : « اللّهمّ إنّي أسألك العفو و العافية واليقين في الدّنيا والآخرة » ـ ثلاث مرّات ـ ويقول : « ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ـ ثلاث مرّات ـ ويقول : «الحمدلله» مائة مرّة و «الله أكبر» مائة مرّة و « سبحان الله » مائة مرّة و « لا إله إلّا الله » مائة مرّة و « أستغفر الله و أتوب إليه » مائة مرّة و « صلّ على محمّد و آل محمّد » مائة مرّة ، ويقول : « يامن لا يخيب سائله ، ولاينفد نائله ، صلّ على محمّد وآل محمّد ، وأعذني من النار برحمتك » ويدعو لنفسه بما أحبّ ، وليكن وقوفه على الصفا أوّل مرّة أطول من غيرها ، ثمّ ينحدر ويقف على المرقاة الرابعة حيال الكعبة ويقول : « اللّهمّ إنّي أعوذبك من عذاب القبر وفتنته وغربته و وحشته وظلمته وضيقه وضنكه ، اللّهمّ أظلّني في ظلّ عرشك يوم لاظلّ إلّا ظلّك » ، ثمّ ينحدر عن المرقاة وهو كاشف عن ظهره ويقول : « ياربّ العفو ، يا من أمر بالعفو ، يا من هو أولى بالعفو ، يا من يثيب على العفو ، العفو العفو العفو ، ياجواد يا كريم ، يا قريب يابعيد اردد عليّ نعمتك ، واستعملني بطاعتك ومرضاتك » ثمّ يمشي وعليه السكينة والوقار حتّى يصير إلى المنارة وهي طرف المسعى فيسعى ملء فروجه ويقول : « بسم الله و الله أكبر ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، اللّهمّ اغفروارحم وتجاوزعمّا تعلم إنك أنت الأعزّ الأكرم ، و اهدني للّتي هي أقوم ، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي وتقبّل منّي ، اللّهمّ لك سعيي ، وبك حولي و قوّتي ، تقبل عملي يا من يقبل عمل المتّقين» فإذا جاز زقاق العطّارين يقطع الهرولة ويمشي على سكون و وقار و يقول : « ياذا المنّ والطول والكرم والنعماء والجود ، صلّ على محمّد و آل محمّد و اغفر لي ذنوبي إنّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت يا كريم » فإذا أتى المروة يصعد عليها ويقوم حتّى يبدوله البيت ويدعو كما دعا على الصفا ويسأل الله حوائجه ويقول في دعائه : « يا من أمر بالعفو ، يا من يجزيء على العفو ، يا من دلّ على العفو ، يا من زيّن العفو ، يا من يثيب على العفو ، يا من يحبّ العفو ، يا من يعطي على العفو ، يامن يعفوعلى العفو ، ياربّ العفو ، العفوالعفو » ويتضرّع إلى الله ويبكي فإن لم يقدر على البكاء فيتباكي ويجهد أن يخرج من عينه الدّموع ولو مثل رأس الذّباب ويجهد في الدّعاء ، ثمّ ينحدر عن المروة إلى الصفا وهو

يمشي ، فإذا بلغ زقاق العطّارين يسعى ملء فروجه إلى المنارة الّتي تلي الصفا ، فإذا بلغها يقطع الهرولة ويمشي حتّى يأتي الصفا ويقوم عليه ويستقبل البيت بوجهه و يقول مثل ماقاله في الدّفعة الأُولى حتّى يأتي المروة فيطوف بين الصفا والمروة سبعة أشواط يكون وقوفه على الصفا أربعاً وعلى المروة أربعاً والسعي بينهما سبعاً يبدء بالصفا و يختم بالمروة ، ومن ترك الهرولة في السعي في بعض المكان لم يحوّل وجهه ورجع القهقرى حتّى يبلغ الموضع الّذي ترك فيه الهرولة ثمّ يهرول منه إلى الموضع الّذي ينبغي له أن يقطعها فيه .

ويستحبّ في السعي الطهارة من الحدث والخبث و قد عرفت أنّ السعي ركن في الحجّ والعمرة ، من تركه عامداً بطل حجّته أوعمرته فلوكان ناسياً أتى به فإن شقّ عليه استناب فيه .

فإذا فرغ من السعي نزل من المروة و قصّر من شعر رأسه من جوانبه و من حاجبه و من لحيته و يأخذ شاربه ويقلّم أظفاره ويكفي مسمّى الأخذ من الشعر أوالظفر ، فإذا فعل ذلك فقد أحلّ من كلّ شيء أحرم منه .

الجملة السادسة في الوقوف بعرفات وما قبله ، الحاجّ إذا أحرم بالحجّ توجّه إلى منى ملبّياً كمامرّ ، وينبغي أن يكون ذلك يوم التروية إمّا قبل أن يصلّي الظهرين أوبعد على التخيير إلّا الإمام فقبل لأنّ عليه أن يوقعهما بمنى مؤكّداً ، ويقول وهومتوجّه إلى منى : « اللّهمّ إيّاك أرجو ، و إيّاك أدعو ، فبلّغني أملي ، و أصلح لي عملي » فإذا أتى منى يقول : « الحمد لله الّذي أقد منيها صالحاً في عافية وبلّغني هذا المكان ، اللّهمّ وهذه منى و هي ممّا مننت به على أوليائك من المناسك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تمنّ عليّ فيها بما مننت على أوليائك وأهل طاعتك ، فإنّما أنا عبدك و في قبضتك » ، ثم يصلّي بها المغرب والعشاء الآخرة والفجر في مسجد الخيف ، ولتكن صلاته فيه عند المنارة الّتي في وسط المسجد وعلى ثلاثين ذراعاً من جميع جوانبها فذاك مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله ومصلّى الأنبياء الّذين صلّوا فيه قبله عليه السلام و ما كان خارجاً من ثلاثين ذراعاً حولها من كلّ جانب البيت فليس من المسجد ، و ينبغي أن يبيت بمنى إلى طلوع الفجر من يوم

عرفة لكن لايجوز وادي محسّر [١] إلّا بعد طلوع الشمس ويكره الخروج منها قبل الفجر إلّا لضرورة وعلى الإمام أن يقيم بها إلى طلوع الشمس . ثمّ يمضي إلى عرفات ويقول وهو متوجّه إليها : « اللّهمّ إليك صمدت ، و إيّاك اعتمدت ، ووجهك أردت ، وقولك صدّقت ، و أمرك اتّبعت ، أسألك أن تبارك لي في أجلي ، وأن تقضي لي حاجتي ، و أن تجعلني ممّن تباهي به اليوم من هو أفضل منّي » ثمّ يلبّي و هومارّ إلى عرفات فإذا أتى عرفات يضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد ، فإنّ ثمّة ضرب رسول الله صلّى الله عليه وآله خباءه وقبّته ، فإذا زالت الشمس يوم عرفة يقطع التلبية ، ويغتسل ويصلّي بها الظهر والعصر بأذان واحد و إقامتين ، و إنّما يتعجل في الصلاة و يجمع بينهما ليفرغ للدّعاء فإنّه يوم الدّعاء والمسألة .

ثمّ يأتي الموقف و عليه السكينة والوقار و يقف بسفح الجبل في ميسرته و يدعو بدعاء الموقف و يدعو لأبويه كثيراً ويستوهبهما من ربّه عزّ وجلّ ، ولايقف إلّا وهو على طهر و قد اغتسل ، و جمع رحله وتوجّه بقلبه إلى الدعاء ويجب الوقوف بها إلى الغروب فإن أفاض قبله عامداً جبره ببدنة ، و لو كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه .

قال في الفقيه [٢] روى زرعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا أتيت الموقف فاستقبل البيت وسبّح الله مائة مرّة و كبّر الله مائة مرّة وتقول : « ماشاءالله لاقوّة إلّا بالله» مائة مرّة ، وتقول : «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي ، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير » مائة مرّة ، ثمّ تقرء عشر آيات من أوّل سورة البقرة ، ثمّ تقرء قل هو الله أحد ثلاث مرّات و تقرء آية الكرسيّ حتّى تفرغ منها ، ثمّ تقرء آية السخرة « إنّ ربّكم الله الّذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش » إلى آخرها ، ثمّ تقرء قل أعوذ بربّ الفلق ، و قل أعوذ بربّ الناس حتّى تفرغ منهما ، ثمّ تحمد الله عزّ و جلّ على كلّ نعمة أنعم

(١) قال عبدالمؤمن البغدادى فى المراصد : «محسر» - بالضم ثم الفتح ثم كسر السين المشددة وراء - واد بين منى و مزدلفة ، ليس من منى ولا من مزدلفة . هذا هو المشهور . وقيل : موضع بين مكة وعرفة . وقيل : بين منى وعرفة .

(٢) المصدر ص ٢٨٦ تحت رقم ٣٠ .

عليك و تذكر أنعمه واحدة واحدة ما أحصيت منها و تحمده على ما أنعم عليك من أهل أو مال و تحمد الله على ما أبلاك وتقول : « اللّهمّ لك الحمد على نعمائك الّتي لا تحصى بعدد ولا تكافي بعمل ، وتحمده بكلّ آية ذكر فيها الحمد لنفسه في القرآن ، و تسبّحه بكلّ تسبيح ذكر به نفسه في القرآن ، و تهلّله بكلّ تهليل هلّل به نفسه في القرآن ، و تصلّي على محمّد و آل محمّد وتكثر منه ، و تجتهد فيه ، و تدعو الله تعالى بكلّ اسم سمّى به نفسه في القرآن ، و بكلّ اسم تحسنه وتدعوه بأسمائه الّتي في آخر الحشر وتقول : « أسألك يا الله يا رحمن بكلّ اسم هو لك و أسألك بقوّتك و قدرتك و عزّتك و بجميع ما أحاط به علمك و بجمعك و بأركانك كلّها و بحقّ رسولك صلّى الله عليه وآله ، و باسمك الأكبر الأكبر ، وباسمك العظيم الّذي من دعاك به كان حقّاً عليك أن تجيبه ، وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الّذي من دعاك به كان حقّاً عليك أن لا تردّه و أن تعطيه ما سأل أن تغفر لي جميع ذنوبي في جميع علمك فيّ » وتسأل الله حاجتك كلّها من أمر الآخرة والدنيا وترغب إليه في الوفادة في المستقبل و في كلّ عام ، و تسأل الله الجنّة ـ سبعين مرّة ـ و تتوب إليه ـ سبعين مرّة ـ و ليكن من دعائك « اللّهمّ فكّني من النار ، و أوسع عليّ من رزقك الحلال الطيّب ، و ادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس وشرّ فسقة العرب والعجم » فإن تقدّم هذا الدعاء ولم تغرب الشمس فأعده من أوّله إلى آخره ، و لا تملّ من الدعاء و التضرّع والمسألة .

و روى معاوية بن عمّار (١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : ألا اُعلّمك دعاء يوم عرفة و هو دعاء من كان قبلي من الأنبياء ؟ فقال عليّ عليه السلام : بلى يا رسول الله ، قال : فتقول : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت ، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير ، اللّهمّ لك الحمد أنت كما تقول و خير ما يقول القائلون ، اللّهمّ لك صلاتي و ديني و محياي و مماتي و لك تراثي وبك حولي ومنك قوّتي ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفقر و من وسواس الصدر و من شتات الأمر و من عذاب النار ومن عذاب القبر ، اللّهمّ

---

(١) الفقيه ص٢٨٧ رقم٣١ ، وفي التهذيب ج١ ص٤٩٨ بسند آخر مع زيادة في آخره.

إنّي أسألك من خير ما تأتي به الرياح، و أعوذبك من شرّ ما تأتي به الرياح، وأسألك خير اللّيل والنهار».

و رواية عبد الله بن سنان [١] «اللّهمّ اجعل في قلبي نوراً و في سمعي و بصري و لحمي ودمي وعظامي وعروقي ومفاصلي ومقعدي ومقامي ومدخلي ومخرجي نوراً و أعظم لي نوراً يا ربّ يا ربّ يوم ألقاك إنّك على كلّ شيء قدير».

قال مصنّف هذا الكتاب [٢]: هذا الدعاء تامّ كاف لموقف عرفة و قدأخرجت دعاء جامعاً لموقف عرفة في كتاب دعاء الموقف فمن أحبّ أن يدعو به دعا بهإن شاء الله. انتهى كلام الفقيه.

وأقول: دعاء الموقف لحسين بن عليّ [٣] مشهور و كذا لعليّ بن الحسين عليهما السلام في الصحيفة المباركة [٤] و مسمّى الكون بعرفة ركن من تركه عامداً فلا حجّ له وإن كان لعذر تداركه ولوقبل الفجر من يوم النحر إن أمكنه و إلّا اجتزأ بالوقوف بالمشعر و لو تردّد في إمكان إدراكه قبل الفجر لم يجب عليه إتيانه ويكتفي بالمشعر و قد تمّ حجّه.

الجملة السابعة في الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام والوقوف به قال في الفقيه [٥] فإذا غربت الشمس يوم عرفة فامش وعليك السكينة والوقار وافض بالاستغفار فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: «ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس» [٦] واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم».

و روي زرعة عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا غربت الشمس يوم عرفة فقل: «اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من هذا الموقف، و ارزقنيه أبداً ما أبقيتني

(١) الفقيه ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٢. وفى التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ ذيل حديث.

(٢) من كلام الصدوق - رحمه الله - فى ذيل الخبر.

(٣) راجع اقبال الاعمال للسيد ابن طاؤوس ص ٣٠٩.

(٤) راجع الصحيفة السجادية الدعاء السابع والاربعين.

(٥) المصدر ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٣.

(٦) البقرة: ١٩٩.

و اقلبني اليوم مفلحاً منجحاً ، مستجاباً لي مرحوماً مغفوراً لي بأفضل ما ينقلب به اليوم أحدٌ من وفدك و حجّاج بيتك الحرام ، و اجعلني اليوم من أكرم وفدك عليك و أعطني أفضل ما أعطيت أحداً منهم من الخير و البركة و الرحمة و الرضوان و المغفرة ، وبارك لي فيما أرجع إليه من أهل و مال أو قليل أو كثير و بارك لهم فيّ » فإذا أفضت فاقتصد في السير و عليك بالدعة و اترك الوجيف[1] الّذي يصنعه كثيرٌ من الناس في الجبال والأودية فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يكفُّ ناقته حتّى تبلغ رأسها الورك ويأمر بالدعة ، و سنّته السنّة الّتي تتّبع فإذا انتهيت إلى الكثيب الأحمر وهو على يمين الطريق فقل : «اللّهمّ ارحم موقفي وبارك لي في عملي و سلّم لي ديني و تقبّل مناسكي » فإذا أتيت مزدلفة و هي جمع[2] فأنزل في بطن الوادي عن يمين الطريق قريباً من المشعر الحرام ، فإن لم تجد فيه موضعاً فلاتجاوز الحياض الّتي عند وادي محسّر، فإنّها فصل ما بين جمع ومنى وصلّ المغرب و العشاء بأذان واحد و إقامتين ، ثمّ صلّ نوافل المغرب بعد العشاء ولا تصلّ المغرب ليلة النحر إلّا بالمزدلفة ، وإن ذهب ربع اللّيل إلى ثلثه فبت بمزدلفة ، و ليكن من دعائك فيها « اللّهمّ هذه جمع فاجمع لي فيها جوامع الخير كلّه ، اللّهمّ لا تؤيسني من الخير الّذي سألتك أن تجمعه لي في قلبي ، و عرّفني ما عرّفت أولياءك في منزلي هذا ، و هب لي جوامع الخير و اليسر كلّه » و إن استطعت أن لا تنام تلك اللّيلة فافعل فإنّ أبواب السماء لا تغلق لأصوات المؤمنين ، لها دويٌّ كدويّ النحل ، يقول الله تعالى : «أنا ربّكم وأنتم عبادي ، يا عبادي أدّيتم حقّي و حقٌّ عليّ أن أستجيب لكم » فيحط تلك اللّيلة عمّن أراد أن يحطّ عنه ، و يغفر ذنوبه لمن أراد .

قال : و خذ حصى الجمار من جمع و إن شئت أخذتها من رحلك بمنى ، ولا تأخذ من حصى الجمار الّذي قد رمي ، ولا تكسر الأحجار كما يفعل عوام الناس ، ولا بأس أن تأخذ حصى الجمار من حيث شئت من الحرم إلّا من المسجد الحرام و مسجد الخيف

---

(١) الوجيف : ضرب من سير الابل .

(٢) انما سمى المزدلفة جمعاً لاجتماع الناس فيه أو لانه يجمع فيه بين المغرب والعشاء بأذان واقامتين .

و تكون منقطة كحلية مثل الأنملة أو مثل حصى الخذف، و اغسلها و هي سبعون حصاة و شدّها في طرف ثوبك و احفظ بها.

فإذا طلع الفجر فصلّ الغداة، وقف بالمشعر الحرام بسفح الجبل، و يستحبّ للصرورة أن يطأ المشعر برجله أو براحلته إن كان راكباً قال الله تعالى: «فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و اذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالّين»[1] وليكن وقوفك و أنت على غسل و قل: «اللّهمّ ربّ المشعر الحرام، و ربّ الركن و المقام، و ربّ الحجر الأسود و زمزم، و ربّ الأيّام المعلومات فكّ رقبتي من النار وأوسع عليّ من رزقك الحلال، وادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس، وشرّ فسقة العرب و العجم، اللّهمّ أنت خير مطلوب إليه و خير مدعوّ و خير مسئول، ولكلّ وافد جائزة فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقيلني عثرتي، و تقبل معذرتي، و تتجاوز عن خطيئتي و تجعل التقوى من الدنيا زادي، و تقلبني مفلحاً، منجحاً، مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحدٌ من وفدك، و حجّاج بيتك الحرام».

و ادع الله تعالى كثيراً لنفسك و لوالديك و ولدك وأهلك ومالك وإخوانك المؤمنين و المؤمنات، فإنّه موطن شريف عظيم والوقوف فيه فريضة.

فإذا طلعت الشمس فاعترف لله تعالى بذنوبك - سبع مرّات - واسأله التوبة - سبع مرّات - و إذا كثر الناس بجمع و ضاقت عليهم ارتفعوا إلى المأزمين. انتهى كلامه[2].

و اقول: مسمّى الكون بالمشعر ركن من تركه عامداً فلا حجّ له وإن كان لعذر تداركه و لو قبل الزوال و إلّا بطل حجّه و إن أدرك اختياري عرفة على الأصحّ.

الجملة الثامنة في الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى وقضاء مناسكها قال في الفقيه: فإذا طلعت الشمس على جبل ثبير[3] و رأت الإبل مواضع أخفافها فأفض وإيّاك

(١) البقرة: ١٩٨.

(٢) يعني الصدوق - رحمه الله - وفي القاموس المأزم ويقال له: المأزمان مضيق بين جمع و عرفة و آخر بين مكة و منى.

(٣) ثبير - بتقديم المثلثة على الموحدة -: جبل بين مكة ومنى، ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها الى مكة. (المصباح)

أن تفيض منها قبل طلوع الشمس فيلزمك دم شاة ، وأفض و عليك السكينة والوقار واقصد في مشيك إن كنت راجلاً ، وفي مسيرك إن كنت راكباً ، وعليك بالاستغفار فإنّ الله تعالى يقول : «ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم (١) » و يكره المقام عند المشعر الحرام بعد الإفاضة ، فإذا انتهيت إلى وادي محسّر و هو وادي عظيم بين جمع و منى و هو إلى منى أقرب فاسع فيه مقدار مائة خطوة ، و إن كنت راكباً فحرّك راحلتك قليلاً ، و قل : « ربّ اغفر و ارحم و تجاوز عمّا تعلم إنّك أنت الأعزّ الأكرم » كما قلت في السعي بمكّة ، و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يحرّك ناقته فيه و يقول : « اللّهمّ سلّم عهدي (٢) و اقبل توبتي ، و أجب دعوتي ، و اخلفني فيما تركت بعدي » .

و من ترك السعي في وادي محسّر فعليه أن يرجع حتّى يسعى فيه و من لم يعرف موضعه سأل الناس عنه .

ثمّ امض إلى منى فإذا أتيت رحلك بمنى فاقصد إلى جمرة العقبة و هي القصوى و أنت على طهر ، وأخرج ممّا معك من حصى الجمار سبع حصيات و تقف في وسط الوادي مستقبل القبلة يكون بينك و بين الجمرة عشر خطوات أو خمس عشرة خطوة ، و تقول و أنت مستقبل القبلة و الحصى في كفّك اليسرى : « اللّهمّ هذه حصياتي فأحصهنّ لي وارفعهنّ في عملي » ثمّ تتناول منها واحدة واحدة و ترمي الجمرة من قبل وجهها و لا ترمها من أعلاها ، و تقول مع كلّ حصاة إذا رميتها : «الله أكبر اللّهمّ ادحر عنّي الشيطان (٣) وجنوده اللّهمّ اجعله حجّاً مبروراً ، و عملاً مقبولاً ، و سعياً مشكوراً ، و ذنباً مغفوراً ، اللّهمّ إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وعلى سنّة نبيّك محمّد صلّى الله عليه وآله » حتّى ترميها بسبع حصيات ، و يجوز أن تكبّر مع كلّ حصاة ترميها تكبيرة ، فإن سقطت منك حصاة في الجمرة أو في طريقك فخذ مكانها من تحت رجليك و لا تأخذ من حصى الجمار الّذي قد رمي .

---

(١) البقره :١٩٩.

(٢) فى الكافي ج ٤ ص ٤٧١ « اللهم سلم لى عهدى » .

(٣) دحره أى طرده وأبعده .

قال : و ترمي يوم الثاني و الثالث و الرابع كلّ يوم بأحد و عشرين حصاة وترمي إلى الجمرة الأولى بسبع حصيات ، و تقف عندها و تدعو ، و إلى الجمرة الثانية بسبع حصيات ، و تقف عندها و تدعو ، وإلى الجمرة الثالثة بسبع حصيات ولا تقف عندها فإذا رجعت من رمي الجمار يوم النحر إلى رحلك بمنى فقل : « اللّهمّ بك وثقت و عليك توكّلت فنعم الربّ أنت ونعم المولى ونعم النصير ».

و اشتر هديك إن كان من البدن أو من البقر أو من الغنم وإلّا فاجعله كبشاً سميناً فحلاً ، فإن لم تجد فحلاً فموجوءاً[1] من الضأن فإن لم تجد فتيساً فحلاً ، فإن لم تجد فما تيسّر لك ، و عظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب ، ولا تعط الجزّار جلودها ولا قلائدها و لا جلالها ولكن تصدّق بها ولا تعط السلّاخ منها شيئاً .

فإذا اشتريت هديك فاستقبل القبلة وانحره أواذبحه وقل : « وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات و الأرض حنيفاً مسلماً و ما أنا من المشركين ، إنّ صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت و أنا من المسلمين ، اللّهمّ منك و لك بسم الله والله أكبر ، اللّهمّ تقبّل منّي » ثمّ اذبح ولا تنخع حتّى تموت و يبرد ، ثمّ كل و تصدّق و أطعم و أهد إلى من شئت .

اقول : ولا يجزىء في الهدي أقلّ من واحد إلّا مع الضرورة فيجزىء البقرة عن خمسة إذا كانوا أهل خوان واحد ، وفي الصحيح يشترط أن يكون ثنيّاً في غير الضأن و فيه يكفي الجذع و الثنيّ من الإبل ما دخل في السادسة و من الآخرين ما دخل في الثالثة ، و قيل : الثانية وأن يكون تامّاً فلا يجزىء العوراء ولا العرجاء ولا المقطوعة الاذن إلّا أن يكون مشقوقاً أو مثقوباً و لم يذهب منهما شيء .

و في الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « لا تضحّى بعرجاء بيّن عرجها ، و لا بالعوراء بيّن عورها ، ولا بالعجفاء ، ولا بالجرباء ، ولا بالجذعاء ، ولا بالعضباء ، وهي المكسورة القرن ، والجذعاء المقطوعة الأذن »[2].

---

(١) الموجوء : من الوجاء ـ بالكسر والمد ـ وهو رض عروق البيضتين حتى تنفضخا فيكون شبيها بالخصاء ، و قيل : هو رض الخصيتين . وفي الفقيه «فموجئاً» .

(٢) المصدر ص ٢٧٣ تحت رقم ٧ .

ويستحبّ أن يكون سميناً ينظر في سواد و يمشي في سواد و يأكل و يشرب في سواد كما ورد في الأخبار ، و الوجوه الثلاثة في تفسيرها مشهورة ، و قيل : كلّها مروية عن أهل البيت عليهم السلام ، و أن يكون ممّا عرّف به أي احضر عشيّة عرفة بعرفات ، و أن يكون انثى من الإبل و البقر و فحلاً من الغنم ، و أن ينحر الإبل قائمة قد ربطت بين الخفّ و الركبة و يطعنها من الجانب الأيمن ، و أن يتولّى الذبح بنفسه إذا أحسن وإلّا وضع يده مع يد الذابح .

و إذا فرغ من الذّبح حلق رأسه بأن يستقبل القبلة و يبدء بالناصية و يقول : «اللّهمّ أعطني بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة» ويدفن شعره بمنى وإن شاء قصّر ، والحلق للصّرورة والملبّد أولى بل يتعيّن [1] .

و إذا حلق فقد حلّ له كلّ شيء إلّا الطيب و النساء ، فإذا طاف للحجّ و سعى حلّ له الطيب و إذا طاف للنساء حللن له .

و يجب على المتمتّع أن يمضي إلى مكّة لطواف الزيارة و السعي و طواف النساء يوم النحر أو من غده ولا يؤخّر عن ذلك و موسّع للمفرد أن يؤخّر .

و يجب على الحاجّ أن يبيت بمنى ليلتي الحادي عشر و الثاني عشر ، فإن بات بغيرها فعليه عن كلّ ليلة دم شاة إلّا أن يكون مشتغلاً بالعبادة أو يخرج من منى بعد انتصاف اللّيل .

الجملة التاسعة في النفر من منى قال في الفقيه [2] : فإذا أردت أن تنفر من منى يوم الرابع من يوم النحر نفرت إذا طلعت الشمس ولا عليك أيّ ساعة نفرت ورميت قبل الزوال أو بعده ، فإذا أردت أن تنفر في النفر الأوّل و هو يوم الثالث فانفر إذا زالت الشمس فإنّه ليس لك أن تنفر قبل الزوال ، وإن أنت أقمت إلى أن تغيب الشمس فليس لك أن تخرج من منى و وجب عليك المقام إلى يوم الرابع من يوم النحر وهو النفر الأخير

(١) تلبيد الشعر أن يجعل فيه شيء من صمغ أو خطمى وغيره عند الاحرام لئلا يشعث و يقمل اتقاء على الشعر . (مجمع البحرين)

(٢) المصدر ص ٢٩١ تحت رقم ٥٧ .

وافض إلى مكّة مهلّلا وممجّداً وداعياً ، فإذا بلغت مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مسجد الحصباء دخلته واستلقيت فيه على قفاك بقدر ما تستريح ، ومن نفر في النفر الأوّل فليس عليه أن يحصّب ، ثمّ ادخل مكّة وعليك السكينة والوقار وقد فرغت من كلّ شيء لزمك في حجّ أو عمرة وابتع بدرهم تمراً وتصدّق به يكون كفارة لما دخل عليك في إحرامك ممّا لم تعلم.

وإن أحببت أن تدخل الكعبة فادخلها وإن شئت لم تدخلها إلّا أن تكون صرورة فلا بدّ لك من دخولها ، واغتسل قبل أن تدخلها وقل : إذا دخلتها : « اللّهمّ إنّك قلت في كتابك : « ومن دخله كان آمنا » فآمنّي من عذابك عذاب النار » ، ثمّ صلّ بين الاسطوانتين على البلاطة الحمراء (١) ركعتين تقرء في الأولى الحمد وحم السجدة ، وفي الثانية عدد آيها من القرآن وتصلّي في زواياه وتقول : « اللّهمّ من تهيّأ أو تعبّأ أو أعدّ أو استعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده ونوافله وجوائزه فإليك يا سيّدي تهيئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدك ونوافلك وجائزتك ، فلا تخيّب اليوم رجائي يا من لا يخيب عليه سائل ، ولا ينقصه نائل ، ولا يبلغ مدحته قائل ، فإنّي لم آتك بعمل صالح قدّمته ، ولا شفاعة مخلوق رجوتها ، لكنّي أتيتك مقرّاً بالظلم والإساءة على نفسي ، أتيتك بلا حجّة ولا عذر فأسألك يا من هو كذلك أن تعطيني منيتي وتقلّبني برحمتك ولا تردّني محروماً خائباً ، ياعظيم يا عظيم أرجوك للعظيم ، أسألك يا عظيم أن تغفر لي الذّنب العظيم ، فإنّه لا يغفر الذّنب العظيم إلّا العظيم » ولا تدخلها بحذاء ولا تخفّ ولا تبزق فيها ولا تمتخط.

فإذا أردت وداع البيت فطف به اُسبوعاً وصلّ ركعتين حيث أحببت من الحرم وائت الحطيم - والحطيم ما بين باب الكعبة والحجر الأسود - فتعلّق بأستار الكعبة وأنت قائم واحمد الله تعالى وأثن عليه وصلّ على النبيّ وآله ثمّ قل : « اللّهمّ عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملته على دوابّك وسيّرته في بلادك وأقدمته المسجد الحرام ، اللّهمّ وقد كان في أملي ورجائي أن تغفر لي فإن كنت يا ربّ قد فعلت ذلك فازدد عنّي رضى وقرّبني إليك زلفى وإن لم تكن يا ربّ فعلت ذلك ، فمن الآن فاغفر لي قبل أن تنأى داري عن بيتك ، غير راغب عنه ولا مستبدل به ، هذا أوان انصرافي إن كنت قد أذنت لي ، اللّهمّ فاحفظني من بين يديّ ،

---

(١) البلاط : الحجارة المفروشة فى الدار وغيرها .

ومن خلفي، ومن تحتي، ومن فوقي وعن يميني، وعن شمالي حتّى تقدمني أهلي صالحاً، فإذا أقدمتني أهلي فلاتخلُ منّي، واكفني مؤونة عيالي ومؤونة خلقك».

فإذا بلغت باب الحنّاطين فاستقبل الكعبة بوجهك وخرّ ساجداً واسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبّله منك ولا يجعله آخر العهد منك، ثمّ تقول وأنت مارّ: «آئبون، تائبون، حامدون لربّنا، شاكرون، إلى الله راغبون، وإلى الله راجعون، وصلّى الله على محمّد وآله كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها، وزيارة أهل البيت عليهم السلام.

روى في الفقيه (١) عن محمّد بن سليمان الدّيلمي عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين مكّة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب ومات مهاجراً إلى الله عزّ وجلّ وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر».

وروي فيه عن هشام بن المثنّى، عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال له: «ابدؤوا بمكّة واختموا بنا (٢)».

وعن عمر بن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم (٣)».

وفيه قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنيّ من زارني حيّاً أو ميّتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلّصه من ذنوبه (٤)».

وروى الحسن بن عليّ الوشّاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعاؤهم يوم القيامة (٥)».

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) المصدر ص ٢٩٣ و٢٩٢ و٢٩٦.

(٥) المصدر ص ٢٩٧.

و روى عليّ بن الحكم عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتّى يرفع بروحه و عظمه ولحمه إلى السماء، وإنّما يؤتى مواضع آثارهم ويبلّغونهم من بعيد السلام [١] ».

وأما الآداب فإذا توجّه من مكّة إلى المدينة فيستحبّ أن يصلّي في مسجد غدير خمّ إذا انتهى إليه .

ففي الفقيه عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّه يستحبّ الصلاة في مسجد الغدير لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو موضع أظهر الله عزّ وجلّ فيه الحقّ » .

و أن ينزل معرّس النبيّ صلّى الله عليه وآله ففيه [٢] عن معاوية بن عمّار قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : « إذا انصرفت من مكّة إلى المدينة وانتهيت إلى ذي الحليفة وأنت راجع إلى المدينة من مكّة فائت معرّس النبيّ صلّى الله عليه وآله فإن كنت في وقت صلاة مكتوبة أو نافلة فصلّ ، وإن كان غير وقت صلاة فانزل فيه قليلاً ، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد كان يعرّس فيه و يصلّي فيه » .

و روى عليّ بن مهزيار عن محمّد بن القاسم بن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : « جعلت فداك إنّ جمّالنا مرّ بنا ولم ينزل المعرّس ؟ فقال : لابدّ أن ترجعوا إليه فرجعنا إليه [٣] » .

وسأل العيص بن القاسم أبا عبدالله عليه السلام عن الغسل في المعرّس ، فقال : « ليس عليك فيه غسل [٤] » .

والتعريس هو أن يصلّي فيه ويضطجع فيه ليلاً مرّ به أو نهاراً [٥] .

قال أبوحامد : « فمن قصد الزيارة للمدينة فليصلّ على رسول الله صلّى الله عليه وآله في طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : « اللّهمّ هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب » وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرّة

---

(١) الفقيه ص ٢٩٧ .
(٢) الى (٥) المصدر ص ٢٩٢ .

وليتطيّب وليلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظّماً » .

وقال في الفقيه : إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أوحين تدخلها ، ثمّ ائت قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وادخل المسجد من باب جبرئيل عليه السلام فإذا دخلت فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قم عند الأسطوانة المقدّمة من جانب القبر من عند زاوية القبر وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن ممايلي القبر فإنّه موضع رأس النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ تقول : « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، وأشهد أنّك رسول الله ، و أشهد أنّك محمّد بن عبدالله ، و أشهد أنّك قد بلّغت رسالات ربّك ، ونصحت لأُمّتك ، وجاهدت في سبيل الله ، و عبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة و أدّيت الّذي عليك من الحقّ وأنّك قد رؤفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين ، فبلغ الله بك أشرف محلّ المكرّمين ، الحمدلله الّذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة ، اللّهمّ اجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقرّبين وعبادك الصالحين وأنبيائك المرسلين وأهل السماوات و الأرضين ومن سبّح لك يا ربّ العالمين من الأوّلين و الآخرين على محمّد عبدك ورسولك ونبيّك وأمينك ونجيّك وحبيبك وصفيّك وخاصّتك وصفوتك من بريّتك وخيرتك من خلقك ، اللّهمّ وأعطه الدّرجة والوسيلة من الجنّة ، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون ، اللّهمّ إنّك قلت وقولك الحقّ : « ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً » وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً من ذنوبي يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّي وربّك ليغفرلي ذنوبي » .

و إن كانت لك حاجة فاجعل النبيّ صلى الله عليه وآله خلف كتفيك و استقبل القبلة و ارفع يديك واسأل حاجتك فإنّك حريّ أن تقضى لك إن شاء الله .

ثمّ قل وأنت مسند ظهرك إلى المروة الخضراء الدقيقة العرض ممّايلي القبر وأنت مسند إليه مستقبل القبلة : « اللّهمّ إليك ألجأت أمري وإلى قبر محمّد عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله أسندت ظهري والقبلة الّتي رضيت لمحمد استقبلت ، اللّهمّ إنّي أصبحت لا أملك لنفسي خيرما أرجولها ، ولا أدفع عنها شرّ ما أحذر عليها ، وأصبحت الأُمور بيدك فلا فقير

أفقرمنّي ، إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير، اللّهمّ اردني منك بخير لاراد لفضلك ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من أن تبدّل اسمي ، و أن تغيّر جسمي أو تزيل نعمتك عنّي ، اللّهمّ زيّنّي بالتقوى ، وجمّلني بالنعمة ، واغمرني بالعافية ، وارزقني شكر العافية » .

ثمّ ائت المنبر فامسح عينيك و وجهك برمّانتيه فإنّه يقال : إنّه شفاء للعين ، وقم عنده واحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة وإنّ منبري على ترعة من ترع الجنّة وقوائم المنبر ربت في الجنّة» ، والترعة هي الباب الصغير .

ثمّ ائت مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وصلّ عنده مابدا لك ، ومتى دخلت المسجد فصلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله و كذلك إذا خرجت .

ثمّ ائت مقام جبرئيل عليه السلام و هو تحت الميزاب فإنّه كان مقامه إذا استأذن على نبيّ الله ثمّ قل : أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد أسألك أن تردّ عليّ نعمتك » وذلك مقام لاتدعو فيه حائض فتستقبل القبلة إلّا رأت الطهر ، ثمّ تدعو بدعاء الدّم تقول : « اللّهمّ إنّي أسألك بكلّ اسم هولك أو تسمّيت به لأحد من خلقك أو هو مأثور في علم الغيب عندك و أسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم ، و بكلّ حرف أنزلته على موسى ، وبكلّ حرف أنزلته على عيسى ، وبكلّ حرف أنزلته على محمّد صلواتك عليه وآله وعلى أنبياء الله إلّا فعلت بي كذا و كذا » .

والحائض تقول : « إلّا أذهبت عنّي هذا الدّم » ، وإن كان لك بالمدينة مقام ثلاثة أيّام صمت يوم الأربعاء وصلّيت ليلة الأربعاء عند أسطوانة التوبة وهي اسطوانة أبي لبابة الّتي ربط نفسه إليها ، و تقعد عندها يوم الأربعاء ، ثمّ تأتي ليلة الخميس الأسطوانة الّتي تليها ممّا يلي مقام النبيّ صلى الله عليه وآله فتقعد عندها ليلتك ويومك و تصوم يوم الخميس ثمّ يأتي الأسطوانة الّتي تلي مقام النبيّ صلى الله عليه وآله ومصلاه ليلة الجمعة فتصلّي عندها ليلتك ويومك و تصوم يوم الجمعة ، وإن استطعت أن لاتتكلّم بشيء هذه الأيام الا بما لابدّ منه و لاتخرج من المسجد إلّا لحاجة ، ولاتنام في ليل ولانهار إلّا القليل فافعل ، واحمد الله عزّ وجلّ يوم الجمعة وأثن عليه وصلّ على النبيّ وآله ثمّ سل حاجتك ، ثمّ قل : « اللّهمّ ما كانت

لي إليك من حاجة شرعت في طلبها والتماسها أولم أشرع سألتكها أولم أسألكها فإنني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة في قضاء حوائجي صغيرها و كبيرها ».

ويستحب زيارة فاطمة عليها السلام في المسجد قال في الفقيه [١] « اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام. فمنهم من روى أنها دفنت في البقيع.

ومنهم من روى أنها دفنت بين القبر والمنبر وأن النبي صلى الله عليه وآله إنما قال: « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » [٢] لأن قبرها بين القبر والمنبر.

ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي.

قال: وهو عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل عليه السلام إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي صلى الله عليه وآله، ثم ذكر لزيارتها كلاماً طويلاً من أراده فليطلبه من الفقيه [٣]

وقال: إذا أتيت قبر الأئمة عليهم السلام بالبقيع فاجعله بين يديك، ثم قل: « السلام عليكم يا أئمة الهدى، السلام عليكم يا أهل التقوى، السلام عليكم يا حجج الله على أهل الدنيا، السلام عليكم أيها القوامون في البرية بالقسط، السلام عليكم يا أهل الصفوة، السلام عليكم يا أهل النجوى أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله عزوجل و كذبتم واسيىء إليكم فغفرتم، وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، وأن طاعتكم مفترضة، وأن قولكم الصدق، وأنكم دعوتم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا، وأنكم دعائم الدين، و أركان الأرض فلم تزالوا بعين الله ينسخكم في أصلاب المطهرين، و ينقلكم من أرحام المطهرات، لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء، ولم يشترك فيكم فتن الأهواء، طبتم وطاب منبتكم، أنتم الذين من الله علينا بكم ديان الدين فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه وجعل صلاتنا عليكم رحمة لنا و كفارة لذنوبنا إذ اختاركم لنا

(١) المصدر ص ٢٩٥.
(٢) ورواه الكليني فى الكافى ج ٤ ص ٥٥٣ و٥٥٤.
(٣) ص ٢٩٥.

وطيّب خلقنا بما منّ علينا من ولايتكم و كنّا عنده بفضلكم معترفين ، وبتصديقنا إيّاكم مقرّين وهذا مقام من أسرف و أخطأ واستكان وأقرّ بماجنى و رجا بمقامه الخلاص و أن يستنقذه بكم مستنقذ الهلكى من النار ، فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذرغب عنكم أهل الدّنيا ، واتّخذوا آيات الله هزواً واستكبروا عنها ، يا من هو قائم لايسهو ، و دائم لايلهو ، ومحيطٌ بكلّ شيء ، لك المنّ بما وفّقتني وعرّفتني بما ائتمنتني عليه إذ صدّعنه عبادك ، وجهلوا معرفتهم ، واستخفّوا بحقّهم ومالوا إلى سواهم ، وكانت المنّة منك عليّ مع أقوام خصصتهم بما خصصتني ، به فلك الحمد إذ كنت عندك في مقامي مكتوباً ، فلا تحرمني مارجوت ، ولا تخيّبني فيما دعوت » وادع لنفسك بما أحببت .

ثمّ صلّ ثمان ركعات في المسجد الّذي هناك وتقرء فيها ما أحببت وتسلّم في كلّ ركعتين ، ويقال : إنّه مكان صلّت فيه فاطمة عليها السلام .

قال : (١) ولا تدع أن تأتي المشاهد كلّها مسجد قبا ومشربة اُمّ إبراهيم ومسجد الفضيخ وقبور الشهداء ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح ، وتطوّع فيها بما أحببت من الصلاة ، وإذا أتيت قبور الشهداء فقل : «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» و إذا أتيت مسجد الفتح فقل : «ياصريخ المكروبين ، ويامجيب المضطرّين اكشف عنّي غمّي وهمّي و كربي كما كشفت عن نبيّك صلواتك عليه و آله همّه وغمّه و كربه و كفيته هول عدوّه في هذا المكان » .

فإذا أردت أن تخرج من المدينة فائت موضع رأس النبيّ صلّى الله عليه وآله فسلّم عليه ، ثم ائت المنبر وصلّ عنده على النبيّ صلّى الله عليه وآله ما استطعت ، وادع لنفسك بما أحببت للدّين والدّنيا ثمّ ارجع إلى قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله والزق منكبك الأيسر بالقبرقريباًمن الاُسطوانة الّتي دون الاُسطوانة المخلفة عند رأس النبيّ صلّى الله عليه وآله فصلّ ستّ ركعات أوثمان ركعات واقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة واقنت في كلّ ركعتين ، فإذا فرغت منها استقبلت رسول الله صلّى الله عليه وآله وقلت مودّعاً له عليه السلام : « صلّى الله عليك ، السلام عليك ، لا جعله الله آخر تسليمي عليك ، اللّهم لاتجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيّك صلواتك عليه وآله ،

---

(١) يعني الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه .

وان توفيتني قبل ذلك ، فإنّي أشهد في مماتي على ما أشهد في حياتي أن لا إله إلّا أنت وأنّ محمّداً عبدك ورسولك ».

أقول : وأمّا زيارة سائر الأئمّة عليهم السلام في مواضعهم وآدابها والكلام عندها وفضائلها فيأتي ذكرها في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله.

قال أبو حامد : « وإذا أشرف على مدينته يحرّك الدابّة ويقول : « اللّهمّ اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً» ثمّ ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنّة ، ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً ، فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أوّلاً وليصلّ ركعتين فهو السنّة فإذا دخل بيته قال : « توباً توباً لربّنا أوباً لا يغادر علينا حوباً » فإذا استقرّ في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيّه صلّى الله عليه وآله فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللّهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحجّ المبرور ، بل علامته أن يعود زاهداً في الدّنيا ، راغباً في الآخرة متأهّباً للقاء ربّ البيت بعد لقاء البيت .

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة .

(بيان دقائق الاداب و هى عشرة)

الأوّل أن تكون النفقة حلالاً ، وتكون اليد خالياً عن تجارة تشغل القلب ، وتفرق الهمّ حتّى تكون الهمّ مجرّداً لله ، والقلب مطمئنّاً منصرفاً إلى ذكر الله و تعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام « إذا كان آخر الزّمان خرج النّاس للحجّ أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة ، وأغنياؤهم للتجارة ، وفقراؤهم للمسألة و قرّاؤهم للسّمعة »(١) وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدّنيا الّتي يتصوّر أن تتّصل بالحجّ وكلّ ذلك ممّا

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخه بدون ذكر السلاطين و رواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين بلفظ آخر كما فى المغنى .

يمنع فضيلة الحجّ و يخرجه عن حيّز حجّ الخصوص لاسيّما إذا كان متّجراً بنفس الحجّ بأن يحجّ لغيره بأُجرة فيطلب الدّنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون و أرباب القلوب ذلك إلّا أن يكون قصده المقام بمكّة ولم يكن له ما يبلغه ».

أقول : أو يكون قصده نفس الحجّ ولم يكن ممّن قد حجّ ولم يكن له مايبلغه قطّ.

قال : (١)فلا بأس أن يأخذ على هذا القصد ، لا ليتوصّل بالدين إلى الدنيا ، بل بالدنيا إلى الدين ، و عند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله ، و معاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه ، و في مثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يدخل الله تعالى بالحجّة الواحدة ثلاثة الجنّة : الموصي بها ، و المنفذ لها ، و من حجّ بها عن أخيه » (٢) و لست أقول : لا تحلّ الأجرة أو يحرم عليه ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ، ولكنّ الأولى أن لا يفعل و لا يتّخذ ذلك مكسبه و متجره فإنّ الله يعطي الدنيا بالدين و لا يعطي الدين بالدنيا ، و في الخبر « مثل الّذي يغزو في سبيل الله و يأخذ أجراً مثل أمّ موسى ترضع ولدها و تأخذ أجرها » (٣) فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحجّ مثال أمّ موسى فلا بأس بأخذه فإنّه يأخذ ليتمكّن من الحجّ و الزيارة وليس يحجّ ليأخذ الأجرة كما كانت تأخذ ليتيسّر بها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم.

الثاني : أن لا يعاون أعداء الله بتسليم المكس(٤) إليهم وهم الصادّون عن المسجد الحرام من أمراء مكّة و الأعراب المترصّدين في الطرق فإنّ تسليم المال إليهم إعانة على الظلم و تيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطّف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء - ولا بأس بما قاله - : إنّ ترك التنفّل بالحجّ و الرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإنّ هذه بدعة أحدثت ، و في الانقياد لها مايجعلها

(١) يعنى أباحامد.

(٢) قال العراقي : أخرجه البيهقي في شعب الايمان من حديث جابر بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عدى فى مراسيله وفيه « مثل الذين يغزون من امتى » و أخرجه البيهقي عن جبير بن نفيل مرسلا كما فى الجامع الصغير باب الميم.

(٤) المكس : دراهم كانت يأخذه اعوان الدولة عن اشياء معينة عند بيعها اوعند ادخالها المدن.

سنّة مطّردة و فيه ذلٌّ و صغار على المسلمين ببذل جزية ، و لا معنى لقول القائل : إنّ ذلك يؤخذ منّي و أنا مضطرٌ فإنّه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر أسباب الترفّه فيكثر مطالبته و لو كان في زيّ الفقراء لم يطالب فهو الّذي ساق نفسه إلى حالة الإضطرار .

الثالث : التوسيع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق في غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد ، و أعني بالإسراف التنعّم بإطابة الأطعمة ، و الترفّه بأشرف أنواعها على عادة المترفين ، فأمّا كثرة البذل فلا إسراف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل ، وبذل الزاد في طريق الحجّ نفقة في سبيل الله و الدرهم بسبعمائة درهم ، قال صلّى الله عليه وآله : « الحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة ، فقيل له : يا رسول الله ما برّ الحجّ ؟ قال : طيب الكلام و إطعام الطعام » (١) .

أقول : و في الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر » ، « وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا سافر إلى مكّة إلى الحجّ أو العمرة تزوّد من أطيب الزاد ، من اللّوز و السكّر و السويق المحمّض و المحلاّ » (٢) .

و قال الصادق عليه السلام : « إذا سافرتم فاتّخذوا سفرة و تنوّقوا فيها » و في رواية « أنّه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه السلام » (٣) .

الرابع : « ترك الرفث و الفسوق و الجدال كما نطق به القرآن » ، و الرفث اسم جامع لكلّ لغو وخنى و فحش من الكلام و يدخل فيه مغازلة النساء (٤) و مداعبتهنّ و التحدّث بشأن الجماع و مقدّماته ، فإنّ ذلك يهيّج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظورٌ ، و الفسوق اسم جامع لكلّ خروج عن طاعة الله ، و الجدال هو

---

(١) أخرج صدره مسلم فى صحيحه ج ٤ ص ١٠٧ . و ذيله الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤٨٣ . وتمامه احمد فى المسندج ٣ ص ٣٢٥ و٣٣٤ .

(٢) المصدر ص ٢٢٧ باب الزادفى السفر .

(٣) المصدر ص ٢٢٦ باب اتخاذ السفرة فى السفروباب السفرالذى يكره فيها اتخاذ السفرة .

(٤) الخنى : الفحش ، والمغازلة : المحادثة والمراودة .

المبالغة في الخصومة و المماراة بما يورث الضغائن [١] و يفرّق في الحال الهمّة و يناقض حسن الخلق ، و قد جُعل في الحديث طيب الكلام مع إطعام الطعام من برّ الحجّ ، و المماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه و جمّاله و على غيرهما من أصحابه بل يلين جانبه و يخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله ، ويلزم حسن الخلق و ليس حسن الخلق كفّ الأذى بل احتمال الأذى ، و قيل : سمّي السفر سفراً لأنّه يسفر عن أخلاق الرجال و لذلك قيل لمن زعم أنّه يعرف رجلاً : هل صحبته في السفر ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه .

الخامس : أن يحجّ ماشياً إن قدر عليه فذلك أفضل و في التردّد من مكّة إلى الموقف و إلى منى آكد منه في الطريق ، و قال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق و المؤونة و لأنّه أبعد من ضجر النفس و أقلّ لأذاه و أقرب إلى سلامته و تمام حجّه ، و هذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأوّل بل ينبغي أن يفصّل و يقال : من سهل عليه المشي فهو الأفضل ، و إن كان يضعف و يؤدّي ذلك به إلى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل .

و سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها أفضل أو يكتري حماراً بدرهم ؟ فقال : إن كان وزن الدرهم أشدّ عليه فالكراء أفضل من المشي وإن كان المشي أشدّ عليه كالأغنياء فالمشي أفضل و كأنّه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجهٌ ولكنّ الأفضل أن يمشي و يصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً من إيذاء الدابّة ، فإذا كان لا يتّسع نفسه للجمع بين مشقّة النفس و نقصان المال فماذكره غير بعيد » .

أقول : ويدلُّ على هذه الجملة من طريق الخاصّة ماروا، في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « ما عبد الله بشيء أشدّ من المشي ولا أفضل » [٢].

و عنه عليه السلام « الركوب أفضل من المشي لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ركب » [٣] .

و في رواية اُخرى « تركبون أحبّ إليّ فإنّ ذلك أقوى على الدعاء والعبادة » [٤].

(١) الضغائن جمع الضغينة وهي الحقد .
(٢) و(٣) و(٤) المصدر ص ٤٤٨ .

وفي اُخرى: «لا تمشوا واركبوا، فقيل: بلغنا أنّ الحسن بن عليّ عليهما السلام حجّ عشرين حجّة ماشياً! فقال: إنّ الحسن بن عليّ كان يمشي و يساق معه محامله و رحاله»(١).

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام «أنّه سئل عن المشي أفضل أو الركوب؟ فقال: إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته فالركوب أفضل»(٢).

السادس: «أن يجتنب المحمل إلّا إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر و فيه معنيان: أحدهما التخفيف عن البعير فإنّ المحمل يؤذيه، و الثاني اجتناب زيّ المترفين و المتكبّرين، حجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله على راحلة و كان تحته رحل رثّ و قطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم(٣)، و طاف على الراحلة(٤) لينظر الناس إلى هديه و شمائله و قال: «خذوا عنّي مناسككم»(٥).

وقيل: إنّ هذه المحامل أحدثها الحجّاج و كان العلماء في وقته ينكرونها.

السابع: أن يكون رثّ الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة، ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في المتكبّرين و المترفّهين، و يخرج عن حزب الضعفاء و المساكين و خصوص الصالحين، فقد أمر عليه السلام بالشعث و الاحتفاء و نهى عن التنعّم و الرفاهية في حديث فضالة بن عبيد(٦) و في الخبر «إنّما الحاجّ الشعث الغبر

---

(١) التهذيب ص ٤٤٨. (٢) المصدر ص ٢٠٨ رقم ٥٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه تحت رقم ٢٨٩٠.

(٤) سنن ابن ماجه تحت رقم ٢٩٤٨، والنسائى ج ٥ ص ٢٣٣.

(٥) أخرج مسلم ج ٤ ص ٧٩ والنسائى ج ٥ ص ٢٧٠ نحوه.

(٦) قال العراقى: الامر بالشعث والاحتفاء أخرجه البغوى والطبرانى من حديث عبدالله بن أبى حدرد قال: قال النبى صلى الله عليه وآله: «تمعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة» و رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة. و كلاهما ضعيف؛ و حديث فضالة فى النهى عن التنعم والرفاهية وأن النبى صلى الله عليه وآله كان ينهى عن كثير من الارفاه ولا حمد من حديث معاذ «اياك والتنعم». أقول: وأخرج ابن ماجه تحت رقم ٢٩٣٩ عن ابن عباس قال: «كانت الانبياء تدخل الحرم مشاة حفاة ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاة مشاة».

التفث »[1] يقول الله عزّ وجلّ : « انظروا إلى زوّار بيتي قد جاؤوني شُعثاً غُبراً من كلّ فجّ عميق » [2] و قال تعالى : « ثمّ ليقضوا تفثهم » [3] و التفث الشعث و الاغبرار وقضاؤه بالحلق و قصّ الأظفار .

الثامن : « أن يرفق بالدابّة فلايحمّلها مالاتطيق والمحمل خارج عن حدّ طاقتها ، و النوم عليها يؤذيها و يثقل عليها ، كان أهل الورع لاينامون على الدوابّ إلّا غفوة [4] عن قعود و كانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « لا تتّخذوا ظهور دوابّكم كراسي »[5] ويستحبّ أن ينزل عن دابّته غدوة وعشيّة يروّحها بذلك فهو سنّة و فيه آثار عن السلف و كان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأُجرة ، ثمّ كان ينزل ليكون بذاك محسناً إلى الدابّة فيكون في حسناته ، و يوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري ، و كلّ من آذى بهيمة و حمّلها مالاتطيق طولب به في القيامة .

وعلى الجملة لكلّ كبد حرّى رطبة[6] أجر فليراع حقّ الدابّة وحقّ المكاري جميعاً ، وفي نزوله ساعة ترويح الدابّة و سرور قلب المكاري ، و رياضة البدن وتحريك الرجلين و الحذر من خدر الأعصاب بطول الركوب .

أقول : و تمام بيان هذا الأدب يأتي في كتاب آداب السفر من ربع العادات إن شاء الله على طريقة أهل البيت عليهم السلام .

التاسع: « أن يتقرّب بإراقة دم و إن لم يكن واجباً ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه . قيل في تفسير قوله تعالى : « ذلك ومن يعظّم شعائر الله » [7] إنّه تحسينه

---

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجه تحت رقم ٢٨٩٦ من حديث ابن عمر وقال غريب .
(٢) أخرجه الحاكم ج ١ص ٤٦٥ .
(٣) الحج : ٢٩ ، وقال الازهرى : لايعرف التفث فى لغة العرب الامن قول المفسرين والمعنى أن يزيلوا و سخهم بقص الاظفار والشارب وحلق الرأس كمافى الكافى والفقيه .
(٤) الغفوة ـ بفتح المعجمة و سكون الفاء ـ : النومة الخفيفة .
(٥) الجعفريات ص ٨٥ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص ١٠٠ ، و أحمد فى المسند ج ٣ ص ٤٤٠ .
(٦) كلمة « رطبة » ليست فى نسخ الاحياء .
(٧) الحج : ٣٣ .

و تسمينه، و سوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكدّه، و ليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث و يكرهون المكاس فيهنّ: الهدي والأضحيّة والرقبة، فإنّ أفضل ذلك أغلى ثمناً و أنفسه عند أهله، وليس المقصود تكثير اللّحم إنّما المقصود تزكية النفس وتطهيرها من صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم»(١) وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة».

أقول: روى في الكافي عن رجل يسمّى سوادة قال «: كنّا جماعة بمنى فعزّت الأضاحيّ، فنظرنا فإذا أبو عبد الله عليه السلام واقفٌ على قطيع يساوم بغنم و يماكسهم مكاساً شديداً فوقفنا ننتظر، فلمّا فرغ أقبل علينا فقال: أظنّكم قد تعجّبتم من مكاسي؟ فقلنا: نعم، فقال: إنّ المغبون لا محمود ولا مأجور»(٢).

قال أبوحامد: «وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما برّ الحجّ فقال: العجّ و الثجّ»(٣) والعجّ هو رفع الصوت بالتلبية و الثجّ هو نحر البدن.

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما عمل آدميٌّ يوم النحر [عملاً] أحبَّ إلى الله من إهراقه دماً و إنّها لتأتي يوم القيامة بقرونها و أظلافها فإنّ الدّم يقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً»(٤).

و في الخبر «لكم بكلّ صوفة من جلدها حسنة و كلّ قطرة من دمها حسنة وإنّها لتوضع في الميزان فأبشروا»(٥).

العاشر: أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال و بدن إن أصابه ذلك، فإنّ ذلك من دلائل قبول حجّه فإنّ المصيبة في طريق الحجّ

(١) الحج: ٣٧.
(٢) المصدر ج ٤ ص٤٩٦ تحت رقم٣، والمماكسة فى البيع: التناقص فى الثمن.
(٣) مر نحوهذا الحديث ص١٦٨، وأخرج مثله أبويعلى، وفى اسناده رجل ضعيف راجع مجمع الزوائد ج ٣ ص٢٢٤، وأخرجه الترمذى ج٤ص ٤٤- ٤٦ واستغربه و قال العراقى: أخرجه ابن ماجه والحاكم والبزاز واللفظ له.
(٤) و (٥) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣١٢٦ عن عائشة، و تحت رقم ٣١٢٧ عن زيد بن أرقم.

تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم و هو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكلّ أذى احتمله و خسران أصابه ثواب و لا يضيع منه شيء عند الله تعالى ، ويقال : إنّ من علامة قبول الحجّ ترك ما كان عليه من المعاصي ، وأن يستبدل بإخوانه البطّالين إخواناً صالحين وبمجالس اللّهو والغفلة مجالس الذكر و اليقظة .

☼(بيان الاعمال الباطنة)☼

☼(و وجه الإخلاص في النيّة و طريق الإعتبار بالمشاهد الشريفة و كيفيّة)☼
(الافتكار فيها و التذكّر لأسرارها ومعانيها من أوّل الحجّ إلى آخره)

اعلم أنّ أوّل الحجّ الفهم أعني تفهّم موقع الحجّ من الدّين ، ثمّ الشوق إليه ، ثمّ العزم عليه ، ثمّ قطع العلائق المانعة منه ، ثمّ شراء ثوب الإحرام ، ثمّ شراء الزاد ، ثمّ اكتراء الراحلة ، ثمّ الخروج ، ثمّ السير في البادية ، ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثمّ دخول مكّة ، ثمّ استتمام الأفعال كما سبق ، و في كلّ واحدة من هذه الأُمور تذكرة للمتذكّر ، و عبرة للمعتبر ، ونيّة للمريد الصادق ، و تعريف وإشارة للفطن ، فلنرمز إلى مفاتحها حتّى إذا انفتح بابها و عرف أسبابها انكشف لكلّ حاجّ من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه ، و طهارة باطنه ، وغزارة علمه .

أما الفهم فاعلم أنّه لا وصول إلى الله تعالى إلّا بالتنزّه عن الشهوات ، والكفّ عن اللّذّات ، و الاقتصار على الضرورات فيها ، و التجرّد لله سبحانه في جميع الحركات و السكنات ولأجل هذا انفرد الرّهابين[1] في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحّش عن الخلق لطلب الأُنس بالله فتركوا اللّذّات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقّة طمعاً في الآخرة ، وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال : «ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنّهم لايستكبرون»[2] فلمّا اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتّباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله تعالى و فتروا عنها بعث الله تعالى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم

(١) جمع رهبان - بالفتح - و هو المبالغ في الخوف كالخشيان .
(٢) المائدة : ٨٢ والقسيس والقس من رؤساء النصارى .

لإحياء طريق الآخرة و تجديد سنّة المرسلين في سلوكها، فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أُبدلنا بها الجهاد والتكبير على كلّ شرف» يعني الحجّ[1]. و سئل صلّى الله عليه وآله وسلّم عن السائحين فقال: هم الصائمون»[2] فأنعم الله سبحانه على هذه الاُمّة بأن جعل الحجّ رهبانية لهم، فشرّف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه و نصبه مقصداً لعباده، و جعل ماحوا ليه حرماً لبيته و تفخيماً لأمره و جعل عرفات كالميدان على فناء حرمه و أكّد حرمة الموضع بتحريم صيده و شجره و وضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوّار من كلّ فجّ عميق و من كلّ أوب سحيق، شُعثاً غُبراً، متواضعين لربّ البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله و استكانة لعزّته، مع الاعتراف بتنزّهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقّهم و عبوديّتهم و أتمّ في إذعانهم و انقيادهم، و لذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا يأنس بها النفوس ولايهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردُّد بين الصفا و المروة على سبيل التكرار، و بمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرقّ و العبوديّة، فإنّ الزكاة إرفاق ووجهه معلوم مفهوم وللعقل إليه ميلٌ، والصوم كسر للشهوة الّتي هي عدوٌّ الله وتفرّغ للعبادة بالكفّ عن الشواغل، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئة التواضع، وللنفوس اُنس بتعظيم الله تعالى فأمّا تردّدات السعي ورمي الجمار و أمثال هذه الأعمال فلا حظّ للنفس ولا اُنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها باعثٌ إلّا الأمر المجرّد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنّه أمر واجب الاتّباع فقط و فيه عزل العقل عن تصرّفه و صرف النفس و الطبع عن محلّ اُنسه، فإنّ كلّ ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً مّا، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر و باعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقّ و الانقياد، و لذلك قال صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحجّ على الخصوص: «لبّيك بحجّة حقّاً تعبّداً ورقّاً»[3] ولم يقل ذلك في صلاة و غيرها و إذا

---

(١) أخرج أبو داود ج ٢ ص ٥ نحوه.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة كما في المغني.

(٣) رواه البزاز مرفوعاً و موقوفاً كما في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٢٣، و قال العراقي: رواه الدار قطني في العلل من حديث أنس.

اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن يكون أعمالهم على خلاف هوى وأن يكون زمامها بيد الشرع فيتردّدون في أعمالهم على سنن الانقياد و على مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّدات في تزكية النفوس و صرفها عن مقتضى الطبع و الأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق ، وإذا تفطّنت لهذا فهمت أنّ تعجّب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذّهول عن أسرار التعبّدات و هذا القدر كاف في تفهيم أصل الحجّ .

وأما الشوق فإنّما ينبعث بعد الفهم والتحقّق بأنّ البيت بيت الله و أنّه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله تعالى وزائر له ، وأنّ من قصد البيت في الدنيا جديرٌ بأن لا يضيّع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له و هو النظر إلى وجه الله الكريم والفوز بلقائه سبحانه ، فالشوق إلى لقاء الله مشوّقه إلى أسباب اللّقاء لا محالة ، هذا مع أنّ المحبّ يشتاق إلى كلّ ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله فبالحريّ أن يشتاق إليه بمجرّد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل » .

أقول : لا تفهمنّ من لفظة النظر إلى وجه الله سبحانه حيث ما قيل في الكتاب والسنّة وغيرهما النظر بعين الرأس وإلى الوجه كالوجوه - تعالى الله عن ذلك - بل له معنى آخر يعرفه الرّاسخون في العلم . قال :

«**وأما العزم** فليعلم أنّه بعزمه قاصدٌ إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللّذات ، متوجّهاً إلى زيارة بيت الله تعالى فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر ربّ البيت وليعلم أنّه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأنّ من طلب عظيماً خاطر العظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقّق أنّه لا يقبل من قصده وعمله إلّا الخالص وأنّ من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك و حرمه و المقصود غيره فليصحّح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كلّ ما فيه رياء وسمعة وليحذر أن يستبدل الّذي هو أدنى بالّذي هو خيرٌ .

وأما قطع العلائق فمعناه ردّ المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جميع المعاصي

وكلُّ مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلّق بتلبيبه (١) ينادي عليه ويقول: إلى أين تتوجّه؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيّع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لاتستحيي من أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردّك ولا يقبلك، فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفّذ أوامره وردّ المظالم وتب إليه أوّلاً من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك لتكون متوجّهاً إليه بوجه قلبك كما أنت متوجّه إلى بيته بوجه ظاهرك، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أوّلاً إلّا النصب والشقاء وآخراً إلّا الطرد والرّد، وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه، وقدّر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأهله ولأولاده فإنّ المسافر ومتاعه لعلى قلت (٢) إلّا ماوقى الله وليتذكّر عند قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخرة فإنّ ذلك بين يديه على القرب وما تقدّمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقرّ وإليه المصير، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر.

وأما الزاد فليطلبه من موضع حلال وإذا أحسّ من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغيّر ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكّر أنّ سفر الآخرة أطول من هذا السفر، وأنّ زاده التقوى، وأنّ ماعداه ممّا يظنّ أنّه زاده يتخلّف عنه عند الموت ويخونه، فلا يبقى معه كالطعام والرّطب الّذي يفسد من أوّل منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيّراً محتاجاً لاحيلة له. فليحذر أن يكون أعماله الّتي هي زاده إلى الآخرة لاتصحبه بعد الموت بل تفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير.

وأما الراحلة إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله له الدّوابّ ليتحمّل عنه الأذى ويخفّف عنه المشقّة وليتذكّر عنده المركب الّذي يركبه إلى الدّار الآخرة وهي الجنازة الّتي يحمل عليها، فإنّ أمر الحجّ من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً لذلك السفر على ذلك المركب، فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعلّ الموت قريب، ويكون ركوبه للجنازة قبل

---

(١) التلبيب: موضع اللبب من الثياب ويعرف بالطوق.

(٢) القلت ـ بالتحريك ـ: الهلاك والفساد.

ركوبه للجمازة فركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ، ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن.

وأما شراء ثوب الإحرام فليتذكّر عنده الكفن ، ولفّه فيه فإنّه سيرتدي ويتّزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله ، وربما لا يتمّ سفره إليه وأنّه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة ، فكما لا يلقى بيت الله إلّا مخالفاً عادته في الزيّ والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت إلّا في زيّ مخالف لزيّ الدّنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب ، إذ ليس فيها مخيط كما لا مخيط في الكفن .

وأما الخروج من البلد فليعلم أنّه فارق الأهل والوطن متوجّهاً إلى الله في سفر لا يضاهي أسفار الدّنيا فليحضر في قلبه ماذا يريد و أين يتوجّه و زيارة من يقصد و أنّه متوجّه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه الّذين نودوا فأجابوا ، وشوّقوا فاشتاقوا ، واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الّذي فخم أمره و عظم شأنه ورفع قدره تسلّياً بلقاء البيت عن لقاء ربّ البيت إلى أن يرزقوا منتهى مُناهم ، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم ، وليحضر في قلبه رجاء الوصول و القبول لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنّه إن لم يصل وأدركته المنيّة في الطريق لقي الله وافداً إليه إذ قال : «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجره على الله(١)» .

وأما دخول البادية إلى الميقات و مشاهدة تلك العقبات فليتذكّر فيها ما بين الخروج من الدّنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكّر من هول قطّاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيّات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر و كربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوّداً لمخاوف القبر .

وأما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم أنّ معناه إجابة نداء الله فارج أن يكون مقبولاً واخش أن يقال لك : لا لبّيك ولا سعديك ، فكن بين الرجاء والخوف متردّداً وعن

(١) النساء : ١٠٠ .

حولك وفوقك متبرّئاً وعلى فضل الله وكرمه متّكلاً فإنّ وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محلّ الخطر، قال سفيان بن عيينة[١]: «حجّ عليّ بن الحسين عليهما السلام فلمّا أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقع عليه الرّعدة ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: لم لاتلبّي؟ فقال: أخشى أن يقول لي ربّي: لا لبّيك، ولاسعديك، فلمّا لبّى غشي عليه وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه».

وقال أحمد بن أبي الحواري: كنت مع أبي سليمان الدّاراني حين أراد الإحرام فلم يلبّ حتّى سرنا ميلاً وأخذته الغشية ثمّ أفاق، وقال: يا أحمد إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: «مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلّوا من ذكري فإنّي أذكر من ذكرني منهم باللّعنة» ويحك يا أحمد بلغني أنّ من حجّ من غير حلّه ثمّ لبّى قال الله عزّ وجلّ له: لالبّيك ولا سعديك حتّى تردّ ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك.

وليتذكّر الملبّي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابة لنداء الله تعالى إذ قال: «وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً» نداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم من القبور، وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله، ومنقسمين إلى مقرّبين وممقوتين، ومقبولين ومردودين ومردّدين في أوّل الأمر بين الخوف والرجاء تردّد الحاجّ في الميقات حيث لايدرون أيتيسّر لهم إتمام الحجّ وقبوله أم لا.

وأما دخول مكّة فليتذكّر عندها أنّه قد انتهى إلى حرم آمن وليرج عنده أن

---

(١) قال في التنقيح بعد نقل أقوال المشايخ حول الرجل: «على كل حال فلا يمكن الاعتماد على روايته بعد جزم جمع من الاساطين بكونه عامياً وعدم ثبوت وثاقته، نعم من اعتبر توثيق العامي اكتفى بتوثيق ابن حجر في تقريبه بقوله: ثقة حافظ فقيه امام حجة الا أنه تغير حفظه وكان دلس لكن عن الثقاة من رؤوس الطبقة الثامنة - الى آخر قوله - لكن الاعتماد على توثيقهم مشكل لان عدالتهم كطهارة المسماة بيبى بى تميز لا يخل بها شيء وكذا تراه يعترف بتدليسه ومع ذلك يوثقه ويجعله اماماً وحجة، وقد شهد بتدليسه في محكى اوائل جامع الاصول حيث قال ما محصله: المحكى أن من القوم من يدلس الحديث فيقول: قال فلان وبعد التفتيش يظهر طريق سماعه، منهم سفيان بن عيينة وهو امام من أئمة أهل مكة الخ».

يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقاً للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً . فالكرم عميم و شرف البيت عظيم وحقّ الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيّع .

وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن تحضر عنده عظمة البيت في القلب وتقدّر كأنّك مشاهد لربّ البيت لشدّة تعظيمك وارجُ أن يرزقك لقاءه كما رزقك لقاء البيت واشكر الله على تبليغه إيّاك هذه الرّتبة وإلحاقه إيّاك بزمرة الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب النّاس في القيامة إلى جهة الجنّة آملين لدخولها كافّة ، ثمّ انقسامهم إلى مأذونين في الدُّخول ومصروفين انقسام الحاجّ إلى مقبولين و مردودين ولا تغفل عن تذكّر أُمور الآخرة في شيء ممّا تراه ، فإنّ كلّ أحوال الحاجّ دليل على أحوال الآخرة .

وأما الطواف بالبيت فاعلم أنّه صلاة و أحضر قلبك فيه من التعظيم و الخوف والرّجاء والمحبّة ما فصّلناه في كتاب الصلاة و اعلم أنّك في الطواف متشبّه بالملائكة المقرّبين الحافّين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنّنّ أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر ربّ البيت حتّى لا يبتدىء الذكر إلّا به ، ولا يختم إلّا به كما يبتدىء الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت ، واعلم أنّ الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبيّة وأنّ البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة الّتي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الّذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأنّ عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح له الباب ، وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأنّ البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة ، وأنّ طواف الملائكة بها كطواف الانس بهذا البيت ، ولمّا قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أُمروا بالتشبّه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأنّ من تشبّه بقوم فهو منهم ، والّذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الّذي يقال : إنّ الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله .

وأما الاستلام فاعتقد عنده أنّك مبايع لله على طاعته فصمّم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحقّ المقت ، وقد روى ابن عبّاس عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال :

«الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه[١]».

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليكن نيّتك في الالتزام طلب القرب حبّاً وشوقاً للبيت ولربّ البيت، وتبرّكاً بالمماسّة، ورجاء للتحصّن عن النار في كلّ جزء لافي البيت وليكن نيّتك في التعلّق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلّق بثياب من أذنب إليه، المتضرّع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنّه لاملجأ له منه إلّا إليه، ولا مفزع له إلّا عفوه و كرمه، وأنّه لايفارق ذيله إلّا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل.

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردّد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرّة بعد أُخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالّذي دخل على الملك وخرج وهو لايدري ما الّذي يقضي به الملك في حقّه من قبول أورد، فلايزال يتردّد على فناء الدار مرّة بعد أُخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى، وليتذكّر عند تردّده بين الصفا والمروة تردّده بين كفّتي الميزان في عرصات القيامة وليمثّل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفّة السيئات و ليتذكّر تردّده بين الكفّتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران.

وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللّغات، واتّباع الفرق أئمّتهم في التردّدات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرتهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمّة واقتفاء كلّ أمّة نبيّها وطمعهم في شفاعتهم وتحيّرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول، و إذا تذكّرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقّق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرّحمة إنّما تصل من حضرة الجلال إلى كافّة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفكّ الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد و طبقات من

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه و ابن عساكر عن جابر و قد مر آنفاً و أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤٥٧ بدون شرط الشيخين و بدون قوله: «كما يصافح الرجل أخاه».

الصالحين وأرباب القلوب ، فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم ، وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ، ويضيع سعيهم ، و يدخر عنهم رحمة تعمرهم ، ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده ، ولذا قال ﷺ : « الحج عرفة »[1] فلا طريق إلى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد » .

أقول : وأما الوقوف بالمشعر فاستحضر أنه قد أقبل عليك مولاك بعد أن كان مدبراً عنك طارداً لك عن بابه ، فأذن لك في دخول حرمه فإن المشعر من جملة الحرم وعرفة خارجة عنه فقد أشرفت على أبواب الرحمة وهبت عليك نسمات الرأفة و كسيت خلع القبول بالإذن في دخول حرم الملك ، وإنما لم يذكره أبو حامد لأنه ليس بفريضة عند العامة حرمهم الله من هذا الركن العظيم .

قال : وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق و العبودية وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل و النفس ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس عليه اللعنة في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة أو فتنة بمعصية فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله ، فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان فإنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه و أنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد و التشمر في الرمي فبه ترغم أنف الشيطان ، و اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان و تقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ النفس و العقل فيه .

و أما ذبح الهدي فاعلم أنه تقرب إلى الله بحكم الامتثال ، وأكمل الهدي

---

(١) رواه احمد والحاكم والبيهقي كلهم عن عبدالرحمن بن يعمر بسند صحيح كما في الجامع الصغير باب الجيم .

و أجزاءه وارج أن يعتق بكلّ جزء منها جزءاً منك من النار ، فهكذا ورد الوعد ، فكلّما كان الهدي أكثر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النّار أعمّ .

وأما زيارة المدينة فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكّر أنّها البلدة الّتي اختارها الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله وجعل إليها هجرته و أنّها داره الّتي فيها شرّع فرائض ربّه و سننه وجاهد عدوّه و ظهر بها دينه إلى أن توفّاه الله ، ثمّ جعل تربته فيها ثمّ مثّل في نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله عند تردّداته فيها و أنّه ما من موضع قدم تطؤه إلّا و هي موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلّا على سكينة و وجل و تذكّر مشيه و تخطّيه في سككها و تصوّر خشوعه وسكينته في المشي و ما استودع الله قلبه من عظيم معرفته و رفعه ذكره حتّى قرنه بذكر نفسه و إحباط عمل من هتك حرمته و لو برفع صوته فوق صوته ، ثمّ تذكّر ما منّ الله به على الّذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته و استماع كلامه و أعظم تأسّفك على ما فاتك من صحبته و صحبة أصحابه ثمّ اذكر أنّه قد فاتتك رؤيته في الدنيا و أنّك من رؤيته في الآخرة على خطر و أنّك ربما لاتراه إلّا بحسرة و قد حيل بينك و بين قبوله إيّاك لسوء عملك كما قال صلى الله عليه وآله : « يرفع إليّ أقوام فيقولون : يا محمّد يا محمّد فأقول : يا ربّ أُصيحابي ، فيقول : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : بعداً و سحقاً »(١) .

أقول : لا يذهب على أهل المعرفة و اللّب معنى الحديث و المراد من الأصحاب وحدثهم ، و ظاهرٌ أنّ الأصحاب لا يطلق على جميع الأُمّة .

قال : « فإن تركت حرمة شريعته و لو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك و بينه بعدولك عن محجّته ، و ليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان و أشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ، و لاحظّ في دنيا بل لمحض محبّتك له و تشوّقك إلى أن تنظر إلى آثاره و إلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر لمجرّد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله إليك بعين الرحمة ،

(١) راجع صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٩ و ١٥٠ باب الحوض من كتاب الدعوات ، و سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٠٥٧ .

فإذا بلغت المسجد فاذكر أنّ فرائض الله تعالى أوّل ما اُقيمت في تلك العرصة و أنّها جمعت أفضل خلق الله حيّاً و ميّتاً فليعظم أملك في الله عزّ و جلّ أن يرحمك بدخولك إيّاه، فادخله خاشعاً معظّماً، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كلّ مؤمن.

و أما زيارة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه و تزوره ميّتاً كما تزوره حيّاً، ولا تقرب من قبره إلّا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيّاً و اعلم أنّه عالم بحضورك و قيامك و زيارتك و أنّه يبلغه سلامك وصلواتك فمثّل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً على اللّحد بإزائك و أحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلام «أنّ الله تعالى و كّل بقبره ملكاً يبلّغه سلام من سلّم عليه من اُمّته»(١) هذا في حقّ من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن و قطع البوادي شوقاً إلى لقائه و اكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرّته الكريمة، و قد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من صلّى عليّ مرّة صلّى الله عليه عشراً»(٢) فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه، ثمّ ائت المنبر و توهّم صعود النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المنبر و مثّل في قلبك طلعته البهيّة قائماً على المنبر و قد أحدق به المهاجرون و الأنصار و هو يحثّهم على طاعة الله بخطبته، وسل الله أن لا يفرّق في القيامة بينك و بينه فهذا وظيفة القلب في أعمال الحجّ.

فإذا فرغ منها كلّها فينبغي أن يلزم قلبه الهمّ و الحزن و الخوف، فإنّه ليس يدري أقبل حجّه واُثبت في زمرة المحبوبين أو ردّ حجّه و اُلحق بالمطرودين، و ليعرف ذلك من قلبه و من أعماله، فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور و انصرافاً إلى الاُنس بالله و وجد أعماله قد اتّزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول، فإنّ الله لا يقبل إلّا ممّن أحبّه و من أحبّه تولّاه و أظهر عليه آثار محبّته، و كفّ عنه سطوة عدوّه إبليس، فإذا ظهر ذلك عليه دلّ على القبول، و إن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظّه من السفر العناء و التعب نعوذ بالله منه».

---

(١) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٤٣ ولفظه «ان الله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام».

(٢) أخرجه النسائي في السنن ج ٣ ص ٥٠ بالفاظ مختلفة.

﴿فصل﴾

أقول : و لنختم الكلام بما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في أسرار الحج و دقائقه تبركاً بكلامه عليه السلام وتشريفاً للختام .

روى فيمصباح الشريعة عنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين أنه قال : « إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب كل حاجب ، و فوض أمورك كلها إلى خالقك و توكل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك و سكناتك و سلم لقضائه و حكمه و قدره ، و دع الدنيا و الراحة و الخلق ، و اخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك و راحلتك و أصحابك وقوتك و شبابك و مالك مخافة أن يصير ذلك عدواً و وبالاً فإن من ادعى رضا الله (١) و اعتمد على ماسواه صيره عليه وبالاً و عدواً ليعلم أنه ليس له قوة و حيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع وأحسن الصحبة ، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و ما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة و إيثار الزاد على دوام الأوقات ، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك ، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع ، وأحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله و يحجبك عن طاعته ، و لب بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى فيدعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى ، و طف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ، وهرول هرولة من هواك و تبرء من حولك و قوتك ، و اخرج من غفلتك و زلاتك بخروجك إلى منى و لا تتمن ما لا يحل لك و لا تستحقه ، واعترف بالخطايا بعرفات ، و جدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته و تقرب إليه ، و اتقه بمزدلفة ، و اصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل ، و اذبح حنجرة الهوى و الطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات و الخساسة و الدناءة و الذميمة عندرمي الجمرات ،

---

(١) كذا و هكذا أيضاً في المصدر وفيه : الظاهر «فان من ابتغى رضى الله» .

و احلق العيوب الظاهرة و الباطنة بحلق شعرك و ادخل في أمان الله و كنفه و ستره و كلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم و دُر حول البيت متحقّقاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله و سلطانه ، واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لعزّته و ودّع ما سواه[1] بطواف الوداع واصف روحك و سرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا و كن بمرأى من الله ، نقيّاً أوصافك عندالمروة ، واستقم على شرط حجّتك هذه ووفاء عهدك الّذي عاهدت به مع ربّك وأوجبته له إلى يوم القيامة ، واعلم بأنّ الله تعالى لم يفرض الحجّ ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى : « ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » و لا شرع نبيّه سنّة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلّا للاستعانة و الإشارة إلى الموت و القبر و البعث و القيامة و فضل بيان السبق من الدّخول في الجنّة أهلها و دخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أوّلها إلى آخرها لأولي الألباب و أُولي النهى »[2].

انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه .

و بانتهائه تمّ و ختم كتاب أسرار الحجّ و مهمّاته من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ، و يتلوه كتاب آداب تلاوة القرآن و الحمد لله أوّلاً و آخراً و ظاهراً و باطناً و صلّى الله على محمّد وآله .

---

(١) في بعض النسخ من المصدر والكتاب [ودع ماسواه] .

(٢) المصدر الباب الحادي والعشرون .

﴿كتاب آداب تلاوة القرآن﴾

و هو الكتاب الثامن من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي امتنّ على عباده بنبيّه المرسل و كتابه المنزل الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه حتّى اتّسع على أهل الافتكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص و الأخبار ، و اتّضح به سلوك المنهج القويم و الصراط المستقيم بما فصّل فيه من الأحكام و فرّق بين الحلال و الحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء الصدور فمن خالفه من الجبابرة قصمه الله ، و من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى ، هو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير، لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه ، ولا يحيط بفوائده عند أهل الفهم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد ، هو الّذي أرشد الأوّلين و الآخرين ، و لمّا سمعه الجنّ لم يلبثوا أن ولّوا إلى قومهم منذرين فقالوا : « إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنّا به [(١)] » فكلّ من آمن به فقد وفّق ، ومن قال به فقد صدق ، و من تمسّك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز ، وقد قال الله تعالى « إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون [(٢)] » و من أسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لابدّ من بيانه وتفصيله و ينكشف مقاصده في أربعة أبواب : الباب الأوّل في فضل القرآن و أهله . الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره .

---

(١) اشارة الى قوله تعالى فى سورة الجن : ٢-٣.

(٢) الحجر : ٩.

﴿ الباب الاول ﴾

✿(في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته)✿

فضيلة القرآن : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « من قرأ القرآن ثمّ رأى أنّ أحداً أُوتي أفضل ممّا أُوتي فقد استصغر ماعظّمه الله (١) » .

وقال صلى الله عليه وآله : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن ، لانبيّ ولاملك ولا غيره (٢) » .

وقال صلى الله عليه وآله : « لوكان القرآن في إهاب مامسّته النّار (٣) » .

وقال صلى الله عليه وآله : « أفضل عبادة أُمّتي قراءة القرآن » (٤) .

وقال صلى الله عليه وآله : « إنّ الله قرأ « طه » و « يس » قبل أن يخلق الخلائق بألف عام ؛ فلمّاسمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأُمّة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف يحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا (٥) » .

وقال صلى الله عليه وآله : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » (٦) .

---

(١) أخرجه الطبراني من حديث عبدالله بن عمر بسند ضعيف كمافي المغني ويأتي عن قريب عن الكافي .

(٢) قال العراقي : رواه عبدالملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا ، و للطبراني من كلام ابن مسعود « القرآن شافع مشفع » و لمسلم من كلام أبي امامة « اقرؤوا القرآن فانه يجيىء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه » .

(٣) رواه الشريف المرتضى في الامالي ج ١ ص ٤٢٦ عن عقبة بن عامر مع بيانه وج ٢ ص ٣٠٩ نحوه ، و أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٣٠ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف كما في المغني .

(٥) أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٥٦ من حديث أبي هريرة .

(٦) أخرجه البخاري ج ٦ ص ٢٣٦ ، والدارمي ج ٢ ص ٤٣٧ ، وابن ماجه تحت رقم ٢١١ ، وبلفظ « أفضلكم » تحت رقم ٢١٢ ، وأخرجه الترمذي ج ١١ ص ٣٢ بلفظيه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « يقول الله : من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود ، لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتّى يفرغ ما بين النّاس منهم رجلٌ قرأ القرآن ابتغاء وجه الله و أمّ به قوماً هم به راضون »(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أهل القرآن أهل الله وخاصّته »(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل : يا رسول الله و ما جلاؤها ؟ فقال : تلاوة القرآن و ذكر الموت »(٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لله أشدّ اذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته »(٥).

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميّين ما خلا النبيّين و المرسلين ، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم ، فإنّ لهم من الله العزيز الجبّار لمكاناً عليّاً »(٦).

---

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ج ١١ ص ٤٦ من حديث أبي سعيد بادنى اختلاف و قال حسن غريب و قال العراقى : أخرجه ابن شاهين بلفظ المصنف .

(٢) أخرجه أحمد والترمذى والطبرانى من حديث ابن عمر باختلاف فى حديثين كما فى الجامع الصغير باب الثاء .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٢١٥ ، والحاكم فى المستدرك ج ١ ص٥٥٦ .

(٤) أخرجه البغوى فى مشكاة المصابيح ص١٨٩ عن البيهقى من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، و صدىء ـ من باب علم و شرف ـ : الحديدة علاه مادة لونها يأخذ من الحمرة والشقرة تتكون على وجه الحديد .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٥٧١ على شرط الشيخين ، والبيهقى فى السنن الكبرى ج ١٠ ص ٢٣٠ . و القينة ـ بالفتح ـ الامة المغنية . و أذنى فقرة من فقر الظهر .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ تحت رقم ١.

و بإسناده عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون، فيقول له: أنا القرآن الّذي كنت أسهرت ليلك، و أظمأت هواجرك، و أجففت ريقك، وأسلت دمعتك، و أؤول معك حيث ما ألت، و كلّ تاجر من وراء تجارته و أنالك اليوم من وراء تجارة كلّ تاجر، وسيأتيك كرامة الله تعالى فأبشر، قال: فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، و يعطى الأمان بيمينه و الخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلّتين، ثمّ يقال له: اقرأ وارق، فكلّما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين ثمّ يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن»(١).

و بإسناده عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: القرآن هدى من الضلال، و تبيانٌ من العمى، واستقالة من العثرة، ونورٌ من الظلمة، وضياء من الأجداث، وعصمة من الهلكة، و رشدٌ من الغواية، وبيان من الفتن، و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحدٌ عن القرآن إلّا إلى النار»(٢).

و بإسناده عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، و قد رأيتم اللّيل والنهار و الشمس والقمر يبليان كلّ جديد، و يقرّبان كلّ بعيد، و يأتيان بكلّ موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز، قال: فقام مقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ فقال: دار بلاغ و انقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّع، و ما حلٌ مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار، و هو الدّليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، و بيان و تحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكم و باطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم، لاتحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣ تحت رقم ٣. والشاحب: المتغير اللون و الجسم لعارض من مرض او سفر ونحوهما. و قوله: «تجارة كل تاجر» لعل المراد انه ان كان لكل تاجر فائدة فلك تلك الفائدة مع أني كنت لك من ورائها. واستعار اليمين والشمال للملكية لان القبض والاخذ بهما.

(٢) المصدر ص ٦٠٠ تحت رقم ٨ في حديث.

ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص»(١).

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثمّ أمّتي، ثمّ أسألهم مافعلتم بكتاب الله وأهل بيتي»(٢).

وحديث الثقلين المتّفق عليه بين الفريقين مشهور وقد مرّ ذكره بألفاظه المختلفة في كتاب قواعد العقائد(٣).

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أحقّ الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن، وإنّ أحقّ الناس في السرّ والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن، ثمّ نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ولا تعزّز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزيّنك الله به، ولاتزيّن به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنّما أدرجت النبوّة بين جنبيه، ولكنّه لا يوحى إليه، ومن جمع القرآن فنوله(٤) لا يجهل مع من يجهل عليه، ولا يغضب فيمن يغضب عليه، ولايحدّ فيمن يحدّ ولكنّه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن، ومن أوتي القرآن فظنّ أنّ أحداً من الناس أوتي أفضل ممّا أوتي فقد عظّم ما حقّر الله وحقّر ما عظّم الله»(٥).

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٩٨ رقم ٢ وقوله: «شافع مشفع» أي مقبول الشفاعة، ويقال: محل به اذا سعى به الى السلطان وهو ماحل. والانق: الفرح والسرور، وأنق -بالكسر- يأنق: الشيء أحبه، وأنيق أي حسن معجب، وقوله: «له تخوم» في بعض النسخ من الكافي [له نجوم]. وقوله: «دليل على المعرفة» أي لمن عرف كيفية التعرف واشارات القرآن ونكات بيانه وعلم معاريضه. والعطب: الهلاك. والتربص: الانتظار.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٤.

(٣) المجلد الاول ص ١٩٣.

(٤) من قولهم: «نولك أن تفعل كذا» أي حقك وينبغي لك وأصله من التناول.

(٥) الكافي ج ٢ ص٦٠٤ تحت رقم ٥.

و باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، و من قرأمائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ، و من قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من برّ ، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب ، و المثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرها مثل جبل اُحد و أكبرها ما بين السماء والأرض » (١).

و باسناده عن سعد الأسكاف قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اُعطيت السور الطول مكان التوراة ، و اُعطيت المئين مكان الانجيل ، واُعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضّلت بالمفصّل ثمان و ستّون سورة ، و هو مهيمن على سائر الكتب ، فالتوراة لموسى ، والانجيل لعيسى ، والزبور لداود عليهم السلام » (٢).

وفي نهج البلاغة(٣) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام « ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفؤ مصابيحه ، و سراجاً لا يخبو توقّده ، و بحراً لا يدرك قعره ، و منهاجاً لا يضلّ نهجه ، و شعاعاً لا يظلم نوره (٤) ، و فرقاناً لا يخمد برهانه ، و بنياناً لا تهدم أركانه ، و شفاء لا تخشى أسقامه ، و عزّاً لا تهزم أنصاره ، و حقّاً لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الايمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل و غدرانه ، وأثافيّ الاسلام (٥) و بنيانه ، وأودية الحقّ و غيطانه ، وبحرٌ لا ينزفه المستنزفون ، و عيون لا ينضبها

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١٢ تحت رقم ٥ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠١ رقم ١٠ ، والسور الطول - كصرد - هي السبع الاول بعد الفاتحة على أن تعد الانفال والبراءة واحدة لنزولهما جميعاً في مغازى النبي صلى الله عليه وآله وتدعيان قرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة أو السابعة سورة يونس ، والمثاني هي السبع التي بعد هذه السبع سميت بها لانها ثنتها واحدها مثنى مثل معاني ومعنى وقد تطلق المثاني على سور القرآن كلها طوالها وقصارها وأما المئون فهي من بني اسرائيل الى سبع سور سميت بها لان كلا منها على نحو من مائة آية كذا في بعض التفاسير .

(٣) خطبة ١٩٦ . (٤) في بعض نسخ النهج [ضوؤه] .

(٥) غدران جمع الغدير ، والاثافي - بالتشديد جمع اثفية - بالضم وبالكسر - : الحجر يوضع عليه القدر .

الماتحون، و مناهل لا يغيضها الواردون[١]، و منازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لايعمى عنها السائرون، وآكام لايجوز عنها القاصدون، جعله الله تعالى ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً ممرعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطرق الصلحاء[٢]، ودواء ليس بعده داء، و نوراً ليس معه ظلمة، و حبلاً وثيقاً عروته، و معقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله وهدى لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، و برهاناً لمن تكلّم به، و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاجّ به، و حاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، و آية لمن توسّم، و جُنّة لمن استلأم[٣]، و علماً لمن وعى، و حديثاً لمن روى، و حكماً لمن قضى».

و في الكافي باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في وصيّة أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه «اعلموا أنّ القرآن هدى النهار ونورالليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة»[٤].

و باسناده عن الزهري قال: سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: «آيات القرآن خزائن العلم فكلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»[٥].

و باسناده عنه قال: «قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: لومات من بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي؛ وكان عليه السلام إذا قرأ ملك يوم الدّين يكرّرها حتّى كاد أن يموت»[٦].

وباسناده عنه قال: «قلت لعليّ بن الحسين عليهما السلام: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: الحالّ المرتحل، قلت: و ما الحالّ المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه، كلّما جاء بأوّله ارتحل في آخره»[٧].

و باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يجيىء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور

(١) الغوط والغاط والغوطة: المطمئن من الارض والجمع غياط وغيطان. ونضب أى نزح، والماتح: المستقى من البئر بالدلو من أعلى البئر. ولايغيضها أى لاينقصها. والاكام جمع اكم وهو جمع أكمة وهى التل.

(٢) أمرع المكان: أخصب. والمحاج: جمع محجة.

(٣) استلأم أى لبس اللأمة وهى الدرع أوجميع أدوات الحرب.

(٤) المصدر ج ٢ ص ٦٠٠ تحت رقم ٦. (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩.

(٦) المصدر ج ٢ ص ٦٠٢. (٧) المصدر ج ٢ ص ٦٠٥.

إليه صورة، فيمرّ بالمسلمين فيقولون: هذا رجل منّا، فيجاوزهم إلى النبيّين فيقولون: هو منّا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقرّبين، فيقولون: هو منّا، حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة عزّ و جلّ فيقول: يا ربّ فلان بن فلان أظمأتُ هواجره و أسهرتُ ليله في دار الدنيا، و فلان بن فلان لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تعالى: أدخلهم الجنّة على منازلهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن: اقرأ وارقه، قال: فيقرأ و يرقى حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزلته الّتي هي له فينزلها» (١)

و بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، و ديوان فيه السيّئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامّة الحسنات و يبقى ديوان السيّئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا ربّ أنا القرآن و هذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، و يطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني، قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدي ابسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار، و يملأ شماله من رحمة الله، ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد، فإذا قرأ آية صعد درجة» (٢).

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة» (٣).

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «إنّ العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه، و هو الصادق البارّ، فيه خبركم، و خبر من قبلكم، و خبر من بعدكم، و خبر السماء و الأرض، و لو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم» (٤).

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتّى يتعلّم القرآن أو أن يكون في تعلّمه» (٥).

وبإسناده عنه عليه السلام أنّه قال: «إنّ الّذي يعالج القرآن و يحفظه بمشقّة منه

---

(١) في المصدر ج ٢ ص ٦٠١ عن ابي عبدالله عليه السلام.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٢. (٣) المصدر ج ٢ ص ٦٠٣.

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٩٩. (٥) المصدر ج ٢ ص ٦٠٧.

وقلّة تحفّظ له أجران »(١).

وبإسناده عنه عليه السلام « من نسي سورة من القرآن مثّلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنّة، فإذا رآها قال: من أنت ما أحسنك، ليتك لي؟ فتقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا ولو لم تنسني لرفعتك إلى هذا »(٢).

وبإسناده عنه عليه السلام قال: « من قرأ القرآن فهو الغنى ولا فقر بعده وإلّا ما به غنى »(٣).

وبإسناده عن حفص بن غياث قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل: « أتحبّ البقاء في الدنيا؟ فقال: نعم فقال: ولم؟ قال: لقراءة « قل هو الله أحد » فسكت عنه، فقال لي بعد ساعة: ياحفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علّم في قبره ليرفع الله به من درجته فإنّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن يقال له: اقرأ وارق، فيقرأ ثمّ يرقى، ثمّ قال حفص: ما رأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام ولا أرجى الناس منه، وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ فكأنّما يخاطب إنساناً »(٤).

﴿ في ذم تلاوة الغافلين ﴾

أقول: روى في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « اقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنّه سيجيء بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرّهبانيّة لايجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم »(٥).

وبإسناده عنه عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى: « ورتّل القرآن ترتيلاً » قال: « قال أمير المؤمنين عليه السلام: تبيّنه تبياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة »(٦).

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٦ . (٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٧ .
(٣) المصدر ج ٢ ص ٦٠٥ . (٤) المصدر ج ٢ ص ٦٠٦ .
(٥) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ .
(٦) المصدر ج ٢ ص٦١٤ والاية في سورة المزمل: ٤ . وهذّه هذاً: قطعه سريعاً او قطعه مطلقاً . وهذّ الحديث: سرده .

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة و استدرّ به الملوك، و استطال به على الناس، و رجل قرأ القرآن فحفظ حروفه و ضيّع حدوده و أقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، و رجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره و قام به في مساجده وتجافى به عن فراشه، فبأُولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلايا، و بأُولئك يديل الله من الأعداء، و بأُولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»(١).

و بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ من الناس من يقرأ القرآن ليقال: فلان قارىء، و منهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولاخير في ذلك، و منهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته و ليله ونهاره»(٢).

و في الأثر «ربّ تال القرآن والقرآن يلعنه»(٣).

قال أبو حامد: «وقال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، و بحزنه إذا الناس يفرحون، و ببكائه إذا النّاس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليّناً(٤) ولا ينبغي أن يكون جافياً و لا ممارياً و لا صيّاحاً ولاصخّاباً ولا حديداً.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر منافقي هذه الأمّة قرّاؤها»(٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه»(٦).

---

(١) الكافي ج٢ ص ٦٢٧.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ في حديث.

(٣) ما عثرت عليه الا من قول انس بن مالك.

(٤) في بعض النسخ [أن يكون سكيتاً ليناً].

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥١ و١٥٥. ورواه الطبراني والبيهقي كما في الجامع الصغير باب الالف.

(٦) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر كما في الجامع الصغير.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه » (١).

و قال بعض السلف : إنّ العبد ليفتتح سورة فتصلّي عليه حتّى يفرغ منها و إنّ العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتّى يفرغ منها ، فقيل : كيف ذلك ؟ قال : إذا أحلّ حلالها و حرّم حرامها صلّت عليه و إلّا لعنته .

و قال بعض العلماء : إنّ العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه و هو لا يعلم يقرأ «ألا لعنة الله على الظالمين » وهو ظالم نفسه ، « ألا لعنة الله على الكاذبين » وهو منهم .

و في التوراة : « يا عبدي أمّا تستحيي منّي يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق و تقعد لأجله و تقرأه و تتدبّره حرفاً حرفاً حتّى لا يفوتك منه شيء ، وهذا كتابي أنزلته إليك اُنظر كم وصلت لك فيه من القول ؟ و كم كرّرت عليك فيه لتتأمّل طوله و عرضه ؟ ثمّ أنت معرض عنه ، أفكنتُ أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي ، يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكلّ وجهك وتصغي إلى حديثه بكلّ قلبك ، فإن تكلّم متكلّم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ وها أنا ذا مقبلٌ عليك و محدّث لك وأنت معرض بقلبك عنّي ، فجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك » .

﴿ الباب الثانى ﴾

(فى آداب ظاهر التلاوة وهى عشرة)

الأوّل في حال القاري، و هو أن يكون على الوضوء ، واقفاً على هيئة الادب و السكون ، إمّا قائماً وإمّا جالساً مستقبل القبلة ، مُطرقاً رأسه ، غير متربّع ولامتكىء ولا جالس على هيئة التكبّر ، و يكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي اُستاده ، وأفضل الأحوال أن يقرأه في الصلاة قائماً ، و أن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال » .

أقول : بل الأفضل أن يقرأه في بيته لأنّه أبعد من الرياء ، و لما رواه في الكافي عن ليث بن أبي سليم رفعه قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ج ١١ ص ٤٠ ، والبغوى فى المصابيح ج ١ ص ١٤٥ .

و لا تتّخذوها قبوراً كما فعلت اليهود و النصارى ، صلّوا في الكنائس و البيع ، و عطّلوا بيوتهم فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتّسع أهله ، وأضاء لأهل السماء كما يضيء نجوم السماء لأهل الدنيا »(١).

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يتراءاه أهل السماء كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدرّيّ في السماء »(٢).

و عنه عليه السلام قال : «قال أمير المؤمنين عليه السلام : البيت الّذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته و تحضره الملائكة و تهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكواكب لأهل الأرض ، وإنّ البيت الّذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته و تهجره الملائكة و تحضره الشياطين »(٣).

و في عدّة الدّاعي عن الرضا عليه السلام يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال : « اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن فإنّ البيت إذا قرىء فيه القرآن يسّر على أهله و كثر خيره و كان سكّانه في زيادة ، و إذا لم يقرأ فيه القرآن ضيّق على أهله و قلّ خيره و كان سكّانه في نقصان »(٤).

قال أبو حامد : « و إن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنّه دون ذلك ، قال الله تعالى : « الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم »(٥) فأثنى على الكلّ ولكن قدّم القيام في الذكر ، ثمّ القعود ، ثمّ الذكر مضطجعاً .

قال عليّ عليه السلام : « من قرأ القرآن و هو قائم في الصلاة كان له بكلّ حرف مائة حسنة و من قرأ و هو جالس في الصلاة فله بكلّ حرف خمسون حسنة ، و من قرأ في غير صلاة و هو على وضوء فخمس و عشرون حسنة(٦) و من قرأ على غير وضوء فعشر

---

(١) الى (٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٠ رقم ١ الى ٣ . والكنائس جمع كنيسة وهي معبد اليهود والنصارى والكفار . والبيع - بكسر الموحدة و تحريك المثناة - جمع بيعة وهي معبد النصارى .

(٤) المصدر ص ٢١١ .

(٥) آل عمران : ١٩١ .

(٦) الى هنا رواه الكليني عن أبي جعفر عليه السلام كما يأتي في كلام المؤلف .

حسنات و ما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب».

قال أبوذر الغفاري - رضي الله عنه - : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل».

أقول: «و من طريق الخاصة ما رواه في الكافي [1] عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ في صلاته جالساً كتب له بكل حرف خمسون حسنة، و من قرأه في غير صلاة كتب له بكل حرف عشر حسنات».

و عن بشر بن غالب الأسدي، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: «من قرأ آية من كتاب الله في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإن قرأها في غير صلاة كتب له بكل حرف عشر حسنات، فإن استمع القرآن كتب له بكل حرف حسنة فإن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي وكانت له دعوة مجابة [2]، وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض قلت: هذا لمن قرأ القرآن، فمن لم يقرأ؟ قال: يا أخابني أسد إن الله جواد ماجد كريم إذا قرأ ماممه أعطاه الله ذلك» [3].

و عن محمد بن بشير عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: و قد روي هذا الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له به حسنة و محا عنه سيئة و رفع له درجة، و من قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكل حرف حسنة و محا عنه سيئة و رفع له درجة، و من تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات، و محا عنه عشر سيئات، و رفع له عشر درجات، قال: لا أقول: بكل آية ولكن بكل حرف باء أو تاء أو شبههما، قال: ومن قرأ حرفاً ظاهراً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة، ومحا عنه خمسين سيئة، ورفع له خمسين درجة، و من قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له [بكل حرف] مائة حسنة، و محا عنه مائة سيئة، و رفع

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١١.
(٢) لعل المراد بختمه ليلا ونهاراً فراغه منه فيهما وأما الدعوة المجابة فانما يترتب على ختمه كما في الوافي.
(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١١.

له مائة درجة ، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة ، قال : قلت : جعلت فداك ختمه كلّه ؟ قال : ختمه كلّه »(١).

الثاني في مقدار القراءة أقول : و لنعرض عمّا ذكره أبو حامد في ذلك نقلاً عن عادات أصحابه من الختم في اليوم و اللّيلة مرّة أو مرّتين أو ثلاثاً فإنّه مبالغة في الاستكثار و خروج عن طريقة العقل و النقل عن أهل البيت عليهم السلام ، و روى هو عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث لم يفقهه »(٢) ثمّ استحبّ الختم في الأسبوع مرّتين أو مرّة .

و في الكافي بإسناده عن محمّد بن عبدالله «قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أقرء القرآن في ليلة ؟ قال : لا يعجبني أن تقرأه في أقلّ من شهر »(٣).

و عن عليّ بن أبي حمزة « قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له أبو بصير : جعلت فداك أقرء القرآن في شهر رمضان في ليلة ؟ فقال : لا ، قال : ففي ليلتين ؟ قال : لا ، قال : ففي ثلاث ؟ قال : ها - و أشار بيده - ثمّ قال : يا أبا محمّد إنّ لرمضان حقّاً و حرمة ولا يشبهه شيءٌ من الشهور(٤) و كان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يقرء أحدهم القرآن في شهر أو أقلّ ، إنّ القرآن لا يقرء هذرمة(٥) ولكن ترتّل ترتيلاً ، و إذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فقف عندها و اسأل الله تعالى الجنّة ، و إذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها و تعوّذ بالله من النار »(٦).

و عن حسين بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام « قال : قلت له : في كم أقرء القرآن ؟ فقال : اقرأه أخماساً ، اقرأه أسباعاً ، أما إنّ عندي مصحفاً مجزّى أربعة عشر جزءاً »(٧).

---

(١) المصدر ج٢ ص ٦١٢ تحت رقم ٦ .

(٢) أخرجه الترمذى فى الصحيح ج١١ ص ٦٥ وابن ماجه تحت رقم ١٣٤٧ من ابن عمر بتقديم وتأخير .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٧ .

(٤) علل عليه السلام فى الثلاث فى شهر رمضان بحق الشهر وحرمته واختصاصه بين الشهور.

(٥) الهذرمة : السرعة فى القراءة .

(٦) و(٧) المصدر ج ٢ ص ٦١٧ .

أقول: و ينبغي لمن كان من العابدين السالكين بطريق العمل أن يأخذ بالاسبوع كما في هذا الحديث، و لمن كان من السالكين بأعمال القلب و ضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم أن يأخذ بالشهر كما في الحديثين الأوّلين، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي بأقلّ من ذلك لحاجته إلى كثرة الترديد والتأمّل فيأخذ بما ورد أنّه ينبغي أن يُقرأ منه في كلّ يوم خمسون آية وهو أقلّ ما يقرأ.

فقد روى في الكافي بإسناد حسن عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده و أن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية»(١).

الثالث في وجه القسمة أمّا من ختم بالاسبوع مرّة فيقسّم القرآن بسبعة أحزاب فقد حزّب الصحابة القرآن أحزاباً، فروي أنّ بعضهم كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، و ليلة الأحد بيوسف إلى مريم، و ليلة الاثنين بطه إلى القصص، وليلة الثلثاء بالعنكبوت إلى ص، و ليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس.

و كان ابن مسعود يقسّم سبعة أقسام لا على هذا الترتيب، و قيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأوّل ثلاث سور، و الحزب الثاني خمس سور، و الحزب الثالث سبع سور، و الحزب الرابع تسع سور، و الخامس إحدى عشرة سورة، و السادس ثلاث عشرة سورة، و السابع المفصّل من ق فهكذا حزّبه الصحابة و كانوا يقرؤونه كذلك و فيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله و هذا قبل أن تعمل الأخماس و الأعشار و الأجزاء فما سوى هذا فهو محدث.

الرابع في الكتبة يستحبّ تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة و غيرها فإنّه تزيين و تبيين و صدٌّ عن اللّحن و الخطأ لمن يقرأه و قد كان بعضهم ينكر الأخماس و العواشر والأجزاء، ومنهم من أنكر النقط بالحمرة وأخذ الأجر على ذلك وكانوا يقولون: جرّدوا القرآن؛ و الظنّ بهؤلاء أنّهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩.

من أن يؤدّي إلى إحداث زيادات، وحسماً للباب، و شوقاً إلى حراسة القرآن عمّا يطرّق إليه تغييراً، و إذا لم يؤدّ إلى محذور واستقرّ الأمر فيه على ما يحصل به من مزيد معرفة فلا بأس به، و بعضهم كان يقول: أقرأ من المصحف المنقوط و لا أنقطه بنفسي.

و قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرّداً في المصاحف فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا: لا بأس به فإنّه نورله، ثمّ أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا: لا بأس به يعرف به رأس الآية، ثمّ أحدثوا بعد ذلك الخواتيم و الفواتح.

و قيل: إنّ الحجّاج هو الّذي أحدث ذلك و أحضر القرّاء حتّى عدّوا كلمات القرآن و حروفه و سوّوا أجزاءه و قسّموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر».

أقول: روى في الكافي بإسناده عن محمّد بن الورّاق قال: عرضت على أبي عبد الله عليه السلام كتاباً فيه قرآن مختّم معشّر بالذّهب و كتبت في آخره سورة بالذّهب فأريته إيّاه فلم يعب فيه شيئاً إلّا كتابة القرآن بالذّهب، و قال: لا يعجبني أن يكتب القرآن إلّا بالسواد كما كتب أوّل مرّة»(١).

و عن داود بن سرحان عنه عليه السلام قال: «ليس بتحلية المصاحف و السيوف بالذهب و الفضّة بأس»(٢).

«الخامس الترتيل هو المستحبّ في هيئة القراءة لأنّا سنبيّن أنّ المقصود من القراءة التفكّر، و الترتيل يعين عليه و لذلك نعتت أمّ سلمة قراءة رسول الله صلّى الله عليه وآله فإذا هي تنعت قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً(٣).

و قال ابن عبّاس: لأن أقرأ البقرة و آل عمران أرتّلهما و أتدبّرهما أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه هذرمة».

أقول: وقد مرّ في ذلك حديث عن أهل البيت عليهم السلام وفي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٢٩.

(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٧٥.

(٣) أخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٣٨، و راجع سنن الترمذي ج ١١ ص ٤٣ أبواب فضائل القرآن و٤٨ أبواب القراءات، وتفسير المجمع ج ١٠ ص ٣٧٨.

قال: «أعرب القرآن فإنّه عربيٌ»[١].

و في القرآن المجيد «ورتّل القرآن ترتيلاً»[٢] والترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفسّر الأوّل بالوقف التامّ والحسن، والثاني بالإتيان بصفاتها المعتبرة من الجهر والهمس والإطباق والاستعلاء وغيرها.

و في رواية أُخرى عنه عليه السلام في معنى الترتيل «بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرّمل ولكن أفزع به القلوب القاسية، و لا يكون: همّ أحدكم آخر السورة»[٣].

قيل: أي اقرء متفكّراً على هنيئتك كما قيل: إنّه يكون بحيث لو أراد السامع عدّ حروف الكلمات يعدّه، كما روي في قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

و عن أبي عبد الله عليه السلام «هو أن تمكث وتحسّن به صوتك»[٥].

قال أبو حامد: «واعلم أنّ الترتيل مستحبٌ لا لمجرّد التدبّر فإنّ العجميّ الّذي لا يفهم معنى القرآن يستحبُّ له أيضاً في القراءة الترتيل و التؤدة[٦] لأنّ ذلك أقرب إلى التوقير و الاحترام، و أشدُّ تأثيراً في القلب من الهذرمة و الاستعجال.

السادس البكاء مستحبٌ مع القراءة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اُتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»[٧].

و قال صالح المرى[٨]: قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: يا صالح هذه القراءة أين البكاء؟.

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٦١٥. (٢) المزمل: ٤.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٤. والهذ سرعة القراءة أى لاتسرع فيه كما تسرع فى قراءة الشعر ولاتفرق كلماته بحيث لاتكاد تجتمع كنذرات الرمل. وقد يقرء «اقرع به».

(٤) مر آنفاً من حديث أم سلمة عن الترمذى وأبى داود ورواه النسائى أيضاً.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨.

(٦) التؤدة ـ بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها ـ: الرزانة والتأنى.

(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٩٦ من حديث سعد بن أبى وقاص دون قوله: «اتلوا القرآن».

(٨) أحد زهاد البصرة وهو ضعيف متروك كما قاله الذهبى.

و قال ابن عبّاس : إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتّى تبكوا فإن لم تبك عين أحد كم فيبك قلبه .

و إنّما طريق تكلّف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء .

قال صلى الله عليه وآله : « إنّ القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا » (١) .

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرؤوه بالحزن » (٢) .

و فيه عنه عليه السلام : « إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران إذا وقفت بين يدي فقف موقف الذليل الفقير ، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوت حزين » (٣) .

قال أبو حامد : « و وجه إحضار الحزن أن يتأمّل ما فيه من التهديد والوعيد والوثايق والعهود ، ثمّ يتأمّل تقصيره في أوامره و زواجره فيحزن له لا محالة و يبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن و البكاء ، فإنّ ذلك أعظم المصائب .

السابع أن يراعي حقّ الآيات فإذا مرّ بآية سجود سجد و كذلك إذا سمع من غيره » .

أقول : في القرآن خمس عشرة سجدة أربع منها واجبة تسمّى بالعزائم و البواقي مستحبّة و في الحجّ سجدتان ، و أقلّه أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، و أكمله أن يراعي شرائط سجود الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب و البدن من الخبث و الحدث و أن يكبّر ويسجد على الأعضاء السبعة و يدعو في سجوده و يكبّر عند الرفع منه ، و وقته عند التلفّظ بموجبه (٤) و هو فوريّ ولا يسقط بالتأخير ، وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام « أنّه سئل عن الرجل يقرأ السجدة فينساها حتّى يركع و يسجد ؟

---

(١) قال العراقى : أخرجه أبويعلى وابونعيم فى الحلية من حديث ابن عمر .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦١٤ تحت رقم ٢ .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٦١٥ تحت رقم ٦ .

(٤) و الموجب مجموع الاية ولايجب بقراءة بعضها .

قال : يسجد إذا ذكر إذا كانت من العزائم »(١).

و فيه عنه عليه السلام « إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده « سجدت لك تعبّداً و رقّاً ، لا مستكبراً عن عبادتك ولا مستنكفاً و لا متعظّماً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير »(٢).

قال أبو حامد : « و يدعو في سجوده بما يليق بالآية الّتي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى : « خرّوا سجّداً وسبّحوا بحمد ربّهم وهم لايستكبرون » فيقول : « اللّهمّ اجعلني من الساجدين لوجهك المسبّحين بحمدك و أعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك » و إذا قرأ قوله : « و يخرّون للأذقان يبكون و يزيدهم خشوعاً » فليقل : « اللّهمّ اجعلني من الباكين الخاشعين لك » و كذلك في كلّ سجدة .

الثامن أن يقول في مبدأ قراءته : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرّجيم ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين و أعوذ بك ربّ أن يحضرون » و ليقرء « قل أعوذ بربّ الناس » و سورة الحمد وليقل عند فراغه من كلّ سورة : « صدق الله تعالى و بلّغ رسوله الكريم ، اللّهمّ انفعنا به و بارك لنا فيه ، الحمدلله ربّ العالمين ، وأستغفرالله الحيّ القيّوم » و في أثناء القراءة إذا مرّ بآية تسبيح وتكبير سبّح و كبّر ، و إن مرّ بآية دعاء و استغفار دعا و استغفر ، و إنّ مرّ بمرجوّ سأل ، و إن مرّ بمخوف استعاذ ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله ، نعوذ بالله ، اللّهمّ ارزقنا ، اللّهمّ ارحمنا ، قال حذيفة : صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابتدأ سورة البقرة وكان لا يمرّ بآية عذاب إلّا استعاذ و لا بآية رحمة إلّا سأل و لا بآية تنزيه إلّا سبّح فإذا فرغ قال : ما كان يقوله صلوات الله عليه عند ختم القرآن « اللّهمّ ارحمني بالقرآن و اجعله لي إماماً و نوراً وهدى و رحمة ، اللّهمّ ذكّرني منه ما نسيت ، وعلّمني منه ما جهلت ، و ارزقني تلاوته آناء اللّيل و النهار ، و اجعله حجّة لي يا ربّ العالمين »(٣) .

---

(١) رواه البزنطي في نوادره كما في مستطرفات السرائر وأيضاً في التهذيب ج١ ص٢١٩ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٢٨ تحت رقم ٢٣ .

(٣) روى صدره أحمد وابويعلى كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ٢٧٢ و قال العراقي : رواه ابومنصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وابوبكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق ابي ذر الهروي من رواية داود بن قيس مفصلا .

أقول : وإن اقتصر في الإبتداء بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى امتثالاً لقوله عزّ وجلّ : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (١) قيل : هو تطهير للّسان عمّا جرى عليه من ذكر غير الله ليستعدّ لذكر الله وكنس لحجرة القلب من تلوّث الوسوسة لينزل فيها سلطان المعرفة وينبغي استشعار ذلك حال الاستعاذة .

وعن الصادق عليه السلام : « إذا أخذت المصحف للقراءة فقل : « اللّهمّ إنّي اُشهدك أنّ هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمّد بن عبدالله وكلامك الناطق على لسان نبيّك جعلته هادياً منك إلى خلقك ، وحبلاً متّصلاً فيما بينك وبين عبادك ، اللّهمّ إنّي نشرت عهدك وكتابك ، اللّهمّ فاجعل نظري فيه عبادة وقراءتي فيه ذكراً وفكري فيه اعتباراً واجعلني ممّن اتّعظ ببيان مواعظك فيه وأجتنب معاصيك ، ولا تطبع عند قراءتي على قلبي ولا على سمعي ، ولا تجعل على بصري غشاوة ، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبّر فيها بل اجعلني أتدبّر آياته وأحكامه آخذاً بشرائع دينك ، ولا تجعل نظري فيه غفلة ولاقراءتي هذراً إنّك أنت الرؤوف الرحيم » (٢)

وقد روي للفراغ أنّه يقول : « اللّهمّ إنّي قد قرأت ما قضيت من كتابك الّذي أنزلته على نبيّك الصادق صلّى الله عليه وآله وسلّم فلك الحمد ربّنا ، اللّهمّ اجعلني ممّن يحلّ حلاله ، ويحرّم حرامه ، ويؤمن بمحكمه ومتشابهه واجعله اُنساً في قبري واُنساً في حشري واجعلني ممّن ترقيه بكلّ آية درجة في أعلى علّيّين آمين ربّ العالمين » (٣) .

وعنه عليه السلام « إذا مرّ بـ «يا أيّها الناس» ، « يا أيّها الّذين آمنوا» قال : لبّيك ربّنا ، وإذا ختم سورة الشمس قال : صدق الله وصدق رسوله ، وإذا قرأ : « الله خير أمّا يشركون» قال : الله خير الله أكبر ، وإذا قرأ « ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون » قال : كذب العادلون بالله وإذا قرأ الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ـ الآية ـ » كبّر ثلاثاً وإذا فرغ من الإخلاص قال : « كذلك الله ربّي » .

وروي عند قوله تعالى « فمن يأتيكم بماء معين » الله ربّنا ، وعند قوله : « أليس

---

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) و (٣) رواه المفيد ـ رحمه الله ـ في الاختصاص ص ١٤١ .

ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » سبحانك بلى ، وعند قوله : « أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » بل أنت الله الخالق ، و عند « أم نحن الزارعون » بل أنت الله الزارع ، وعند « أم نحن المنشئون » بل أنت الله المنشىء ، و عند قوله عزّ وجلّ : « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » لا بشيء من آلائك ربّ أُكذّب ، إلى غير ذلك ، والظاهر انسحابه إلى كلّ ما يناسب [(١)].

و لختم القرآن دعوات مشهورة أحسنها و أتمّها ما في الصحيفة السجّادية على مصدرها الصلاة والسلام [(٢)].

التاسع في الجهر بالقراءة ؛ ولا شكّ في أنّه لابدّ و أن يجهر به إلى حدّ يسمع نفسه وأمّا الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوبٌ على وجه ومكروه على وجه آخر ، ويدلّ على استحباب الإسرار ماروي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فضل قراءة السرّ على قراءة العلانية كفضل صدقة السرّ على صدقة العلانية » [(٣)] و في لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة و المسرّ به كالمسرّ بالصدقة » [(٤)].

وفي الخبر العام « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفاً » [(٥)] و كذلك قوله : « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي » [(٦)].

---

(١) راجع الكافي ج ١ ص١٩ ، التهذيب ج ١ ص ١٧١، وص ٢٢١، و ص٢٤٧ . و ثواب الاعمال أيضاً . وانسحب اى انجر .

(٢) الدعاء الثاني والاربعون أوله « اللهم صل على محمد وآله و أفرشني مهاد كرامتك » .

(٣) ماعثرت عليه بهذا اللفظ .

(٤) أخرجه ابو داود ج ١ ص ٣٠٦ و أيضاً الترمذى ج١١ ص٤١ وقال : حسن غريب ورواه الطبراني في الكبير من طريقين بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص٢٦٦ .

(٥) اخرجه البيهقي في الشعب كما في المغنى وراجع وسائل الشيعة باب استحباب العبادة في السر واختيار ها على العبادة في العلانية من ابواب مقدمة العبادات .

(٦) أخرجه احمد وابن حبان والبيهقي عن سعد بن أبي قاص بسند صحيح كما في الجامع الصغير باب الخاء

وفي الخبر « لايجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء »[١] وسمع سعيد بن المسيّب ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته و كان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلّي فمره بأن يخفض من صوته ، فقال الغلام : إنّ المسجد ليس لنا وللرّجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته و قال : يا أيّها المصلّي إن كنت تريد الله عزّ وجلّ بصلاتك فاخفض صوتك و إن كنت تريدالناس فإنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر ، و خفّف ركعته فلمّا سلّم أخذ نعليه و انصرف وهو يومئذ أمير المدينة .

و يدلّ على استحباب الجهر ما روي أنّه ﷺ سمع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة اللّيل فصوّب ذلك[٢] ، و قد قال ﷺ : « إذا قام أحدكم من اللّيل يصلّي فليجهر بقراءته فإنّ الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلّون بصلاته »[٣] فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أنّ الاسرار أبعد عن الرياء والتصنّع فهو أفضل في حقّ من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف و لم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلّ آخر فالجهر أفضل لأنّ العمل فيه أكثر و لأنّ فائدته تتعلّق أيضاً بغيره و الخير المتعدّي أفضل من اللازم ، و لأنّه يوقظ قلب القاري و يجمع همّه إلى الفكر فيه و يصرف إليه سمعه ، ولأنّه يطرد النوم برفع الصوت ، ولأنّه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلّل من كسله ، ولأنّه يرجو بجهره تيقّظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ، ولأنّه قد يراه بطّال غافل فينشط بسبب نشاطه و يشتاق إلى الخدمة ، فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل و إن اجتمعت هذه النيّات يضاعف الأجر و بكثرة النيّات يزكو عمل الأبرار و يتضاعف اُجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيّات كان فيه عشرة اُجور ولهذا نقول : قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد عمل البصر وتأمّل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل : الختمة من المصحف بسبع لأنّ النظر في المصحف أيضاً عبادة وكان كثير

---

(١) أخرجه أبو داود ج١ص٣٠٦ بدون ذكر المغرب والعشاء ورواه أحمد وابو يعلى بلفظ آخر كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ٢٦٥ . (٢) أخرجه ابوداود ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير في حديث كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص٢٦٦ .

من الصحابة يقرؤون من المصحف و يكرهون أن يخرج يوم و لم ينظروا في المصحف » .

اقول : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « أُعطوا أعينكم حظّها من العبادة ، قالوا : وما حظّها من العبادة يا رسول الله ؟ قال : النظر في المصحف والتفكّر فيه والاعتبار عند عجائبه » (١) .

وروى العلّامة الطوسي ـ رحمه الله ـ في آدابه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : « أفضل عبادة أُمّتي تلاوة القرآن نظراً » (٢) .

و في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من قرأ القرآن في المصحف متّع ببصره و خفّف عن والديه وإن كانا كافرين » (٣) .

و بإسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : « جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرؤه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف ؟ قال : فقال : بل اقرء وانظر في المصحف فهو أفضل ، أما علمت أن النظر في المصحف عباده » (٤) .

والأولى أن يجعل النظر في المصحف أدباً آخر من آداب التلاوة .

« العاشر تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغيّر النظم فذلك سنّة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « زيّنوا القرآن بأصواتكم » (٥) .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » (٦) وقال : « ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن » (٧) فقيل : أراد به الاستغناء و قيل : أراد به الترنّم وترديد الألحان و هو أقرب عند أهل اللّغة .

وروي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم استمع ذات ليلة إلى عبدالله بن مسعود ثمّ قال : « من أراد أن

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي سعيد كما في الجامع الصغير .

(٢) ص ١٥١ من كتاب آداب المتعلمين طبعه الملحق بشرح الباب الحادي عشر .

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٦١٣ تحت رقم ١ و ٣ .

(٥) أخرجه الدارمي ج ٢ ص ٤٧٤ ، ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه هكذا . وفي سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٣٠ « زينوا أصواتكم بالقرآن» . والتمطيط : المد .

(٦) و (٧) أخرجهما البخاري ومسلم كما في سنن البيهقي ج٢ ص ٥٤ وج١٠ ص ٢٢٩ . و زادا « يجهر به » وهكذا في سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢ .

يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد »[(١)].

و قال ﷺ لابن مسعود : « اقرء فقال : يا رسول الله أقرء وعليك اُنزل ؟ فقال : « إنّي اُحبّ أن أسمعه من غيري ، فكان يقرء ورسول الله ﷺ عيناه تفيضان »[(٢)] وقال ﷺ : « من استمع إلى آية من كتاب الله عزّ وجلّ كانت له نوراً يوم القيامة » وفي الخبر « كتب له عشر حسنات » [(٣)] ومهما عظم أجر الاستماع وكان التّالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلّا أن يكون قصده الرياء والتصنّع .

أقول: و من طريق الخاصّة في هذا الباب ما رواه في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال النبيّ ﷺ : لكلّ شيء حلية و حلية القرآن الصوت الحسن »[(٤)].

وعنه عليه السلام قال : « قال النبيّ ﷺ : من أجمل الجمال الشّعر الحسن و نعم النغمة الصوت الحسن »[(٥)].

وعنه عليه السلام قال : « ما بعث الله نبيّاً إلّا حسن الصوت »[(٦)].

وعنه عليه السلام قال : « كان عليّ بن الحسين عليهما السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان السقّاؤون يمرّون فيقفون ببابه يستمعون قراءته ، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً »[(٧)].

وعن عليّ بن محمّد النوفليّ عن أبي الحسن عليه السلام قال : ذكرت الصوت عنده فقال : « إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يقرء فربما مرّ به المارّ يصعق من حسن صوته ، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس ، قلت : و لم يكن رسول الله ﷺ يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون »[(٨)].

وعن أبي بصير قال : « قلت لأبي جعفر عليه السلام : إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٩٥ و١٩٦ .

(٣) أخرجه أحمد من حديث ابي هريرة هكذا من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة» وسنده ضعيف كما في الجامع الصغير باب الميم .

(٤) الى (٨) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن .

جاءني الشيطان فقال : إنّما ترائي بهذا أهلك و الناس ، قال : يا أبا محمّد اقرء قراءة بين القراءتين تسمع أهلك و رجّع بالقرآن صوتك فإنّ الله تعالى يحبّ الصوت الحسن ، ترجّع به ترجيعاً »[١] .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : قلت : « إنّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أوحدّثوا به صعق أحدهم حتّى يرى أنّ أحدهم لوقطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك ، فقال : سبحان الله ذلك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنّما هو اللّين و الرقّة و الدّمعة والوجَل »[٢] .

وعن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : أقرؤوا القرآن بألحان العرب و أصواتها ، و إيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنّه سيجيىء بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرّهبانيّة لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة و قلوب من يعجبه شأنهم »[٣] .

وفي الفقيه « سأل رجل عليّ بن الحسين عليهما‌السلام عن شراء جارية لها صوت ؟ فقال : ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنّة » يعني بقراءة القرآن والزّهد والفضائل التي ليست بغناء فأمّا الغناء فمحظور - انتهى كلامه -[٤] .

وأمّا استماع القرآن عند قراءة الغير فكاد يكون واجباً لورود الأمر به في الكتاب والسنّة ؛ قال الله عزّ وجلّ : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون »[٥] .

و في التهذيب بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : « سألته عن الرّجل يؤمّ القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة ؟ فقال : إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له ، فقلت : فإنّه يشهد عليّ بالشرك ، قال : إن عصى الله فأطع الله ، فرددت عليه ، فأبى أن يرخّص لي ، قال : قلت له : اُصلّي إذن في بيتي ثمّ أخرج إليه ؟ فقال : أنت وذاك ، وقال : إنّ عليّاً عليه‌السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّا وهو

---

(١) الى (٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن .

(٤) المصدر ص ٤٨٢ تحت رقم ٩ .

(٥) الاعراف : ٢٠٤ .

خلفه : « و لقد أُوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشر كت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين » فأنصت عليّ عليه السلام تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية ، ثمّ عاد في قراءته ، ثمّ أعاد ابن الكوّا الآية فأنصت عليّ عليه السلام أيضاً ، ثمّ قرأ فأعاد ابن الكوّا فأنصت عليّ عليه السلام ، ثمّ قال : « فاصبر إنّ وعدالله حقّ ولا يستخفّنك الّذين لايوقنون » ، ثمّ أتمّ السورة ، ثمّ ركع (١) .

و بإسناده الموثّق عن ابن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « سألته عن الناصب يؤمّنا ماتقول في الصلاة معه ؟ فقال : أمّا إذا جهر فأنصت للقرآن واستمع ثمّ اركع واسجد أنت لنفسك » (٢) .

﴿الباب الثالث﴾

﴿ في أعمال الباطن في التلاوة ﴾

« وهي عشرة : فهمُ أصل الكلام ، ثمّ التعظيم ، ثمّ التدبّر، ثمّ حضور القلب ، ثمّ التفهّم ، ثمّ التخلّي عن موانع الفهم ثمّ التخصيص ، ثمّ التأثّر ، ثمّ الترقّي ، ثمّ التبرّي .

الأوّل فهم عظمة الكلام و علوّه و فضل الله تعالى و لطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الّذي هو صفة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، و كيف تجلّت لهم تلك الصفة في طيّ حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله إلّا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، و لتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه و سبحات نوره ، ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجلّيه حيث صار دكّاً ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلّا بأمثلة على حدّ فهم الخلق ولهذا عبّر بعض العارفين عنه فقال : إنّ كلّ حروف

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٢٥٥ . و قوله : « ولقد اوحي » في سورة الزمر : ٦٥ . وقوله : « فاصبران وعدالله حق » الروم : ٦٠ . واخرجه البيهقي في السنن ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢٥٥ .

من كلام الله في اللّوح أعظم من جبل قاف ، وإنّ الملائكة لواجتمعت على الحرف الواحد أن يقلّوه ما أطاقوه حتّى يأتي إسرافيل و هو ملك اللّوح فيرفعه فيقلّه بإذن الله و رحمته لا بقوّته و طاقته لكنّ الله طوّقه ذلك و استعمله به .

ولقد تأنّق بعض الحكماء[1] في التعبير عن وجه اللّطف في إيصال معاني الكلام مع علوّ درجته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته و ضرب له مثلاً لم يقصّر فيه و ذلك أنّه دعا بعض الملوك إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن اُمور فأجاب بما يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ما يأتي به الأنبياء إذا ادّعيت أنّه ليس بكلام الناس وأنّه كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنّا رأينا الناس لمّا أرادوا أن يفهموا بعض الدوابّ والطير ما يريدون من تقديمها و تأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدوابّ يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقلهم مع حسنه و ترتيبه و بديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم و أوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتهم الّتي يطيقون حملها ، و كذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه و كمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات الّتي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الّذي سمعت به الدوابّ من الناس و لم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوّة في تلك الصفات من أن يشرّف الكلام أي الأصوات لشرفها ويعظّم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً و الحكمة للصوت نفساً و روحاً ، فكما أنّ أجساد البشر تكرم و تعزّ لمكان الرّوح فكذلك أصوات الكلام تشرّف للحكمة الّتي فيها و الكلام عالي المنزلة ، رفيع الدرجة ، قاهر السلطان نافذ الحكم في الحقّ والباطل ، و هو القاضي العادل ، و الشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدّام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظلّ أن يقوم قدّام شعاع الشمس ، و لا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنّهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ، و يستدلّون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه ، والمشاهد أمره وكالشمس

(١) تأنق فى الكلام أوالعمل : عمله بالاتقان والحكمة .

العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها، و كالنجوم الزاهرة الّتي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها، فهو مفتاح الخزائن النفيسة، و شراب الحياة الّذي من شرب منه لم يمت، و دواء الأسقام الّذي من سقى منه لم يسقم، فهذا الّذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام، و الزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يقتصر عليه.

الثاني التعظيم للمتكلّم فالقاريء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلّم، ويعلم أنّ ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأنّ في تلاوة كلام الله غاية الخطر فإنّه تعالى قال: «لا يمسّه إلّا المطهّرون»[١] و كما أنّ ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلّا إذا كان متطهّراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزّه و جلاله محجوب عن باطن القلب إلّا إذا كان منقطعاً عن كلّ رجس و مستنيراً بنور التعظيم و التوقير، و كما لا يصلح لمسّ جلد المصحف كلّ يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كلّ لسان ولا لنيل معانيه كلّ قلب، و لمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه، و يقول: هو كلام ربّي، هو كلام ربّي، فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلّم ولن يحضره عظمة المتكلّم ما لم يتفكّر في صفاته و أفعاله، فإذا خطر بباله العرش و الكرسيّ و السماوات و الأرضون و ما بينهما من الجنّ و الإنس و الدوابّ والأشجار، وعلم أنّ الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، و أنّ الكلّ في قبضة قدرته، مردّد بين فضله و رحمته، و بين نقمته و سطوته، إن أنعم فبفضله، و إن عاقب فبعدله، وأنّه الّذي يقول: هؤلاء في الجنّة ولا اُبالي، و هؤلاء في النار ولا اُبالي، و هذه غاية العظمة و التعالي، فالتفكّر في أمثال هذا يخطر تعظيم المتكلّم، ثمّ تعظيم الكلام.

الثالث حضور القلب وترك حديث النفس، قيل في تفسير «يا يحيى خذ الكتاب بقوّة»[٢] أي بجدّ واجتهاد، وأخذه بالجدّ أن يكون متجرّداً له عند قراءته، منصرف الهمّ إليه عن غيره، وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدّث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحبّ إليّ من القرآن اُحدّث به نفسي؟ وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية، وهذه الصفة تتولّد ممّا قبلها من التعظيم فإنّ المعظّم للكلام الّذي يتلوه

---

(١) الواقعة: ٧٩.　　(٢) مريم: ١٢.

يشتبشر به و يستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب ، إن كان التالي أهلاً له فكيف يطلب الأُنس بالفكر في غيره ؟ وهو في متنزّه ومتفرّج و الّذي يتفرّج في المتنزّهات لا يتفكّر في غيرها ، وقد قيل : إنّ في القرآن ميادين و بساتين و مقاصير وعرايس ودبابيج ورياضات وخانات ، فآلميمات ميادين القرآن ، وآلراءات بساتين القرآن و الحامدات مقاصيره ، و المسبّحات عرايس القرآن ، و الحاميمات ديباج القرآن ، و المفصّل رياضه ، و الخانات ما سوى ذلك فإذا دخل القارىء في الميادين ، و قطف من البساتين ، و دخل المقاصير ، وشهد العرايس ، ولبس الديباج ، وتنزّه في الرياض ، وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك ، و شغله عمّا سواه ، فلم يعزب قلبه و لم يتفرّق فكره .

الرابع التدبّر و هو وراء حضور القلب فإنّه قد لا يتفكّر في غير القرآن ولكنّه يقتصر على سماع القرآن به من نفسه وهو لا يتدبّره ، والمقصود من القراءة التدبّر ولذلك سنّ فيه الترتيل لأنّ الترتيل في الظاهر يمكّن من التدبّر في الباطن ، قال عليّ عليه السلام : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبّر فيها » [(١)] و إذا لم يتمكّن من التدبّر إلّا بترديد فليردّد إلّا أن يكون خلف إمام فإنّه لو بقي في تدبّر آية وقد اشتغل الإمام بآية أُخرى كان مسيئاً ، مثل من يشتغل بالتعجّب من كلمة واحدة ممّن يناجيه عن فهم بقية كلامه و كذلك إذا كان في تسبيح الركوع و هو متفكّر في آية قرأها فهذا وسواس ، فقد روي عن عامر بن عبدقيس أنّه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل : في أمر الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف فيّ الأسنّة أحبّ إليّ من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربّي و أنّي كيف أنصرف ، فعدّ ذلك وسواساً وهو كذلك فإنّه يشتغل عن فهم ما فيه و الشيطان لا يقدر على مثله إلّا بأن يشغله بمهمّ ديني لكي يمنعه به عن الافضل .

و روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم فردّدها عشرين مرّة [(٢)] و إنّما ردّدها لتدبّره في معانيها .

و عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قام بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقام ليلة بآية يردّدها

---

(١) رواه الحسن بن على بن شعبة الحرانى فى تحف العقول ص ٢٠٤ مرسلا .

(٢) رواه أبوذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة كما فى المغنى .

«إن تعذّبهم فإنّهم عبادك» - الآية - (١) .

وقام تميم الدّاري ليلة بهذه الآية «أم حسب الّذين اجترحوا السيّئات - الآية -» (٢)

وقام سعيد بن جبير ليلة يردّد هذه الآية «و امتازوا اليوم أيّها المجرمون» (٣) .

و قال بعضهم : إنّي لأفتتح السورة فتوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتّى يطلع الفجر .

و كان بعضهم يقول : كلّ آية لا أتفهّمها ولا يكون قلبي فيها لاأعدّ لها ثواباً .

و حكي عن أبي سليمان الدّاراني أنّه قال : إنّي لأتلو الآية فاُقيم فيها أربع ليال و خمس ليال و لولا أنّني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

و عن بعض السلف أنّه بقي في سورة هود ستّة أشهر يكرّرها و لا يفرغ من التدبّر فيها .

وقال بعض العارفين : لي في كلّ جمعة ختمة ، و في كلّ شهر ختمة ، و في كلّ سنة ختمة ، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ؛ وذلك بحسب درجات تدبّره و تفتيشه ؛ وكان هذا يقول : أقمت نفسي مقام الاُجراء فأنا أعمل مياومة ومسابعة ومشاهرة ومسانهة (٤).

الخامس التفهّم و هو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر أفعاله وذكر أحوال أنبيائه عليهم السلام وذكر أحوال المكذّبين لهم ، و أنّهم كيف أهلكوا ، و ذكر أوامره و زواجره ، و ذكر الجنّة و النار ، أمّا صفات الله فكقوله تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» (٥) و كقوله : «الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر» (٦) فليتأمّل معاني هذه الأسماء و الصفات

(١) المائدة : ١١٨ والخبر أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٥٠.

(٢) الجاثية : ٢١ . (٣) يس : ٥٩ .

(٤) ياومه يواماً ومياومة : عامله بالايام . وسابعه مسابعة وسباعاً عامله بالاسبوع . وفي بعض النسخ [ومجامعة] بمعناه - من الجمعة - وشاهره شهاراً : استاجره بالشهر. وسانهه مسانهة عامله بالسنة كساناه .

(٥) الشورى : ١١ . (٦) الحشر : ٢٣ .

لينكشف له أسرارها فتحتها معاني مدفونة لا ينكشف إلّا للموفّقين وإليه أشار علي عليه السلام بقوله: «ما أسرّ إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً كتمه عن النّاس إلّا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم»[1]، و قال ابن مسعود: من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثوّر القرآن[2] فأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلّا اُموراً لايقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها.

و أمّا أفعاله فكذكره خلق السماوات والأرض و غيرها فليفهم التالي منها صفات الله و جلاله إذ الفعل يدلّ على الفاعل فيدلّ عظمته على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحقّ رآه في كلّ شيء إذ كلّ شيء منه و إليه و به و له فهو الكلّ على التحقيق، ومن لا يراه في كلّ ما يراه فكأنّه ما عرفه و من عرفه عرف أنّ كلّ شيء ما خلا الله باطلٌ، و أنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه لا أنّه سيبطل في ثاني الحال، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلّا أن يعتبر وجوده من حيث أنّه موجودٌ بالله و بقدرته فيكون له بطريق التبعيّة ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض و هذا مبدء من مبادي علم المكاشفة و لهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله: «أفرأيتم ماتحرثون». «أفرأيتم الماءالّذي تشربون». «أفرأيتم النارالّتي تورون» «أفرأيتم ما تمنون»[3] أن لا يقصّر نظره على الماء والنار والحرثة والمنيّ، بل يتأمّل في المنيّ و هو نطفة متشابهة الأجزاء ثمّ ينظر في كيفيّة انقسامها إلى اللّحم

(١) قال العراقي: أخرجه النسائي من رواية أبي جحيفة قال: «سألنا علياً فقلنا: هل عندكم من رسول صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن؟ فقال: لاوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه...» وهوعند البخارى بلفظ «هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس فى القرآن» وفى رواية «وقال مرة ماليس عند الناس» ولابى داود والنسائى «فقلنا: هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس؟ قال: لاالاما فى كتابى هذا...» ولم يذكر «الفهم فى القرآن».

(٢) ثار يثور الشيء: هاج ومنه ثارت بينهم الفتنة. وثوره أى هيجه وثور الكتاب: بحث عن معانيه. ومنه «من أراد العلم فليثور القرآن».

(٣) الواقعة: ٦٣ و ٦٨ و ٧١ و ٥٨ على الترتيب.

و العظم و العروق والعصب و كيفيّة شكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس و اليد و الرجل و الكبد و القلب و غيرها ، ثمّ إلى ما ظهر فيه من الصفات الشريفة من السمع و البصر و العقل و غيره ، ثمّ إلى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب و الشهوة و الكفر و الجهل ، و التكذيب و المجادلة كما قال تعالى : « أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين »[1] فيتأمّل هذه العجائب ليرقى منها إلى أعجب الأعاجيب وهو الصفة الّتي منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة حتّى يرى الصانع.

وأمّا أحوال الأنبياء عليهم السلام فإذا سمع منها كيف كذّبوا وضُربوا وقُتل بعضهم، فليفهم منه صفة استغناء الله تعالى عن الرسل والمرسل إليهم وأنّه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه و إذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله و إرادته لنصرة الحقّ .

و أمّا أحوال المكذّبين كعاد و ثمود و ما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته و نقمته وليكن حظّه منه الاعتبار في نفسه و أنّه إن غفل و أساء الأدب و اغترّ بما أُمهل فربما يدركه النقمة و تنفذ فيه القضيّة ، و كذلك إذا سمع وصف الجنّة و النّار و سائر ما في القرآن ، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأنّ ذلك لا نهاية له و إنّما لكلّ عبد منه بقدر رزقه « ولا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين »[2] « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي و لو جئنا بمثله مدداً »[3] ، ولذلك قال عليّ عليه السلام : « لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب »[4] فالغرض ممّا ذكرناه التنبيه على طريق التفهّم لينفتح بابه فأمّا الاستقصاء فلا مطمع فيه و من لم يكن له فهم ما في القرآن و لو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى : « و منهم من يستمع إليك حتّى إذا خرجوا من عندك قالوا للّذين أُوتوا العلم ما ذا قال آنفاً » فقال تعالى : « أُولئك الّذين طبع الله على قلوبهم »[5] والطابع هو الموانع الّتي سنذكرها في معاني الفهم ، وقد قيل : لا يكون المريد مريداً حتّى يجد في القرآن كلّ ما يريد ، و يعرف منه النقصان من المزيد ، و يستغني بالمولى عن العبيد .

---

(١) يس : ٧٧ . (٢) الانعام : ٥٩ . (٣) الكهف : ١٠٩ .
(٤) ما عثرت على أصل له . (٥) سورة محمد : ١٦ .

السادس التخلّي عن موانع الفهم فإنّ أكثر النّاس منعوا من فهم معاني القرآن لأسباب و حجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال صلى الله عليه وآله وسلم: « لو لا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت »(١).

و معاني القرآن من جملة الملكوت و كلّ ما غاب عن الحواسّ و لم يدرك إلّا بنور البصيرة فهو من الملكوت؛ وحجب الفهم أربعة:

أوّلها أن يكون الهمّ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولّى حفظه شيطان و كّل بالقرآن ليصرفهم عن معاني كلام الله و لا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمّله مقصوراً على مخارج الحروف فأنّى ينكشف له المعاني، و أعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

ثانيها أن يكون مقلّداً لمذهب سمعه بالتقليد و جمد عليه وثبت في نفسه التعصّب له بمجرّد الاتّباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة و مشاهدة فهذا شخص قيّده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فإن لمع برقٌ على بُعد وبدا له معنى من المعاني الّتي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة، و قال: كيف يخطر هذا ببالك و هو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه و يحترز عن مثله؛ و بمثل هذا قالت الصوفيّة: إنّ العلم حجاب، و أرادوا بالعلم العقائد الّتي استمرّ عليها أكثر النّاس بمجرّد التقليد أو بمجرّد كلمات جدليّة حرّرها المتعصّبون للمذاهب وألقوها إليهم، فأمّا العلم الحقيقيّ الّذي هو الكشف و المشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً و هو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكّن و الاستقرار، فإن خطر له مثلاً في القدّوس أنّه المقدّس عن كلّ ما يجوز على خلقه لم يمكّنه تقليده من أن يستقرّ ذلك في نفسه، و لو استقرّ ذلك في نفسه لانجرّ إلى كشف ثان و ثالث و لتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل

(١) مر الخبر سابقاً عن الخطيب وغيره.

وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر و غور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه من الفرق بين العلم الباطن و الظاهر في كتاب قواعد العقائد .

ثالثها أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب و صدئه و هو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه و هو أعظم حجاب للقلب و به حجب الأكثرون و كلما كانت الشهوات أشد تراكماً كانت معاني الكلام أشد احتجاباً و كلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة و الشهوات مثل الصدء و معاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة و الرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا عظمت أمتي الدنيار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي »[١] قال الفضيل : يعني حرموا فهم القرآن و قد شرط الله الإنابة في الفهم والتذكر ، وقال : « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »[٢] وقال : « و ما يتذكر إلا من ينيب »[٣] ، وقال : « إنما يتذكر أولوا الألباب »[٤] فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب فلذلك لا ينكشف له أسرار الكتاب .

رابعها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً و اعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس و مجاهد و غيرهما و أن ما وراء ذلك تفسير بالرأي وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول علي عليه السلام : « إلا أن يؤتي الله العبد فهماً في القرآن » و أنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه .

(١) قال العرقي : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف مفصلا من حديث الفضيل بن عياض .

(٢) ق : ٨ .　(٣) المؤمن : ١٣ .

(٤) الرعد : ٢١ و الزمر : ٩ .

السابع التخصيص و هو أن يقدّر أنّه المقصود بكلّ خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدّر أنّه هو المنهيّ و المأمور ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأوّلين والأنبياء علم أنّ السمر[1] غيرمقصود وإنّما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصّة في القرآن إلّا و سياقها لفائدة في حقّ النبيّ وأُمّته ولذلك قال تعالى : « ماتثبّت به فؤادك[2] » فليقدّر العبد أنّ الله تعالى يثبّت فؤاده بما يقصّه عليه من أحوال الأنبياء و صبرهم على الإيذاء و ثباتهم في الدّين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أُنزل على رسول الله ﷺ خاصّة بل هو شفاء وهدى ورحمة و نور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافّة بشكر نعمة الكتاب فقال : « و اذكروا نعمة الله عليكم و ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة »[3] و قال : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم »[4] « وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس مانزّل إليهم »[5] « كذلك يضرب الله للناس أمثالهم »[6] « واتّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم »[7] « هذا بصائر للنّاس وهدى ورحمة لقوم يوقنون »[8] « هذا بيان للناس وهدى و موعظة للمتّقين[9] » وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارىء مقصود فيماله ولسائر الناس فليقدّر أنّه المقصود ، قال تعالى : « و أُوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به و من بلغ[10] » .

قال محمّد بن كعب القرظيّ من بلغه القرآن فكأنّما كلّمه الله تعالى و إذا قدّر ذلك لم يتّخذ دراسة القرآن عمله بل قرأه كما يقرء العبد كتاب مولاه الّذي كتب إليه ليتأمّله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربّنا بعهوده نتدبّرها في الصلوات و نقف عليها في الخلوات و ننفذها في الطاعات بالسّنن المتّبعات ، وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ إنّ القرآن ربيع

---

(١) اى حديث الليل . (٢) هود : ١٢٠ .
(٣) البقرة : ٢٣١ . (٤) الانبياء : ١٠ .
(٥) النحل : ٤٤ . (٦) سورة محمد : ٣ .
(٧) الزمر : ٥٥ . (٨) الجاثية : ٢٠ .
(٩) آل‌عمران : ١٣٨ . (١٠) الانعام : ١٩ .

المؤمن كما أنّ الغيث ربيع الأرض، و قال قتادة: لم يجالس أحدٌ القرآن إلّا قام بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: «هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً» (١).

الثامن التأثّر وهو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجد ووجل يتّصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها، و مهما تمّت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإنّ التضييق غالب على آيات القرآن، فلاترى ذكر المغفرة و الرّحمة إلّا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله: «و إنّي لغفّار» ثمّ إتباعه ذلك بأربعة شروط «لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثمّ اهتدى» (٢) وقوله تعالى: «و العصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصبر» (٣) ذكر أربع شرائط و حيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال: «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» (٤) فالإحسان يجمع الكلّ و هكذا من يتصفّح القرآن من أوّله إلى آخره و من فهم ذلك فجديرٌ بأن يكون حاله الخشية و الحزن، و لذلك قيل: و الله ما أصبح اليوم عبدٌ يتلو هذا القرآن يؤمن به إلّا كثر حزنه، وقلّ فرحه، و كثر بكاؤه، وقلّ ضحكه، و كثر نصبه وشغله، وقلّت راحته و بطالته، وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أردّ (٥) للقلوب ولا أشدّ استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهّمه وتدبّره، فتأثّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة فعندالوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنّه يكاد يموت وعندالتوسيع و وعد المغفرة يستبشر كأنّه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته وعند ذكر الكفّار وما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولداً وصاحبة يغضّ صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح مقالهم، وعند وصف الجنّة ينبعث بباطنه شوقاً إليها وعند وصف النّار ترتعد فرائصه خوفاً منها ولما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لابن مسعود: «اقرأ علي» قال: فافتتحت سورة النساء فلمّا بلغت «فكيف إذا جئنا من

(١) الاسراء: ٨٢.　(٢) طه: ٨٢.
(٣) العصر: ٢-٤.　(٤) الاعراف: ٥٦.
(٥) في الاحياء [أرق].

كلّ أُمّة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيداً [١] ، رأيت عينيه تذرفان بالدّمع فقال لي حسبك الآن» وهذا لأنّ مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلّيّة ولقدكان في الخائفين من خرّ مغشيّاً عليه عند سماع آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فبمثل هذه الأحوال يخرج عن أن يكون حاكياً في كلامه ، فإذا قال : «إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم [٢]» فإذا لم يكن خائفاً كان حاكياً ، وإذا قال : « عليك توكّلنا وإليك أنبنا [٣] » ولم يكن حاله التوكّل والإنابة كان حاكياً ، وإذا قرأ « ولنصبرنّ على ما آذيتمونا [٤] » فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتّى يجد حلاوة التلاوة ، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردّد قلبه بين هذه الحالات كان حظّه من التلاوة حركة اللّسان مع صريح اللّعن على نفسه في قوله : « ألا لعنة الله على الظالمين [٥] » وفي قوله : « كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون [٦] » وفي قوله : « وهم في غفلة معرضون » [٧] وفي قوله : « فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحيوة الدّنيا [٨] » وفي قوله : « ومن لم يتب فأُولئك هم الظالمون » [٩] إلى غير ذلك وكان داخلاً في معنى قوله تعالى : « ومنهم أُمّيّون لايعلمون الكتاب إلّا أمانيّ » [١٠] يعني التلاوة المجرّدة ، وفي قوله : « وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون [١١] » لأنّ القرآن هو المبيّن لتلك الآيات في السماوات والأرض ، ومهما تجاوزها ولم يتأثّر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل : إنّ من لم يكن متّصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه تعالى: مالك

---

(١) الاية في سورة النساء : ٤٠ والخبر أخرجه ابن أبي شيبة و أحمد و عبد بن حميد والبخاري والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن مسعود وأخرج مثله الحاكم في المستدرك وصححه عن عمرو بن حريث كما في الدر المنثور ج ٢ ص ١٦٣ .

(٢) الانعام : ١٥ والزمر : ١٣ .
(٣) الممتحنة : ٤ .
(٤) ابراهيم: ١٢ .
(٥) هود : ١٨ .
(٦) الصف : ٣ .
(٧) الانبياء : ٢ .
(٨) النجم : ٢٩ .
(٩) الحجرات : ١١ .
(١٠) البقرة : ٧٨ .
(١١) يوسف : ١٠٥ .

ولكلامي وأنت معرضٌ عنّي ، دع عنك كلامي إن لم تنب إليّ ، ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرّره مثال من يكرّر كتاب الملك كلّ يوم مرّات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهومشغولٌ بتخريبها ومقتصرعلى دراسة كتابه فلعلّه لوترك الدّراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ، ولذلك قال يوسف بن أسباط : إنّي لأهمّ بقراءة القرآن وإذاذكرت مافيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار ، والمعرض عن العمل به أُريد بقوله تعالى : « فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون »[1] ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه » وفي بعضها « فإذا اختلفتم فقوموا عنه »[2] وقال تعالى : « الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون »[3] وقال صلّى الله عليه وآله : « إنّ أحسن النّاس صوتاً بالقرآن الّذي إذا سمعته يقرء أُريت أنّه يخشى الله عزّوجلّ »[4] ، وقال : أيضاً : « لايسمع القرآن من أحد أشهى منه ممّن يخشى الله تعالى »[5].

فالقرآن إنّما يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب وللعمل به وإلّا فالمؤونة في تحريك اللّسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القرّاء : قرأت القرآن على شيخ لي ثمّ رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال : جعلت القراءة عليّ عملاً اذهب فاقرء على الله عزّوجلّ فانظر بماذا يأمرك وعمّاذا ينهاك وماذا يفهمك ، ولهذا كان شغل الصحابة في الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله صلّى الله عليه وآله عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلّا ستّة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين ، وكان الّذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، ولماجاء واحدٌ ليتعلّم القرآن وانتهى إلى قوله :

(١) آل عمران : ١٨٧ .
(٢) أخرجه البخارى ج ٦ ص٢٤٤ ، والدارمى ج ٢ ص ٢٤١ .
(٣) الانفال : ٣.
(٤) رواه الدارمى ج ٢ ص ٤٧١ عن مسعر عن عبدالكريم بلفظ آخر.
(٥) قال العراقى : رواه أبوعبدالله الحاكم فيما ذكره ابوالقاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرآن .

«فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره»(١) فقال: يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انصرف الرّجل وهو فقيه»(٢)، فإنّما العزيز مثل تلك الحالة الّتي يمنّ الله بها على القلب عقيب فهم الآية فأمّا مجرّد حركة اللّسان فقليل الجدوى بل التالي باللّسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله: «ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيمة أعمى»(٣) وبقوله تعالى: «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»(٤) أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإنّ المقصّر في الأمر يقال: إنّه نسي الأمر، وتلاوة القرآن حقّ تلاوته أن يشترك فيه اللّسان والعقل والقلب فحظّ اللّسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظّ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتّعاظ والتأثّر بالانزجار والائتمار، فاللّسان واعظ والعقل مترجم والقلب متّعظ.

التاسع الترقّي وأعني به أن يترقّى إلى أن يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدّر العبد كأنّه يقرؤه على الله تعالى واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملّق والتضرّع والابتهال؛ الثانية أن يشهد بقلبه كأنّ ربّه يخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم؛ الثالثة أن يرى في الكلام المتكلّم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه، ولا إلى قراءته، ولا إلى تعلّق الإنعام به من حيث إنّه منعم عليه، بل يكون مقصور الهمّ على المتكلّم موقوف الفكر عليه كأنّه مستغرق بمشاهدة المتكلّم عن غيره وهذه درجة المقرّبين وما قبله من درجات أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين، وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال: «والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون»(٥).

(١) الزلزال: ٧ و٨.
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص٥٣٢ بادنى اختلاف فى اللفظ.
(٣) طه: ١٢٤.
(٤) طه: ١٢٦.
(٥) نقله الشهيد فيأسرار الصلاة ص ٢٠٤.

وقال أيضاً : وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشيّاً عليه فلمّا سُرّي عنه قيل له في ذلك ، فقال : مازلت اُردّد الآية على قلبي و على سمعي حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ، وفي مثل هذه الدّرجة تعظم الحلاوة ولذّة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرء القرآن فلا أجدله حلاوة حتّى تلوته كأنّني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوه على أصحابه ، ثمّ رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنّني أسمعه من جبرئيل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ جاء الله تعالى بمنزلة اُخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلّم به فعندها وجدت له لذّة ونعيماً لاأصبر عنه .

وقال حذيفة : لوطهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن و ذلك لأنّها بالطهارة يترقّى إلى مشاهدة المتكلّم في الكلام ولذلك قال ثابت البنانيّ :كابدت القرآن عشرين سنة وتنعّمت به عشرين سنة ، وبمشاهدة المتكلّم دون ماسواه يكون العبد ممتثلاً لقوله تعالى : « ففرّوا إلى الله [1]» ، ولقوله : « ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر [2]» ، فمن لم يره في كلّ شيء فقد رأى غيره ، و كلّ ما التفت إليه العبد تضمّن التفاته شيئاً من الشرك الخفيّ ، بل التوحيد الخالص أن لايرى في كلّ شيء إلّاالله .

العاشرُ التبرّي وأعني به أنّه يتبرّى عن حوله و قوّته والالتفات إلى نفسه بعين الرّضا والتزكية فإذاتلاآيات الوعدوالمدح للصالحين فلايشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين و الصدّيقين فيها و يتشوّق أن يلحقه الله بهم ، و إذا تلاآية المقت و ذمّ العصاة والمقصّرين شهد نفسه هناك وقدّرأنّه المخاطب خوفاً وإشفاقاً » .

أقول : وإلى هذا أشارأميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الّتي يصف فيها المتّقين بقوله : « إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، و ظنّوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم [3]» .

قال أبوحامد : « فإذارأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فإنّ من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتّى يسوقه إلى درجة اُخرى في القرب

(١) الذاريات : ٥٠ . (٢) الذاريات : ٥١ :
(٣) النهج : خطبة ١٩١ .

وراء ها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الّذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل ممّا هوفيه ، ومهما كان شاهداً نفسه بعين الرضا صارمحجوباً بنفسه و إذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلّا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب أحواله ، فحيث يتلو آيات الرجاء [1] ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنّة فيشاهد ها كأنّه يراها عياناً ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنّارحتّى يرى أنواع عذابها وذلك لأنّ كلام الله يشتمل على السهل اللّطيف والشديد العسوف و المرجوّ والمخوف و ذلك بحسب أوصافه إذ منها الرّحمة و اللّطف و الانتقام و البطش ، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كلّ حالة منها يستعدّ للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلف إذفيه كلام راض ، و كلام غضبان و كلام منعم ، و كلام منتقم ، و كلام جبّار متكبّر لايبالي و كلام حنّان متعطّف لايهمل » .

فصل

أقول : وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ قلبه ولم ينشىء حزناً ووجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله و خسر خسراناً مبيناً ، فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع و بدن فارغ وموضع خال ، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » [2] وإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلايعترضه عارض فيحرمه نور القرآن و فوائده ، و إذا اتّخذ مجلساً خالياً و اعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين استأنس روحه وسرّه بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين و علم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته ، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لايختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كلّ طاعة

(١) في بعض النسخ [آيات الرحمة] .
(٢) النحل : ٩٨ .

وعبادة لأنّ فيه المناجاة مع الرّبّ بلاواسطة ، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك و منشور ولايتك و كيف تجيب أوامره ونواهيه و كيف تمتثل حدوده فإنّه كتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فرتّله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكّر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[1].

﴿ الباب الرابع ﴾

(في فهم القرآن و تفسيره بالرأي من غير نقل)

لعلّك تقول عظّمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن بما ينكشف لأرباب القلوب الزكيّة من معانيها فكيف يستحبّ ذلك و قد قال صلّى الله عليه وآله : « من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار »[2] وعلى هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوّف من المنسوبين إلى التصوّف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عبّاس و سائر المفسّرين وذهبوا إلى أنّه كفر ، فإن صحّ ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصحّ ذلك فما معنى قوله صلّى الله عليه وآله : « من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار » .

فاعلم أنّه من زعم أن لا معنى للقرآن إلّا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ، و لكنّه مخطىء في الحكم بردّ الخلق كافّة إلى درجته الّتي هي حدّه و محطّه ، بل الأخبار و الآثار تدلّ على أنّ في معاني القرآن متّسعاً لأرباب الفهم قال عليّ عليه السلام : « إلّا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن »[3] فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ .

---

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع عشر .

(٢) أخرجه الترمذي ج ١١ ص٦٧ بالفاظ مختلفة عن ابن عباس و رواه الصدوق في الغنية في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله بلفظ آخر.

(٣) قد مرآنفاً .

و قال ﷺ : «إنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً »[١] ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحدّ والمطلع ؟

و قال عليّ عليه السلام : لوشئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب ، فما معنى ذلك ؟ و تفسير ظاهرها في غاية الاختصار .

وقال أبو الدّرداء : لايفقه الرجل حتّى يجعل للقرآن وجوهاً .

و قدقال بعض العلماء : لكلّ آية ستّون ألف فهم و مابقي من فهمها أكثر .

و قال آخر : القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي ألف علم ، لكلّ كلمة علم ، ثمّ يتضاعف ذلك أربعاً إذ لكلّ واحد ظاهر وباطن وحدّ ومطلع ، وترديد رسول الله ﷺ « بسم الله الرّحمن الرّحيم » عشرين مرّة[٢] لا يكون إلّا لتدبّره باطن معانيه و إلّا فترجمته و تفسيره ظاهر لايحتاج مثله إلى تكريره ، وقول ابن مسعود : من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثوّر القرآن ؛ و ذلك لا يحصل بمجرّد تفسيره الظاهر ، وبالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله تعالى و صفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لانهاية لها ، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمّق في تفصيله راجعة إلى فهم القرآن ، و مجرّد ظاهر التفسير لايشير إلى ذلك ، بل كلّ ما أشكل على النظّار واختلف فيه الخلائق في النظريّات والمعقولات ففي القرآن رموز إليه ودلالات عليه و يختصّ أهل الفهم بدركه فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره و تفسيره ، ولذلك قال النبيّ ﷺ : « اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه »[٣].

---

(١) قال العراقي : أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه . أقول : و رواه العياشي بلفظ آخر في تفسيره كما في تفسير البرهان ج ١ ص ٢٠ و قد مر في المجلد الاول .

(٢) قال العراقي : أخرجه أبوذر الهروي في معجمه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(٣) كذا ولعله تصحيف لان الخبر أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن أبي هريرة هكذا « اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » وللحاكم في المستدرك مثله كما في الجامع الصغير باب الالف .

وقال في حديث علي عليه السلام(١) «والذي بعثني بالحق لتفترقنّ أُمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتي وسبعين فرقة كلّها ضالّة مضلّة يدعون إلى النّار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فإنّ فيه نبأ ما كان قبلكم، ونبأ ما يأتي بعدكم، وحكم ما بينكم، من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين و شفاؤه النافع، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن اتّبعه، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستقيم، ولا ينقضي عجائبه، ولا يخلقه كثرة الردّ، الحديث.

وفي حديث حذيفة لمّا أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بالاختلاف والفرقة بعده قال: فقلت: «يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تعلّم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك، قال: فأعدت ذلك عليه ثلاثاً فقال ثلاثاً: تعلّم كتاب الله تعالى واعمل بما فيه ففيه النجاة»(٢).

وقال عليّ عليه السلام: «من فهم القرآن فسّر جمل العلم»(٣) أشار به إلى أنّ القرآن مشيرٌ إلى مجامع العلوم كلّها.

و قال ابن عبّاس في قوله تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً»(٤) يعني الفهم في القرآن وقال الله سبحانه: «ففهّمناها سليمان و كلاً آتينا حكماً وعلماً»(٥) سمّى ما آتاهما علماً وخصّص ما انفرد سليمان بالتفطّن له باسم الفهم و جعله مقدّماً على العلم والحكمة.

فهذه أُمورٌ تدلّ على أنّ في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً و متّسعاً بالغاً وأنّ المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك منه.

و أمّا قوله صلى الله عليه وآله: «من فسّر القرآن برأيه» و نهيه عنه و قول بعض أصحابه: أيّ أرض تقلّني وأيّ سماء تظلّني إذا قلت في القرآن برأيي إلى غير ذلك ممّا ورد في الآثار

---

(١) مقدمة تفسير مجمع البيان الفن السادس رواه عن الحارث الاعور عنه عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله. و أخرجه الترمذى ج ١١ ص ٣٠ دون ذكر افتراق الامة.

(٢) راجع مسند احمد ج ٥ ص ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٩٠، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٣.

(٣) ماعثرت على أصل له. (٤) البقرة: ٢٦٩.

(٥) الانبياء: ٧٩.

والأخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو إمّا أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمر آخر وباطلٌ قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلّم أحدٌ في القرآن إلّا بما سمعه لوجوه:

أحدها أنّه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و مسنداً إليه و ذلك ممّا لا يصادف إلّا في بعض القرآن فأمّا ما يقوله ابن عبّاس و ابن مسعود من عند أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال: هو تفسير بالرأي لأنّكم لم تسمعوه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و كذا غيرهم من الصّحابة.

والثاني أنّ الصحابة والمفسّرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم محال، ولو كان الواحد مسموعاً لترك الباقي فتبيّن على القطع أنّ كلّ مفسّر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتّى قالوا: في الحروف الّتي في أوائل السور سبعة أقاويل فقيل: «آلر» هي حروف «الرّحمن» وقيل: إنّ «الألف» الله، و«اللّام» لطيف، و «الراء» رحيم، وقيل غير ذلك، والجمع بين الكلّ غير ممكن فكيف يكون الكلّ مسموعاً.

والثالث أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم دعا لابن عبّاس و قال: «اللّهمّ فقّهه في الدّين، و علّمه التأويل»[1] فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك؟.

والرّابع أنّه تعالى قال: «ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم»[2] أثبت لأهل العلم استنباطاً، و معلوم أنّه وراء السماع، و جملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكلّ واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه و حدّ عقله».

أقول: التكلّم الممنوع منه في القرآن بغير سماع إنّما هو التفسير الّذي هو عبارة عن كشف المراد عن اللّفظ المشكل أو التأويل الّذي هو عبارة عن ردّ أحد محتملي اللّفظ

(١) أخرجه البخارى ج ٥ ص ٣٤ بلفظ «اللهم علمه الحكمة» وفى آخر «علمه الكتاب» وفى الاستيعاب في ترجمته: «اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن» وصحح اسناده.

(٢) النساء: ٨٣

إلى مايطابق الآخر دون تجويز أن يكون في الكلام إشارة إلى معنى آخر غير معناه المراد منه ثبت حقيّته بدليل آخر على سبيل الاحتمال من دون جزم ولاحصر فيه إذ لاحرج في مطلق ذلك بل في بعض أفراده كما يأتي تحقيقه في كلامه.

وأمّا الوجوه الّتي ذكرها فلا يتمشّى شيء منها على طريقتنا.

أمّا الأوّل فلأنّا نشترط السماع إمّا من رسول الله أو من أحد من الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين المرادين بالرّاسخين في العلم في قوله سبحانه: «و ما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم» وقد صادفنا ذلك فيما لابدّ لنا من تعلّمه من الآيات فيما ورد من أحاديثهم عليهم السلام وهو يكفينا ولا حجّيّة لنا في قول غيرهم ولا حاجة.

و أمّا الثاني فلأنّا نسلّم أنّ أقوال الصحابة و المفسّرين كلّها غير مسموعة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أنّ ذلك هو سبب الاختلاف و لكنّا لا نعتمد على شيء منها لعدم الحجّيّة فيها.

و أمّا الثالث فلأنّ الدّعاء إنّما ورد في شأن أمير المؤمنين عليه السلام و إن صحّ وروده في شأن ابن عبّاس أيضاً فيجوز أن يكون التأويل فيه بالمعنى الأخير أو يكون دعاء له بالتوفيق لسماع التأويل من أهله و فهمه عنهم عليهم السلام.

و أمّا قوله: «و جملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال» فهو كلام صحيح و الآثار من طريق الخاصّة في هذا المعنى أيضاً كثيرة طويناها خوفاً من الإطناب.

قال: «و أمّا النهي فإنّه ينزل على أحد وجهين أحدهما أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه و لو لم يكن له ذلك الرأي و الهوى لكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالّذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته و هو يعلم أنّه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبّس به على خصمه و تارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الّذي يوافق غرضه و يترجّح ذلك الجانب برأيه و هواه فيكون قد فسّر القرآن برأيه أي رأيه هو الّذي حمله على ذلك التفسير

و لولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه ، و تارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن و يستدلّ عليه بما يعلم أنّه ما اُريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدلّ بقوله عليه الصلاة والسلام «تسحّروا فإنّ السحور بركة» (١) ويزعم أنّ المراد به التسحّر بالذكر وهو يعلم أنّ المراد به الأكل و كالّذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول : قال الله تعالى : « اذهب إلى فرعون إنّه طغى » (٢) ويشير إلى قلبه ويومي إلى أنّه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعّاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام و ترغيباً للمستمع و هو ممنوع و قد يستعمله الباطنيّة في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس و دعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزّلون القرآن على وفق رأيهم على اُمور يعلمون قطعاً أنّه غير مراد به ، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح و الرأي يتناول الصحيح و الفاسد و الموافق للهوى قد يخصّص باسم الرأي . الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة و المبدّلة و ما فيها من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير فمن لم يُحكم ظاهر التفسير و بادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة كثر غلطه و دخل في زمرة من يفسّر بالرأي فالنقل والسماع لابدّ منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتّقي مواضع الغلط ، ثمّ بعد ذلك يتّسع التفهّم و الاستنباط و الغرائب الّتي لا تفهم إلّا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدلّ بها على أمثالها ، و يعلم أنّه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أوّلاً ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، و من ادّعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير فهو كمن يدّعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدّعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فإنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللّغة الّتي لا بدّ منها للفهم وما لابدّ فيها من السماع فنون كثيرة :

(١) الخبر رواه البخاري ومسلم عن انس بن مالك في كتاب الصوم وقد مر في المجلد الاول وأخرجه الطيالسي ص ٢٦٨ .

(٢) طه : ٢٦ .

منها الايجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى : «وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها»[١] معناه أنّها آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربيّة يظنّ أنّ المراد به أنّ الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري أنّهم بماذا ظلموا وأنّهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وكذلك قوله : « وأشربوا في قلوبهم العجل »[٢] أي حبّ العجل، فحذف الحبّ، وقوله : « إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات »[٣] أي ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت، كلّ ذلك جائز في فصيح اللّغة.

وقوله : « واسئل القرية الّتي كنّا فيها والعير الّتي أقبلنا فيها »[٤] أي أهل القرية والأهل محذوف مضمر، وقوله : « ثقلت في السموات والأرض»[٥] معناه : خفيت على أهل السماوات والأرض فالشيء إذا خفي ثقل فأبدل اللّفظ وأقيم «في» مقام«على» وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى : « وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون »[٦] أي شكر رزقكم، وقوله : « ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك »[٧] أي على ألسنة رسلك فحذف الألسنة، وقوله : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر »[٨] أراد القرآن وما سبق له ذكر وقال : « حتّى توارت بالحجاب »[٩] أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله : « الّذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم »[١٠] أي يقولون : مانعبدهم وقوله : « فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً * ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك »[١١] معناه لا يفقهون يقولون ما أصابك فإن لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله تعالى : « قل كلّ من عند الله »[١٢].

ومنها المنقول المنقلب كقوله : « وطور سينين » أي طور سيناء، وقال تعالى :

---

(١) الاسراء : ٥٩.
(٢) البقرة : ٩٣.
(٣) الاسراء : ٧٥.
(٤) يوسف : ٨٢.
(٥) الاعراف : ١٨٧.
(٦) الواقعة : ٨٢.
(٧) آل عمران : ١٩٤.
(٨) القدر : ١.
(٩) ص : ٣٢.
(١٠) الزمر : ٢.
(١١) و (١٢) النساء : ٧٨ و ٧٩.

« سلام على ال ياسين »[(١)] أي على إلياس وقيل : إدريس لأنّ في حرف ابن مسعود « سلام على إدراسين ».

ومنها المكرّر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله : « وما يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركاء إن يتّبعون إلّا الظنّ »[(٢)] وقوله : وقال الملأ الّذين استكبروا من قومه للّذين استضعفوا لمن آمن منهم »[(٣)] معناه قال الّذين استكبروا لمن آمن من الّذين استضعفوا .

ومنها المقدّم والمؤخّر وهو مظنّة الغلط كقوله تعالى : « ولو لا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاماً وأجل مسمّى »[(٤)] معناه ولولا كلمة سبقت من ربّك وأجل مسمّى لكان لزاماً وبه ارتفع الأجل ولولاه لكان نصباً كاللّزام . وقوله تعالى : « يسألونك كأنّك حفيّ عنها »[(٥)] أي يسألونك عنها كأنّك حفيّ . وقوله : « لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم * كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ »[(٦)] فهذا كلام غير متّصل وإنّما هو عائد إلى قوله السابق : « قل الأنفال لله والرسول »[(٧)] « كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ » أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راضٍ بخروجك وهم كارهون ، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ، ومن هذا النوع قوله : « حتّى تؤمنوا بالله وحده إلّا قول إبراهيم لأبيه »[(٨)] .

ومنها المبهم وهو اللّفظ المشترك بين معان في كلمة أو حرف ، أمّا الكلمة فالشيء والقرين والأمّة والرّوح ونظائرها قال الله تعالى : « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء »[(٩)] أراد به النفقة ممّا رزق ، وقوله : « وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء »[(١٠)] أي الأمر بالعدل والاستقامة ، وقوله : « فإن اتّبعتني فلا تسألني عن شيء »[(١١)] أراد به من صفات الرّبوبيّة وهي العلوم الّتي لا يحلّ السؤال

(١) الصافات: ١٣٠ .
(٢) يونس : ٦٦ .
(٣) الاعراف : ٧٥.
(٤) طه : ١٢٩ .
(٥) الاعراف : ١٨٧ .
(٦) الانفال : ٤ و٥ .
(٧) الانفال : ٢ .
(٨) الممتحنة : ٤ .
(٩) و(١٠) النحل : ٧٥ و ٧٦ .
(١١) الكهف : ٧٠ .

عنها حتّى يبتدىء العارف بها في أوان الاستحقاق ، وقوله : « أم خُلقوا من غير شيء »[١] أي من غير خالق فربما يتوهّم به أنّه يدلّ على أنّه لا يخلق شيء إلّا من شيء .

و أمّا القرين فقوله تعالى : « و قال قرينه هذا ما لديّ عتيد » [٢] أراد الملك الموكّل به ، و قوله : « قال قرينه ربّنا ما أطغيته » [٣] أراد به الشيطان ، وأمّا الاُمّة فتطلق على ثمانية أوجه : الاُمّة الجماعة كقوله : « وجد عليه اُمّة من الناس يسقون »[٤] وأتباع الأنبياء كقولك « نحن من اُمّة محمّد » ، و رجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى : « إنّ إبراهيم كان اُمّة قانتاً لله » [٥] ، و الاُمّة الدّين كقوله تعالى : « إنّا وجدنا آباءنا على اُمّة » [٦] ، والاُمّة الحين و الزمان كقوله تعالى : « إلى اُمّة معدودة » [٧] ، وقوله تعالى : « و ادّكر بعد اُمّة » [٨] ، والاُمّة القامة يقال : « فلان حسن الاُمّة » أي القامة ، و اُمّة رجل متفرّد بدين لا يشركه فيه أحد ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « يبعث زيد ابن عمرو بن نفيل اُمّة وحدة » [٩] ، والاُمّة الاُمّ يقال : « هذه اُمّة زيد » أي اُمّ زيد .

و الروح أيضاً ورد في القرآن لمعان كثيرة فلا نطوّل بإيرادها .

و كذلك قد يقع الإبهام في الحروف مثل قوله تعالى : « فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً » [١٠] فالهاء الاُولى كناية عن الحوافر وهي الموريات أثرن بالحوافر نقعاً ، و الثانية كناية عن الإغارة وهي « المغيرات صبحاً » وسطن به جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى : « فأنزلنا به الماء »[١١] يعني بالسحاب ، « فأخرجنا به من كلّ الثمرات » يعني بالماء ، و أمثال هذا في القرآن لا تنحصر .

ومنها التدريج في البيان كقوله تعالى : « شهر رمضان الّذي اُنزل فيه القرآن »[١٢]

---

(١) الطور : ٣٥ .
(٢) ق : ٢٣ .
(٣) ق : ٢٧ .
(٤) القصص : ٢٣ .
(٥) النحل : ١٢٠ .
(٦) الزخرف : ٢٣ .
(٧) هود : ٨ .
(٨) يوسف : ٤٥ .
(٩) اسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٦ .
(١٠) العاديات : ٤ و ٥ .
(١١) الاعراف : ٥٧ .
(١٢) البقرة : ١٨٥ .

إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبان بقوله : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة »(١) ولم يظهر أنه في أي ليلة وظهر بقوله « إنا أنزلناه في ليلة القدر »(٢) وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله لا يغني فيه إلا النقل والسماع والقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب وكان مشتملاً على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحماً لهم ومعجزاً في حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الآية المعنى الأشهر منها فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهياً دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق ، فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني .

ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله تعالى قال : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »(٣) . فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فإنه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله وكذلك قال الله تعالى : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم »(٤) فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وإن كان الله هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات ، لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد اتضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لا نقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها يحوج إلى

(١) الدخان : ٣ . (٢) القدر : ٢ .
(٣) الانفال : ١٧ . (٤) التوبة : ١٤ .

مثل ذلك، وإنّما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفّر دواعيهم على التدبّر والتجرّد للطلب ويكون لكلّ واحدٍ حدٌّ في الترقّي إلى درجة منه. فأمّا الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فإنّ أسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لا يغني عنه.

ومثال فهم أرباب القلوب من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في سجوده: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا اُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] أنّه قيل له: «واسجد واقترب»[2] فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإنّ الرِّضا والسخط وصفان، ثمّ زاد قربه فاندرج القربان الأوّل فيه فرقى إلى الذّات وقال: «أعوذ بك منك» ثمّ زاد قربه بما استحيى به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله: «لا اُحصي ثناء عليك» ثمّ علم أنّ ذلك قصور، فقال: أنت كما أثنيت على نفسك، فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثمّ لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدلّ تفسير ظاهر اللّفظ عليه وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره، فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم».

فصل

أقول: المستفاد من كثير من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أنّ القرآن الّذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما اُنزل على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغيّر محرّف وقد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم عليّ عليه السلام في كثير من المواضع

(١) أخرجه ابوداود فى كتاب الصلاة باب الدعاء فى الركوع والسجود ج١ ص٢٠٣، وأخرجه مسلم ج ٢ ص ٥١، والترمذى ج ١٣ ص ٢٨.

(٢) العلق: ١٩.

و منها غير ذلك ، و أنّه ليس أيضاً على الترتيب المرضيّ عند الله و عند رسوله ، قال عليّ ابن إبراهيم بن هاشم - رحمه الله - في تفسيره : وأمّا ما كان خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى : « كنتم خير اُمّة اُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١) فقال أبو عبدالله عليه السلام لقاريء هذه الآية : « خير اُمّة يقتلون أمير المؤمنين والحسين ابن عليّ ؟ فقيل له : فكيف نزلت يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنّما نزلت خير أئمّة اُخرجت للناس ، ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية « تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » (٢) ، ومثله أنّه قرىء على أبي عبد الله عليه السلام « الّذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا و ذرّيّاتنا قرّة أعين و اجعلنا للمتّقين إماماً » فقال أبو عبدالله عليه السلام : « لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتّقين إماماً ، فقيل له : يا ابن رسول الله كيف نزلت ؟ فقال : إنّما نزلت « واجعل لنا من المتّقين إماماً » (٣) . وقوله : « له معقّبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » (٤) فقال أبو عبد الله عليه السلام : « كيف يحفظ الشيء من

(١) و(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) الاية في سورة الفرقان : ٧٥ والخبر رواه القمى تارة في مقدمة تفسيره مرسلا و اخرى كذلك في ذيل الاية وسياق الايات يأباه لان الله تعالى وصف فيها عباداً كانت مرتبتهم فوق مرتبة المتقين بدرجات راجع السورة قوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً - الى قوله تعالى - حسنت مستقراً ومقاماً » يذكر فيه أوصافاً جليلة لا تجتمع جلها في أحد الا المعصومين عليهم السلام كما نص عليه الباقر عليه السلام وقال : « هذه الايات للاوصياء » راجع تفسير البرهان ج٣ ص١٧٣ فهذا السؤال ليس منهم بعظيم بل هو مقتضى مقامهم الشامخ على أن هذه الرواية تناقض الخبر الذى رواه هو مسنداً عن أبان بن تغلب عن ابى عبدالله عليه السلام قال أبان : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : « الذين يقولون ربناهب لنامن أزواجنا - الاية - فقال : هم نحن أهل البيت » وأيضاً الخبر الذى رواه عن غيره أن المراد بازواجنا خديجة وبذرياتنا فاطمة وقرة أعين الحسن والحسين واجعلنا للمتقين اماماً على بن ابى طالب عليهم السلام . فتأمل .

(٤) الاية في سورة الرعد : ١١ والخبر أيضاً في تفسير القمى وقوله : « له معقبات » ظاهر معناه له ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له ، وقوله : « من أمر الله » يعنى بأمر الله كما نص عليه في الرواية التى رواها القمى أيضا عن أبى الجارود عن الباقر عليه السلام في ذيل الاية أيضاً فلا اشكال والعلم عند الله .

أمر الله ؟ و كيف يكون المعقّب من بين يديه ؟ فقيل له : و كيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنّما اُنزلت « لهمعقّبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله » ومثله كثير .

و أمّا ما هو محرّف منه فهو قوله : « لكن الله يشهد بما اُنزل إليك (في عليّ) كذا نزلت « أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون » [١] و قوله : « يا أيّها الرسول بلّغ ما اُنزل إليك من ربّك (في عليّ) وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته » [٢] و قوله : « إنّ الّذين كفروا وظلموا (آل محمّد حقّهم) لم يكن الله ليغفر لهم » [٣] و قوله : « و سيعلم الّذين ظلموا (آل محمّد حقّهم) أيّ منقلب ينقلبون » [٤] وقوله : « ترى الّذين ظلموا (آل محمّد حقّهم) في غمرات الموت » [٥] ومثله كثير نذكره في مواضعه ـ انتهى كلام عليّ بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ . [٦]

و عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ عنده رجل « وطلح منضود » [٧] فقال : وطلع . وماشأن الطلح وقرأ قوله تعالى : « لها طلعٌ نضيد » [٨] فقيل له أو نحوّلها فقال : إنّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل » .

و عن ابن عبّاس أنّه قيل له : « وطلح منضود » قال : لا « وطلع منضود » و مثله عن الصادق عليه السلام .

و روى في الكافي بإسناده عن ابن أبي نصر قال : « دفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال : لا تنظر فيه ففتحته وقرأت فيه : « لم يكن الّذين كفروا » ، فوجدت فيها اسم

---

(١) النساء : ١٦٦ . (٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) النساء : ١٦٨ . (٤) الشعراء : ٢٢٧ .

(٥) ليست هذه الاية بهذا اللفظ فى المصحف والتى فيه هكذا فى سورة الانعام :٩٣: « ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت » .

(٦) راجع مقدمة تفسيره ولايخفى عليك أن هذا الكلام هو قوله ومن حذا حذوه وعلى خلافه جم غفير من أعاظم علمائنا ، والاخبار التى رواها اكثرها ضعاف أو مراسيل أو مخدوش لايحتج بها كما عرفت راجع مقدمة تفسير آلاء الرحمن للعلامة الشيخ جواد البلاغى ـ رحمه الله ـ والبيان فى تفسير القرآن لسماحة آية الله السيد ابو القاسم الموسوى الخوئى ص١٣٦ .

(٧) الواقعة : ٢٩ والخبر فى الكشاف ذيلها . (٨) سورة (ق) : ١٠ .

سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم ، قال : فبعث إليّ ابعث إليّ بالمصحف »[١] .

و بإسناده عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجلٌ على أبي عبد الله عليه السلام و أنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : مه كفّ عن هذه القراءة اقرء كما يقرء الناس حتّى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب الله على حدّه وأخرج المصحف الّذي كتبه عليّ عليه السلام ، وقال : أخرجه عليٌ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه و كتبه فقال لهم : هذا كتاب الله تعالى كما أنزله الله على محمّد صلّى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللّوحين فقالوا : هوذاعندنا مصحفٌ جامعٌ فيه القرآن لاحاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً إنّما كان عليّ أن اُخبركم حين جمعته لتقرؤوه »[٢] .

ويرد على هذا كلّه إشكال و هو أنّه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتمادٌ على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كلُّ آية منه أن يكون محرّفاً ومغيّراً ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجّة أصلاً فينتفي فائدته و فائدة الأمر باتّباعه والوصيّة بالتمسّك به[٣] إلى غير ذلك ، وأيضاً قال الله عزّ وجلّ : « وإنّه لكتاب عزيزٌ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »[٤] و قال : « إنّانحن نزّلنا الذّكر و إنّاله لحافظون »[٥] فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير .

ويخطر بالبال في دفع هذا الإشكال - والعلم عندالله - أنّ مرادهم عليهم السلام بالتحريف والتغيير والحذف إنّما هومن حيث المعنى دون اللّفظ فمعنى قولهم عليهم السلام : « كذا نزلت » أنّ المراد به ذلك ، لا ما يفهمه الناس من ظاهره ، و ليس مرادهم أنّها نزلت كذلك في اللّفظ فحذف ذلك إخفاء للحقّ و إطفاء لنورالله ، و ممّا يدلّ على هذا ما رواه في الكافي

(١) المصدر ج ٢ ص ٦٣١ والمراد أنه وجدتلك الاسماء مكتوبة فىذلك المصحف تفسيراً لقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا » لأنها كانت من القرآن والمتأمل فى تلك السورة يعلم جداً أن ذكر سبعين رجلا من قريش مثل زيد ، عمرو ، بكر ، خالد وأمثالها بين قوله « مشركين » وخبره « منفكين » يخرج الاية عن نظام القرآن ويخالف فصاحته وبلاغته يقيناً كما لايخفى.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٣٢ تحت رقم ٢٢ .

(٣) و عرض الاخبار عليه .

(٤) فصلت : ٤١ و٤٢ .

(٥) الحجر : ٩.

باسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير [1] «و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه و حرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرّواية و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية - الحديث -».

واما مصحف أبي الحسن عليه السلام المدفوع إلى ابن أبي نصر ونهيه عليه السلام عن النظر فيه، ونهي أبي عبدالله عليه السلام الرّجل عن القراءة على غيرما يقرؤه الناس فيحتمل أن يكون ذلك تفسيراً منهم عليهم السلام للقرآن على طبق مراد الله عزّ و جلّ و وفق ما أنزل الله جلّ جلاله، لأن تكون تلك الزيادات بعينها أجزاء لألفاظه المنزلة.

و روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه و أجمعوه و لا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر ثمّ ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتّى أجمعه، قال: كان الرّجل ليأتيه فيخرج إليه بغيررداء حتّى جمعه؛ قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ الناس قرؤوا القرآن كما أُنزل ما اختلف اثنان».

قال الشيخ الصدوق أبوجعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي - رحمه الله -: اعتقادنا أنّ القرآن الّذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هوما بين الدّفّتين وما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة و أربعة عشر سورة وعندنا و الضحى و ألم نشرح سورة واحدة ولإيلاف و ألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنّا نقول: إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب، وما روي من ثواب قراءة كلّ سورة من القرآن و ثواب من ختم القرآن كلّه و جواز قراءة سورتين في كلّ ركعة نافلة و النهي عن القران بين سورتين في ركعة فريضة تصديق لما قلنا في أمر القرآن وأنّ مبلغه ما في أيدي الناس، و كذلك ما روي من النهي عن قراءة القرآن كلّه في ليلة واحدة و أنّه لا يجوز أن يختم في أقلّ من ثلاثة أيّام تصديق لما قلناه أيضاً. انتهى كلامه - رحمه الله -.

هذا آخر كتاب آداب تلاوة القرآن من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب الأذكار والدعوات والحمد لله أوّلاً وآخراً.

---

(1) الكافي ج ٨ ص ٥٣.

كتاب الأذكار و الدعوات

و هو الكتاب التاسع من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشّامل رأفته ، العامّ رحمته ، الّذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره ، فقال تعالى : «فاذكروني أذكركم»(١) ورغّبهم في السؤال والدّعاء بأمره ، فقال : «ادعوني أستجب لكم»(٢) و أطمع المطيع والعاصي والدّاني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله تعالى : «فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان»(٣) و الصلاة على محمّد سيّد أنبيائه و على آله و أصحابه خيرة أصفيائه و سلّم تسليماً كثيراً .

أمّا بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدّي باللّسان أفضل من ذكر الله و رفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلابدّ من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثمّ على التفصيل في أعيان الأذكار و شرح فضيلة الدّعاء و شروطه وآدابه و نقل المأثور من الدّعوات الجامعة لمقاصد الدّين والدّنيا والدّعوات الخاصّة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ، ويتحرّر المقصود من ذلك بذكر أبواب أربعة :

الباب الأوّل في فضيلة الذكر و فائدته جملة و تفصيلاً .

الباب الثاني في فضيلة الدّعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

الباب الثالث في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة .

الباب الرابع في الأذكار المأثورة عند حدوث الحوادث .

(١) البقرة : ١٥٢ .
(٢) المؤمن : ٦٠ .
(٣) البقرة : ١٨٦ .

﴿الباب الاول﴾

﴿في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار﴾

ويدلّ على فضيلة الذّكر على الجملة من الآيات قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » قال ثابت البناني : إنّي أعلم متى يذكرني ربّي ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : إذا ذكرته ذكرني، وقال تعالى « ياأيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » (١)، وقال : « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله » (٢) وقال : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً » (٣)، وقال تعالى : « الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » (٤)، وقال تعالى : « فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » (٥) قال ابن عبّاس : أي باللّيل والنهار، في البرّ والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، والمرض والصحّة، والسرّ والعلانية، وقال تعالى في ذمّ المنافقين : « ولا يذكرون الله إلّا قليلاً » (٦)، وقال : « واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولاتكن من الغافلين » (٧) وقال عزّ وجلّ : « ولذكر الله أكبر » (٨)، قال ابن عبّاس : له وجهان أحدهما أنّ ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إيّاه، والآخر أنّ ذكر الله أكبر من كلّ عبادة سواه. إلى غير ذلك من الآيات.

واما الاخبار فقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم » (٩).

---

(١) الاحزاب : ٤١.
(٢) البقرة : ١٩٨.
(٣) البقرة : ٢٠٠.
(٤) آل عمران : ١٩١.
(٥) النساء : ١٠٣.
(٦) النساء : ١٤٢.
(٧) الاعراف : ٢٠٤.
(٨) العنكبوت : ٤٥.
(٩) أخرجه ابونعيم في الحلية عن ابن عمر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارّين»[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «ذاكر الله في الغافلين كالحيّ بين الأموات»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرّكت بي شفتاه»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلّا أن تضرب بسيفك حتّى ينقطع، ثمّ تضرب به حتّى ينقطع، ثمّ تضرب به حتّى ينقطع»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليكثر ذكر الله»[٥].

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله»[٦].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله عزّ وجلّ: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملإه، وإذا تقرّب منّي شبراً تقرّبت منه ذراعاً، وإذا تقرّب منّي ذراعاً تقرّبت منه باعاً، وإذا مشى إليّ هرولت إليه»[٧] يعني بالهرولة سرعة الإجابة.

---

(١) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود و فيه «بمنزلة الصابر فى الفارين» و رواه الكلينى فى الكافى ج ٢ ص ٥٠٢ بأدنى اختلاف أيضاً.

(٢) لم أجده الا ان فى المصابيح للبغوى ج ١ص ١٤٨ قال: «مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر مثل الحى والميت» وأخرجه مسلم وغيره هكذا.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٧٩٢. و قال صاحب المشكاة: أخرجه البخارى أيضاً وأخرجه البيهقى وابن حبان من حديث ابى هريرة والحاكم من حديث ابى الدرداء.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدعوات الكبير كما فى مشكاة المصابيح ص ١٩٩.

(٥) أخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد ضعيف كما فى المغنى. و قد مر فى المجلد الاول ص ٨٦ عن معانى الاخبار و جامع الترمذى و مصابيح السنة للبغوى ج ١ ص ١٤٩ هكذا «اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر».

(٦) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٣ عن معاذ بن جبل.

(٧) أخرجه مسلم ج٨ ص٦٧، والبغوى ج١ص ١٤٨، وصدره الطيالسى ص٢٦٥.

أقول : و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي بإسناده الحسن عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله تعالى يقول : من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي من سألني » (١) .

وبإسناده عنه عليه السلام قال : « قال الله تعالى : من ذكرني سرّاً ذكرته علانية » (٢) .

وبإسناده عن ابن فضّال رفعه قال : « قال الله تعالى لعيسى : ياعيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، واذكرني في ملائك أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميّين ، ياعيسى ألن لي قلبك ، وأكثر ذكري في الخلوات ، و اعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ و كن في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً » (٣) .

وعنه عليه السلام قال : « من أكثر ذكر الله أظلّه الله في جنّته » (٤) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : من أكثر ذكر الله أحبّه الله ، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان : براءة من النّار ، و براءة من النفاق » (٥) .

وعنه عليه السلام قال : « شيعتنا الّذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً » (٦) .

وعنه عليه السلام قال : « ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه ، فرض الله تعالى الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدّهنّ ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه ، والحجّ فمن حجّ فهو حدّه إلّا الذّكر فإنّ الله تعالى لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ثمّ تلا « يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلاً » (٧) وقال : لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ، قال : وكان أبي كثير الذّكر لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله ، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، و كنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلّا الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتّى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرء منّا ، ومن كان لا يقرء منّا أمره بالذّكر ، والبيت الّذي يقرء فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته و تحضره

---

(١) و(٢) و(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٠١ و٥٠٢ والتبصبص : التملق .

(٤) المصدر ص ٥٠٠ تحت رقم ٥ .

(٥) و(٦) المصدر ص ٤٩٩ رقم ٣ و ٢ .

(٧) الاحزاب : ٤١ و ٤٢ والاصيل الوقت بعد العصر والمغرب .

الملائكة و تهجره الشياطين و يضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرّي لأهل الأرض ، والبيت الّذي لايقرء فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته ، وتهجره الملائكة و تحضره الشياطين ، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أخبركم بخير أعمالكم ، أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم ، خيرٌ لكم من الدّينار والدّرهم ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلوكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذكر الله تعالى كثيراً. ثمّ قال : جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : من خير أهل المسجد ؟ فقال : أكثرهم لله ذكراً ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أُعطي لساناً ذاكراً فقد أُعطي خير الدّنيا والآخرة ، وقال في قوله : « ولاتمنن تستكثر »(١) قال : لاتستكثر ما عملت من خير لله »(٢) .

وعنه عليه السلام قال : « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لا تفرح بكثرة المال ، ولا تدع ذكري على كلّ حال ، فإنّ كثرة المال تنسي الذّنوب ، و إنّ ترك ذكري يقسي القلوب » (٣) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى عليه السلام سأل ربّه فقال : إلهي إنّه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلّك أن أذكرك فيها ، فقال : ياموسى إنّ ذكري حسنٌ على كلّ حال » (٤) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام « لابأس بذكر الله وأنت تبول ، فإنّ ذكر الله حسن على كلّ حال ، فلاتسأم من ذكر الله » (٥) .

وعنه عليه السلام « أنّ الصواعق لاتصيب ذاكراً (٦) » .

✿ (فضيلة مجالس الذكر) ✿

« قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عزّ وجلّ إلّا حفّت بهم الملائكة و غشيتهم الرّحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » (٧) .

---

(١) المدثر. ٦ . (٢) المصدر ج ٢ ص ٤٩٨ تحت رقم ١ .

(٣) و(٤) و(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٩٧ رقم ٧و٨و٦ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٥٠٠ رقم ٢ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٨ ص٧٢. واحمد في المسند ج٣ ص ٣٣ والترمذي ج ١٢ ص ٢٧١ كلهم من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزّ وجلّ لا يريدون بذلك إلّا وجهه إلّا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدّلت سيّئاتكم حسنات» (١).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «ما قعد قومٌ مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا على النبيّ إلّا كان عليهم حسرة يوم القيامة» (٢).

وقال داود عليه السلام: «إلهي إذا رأيتني اُجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنّها نعمة تنعم بها عليّ».

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «المجلس الصالح يكفّر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء» (٣).

وعن أبي سعيد الخدريّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ لله عزّ وجلّ ملائكة سيّاحين في الأرض فضلاً عن كتّاب النّاس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله سبحانه تنادوا هلمّوا إلى بغيتكم، فيجيئون فيحفّون بهم إلى السّماء الدّنيا فيقول الله تبارك و تعالى: على أيّ شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجّدونك و يسبّحونك، فيقول: وهل رأوني؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف ولو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشدّ تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً، فيقول لهم: من أيّ شيء يتعوّذون؟ فيقولون: من النّار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشدّ هرباً منها وأشدّ نفوراً، فيقول: وأيّ شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنّة، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشدّ حرصاً عليها فيقول: فإنّي اُشهدكم أنّي قد غفرت لهم، فيقولون: كان فيهم فلانٌ لم يردهم إنّما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (٤).

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ج ٣ ص ١٤٢.

(٢) رواه الكلينى فى الكافى ج ٢ ص ٤٩٧ وأخرج الترمذى ج١٢ ص٢٧٢ نحوه و حسنه من حديث ابى هريرة وفى المصابيح ج١ ص ١٤٩ بأدنى اختلاف فى اللفظ.

(٣) قال العراقى: ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة و هو مرسل ولم يخرجه ولده ولذلك لم أجد له اسناداً.

(٤) أخرجه البخارى ج ٨ ص ١٠٨ ورواه مسلم مختصراً ج ٨ ص ٦٨ وأخرجه الحاكم ج ١ ص ٤٩٥ والترمذى ج ١٣ ص ٨٩، والبغوى فى المصابيح ج١ ص١٤٨.

أقول : و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي باسناده الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما من مجلس يجتمع فيه أبرارٌ وفجّار فيقومون على غير ذكر الله إلّا كان حسرة عليهم يوم القيامة » (١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله تعالى و لم يصلّوا على نبيّهم إلّا كان ذلك المجلس حسرة و وبالاً عليهم » (٢) .

وعنه عليه السلام قال : « ما اجتمع في مجلس قومٌ لم يذكروا الله تعالى ولم يذكرونا إلّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ، ثمّ قال : قال أبوجعفر عليه السلام : إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكرعدوّنا من ذكر الشيطان » (٣) .

وباسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى عليه السلام سأل ربّه فقال : يارب أقريب أنت منّي فاُناجيك ، أم بعيدٌ فاُناديك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لاستر إلّاسترك ؟ قال : الّذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابّون فيّ فاُحبّهم ، فأولئك الّذين إذا أردت أن اُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم » (٤) .

☼(فضيلة التهليل)☼

« قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل ما قلته أناوالنبيّون من قبلي : لاإله إلّا الله وحده لا شريك له » (٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشةفي قبورهم ولافي النشور كأنّي أنظرإليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب و يقولون : الحمد لله الّذي أذهب

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٩٦ تحت رقم ١ .
(٢) مر آنفاً .
(٣) و(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٩٦ تحت رقم ٢ و ٤.
(٥) أخرجه الترمذى ج١٣ص ٨٣ فى حديث وقال : هذاحديث غريب ، ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ج ٥ ص ١١٧ .

عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكور»(١).

و قال ﷺ: «ليدخلنّ الجنّة كلّكم إلّا من تأبّى وشرد على الله شرد البعير على أهله، فقيل: يا رسول الله من الّذي تأبّى؟ قال: من لم يقل: لا إله إلّا الله، فأكثروا من قول لا إله إلّا الله قبل أن يحال بينكم وبينها، فإنّها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيّبة، وهي دعوة الحقّ، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنّة»(٢).

وقال تعالى: «هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان»(٣)، فقيل: الإحسان في الدّنيا قول لا إله إلّا الله وفي الآخرة الجنّة. وكذا قوله تعالى: «للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة»(٤).

اقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلّا الله، إنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيءٌ ولا يشركه في الأمور أحد»(٥).

و عن الوصافي رفعه قال: «قال رسول الله ﷺ: من قال: «لا إله إلّا الله» غرست له شجرة في الجنّة من ياقوتة حمراء منبتها في مسك أبيض أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، فيها أمثال ثدي الأبكار تعلو عن سبعين حلّة»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «خير العبادة قول «لا إله إلّا الله»»(٧).

---

(١) أخرجه الطبراني في المسند الكبير عن ابن عمر بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب اللام.

(٢) قال العراقي: أخرجه البخاري «كل امتي يدخلون الجنة الا من أبى» وزاد الحاكم وصححه «وشرد على الله شرود البعير الى أهله» قال البخاري «قالوا يارسول الله ومن يأبى؟ قال: من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» ولابن عدى وابى يعلى والطبراني في الدعاء «اكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها» وفيه ابن وردان ايضاً ولابي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسلا «اذا قلت: لا اله الا الله وهي كلمة التوحيد».

(٣) الرحمن: ٦٠. (٤) يونس: ٢٦.

(٥) الى (٧) المصدر ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير العبادة قول «لا إله إلّا الله» و قال: «خير العبادة الاستغفار» وذلك قول الله تعالى في كتابه: «فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك»(١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ثمن الجنّة قول «لا إله إلّا الله والله أكبر»(٢).

وعنه عليه السلام قال: «قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن قال من اُمّتك: «لا إله إلّا الله وحده وحده وحده»(٣).

وباسناده الصحيح عنه عليه السلام قال: «من قال عشر مرّات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير» كانت كفّارة لذنوبه ذلك اليوم»(٤).

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلّى الغداة فقال قبل أن ينفض ركبتيه عشر مرّات: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويميت ويحيي، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير» و في المغرب مثلها، لم يلق الله عزّ وجلّ عبدٌ بعمل أفضل من عمله إلّا من جاء بمثل عمله»(٥).

و عنه عليه السلام «من قال عشر مرّات في كلّ يوم: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتّخذ صاحبة و لا ولداً» كتب الله له خمسة و أربعين ألف حسنة، ومحا عنه خمسة، و أربعين ألف سيّئة، و رفع له خمسة وأربعين ألف درجة»(٦).

و في رواية اُخرى «و كنّ له حرزاً في يومه من الشيطان و السلطان، و لم تحط به كبيرة من الذنوب»(٧).

وعنه عليه السلام «من قال في كلّ يوم: «لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلّا الله عبوديّة ورقّاً، لا إله إلّا الله إيماناً و تصديقاً» أقبل الله تعالى عليه بوجهه ولم يصرف وجهه عنه حتّى يدخل الجنّة»(٨).

---

(١) الى (٣) المصدر ج ٢ ص ٥١٧.
(٤) و(٥) المصدر ج ٢ ص ٥١٨.
(٦) الى (٨) المصدر ج ٢ ص ٥١٩.

وعن أبان بن تغلب عنه عليه السلام قال: «يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث «من شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً وجبت له الجنّة» قال: قلت له: يأتيني من كلّ صنف من الأصناف أفأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إنّه إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين فتسلب لا إله إلّا الله منهم إلّا من كان على هذا الأمر» (١).

وفي بعض الأخبار «وإخلاصه بها أن يحجزه عمّا حرّم الله عزّ وجلّ» (٢).

وروى الصدوق عن إسحاق بن راهويه قال: لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون فاجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيد منك، وقد كان قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال: «سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله جلّ وعزّ يقول: «لا إله إلّا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» فلمّا مرّت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها» (٣).

(فضيلة سائر الاذكار)

في الكافي بإسناده الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله إنّ الأغنياء لهم ما يعتقون وليس لنا، ولهم ما يحجّون وليس لنا، ولهم ما يتصدّقون وليس لنا، ولهم ما يجاهدون وليس لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كبّر الله تعالى مائة مرّة كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن سبّح الله مائة مرّة كان أفضل من سياق مائة بدنة، ومن حمد الله مائة مرّة كان أفضل من حملان مائة فرس (٤)

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠. (٢) مر الخبر في المجلد الاول.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٢٧٥.

(٤) قال في النهاية: قال أبو موسى: «أرسلني أصحابي الى النبي صلى الله عليه وآله أسأله الحملان» الحملان - بضم الحاء - مصدر حمل يحمل حملاناً، وذلك أنهم أرسلوه يطلب منه شيئاً يركبون عليه.

في سبيل الله بسرجها ولجمها وركبها ، و من قال : « لا إله إلّا الله » مائة مرّة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلّا من زاد ؛ قال : فبلغ ذلك الأغنياء فصنعوه ، قال : فعادالفقراء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ماقلت فصنعوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »(١).

و عن أحدهما عليهما السلام قال : « أكثروا من التهليل و التكبير فإنّه ليس شيء أحبّ إلى الله من التهليل و التكبير »(٢).

وعنه عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام - وفي بعض النسخ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - : التسبيح نصف الميزان ، و الحمد لله يملأ الميزان ، و الله أكبر يملأ ما بين السماء و الأرض »(٣).

و بإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل يغرس غرساً في حائط له ، فوقف عليه و قال : ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً و أسرع إيناعاً و أطيب ثمراً و أبقى ؟ قال : بلى فدلّني يا رسول الله ، فقال : إذا أصبحت و أمسيت فقل : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر » فإنّ لك إن قلته بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة وهنّ من الباقيات الصالحات ، قال : فقال الرّجل : فإنّي أشهدك يا رسول الله أنّ حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصدقة فأنزل الله تعالى آيات من القرآن « فأمّا من أعطى واتّقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسّره لليسرى »(٤).

وبإسناده عن المفضّل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام جعلت فداك ، علّمني دعاء جامعاً فقال لي : « أحمد الله فإنّه لا يبقى أحدٌ يصلّي إلّا دعا لك يقول : « سمع الله لمن حمده »(٥).

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٠٥ .

(٢) و(٣) المصدر ج٢ ص ٥٠٦ .

(٤) سورة الليل : ٦ الى ٨ والخبرفي الكافي ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٥) المصدر ج٢ ص ٥٠٣ .

وعن محمد بن مروان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ فقال : « أن تحمده[١] - وفي بعض النسخ أن تمجّده - » .

وعنه عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله في كلِّ يوم ثلاثمائة مرّة وستّين مرّة عدد عروق الجسد يقول : الحمد لله ربِّ العالمين كثيراً على كلِّ حال »[٢] .

وعنه عليه السلام : « من قال أربع مرّات إذا أصبح : « الحمد لله ربِّ العالمين » فقد أدّى شكر يومه ، و من قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته »[٣] .

وعنه عليه السلام قال : « تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام من الذكر الكثير الّذي قال الله تعالى : « اُذكروا الله ذكراً كثيراً » »[٤] .

و عنه عليه السلام « من قال عشر مرّات : « يا ربِّ ، يا ربِّ » قيل له : لبّيك ما حاجتك »[٥] .

و عنه عليه السلام « من قال : « ياالله ياالله» عشر مرّات قيل له : لبّيك ماحاجتك »[٦] .

وعنه عليه السلام « من قال : « يا ربِّ يا الله ، يا ربِّ يا الله ، يا ربِّ يا الله » حتّى ينقطع نفسه قيل له : لبّيك ما حاجتك »[٧] .

و عنه عليه السلام قال : « إذا دعا الرّجل فقال بعد مادعا : « ما شاء الله لاحول ولاقوّة إلّا بالله » قال الله تعالى : استبسل عبدي واستسلم لأمري ، اقضوا حاجته »[٨] .

وعنه عليه السلام « من قال : « ماشاءالله ، لاحول ولا قوّة إلّا بالله » سبعين مرّة صرف الله عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أيسر ذلك الخنق ، قيل : و ما الخنق ؟ قال : لايعتلُّ بالجنون فيخنق »[٩] .

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام مرفوعاً « مامن عبد يقول حين يمسي ويصبح : « رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً ، وبالقرآن بلاغاً ، وبعليٍّ إماماً » ثلاثاً

---

(١) الى (٣) الكافي ج٢ ص ٥٠٣ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٠٠ . (٥) المصدر ج ٢ ص ٥٢٠ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٥١٩ . (٧) المصدرج ٢ ص ٥٢٠ .

(٨) و(٩) المصدر ج ٢ ص ٥٢١ والمستبسل : الذي يوطن نفسه على الموت .

إلّا كان حقاً على الله العزيز الجبّار أن يرضيه يوم القيامة»[١] .

وبإسناده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « مامن عبد يقول إذا أصبح قبل طلوع الشمس : « الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، و سبحان الله بكرة و أصيلاً ، و الحمد لله ربّ العالمين كثيراً ، لاشريك له ، وصلّى الله على محمّد و آله » إلّا ابتدرهنّ ملك وجعلهنّ في جوف جناحه وصعد بهنّ إلى السماء الدّنيا ،فيقول له الملائكة : مامعك؟ فيقول : معي كلمات قالهنّ رجل من المؤمنين وهي كذا و كذا ، فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات و غفرله ، قال : و كلّما مرّ بسماء قال لأهلها مثل ذلك ، فيقولون : رحم الله من قال هؤلاء الكلمات وغفرله ، حتّى ينتهي بهنّ إلى حملة العرش فيقول لهم : إنّ معي كلمات تكلّم بهنّ رجل من المؤمنين وهي كذا و كذا ، فيقولون : رحم الله هذا العبد و غفرله ، انطلق بهنّ إلى حفظة كنوز مقالة المؤمنين فإنّ هؤلاء كلمات الكنوز حتّى تكتبهنّ في ديوان الكنوز»[٢] .

﴿فصل﴾

قال أبوحامد : « فإن قلت : فما بال ذكر الله مع خفّته على اللّسان و قلّة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقّات فيها ؟ .

فاعلم أنّ تحقيق هذا لايليق إلّا بعلم المكاشفة ؛ والقدر الّذي يسمح بذكره في علم المعاملة أنّ المؤثّر النافع هو الذكر على الدّوام مع حضور القلب ، فأمّا الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى ، وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً ، و حضور القلب في لحظة بالذكر والذّهول عن الله سبحانه مع الاشتغال بالدّنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدّوام أو في أكثر الأوقات هو المقدّم على العبادات بل به يشرف سائر العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات العمليّة ، وللذكر أوّل و آخر فأوّله يوجب الاُنس والحبّ و آخره يوجبه الاُنس والحبّ ويصدر عنه و المطلوب ذلك الاُنس ، فإنّ المريد في بداية الأمر قد يكون متكلّفاً يصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر الله تعالى فإن وفّق للمداومة

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٢٥ .
(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٢٦ .

أنس به وانغرس في قلبه حبّ المذكور ، ولا ينبغي أن يتعجّب من هذا فإنّ من المشاهد في العادات أن يذكر غائب غيرمشاهد بين يدي شخص ويكرّر ذكر خصاله عنده فيحبّه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر، ثمّ إذا عشق بكثرة الذكر المتكلّف أوّلاً صار مضطرّاً إلى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلّفاً أحبّه ، فكذلك أوّل الذكر متكلّف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحبّ له ، ثمّ يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجباً والثمرة مثمراً وهذا معنى قول بعضهم : كابدت القرآن عشرين سنة ثمّ تنعّمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التنعّم إلّا من الأنس والحبّ ، ولا يصدر الأنس والحبّ إلّا من المداومة على المكابدة والتكلّف مدّة طويلة حتّى يصير التكلّف طبعاً ، وكيف يستبعد هذا وقد يتكلّف الإنسان تناول طعام يستبشعه [(١)] أوّلاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتّى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحمّلة لما تكلّف « هي النفس ما عوّدتها تتعوّد » أي ما كلّفتها أوّلاً يصير لها طبعاً آخراً ، ثمّ إذا حصل الأنس بذكر الله انقطع عن غير الله ، وما سوى الله هو الّذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر أهلٌ ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلّا ذكر الله فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصدّ عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنّه خلّي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلّص من السجن الّذي كان ممنوعاً فيه عمّا به أُنسه ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله : « إنّ روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنّك مفارقه [(٢)] » أراد به كلّ ما يتعلّق بالدّنيا فإنّ ذلك يفنى في حقّه بالموت « فكلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام » وإنّما تفنى الدّنيا بالموت في حقّه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الأنس يتلذّذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله تعالى ويترقّى من الذكر إلى اللّقاء ، وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ، ويحصّل ما في

---

(١) البشع - ككتف - من الطعام : الكريه فيه حفوف ومرارة والكريه ريح الفم الذي لا يتخلل ولا يستاك والمصدر البشاعة والبشع - محركة - .

(٢) مر الخبر في ج ١ ص ١٨٣ .

الصدور ، ولا تنكرنّ لقاء الله وبقاء ذكر الله تعالى معه بعدالموت فتقول : إنّه اُعدم فكيف يبقى معه ذكر الله تعالى ؟ فإنّه لم يُعدَم عدماً يمنع الذكر بل يُعدم عدماً من الدّنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت ، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله : « القبر إمّا حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنّة »(١) و بقوله صلى الله عليه وآله : « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر »(٢) وبقوله لقتلى بدر من المشركين : « يا فلان ويا فلان ويا فلان - و قد سمّاهم - إنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فسمع عمر قوله فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنّى يجيبون وقد قتلوا ؟ فقال : والّذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنّهم لا يقدرون أن يجيبوا »(٣) و الحديث في الصحيح ، هذا قوله في المشركين ، وأمّا المؤمنون والشهداء فقال صلى الله عليه وآله : « أرواحهم في حواصل طير خضر معلّقة تحت العرش »(٤) .

أقول : روى في التهذيب(٥) عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال لي : « ما يقول النّاس في أرواح المؤمنين ؟ قلت : يقولون : إنّها في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش ، فقال : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر ، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدّنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليه القادم عرفه بتلك الصورة الّتي كانت في الدّنيا » .

قال أبو حامد : « وهذه الحالة وما اُشير بهذه الألفاظ إليه لا تنافي ذكر الله تعالى و قال الله تعالى : « ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم

---

(١) رواه الكليني فى الكافي ج ٣ ص ٢٤٢ وللترمذى مثله بتقديم و تأخير .
(٢) أخرجه مسلم ج ٦ ص ٣٨ من حديث ابن مسعود فى حديث .
(٣) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٦٣ من حديث أنس ، ونحوه البخارى ج ٢ ص ١١٧ عن ابن عمر.
(٤) أخرجه ابن جرير عن السدى وابن ابى حاتم عن ابى سعيد كما فى الدر المنثور ج ٢ ص ٩٦ .
(٥) **المصدر ج ١ ص ١٣١ ، ورواه الكليني ج ٣ ص ٢٤٥ بلفظه .**

يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم[(١)] ، ولأجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدّنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره ، وإن قدر عبد على أن يجعل همّه مستغرقاً بالله فلايقدر على أن يموت على تلك الحالة إلّا في صفّ القتال فإنّه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدّنيا كلّها فإنّه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته في حبّ الله وطلب مرضاته ، فلاتجرّد لله أعظم من ذلك في الشرع ، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالايحصى ، من ذلك أنّه لمّا استشهد عبدالله الأنصاريّ يوم أُحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر : « ألا أُبشّرك يا جابر ؟ قال : بلى يا رسول الله بشّرك الله بالخير ، قال : إنّ الله سبحانه أحيى أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى : تمنّ عليّ يا عبدي ماشئت أُعطكه ، فقال : يا ربّ تردّني إلى الدّنيا حتّى أُقتل فيك وفي نبيّك مرّة أُخرى قال الله تعالى : سبق القضاء منّي بأنّهم إليها لايرجعون »[(٢)] .

ثمّ القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنّه لولم يقتل وبقي مدّة ربما عادت شهوات الدّنيا وغلبت مااستولى على قلبه من ذكر الله تعالى ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإنّ القلب وإن أُلزم ذكر الله فهو متقلّب لايخلو عن الالتفات إلى شهوات الدّنيا ولاينفكّ عن فترة تعتريه فإذا تمثّل في آخر الحال في قلبه أمر من الدّنيا واستولى عليه وارتحل عن الدّنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فتحنّ بعد الموت إليه ويتمنّى الرجوع إلى الدّنيا وذلك لقلّة حظّه في الآخرة إذ يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه ، وأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر ، بل حبّ الله تعالى وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي الّتي عبّر عنها بقوله تعالى : « إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة »[(٣)] ومثل هذا الشخص هو البايع للدّنيا بالآخرة وحال

---

(١) آل عمران : ١٦٩ و ١٧٠ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٩٠ .

(٣) التوبة : ١١٢ .

الشهيد يوافق معنى قولك : «لا إله إلّا الله » فإنّه لامقصود له سوى الله وكلّ مقصود معبود وكلّ معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلّا الله إذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيّة الله ولا يؤمن في حقّه الخطر ولذلك فضّل قول « لا إله إلّا الله » على سائر الأذكار ، وذكر ذلك مطلقاً في مواضع للترغيب ، ثمّ ذكر في بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال صلى الله عليه وآله : « من قال : لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة »[1] ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال ، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلّا الله حالاً ومقالاً وظاهراً وباطناً حتّى نودّع الدّنيا غير ملتفتين إليها بل متبرّمين بها ومحبّين للقاء الله فإنّ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فهذه مرامز إلى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة » .

أقول: وعن الصادق عليه السلام[2] قال : « من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاص ، والطاعة علامة الهداية ، والمعصية علامة الضلالة ، وأصلهما من الذكر والغفلة ، فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحرّكه إلّا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضا الإيمان ، فإنّ الله عالم بسرّك وجهرك وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر ، غير شاغل نفسك عمّا عناك ممّا كلّفك به ربّك في أمره ونهيه ووعده ووعيده ولا تشغلها بدون ما كلّفك ، واغسل قلبك بماء الحزن واجعل ذكر الله من أجل ذكره إيّاك فإنّه ذكرك وهو غنيّ عنك فذكره لك أجلّ وأشهى وأتمّ من ذكرك له وأسبق ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والانكسار ويتولّد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب مننه وتخلص لوجهه ؛ ورؤيتك ذكرك له تورثك الرّياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه واستكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه ولا تزداد بذلك من الله إلّا بعداً ، ولا يستجلب به على مضيّ الأيّام إلّا وحشة ، والذكر ذكران : ذكرٌ خالص بموافقة القلب ، وذكر صارف ينفي ذكر غيره كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فرسول الله صلى الله عليه وآله لم يجعل

(١) أخرجه البزاز عن أبي سعيد بسند صحيح كما في الجامع الصغير .
(٢) مصباح الشريعة الباب الخامس .

لذكره لله مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله له من قبل ذكره له فمن دونه أولى ، فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنّه مالم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره ».

﴿الباب الثاني﴾

(في آداب الدّعاء و فضله وفضل بعض الأدعية المأثورة)

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله سبحانه : « و إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لي »[1].

و قال تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً و خفية إنّه لا يحبّ المعتدين »[2] وقال عزّوجلّ : « قل ادعوا الله أوادعوا الرّحمن أيّاًمّا تدعوا فله الأسماء الحسنى »[3].

وقال تعالى : « وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين »[4].

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : « إنّ الدّعاء هو العبادة ثمّ قرأ « ادعوني أستجب لكم »[5].

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « الدّعاء مخّ العبادة »[6].

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إنّ العبد لا يخطئه من الدّعاء إحدى ثلاثة إمّا ذنب يغفر له ،

---

(١) البقرة : ١٨٣ .　　(٢) الاعراف : ٥٥ .

(٣) الاسراء: ١١٠ .

(٤) المؤمن : ٦٣ . وقوله تعالى : «داخرين» أى صاغرين .

(٥) رواه احمد و الترمذى والنسائى و أبو داود و ابن ماجه كلهم عن النعمان بن بشير كمافى مشكاة المصابيح ص ١٩٤ .

(٦) أخرجه الترمذى ج ١٢ ص ٢٦٦ من حديث أنس والمخ خالص كل شيء وانما كان الدعاء كذلك لان حقيقة العبادة هو الخضوع والتذلل وهو حاصل فى الدعاء أشد الحصول .

وإمّا خير يعجّل له، وإمّا خير يدّخر له»(١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سلوا الله من فضله فإنّه يحبّ أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج»(٢).

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي بإسناده الحسن عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تعالى يقول: «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» قال: هو الدّعاء وأفضل العبادة الدّعاء، قلت: «إنّ إبراهيم لأوّاه حليم» قال. الأوّاه هو الدّعّاء»(٣).

وبإسناد الموثّق عنه عليه السلام أيضاً أنّه سئل أيّ العبادة أفضل؟ فقال: «ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ممّا عنده وما أحد أبغض إلى الله ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده»(٤).

وبإسناده الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عليكم بالدّعاء فإنّكم لا تقرّبون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها إنّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار»(٥).

وبإسناده الصحيح عن ميسّر بن عبد العزيز عنه عليه السلام قال: قال لي: «يا ميسّر ادع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله منزلة لا تنال إلّا بمسألة ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط، يا ميسّر إنّه ليس من باب يقرع إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه»(٦).

وعنه عليه السلام «من لم يسأل الله من فضله افتقر»(٧).

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: أحبّ الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدّعاء، وأفضل العبادة العفاف؛ قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاء»(٨).

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس من حديث أنس كما في المغني.

(٢) أخرجه الترمذي ج١٣ ص ٧٧ من حديث ابن مسعود بسند صحيح.

(٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص٤٦٦ تحت رقم ١ و ٢.

(٥) المصدر ج ٢ ص ٤٦٧ تحت رقم ٦.

(٦) المصدر ج ٢ ص ٤٦٦ تحت رقم ٣.

(٧) و (٨) المصدر ج ٢ ص ٤٦٧ تحت رقم ٤ و ٨.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدّعاء سلاح المؤمن وعمود الدّين، ونور السماوات والأرض»(١).

وبهذا الإسناد قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدّعاء مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح، وخير الدّعاء ما صدر عن صدر نقيّ وقلب تقيّ، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالإخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع»(٢).

وعنه عليه السلام «الدّعاء يردّ القضاء بعد ما أُبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فإنّه مفتاح كلّ رحمة، ونجاح كلّ حاجة، ولا ينال ما عند الله تعالى إلّا بالدّعاء، وإنّه ليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه»(٣).

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدّعاء ترس المؤمن، ومتى تُكثر قرع الباب يفتح لك»(٤).

وعنه عليه السلام قال: «الدّعاء أنفذ من السنان الحديد»(٥).

وفي الحسن عن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إنّ الدّعاء يردّ ما قد قدّر وما لم يقدّر، قلت: ما قد قدّر قد عرفته فما لم يقدّر؟ قال: حتّى لا يكون»(٦).

وفي الصحيح عن أبي ولّاد عنه عليه السلام قال: «عليكم بالدّعاء فإنّ الدّعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدّر وقضي فلم يبق إلّا إمضاؤه فإذا دعي الله تعالى وسئل صرف البلاء صرفة»(٧).

وفيه عن أبي ولّاد عنه عليه السلام «ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدّعاء إلّا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدّعاء

(١) و (٢) الكافي ج ٢ ص ٤٦٨ تحت رقم ١ و ٢.
(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ٧.
(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٦٨ تحت رقم ٤.
(٥) و (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٦٩ تحت رقم ٧ و ٢.
(٧) المصدر ج ٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ٨.

إلّا كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدّعاء والتضرّع إلى الله »(١) .

وفي الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام « هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا أُلهم أحدكم الدّعاء عند البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير »(٢) .

وعنه عليه السلام « عليك بالدّعاء فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء »(٣) .

والأخبار في فضل الدّعاء أكثر من أن تحصى .

✡(آداب الدعاء وهي عشرة)✡ (✡)

أقول : بل هي أكثر وسنذكر البواقي بعد العشرة .

« **الاول** : أن يترصّد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، وشهر رمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الاسبوع ، ووقت السحر من ساعات اللّيل ، قال الله تعالى : « وبالأسحارهم يستغفرون »(٤) ولقوله صلى الله عليه وآله : « ينزل الله كلّ ليلة إلى السماء الدّنيا حين يبقى ثلث اللّيل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له »(٥) .

أقول : و قد مرّ هذا الحديث في آداب صلاة الجمعة و أنّه هكذا « إنّ الله ينزّل ملكاً إلى السماء الدّنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أوّل اللّيلة فيأمره فينادي هل من سائل فأُعطيه سؤله ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له - الحديث - »(٦) .

وفي عدّة الدّاعي(٧) عن الباقر عليه السلام « أنّ الله لينادي كلّ ليلة جمعة من فوق عرشه

---

(١) و(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٧١ تحت رقم ٢ و ١ . والوشيك : السريع .

(٣) المصدر ج٢ ص ٤٧٠ تحت رقم ١ .

(✡) من كلام أبي حامد .

(٤) الذاريات : ١٨ .

(٥) رواه البخاري ج٢ ص ٦٣ ، و مسلم ج٢ ص١٧٥ ، وأبوعوانة ج ٢ص ٢٨٩ .

(٦) مر الخبر ص ١٦ عن الفقيه ص ١١٤ رقم ٢٥ .

(٧) المصدر ص ٢٧ رواه عن الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٤ . وبقية الروايات في العدة ص ٢٨ و ٢٩ .

من أوّل اللّيل إلى آخره ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودنياه قبل طلوع الفجر فاُجيبه، ألا عبد مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه، ألا عبد مؤمن قدقترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده واُوسّع عليه، ألا عبد مؤمن سقيمٌ يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فاُعافيه، ألا عبدٌ مؤمن محبوس مغمومٌ يسألني أن اُطلقه من سجنه واُخلّي سربه، ألا عبدٌ مؤمن مظلوم يسألني أن آخذله بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له وآخذ بظلامته، قال: فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر».

وعن أحدهما عليهما السلام «أنّ العبد المؤمن يسأل الله الحاجة فيؤخّر الله تعالى قضاءَ حاجته الّتي سأل إلى يوم الجمعة».

وعن الصادق عليه السلام في قول يعقوب لبنيه: «سوف أستغفر لكم ربّي» قال: «أخّرهم إلى السحر من ليلة الجمعة».

قال: «وعن النبيّ صلى الله عليه وآله من كان له حاجة فليطلبها في العشاء فإنّها لم يعطها أحدٌ من الاُمم قبلكم - يعني العشاء الآخرة -».

وفي رواية «وفي السدس الأوّل من النصف الثاني من اللّيل» وبعضدها ماورد من الترغيب والفضل لمن صلّى باللّيل والناس نيام، و في الذكر في الغافلين، ولا شكّ في استيلاء النوم على غالب الناس في ذلك الوقت بخلاف النصف الأوّل فإنّه ربمايستصحب الحال فيه النهار، وآخر اللّيل ربما انتشروا فيه لمعاشهم وأسفارهم وإنّما مخّ اللّيل هو وقت الغفلة وفراغ القلب للعبادة ولاشتماله على مجاهدة النفس بمهاجرة الرقاد و مباعدة وثير المهاد(١) والخلوة بمالك العباد و سلطان الدّنيا والمعاد و هو المقصود من جوف اللّيل وهي ما رواه عمر بن اُذينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ في اللّيل ساعة ما يوافق فيها عبدٌ مؤمن يصلّي و يدعوالله فيها إلّا استجاب له، قلت له: أصلحك الله وأيّ ساعات اللّيل هي؟ قال: إذا مضى نصف اللّيل وبقي السدس الأوّل من أوّل النصف الثاني»(٢).

---

(١) الرقاد: النوم كالرقد ولعل الرقاد خاص بالليل. والوثير - بتقديم المثلثة -: الفراش اللين.

(٢) الى هنا انتهى ما في العدة.

أقول: وفي معناها أخبار أُخر.

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام «أنّ من السحر إلى طلوع الشمس يفتح أبواب السماء، ويقسم فيها الأرزاق وتقضى فيها الحوائج العظام»[١].

وفي الفقيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان واستجيب الدّعاء، فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح»[٢].

وقد مضى في آداب الجمعة «أنّ في يوم الجمعة ساعة مبهمة يستجاب فيها الدعاء» مع الكلام في مظانّها فلتتذكّر.

«الثاني أن يغتنم الأحوال الشريفة كزحف الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة وخلفها، وما بين الأذان والإقامة، ومع الصوم».

أقول: روى زيد الشحّام عن الصادق عليه السلام قال: «اطلبوا الدّعاء في أربع ساعات عند هبوب الرّياح، وزوال الأفياء، ونزول المطر، وأوّل قطرة من دم القتيل المؤمن فإنّ أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء»[٣].

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: اغتنموا الدّعاء عند أربع عند قراءة القرآن، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفّين للشهادة»[٤].

وعنه عليه السلام «يستجاب الدّعاء في أربعة مواطن في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب»[٥].

قال أبو حامد: «وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوّشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من الأسرار الّتي لا يطّلع عليها البشر، وحالة السجود أيضاً جديرة بالإجابة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجدٌ فأكثروا فيه من الدّعاء»[٦].

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٧٨ في حديث.
(٢) المصدر ص ٥٦ تحت رقم ١٢.
(٣) الى (٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٦ و ٤٧٧.
(٦) مرسابقاً.

وروى ابن عبّاس عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّما نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً فأمّا الركوع فعظّموا فيه الربّ تعالى، وأمّا السجود فاجتهدوا فيه من الدّعاء فإنّه قمنٌ أن يستجاب لكم»[(١)].

أقول: وقد مرّ من طريق الخاصّة أيضاً ما يدلّ على هذا في أوائل كتاب أسرار الصلاة.

«الثالث أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى باطنُ إبطيه، روى جابر ابن عبدالله «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتّى غربت الشمس»[(٢)].

و قال سلمان - رضي الله عنه - قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ ربّكم حييٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً»[(٣)].

و روى أنس أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم «كان يرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه في الدّعاء ولا يشير بإصبعيه»[(٤)].

وقال أبو الدرداء: ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغلّ بالأغلال.

ثمّ ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدّعاء:

قال ابن عبّاس كان صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا دعا ضمّ كفّيه وجعل بطونهما ممايلي وجهه»[(٥)].

قال عمر كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا مدّ يده في الدّعاء لم يردّهما حتّى يمسح بهما وجهه.[(٦)] فهذه هيئات اليد.

---

(١) أخرجه مسلم ج ٢ ص ٤٨ عن سعيد بن منصور ونقله البيهقى فى السنن الكبرى ج ٢ ص ٨٨ و قال: ذكره غيره عن ابن عيينة.

(٢) أخرجه مسلم ج ٤ ص ٤٢ بأدنى تغيير فى اللفظ.

(٣) أخرجه الترمذى ج ١٣ ص ٦٨، و ابوداود ج ١ ص ٣٤٢.

(٤) أخرجه البخارى ج ٢ ص ٣٨، و مسلم ج ٣ ص ٢٤ بدون قوله «و لا يشير باصبعيه» وقيدوه بالاستقاء، راجع السنن الكبرى للبيهقى ج ٣ ص ٣٥٨.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس كما فى المغنى.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٣٦.

ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وآله: « لينتهين أقوامٌ عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدّعاء أو لتخطفنّ أبصارهم »(١).

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « ما أبرز عبدٌ يده إلى الله العزيز الجبّار إلّا استحيى الله تعالى أن يردّها صفراً حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتّى يمسح على وجهه ورأسه »(٢).

وفي عدّة الدّاعي « كان رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يديه إذا ابتهل و دعا كما يستطعم المسكين »(٣).

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام ألق كفّيك ذُلّاً بين يديّ كفعل العبد المستصرخ إلى سيّده فإنّك إذا فعلت ذلك رحمت، وأنا أكرم القادرين، يا موسى سلني من فضلي ورحمتي فإنّهما بيديّ لا يملكهما غيري، وانظر حين تسألني كيف رغبتك فيما عندي، لكلّ عامل جزاء وقد يجزى الكفور بما سعى »(٤).

وسأل أبو بصير الصادق عليه السلام عن الدّعاء و رفع اليدين فقال: « على خمسة أوجه: أمّا التعوّذ فتستقبل القبلة بباطن كفّيك، وأمّا الدّعاء في الرّزق فتبسط كفّيك وتفضي بباطنهما إلى السماء، و أمّا التبتّل فإيماؤك بأصبعك السبّابة، وأمّا الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك، وأمّا التضرّع أن تحرّك أصبعك السبّابة ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة ».

وعن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: « مرّ بي رجلٌ وأنا أدعو في صلاتي بيساري فقال: يا عبدالله بيمينك فقلت: يا عبدالله إنّ لله تبارك و تعالى حقّاً على هذه كحقّه على هذه، و قال: الرّغبة تبسط يديك و تظهر باطنهما، والرّهبة تبسط

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٤٤. و أبو داود ج ١ ص ٢٠٦ و مسلم ج٢ ص٢٩ واللفظ له وفيه زيادة.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٧١.

(٣) المصدر ص ١٣٨ وذكره البيهقي في الكبرى ج ٥ ص ١١٧ بادنى اختلاف في اللفظ.

(٤) في العدة ص ١٣٨ وأصلها في الكافي رواها في الروضة ٤٦.

يديك وتظهر ظهرهما ، والتضرّع تحرّك السبّابة اليمنى يميناً وشمالاً ، والتبتّل تحرّك السبّابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها رسلاً ، والابتهال تبسط يديك و ذراعيك إلى السماء ، والابتهال حين ترى أسباب البكاء »(١).

وعن سعيد بن يسار قال : قال الصادق عليه السلام : « هكذا الرّغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء ، و هكذا الرّهبة و جعل ظهر كفّيه إلى السماء ، و هكذا التضرّع و حرّك أصابعه يميناً وشمالاً ، وهكذا التبتّل يرفع إصبعه مرّة و يضعها اُخرى ، وهكذا الابتهال ومدّ يده تلقاء وجهه و قال : لاتبتهل حتّى تجري الدّمعة ، وفي حديث آخر الاستكانة في الدّعاء أن يضع يديه على منكبيه »(٢).

وقال صاحب العدّة : هذه الهيئات المذكورة إمّا تعبّد لعلّة لانعلمها أو لعلّ المراد ببسط كفّيه في الرّغبة كونه أقرب إلى حال الراغب في بسط آماله وحسن ظنّه بإفضاله ورجائه لنواله فالرّاغب يسأل بالآمال فيبسط كفّيه لما يقع فيهما من الإحسان ، والمراد في الرّهبة بجعل ظهر الكفّين إلى السماء كون العبد يقول بلسان الذلّة والاحتقار لعالم الخفيّات والأسرار أنا ما اُقدم على بسط كفّي إليك و قد جعلت وجههما إلى الأرض ذلّاً وخجلاً بين يديك ، والمراد في التضرّع بتحريك الأصابع يميناً و شمالاً أنّه تأسّى بالثاكل عند المصائب الهائلة فإنّها تقلّب يديها و تنوح بهما إدباراً و إقبالاً و يميناً وشمالاً ، والمراد في التبتّل برفع الأصابع مرّة ووضعها اُخرى بأنّ معنى التبتّل الانقطاع فكأنّه يقول بلسان حاله لتحقّق رجائه و آماله : انقطعتُ إليك وحدك لما أنت أهله من الإلهيّة فيشير بأصبعه وحدها من دون الأصابع على سبيل الوحدانيّة ، والمراد في الابتهال بمدّ يديه تلقاء وجهه إلى القبلة أو مدّ يديه و ذراعيه إلى السماء أو رفع يديه و تجاوزهما رأسه بحسب الرّوايات أنّه نوع من أنواع العبوديّة والاحتقار والذلّة والصغار كالغريق الرافع يديه ، الحاسر عن ذراعيه ، المتشبّث بأذيال رحمته ، والمتعلّق بذوائب رأفته الّتي أنجت الهالكين وأغاثت المكروبين و وسعت العالمين ، وهذا مقام جليل فلايدّعيه العبد إلّا عند العبرة و تزاحم الأنين و الزفرة ، ووقوفه موقف العبد الذّليل ، و اشتغاله بخالقه

(١) و (٢) في العدة ص ١٣٩ نقلها عن الكافي رواه ج ٢ ص ٤٨٠.

الجليل عن طلب الآمال، والتعرّض للسؤال، والمراد في الاستكانة برفع يديه على منكبيه أنّه كالعبد الجاني إذا حمل إلى مولاه وقد أوثقه قيد هواه، وقد تصفّد بالأثقال وناجى بلسان الحال: هذه يداي قد غللتهما بين يديك بظلمي وجرأتي عليك [١].

الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أنّ الناس لمّا قدموا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و دنوا من المدينة كبّروا و رفعوا أصواتهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيّها النّاس إنّ الّذي تدعون ليس بأصمّ ولاغائب، إنّ الّذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم» [٢].

وقيل في قوله تعالى: «ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها» [٣] أي بدعائك و قد أثنى الله عزّ وجلّ على نبيّه زكريّا حيث قال: «إذ نادى ربّه نداءً خفيّاً» [٤] و قال تعالى: «ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية» [٥].

أقول: وقد عدّ في العدّة من الآداب الإسرار بالدّعاء لبعده عن الرّياء و لقوله تعالى: «ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية» ولرواية إسماعيل بن همّام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية» [٦].

وفي رواية اُخرى «دعوة تخفيها أفضل من سبعين دعوة تظهرها» [٧].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ ربّك يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل يصبح في أرض قفر فيؤذّن ويقيم ثمّ يصلّي فيقول ربّك عزّوجلّ للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلّي ولايراه أحدٌ غيري، فينزل سبعون ألف ملك يصلّون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم، ورجلٌ قام في اللّيل يصلّي وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد لي و رجلٌ في زحف فيفرّ أصحابه وثبت هو يقاتل حتّى قتل» [٨].

---

(١) في بعض النسخ [جرمي عليك].
(٢) أخرجه أبوداود ج١ ص٣٥٠، والترمذي ج ١٣ ص ١٤ ومسلم ج٨ ص ٧٣.
(٣) الاسراء: ١١٠. (٤) مريم: ٣.
(٥) الاعراف: ٥٥.
(٦) و (٧) الكافي ج ٢ ص ٤٧٦ و الفرق بين الروايتين أن الاولى تفيد المساواة بين الواحدة الخفية و السبعين والثانية تفيد الزيادة عليها ثم الحكم بالمساواة والزيادة انما اذاكانت الظاهرة عرية عن الرياء والسمعة والا فلانسبة بينهما كما في الوافي.
(٨) رواه الشيخ في اماليه في حديث أبي ذر ـ رحمه الله ـ كما في المستدرك ج١ ص ١٣.

« الخامس أن لا يتكلّف السجع في الدّعاء فإنّ حال الدّاعي ينبغي أن يكون حال متضرّع والتكلّف لا يناسبه ، قيل في قوله تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية إنّه لايحبُّ المعتدين » إنّ معناه التكلّف في الأسجاع » .

أقول : وفي العدّة أنّ من الشروط أن لايسأل محرّماً ، ولاقطيعة رحم ، ولامايتضمّن قلّة الحياء وإساءة الأدب ، قال : وقال المفسّرون في قوله تعالى : « ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية » أي تخشّعاً وتذلّلاً وسرّاً « إنّه لايحبُّ المعتدين » أي لايتجاوز الحدَّ في دعائه كأن يطلب منازل الأنبياء ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ياصاحب الدّعاء لاتسأل مالايكون ولايحلُّ » وقال عليه السلام : « من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان »(١) .

قال أبوحامد : « والأولى أن لايجاوز الدّعوات المأثورة فإنّه قد يعتدي في دعائه فيسأل مالا يقتضيه مصلحته فما كلُّ أحد يحسن الدّعاء ولذلك ورد في الخبر أوالأثر أنّ العلماء يحتاج إليهم في الجنّة إذ يقال لأهل الجنّة : تمنّوا فلا يدرون كيف يتمنّون حتّى يتعلّموا من العلماء .

وقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إيّاكم والسجع في الدّعاء ، حسب أحدكم أن يقول : « اللّهمّ إنّي أسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول وعمل وأعوذبك من النّار وما قرّب إليها من قول وعمل »(٢) .

وفي الخبر « سيأتي قومٌ يعتدون في الدّعاء والطهور »(٣) وقال بعضهم : ادع بلسان الذلّة والافتقار لابلسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال : إنّ العلماء والأبدال لايزيد أحدهم في الدّعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإنّ الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك .

---

(١) الى هنا انتهى ما فى العدة ص ١١٠ .

(٢) ما عثرت عليه بهذا السياق وللبخارى ج٨ ص٩٢ عن ابن عباس «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لايفعلون الاذلك» قال : يعنى لا يفعلون الا ذلك الاجتناب انتهى . والدعاء فى سنن ابن ماجه تحت رقم ٣٨٤٦ و مستدرك الحاكم ج ١ ص ٥٢٢ واللفظ له قال صحيح الاسناد من حديث عائشة أوله « عليك بالكوامل » و فيه « وأسألك الجنة ـ الى آخره ـ » .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٦٤ ، وأبو داود ج ١ ص ٢٢ .

واعلم أنّ المراد من السجع هو المتكلّف من الكلام فإنّ ذلك لايلائم الضراعة والذّلة وإلّا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات متوازنة لكنّها غير متكلّفة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنّة يوم الخلود، مع المقرّبين الشهود والرّكّع السجود، والموفين بالعهود، إنّك رحيم ودود، وأنت تفعل ماتريد»(١) وأمثال ذلك، فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرّع من غير سجع ولا تكلّف فالتضرّع هو المحبوب عندالله.

السادس التضرّع والخشوع والرّهبة قال الله تعالى: «إنّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً»(٢).

وقال تعالى: «ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أحبّ الله تعالى عبداً ابتلاه حتّى يسمع تضرّعه»(٣).

أقول: وقد مرّت الإشارات في ذلك وفي دعوات أهل البيت عليهم السلام: «ولا ينجيني منك إلّا التضرّع إليك»(٤).

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام «يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وعفّر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يديّ في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل»(٥) وإلى عيسى عليه السلام «يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الّذي ليس له مغيث، يا عيسى أذلّ لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ وكن في ذلك حيّاً ولاتكن ميّتاً وأسمعني منك صوتاً حزيناً»(٦).

---

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ج١٢ ص ٣٠٣ فى حديث طويل.
(٢) الانبياء: ٩١.
(٣) أخرجه البيهقى فى الشعب والديلمى فى الفردوس عن ابى هريرة كما فى الجامع الصغير باب الهمزة.
(٤) راجع الصحيفة السجادية الدعاء الثامن والاربعين دعاء فى يوم الاضحى والجمعة.
(٥) الكافى ج ٨ ص ٤٤.
(٦) الكافى ج ٨ ص ١٣٨ و ١٤١. وفيه **«ياعيسى أطب لى قلبك»**.

« السابع أن يجزم بالدّعاء و يوقن بالإجابة و يصدّق رجاءه فيه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : «لايقل أحدكم إذا دعا اللّهمّ اغفرلي إن شئت اللّهمّ ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنّه لا مكره له » [١].

وقال : « إذا دعا أحدكم فليعظّم الرّغبة فإنّ الله تعالى لايتعاظمه شيء » [٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أنّ الله سبحانه لايستجيب دعاء من قلب غافل » [٣].

أقول : و من طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « إذا دعوت فظنّ أنّ حاجتك بالباب » [٤].

وعنه عليه السلام قال : « إنّ الله لايستجيب دعاءً بظهر قلب ساه ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالإجابة » [٥].

وعنه عليه السلام قال : « إذا دعوت الله فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب » [٦].

وعنه عليه السلام قال : « لمّا استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسقي الناس حتّى قالوا : إنّه الغرق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده [٧] وردّها اللّهمّ حوالينا ولا علينا - قال : فتفرّق السحاب - فقالوا : يا رسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثمّ استسقيت لنا فسقينا قال : « إنّي دعوت وليس لي في ذلك نيّة ثمّ دعوت ولي في ذلك نيّة » [٨].

« الثامن أن يلحّ في الدّعاء ويكرّره ثلاثاً ، قال ابن مسعود : كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً » [٩] وينبغي أن لايستبطيء الإجابة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يستجاب

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٥٤، و البخاري ج٨ ص٩٢ عن ابي هريرة أيضاً و « ليعزم المسألة » اى ليطلبها جازماً من غير تردد .   (٢) أخرجه مسلم ج ٨ ص ٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذى ج ١٣ ص ٢٢ . وقال : حديث غريب .

(٤) الى (٦) المصدر ج ٢ ص ٤٧٣ تحت رقم ١ الى ٣ .

(٧) أى أشار وفى معنى القول توسع .

(٨) المصدر ج ٢ ص ٤٧٤ تحت رقم ٥ .

(٩) الخبر متفق عليه فى الصحيحين من حديث ابن مسعود و أخرجه أيضاً ابو داود ج ١ ص ٣٤٩ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص٩٩ هكذا « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً » .

لأحدكم مالم يعجّل فيقول : دعوتُ فلم يستجب لي فإذا دعوت الله فسل الله كثيراً فإنّك تدعو كريماً »(١) .

و قال بعضهم : إنّي أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني و أنا أرجوه الإجابة سألت الله أن يوفّقني لترك مالا يعنيني .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا سأل أحدكم ربّه مسألة فتعرّف الإجابة فليقل : « الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصالحات » ومن أبطأ عنه من ذلك فليقل : « الحمد لله على كلّ حال »(٢) .

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : « والله لا يلحّ عبد مؤمنٌ على الله في حاجته إلّا قضاها له » و في رواية « إلّا استجاب له » و حذف لفظ المؤمن (٣) .

وعن الصادق عليه السلام « أنّ العبد إذا دعا لم يزل الله في حاجته ما لم يستعجل »(٤) .

وعنه عليه السلام « أنّ العبد إذا عجّل فقام لحاجته يقول الله : أما يعلم عبدي أنّي أنا الله الّذي أقضي الحوائج ؟ »(٥) .

وعنه عليه السلام قال : « إنّ الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحبّ ذلك لنفسه ، إنّ الله يحبّ أن يُسأل ويطلب ما عنده »(٦) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رحم الله عبداً طلب من الله تعالى حاجة فألحّ في الدّعاء استجيب له أولم يستجب وتلا هذه الآية « وأدعو ربّي عسى أن لا أكون بدعاء ربّي شقيّاً »(٧) .

و في العدّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ الله يحبّ السائل اللّحوح » ، و في الوحي

---

(١) أخرجه البخارى ج ٨ ص ٩٢ و مسلم ج ٨ ص ٨٧ والترمذى ج ١٢ ص ٢٧٦.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٤٩٩ ، وأخرجه البيهقى فى الدعوات عن ابى هريرة بسند ضعيف كما فى الجامع الصغير.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ تحت رقم ٥ .

(٤ و٥) المصدر ج ٢ ص ٤٧٤ تحت رقم ١و٢ .

(٦ و٧) المصدر ج٢ ص ٤٧٥ تحت رقم ٤ و٦ والاية فى سورة مريم ٤٨ .

القديم «لا تملّ من الدّعاء فإنّي لا أملّ من الإجابة»[١].

و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ العبد ليدعو فيقول الله تعالى للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته فإنّي أحبّ أن أسمع صوته، و إنّ العبد ليدعو فيقول تبارك وتعالى: عجّلوا له حاجته فإنّي أبغض صوته»[٢].

و عنه عليه السلام قال: «لا يزال المؤمن بخير و رجاء رحمة من الله ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدّعاء قلت له: كيف يستعجل؟ قال: يقول: قد دعوت منذ كذا و كذا وما أرى الإجابة»[٣].

وعنه عليه السلام «أنّ المؤمن ليدعو الله في حاجة يقول الله عزّ وجلّ: أخّروا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائه فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: عبدي دعوتني فأخّرت إجابتك وثوابك كذا و كذا»[٤].

«التاسع أن يفتتح الدّعاء بذكر الله فلا يبدأ بالسؤال، قال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يستفتح الدّعاء إلّا استفتحه فقال: «سبحان ربّي العلي الأعلى الوهّاب»[٥].

وفي الخبر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إذا سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلاة عليّ فإنّ الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويردّ الأخرى[٦]» رواه أبو طالب المكّي».

أقول: و من طريق الخاصّة ما رواه في العدّة عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إيّاكم إذا أراد أن يسأل أحدكم ربّه شيئاً من حوائج الدّنيا حتّى يبدأ بالثناء[٧] على الله عزّوجلّ والمدحة له والصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم

(١) المصدر ص١٤٣.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٨٩ تحت رقم ٣.

(٣) و(٤) المصدر ج ٢ ص ٤٩٠ تحت رقم ٨ و٩.

(٥) أخرجه الحاكم ج١ص٤٩٨ وقال صحيح الاسناد. لكن فيه عمر بن راشد اليمامي وقد ضعفه الجمهور.

(٦) الظاهر أنه منقول من كتاب قوت القلوب وما كانت نسخته عندى.

(٧) أى فلا يسأل الا أن يبدأ بالثناء على الله عزوجل.

يسأل الله حاجته »(١) ؛ وقال : « إنّ رجلاً دخل المسجد و صلّى ركعتين ثمّ سأل الله عزّوجلّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعجل العبد ربّه ، وجاء آخر فصلّى ركعتين ثمّ أثنى على الله عزّوجلّ وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سل تعطه »(٢).

وروى محمّد بن مسلم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : « إنّ في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ المسألة بعد المدحة فإذا دعوت الله فمجّده ، قال : قلت : كيف تمجّده ؟ قال : تقول : « يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد ، يا من يحول بين المرء وقلبه ، يا من هو بالمنظر الأعلى ، يا من ليس كمثله شيء »(٣) .

وروى معاوية بن عمّار عن الصّادق عليه السلام قال : « إنّما هي المدحة والثناء ، ثمّ الإقرار بالذنب ، ثمّ المسألة ، إنّه والله ماخرج عبد من ذنب إلّا بالإقرار »(٤) .

وروى عيص بن القاسم قال : قال أبوعبد الله عليه السلام : « إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه وليمدحه فإنّ الرجل منكم إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام أحسن مايقدر عليه ، وإذاطلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبّار وامدحوه وأثنوا عليه تقول : « يا أجود من أعطى ، ويا خير من سئل ، ويا أرحم من استرحم ، ياواحد ياأحد ياصمد يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، يامن لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً يامن يفعل مايشاء و يحكم مايريد ويقضي ماأحبّ ، يامن يحول بين المرء و قلبه ، يامن هو بالمنظر الأعلى ، يامن ليس كمثله شيء ، ياسميع يابصير» وأكثر من أسماء الله عزّوجلّ فإنّ أسماء الله كثيرة وصلّ على محمّد و آل محمّد وقل : « اللّهمّ أوسع عليّ من رزقك الحلال ماأكفّ به وجهي وأؤدّي به عن أمانتي وأصل به رحمي و يكون لي عوناً على الحجّ والعمرة »(٥) .

وروى هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « لايزال الدّعاء محجوباً حتّى

---

(١) المصدر ص١١٤ . رواه عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٤ .

(٢) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٥ .

(٣) و(٤) المصدر عن الكافي ج ص ٤٨٤ .

(٥) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٨٥ .

يصلّي على محمد وآل محمد »(١).

وعنه عليه السلام « من دعا ولم يذكر النبيّ صلى الله عليه وآله رفرف الدّعاء على رأسه فإذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله رفع الدّعاء »(٢).

وعنه عليه السلام « من كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجة فليبدء بالصّلاة على محمد وآل محمد ثمّ يسأل حاجته ثمّ يختم بالصّلاة على محمد وآل محمد فإنّ الله عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لاتحجب عنه »(٣).

« العاشر وهو أدب الباطن وهو الأصل في الإجابة: التوبة، وردّ المظالم، والإقبال على الله بكنه الهمّة فذلك هو السبب القريب في الإجابة، ويروى عن كعب الأحبار أنّه قال: أصاب الناس قحطٌ شديد على عهد موسى صلوات الله عليه فخرج موسى ببني إسرائيل ليستسقي لهم فلم يسقوا ثمّ خرج ثلاث مرّات ولم يسقوا فأوحى الله تعالى إلى موسى: أنّي لاأستجيب لك ولمن معك وفيكم نمّام، فقال موسى عليه السلام: ياربّ ومن هو حتّى نخرجه من بيننا فأوحى الله سبحانه إليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً؟ فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله عليهم الغيث.

وقال سفيان: بلغني أنّ بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتّى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال، وكذلك كانوا يخرجون إلى الجبال ويتضرّعون فأوحى الله تعالى إلى أنبيائهم لو مشيتم إليّ بأقدامكم حتّى يحفى ركبكم وتبلغ أيديكم أعنان السّماء وتكلّ ألسنتكم عن الدّعاء فإنّي لاأجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً حتّى تردّوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم ».

وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحطٌ فخرجوا مراراً فأوحى الله تعالى إلى نبيّهم أن أخبرهم أنّكم تخرجون إليّ بأبدان نجسة، وترفعون إليّ أكفّاً قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتدّ غضبي عليكم ولن تزدادوا منّي إلّا بعداً.

---

(١) و(٢) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٩١.
(٣) المصدر عن الكافي ج ٢ ص ٤٩٤.

وقال أبو الصديق الناجي : خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللّهمّ إنّا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وقال الأوزاعيّ : خرج النّاس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثمّ قال : يامعشر من حضر ألستم مقرّين بالإساءة ؟ قالوا : اللّهمّ نعم ، فقال : اللّهمّ إنّا سمعناك تقول : ماعلى المحسنين من سبيل فقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلّا لمثلنا اللّهمّ اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يده ورفعوا أيديهم فسقوا .

وقيل لمالك بن دينار : ادع لنا ربّك ، فقال : أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجارة .

وروي أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام خرج يستسقي فلمّا أصحروا قال لهم عيسى : من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلّهم ولم يبق معه إلّا رجل واحد فقال له عيسى أمالك من ذنب فقال : والله ما أعلم من شيء غير أنّي كنتُ ذات يوم اصلّي فمرّت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلمّا جاوزت أدخلت إصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعت المرأة بها ، فقال له عيسى عليه السلام فادع حتّى اُؤمّن على دعائك فدعا فتجلّلت السماء سحاباً ، ثمّ صبّ فسقوا .

وقال يحيى بن الغسّاني : أصاب الناس قحطٌ على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتّى يستسقوا بهم فقال أحدهم : اللّهمّ إنّك أنزلت في توراتك أن نعفو عمّن ظلمنا ، اللّهمّ إنّا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنّا . وقال الثاني : اللّهمّ إنّك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقّاءنا ، اللّهمّ إنّا أرقّاؤك فأعتقنا . وقال الثالث : اللّهمّ إنّك أنزلت في توراتك أن لا تردّوا المساكين إذا وقفوا ببابكم ، اللّهمّ إنّا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردّ دعاءنا . فسقوا .

وقال عطاء السلمي : مُنِعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليّ فقال : ياعطاء هذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور ؟ فقلت : لا ولكنّا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال : ياعطاء بقلوب أرضيّة أو بقلوب سماويّة ؟ فقلت : بل

بقلوب سماويّة فقال : هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لاتتبهرجوا فإنّ الناقد بصير ثمّ رمق السماء بطرفه وقال : إلهي و سيّدي لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من أسمائك وماوارت الحجب من آلائك إلّاسقيتنا ماء غدقاً تحيي به العباد وتروى به البلاد ، يا من هوعلى كلّ شيء قدير ، قال عطاء : فما استتمّ الكلام حتّى رعدت السماء وبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب ، فولّى و هو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا * إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبّاً * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتّى * قيل في الناس إنّ فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش[1] قد اتّزر بإحداهما وألقى الاُخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذّنوب ومساوي الأعمال وقد احبست عنّا غيث السماء لتؤدّب عبادك بذلك فأسألك ياحليماً ذاأناة ، يامن لايعرف عباده منه إلّا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتّى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كلّ مكان ، و قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال : مالي أراك كئيباً ؟ فقلت : سبقنا إليه غيرنا فتولّاه دوننا ، وقصصت عليه القصّة فصاح الفضيل وخرّ مغشيّاً عليه ».

أقول: ومن طريق الخاصّة عن أهل البيت عليهم السلام « أنّ فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام : ياعيسى قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودنّستم قلوبكم ، أبي تغترّون أم عليّ تجترئون ؟ تطيّبون بالطيب لأهل الدّنيا وأجوافكم عندي بمنزلة الجيف المنتنة كأنّكم أقوام ميّتون ، ياعيسى قل لهم : قلّموا أظفاركم من كسب الحرام وأصمّوا أسماعكم من ذكر الخنى وأقبلوا عليّ بقلوبكم فإنّي لست اُريد صوركم ، يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل : لاتدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم فإنّي آليت أن اُجيب

(١) الخيش : نسيج خشن من الكتان .

من دعاني وأن أجعل إجابتي إيّاهم لعناً لهم حتّى يتفرّقوا »[١].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله « أوحى الله إليّ أن ياأخا المرسلين وياأخا المنذرين أنذرقومك: لايدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة فإنّي ألعنه مادام قائماً يصلّي بين يديّ حتّى يردّ تلك المظلمة، فأكون سمعه الّذي يسمع به، وأكون بصره الّذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيّين والصدّيقين والشهداء في الجنّة »[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام « أوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لبني إسرائيل: لاتدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بأبصار خاشعة وقلوب طاهرة وأيد نقيّة، وأخبرهم أنّي لا أستجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي لديهم مظلمة »[٣].

وفي الحديث القدسيّ « فمنك الدّعاء وعليّ الإجابة، فلا تحجب عنّي دعوة إلّا دعوة آكل الحرام ».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: « من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه وكسبه »، وقال لمن قال له: أحبّ أن يستجاب دعائي: « طهّر مأكلك ولا يدخل بطنك الحرام »[٤].

وعن الصادق عليه السلام « من سرّه أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه وكسبه »[٥].

وعنه عليه السلام « ترك لقمة حرام أحبّ إلى الله من ألفي ركعة تطوّعاً، وردّ دانق حرام يعدل عندالله سبعين حجّة مبرورة »[٦].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله « لوصلّيتم حتّى تكونوا كالأوتاد، وصمتم حتّى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلّا بورع حاجز »[٧].

وعنه صلى الله عليه وآله « العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرّمل، وقيل: على الماء »[٨].

وعنه صلى الله عليه وآله « يكفي من الدّعاء مع البرّ مايكفي الطعام من الملح »[٩].

رواها كلّها في العدّة واستفيد منها ومن غيرها من آداب الدّعاء عشرة أخرى.

الأوّل تسمية الحاجة روى أبوعبدالله الفرّاء عن الصادق عليه السلام قال: « إنّ الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكنّه يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج »[١٠].

---

(١) الى (٩) عدة الداعي منتهى الباب الثالث ص ١٠٢ .

(١٠) الكافي ج ٢ ص ٤٧٦ .

وعن كعب الأحبار : مكتوب في التوراة « يا موسى إنّي لست بغافل عن خلقي ولكن أُحبُّ أن يسمع ملائكتي ضجيج الدّعاء من عبادي وترى حفظتي تقرّب بني آدم إليّ بما أنا مقوّيهم عليه ومسبّبه لهم .

الثاني التعميم في الدّعاء ، روى ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا دعا أحدكم فليعمّم فإنّه أوجب للدّعاء »(١) .

الثالث الاجتماع في الدّعاء قال تعالى : «واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم »(٢) وأمر سبحانه بالاجتماع للمباهلة .

وروى أبو خالد قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله في أمر إلّا استجاب لهم ، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مرّات إلّا استجاب الله عزّ وجلّ لهم ، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرّة يستجيب الله العزيز الجبّار له »(٣).

وروى عبد الأعلى عنه عليه السلام قال : « ما اجتمع أربعة رهط قطّ على أمر واحد فدعوا إلّا تفرّقوا عن إجابة »(٤).

وروى عليّ بن عقبة عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « كان أبي إذا حزنه أمرٌ جمع النساء والصبيان ثمّ دعا وأمّنوا »(٥).

وروى السكونيّ عنه عليه السلام قال : « الدّاعي والمؤمّن شريكان في الأجر »(٦).

الرابع البكاء حالة الدّعاء قال في العدّة(٧) : وهو سيّد الآداب وذروة سنامها أمّا أوّلاً فلدلالته على رقّة القلب الّذي هو دليل الإخلاص الّذي عنده تحصل الإجابة .

قال الصادق عليه السلام : « إذا اقشعرّ جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك »(٨) ولأنّ جمود العين من قساوة القلب على ما ورد به الخبر ، و هو يؤذن

---

(١) المصدر ص ٤٨٧ . (٢) الكهف : ٢٨ .
(٣) الى (٦) الكافي ج ٢ ص ٤٨٧ . (٧) المصدر ص ١١٩ .
(٨) الكافي ج ٢ ص ٤٧٨ وقوله : «فدونك دونك» اى خذه فهو دونك وقريب منك ويقال : هذا دونه اى قريب منه ، فهو اغراء والتكرير للمبالغة . والقصد اتيان الشيء تقول : قصدته وقصدت له وقصدت اليه بمعنى ، وقصدت قصده اى نحوت نحوه والظاهر ←

بالبعد من الله سبحانه ، وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى « يا موسى لاتطوّل في الدّنيا أملك فيقسو قلبك وقاسي القلب منّي بعيد »(١).

وقاسي القلب مردود الدّعاء لقوله عليه السلام: « لا يقبل الله دعاء بظهر قلب قاس »(٢).

وأمّا ثانياً فلما فيه من الانقطاع إلى الله وزيادة الخشوع ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا أحبّ الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن ، فإنّ الله تعالى يحبّ كلّ قلب حزين ، وإنّه لا يدخل النّار من بكى من خشية الله حتّى يعود اللّبن إلى الضرع ، وإنّه لايجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنّم في منخري مؤمن أبداً ، وإذا أبغض الله عبداً جعل في قلبه مزماراً من الضحك وإنّ الضحك يميت القلب ، والله لا يحبّ الفرحين »(٣).

وأمّا ثالثاً فلموافقته أمر الحقّ سبحانه في وصاياه لأنبيائه عليهم السلام حيث يقول لعيسى عليه السلام : « ياعيسى هب لي من عينيك الدّموع ومن قلبك الخشية - الحديث - »(٤).

و لموسى عليه السلام : « وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل - إلى أن قال - : وصح إليّ من كثرة الذّنوب صياح الهارب من عدوّه »(٥).

وأمّا رابعاً فلما فيه من الخصوصيّات والفضائل الّتي لا توجد في غيره من أصناف الطاعات ، ثمّ ذكر أخباراً كثيرة في فضل البكاء ، لعلّنا نذكرها في محلّ آخر .

ثمّ قال : وإن لم يكن بكاء فليتباك لقول الصادق عليه السلام : « و إن لم يكن بك بكاء فتباك »(٦).

← أنه على بناء المفعول . وقوله : «قصدك» مفعول مطلق نائب مناب الفاعل والاضافة الى المفعول أى اذا ظهرت تلك العلامات فعليك بطلب الحاجات والاهتمام فى الدعاء للمهمات فقد اقبل الله عليك بالرحمة وتوجه نحوك الاجابة . ورواه الصدوق فى الخصال ج ١ ص ٤١ .

(١) الكافى ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٧٥ وفيه «لايستجيب دعاء بظهر قلب قاس» .

(٣) روى صدره الديلمى فى الارشاد باب الحزن وتمامه فى باب البكاء من خشية الله.

(٤) رواه ابن الشيخ فى اماليه بهذا اللفظ كما فى المستدرك ج ٢ ص ٢٩٤ . وأورده ابن شعبة فى التحف مرسلا ص ٥٠١ . ورواه الكلينى فى الكافى ج ٨ ص ١٤١ مسنداً و فيهما «صب» مكان «هب» .

(٥) الكافى ج ٨ ص ٤٢ . (٦) الكافى ج ٢ ص ٤٨٣ .

وعن سعيد بن يسار « قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أتباكى على الدّعاء وليس بي بكاء ؟ قال : نعم ولو مثل رأس الذّباب » (١).

وعن أبي حمزة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لأبي بصير : « إن خفت أمراً يكون أو حاجة تريدها فابدء بالله فمجّده وأثن عليه كما هو أهله ، وصلّ على النبيّ ، وتباك ولو مثل رأس الذّباب ، إنّ أبي كان يقول : أقرب مايكون العبد من الربّ وهو ساجدٌ يبكي» (٢).

وعنه عليه السلام « إن لم يجئك البكاء فتباك فإن خرج منك مثل رأس الذّباب فبخ بخ» (٣).

الخامس الاعتراف بالذّنب قبل السؤال لما فيه من الانقطاع إلى الله سبحانه ووضع النفس « ومن تواضع لله رفعه الله » « وهو عند المنكسرة قلوبهم » روي أنّ عابداً عبدالله سبعين عاماً صائماً نهاره قائماً ليله فطلب إلى الله حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه وقال : من قبلك أُتيت لو كان عندك خيرٌ قضيت حاجتك ، فأنزل الله إليه ملكاً فقال : يا ابن آدم ساعتك الّتي أزريت (٤) فيها على نفسك خير من عبادتك الّتي مضت » .

وعن الصادق عليه السلام « إذا رقّ أحدكم فليدع فإنّ القلب لا يرقّ إلّا حين يخلص » (٥).

وربّما كان سبباً للبكاء وإرسال الدّموع وهو من الآداب وناهيك بأدب يكون سبباً لأدب آخر ، ولقول الصادق عليه السلام : « إنّما هي المدحة ثمّ الثناء ، ثمّ الإقرار بالذنب ، ثمّ المسألة ، إنّه والله ما خرج عبد من ذنب إلّا بالإقرار » (٦).

وقد مرّ ما يدلّ على هذا الأدب في الأدب العاشر وهو قريب منه .

السادس الإقبال بالقلب لأنّ من لا يقبل عليك لا يستحقّ إقبالك عليه كما لو حادثك من تعلم غفلته عن محادثتك و إعراضه عن محاورتك فإنّه يستحقّ إعراضك عن خطابه واشتغالك عن جوابه ، وقال الصادق عليه السلام : « من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فإنّ الله ينزّل العبد مثل ما ينزّل العبد الله من نفسه » (٧).

---

(١) و(٢) و(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٨٣ . و قوله : « فبخ بخ» هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء .

(٤) الازراء : التهاون بالشيء . (٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٧ .

(٦) المصدر ج ٢ ص ٤٨٤ .

(٧) العدة ص ١٢٧ وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤٩٥ عن النبيّ (ص).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لايقبل الله دعاء قلب لاه »[١] .

وروى سيف بن عميرة عن الصادق عليه السلام قال : «إذادعوت الله فأقبل بقلبك »[٢] .

وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام « لاتدعني إلّا متضرّعاً إليّ وهمّك همّاً واحداً فانّك متى تدعني كذلك أجبك »[٣] .

وهذا الأدب قد جمعه أبوحامد مع الأدب العاشر والأولى جعله أدباً آخر .

السابع التقدّم في الدّعاء قبل الحاجة إليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ - رضي الله عنه - : « ألا اُعلّمك كلمات ينفعك الله عزّوجلّ بهن؟ قال : بلى يا رسول الله قال : «احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة - الحديث -[٤]» .

و روى هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الدّعاء في الرّخاء ليستخرج الحوائج في البلاء »[٥] .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « من تقدّم في الدّعاء استجيب له إذا نزل به البلاء ، وقيل : صوت معروفٌ ولم تحجب عن السماء ، و من لم يتقدّم في الدّعاء لم يستجب له إذانزل به البلاء ، وقالت الملائكة إنّ ذاالصوت لانعرفه »[٦] .

وعنه عليه السلام قال : «كان جدّي يقول : تقدّموا في الدّعاء فإنّ العبد إذاكان دعّاءً فنزل به البلاء فدعا قيل : صوت معروف ، وإذا لم يكن دعّاء فنزل به بلاء فدعا قيل : أين كنت قبل اليوم »[٧] .

وعنه عليه السلام قال : « كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : الدّعاء بعد ماينزل البلاء لاينتفع به »[٨] .

وعنه عليه السلام قال : « من تخوّف بلاء يصيبه فيقدّم فيه بالدّعاء لم يره الله عزّوجلّ

(١) الكافى ج ٢ ص ٤٧٣ . وفى بعض النسخ [دعاء عبد لاه] .
(٢) المصدر ج ٢ ص ٤١ .
(٣) عدة الداعى ص ١٢٧ .
(٤) رواه الطبرسى فى المكارم ص ٥٣٩ مسنداً معنعناً عن أبى الاسود الدئلى قال : قدمت الربذة فدخلت على أبى ذرالغفارى ثم ذكر الحديث بطوله ومنه هذا الكلام .
(٥) و(٦) و(٧) و(٨) الكافى ج ٢ ص ٤٧٢ .

ذلك البلاء أبداً [١].

الثامن الدّعاء للإخوان والتماسه منهم ، روى ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من قدّم أربعين من المؤمنين ثمّ دعا استجيب له » [٢] و يتأكّد بعد الفراغ من صلاة اللّيل .

وروي أنّ الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « ياموسى ادعني على لسان لم تعصني به ، فقال : أنّى لي بذلك ؟ فقال : ادعني على لسان غيرك » [٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس شيء أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » [٤] .

و روى الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال : « أوشك دعوة و أسرع إجابة دعوة المؤمن [٥] لأخيه بظهر الغيب » [٦] .

وعنه عليه السلام « أسرع الدّعاء نجاحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب ، يبدء بالدّعاء لأخيه فيقول له ملك موكّل به : آمين ولك مثلاه » [٧] .

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « دعاء الرّجل لأخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه » [٨] .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلّا ردّ الله عليه مثل الّذي دعالهم به من كلّ مؤمن و مؤمنة مضى من أوّل الدّهر أو هو آت إلى يوم القيامة ، و إنّ العبد ليؤمر به إلى النّار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون و المؤمنات : يا ربّ هذا الّذي كان يدعولنا فشفّعنا فيه فيشفّعهم الله فيه فينجو » [٩] .

وروى عليّ عن أبيه قال : رأيت عبدالله بن جندب بالموقف فلم أرموقفاً أحسن من موقفه فما زال مادّاً يديه إلى السماء و دموعه تسيل على خدّيه حتّى تبلغ الأرض ، فلّما صدر النّاس قلت : يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك ، فقال : والله ما دعوت

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٧٢.
(٢) الكافي ج ٢ص ٥٠٩ .
(٣) عدة الداعي ص ١٢٨.
(٤) الكافي ج ٢ص ٥١٠ وأخرجه أبوداود ج ١ ص ٣٥٢.
(٥) في الكافي « دعوة المرء ».
(٦) الى (٩) الكافي ج ٢ ص ٥٠٧ باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب تحت رقم ١ و٤ و٢ و٥ على الترتيب ، وسحبه - كمنعه - : جره على وجه الارض .

إلّا لإخواني ، وذلك أنّ أبا الحسن عليه السلام أخبرني « أنّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف » فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا »(١).

التاسع أن لا يعتمد في حوائجه على غير الله سبحانه وهو من المكمّلات ، قال الله تعالى « ومن يتوكّل على الله فهو حسبه »(٢).

وروى حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه فلييأس من الناس كلّهم ولا يكون له رجاء إلّا [من] عندالله ، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلّا أعطاه »(٣).

وفيما وعظ الله به عيسى عليه السلام « يا عيسى ادعني دعاء الحزين الغريق الّذي ليس له مغيث ، ياعيسى سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدّعاء ومنّي الإجابة ولا تدعني إلّا متضرّعاً إليّ وهمّك همّاً واحداً فإنّك متى تدعني كذلك اُجبك »(٤).

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه وعزّتي و جلالي لأقطعنّ أمل كلّ آمل أمّل غيري بالإياس ، ولأكسونّه ثوب المذلّة في الناس ، ولأبعدنّه من فرجي وفضلي(٥) أيأمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي ويرجو سوايَ وأنا الغنيُّ الجواد ، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة ، وبابي مفتوح لمن دعاني ، ألم تعلموا أنّ من دهمه نائبة فلم يملك كشفها عنه غيري فما لي أراه يأمله معرضاً عنّي و قد أعطيته بجودي و كرمي مالم يسألني فأعرض عنّي و لم يسألني وسأل في نائبته غيري و أنا الله أبتدي بالعطيّة قبل المسألة ، أفأسأل فلا أجود كلّا ، أليس الجود والكرم لي ، أليس الدّنيا والآخرة بيدي فلوأنّ أهل سبع سماوات و أرضين سألوني جميعاً و أعطيت كلّ واحد منهم مسألته مانقص ذلك من ملكي مثل جناح البعوضة و كيف ينقص ملك أنا قيّمه

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٠٨ باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب .
(٢) الطلاق : ٤ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٤٨ تحت رقم ٢ .
(٤) مر آنفاً عن العدة و غيره .
(٥) في فقه الرضا عليه السلام [ولابعدنه من قربي] .

فيابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني »(١) رواه الصادق عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال الله عزّوجلّ : «مامن مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلّا ضمنت السماوات والأرض رزقه فإن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن استغفرني غفرت له [مامن مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلّا قطعت أسباب السماوات وأسباب الأرض من دونه فإن سألني لم أُعطه وإن دعاني لم أُجبه] »(٢).

العاشر ما روي عن الصادق عليه السلام قال : « احفظ أدب الدّعاء وانظر من تدعو ، وكيف تدعو ، ولما ذاتدعو ، وحقّق عظمة الله وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطّلاعه على سرّك وما كمن فيه من الحقّ والباطل ، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعوالله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك ، قال الله عزّوجلّ : « ويدعو الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً »(٣) وتفكّرما ذاتسأل ، ولما ذاتسأل والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ وتذويب المهجة في مشاهدة الرّبّ وترك الاختيار جميعاً وتسليم الأُمور كلّها ظاهرها وباطنهاإلى الله ، فإن لم تأت بشرط الدّعاء فلا تنتظر الإجابة ، فإنّه يعلم السرّ وأخفى ، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك بخلاف ذلك ، قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر بالدّعاء وأنا أنتظر الحجر .

واعلم أنّه لولم يكن أمرنا الله بالدّعاء لكنّا إذا أخلصنا الدّعاء تفضّل علينا بالإجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدّعاء ، سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اسم الله الأعظم ، قال : « كلّ اسم من أسماء الله أعظم » وفرّغ قلبك عن كلّ من سواه وادعه بأيّ اسم شئت ، وليس في الحقيقة لله اسم دون اسم ، بل هوالله الواحد القهّار ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ الله لا تستجيب الدّعاء من قلب لاه » فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدّعاء وأخلصت سرّك لوجهه فأبشر بإحدى ثلاثة : إمّا بأن يتعجّل لك بما سألت ، أو يدّخرلك ما هوأعظم منه وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما أن لوأرسله عليك

---

(١) رواه الكليني - رحمه‌الله - بزيادات في الكافي ج ٢ ص ٦٦ ، وفي فقه الرضا عليه السلام مثله كما في مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) مروي في صحيفة الرضا عليه السلام ص ٢.

(٣) الاسراء : ١٣ .

لهلكت ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تعالى : « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين »[(١)].

قال الصادق عليه السلام : «لقد دعوت الله مرّة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجلّ ممّا يريد منه العبد ولو كانت الجنّة ونعيمها الأبد ، ولكن لا يعقل ذلك إلّا العالمون المحبّون العارفون صفوة الله وخواصّه »[(٢)].

فصل

أقول : ومن المحسّنات والمتمّمات أن لا يلحن في الدّعاء فعن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنّه قال : « ما استوى رجلان في حسب ودين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله عزّ وجلّ آدبهما قال : قلت : جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النّادي والمجالس فما فضله عند الله عزّ وجلّ ؟ قال : يقرء القرآن كما اُنزل ، ودعا الله عزّ وجلّ من حيث لا يلحن ، وذلك أنّ الدّعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزّ وجلّ »[(٣)].

قال في عدّة الدّاعي ما حاصله : إنّ إعراب الألفاظ في الدّعاء ليس شرطاً في إجابته والإثابة عليه بل هو شرط في تماميّة فضيلته ، وكمال منزلته ، وعلوّ رتبته ، وخرج قوله عليه السلام « ودعا الله من حيث لا يلحن » مخرج المدح وذلك أنّ الدّعاء إذا لم يكن ملحوناً كان ظاهر الدّلالة في معناه والألفاظ الظاهرة الدلالة في معانيها أفضل من الألفاظ المتأوّلة وأيضاً فإنّه أفصح والفصاحة مرادة في الدّعاء خصوصاً إذا كان منقولاً عن الأئمة عليهم السلام ليدلّ على فصاحة المنقول عنه ، وفيه إظهارٌ لفضيلة المعصوم ، وأيضاً فإنّ اللّفظ إذا كان معرباً لم ينفر عنه طبع السامع إذا كان نحويّاً وإذا سمعه ملحوناً نفر طبعه عنه وربما تألّم منه .

قيل : سمع الأعمش رجلاً يتكلّم ويلحن في كلامه فقال : من هذا الّذي يتكلّم وقلبي منه يتألّم .

---

(١) و(٢) مصباح الشريعة الباب التاسع عشر .

(٣) عدة الداعي ص ١٠ .

وروي أن رجلاً قال لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ قال : لاعافاك الله ، فقال : لقد علّمتم لو تعلمون ، قل : لا وعافاك الله .

وروي أنّ رجلاً قال لبعض الأكابر وقد سأله عن شيء فقال : لا وأطال الله بقاءك فقال : ما رأيت واواً أحسن موقعاً من هذه ، وقوله عليه السلام : « إنّ الدّعاء الملحون لايصعد إلى الله » أي لايصعد إليه ملحوناً يشهد عليه الحفظة بما يوجب اللّحن ، إذا كان مغيّراً للمعنى ويجازى عليه كذلك بل يجازيه على قدر قصده ومراده من دعائه .

ويؤيّد ذلك مارواه محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلّي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ الرّجل الأعجميّ من اُمّتي ليقرء القرآن بعجمته فترفعه الملائكة على عربيّته »[1].

مع أنّا نجد في أدعية أهل البيت عليهم السلام ألفاظاً لانعرف معانيها وذلك كثيرٌ فمنه أسماء وأقسامات ومنه أغراض وحاجات وفوائد وطلبات ، فنسأل من الله بالأسماء ونطلب منه تلك الأشياء ونحن غيرعارفين بالجميع ، ولم يقل أحدٌ : إنّ مثل هذا الدّعاء إذا كان معرباً يكون مردوداً مع أنّ فهم العامي لمعاني الألفاظ الملحونة أكثر من فهم النحويّ لمعاني دعوات غير بيّنة لم يقف على تفسيرها ولغاتها بل عرف مجرّد إعرابها بل الله سبحانه يجازيه على قدر قصده ويثيبه على نيّته لقوله صلى الله عليه وآله : « إنّما الأعمال بالنيّات » وقوله: « نيّة المرء خيرٌ من عمله » وهذا نصٌّ في الباب لأنّ الجزاء وقع على النيّة فانتفع به الدّاعي ولو وقع على العمل الظاهر لهلك ولقوله صلى الله عليه وآله : « إنّ سين بلال عندالله شين».

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « يا أمير المؤمنين إنّ بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً فجعل يلحن في كلامه و فلانٌ يعرب ويضحك من بلال ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا عبدالله إنّما يراد إعراب الكلام ليقوّم الأعمال ويهذّبها ، ماذا ينفع فلاناً إعرابه وتقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن وما ذا يضرُّ بلالاً لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقوّمة أحسن تقويم ومهذّبة أحسن تهذيب » .

فقد ثبت بهذا الحديث أنّ اللّحن قد يدخل في العمل كما يدخل في اللّفظ وأنّ

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٦ تحت رقم ١ .

الضرر فيه عائدٌ إلى وقوعه في العمل دون اللّفظ »[١].

✡(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)✡

« قال الله تعالى إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً »[٢]

و روي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم : « جاء ذات يوم والبشرى يرى في وجهه فقال : إنّه جاءني جبرئيل فقال : يقول الله تعالى : أما ترضى يا محمّد أن لايصلّي عليك أحدٌ من اُمّتك إلّا صلّيت عليه عشراً ، ولايسلّم عليك أحدٌ من اُمّتك إلّا سلّمت عليه عشراً »[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من صلّى عليّ صلّت عليه الملائكة ما صلّى عليّ ، فليقلل عبدٌ عن ذلك أو ليكثر »[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : « إنّ أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة »[٥].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « بحسب المؤمن من البخل أن اُذكر عنده فلا يصلّي عليّ »[٦].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أكثروا عليّ الصلاة يوم الجمعة »[٧].

وقال : « من صلّى عليّ من اُمّتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيّئات »[٨].

---

(١) الى هنا في العدة ص ١٠ .

(٢) الاحزاب :٥٦ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣١٧ . والبغوي في المصابيح ج ١ ص ٦٤ .

(٤) أخرجه ابن ماجه عن عامر بن ربيعة عن أبيه تحت رقم ٩٠٧ .

(٥) أخرجه الترمذي ج ٢ ص ٢٦٩ وحسنه ، وأخرجه ابن حبان عن ابن مسعود كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٨ .

(٦) أخرجه أحمد ج١ ص٢٠١ عن الحسين بن علي عليهما السلام ، والترمذي ج١٣ ص٦٣ عن علي عليه السلام بلفظ آخر.

(٧) أخرجه أبوداود ج ١ ص٢٤١ في حديث ، وأخرجه ابن ابي شيبة وابن مردوية وزاد « فانها معروضة على » كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٩ .

(٨) أخرجه أبو يعلى بنحو آخر كما في مجمع الزوائد ج١٠ ص١٦١، وأخرجه النسائي في اليوم و الليلة بزيادة كما في المغني .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال حين يسمع الأذان والإقامة: «اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التامّة والصلاة القائمة صلّ على محمّد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة. حلّت له شفاعتي»(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ في الأرض ملائكةً سيّاحين يبلّغوني عن اُمّتي السلام»(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس أحدٌ يسلّم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتّى أردّ عليه السلام»(٤).

وقال بعضهم: كنت أكتب الحديث واُصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه ولا اُسلّم فرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال: أما تتمّ الصلاة عليّ في كتابك؟ فما كتبت بعد ذلك إلّا صلّيت عليه وسلّمت».

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأكثروا الصلاة عليه فإنّه من صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صفّ من الملائكة ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلّا صلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته فمن لم يرغب في هذا فهو جاهلٌ مغرورٌ قد بريء الله منه ورسوله وأهل بيته»(٥).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقلّ ومن شاء فليكثر»(٦).

---

(١) اخرجه البخارى ج ١ ص ١٥٠ بأدنى تغيير فى اللفظ، و رواه الطبرانى فى الاوسط بلفظه كمافى مجمع الزوائد ج ١ ص٣٣٣.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الاوسط وأبو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف كما فى المغنى.

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه ج ٢ ص ٣١٧، والبغوى فى المصابيح ج ١ص٦٤.

(٤) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٤٧٠ والبيهقى فى الدعوات الكبير كما فى مشكاة المصابيح ص٨٦. والطبرانى فى الاوسط كمافى مجمع الزوائد ج١٠ص١٦٢.

(٥) و (٦) المصدر ج ٢ص٤٩٢ تحت رقم ٦ و ٧.

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق »(١) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق »(٢) .

وعنه عليه السلام : « من صلّى على محمد وآل محمد عشراً صلّى الله عليه وملائكته مائة مرّة ومن صلّى على محمد وآل محمد مائة مرّة صلّى الله عليه وملائكته ألفاً ، أما تسمع قول الله عزّ وجلّ : «هو الّذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » (٣) .

وعن أحدهما عليهما السلام قال : « ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وإنّ الرّجل ليوضع أعماله في الميزان فتميل به ، فيخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به » (٤) .

وعن عبد السلام بن نعيم « قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدّعاء إلّا الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله ؟ فقال : أما إنّه لم يخرج أحدٌ بأفضل ممّا خرجت به »(٥) .

وعن عبيد الله بن عبدالله الدّهقان قال : « دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي : ما معنى قوله تعالى : « وذكر اسم ربّه فصلّى » ؟ (٦) . قلت : كلّما ذكر اسم ربّه قام فصلّى ؟ فقال لي : لقد كلّف الله هذا شططاً ، فقلت : جعلت فداك فكيف هو ؟ فقال : كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمد و آله »(٧) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبيّ في صلاته يسلك

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٩٢ تحت رقم ٨ .

(٢) و (٣) المصدر ج ٢ ص٤٩٣ تحت رقم ١٣ .

(٤) و (٥) المصدر ج ٢ ص٤٩٤ تحت رقم ١٥ و ١٧.

(٦) الاعلى : ١٥ .

(٧) المصدر ج ٢ص ٤٩٤ تحت رقم ١٨ . والشطط : مجاوزة القدر في كل شيء ، يعني لو كان كذلك لكان التكليف فوق الطاقة .

بصلاته غير سبيل الجنّة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من ذُكرتُ عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النّار فأبعده الله ؛ وقال صلى الله عليه وآله : « من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطّىء به طريق الجنّة » [1].

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ذكرت عنده فنسي أن يصلّي عليّ خطّأ الله به طريق الجنّة » [2].

وعنه عليه السلام قال : « سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت وهو يقول : اللّهمّ صلّ على محمّد ، فقال له أبي عليه السلام لا تبترها ، لا تظلمنا حقّنا ، قل : اللّهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته » [3].

☼(فضيلة الاستغفار)☼

قال الله تعالى : « والّذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذّنوب إلّا الله » [4].

قال علقمة بن الأسود : قال عبدالله بن مسعود : في كتاب الله جلّ وعزّ آيتان ما أذنب عبدٌ ذنباً فقرأهما فاستغفر الله إلّا غفر الله له ، قوله : « والّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » وقوله تعالى : « و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » [5].

وقال تعالى : « والمستغفرين بالأسحار » [6] و قال سبحانه : « فسبّح بحمد ربّك

(١) المصدر ج ٢ ص ٤٩٥ وقوله : « قال رسول الله » في الموضعين الظاهر أنه من تتمة رواية الصادق عليه السلام ويحتمل أن يكونا حديثين مرسلين و « يسلك » على بناء المجهول والباء في « بصلاته » للتعدية والظرف نائب للفاعل . و « غير » منصوب بالظرفية كناية عن عدم رفعها . واثباتها في عليين اشارة الى قوله تعالى : « كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كما في مرآة العقول ذيل الحديث .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٤٩٥ تحت رقم ٢٠ ويدل على ان النسيان من الله عقوبة له على بعض اعماله الرذيلة فحرم بذلك تلك الفضيلة وان لم يكن معاقباً بذلك لقوله صلى الله عليه وآله : « رفع عن امتى الخطأ والنسيان الخ » .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٤٩٥ تحت رقم ٢١ والبتر القطع .

(٤) آل عمران : ١٣٥ . (٥) النساء : ١١٠ .

(٦) آل عمران : ١٧ .

واستغفره إنّه كان توّاباً »[١] .

وكان ﷺ يكثر أن يقول : « سبحانك اللّهمّ وبحمدك اللّهمّ اغفرلي إنّك أنت التوّاب الرّحيم »[٢].

وقال ﷺ : « من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً ، ومن كلّ ضيق مخرجاً ، ويرزقه من حيث لايحتسب »[٣].

وقال ﷺ : « إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرّة »[٤]. هذا مع أنّه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر .

وقال ﷺ : « إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله كلّ يوم مائة مرّة »[٥] .

وقال ﷺ : « من قال حين يأوي إلى فراشه : « أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ثلاث مرّات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أوعدد رمل عالج ، أوعدد ورق الشجر ، أوعدد أيّام الدنيا »[٦].

وفي حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارّاً من الزّحف »[٧].

وقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ « كنت ذرب اللّسان على أهلي ، فقلت : يا رسول الله لقد خشيت أن يُدخلني لساني النّار ، فقال ﷺ : فأين أنت من الاستغفار في اليوم مائة مرّة »[٨]

---

(١) النصر : ٤ .

(٢) أخرج نحوه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٥٠٢ ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨١٩ .

(٤) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨١٦ ، ورواه الطبرانى فى الاوسط كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٠٨.

(٥) أخرجه أبوداود ج١ ص٣٤٨ ، ومسلم ج ٨ ص٧٢ وقوله : « ليغان » أى يطبق و يغشى أو يستر و يغطى .

(٦) أخرجه الترمذى ج١٢ ص٢٨٤ عن أبى سعيد ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٧) أخرجه الترمذى ج ١٣ ص٨٠ ، والحاكم فى المستدرك ج ١ ص٥١١ .

(٨) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص٥١١ ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص٩٧ .

و قالت عائشة قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فإنّ التوبة من الذّنب الندم والاستغفار » (١).

و روت أنّه صلّى الله عليه وآله قال : « اللّهمّ اجعلني من الّذين إذا أحسنوا استبشروا و إذا أساؤوا استغفروا » (٢).

وقال صلّى الله عليه وآله : « إذا أذنب العبد ذنباً فقال : اللّهمّ اغفرلي ، فيقول الله تعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أنّ له ربّاً يأخذ بالذّنب ويغفر الذّنب ، عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك » (٣).

وقال صلّى الله عليه وآله : « ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة » (٤).

وقال صلّى الله عليه وآله : « إنّ رجلاً ممّن كان قبلكم لم يعمل قطّ خيراً نظر إلى السماء فقال : إنّ لي ربّاً يارب اغفرلي ، فقال الله سبحانه : قد غفرت لك » (٥).

وقال صلّى الله عليه وآله : « من أذنب ذنباً فعلم أنّ الله قد اطّلع عليه غفر له وإن لم يستغفره » (٦).

وقال صلّى الله عليه وآله : « يقول الله تعالى : يا عبادي كلّكم مذنب إلّا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ، ومن علم أنّي ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا اُبالي » (٧).

---

(١) أخرجه احمد وفيه محمد بن يزيد الواسطى راجع مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣٨٢٠ ، والبيهقى فى الدعوات الكبير كما فى مشكاة المصابيح ص ٢٠٦ .

(٣) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٧ .

(٤) اخرجه الترمذى ج ١٣ ص ٦٩ ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٩٧ .

(٥) ما عثرت على أصل له .

(٦) رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه ابراهيم بن هراسة وهو متروك كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢١١ . ورواه الكلينى فى الكافى ج ٢ ص ٤٢٧ عن الصادق عليه السلام وقال العلامة المجلسى فى المرآة : لعل المراد به العلم الذى يؤثر فى النفس ويثمر العمل والافكل مسلم يقرّ بهذه الامور ومن انكر شيئاً من ذلك فهو كافر ومن داوم على مراقبة هذه الامور وتفكر فيها تفكراً صحيحاً لا يصدر منه ذنب الا نادراً ولو صدر منه يكون بعده نادماً خائفاً فهو تائب حقيقية وان لم يستغفر باللسان ولو عاد الى الذنب مكرراً لغلبة الشهوة عليه ثم يصير خائفاً مشفقاً لائماً نفسه فهو مفتن تواب .

(٧) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢٥٧ عن أبى ذر ، والبغوى فى شرح السنة عن ابن عباس .

وقال صلى الله عليه وآله : « من قال : « سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفرلي ، إنّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت » غفرت ذنوبه ولوكان كمدبّ النمل » (١) .

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه السّكونيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير الدّعاء الاستغفار » (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله : « إنّ للقلوب صداءً كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار » (٣) .

وروى عبيد بن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ » (٤) .

وروى ياسر عن الرّضا عليه السلام قال : « مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرّك فيتناثر ، والمستغفر من ذنب فيفعله كالمستهزىء بربّه » (٥) .

و قال عليه السلام : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقوم من مجلس وإن خفّ حتّى يستغفر الله خمساً وعشرين مرّة » (٦) .

وعنه عليه السلام قال : « كان صلى الله عليه وآله يستغفر غداة كلّ يوم سبعين مرّة و يتوب إلى الله سبعين مرّة قال : قلت : و كيف كان يقول ؟ قال : كان يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله - سبعين مرّة - ، و يقول : أتوب إلى الله ، أتوب إلى الله - سبعين مرّة - » (٧) .

وعنه عليه السلام « الاستغفار و قول « لا إله إلّا الله » خير العبادة ، قال الله العزيز الجبّار : « فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك » (٨) .

وعنه عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قال بعد العصر في كلّ يوم مرّة واحدة : « أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيوم ، ذا الجلال والإكرام ، وأسأله أن يتوب عليّ توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستجير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدعوات من كلام على عليه السلام بزيادة واختلاف كما فى المغنى .

(٢) الكافى ج٢ ص٥٠٤ .

(٣) ماعثرت على أصل له من طريق الخاصة الا فى العدة ص ١٩٤ ورواه الطبرانى فى الاوسط والصغير مع زيادة كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٠٧ .

(٤) الى (٨) الكافي ج٢ باب الاستغفار ص٥٠٤ .

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة و استدرّ به الملوك، و استطال به على الناس، و رجل قرأ القرآن فحفظ حروفه و ضيّع حدوده و أقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، و رجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره و قام به في مساجده وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلايا، و بأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»[1].

و بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ من الناس من يقرأ القرآن ليقال: فلان قارىء، و منهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولاخير في ذلك، و منهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته و ليله ونهاره»[2].

و في الأثر «ربّ تال القرآن والقرآن يلعنه»[3].

قال أبو حامد: «وقال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، و بحزنه إذا الناس يفرحون، و ببكائه إذا النّاس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليّناً[4] ولا ينبغي أن يكون جافياً و لا ممارياً و لا صيّاحاً ولاصخّاباً ولا حديداً.

وقد قال صلى الله عليه وآله: «أكثر منافقي هذه الأمّة قرّاؤها»[5].

وقال صلى الله عليه وآله: «اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه»[6].

---

(١) الكافي ج٢ ص ٦٢٧.

(٢) المصدر ج ٢ ص ٦٠٩ في حديث.

(٣) ما عثرت عليه الا من قول انس بن مالك.

(٤) في بعض النسخ [أن يكون سكيتاً ليناً].

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥١ و١٥٥. ورواه الطبراني والبيهقي كما في الجامع الصغير باب الالف.

(٦) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر كما في الجامع الصغير.

ولا حياةً ولاموتاً ولا نشوراً ، أمر الله الملكين بتخريق صحيفة السيّئات كائناً ماكانت »[١].

وعنهم عليهم السلام : « ألا صلوات الله على المتسحّرين والمستغفرين بالأسحار ».

رواها كلّها في عدّة الدّاعي [٢] وأكثرها مرويٌّ في الكافي.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « العجب ممّن يهلك ومعه النجاة ، قيل : وما هو ؟ قال : الاستغفار »[٣]. وكان يقول : « ماألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذّبه ». رواه أبو حامد في الآثار.

« **الآثار** : قال خالدبن معدان قال الله تعالى : « إنّ أحبّ عبادي إليّ المتحابّون بحبّي والمعلّقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أُولئك الّذين إذا أردتُ أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم ».

وقال قتادة : القرآن يدلّكم على دائكم ودوائكم ، فأمّا داؤكم فالذّنوب وأمّا دواؤكم فالاستغفار.

وقال الفضيل : قول العبد : « أستغفر الله » تفسيرها أقلني.

وقال بعض العلماء : العبدبين ذنب ونعمة لايصلحهما إلّا الحمد والاستغفار.

وقال الربيع بن خثيم : لايقولنّ أحدكم : أستغفرالله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذبة إن لم يفعل ولكن ليقل : اللّهمّ اغفرلي وتب عليّ.

وقال الفضيل : استغفار بلا إقلاع توبة الكذّابين.

وقالت رابعة العدويّة : استغفارنايحتاج إلى استغفار كثير.

وقال بعض الحكماء : من قدّم الاستغفارعلى الندم كان مستهزئاً على الله وهولايعلم.

وسمع أعرابيٌّ وهو متعلّق بأستارالكعبة يقول : « اللّهمّ إنّ استغفاري مع إصراري للوم ، وإنّ تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبّب إليّ بالنعم مع غناك عنّي وأتبغّض إليك بالمعاصي مع فقري إليك ، يامن إذا وعد وفا ، وإذا توعّدعفا ، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك ياأرحم الراحمين ».

---

(١) عدة الداعي ص١٩٥ عن هارون بن مسلم.

(٢) المصدرص ١٩٥. (٣) امالي الشيخ ص٥٤ وفي النهج في الحكم نحوه.

وقال أبوعبدالله الورّاق : لوكان عليك مثل عدد القطر وزبدالبحر ذنوب لمحيت عنك إذا دعوت ربّك بهذا الدّعاء مخلصاً إن شاءالله تعالى : « اللّهمّ إنّي أستغفرك من كلّ ذنب تبت إليك منه ثمّ عدت فيه ، وأستغفرك من كلّ ما وعدتك به من نفسي ثمّ لم أف لك به ، وأستغفرك من كلّ عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كلّ نعمة أنعمت بها عليّ فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كلّ ذنب أتيته في ضياء النهار و سواد اللّيل في ملاء و خلاء و سرّ وعلانية يا حليم » و يقال : إنّه استغفار آدم عليه السلام ، و قيل : استغفار الخضر عليه السلام .

﴿ الباب الثالث ﴾

✿ (في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة) ✿

أقول : وأنا أقتصر في هذاالباب على اثني عشر دعاءً وجيزة مرويّة في الكافي باسناده عن أهل البيت عليهم السلام وثلاثة من عدّة الداعي ثمّ أذكر أنواع الاستعاذة كماذكره أبوحامد ومن أراد الزّيادة عليها فليرجع إلى الكتب المصنّفة في ذلك من علمائنا رحمهم الله بعدالصحيفة الكاملة السجّاديّة كالمصابيح الثلاثة (١) ومهج الدّعوات والاقبال وغيرها فإنّ فيها من كلمات أهل البيت عليهم السلام في الأدعية والأذكار ما يعجز عن الإتيان بمثله سائر أفراد البشر ، إنّ فيها لبلاغاً لقوم عابدين .

الاول ما رواه (٢) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات : « اللّهمّ ما أصبحت بي من نعمة أوعافية في دين أودنيا فمنك وحدك لاشريك لك ، لك الحمد و لك الشكر بها عليّ ياربّ حتّى ترضى وبعد الرّضا » فإنّك إذا قلت ذلك كنت قدأدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك اللّيلة » و في رواية اُخرى قال : كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذاأصبح وأمسى فسمّي بذلك عبداً شكوراً ، قال : وقال

(١) أراد المصباحين للشيخ للطوسي ــ ومصباح الكفعمي ــ رحمهماالله تعالى ــ ويمكن أن يكون المراد مصباح المتهجد ومصباح الكفعمي ومصباح ابن الباقي كمافي هامش بعض النسخ.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٩٩ باب الشكر تحت رقم ٢٨ و٢٩ .

رسول الله صلى الله عليه وآله : « من صدق الله نجا ».

الثاني ماروا عنه (١) عليه السلام « اللّهمّ لك الحمد أحمدك وأستعينك وأنت ربّي وأنا عبدك ، أصبحت على عهدك و وعدك ، واُومن بوعدك واُوفي بعهدك ما استطعت ، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله وحده لا شريك له ، و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله ، أصبحت على فطرة الإسلام و كلمة الإخلاص وملّة إبراهيم ودين محمّد صلى الله عليه وآله على ذلك أحيي وأموت إن شاءالله ، أحيني ما أحييتني و أمتني إذا أمتّني على ذلك ، وابعثني إذا بعثتني على ذلك ، أبتغي بذلك رضوانك واتّباع سبيلك ، إليك ألجأت ظهري وإليك فوّضت أمري ، آل محمّد أئمّتي ليس لي أئمّة غيرهم ، بهم أئتمّ ، وإيّاهم أتولّى ، وبهم أقتدي ، اللّهمّ اجعلهم أوليائي في الدّنيا والآخرة ، واجعلني اُوالي أولياءهم و اُعادي أعداءهم في الدّنيا و الآخرة ، وألحقني بالصّالحين وآبائي معهم ».

الثالث ما رواه عنه (٢) عليه السلام قال : « ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم عليه السلام حتّى وصلن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح يقول : « اللّهمّ إنّي أسألك إيماناً تباشر به قلبي (٣) ويقيناً حتّى أعلم أنّه لا يصيبني إلّا ما كتبت لي ورضّني بما قسمت لي » قال : ورواه بعض أصحابنا و زاد فيه « حتّى لا اُحبّ تعجيل ما أخّرت ولا تأخير ما عجّلت ، ياحيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً و صلّى الله على محمّد وآله ».

الرابع ما رواه (٤) عنه عليه السلام قال : « كان أبي عليه السلام يقول إذا أصبح : « بسم الله ، وبالله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، اللّهمّ إليك أسلمت نفسي

---

(١) الكافى ج ٢ ص ٥٢٩ تحت رقم ٢١ .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٢٤ تحت رقم ١٠ وقوله : « تناسخها الانبياء اى ورثوها من التناسخ فى الميراث وهوموت ورثة بعد ورثة ، واصل الميراث قائم لم يقسم كما ذكره المؤلف فى الوافى .

(٣) اى تجده فى قلبى ولا يكون ايماناظاهرياً بمحض اللسان اوتلى باثباته فى قلبى بنفسك ، يقال : باشر الامر اذاوليه بنفسه .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٢٥ تحت رقم ١٣ .

وإليك فوّضت أمري ، وعليك توكّلت يا ربّ العالمين ، اللّهمّ احفظني بحفظ الإيمان[(١)]
من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ، لا إله إلّا أنت ،
لا حول ولاقوّة إلّا بالله نسأل الله العفو والعافية من كلّ سوء وشرّ ما في الدنيا والآخرة ،
اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر و من ضغطة القبر و من ضيق القبر ، وأعوذ بك من
سخطك ومن سطواتك في اللّيل والنهار ، اللّهمّ ربّ المشعر الحرام و ربّ البلد الحرام ،
و ربّ الحلّ والإحرام[(٢)] أبلغ محمّداً وآل محمّد عنّي السلام ، اللّهمّ إنّي أعوذ بدرعك
الحصينة و أعوذ بجمعك أن تميتني غرقاً أو حرقاً أو شرقاً أوقوداً أو صبراً أو مستمّاً[(٣)]
أو تردّياً في بئر أوأكيلَ سَبُعٍ أو موتَ الفُجاءة أو بشيء من ميتات السوء و لكن
أمتني على فِراشي في طاعتك و طاعة رسولك صلّى الله عليه وآله وسلّم مصيباً للحقّ غير مخطىء أوفي صفّ
الّذين نعتّهم في كتابك «كأنّهم بنيان مرصوص»[(٤)]، أُعيذ نفسي وولدي وما رزقني ربّي
بقل أعوذ بربّ الفلق - حتّى يختم السورة - أُعيذ نفسي وولدي وما رزقني ربّي بقل
أعوذ بربّ الناس - حتّى يختم السورة - ، و يقول : الحمد لله عدد ما خلق ، و الحمد لله
مثل ما خلق ، و الحمد لله ملء ما خلق ، و الحمد لله مداد كلماته ، و الحمد لله زنة
عرشه ، والحمد لله رضى نفسه ، ولا إله إلّا الله الحليم الكريم ، و لا إله إلّا الله العليّ
العظيم ، سبحان الله ربّ السماوات [السبع] والأرضين وما بينهما و ربّ العرش العظيم ،
اللّهمّ إنّي أعوذبك من درك الشقاء ، ومن شماتة الأعداء ، و أعوذبك من الفقر و الوقر ،

---

(١) أى بأن تحفى ايمانى ، أو مع حفظه ، اوبما تحفظ به أهل الايمان ، اوبحفظ تؤمننى به من مخاوف الدنيا والاخرة فانالمؤمن من أسمائه تعالى . وقيل : ان الحفظ الذى يقتضيه الايمان يشمل الحفظ عما يضر بالدين كما يشمل الحفظ عما يضر بالدنيا .

(٢) الحل - بالكسر - وقت الاحلال ، وما جاوز الحرم . والمراد هنا الاول بقرينة المقابلة .

(٣) الشرق - بالفتح - : الغصة . والقود : القصاص . والصبر أن يمسكه رجل أويشديداه ورجلاه حتى يضرب عنقه . وفى المصدر «مسماً» بفتح الميم مصدر ميمى او بضمها من أسمه - بتشديد الميم - اذا سقاه السم وانلم يذكر فى اللغة ولعل الصواب «مسماً».

(٤) الصف : ٤ . و الرص اتصال الشىء بالشىء وبعض البناء بالبعض .

و أعوذ بك من سوء المنظر في الأهل و المال و الولد » و يصلّي على محمد و آل محمد عشر مرّات .

الخامس مارواه عنه عليه السلام [1] قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قال هذا القول كان مع محمد وآل محمد صلوات الله و سلامه عليهم إذا قام من قبل أن يستفتح الصلاة : « اللّهمّ إنّي أتوجّه إليك بمحمّد وآل محمد وأُقدّمهم بين يدي صلاتي وأتقرّب بهم إليك [2] فاجعلني بهم وجيهاً في الدّنيا و الآخرة و من المقرّبين ، أنت مننت عليّ بمعرفتهم فاختم لي بطاعتهم و معرفتهم و ولايتهم فإنّها السعادة اختم لي بها إنّك على كلّ شيء قدير » ثمّ تصلّي فإذا انصرفت قلت : اللّهمّ اجعلني مع محمد و آل محمد في كلّ عافية و بلاء، واجعلني مع محمد وآل محمد في كلّ مثوى ومنقلب ، اللّهمّ اجعل محياي محياهم و مماتي مماتهم ، و اجعلني معهم في المواطن كلّها ولا تفرّق بيني وبينهم إنّك على كلّ شيء قدير» .

السادس مارواه عنه عليه السلام [3] قال : قل : « اللّهمّ اجعلني أخشاك كأنّي أراك ، و أسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعاصيك ، وخرلي في قضائك ، و بارك لي في قدرك حتّى لا أُحبّ تأخير ما عجّلت ولا تعجيل ما أخّرت ، واجعل غناي في نفسي ومتّعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارثين منّي و انصرني على من ظلمني وأرني فيه قدرتك يارب وأقرّ بذلك عيني » .

السابع ما رواه عنه عليه السلام [4] و هو جامع للدّنيا والآخرة تقول بعد حمدالله والثناء عليه : « اللّهم أنت الله لا إله إلّا أنت الحليم الكريم ، وأنت الله لا إله إلّا أنت العزيز الحكيم ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الواحد القهّار ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الملك الجبّار ، وأنت

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٤٤ تحت رقم ١ .

(٢) يعنى أتوجه اليك متلبساً بعرفانهم والاقتداء بهم ، مقتفياً آثارهم ، مقدماً حبهم سالكاً مسلكهم ، عاملا على شريعتهم ، عاكفاً على طاعتهم ، آتياً اوامرهم ، تاركاً نواهيهم متقرباً بذلك كله اليك زلفى .

(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٧٧ تحت رقم ١ .

(٤) المصدر ج ٢ ص ٥٨٣ تحت رقم ١٨ .

الله لا إله إلّا أنت الرحيم الغفّار ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الشديد المحال ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الكبير المتعال ، و أنت الله لا إله إلّا أنت السميع البصير ، و أنت الله لا إله إلّا أنت المنيع القدير ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغفور الشكور ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الحميد المجيد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغنيّ الحميد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغفور الودود ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الحنّان المنّان ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الحكيم الدّيّان ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الجواد الماجد ، وأنت الله لا إله إلّا أنت الواحد الأحد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الغائب الشاهد ، و أنت الله لا إله إلّا أنت الظاهر الباطن ، وأنت الله لا إله إلّا أنت بكلّ شيء عليم ، تمّ نورك فهديت و بسطت يدك فأعطيت ربّنا وجهك أكرم الوجوه ، و جهتك خير الجهات ، وعطيّتك أفضل العطايا و أهنؤها ، تطاع ربّنا فتشكر ، وتعصى ربّنا فتغفر لمن شئت ، تجيب المضطرّ وتكشف السوء ، و تقبل التوبة ، و تعفو عن الذّنوب ، لاتجازى أياديك ، ولاتحصى نعمك ، ولا يبلغ مدحتك قول قائل ، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و عجّل فرجهم و روحهم ، وراحتهم وسرورهم وأذقني طعم فرجهم ، وأهلك أعداءهم من الجنّ والإنس ، وآتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة و قنا عذاب النار ، و اجعلنا من الّذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، و اجعلني من الّذين صبروا و على ربّهم يتوكّلون ، و ثبّتني بالقول الثابت في الحياة الدّنيا و في الآخرة ، و بارك لي في المحيا و الممات و الموقف و النشور و الحساب والميزان و أهوال يوم القيامة ، و سلّمني على الصراط ، و أجزني عليه ، و ارزقني علماً نافعاً و يقيناً صادقاً وتقىً وبرّاً و ورعاً وخوفاً منك وفرقاً [(١)] يبلغني منك زلفى ولايبا عدني عنك ، وأحببني ولا تبغضني و تولّني ولا تخذلني وأعطني من جميع خير الدّنيا و الآخرة ما علمت منه و مالم أعلم وأجرني من السوء كلّه بحذافيره [(٢)] ما علمت منه ومالم أعلم ».

الثامن ما رواه عنه عليه السلام [(٣)] « يا نور يا قدّوس ، يا أوّل الأوّلين و يا آخر الآخرين ، ويا رحمن يا رحيم اغفرلي الذّنوب الّتي تغيّر النعم ، واغفرلي الذّنوب الّتي

---

(١) الفرق ـ بالتحريك ـ : الخوف والفزع .

(٢) يعني من جميع نواحيه . (٣) المصدر ج ٢ ص ٥٨٩ .

تحلّ النقم (١)، واغفرلي الذّنوب الّتي تهتك العصم ، و اغفرلي الذّنوب الّتي تنزل البلاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تديل الأعداء (٢)، واغفرلي الذّنوب الّتي تعجّل الفناء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تقطع الرّجاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تظلم الهواء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تكشف الغطاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تردّ الدّعاء ، واغفرلي الذّنوب الّتي تحبس غيث السماء ».

و قد ورد عن زين العابدين عليه السلام (٣) في تفسير هذه الذّنوب : أنّ الذّنوب الّتي تغيّر النعم البغي على الناس ، و الزّوال عن العادة في الخير ، و اصطناع المعروف ، و كفران النعم ، و ترك الشكر قال الله تعالى : « إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم » (٤).

و الذّنوب الّتي تورث الندم قتل النفس الّتي حرّم الله ، قال الله تعالى في قصّة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه « فأصبح من النادمين » (٥) و ترك صلة الرّحم حين يقدر ، وترك الصلاة حتّى يخرج وقتها ، وترك الوصيّة ، وردّ المظالم ، ومنع الزكاة حتّى يحضر الموت و ينغلق اللّسان .

والذّنوب الّتي تزيل النعم (٦) عصيان العارف ، والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخريّة منهم .

والذّنوب الّتي تدفع القسم إظهار الافتقار ، والنوم عن صلاة العتمة وصلاة الغداة ، واستحقار النعم ، وشكوى المعبود ، والزّنى (٧).

(١) أى تنزل العقوبات .

(٢) أدال الشيء ادالة جعله متداولا . وأدال الله بنى فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه . وأدال الله زيداً من عمرو : نزع الدولة من عمرو وحولها الى زيد .

(٣) معانى الاخبار ص ٢٧١ .

(٤) الرعد : ١١ .

(٥) المائدة : ٣١ .

(٦) فى معانى الاخبار هنا « الذنوب التى تنزل النقم » .

(٧) ليست لفظة «والزنى» فى المعانى .

والذّنوب الّتي تهتك العصم شرب الخمر ، ولعب القمار ، وتعاطي ما يضحك النّاس ، واللّغو ، والمزاح ، وذكر عيوب النّاس ، ومجالسة أهل الرّيب .

والذّنوب الّتي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف ، وترك معاونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والذّنوب الّتي تديل الأعداء المجاهرة بالظلم ، وإعلان الفجور ، وإباحة المحظور وعصيان الأخيار ، والانقياد إلى الأشرار .

والذّنوب الّتي تعجّل الفناء قطيعة الرّحم . واليمين الفاجرة ، والأقوال الكاذبة ، والزّنى ، وسدّ طرق المسلمين . وادّعاء الإمامة بغير حقّ .

والذّنوب الّتي تقطع الرجاء اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، و الثقة بغير الله ، والتّكذيب بوعد الله .

والذّنوب الّتي تظلم الهواء السحر و الكهانة ، و الايمان بالنجوم ، و التّكذيب بالقدر ، وعقوق الوالدين .

والذّنوب الّتي تكشف الغطاء الاستدانة بغير نيّـة الأداء ، و الإسراف في النفقة ، والبخل عن الأهل والأولاد ، و ذوي الأرحام ، وسوء الخلق ، وقلّة الصبر ، و استعمال الضجر والكسل ، والاستهانة بأهل الدّين .

والذّنوب الّتي تردّ الدّعاء سوء النيّة ، وخبث السريرة ، والنفاق مع الإخوان ، وترك التصديق بالإجابة ، وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها » (١).

التاسع ما رواه عنه عليه السلام (٢) « أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين كان لي مالٌ ورثته ولم اُنفق منه درهماً في طاعة الله ، ثم اكتسبت مالاً فلم اُنفق منه درهماً في طاعة الله فعلّمني دعاء يخلف عليّ ما مضى و يغفرلي ما عملت أوعملاً

---

(١) زاد في المعاني « والذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام في القضاء وشهادة الزور و كتمان الشهادة ومنع الزكاة والقرض والماعون وقساوة القلوب على اهل الفقر و الفاقة وظلم اليتيم والارملة وانتهار السائل ورده بالليل .

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٩٥ تحت رقم ٣٥ .

أهمله قال: قل، قال: وأيّ شيء أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل كما أقول: «يا نوري في كلّ ظلمة، ويا أُنسي في كلّ وحشة، ويا رجائي في كلّ كربة، ويا ثقتي في كلّ شدّة ويا دليلي في الضلالة، أنت دليلي إذا انقطعت دلالة الأدلّاء فإنّ دلالتك لا تنقطع ولا يضلّ من هديت، أنعمت عليّ فأسبغت، ورزقتني فوفّرت، وغذيتني فأحسنت غذائي، وأعطيتني فأجزلت بلا استحقاق لذلك بفعل منّي ولكن ابتداءً منك لكرمك وجودك، فتقوّيت بكرمك على معاصيك، وتقوّيت برزقك على سخطك وأفنيت عمري فيما لا تحبّ، فلم يمنعك جرأتي عليك وركوبي لما نهيتني عنه ودخولي فيما حرّمت عليّ أن عُدت عليّ بفضلك ولم يمنعني حلمك عنّي وعودك عليّ بفضلك أن عدتُ في معاصيك، فأنت العوّاد بالفضل وأنا العوّاد بالمعاصي، فيا أكرم من أقرّ له بذنب وأعزّ من خضع له بالذلّ، لكرمك أقررت بذنبي ولعزّك خضعت بذلّي فما أنت صانع بي في كرمك وإقراري بذنبي وعزّك وخضوعي بذلّي افعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله».

العاشر ما رواه مرفوعاً (١) قال: «أتى جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يوماً فقال له: إنّ ربّك يقول لك: إذا أردت أن تعبدني يوماً وليلة حقّ عبادتي فارفع يديك إليّ وقل: «اللّهمّ لك الحمد حمداً خالداً مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا منتهى له دون علمك، ولك الحمد حمداً لا أمد له دون مشيّتك، ولك الحمد حمداً لا جزاء لقائله إلّا رضاك، اللّهم لك الحمد كلّه، ولك المنّ كلّه، ولك الفخر كلّه، ولك البهاء كلّه، ولك النور كلّه، ولك العزّة كلّها، ولك الجبروت كلّها، ولك العظمة كلّها، ولك الدّنيا كلّها، ولك الآخرة كلّها، ولك اللّيل والنّهار كلّه، ولك الخلق كلّه، بيدك الخير كلّه، وإليك يرجع الأمر كلّه علانيته وسرّه، اللّهمّ لك الحمد حمداً أبداً، أنت حسن البلاء، جليل الثناء، سابغ النعماء، عدل القضاء، جزيل العطاء، حسن الآلاء، إله من في الأرض وإله من في السماء، اللّهمّ لك الحمد في السبع الشداد، ولك الحمد في الأرض المهاد، ولك الحمد طاقة العباد، ولك الحمد سعة البلاد، ولك الحمد في الجبال الأوتاد، ولك الحمد في اللّيل إذا يغشى، ولك الحمد في النّهار إذا تجلّى، ولك الحمد في الآخرة

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٨١ تحت رقم ١٦.

والاولى، ولك الحمد في المثاني والقرآن العظيم، وسبحان الله وبحمده، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون، سبحان الله وبحمده كلّ شيء هالك إلّا وجهه، سبحانك ربّنا وتعاليت وتباركت وتقدّست، خلقت كلّ شيء بقدرتك، وقهرت كلّ شيء بعزّتك، وعلوت فوق كلّ شيء بارتفاعك، وغلبت كلّ شيء بقوّتك، وابتدعت كلّ شيء بحكمتك وعلمك، وبعثت الرّسل بكتبك، وهديت الصّالحين بإذنك، وأيّدت المؤمنين بنصرك، وقهرت الخلق بسلطانك، لا إله إلّا أنت، وحدك لا شريك لك لانعبد غيرك، ولا نسأل إلّا إيّاك، ولا نرغب إلّا إليك، أنت موضع شكوانا، ومنتهى رغبتنا، وإلهنا ومليكنا».

الحادي عشر مارواه عن أبي جعفر عليه السلام (١) قال الرّاوي: وكان عليه السلام يسمّيه الجامع «بسم الله الرّحمن الرّحيم أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله آمنت بالله وبجميع رسله وبجميع ما أنزل به على جميع الرسل، وأنّ وعدالله حقّ ولقاءه حقّ وصدق الله وبلّغ المرسلون، والحمد لله ربّ العالمين، وسبحان الله كلّما سبّح الله شيء وكما يحبّ الله أن يسبّح، والحمد لله كلّما حمد الله شيء وكما يحبّ الله أن يحمد، ولا إله إلّا الله كلّما هلّل الله شيء وكما يحبّ الله أن يهلّل، والله أكبر كلّما كبّر الله شيء وكما يحبّ الله أن يكبّر، اللّهمّ إنّي أسألك مفاتيح الخير وخواتيمه وسوابغه وفوائده وبركاته مابلغ علمه علمي، وما قصر عن إحصائه حفظي، اللّهمّ أنهج لي أسباب معرفته وافتح لي أبوابه وغشّني بركات رحمتك ومُنّ عليّ بعصمة عن الإزالة عن دينك وطهّر قلبي من الشكّ، ولا تشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن آجل ثواب آخرتي واشغل قلبي بحفظ مالاتقبل منّي جهله، وذلّل لكلّ خير لساني، وطهّر قلبي من الرّياء ولا تجره في مفاصلي، واجعل عملي خالصاً لك، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الشرّ وأنواع الفواحش كلّها ظاهرها وباطنها وغفلاتها وجميع مايريدني به الشيطان الرجيم ومايريدني به السلطان العنيد ممّا أحطتَ بعلمه وأنت القادر على صرفه عنّي، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من طوارق الجنّ

(١) المصدر ج ٢ ص ٥٨٧ تحت رقم ٢٦.

والإنس وزوابعهم[١] وبوائقهم ومكائدهم ومشاهد الفسقة من الجنّ والإنس وأن أستزلّ عن ديني فتفسد عليّ آخرتي وأن يكون ذلك ضرراً عليّ في معاشي أو يعرض بلاء يصيبني منهم لاقوّة لي به ولاصبر لي على احتماله فلا تبتلني ياإلهي بمقاساته فيمنعني ذلك من ذكرك، ويشغلني عن عبادتك، أنت العاصم المانع الدّافع الواقي من ذلك كلّه، أسألك اللّهمّ الرّفاهية في معيشتي ما أبقيتني معيشة أقوى بها على طاعتك وأبلغ بها رضوانك وأصير بها إلى دار الحيوان غداً، ولا ترزقني رزقاً يطغيني، ولا تبتلني بفقر أشقى به مضيقاً عليّ أعطني حظّاً وافراً في آخرتي ومعاشاً واسعاً هنيئاً مريئاً في دنياي، ولا تجعل الدّنيا عليّ سجناً، ولا تجعل فراقها عليّ حزناً، أجرني من فتنتها، واجعل عملي فيها مقبولاً، وسعيي فيها مشكوراً، اللّهمّ ومن أرادني بسوء فأرده بمثله، ومن كادني فيها فكده، واصرف عنّي همّ من أدخل عليّ همّه، وامكر بمن مكرني فانّك خير الماكرين، وافقأ عنّي عيون الكفرة الظلمة والطغاة الحسدة، اللّهمّ وأنزل عليّ منك سكينة، وألبسني درعك الحصينة واحفظني بسترك الواقي، وجلّلني عافيتك النافعة، وصدّق قولي وفعالي، وبارك لي في ولدي وأهلي ومالي، اللّهمّ ماقدّمت وماأخّرت، وما أغفلت وماتعمّدت، وما توانيت وما أعلنت وما أسررت فاغفره لي ياأرحم الراحمين».

الثاني عشر ما رواه عنه عليه السلام[٢] «اللّهمّ إنّي أسألك من كلّ خير أحاط به علمك، وأعوذ بك من كلّ سوء أحاط به علمك، اللّهمّ إنّي أسألك عافيتك في أموري كلّها، وأعوذ بك من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة».

الثالث عشر ما رواه في العدّة عنه عليه السلام[٣] قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا احمرّت الشمس على رأس قلّة الجبل هملت عيناه دموعاً ثمّ قال: «أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمست ذنوبي مستجيرة بمغفرتك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك، وأمسى ذلّي مستجيراً بعزّك، وأمسى فقري مستجيراً بغناك، وأمسى وجهي البالي الفاني مستجيراً بوجهك

(١) الزوبعة اسم شيطان او رئيس الجن وهى بالزاى والباء الموحدة والعين المهملة جمعها زوابع (القاموس).

(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٧٨ تحت رقم ٣.

(٣) المصدر ص ١٩٧ الدعاء السابع.

الدّائم الباقي ، اللّهمّ ألبسني عافيتك ، وغشّني رحمتك ، وجلّلني كرامتك ، وقني شرّ خلقك من الجنّ والإنس يا الله يا رحمن يا رحيم ».

الرابع عشر ما رواه فيه عن الرّضا عليه السلام (١) قال : « من قال في دبر صلاة الغداة لم يلتمس حاجة إلّا تيسّرت له و كفاه الله ما أهمّه : « بسم الله وصلّى الله على محمّد وآله ، و أفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيّئات مامكروا لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ و كذلك ننجي المؤمنين ، حسبنا الله و نعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء ، ما شاء الله لاحول ولا قوّة إلّا بالله ، ما شاء الله لا ما شاء النّاس ، ما شاء الله وإن كره الناس ، حسبي الرّبّ من المربوبين ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله ربّ العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي من كان منذ كنت لم يزل حسبي ، حسبي الله لا إله إلّا هو ، عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم ».

الخامس عشر ما رواه فيه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله (٢) « أنّ جبرئيل عليه السلام نزل عليه بهذا الدّعاء من السماء ، ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً فقال : السلام عليك يا محمّد ، قال : و عليك السلام يا جبرئيل ، فقال : إنّ الله عزّوجلّ بعث إليك بهديّة ، قال : و ما تلك الهديّة يا جبرئيل ؟ قال : كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها ، قال : وماهنّ يا جبرئيل ؟ قال : قل : « يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا من لم يؤاخذ بالجريرة و لم يهتك الستر ، يا عظيم العفو ، ياحسن التجاوز ، ياواسع المغفرة ، ياباسط اليدين بالرّحمة ، ياصاحب كلّ نجوى و منتهى كلّ شكوى ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المنّ ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربّنا ويا سيّدنا ويا مولانا و يا غاية رغبتنا أسألك يا الله ألّا تشوّه خلقي بالنار » فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لجبرئيل : ما ثواب هذه الكلمات ؟ قال : هيهات هيهات انقطع العمل ، لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على أن يصفوا ثواب ذلك إلى يوم القيامة ما وصفوا من كلّ جزء جزءاً واحداً ، فإذا قال العبد : « يامن

---

(١) المصدر ص ١٩٧ الدعاء الخامس.

(٢) المصدر الفصل الاخر من فصول الكتاب.

أظهر الجميل وستر القبيح » ستره الله ورحمه في الدّنيا و جمّله في الآخرة ، وستر الله عليه ألف ستر في الدّنيا والآخرة ، و إذا قال : « يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر » لم يحاسبه الله يوم القيامة ، ولم يهتك ستره يوم تهتك الستور ، وإذا قال : « يا عظيم العفو » غفر الله ذنوبه ولو كانت خطيئته مثل زبد البحر ، و إذا قال : « يا حسن التجاوز » تجاوز الله عنه حتّى السرقة و شرب الخمر و أهاويل الدّنيا وغير ذلك من الكبائر (١) ، و إذا قال : « يا واسع المغفرة » فتح الله له عزّ وجلّ سبعين باباً من الرّحمة ، فهو يخوض في رحمة الله عزّ وجلّ حتّى يخرج من الدّنيا ، و إذا قال : « يا باسط اليدين بالرحمة » بسط الله يده عليه بالرّحمة ، و إذا قال : « يا صاحب كلّ نجوى و منتهى كلّ شكوى » أعطاه الله من الأجر ثواب كلّ مصاب و كلّ سالم ، و كلّ مريض ، و كلّ ضرير ، و كلّ مسكين ، و كلّ فقير ، و كلّ صاحب مصيبة إلى يوم القيامة ، وإذا قال : « يا كريم الصفح » أكرمه الله كرامة الأنبياء ، وإذا قال : « يا عظيم المنّ » أعطاه الله يوم القيامة منيته ومنية الخلائق ، و إذا قال : « يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها » أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعماءه ، و إذا قال : « يا ربّنا ويا سيّدنا » قال الله تبارك وتعالى : اشهدوا ملائكتي أنّي قد غفرت له و أعطيته من الأجر بعدد من خلقته في الجنّة والنار والسماوات السّبع والأرضين السبع والشمس والقمر والنجوم و قطر الأمطار و أنواع الخلق والجبال والحصى والثرى و غير ذلك والعرش والكرسيّ ، وإذا قال : « يا مولانا » ملأ الله قلبه من الإيمان ، و إذا قال : « يا غاية رغبتنا » أعطاه الله يوم القيامة رغبة الخلائق ، و إذا قال : « أسألك يا الله ، ألاّ تشوّه خلقي بالنار » قال الجبّار جلّ جلاله : استعتقني عبدي من النّار اشهدوا ملائكتي أنّي قد أعتقته من النّار و أبويه و إخوته و أهله وولده وجيرانه و شفّعته في ألف رجل ممّن وجبت له النّار وأجرته من النّار ، فعلّمهنّ يا محمّد المتّقين ، ولا تعلّمهنّ المنافقين فإنّها دعوة مستجابة لقائلهنّ إن شاء الله و هو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به » .

---

(١) لعل المراد أن الله سبحانه تجاوز عن حقه فيما ارتكب العبد من نواهيه لا التجاوز عما هو حق الناس وصدور هذا الكلام عنه مع النية والتوجه بمنزلة التوبة اليه والانابة التى تقتضى الغفران والصفح . واما حقوق العباد فيجب أن يؤديها اليهم اويرضيهم كما لا يخفى .

﴿ أنواع الاستعاذة ﴾

(المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله)

« اللّهمّ إنّي أعوذبك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن اُردّ إلى أرذل العمر ، و أعوذ بك من فتنة الدنيا ، و أعوذ بك من عذاب القبر ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ، و طمع في غير مطمع ، ومن طمع حين لا طمع ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من علم لاينفع ، و قلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لاتشبع ومن الجوع فإنّه بئس الضجيع ، و من الخيانة فإنّها بئست البطانة ، و من الكسل و البخل و الجبن ، ومن الهرم و من أن اُردّ إلى أرذل العمر ، ومن فتنة الدجّال وعذاب القبر و من فتنة المحيا و الممات ، اللّهمّ إنّا نسألك قلوباً أوّاهة مخبتة منيبة (١) في سبيلك ، اللّهمّ إنّا نسألك عزائم مغفرتك ، وموجبات رحمتك والسلامة من كلّ إثم ، و الغنيمة من كلّ برّ ، والفوز بالجنّة ، والنجاة من النّار ، اللّهم إنّي أعوذبك من التردّي و أعوذ بك من الغمّ والهمّ وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً و أعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ ما علمتُ ، و من شرّ مالم أعلم ، اللّهمّ جنّبني منكرات الأخلاق و الأعمال و الأدواء و الأهواء ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من جهدالبلاء ودرك الشقاء ، و سوء القضاء ، و شماتة الأعداء ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من جارالسّوء في دار المقامة فإنّ جار البادي يتحوّل ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ سمعي وبصري ، وشرّ لساني وقلبي ، وشرّ نفسي ومنيّي (٢) ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من القسوة والغفلة و العيلة (٣) والذلّة و المسكنة ، وأعوذبك من الفقر و الكفر والفسوق و الشقاق و النفاق و السمعة و الرياء ، و أعوذبك من الصمم والبكم و الجنون والجذام والبرص وسيّىء الأسقام ، اللّهمّ إنّي أعوذبك من زوال نعمتك و من تحوّل عافيتك و من فجأة نقمتك وجميع سخطك ،

(١) الاواه : المتأوه المتضرع ، والمخبت : الخاشع المتذلل ، والمنيب : الراجع الى الله بالتوبة .

(٢) المنيهوالماء المعروف أوالذكر كماأشاراليه النسائى ج٨ ص٢٥٦ من السنن.

(٣) العيلة مصدر عال يعيل أى افتقر فهوعائل والاسم العيلة .

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب النّار ومن فتنة النّار ، و عذاب القبر وفتنة القبر ، وشرّ فتنة الغنى ، و شرّ فتنة الفقر ، و شرّ فتنة المسيح الدّجّال[1] و أعوذ بك من المغرم و المأثم ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من نفس لا تشبع ، و قلب لا يخشع ، و صلاة لا تنفع ، و دعوة لا تستجاب ، وأعوذ بك من سوء العُمُر وفتنة الصدر ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من غلبة الدّين و غلبة العدوّ ، و شماتة الأعداء »[2].

الباب الرابع

(في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث)

أقول : وهي كثيرة ، و قد جمعتُها في كتابي المسمّى بخلاصة الأذكار ، وأقتصر ههنا على نحو ممّا ذكره أبو حامد مع زيادة مهمّات و نقصان مستدركات سبق ذكرها و نذكر ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك من طريق الخاصّة لا ما ذكره إلّا قليلاً منه .

فنقول : إذا أصبحت وسمعت الأذان يستحبُّ لك جواب المؤذّن[3] وقد ذكرناه ، و ذكرنا أدعية دخول الخلاء[4] والخروج منه ، وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة .

فإذا لبست نعلك فقل : « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، و وطّىء قدميّ في الدّنيا و الآخرة ، وثبّتهما على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام .

فإذا توجّهت إلى المسجد فقل: « بسم الله الّذي خلقني فهو يهدين ـ الآيات إلى

---

(١) قال في مجمع البحرين : المسيح لقب عيسى عليه السلام وهو من الالقاب الشريفة وفي معناه اقاويل ـ الى ان قال ـ : وسمي الدجال مسيحاً لان احدى عينيه ممسوحة انتهى . وزاد ابن الاثير قال : « ويقال : رجل ممسوح الوجه ومسيح وهو ان لا يبقى على احد شقي وجهه عين ولا حاجب الا استوى و قيل لانه يمسح الارض : اى يقطعها » .

(٢) الى هنا راجع السنن الكبرى للنسائي كتاب الاستعاذة ج ٨ ص ٢٥٠ ، وسنن أبي داود ج ١ ص ٣٥٣ ، وصحيح مسلم ج ٨ ص٧٥ ، ومستدرك الحاكم ج ١ص ٥٣٠ .

(٣) راجع عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٥ .

(٤) راجع المجلد الاول من الكتاب ص٢٩٤.

قوله عزّ وجلّ : ـ و اغفرلأ بي » فعن النبيّ ﷺ « من توضّأ ثمّ خرج إلى المسجد فقال حين يخرج من بيته : « بسم الله الّذي خلقني فهو يهدين » هداه الله إلى الصواب والإيمان ، و إذا قال : « و الّذي هو يطعمني و يسقين » أطعمه الله من طعام الجنّة و سقاه من شرابها ، و إذا قال : « و إذا مرضت فهو يشفين» جعل الله ذلك كفّارة لذنوبه ، و إذاقال : « والّذي يميتني ثمّ يحيين » أماته الله ميتة الشهداء ، وأحياه حياة السّعداء ، و إذا قال : «والّذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين » غفرالله له خطاياه كلّها وإن كان أكثر من زبد البحر ، و إذا قال : « ربّ هب لي حكماً و ألحقني بالصالحين » و هب الله له حكماً وعلماً و ألحقه بصالح من مضى و صالح من بقي ، وإذا قال : « واجعل لي لسانَ صدق في الآخرين » كتب الله له في ورقة بيضاء أنّ فلان بن فلان من الصادقين ، و إذا قال : « واجعلني من ورثة جنّة النعيم» أعطاه الله منازل في جنّة النعيم ، و إذا قال : «واغفرلأ بي» غفرالله لأ بويه »(١) .

وإذا أردت الدّخول إلى المسجد فتعاهد نعليك أوّلاً و قدّم رجلك اليمنى و قل : «بسم الله ، وبالله ، و من الله ، وإلى الله ، وخير الأسماء كلّها لله ، توكّلت على الله ، لاحول ولا قوّة إلّا بالله ، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد ، و افتح لي أبواب رحمتك و توبتك و أغلق عنّي أبواب معصيتك ، واجعلني من زوّارك و عمّار مساجدك ، و ممّن يناجيك في اللّيل و النهار ، ومن الّذين هم في صلاتهم خاشعون ، و ادحر عنّي الشيطان الرجيم (٢) وجنود إبليس أجمعين » .

---

(١) راجع سورة الشعراء آية ٧٨ الى ٨٦ والخبر أخرجه ابن أبى الدنيا فى الذكر وابن مردويه كما فى الدر المنثور ج ٥ ص ٨٩ وراجع بقية الاوراد عمل اليوم والليلة لابن السنى ، و اليوم والليلة للنسائى ، والمجلد الاول من مستدرك الحاكم كتاب الدعوات ص ٤٩٠ ، والدعوات الكبير للبيهقى ، وثواب الاعمال ، وعقاب الاعمال ، والفقيه للصدوق ، و كتاب الدعاء من الكافى ج ٢ ص ٤٦٦ ولقلة جدواها طوينا عن الاشارة الى كل واحد منها ومن اراد الاطلاع على جملتها فى كتب العامة فليراجع المغنى للعراقى المطبوع ذيل الاحياء .

(٢) اى اطرد ، دحره اى طرده .

فإذا خلعت نعليك فاخلع اليسرى قبل اليمنى بعكس لبسها وقل : « بسم الله الحمد لله الّذي رزقني ما أُوقي به قدميّ من الأذى ، اللّهمّ ، ثبّتهما على صراطك ولا تزلّهما عن صراطك السويّ » و إن كانا عربيّين طاهرين و أمكنك أن لا تنزعهما فلا تنزعهما فإنّ الصلاة فيهما مستحبّة .

فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل : «لا أربح الله تجارتك» .

و إذا رأيت من ينشد ضالّة في المسجد فقل : « لاردّ الله عليك » .

و إذا رأيت من ينشد شعراً فقل : «فض الله فاك» كذا ورد في الحديث النبوي»(١) .

وقد ذكرنا أدعية الصلاة في كتابها .

فإذا نهضت من المصلّى فانصرف عن يمينك وقل : « سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمدلله ربّ العالمين » .

و إذا خرجت من المسجد فقدّم رجلك اليسرى و صلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و قل : « اللّهمّ دعوتني فأجبتُ دعوتك وصلّيتُ مكتوبك وانتشرت في أرضك كما أمرتني فأسألك من فضلك العمل بطاعتك واجتناب معصيتك و الكفاف من رزقك برحمتك » .

فاذا طلعت الشمس فقل : «أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين ، و أعوذ بالله أن يحضرون ، إنّ الله هو السميع العليم » .

«و إذا تصدّقت بشيء فقل : « ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم » .

و إذا دخلت منزلك فقل : « بسم الله و بالله أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله » وسلّم على أهلك إن كان في البيت أهل وإلّا فقل بعد الشهادتين : « السلام على محمّد بن عبدالله خاتم النبيّين ، السلام على الأئمّة الهادين المهديّين ، السلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين » .

و إذا جلست فقل : « بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على محمّد وآله » .

و إذا نظرت في المرآة فقل : « الحمدلله الّذي خلقني فأحسن خلقي وصوّرني فأحسن

---

(١) راجع التهذيب ج ١ ص ٣٢٧ والكافي ج ٣ ص ٣٦٩ رقم ٥ . و أيضاً عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٤٢ و ٤٣

صورتي ، الحمد لله الّذي زان منّي ماشان من غيري ، وأكرمني بالإسلام » .

و إذا سرّحت لحيتك فقل : « اللّهمّ سرّح عنّي الغموم والهموم و وحشة الصدر ووسوسة الشيطان » .

وإذا حضرت المائدة فقل : « اللّهمّ اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعم الجنّة » .

فإذا مددت يدك إليها فقل : « بسم الله والحمد لله ربّ العالمين ، اللّهمّ إنّي أسألك في أكلي و شربي السلامة من وعكه والقوّة على طاعتك ، و ذكرك و شكرك فيما بقيته في بدني وأن تشجّعني بقوّتها على عبادتك وأن تلهمني حسن التحرّز من معصيتك » .

ويأتي آداب الأكل في محلّه .

وإذا فرغت منه فقل : « الحمد لله الّذي أطعمنا في جائعين ، وسقانا في ظمآنين ، و كسانا في عارين وهدانا في ضالّين ، وحمّلنا في راجلين ، وآوانا في ضاحين ، وأخدمنا في عانين ، و فضّلنا على كثير من العالمين » .

و إذا أردت شرب الماء فقل : « الحمد لله منزل الماء من السماء ، ومصرّف الأمر كيف يشاء ، بسم الله خير الأسماء » .

وإذا فرغت فقل : « الحمد لله الّذي سقاني ماء عذباً ولم يجعله ملحاً أُجاجاً بذنوبي وصلّ وسلّم على الحسين عليه السلام والعن قاتليه » .

و إذا قمت من المجلس فقل ما قلته للجلوس و ما قلته للنهوض من المصلّى فقد روي أنّه كفّارة للغو المجلس وفيه امتثال لقوله عزّ وجلّ : « فسبّح بحمد ربّك حين تقوم » .

و إذا تعمّمت أو تختّمت فقل : « اللّهمّ سوّمني بسيماء الإيمان ، وتوّجني بتاج الكرامة ، وقلّدني حبل الإسلام ، ولا تخلع ربقة الإيمان من عنقي » .

و إذا لبست ثوبك فقل : « الحمد لله الّذي كساني ما يواري عورتي و أتجمّل به في الناس » ، و إذا كان جديداً فزد على ذلك مقدّماً عليه « اللّهمّ اجعله ثوب يمن و تقوى وبركة ، اللّهمّ ارزقني فيه حسن عبادتك و عملاً بطاعتك و أداء شكر نعمتك » .

و إذا خرجت من منزلك فقل : « بسم الله آمنت بالله و توكّلت على الله » قال سيّد العابدين عليه السلام : « إنّ العبد إذا خرج من منزله عرض له الشيطان فإذا قال : « بسم الله »

قال الملكان : كفيت ، فإذا قال : « آمنت بالله » قالا له : هديت ، فإذا قال : « توكّلت على الله » قالا له : وقيت ، فيتنحّى الشياطين فيقول بعضهم لبعض : كيف لنا بمن كفي وهدي ووقي » (١).

فاذا دخلت السوق فقل : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حيّ لايموت ، بيده الخير و هو على كلّ شيء قدير ، بسم الله اللّهمّ إنّي أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن اُصيب فيها يميناً فاجرةً أو صفقة خاسرة » .

فإن كان عليك دين فقل : « اللّهمّ اكفني بحلالك عن حرامك و أغنني بفضلك عمّن سواك » .

وإذا أصابك خسران فقل : « عسى ربّنا أن يبدلنا خيراً منها إنّا إلى ربّنا راغبون».

وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل : « اللّهمّ لايأتي بالحسنات إلّا أنت لاحول ولا قوّة إلّا بالله » .

و إذا اشتريت متاعاً فكبّر ثلاثاً فقل : « اللّهمّ إنّي اشتريته ألتمس فيه خيرك فاجعل فيه خيراً ، اللّهمّ إنّي اشتريته ألتمس فيه رزقك فاجعل لي فيه رزقاً » .

وإذا اشتريت دابّة أو مملوكاً فخذ بناصيته أو ذروة سنام البعير وقل : « اللّهمّ إنّي أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرّها و شرّ ما جبلتها عليه » وتزيد في المملوك « اللّهمّ بارك فيه واجعله طويل العمر كثير الرّزق » .

و إذا قضيت الدّين فقل للمقضيّ له : « بارك الله في أهلك و مالك » .

وإذا هنّئت بالنكاح فقل : « بارك الله فيك و بارك الله عليك و جمع بينكما في خير» .

و يأتي سائر أدعية النكاح وآدابها في كتابه .

وإذا بنيت بيتاً فقل : « اللّهمّ ادحر عنّي وعن أهلي وولدي مردة الجنّ والشياطين و بارك فيه بنزولي » .

و إذا زرعت زرعاً فخذ قبضة من البذر بيدك واستقبل القبلة و قل : « أفرأيتم ما

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٤١ تحت رقم ٢ .

تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون » ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قل : « لا بل الله الزارع لا فلان ، وسمّ باسمك ثمّ قل : « اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد واجعله حرثاً مباركاً وارزقنا فيه السّلامة والعافية والسرور والغبطة والتمام واجعله حبّاً متراكباً ولا تحرمني خير ما أبتغي ولا تفتنّي بما منعتني بحقّ محمّد و آله الطيّبين » ثمّ ابذر القبضة .

و إذا نظرت إلى السماء فقل : « ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ، تبارك الّذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » .

و إذا رأيت الهلال فكبّر الله ثلاثاً و قل : « اللّهمّ أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية المجلّلة والرزق الواسع و دفع الأسقام » .

و إذا هبّت الريح فقل : « اللّهمّ إنّي أسألك خير ما هاجت الرّياح وخير ما فيها و أعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها ، اللّهمّ اجعلها علينا رحمة وعلى الكافرين عذاباً وصلّى الله على محمّد وآله » وأكثر من التكبير .

و إذا سمعت صوت الرّعد فقل : « سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » .

و إذا رأيت الصواعق فقل : « اللّهمّ لاتقتلنا بغضبك ، ولاتهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » .

فإذا أمطرت السماء فقل : « اللّهمّ سيباً هنيئاً وصيّباً نافعاً (١) ، اللّهمّ اجعله سبب رحمتك ولا تجعله سبب عذابك » .

و إذا أصابتك مصيبة فقل : « إنّا لله و إنّا إليه راجعون ، اللّهمّ أجرني على مصيبتي و اخلف لي خيراً منها » .

و إذا بلغك وفات أحد فقل : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون ، اللّهمّ اكتبه في المحسنين و اجعل كتابه في علّيّين واخلفه على عقبه في الغابرين ، اللّهمّ لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده » .

وإذا سمعت صوت الدّيك فقل : « سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح سبقت رحمتك غضبك لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءاً و ظلمت نفسي فاغفرلي إنّه لايغفر

(١) السيب ـ بالفتح ـ : المطر الجارى ، والصيب : السحاب ذو المطر .

الذّنوب إلّا أنت » و روي لصوت الديك السؤال من فضل الله و لنباح الكلب و نهيق الحمار التعوّذ من الشيطان(١) .

و إذا لقيت سبعاً فقل : « أعوذ بربّ دانيال و الجبّ من شرّ كلّ أسد مستأسد » .

و إذا غضبت فتعوّذ بالله من الشيطان وصلّ على محمّد وآله و قل : « و يذهب غيظ قلوبهم ، اللّهمّ اغفرلي ذنبي و أذهب غيظ قلبي و أجرني من الشيطان الرّجيم ولاحول ، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

و إذا قهقهت فقل : « اللّهمّ لاتمقتني » .

و إذا عطست فقل : « الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآل محمّد » .

و إذا نسيت شيئاً فضع يدك على جبهتك وصلّ على محمّد و آله وقل : « اللّهمّ إنّي أسألك يا مذكّر الخير والآمر به ذكّرني ما أنسانيه الشيطان » .

و إذا ضلّ عنك شيء فقل : « يا من لايخفى عليه مكتوم ، ولايشذّ عنه معلوم ، ولا يغالبه منيع ، ولا يطاوله رفيع اردد بقدرتك عليّ ما في قبضتك إنّك أهل الخيرات » .

و إذا أصابك مرض فقل : « اللّهمّ اشفني بشفائك ، و داوني بدوائك ، وعافني من بلائك فإنّي عبدك وابن عبدك » وقل : « وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين» وامسح على العلّة .

و إذا أصابك كربٌ فقل : « و أفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد » .

و إن أصابك غمّ أو حزن فقل : « لاإله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» وقل : « يا من يكفي من كلّ شيء ولا يكفي منه شيء اكفني ما أهمّني . « وشكا رجل إلى الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ الغمّ فقال : أكثر من أن تقول « الله الله ربّي لا اُشرك به شيئاً » (٢) .

قال : « فإذا خفت وسوسةً أو حديث نفس فقل : « اللّهمّ إنّي عبدك وابن عبدك و ابن أمتك ناصيتي بيدك ، عدلٌ فيّ حكمك ماض فيّ قضاؤك ، اللّهمّ إنّي أسألك بكلّ اسم هولك أنزلته في كتابك أو أعطيته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب

---

(١) راجع صحيح مسلم ج٨ ص٨٥ ، ومجمع الزوائد ج١٠ ص ١٤٣ رواه عن الطبراني .
(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٦١ تحت رقم ١٦ .

عندك أن تصلّي على محمّد و آل محمّد و أن تجعل القرآن نور بصري و ربيع قلبي و جلاء حزني و ذهاب همّي ، الله الله ربّي لا أُشرك به شيئاً » .

قال أبوحامد بعد ذكر هذا الدّعاء للهمّ بأدنى تفاوت في اللّفظ : « قال صلى الله عليه و آله و سلم : « ماأصاب أحداً حزنٌ فقال ذلك إلّا أذهب الله همّه وأبدل مكانه فرجاً فقيل : يا رسول الله أفلا نتعلّمها ؟ فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلّمها » (١) .

قال : « و إذا وجدت وجعاً في جسدك أو جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم روي أنّه إذا اشتكى الإنسان قرحاً أو جرحاً وضع سبّابته على الأرض ثمّ رفعها و بلّها بريقه و قال : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي بهاسقيمنا بإذن ربّنا » (٢) .

وإذاوجدت وجعاً في جسدك فضع يدك على الّذي تألّم من جسدك وقل : « بسم الله » - ثلاثاً - و قل سبع مرّات : « أعوذ بالله وقدرته من شرّ ما أجد وأُحاذر » .

وإذا ابتدأت أمراً فقل : « ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّىء لنا من أمرنا رشداً ، ربّ اشرح لي صدري ويسّرلي أمري » .

وإذا رأيت استجابة دعائك فقل : « الحمد لله الّذي بعزّته وجلاله تتمّ الصالحات» و إن أبطأت فقل : « الحمد لله على كلّ حال » .

وإذا سمعت أذان المغرب فقل : « اللّهمّ هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك ، وحضور صلواتك أسألك أن تغفرلي » .

أقول : وإذا أردت النوم فقل : « بسم الله اللّهمّ إنّي أسلمت نفسي إليك ، ووجّهت وجهي إليك ، وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك توكّلت عليك رهبة منك ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجامنك إلّا إليك ، آمنت بكتابك الّذي أنزلت و رسولك الّذي أرسلت » ثمّ سبّح تسبيح الزّهراء عليها السلام كذا عن الباقر عليه السلام (٣) .

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم واحمد من حديث عبدالله بن مسعود كمافى المغنى ، ورواه أيضاً رزين كمافى مشكاة المصابيح ص ٢١٦ .

(٢) أخرجه البخارى ج ٧ ص ١٧٢ ومسلم ج ٧ ص ١٧ .

(٣) الفقيه ص ١٢٣ باب مايقول الرجل اذا أوى الى فراشه .

و عن الصادق عليه السلام «من قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرّات : «الحمد لله الّذي علا فقهر ، و الحمد لله الّذي بطن فخبر ، والحمد لله الّذي ملك فقدر ، و الحمد لله الّذي يحيي الموتى ، و يميت الأحياء وهو على كلّ شيء قدير» خرج من الذّنوب كهيئته يوم ولدته اُمّه»[1].

و إذا فزعت في النوم فقل : «أعوذ بكلمات الله[2] من غضبه ومن عقابه ومن شرّ عباده و من همزات الشياطين و أن يحضرون» عشر مرّات .

و إذا استيقظت من نومك فقل : «الحمد لله الّذي أحياني بعد ما أماتني و إليه النشور» و قل : «الحمدلله الّذي ردّعليّ روحي لأحمده وأعبده» وقل : «الحمد لله الّذي بعثني من مرقدي هذا ولوشاء لجعله إلى يوم القيامة ، الحمدلله الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّرأو أراد شكوراً ، الحمدلله الّذيجعل اللّيل لباساً ، والنوم سباتاً، وجعل النهار نشوراً ، لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، الحمد لله الّذي لا يخبو منه النجوم ولا يكنُّ منه النشور ، ولا يخفى عليه ما في الصدور» .

فإذا جلست بعده فقل : «حسبي الرّبّ من العباد ، حسبي الّذي هو حسبي منذ كنت ، حسبي الله ونعم الوكيل» .

فإذا قمت فقل : «اللّهمّ أعنّي على هول المطّلع ، و وسّع عليّ المضجع وارزقني خير ماقبلالموت وارزقني خيرمابعد الموت» كانالصادق عليه السلام يرفع صوته بها حتّىيسمع أهل الدّار»[3].

قال أبوحامد : «فهذه أدعية لايستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السّفروالوضوء والصلاة ذكرناه في كتاب الحجّ والطهارة والصلاة» .

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٣٥ تحت رقم ١ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٤٨ عن عمروبن شعيب وفيه «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبهالخ» .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٥٣٨ تحت رقم ١٣ .

فصل

قال : « فإن قلت : فما فائدة الدّعاء والقضاء لامردّ له ؟ فاعلم أنّ من القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، والدّعاء سبب لردّ البلاء و استجلاب الرّحمة كما أنّ التّرس سبب لردّ السّهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، و كما أنّ التّرس يدفع السّهم فيتدافعان فكذلك الدّعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله أن لايحمل السلاح وقدقال الله تعالى : « خذوا حذركم » [(١)] وأن لايسقى الأرض بعد بثّ البذر فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت ، بل ربط الأسباب بالمسبّبات هو القضاء الأوّل الّذي هو كلمح البصر ، وترتّب تفصيل المسبّبات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدَر ، الّذي قدّر الخير قدّره بسبب والّذي قدّر الشرّ قدّر لدفعه سبباً فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ، ثمّ في الدّعاء من الفائدة ماذكرناه في الذكر فإنّه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ، ولذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : « الدّعاء مخّ العبادة » [(٢)] والغالب على الخلق أنّه لاينصرف قلوبهم إلى ذكر الله إلّا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمّة ، فالإنسان إذا مسّه الشرّ فذو دعاء عريض ، فالحاجة تحوج إلى الدّعاء والدّعاء يردّ القلب إلى الله بالتضرّع والاستكانة فيحصل به الذّكر الّذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكّلاً بالأنبياء ، ثمّ الأولياء ، ثمّ الأمثل فالأمثل لأنّه يردّ القلب بالافتقار والتضرّع إلى الله ويمنع من نسيانه وأمّا الغناء فسبب البطر في غالب الأمر فإنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى .

فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدّعوات والله الموفّق للخير وأمّا بقيّة الدّعوات في الأكل والشرب والسفر وعيادة المرضى فستأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى» .

هذا آخر كتاب الأذكار والدّعوات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب ترتيب الأوراد و تفصيل إحياء اللّيل ، و الحمد لله أوّلاً و آخراً وظاهراً وباطناً .

---

(١) النساء : ٧٠ .

(٢) مر عن الترمذي رواه في الجامع الصحيح ج ١٢ ص ٢٦٦ .

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً ، ونذكره ذكراً لايغادر في القلب استكباراً ولا نفوراً ، ونشكره إذ جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً ، ونصلّي على نبيّه الّذي بعثه بالحقّ بشيراً ونذيراً ، وعلى آله المعصومين الّذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوة وعشيّاً وبكرة وأصيلاً حتّى أصبح كلٌّ واحد منهم نجماً في الدّين هادياً وسراجاً منيراً .

أمّا بعد فإنّ الله تعالى جعل الأرض ذلولاً لعباده لاليستقرّوا في مناكبها بل ليتّخذوها منزلاً فيتزوّدون منها ، محترزين من مصائدها ومعاطبها ، و يتحقّقون أنّ العمر يسير بهم سير السفينة براكبها ، والناس في هذا العالم سفر وأوّل منازلهم المهد وآخرها اللّحد ، والوطن هو الجنّة أوالنّار ، والعمر مسافة السفر ، فسنوه مراحله ، و شهوره فراسخه ، و أيّامه أمياله ، و أنفاسه خطواته ، و طاعته بضاعته ، و أوقاته رؤوس أمواله ، وشهواته و أغراضه قطّاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله في دارالسّلام مع الملك الكريم والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله مع الأنكال والأغلال و العذاب الأليم في دركات الجحيم ، فالغافل عن نفس من أنفاسه حتّى ينقضي في غير طاعة تقرّبه إلى الله زلفى متعرّض في يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل تشمّر الموفّقون عن ساق الجدّ ، وودّعوا بالكلّيّة ملاذّ النفس ، واغتنموا بقايا العمر ، ورتّبوا بحسب تكرّر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على إحياء اللّيل والنهار في طلب القرب من الملك الجبّار و السعي إلى دار القرار فصار من مهمّات علم طريق الآخرة تفصيل

القول في كيفيّة قسمة الأوراد وتوزيع العبادات الّتي سبق شرحها على مقادير الأوقات، ويتّضح هذا المهمّ بذكر بابين: الباب الأوّل في فضيلة الأوراد و ترتيبها في اللّيل والنهار الباب الثاني في كيفيّة إحياء اللّيل و فضيلته و مايتعلّق به.

الباب الاول

(في فضيلة الاوراد و ترتيبها و أحكامها)

(فضيلة الأوراد وبيان أنّ المواظبة عليها هو الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أنّ الناظرين بنور البصيرة علموا أن لا نجاة إلّا بلقاء الله تعالى وأنّه لاسبيل إلى اللّقاء إلّا بأن يموت العبد محبّاً لله و عارفاً بالله و أنّ المحبّة و الاُنس لا يحصل إلّا من دوام ذكر المحبوب و المواظبة عليه و أنّ المعرفة لا تحصل إلّا بدوام الفكر فيه و في صفاته و في أفعاله و ليس في الوجود سوى الله و أفعاله ولن يتيسّر دوام الذكر والفكر إلّا بوداع الدّنيا و شهواتها و الاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة، و كلّ ذلك لايتمّ إلّا باستغراق أوقات اللّيل و النّهار في وظائف الأذكار و الأفكار، و النفس لما جُبلت عليه من السأمة و الملال لا تصبر على فنّ واحد من الأسباب المعيّنة على الذكر و الفكر بل إذا ردّت إلى نمط واحد أظهرت الملال و الاستثقال، و إنّ الله لايملّ حتّى تملّوا فمن ضرورة اللّطف بها أن تروّح بالتنقّل من فنّ إلى فنّ، ونوع إلى نوع بحسب كلّ وقت لتغزر بالانتقال لذّتها، و تعظم باللّذة رغبتها، وتدوم بدوام الرّغبة مواظبتها، فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة، والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإنّ النفس بطبعها مائلة إلى ملاذّ الدّنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدّنيا و شهواتها المباحة مثلاً والشطر الآخر إلى العبادات رجّح جانب الميل إلى الدّنيا لموافقتها للطبع إذ يكون الوقت متساوياً فأنّى يتقاومان؟ والطبع لأحدهما مرجّح إذ الظاهر والباطن يساعد على اُمور الدّنيا و يصفو في طلبها القلب و يتجرّد، و أمّا الردّ إلى العبادات فمتكلّف ولا يسلم إخلاص القلب، و حضوره إلّا في بعض الأوقات

فمن أراد أن يدخل الجنّة بغيرحساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن يترجّح كفّة حسناته و يثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته ، فإن خلط عملاً صالحاً وآخرسيّئاً فأمره مخطر ولكن الرّجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفرله بجوده و كرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ، فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله سبحانه لرسوله ﷺ و اقتبسه بنور الإيمان فقد قال تعالى لأقرب عباده إليه و أرفعهم درجة لديه : « إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً * و اذكر اسم ربّك و تبتّل إليه تبتيلاً »[١].

و قال تعالى : « واذكر اسم ربّك بكرة و أصيلاً * ومن اللّيل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً »[٢].

و قال عزّوجلّ : « وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن اللّيل فسبّحه و أدبار السجود »[٣] ، « و سبّح بحمد ربّك حين تقوم * و من اللّيل فسبّحه و إدبار النجوم »[٤].

و قال تعالى : « إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأً وأقوم قيلاً »[٥].

و قال تعالى : « و من آناء اللّيل فسبّح و أطراف النهار لعلّك ترضى »[٦].

و قال تعالى : « وأقم الصلوة طرفي النهار و زلفاً من اللّيل إنّ الحسنات يذهبن السيّئات »[٧].

ثمّ انظر كيف وصف الفائزين من عباده و بماذا وصفهم ؟.

فقال تعالى : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداًوقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه * قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون »[٨].

و قال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً »[٩].

(١) المزمل : ٧ و٨ .
(٢) الانسان : ٢٥ و ٢٦ .
(٣) ق : ٣٩ و٤٠ .
(٤) الطور : ٤٨ و ٤٩ .
(٥) المزمل : ٦ .
(٦) طه : ١٣٠ .
(٧) هود : ١١٤ .
(٨) الزمر : ٩ .
(٩) السجدة : ١٦ .

و قال تعالى : « و الّذين يبيتون لربّهم سجّداً و قياماً »[(١)].

وقال تعالى : «كانوا قليلاً من اللّيل مايهجعون * وبالأسحارهم يستغفرون »[(٢)].

وقال تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السماوات والأرض وعشيّاً و حين تظهرون »[(٣)] أي فسبّحوا الله حين تمسون وحين تصبحون.

وقال تعالى : « ولاتطرد الّذين يدعون ربّهم بالغدوة والعشيّ يريدون وجهه »[(٤)].

فهذا كلّه يبيّن لك أنّ الطريق إلى الله مراقبة الأوقات و عمارتها بالأوراد على سبيل الدّوام و لذلك قال ﷺ : « أحبّ عبادالله إلى الله الّذين يراعون الشمس والقمر والأظلّة لذكر الله »[(٥)] و قد قال تعالى : « والشمس والقمر بحسبان »[(٦)].

و قال تعالى : « ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظل ولوشاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً * ثمّ قبضناه إلينا قبضاً يسيراً »[(٧)].

و قال تعالى : « و القمر قدّرناه منازل »[(٨)].

وقال تعالى : « وهو الّذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها »[(٩)].

فلا تظنّنّ أنّ المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتّب ومن خلق الظّل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدّنيا بل لتعرّف الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدّار الآخرة يدلّك عليه قوله تعالى : « وهو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أوأراد شكوراً »[(١٠)] أي يخلف أحدهما الآخر لتتدارك في أحدهما مافات في الآخر ، وبيّن أنّ ذلك للذكر والشكر لا لغيره.

و قال تعالى : « وجعلنا اللّيل والنهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار

---

(١) الفرقان : ٦٤. (٢) الذاريات : ١٧ و١٨.

(٣) الروم : ١٧ و١٨. (٤) الانعام : ٥٢.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ ص ٥١ من حديث ابن أبى أوفى بلفظ «ان خيار عبادالله الى الله عزوجل الذين . . » .

(٦) الرحمن : ٥. (٧) الفرقان : ٤٥ و٤٦.

(٨) يس : ٣٩. (٩) الانعام : ٩٧.

(١٠) الفرقان : ٦٢.

مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم »(١) وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة .

﴿ بيان أعداد الاوراد وترتيبها ﴾

اعلم أنّ أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس وردٌ ، و ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، و ما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى الغروب وردان ، و الليل يقسم بأوراد أربعة : و ردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، و وردان في النصف الأخير من الليل إلى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كلّ ورد وفضيلته و مايتعلّق به .

فالوردالأول مابين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ، و يدلّ على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال : « والصبح إذا تنفّس »(٢) و تمدحه به إذ قال : « فالق الإصباح »(٣) و قال : « قل أعوذ برب الفلق »(٤) وإظهاره القدرة بقبض الظلّ فيه إذ قال : « ثمّ قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » و هو وقت قبض ظلّ الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » وبقوله : « فسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس » و قوله : « و من آناء الليل فسبّح و أطراف النهار » و قوله : « واذكر اسم ربّك بكرة و أصيلاً » .

﴿ وأما ترتيبه ﴾

فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله فيقول : « الحمد لله الّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » إلى آخر ما ذكر في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدّعوات و يلبس ثوبه و هو في الدّعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله و استعانة على عبادة الله من غير قصد رياء ولا رعونة ، ثمّ يتوجّه إلى بيت الماء إن كان به حاجة و يدخل أوّلاً رجله اليسرى ويدعو بالأدعية الّتي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدّخول والخروج ، ثمّ يستاك على السنّة كما سبق و يتوضّأ راعياً لجميع السنّة

(١) الاسراء : ١٢ .
(٢) التكوير : ١٨ .
(٣) الانعام : ٩٦ .
(٤) الفلق : ٢ .

و الأدعية الّتي ذكرناها في الطهارة فإنّا إنّما قدّمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلّى ركعتي الصبح أعني السنّة في منزله، كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يتوجّه إلى المسجد داعياً بدعاء الخروج إليه وعليه السكينة و الوقار، فيدخل المسجد مقدّماً لرجله اليمنى داعياً بدعاء الدّخول فيه، ثمّ يطلب الصفّ الأوّل إن وجد متّسعاً ولا يتخطّى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق في باب الجمعة، ثم إن لم يكن صلّى ركعتي الفجر في منزله صلاّهما وإلاّ صلّى ركعتين للتحيّة، و جلس مشتغلاً بالذكر إلى أن يقام الصلاة، و الأحبّ التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وآله يغلّس بالصبح (١) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامّة و في الصبح و العشاء خاصّة فإنّ لها فيهما زيادة فضل وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر، ثمّ يصلّي الفريضة مراعياً جميع ماذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة ثمّ يقعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتّبه فقد قال صلى الله عليه وآله: «لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحبّ إليّ من أن أعتق أربع رقاب» (٢) و «كان صلى الله عليه وآله إذا صلّى الغداة قعد في مصلاه حتّى تطلع الشمس» (٣) و روي أنّه صلى الله عليه وآله كان فيما يذكر من رحمة ربّه يقول: «إنّه قال: يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة و من بعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» (٤) فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلّم إلى طلوع الشمس، بل ينبغي أن يكون وظيفته أربعة أنواع أدعية و أذكار يكرّرها في سبحة و قراءة قرآن وتفكّر».

أقول: و لنذكر الثلاثة الاُول من طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول: فإذا فرغ من الصلاة فليبدء بثلاث تكبيرات رافعاً بها كفّيه حيال وجهه، مستقبلاً بظهرهما وجهه و ببطنهما القبلة وهذه التكبيرات أوّل التعقيب، ثمّ يقول: «لا إله إلّا الله إلهاً واحداً و نحن له مسلمون، لا إله إلّا الله لانعبد إلّا إيّاه مخلصين له الدين ولو كره المشركون،

(١) تغليسه صلى الله عليه وآله متفق عليه، راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ والغلس: ظلمة آخر الليل. (٢) أخرجه أبوداود ج ٢ ص ٢٩٠ فى حديث.

(٣) أخرجه مسلم ج ٢ ص ١٣٢.

(٤) أخرجه ابن المبارك فى الزهد كمافى المغنى.

لا إله إلّا الله ربّنا و ربّ آبائنا الأوّلين ، لا إله إلّا الله وحده وحده ، أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده ، فله الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير ، أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم وأتوب إليه ، اللّهمّ اهدني من عندك وأفض عليّ من فضلك وانشر عليّ من رحمتك ، وأنزل عليّ من بركاتك ، سبحانك لا إله إلّا أنت ، اغفرلي ذنوبي كلّها فإنّه لا يغفر الذنوب كلّها جميعاً إلّا أنت ، اللّهمّ إنّي أسألك من كلّ خير أحاط به علمك و أعوذ بك من كلّ شرّ أحاط به علمك ، اللّهمّ إنّي أسألك عافيتك في اُموري كلّها وأعوذ بك من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة ومن أهوال يوم القيامة ، و أعوذ بوجهك الكريم ، و سلطانك القديم ، و عزّتك الّتي لا ترام ، وقدرتك الّتي لا يمتنع منها شيء من شرّ الدّنيا والآخرة ومن شرّ الأوجاع كلّها ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم توكّلت على الحيّ الّذي لا يموت و الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً » .

ثمّ يسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام و هو أفضل أذكار التعقيب ففي التهذيب عن الصادق عليه السلام « من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر له ويبدء بالتكبير »(١).

« وفيه عنه عليه السلام « أنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه فإنّه ما يلزمه عبدٌ فشقي »(٢).

و عنه عليه السلام « تسبيح فاطمة الزّهراء في دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم »(٣).

و عن الباقر عليه السلام « ما من عبد عبدالله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام و لو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام »(٤).

---

(١) المصدر ج ١ ص ١٦٤ ، و رواه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر ج١ ص ١٦٤ ، و في الكافي ج ٣ص ٣٤٣ ، و مجالس الصدوق ص ٣٤٥ وثواب الاعمال باب ثواب التسبيح .

(٣) الكافي ج ٣ ص٣٤٣ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٤ ، وثواب الاعمال باب ثواب التسبيح .

(٤) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣ ، والتهذيب ج ١ص ١٦٤ .

ثمّ يقول عشر مرّات ـ وهو ممّا يختص بتعقيب الصبح ـ : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، ويميت ويحيي ، بيده الخير وهوعلى كلّ شيء قدير » .

و عشر مرّات ـ و هو ممّا يختصّ به ـ « سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

و مائة مرّة « ماشاء الله كان ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

و مائة مرّة « أستغفرالله ربّي و أتوب إليه » .

و مائة مرّة « أستجير بالله من النّار و أسأله الجنّة » .

و مائة مرّة « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وعجّل فرجهم » .

و عشر مرّات « أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً ، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً » .

وثلاثين مرّة « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر » و ينبغي أن يعدّ الأذكار و التسبيحات بسبحة من التّربة الحسينيّة على صاحبها السلام ، ففي التهذيب بسند صحيح عن صاحب الأمر عليه السلام « أنّها أفضل شيء يسبّح به و أنّ المسبّح بها ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح »[١] .

ثمّ يقول ـ وهو أيضاً ممّا يختصّ بتعقيب الصبح ـ : « يا مقلّب القلوب و الأبصار صلّ على محمّد وآله وثبّت قلبي على دينك ودين نبيّك صلّى الله عليه وآله ولاتزغ قلبي بعد إذهديتني وهب لي من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحويل عافيتك ، و من فجأة نقمتك ، ومن درك الشقاء ، و من شرّ ما سبق في الكتاب ، اللّهمّ إنّي أسألك بعزّة ملكك و عظيم سلطانك ، و بشدّة قوّتك على جميع خلقك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تفعل بي كذا و كذا » .

ثمّ يقول : « أعيذ نفسي و أهلي ومالي وولدي وإخواني وما رزقني ربّي و جميع من يعنيني أمره بالله الواحد الأحد الصمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً

(١) المصدر ج ٢ ص٢٧ في حديث كتاب المزار .

أحد ، و برب الفلق من شر ما خلق - إلى آخرها - و برب الناس ملك الناس - إلى آخرها - » .

ثم يقرء الفاتحة و آية الكرسي إلى « هم فيها خالدون » و آية شهدالله ، و آية الملك ، وآية السخرة وآخر الكهف من « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي » وأول الصافات إلى « شهاب ثاقب » و الثلاث آيات من آخرها ، و ثلاث آيات من الرحمن يا معشر الجن و الانس - إلى - فلا تنتصران » وأربع آيات من آخر الحشر « لوأنزلنا هذا القرآن » ثم يقرء سورة التوحيد اثنتي عشرة مرة .

ثم يقول وهو باسط يديه : « اللّهمّ إنّي أسألك باسمك المكنون المخزون الطهر الطاهر المبارك وأسألك باسمك العظيم و سلطانك القديم يا واهب العطايا يا مطلق الأسارى يا فكاك الرقاب من النار أسألك أن تصلّي على محمد وآل محمد ، وأن تعتق رقبتي من النار وأن تخرجني من الدنيا آمناً وتدخلني الجنة سالماً ، وأن تجعل دعائي أوله فلاحاً و أوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً إنك أنت علام الغيوب » ، ثم يقول : « اللّهمّ إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك و حملة عرشك و سكان سماواتك و أرضك و أنبياءك و رسلك والصالحين من عبادك و جميع خلقك فاشهد لي و كفى بك شهيداً أني أشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك و أن محمداً صلى الله عليه وآله عبدك و رسولك ، و أن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحل ما عدا وجهك الكريم فإنه أعز وأكرم وأجل وأعظم من أن يصف الواصفون كنه جلاله ، أو تهتدي القلوب إلى كنه عظمته ، يامن فاق مدح المادحين فخر مدحه ، وعدا وصف الواصفين مآثر حمده ، و جل عن مقالة الناطقين تعظيم شأنه صل على محمد وآل محمد وافعل بنا ما أنت أهله يا أهل التقوى وأهل المغفرة » .

ثم يقول :

« سبحان الله كلما سبح الله شيء و كما يحب الله أن يسبح و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عز جلاله ، والحمدلله كلما حمدالله شيء و كما يحب الله أن يحمد و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه و عز جلاله .

ولا إله إلا الله كلما هلل الله شيء و كما يحب الله أن يهلل و كما هو أهله

و كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، والله أكبر كلّما كبّر الله شيء و كما يحبّ الله أن يكبّر و كما هو أهله و كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله ، سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله والله أكبر على كلّ نعمة أنعم بها عليّ و على كلّ أحد من خلقه ممّن كان أو يكون إلى يوم القيامة ، اللّهمّ إنّي أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد و أسألك خيرما أرجو وخير ما لا أرجو و أعوذبك من شرّ ما أحذر و من شرّ ما لا أحذر ».

ثمّ يقول ـ و هو ممّا يدعا به في المساء أيضاً ـ : « بسم الله خير الأسماء ، بسم الله ربّ الأرض والسماء ، بسم الله الّذي لا يضرّ مع اسمه سمّ ولاداء ، بسم‌الله أصبحت و على الله توكّلت ، بسم الله على قلبي و نفسي ، بسم الله على ديني وعقلي ، بسم الله على أهلي و مالي ، بسم الله على عطاء ربّي ، بسم‌الله الّذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، الله الله ربّي حقّاً لا اُشرك به شيئاً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أعزّ وأجلّ ممّا أخاف و أحذر ، عزّ جارك و جلّ ثناؤك و تقدّست أسماؤك ، و لا إله غيرك ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي ومن شرّ كلّ سلطان شديد ، و من شرّ كلّ شيطان مريد و من شرّ كلّ جبّار عنيد ، ومن شرّ قضاء السوء و من شرّ كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها إنّك على صراط مستقيم ، وأنت على كلّ شيء حفيظ ، إنّ وليّي الله الّذي نزّل الكتاب و هو يتولّى الصالحين ، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت و هو ربّ العرش العظيم ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين ».

ثمّ يقول ـ وهو ممّا يدعا به في المساء أيضاً ـ : « أصبحت اللّهمّ معتصماً بذمامك المنيع الّذي لا يحاول ولا يطاول من شرّ كلّ غاشم وطارق من سائر ما خلقت من خلقك الصامت و الناطق في جنّة من كلّ مخوف بلباس سابغة ، ولاء أهل بيت نبيّك محمّد صلواتك عليه و عليهم محتجباً من كلّ قاصد لي بأذيّة بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقّهم والتمسّك بحبلهم موقناً بأنّ الحقّ معهم و فيهم وبهم ، اُوالي من والوا واُجانب من جانبوا فصلّ على محمّد وآل محمّد وأعذني اللّهمّ بهم من شرّ ما أتّقيه ، يا عظيم حجزت الأعادي عنّي ببديع السماوات والأرض وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم

سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ».

ثمّ يأتي بأدعية الصباح الّتي أوردناها في الباب الثالث من كتاب الأذكار والدّعوات وغير ذلك من الأدعية المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام ماقدر عليه و يراه أوفق لحاله و أرقّ لقلبه وأخفّ على لسانه فإنّها كثيرة جدّاً »(١).

و ما ذكرناه ههنا من التعقيب أخذناه من روايات عديدة وليس مجتمعاً في رواية فله أن يقتصر على البعض إذا لم يتّسع وقته للكلّ، وإذا وجد من نفسه كلالاً فليقطعه ولا يكلّفها إكماله من دون ميلها إليه وإقبالها عليه فإنّ التوجّه والإقبال روحُ العبادة و الدّعاء.

و يستحبُّ أن يجلس في مصلّاه بعد الفراغ من صلاة الصبح و إن لم يكن مشتغلاً بالتعقيب فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: « من صلّى فجلس في مصلّاه إلى طلوع الشمس كان له ستراً من النّار »(٢).

فصل

قال أبوحامد بعد ذكر الأدعية على طريقته: « وأمّا الأذكار المكرّرة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطوّل بإيرادها وأقلّ ماينبغي أن يكرّر كلُّ واحد منها ثلاثاً أو سبعاً و أكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشرة فليكرّره بقدر فراغه وسعة وقته و فضل الأكثر أكثر، والأوسط الأقصد أن يكرّرها عشر مرّات فهو أجدر بأن يدومَ عليه و خير الأمور أدومها وإن قلّ، و كلُّ وظيفة لايمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشدّ تأثيراً في القلب من كثيرها و مثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فيحدث فيه حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرّق ماء

(١) راجع اوائل مصباح المتهجد الى ابواب التعقيبات، واقبال الاعمال، وبلدالامين أيضاً و كتاب وسائل الشيعة أبواب التعقيب، والكافي ج ٢ ص ٣٤١، والتهذيب ج ١ ص ١٦٣ الى ١٦٧، ومستدرك الوسائل ج١ ص ٣٣٦ الى ص ٤٠٢.
(٢) التهذيب ج ١ ص ١٦٤ و٢٧٧.

يصبّ دفعة أو دفعات متفرّقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر» ثمّ ذكر عشر كلمات أكثرها قريب ممّا ذكرناه بعد تسبيح الزهراء عليها السلام من الأذكار ثمّ قال: «فهذه العشر كلمات إذا كرّر كلّ واحدة عشر مرّات حصل له مائة مرّة فهو أفضل من أن يكرّر ذكراً واحداً مائة مرّة لأنّ لكلّ واحدة من هذه الكلمات فضلاً على حياله وللقلب بكلّ واحد نوع تنبّه و تلذّذ، وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملال» ثمّ ذكر القراءة على طريقته قريباً ممّا ذكرناه من الآيات.

ثمّ قال: «وأمّا الافكار فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكّر فيه و كيفيّته في كتاب التفكّر من ربع المنجيات و لكن مجامعه ترجع إلى فنّين أحدهما أن يتفكّر فيما ينفعه في المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتّب وظائف يومه الّذي بين يديه ويدبّر في دفع الصوارف و العوائق الشاغلة له عن الخير و يتذكّر تقصيره و ما يتفرّق بسببه همّه من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيّات الصّالحة في أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين.

والفنّ الثاني ما ينفعه في علم المكاشفة و ذلك بأن يتفكّر مرّة في نعم الله سبحانه و تواتر آلائه الظاهرة و الباطنة ليزيد معرفته بها و يكثر شكره عليها أو في عقوباته و نقماته لتزيد معرفته بقدرة الله تعالى و استغنائه و يزيد خوفه منها، ولكلّ واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتّسع التفكّر فيها على بعض الخلق دون بعض، و إنّما يستقصى ذلك في كتاب التفكّر و مهما تيسّر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى و زيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف و الثاني زيادة المحبّة إذ لا يحبّ القلب إلّا من اعتقد تعظيمه و لا ينكشف عظمة الله تعالى و جلاله إلّا بمعرفة صفاته و معرفة قدرته و عجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة و من المعرفة التعظيم و من التعظيم المحبّة، و الذكر أيضاً يورث الأنس و هو نوع من المحبّة و لكنّ المحبّة الّتي سببها المعرفة أقوى و أثبت و أعظم، و نسبة محبّة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين و اطّلع على حسن أخلاقه و أفعاله و فضائله و خصاله الحميدة بالتجربة إلى

أُنس من كرّر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخَلق و الخُلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبّته كمحبّة المشاهد و ليس الخبر كالمعاينة ، والعبّاد المواظبون على ذكر الله تعالى بالقلب واللّسان الّذين صدقوا بما جاءت به الرّسل عليهم الصلاة والسلام بالإيمان التقليديّ ليس معهم من صفات الله تعالى إلّا أُمور جمليّة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم ، و العارفون هم الّذين شاهدوا ذلك الجمال و الجلال بعين البصيرة الباطنة الّتي هي أقوى من البصر الظاهر لأنّ أحداً أحاط بكنه جلاله و جماله فإنّ ذلك غير مقدور لأحد من الخلق و لكن كلّ واحد شاهد بمقدار ما رفع له من الحجاب ، و لا نهاية لجمال الحضرة الرّبوبيّة و لا لحجبها و إنّما عدد حجبها الّتي استحقّ أن تسمّى نوراً و كاد أن يظنّ الواصل إليه أنّه قدتمّ وصوله إلى الأصل سبعون حجاباً قال ﷺ : « إنّ لله تعالى سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلّ من أدرك بصره » (١) و تلك الحجب أيضاً مترتّبة و تلك الأنوار متفاوتة في الرّتب تفاوت الشمس والقمر والكوكب ، و يبدو في الأوّل أصغرها ثمّ مايليه و عليه أوّل بعض الصوفيّة درجات ماكان يظهر لإبراهيم عليه السلام في ترقّيه وقال: « فلمّا جنّ عليه اللّيل » أي أظلم عليه الأمر « رأى كوكباً » أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبّر عنه بالكوكب وما اُريد به هذه الأجسام المضيئة فإنّ آحاد العوام لايخفى عليهم أنّ الرّبوبيّة لاتليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لايضلل الخليل عليه السلام والحجب المسمّاة أنواراً ما اُريد به الضوء المحسوس بالبصر بل اُريد به ما اُريد بقوله تعالى «الله نور السموات والأرض - الآية - » ولنتجاوز هذه المعاني فإنّه خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلّا الكشف التابع للفكر الصافي ، و قلّ من يفتح له بابه و المتيسّر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة و ذلك أيضاً ممّا يغزر فائدته و يعظم نفعه .

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدّعاء ، و الذكر ، و القراءة ، والفكر ، ينبغي أن يكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كلّ ورد و بعد الفراغ من وظيفة الصلوات ،

(١) مر الخبر في المجلد الاول ص ٢٧١ .

فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع و يقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه و جنّته والصوم هو الجُنّة الّتي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الله وطريق الرشاد و ليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر ، وفرض الصبح إلى الطلوع ؛ كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و أصحابه يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار ، فهو الأولى إلّا أنّ يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلّا بالصلاة فلو صلّى لذلك فلا بأس به » .

أقول : وسنذكر أنّ تقديم ركعتي الفجر على طلوع الصبح أولى .

« **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضيّ ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة و هو الربع و في هذا الرّبع من النهار و ظيفتان زائدتان إحداهما صلاة الضّحى » .

أقول : صلاة الضحى بدعة عند أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم و كلّ بدعة ضلالة و كلّ ضلالة سبيلها إلى النار ، روى في الكافي بسند حسن عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام « أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : صلاة الضحى بدعة »(١) .

و عن سيف بن عميرة رفعه قال : « مرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة فغمز جنبه بالدرّة وقال : نحرت صلاة الأوّابين نحرك الله ، قال : فأتركها ؟ قال : فقال : « أرأيت الّذي ينهى * عبداً إذا صلّى »(٢) فقال أبو عبدالله عليه السلام : و كفى بإنكار عليّ عليه السلام نهياً »(٣) .

---

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٥٣ .

(٢) العلق : ٩ و ١٠ .

(٣) الدرة ـ بالكسر : السوط الذى يضرب به . وقوله : « نحرت صلاة الاوابين الخ » أى ضيعتها والمراد نافلة الزوال وتضييعها تقديمها عن وقتها كانه قتلها . وقوله : « فاتركها » بصيغة المتكلم والجملة استفهامية . و قوله : « فقال ـ الخ ـ » أى فقال أمير المؤمنين عليه السلام : صلاتك ليست بصلاة حتى لايجوز المنع عنها كما يفهم من الاية بل هى بدعة ، ويؤيده قول الصادق عليه السلام ونقله المخالفون بصورة محرفة وفسروه بما هو أشنع من تحريفهم راجع النهاية الاثيرية مادة « نحر » .

و في الفقيه عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « سألته عن صلاة الضحى فقال : أوّل من صلّاها قومك ، إنّهم كانوا من الغافلين فيصلّونها و لم يصلّها رسول الله صلى الله عليه وآله ، و قال : إنّ عليّاً عليه السلام مرّ على رجل و هو يصلّيها فقال عليّ عليه السلام : ما هذه الصلاة ؟ فقال : أدعها يا أميرالمؤمنين ؟ فقال عليّ عليه السلام : أكون أنهى عبداً إذا صلّى » (١).

و روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « ما صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الضحى قطّ ، قال : فقلت له : ألم تخبرني أنّه كان يصلّي في صدر النهار أربع ركعات ؟ قال : بلى إنّه كان يجعلها من الثمان الّتي بعدالظهر » (٢).

قال أبوحامد : « الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلّقة بالناس الّتي جرى بها العادات بكرة من عيادة مريض ، وتشييع جنازة ، و معاونة على برّ وتقوى ، و حضور مجلس علم ، وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها ، فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع الّتي قدّمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر أوالصلوات المتطوّع بها إن شاء فإنّها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست بمكروهة الآن فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده » .

أقول : و ممّا ينبغي أن يعمل في صدر النهار التصدّق بمهما تيسّر وإن كان حقيراً ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بكّروا بالصدقة فإنّ البلاء لا يتخطّاها » (٣).

و التمسّح بماء الورد ، فعنهم عليهم السلام « من مسح وجهه بماء الورد لم يصبه في ذلك اليوم بؤس ولا فقر » (٤).

ثمّ يتغدّى و يأتي بأدعيته و آدابه كما ذكرناه في محلّه .

« **الورد الثالث** من ضحوة النهار إلى الزّوال ، والوظيفة في هذا الوقت الأقسام

(١) و(٢) المصدر ص ١٤٩ باب نوادر الصلاة تحت رقم ٣و٤ .

(٣) المصدر ج ٤ ص ٦ تحت رقم ٥ .

(٤) رواه الطبرسي في المكارم ص ٤٧ مرسلا عن الفردوس .

الأربعة و يزيد أمران :

أحدهما الاشتغال بالكسب و تدبير المعاش و حضور السوق ، فإن كان تاجراً فينبغي أن يتّجر بصدق و أمانة ، و إن كان صاحب صناعة فبنصح و شفقة ، ولا ينسى ذكرالله تعالى في جميع أشغاله ، و يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكسب في كلّ يوم لوقته ، فإذا حصلت كفايته ليومه فليرجع إلى بيت ربّه وليتزوّد لآخرته ، فإنّ الحاجة إلى زاد الآخرة أشدّ والتمتّع به أدوم ، فالاشتغال بكسبه أهمّ من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل : لا يوجد المؤمن إلّا في ثلاث مواطن : مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لابدّ له منها ، وقلّ من يعرف القدر فيما لا بدّ منه بل أكثر الناس يقدّرون فيما عنه بدّ أنّه لابدّ لهم منه و ذلك لأنّ الشيطان يعدهم الفقر و يأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه و يجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه و فضلاً فيعرضون عنه ولايرغبون فيه .

و الأمر الثاني القيلولة و هي سنّة ليستعين بها على قيام اللّيل كما أنّ التسحّر سنّة ليستعين به على صيام النهار فإن كان لايقوم باللّيل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير ، و ربما خالط أهل الغفلة ويتحدّث معهم فالنوم أحبّ له إذا كان لاينبعث نشاطه للرّجوع إلى الأذكار و الوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت و السلامة ، وقد قال بعضهم : يأتي على النّاس زمان الصمت و النوم فيه أفضل أعمالهم ، و كم من عابد أحسن أعماله النوم و ذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق ، قيل : كان يعجبهم إذا تفرّغوا أن يناموا طلباً للسلامة ، فإذاً نومه على قصد طلب السلامة و نيّة قيام اللّيل قربة » .

أقول : و يأتي في هذا كلام عن الصادق عليه السلام عن قريب .

قال : « ولكن ينبغي أن ينتبه قبل الزّوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل وقت الصلاة فإنّ ذلك من فضائل الأعمال ، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب و اشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنّه وقت غفلة الناس عن الله تعالى و اشتغالهم بهموم الدّنيا فالقلب المتفرّغ بخدمة ربّه عند إعراض العبيد عن بابه جدير

بأن يزكّيه الله تعالى و يصطفيه لقربه و معرفته ، و فضل ذلك كفضل إحياء اللّيل فإنّ اللّيل وقت الغفلة بالنوم و هذا وقت الغفلة باتّباع الهوى والاشتغال بهموم الدّنيا وأحد معني قوله تعالى : « و هو الّذي جعل اللّيل والنهار خلفة »[١] أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل ، و الثاني أنّه يخلفه فيتدارك فيه مافات في الآخر.

الورد الرابع ما بين الزّوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبتها وهو أقصر أوراد النهار و أفضلها ، فإذا كان قد توضّأ قبل الزّوال و حضر المسجد فمهما زالت الشمس و ابتدأ المؤذّن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جوابه ، ثمّ ليقم إلى إحياء ما بين الأذان و الإقامة فهو وقت الإظهار الّذي أراد الله تعالى بقوله : « وحين تظهرون »[٢].

أقول : أوّل ما يفعله عند تحقّق الزوال أن يقول ما رواه في الفقيه « أنّ الباقر عليه السلام علّمه لمحمّد بن مسلم وقال له : حافظ عليه كما تحافظ على عينيك وهو « سبحان الله ولا إله إلّا الله والحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً » ثمّ يشرع في نافلة الزّوال ويأتي في أُوليها بالتكبيرات السبع الافتتاحيّة مع أدعيتها ويقرء فيهما التوحيد والجحد و يسبّح بعد كلّ ركعتين منها بتسبيح الزّهراء عليها السلام ثمّ يقول : « اللّهمّ إنّي ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي ، وخذ إلى الخير بناصيتي ، واجعل الإيمان منتهى رضاي ، و بارك لي فيما قسمت لي وبلّغني برحمتك كلّ الّذي أرجو منك واجعل لي ودّاً وسروراً للمؤمنين وعهداً عندك » ويؤذّن للظّهر بعد الستّ ويفصل بين الأذان والإقامة بالسابعة والثّامنة ، ثمّ يقيم ويقول بعد الإقامة : « اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التامّة والصلاة القائمة بلّغ محمّداً صلى الله عليه وآله الدّرجة والوسيلة والفضل والفضيلة ، بالله أستفتح وبالله أستنجح ، وبمحمّد صلى الله عليه وآله أتوجّه ، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعلني بهم وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين » ثمّ يشتغل بالفريضة جماعة مراعياً لجميع الآداب الظاهرة والباطنة كما قدّمناه ، فإذا فرغ منها أتى بالتعقيب كما مرّ في الصبح سوى الأذكار المختصّة به ويزيد على ذلك ماشاء و ينقص ماشاء بقدر إقباله وملاله .

---

(١) الفرقان : ٦٢ . (٢) الروم : ١٨ .

«**الورد الخامس** مابعد ذلك إلى العصر أعني إلى أن يبقى ربع النّهار فإنّ منزلة العصر بين الزّوال والغروب كمنزلة الضحى بين الطلوع والزّوال».

أقول: ويصلّي فيه من نوافل العصر أربعاً أو اثنتين.

قال: «ويستحبُّ فيه العكوف في المسجد مشغولاً بالذّكر والصّلاة أوفنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سيرة السلف رحمهم الله، كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلّين دويّاً كدويّ النحل من التلاوة، فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمّه فالبيت أفضل في حقّه وإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل، وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزّوال إذ يكره نومتان بالنّهار، قال بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب، والأكل من غير جوع، ونوم النهار من غير سهر بالّليل، والحدّ في النوم أنّ الّليل والنّهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمانية ساعات في الّليل و النهار جميعاً، فإن نام هذا القدر بالّليل فلا معنى للنوم بالنّهار، وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستّين سنة أن ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثمانية ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث، ولكن لمّا كان النوم غذاء الروح كما أنّ الطعام غذاء البدن و كما أنّ العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا، والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلّا من يتعوّد السهر تدريجاً فقد تمرّن نفسه عليه من غير اضطراب».

أقول: و ممّا روي في هذا الباب عن أهل البيت عليهم السلام ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «نم نوم المتعبّدين و لاتنم نوم الغافلين فإنّ المتعبّدين (١) من الأكياس ينامون استرواحاً وأمّا الغافلون فينامون استبطاراً، قال النبي صلى الله عليه وآله: تنام عيني ولاينام قلبي، و انوبنومك تخفيف مؤونتك على الملائكة واعزل النفس عن شهواتها، واختبر بها نفسك معرفة بأنّك عاجزٌ ضعيفٌ لا تقدر على شيء من حركاتك وسكونك إلّا بحكم الله و تقديره، فإنّ النوم أخو الموت فاستدلل بها على الموت الّذي لا تجد السبيل إلى

(١) في بعض نسخ المصدر «فان المتعبرين من الاكياس ينامون استراحة».

الانتباه فيه والرجوع إلى إصلاح مافات عنك، و من نام عن فريضة أو سنّة أو نافلة فاتته بسببها فذاك نوم الغافلين و سيرة الخاسرين وصاحبه مغبون، ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض و السنن و الواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود، إنّي لا أعلم لأهل زماننا هذا شيئاً إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم، لانّ الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم و أخذوا شمال الطريق والعبد إن اجتهد أن لا يتكلّم كيف يمكنه أن لا يسمع إلّا ماهومانع له من ذلك، وإنّ النوم من إحدى تلك الآيات، قال الله عزّ وجلّ: «إنّ السمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً»، و إنّ في كثرته آفات و إن كان على سبيل ما ذكرناه، و كثرة النوم تتولّد من كثرة الشرب، و كثرة الشرب تتولّد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة ويقسيان القلب عن التفكّر و الخشوع، واجعل كلّ نومك آخر عهدك من الدّنيا، و اذكر الله بقلبك و لسانك، وخف اطّلاعه على سرّك، واعتقد بقلبك مستعيناً به في القيام إلى الصلاة إذا انتبهت فإنّ الشيطان يقول لك: نم فإنّ لك بعد ليلاً طويلاً، يريد تفويت وقت مناجاتك، و أعرض حالك على ربّك، ولا تغفل عن الاستغفار بالأسحار فإنّ للقانتين فيه أشواقاً» انتهى كلامه عليه السلام[1].

قال أبوحامد: «وهذا الورد هو أطول الأوراد و أمتعها للعبّاد، وهو أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال: «ولله يسجد من في السموات و الأرض طوعاً وكرهاً و ظلالهم بالغدوّ و الآصال - الآية -»[2] فإذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات.

الورد السادس إذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الّذي أقسم الله تعالى به إذ قال: «والعصر»[3] هذا أحد معني الآية و هو المراد بالآصال في أحد التفسيرين و هو العشيّ المذكور في قوله: «وعشيّاً»[4] وقوله تعالى: «بالعشيّ والإشراق»[5] و ليس في هذا الورد صلاة غير أربع ركعات من نافلة العصر أو اثنتين يصلّيها بين الأذان

---

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع والاربعون.

(٢) الرعد: ١٥. (٣) العصر: ٢.

(٤) مريم: ١١. (٥) سورة ص: ١٨.

والإقامة، ثمّ يصلّي الفرض و يشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأوّل إلى أن يرتفع الشمس إلى رؤوس الحيطان وتصفرّ، والأفضل فيه إذمنع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبّر و تفهّم، إذيجمع ذلك معنى الذكر والدّعاء و الفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة .

الوردالسابع إذا اصفرّت الشمسُ بأن تقرب من الأرض بحيث يغطّي نورها الغبارات والبخارات الّتي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد، وهومثل الورد الأوّل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنّه قبل الغروب كما أنّ ذلك قبل الطلوع وهو المرادبقوله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - الآية -»(١) و هو طرف الثاني المراد بقوله تعالى: «وأطراف النهار»(٢) فيستحبّ في هذا الوقت التسبيح و الاستغفار خاصّة و سائر ما ذكرناه في الورد الأوّل، والاستغفار على الأسماء الّتي في القرآن أحبُّ كقوله: «استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً»(٣)؛ «استغفره إنّه كان توّاباً»(٤)؛ «ربّ اغفر وارحم وأنت خير الرّاحمين»(٥)؛ «فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الغافرين»(٦) .

فإذا سمع الأذان قال: «اللّهمّ هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك - كما سبق -» ثمّ يجيب المؤذّن و يشتغل بصلاة المغرب، و بغروب الشمس قد انتهى أوراد النّهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله و يحاسب نفسه، فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً أوكان شرّاً منه فيكون ملعوناً، فقدقال ﷺ: «لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً»(٧) فإن رأى نفسه متوفّراً على الخير جميع نهاره، مترفّهاً عن التجشّم كانت بشارة فليشكرالله تعالى على توفيقه و تسديده إيّاه لطريقه، و إن تكن الأخرى فاللّيل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فإنّ الحسنات يذهبن السيّئات

---

(١) الروم : ١٧ . (٢) طه : ١٣٠ .
(٣) نوح : ١٠ . (٤) النصر : ٤ .
(٥) المؤمنون : ١١٨ (٦) الاعراف : ١٥٥ .
(٧) تقدم نحوه في المجلد الاول ص ١٥ عن الطبراني وابن عبدالبر .

فليشكر الله على صحّة جسمه و بقاء بقيّة من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره و ليحضر في قلبه أنّ نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع و عند ذلك يغلق باب التدارك و الاعتذار فليس العمر إلّا أيّاماً معدودة تنقضي لامحالة جملتها بانقضاء آحادها .

☼(بيان أوراد اللّيالي و هي خمسة)☼

الأوّل إذا غربت الشمس صلّى المغرب و اشتغل بإحياء ما بين العشائين ، فآخر هذا الورد غيبوبة الشفق أعني الحمرة الّتي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال : « فلا أُقسم بالشفق »[1] و الصلاة فيه هي ناشئة اللّيل لأنّه أوّل نشوء ساعاته وهو آنٌ من الآناء المذكورة في قوله تعالى : « و من آناء اللّيل فسبّح »[2] و هو صلاة الأوّابين وهي المراد بقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »[3] فقد روي أنّه ﷺ سئل عن هذه الآية فقال : « الصلاة بين العشائين ؛ ثمّ قال : عليكم بالصلاة بين العشائين فإنّها مذهبة لملاغاة النهار و مهذّبة لآخره »[4] و الملاغات جمع ملغاة من اللّغو[5] .

و قال ﷺ فيما روته عائشة : « أنّ أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطّها عن مسافر و لا مقيم ، فتح بها صلاة اللّيل وختم بها صلاة النّهار ، فمن صلّى المغرب وصلّى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنّة (قال الراوي : لا أدري من ذهب أو من فضّة) و من صلّى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين - أو قال : -

---

(١) الانشقاق : ١٦ . (٢) طه : ١٣٠ .

(٣) السجدة : ١٦ .

(٤) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية اسماعيل بن ابي زياد الشامي عن الاعمش كما في المغني .

(٥) قال الجزري : في حديث سلمان « اياكم و ملغاة اول الليل » الملغاة مفعلة من اللغو والباطل ، يريد السهر فيه فانه يمنع من قيام الليل .

أربعين سنة »(١).

و روى سعيد بن جبير عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من عكف نفسه ما بين المغرب و العشاء في مسجد جماعة لم يتكلّم إلّا بصلاة أو قرآن كان حقّاً على الله أن يبني له قصرين في الجنّة، مسيرة كلّ قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراساً لوطافه أهل الدّنيا لوسعهم »(٢).

أقول: قد ذكر أبو حامد هذين الحديثين مع أخبار أُخر في فضيلة إحياء ما بين العشائين في الباب الثاني من هذا الكتاب، ونحن نقتصر عن سائر ما ذكره هناك بنقل عدّة أحاديث من طريق الخاصّة ههنا ففي الفقيه(٣) عن الباقر عليه السلام قال: « إنّ إبليس إنّما يبثّ جنوده اللّيل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبثّ جنوده النّهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس، وذكر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول: « أكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين، و تعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، و عوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنّهما ساعتا غفلة ».

و عن الصّادق عليه السلام « من صلّى المغرب ثمّ عقّب ولم يتكلّم حتّى يصلّي ركعتين كتبتاله في علّيّين، فإن صلّى أربعاً كتبت له حجّة مبرورة »(٤).

و عنه عليه السلام قال للحارث بن المغيرة: « لاتدع أربع ركعات بعد المغرب في سفر ولا حضر وإن طلبتك الخيل »(٥)

و عنه عليه السلام « تنفّلوا في ساعة الغفلة ولو بركعتين خفيفتين فإنّهما تورثان دار الكرامة - و في خبر آخر دار السلام - وهي الجنّة، قال: و ساعة الغفلة بين المغرب

---

(١) رواه أبوالوليد يونس بن عبيدالله الصفار فى كتاب الصلاة، ورواه الطبرانى فى الاوسط مختصراً بسند ضعيف كما فى المغنى.

(٢) لم أجده.

(٣) المصدر ص ١٣٣ باب كراهية النوم بعد الغداة.

(٤) رواه الشيخ فى التهذيب ج ١ ص ١٦٧. والصدوق فى الفقيه ص ٥٩.

(٥) رواه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٤٤٦ والشيخ فى التهذيب ج ١ ص ١٣٤ و١٣٥ بدون قوله: « وان طلبتك الخيل » ورواه فى التهذيب أيضاً ج ١ص١٦٧ بتمامه.

و العشاء الآخرة »[1].

و يقرء في الأولين الجحد و التوحيد و في الثالثة أوّل سورة الحديد إلى قوله : « وهوعليمٌ بذات الصدور » وفي الرّابعة آخر الحشر من قوله : « لوأنزلنا» وهذه الأربع هي الرّاتبة فإن صلّى اثنتين اُخريين قرأ في اُوليهما « وذا النون إذ ذهب مغاضباً - إلى قوله : - المؤمنين » و في الثانية « وعنده مفاتح الغيب - إلى قوله : - في كتاب مبين » ثمّ يبسط يده للقنوت و يقول : « اللّهمّ إنّي أسألك بمفاتح الغيب الّتي لا يعلمها إلّا أنت أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تقضي حاجتي ، اللّهمّ أنت وليّ نعمتي و القادر على طلبتي ، تعلم حاجتي و أسألك بحرمة محمّد وأهل بيته عليه وعليهم السلام لمّا قضيتها لي » ويسأل حاجته ثمّ يأتي بصلاة الوصيّة إن شاء وهي ركعتان يقرء في اُوليهما بعد الحمد الزلزال ثلاث عشرة مرّة وفي الثانية التوحيد خمس عشرة مرّة ، فعن النبيّ صلّى الله عليه وآله « من فعل ذلك في كلّ ليلة زاحمني في الجنّة و لم يُحص ثوابه إلّا الله »[2] ثمّ إن بقي عليه وقت إلى ذهاب الحمرة اشتغل بإكمال التعقيب و إلّا بادر إلى فريضة العشاء و إن ذهبت الحمرة قبل أن يصلّي النوافل المذكورة أو شيئاً منها قضاها بعد العشاء فانّ الفريضة بعد دخول وقت فضيلتها أولى بالتقديم.

« **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء إلى حدّ نومة الناس وهو أوّل استحكام الظلام و قد أقسم الله تعالى به إذ قال : « و اللّيل و ما و سق »[3] أي و ما جمع من ظلمته ».

أقول : و ترتيب هذا الورد أن يبادر أوّلاً إلى الفرض جماعة بآدابها الظاهرة والباطنة ويطيل في قنوتها فإنّه في سعة من الوقت إلّا أن يشتدّ على المأمومين فإذا فرغ منها أتى بالتعقيبات المشتركة بين الخمس وبالمشتركة بين الصباح والمساء ، ثمّ بما يختصّ بالعشاء كما هو مذكورٌ في مواضعه و منه « اللّهمّ بحقّ محمّد و آل محمّد لا تؤمنّا مكرك ولاتنسنا ذكرك ، ولا تكشف عنّا سترك ، ولاتحرمنا فضلك ، ولاتحلّ علينا غضبك ، ولاتباعدنا من

(١) الفقيه ص ١٤٨ باب التنفل فى ساعة الغفلة .

(٢) مصباح المتهجد ص ٧٦ .

(٣) الانشقاق : ١٧ .

جوارك ، ولا تنقصنا من رحمتك ، ولا تنزع عنّا بركاتك ، ولا تمنعنا عافيتك ، وأصلح لنا ما أعطيتنا ، وزدنا من فضلك المبارك الطيّب الحسن الجميل ، ولا تغيّر ما بنا من نعمتك ولا تؤيسنا من روحك ولا تهنّا بعد كرامتك . ولاتضلّنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب » .

ومنه - وهو من أدعية طلب الرّزق - « اللّهمّ إنّه ليس لي علم بموضع رزقي وأنا أطلبه بخطرات تخطر على قلبي ، فأجول في طلبه البلدان وأنا فيما أطلب كالحيران ، لا أدري في سهل هو أم في أرض حزن أم في سماء أم في برّ أم في بحر ، وعلى يدي من ، ومن قبل من ، و قد علمت أنّ علمه عندك وأسبابه بيدك ، و أنت الّذي تقسمه بلطفك وتسبّبه برحمتك ، اللّهمّ فصلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعل ياربّ رزقك لي و اسعاً و مطلبه سهلاً و مأخذه قريباً و لاتعذّبني بطلب مالم تقدّر لي فيه رزقاً فإنّك غنيّ عن عذابي وأنا فقير إلى رحمتك فصلّ على محمّد و آل محمّد ، وجد على عبدك بفضلك إنّك ذوفضل عظيم » ويطيل في التعقيب بشرط الإقبال ، ثمّ يسجد سجدتي الشّكر بتضرّع و خشوع وإطالة ، ثمّ يصلّي ركعتي الوتيرة جالساً يقرء في الأولى الواقعة أو الملك ، و في الثانية التوحيد و يدعو بعد الفراغ بماشاء و ينصرف .

ولا صلاة موظّفة في هذا الورد عند أهل البيت عليهم السلام سوى ما ذكرناه فما ذكره أبو حامد من الصلوات قبل العشاء و بعدها وتقديم صلاة اللّيل و الوتر في أوّل اللّيل من مخترعات العامّة وبدعهم .

روى في الفقيه (١) عن أبي جعفر عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله لايصلّي من النهار شيئاً حتّى يزول النّهار فإذا زال صلّى ثماني ركعات و هي صلاة الأوّابين تفتح في تلك الساعة أبواب السماء و تستجاب الدّعاء ، وتهبّ الرّياح ، و ينظر الله إلى خلقه فإذا فاء الفيىء ذراعاً صلّى الظهر أربعاً و صلّى بعد الظهر ركعتين ، ثمّ يصلّي ركعتين أخراوين ، ثمّ يصلّي العصر أربعاً إذا فاء الفيىء ذراعاً ، ثمّ لايصلّي بعدالعصر شيئاً حتّى تؤوب الشمس فإذا آبت - وهو أن تغيب - صلّى المغرب ثلاثاً وبعدالمغرب أربعاً ثمّ لايصلّي

(١) المصدر ص٦١ باب صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله التى قبضه الله عليها .

شيئاً حتّى يسقط الشفق ، فإذا سقط الشفق صلّى العشاء ثمّ أوى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فراشه و لم يصلّ شيئاً حتّى يزول نصف اللّيل ، فإذا زال نصف اللّيل صلّى ثماني ركعات وأوتر في الربع الأخير من اللّيل بثلاث ركعات فقرأ فيهنّ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، ويفصل بين الثلاث بتسليمة ويتكلّم ويأمر بالحاجة ، ولا يخرج من مصلاّه حتّى يصلّي الثالثة الّتي يوتر بها ، ويقنت فيها قبل الركوع ، ثمّ يسلّم و يصلّي ركعتي الفجر قبيل الفجر وعنده وبعده ، ثمّ يصلّي ركعتي الصبح و هو الفجر إذا اعترض الفجر و أضاء حسناً ، فهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله الّتي قبضه الله عزّ وجلّ عليها ».

و روينا في الكافي و التهذيب (١) بسند موثّق عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه إلّا أنّه ذكر بعد الظهر ثمان ركعات و في آخره « قلت : جعلت فداك ، و إن كنتُ أقوى على أكثر من هذا يعذّبني الله على كثرة الصلاة ؟ قال : لا ولكن يعذّب على ترك السنّة » يعني أنّ السنّة الاقتصار على ذلك فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يفعل أكثر منه فمن زاد عليه فإن كان إنّما يفعل ذلك لأجل أنّ الصلاة خير موضوع فقد أصاب و اُثيب و إن كان إنّما يسنّه سُنّة و يوظّفه توظيفاً كالّذين يصلّون الضحى و يقدّمون صلاة اللّيل في أوّله و يصلّونها مرّتين من غير أن تكون إحداهما قضاء فقد أبدع و استحقّ ببدعته العذاب .

وفي الكافي (٢) بسند حسن عن الصادق عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي من التطوّع مثلي الفريضة ، ويصوم من التطوّع مثلي الفريضة ».

وفيه عنه عليه السلام « أنّه سئل عن أفضل ما جرت به السنّة من الصلاة ، فقال : تمام الخمسين » (٣) .

وفيه بسند حسن عنه عليه السلام : « أنّه سئل هل قبل العشاء الآخرة وبعدها شيءٌ ؟ قال : لا غير أنّي اُصلّي بعدها ركعتين ولست أحسبهما من صلاة اللّيل » (٤) .

« **الورد الثالث** النوم فلا بأس أن يعدّ ذلك في الأوراد فإنّه إذا روعيت آدابه

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٤٣ تحت رقم ٥ . والتهذيب ج ١ ص ١٣٤ .
(٢) و (٣) و (٤) المصدر ج ٢ ص ٤٤٣ تحت رقم ٣ و٤ و٦ .

احتسب عبادة فقد نقل « أنّه إذا نام العبد على طهارة ذاكراً لله تعالى يكتب مصلّياً حتّى يستيقظ و يدخل في شعاره ملك ، فإن تحرّك في نومه فذكر الله سبحانه دعا له الملك واستغفر له »[١].

و في الخبر « أنّه إذا نام على الطهارة رفع بروحه إلى العرش »[٢] هذا في العوامّ فكيف في العلماء و أرباب القلوب الصافية فإنّهم يكاشفون بالأسرار في النوم ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح »[٣].

(و آداب النوم عشرة)

الاول الطهارة والسواك ، قال صلى الله عليه وآله : « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش وكانت رؤياه صادقة و إن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق »[٢] و هذا اُريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً فطهارة الباطن هو المؤثّر في انكشاف حجب الغيب ».

أقول: وفي الفقيه[٤] قال الصادق عليه السلام : « من تطهّر ثمّ أوى إلى فراشه بات و فراشه كمسجده فإن ذكر أنّه على غير وضوء فليتيمّم من دثاره و كائناً ماكان لم يزل في صلاة ما ذكر الله تعالى ».

---

(١) أخرجه ابن حبان من كلام ابن عمر وهكذا « من بات طاهراً بات فى شعاره ملك فلما يستيقظ الا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهراً » كما فى المغنى وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « طهروا هذه الاجساد طهركم الله فانه ليس من عبد يبيت طاهراً الا بات معه فى شعاره ملك لاينقلب ساعة من الليل الاقال : اللهم اغفر لعبدك فانه بات طاهراً » . رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده حسن كما فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢٨ .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى كتاب الزهد موقوفاً على أبى الدرداء والبيهقى فى الشعب موقوفاً عن ابن عمرو بن العاص وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث على « مامن عبد ولا امة تنام فتثقل نوماً الا عرج بروحه الى العرش فالذى لايستيقظ الا عند العرش فتلك رؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب » كما فى المغنى .

(٣) تقدم فى كتاب الصوم .

(٤) المصدر ص ١٢٣ باب مايقول الرجل اذا أوى الى فراشه .

« الثاني أن يعدّ عند رأسه سواكه و طهوره و ينوي القيام للعبادة عند التيقّظ و كلّما ينتبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف ، و روي عنه صلى الله عليه وآله « أنّه كان يستاك في كلّ ليلة مراراً عند كلّ نومة و عند التنبّه منها » (١).

أقول : روى في الكافي بسند حسن عن الحلبيّ ، عن الصادق عليه السلام قال : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى العشاء الآخرة أمر بوضوئه وسواكه فوضع عند رأسه مخمّراً فيرقد ما شاء الله ، ثمّ يقوم فيستاك و يتوضّأ و يصلّي أربع ركعات ، ثمّ يرقد ثمّ يقوم فيستاك و يتوضّأ و يصلّي أربع ركعات ، ثمّ يرقد حتّى إذا كان في وجه الصبح قام فأوتر فصلّى الرّكعتين . ثمّ قال : « لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة » قلت : متى كان يقوم ؟ قال : بعد ثلث اللّيل » (٢).

و في صحيحة معاوية بن وهب عنه عليه السلام ما يقرب منه وزاد « فإذا استيقظ جلس ثمّ قلّب بصره في السماء ، ثمّ تلا الآيات من آل عمران « إنّ في خلق السموات والأرض » ثمّ يستنّ و يتطهّر ، ثمّ يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه ، و سجوده على قدر ركوعه ، ويركع حتّى يقال : متى يرفع رأسه ؟ ويسجد حتّى يقال : متى يرفع رأسه ؟ ثم يعود إلى فراشه فينام ماشاء الله ، ثمّ يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات ويقلّب بصره ـ و هكذا ساق الحديث ـ قال : و معنى يستنّ يستاك » (٣).

قال أبوحامد : « وقال صلى الله عليه وآله : « من أتى فراشه وهوينوي أن يقوم يصلّي من اللّيل فغلبته عيناه حتّى يصبح كتب له مانوى و كان نومه صدقة عليه من الله تعالى » (٤).

الثالث أن لا يبيت من له وصيّة إلّا ووصيّته مكتوبة عنده فإنّه لا يأمن القبض في النوم ، يقال : إنّ من مات من غير وصيّة لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاور الأموات و يتحدّثون وهو لا يتكلّم فيقول بعضهم لبعض : هذا المسكين مات من

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص ٣٨ و ٣٩ .
(٢) المصدر ج ٣ ص ٤٤٥ تحت رقم ١٣ .
(٣) التهذيب ج ١ ص ٢٣١ في حديث .
(٤) أخرجه النسائي ج ٣ ص٢٥٧ وابن ماجه تحت رقم ١٣٤٤ .

غير وصيّة، و ذلك مستحبّ خوفاً من موت الفجأة و موت الفجأة تخفيف إلّا لمن ليس مستعدّاً للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم».

أقول: و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «الوصيّة حقّ على كلّ مسلم»(١).

و عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من لم يحسن وصيّته عند الموت كان نقصاً في مروّته وعقله»(٢).

«**الرابع** أن ينام تائباً من كلّ ذنب، سليم القلب لجميع المسلمين لايحدّث نفسه ظلم أحد، ولا يعزم على معصية إن استيقظ، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أوى إلى فراشه لاينوي ظلم أحد ولايحقد على أحد غفرله ما اجترم»(٣).

الخامس أن لايتنعّم بتمهيد الفرش النّاعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه فكان بعض السلف يكره التمهيد و يرى ذلك تكلّفاً للنوم، وكان أهل الصفّة لايجعلون بينهم و بين التراب حاجزاً و يقولون: «منها خلقنا و إليها نردّ» و كانوا يرون ذلك أرقّ لقلوبهم و أجدر لتواضع نفوسهم فمن لاتسمح بذلك نفسه فليقتصد.

السادس أن لاينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلّف استجلابه إلّا إذاقصد به الاستعانة على القيام في آخر اللّيل فقد كان نومهم غلبة، و أكلهم فاقة، و كلامهم ضرورة ولذلك وُصفوا بأنّهم كانوا قليلاً من اللّيل مايهجعون، فإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتّى يعقل ما يقول، كان ابن عبّاس يكره النوم قاعداً.

وفي الخبر «لا تكابدوا اللّيل»(٤) وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ فلانة تصلّي باللّيل

---

(١) المصدر ج ٧ ص ٣ تحت رقم ٤.

(٢) الفقيه باب ٧٩ ص ٥٢١.

(٣) أخرجه ابن عساكر عن أنس هكذا «من أصبح و هو لايهم بظلم أحد غفر له ما اجترم» و سنده ضعيف كما فى الجامع الصغير، وأخرجه ابن أبى الدنيا هكذا فى كتاب النية.

(٤) أخرجه أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس كما فى المغنى وللطبرانى فى الكبير بلفظ «لاتغالبوا هذا الليل».

فإذا غلبها النوم تعلّقت بحبل ، فنهى عن ذلك »[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليصلّ أحدكم من اللّيل ما يتيسّر له فإذا غلبه النوم فليرقد »[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « تكلّفوا من العمل ما تطيقون فإنّ الله لا يملّ حتّى تملّوا »[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « خير هذا الدّين أيسره »[4] و قيل له : إنّ فلاناً يصلّي ولاينام ، ويصوم ولا يفطر ، فقال : لكنّي أُصلّي وأنام و أصوم وأفطر . هذه سنّتي فمن رغب عنها فليس منّي »[5].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتشادّوا هذا الدّين فإنّه متين ، فمن يشادّه يغلبه فلاتبغض إلى نفسك عبادة الله سبحانه »[6].

السابع أن ينام مستقبل القبلة ، و الاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر و هو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة ، والثاني استقبال اللّحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشقّ الأيمن » .

أقول : روي في الكافي بسند صحيح عن أحمد بن إسحاق قال : « قلت لأبي محمّد يعني الحسن العسكريّ عليه السلام : جعلت فداك إنّي مغتمّ يصيبني في نفسي و قد أردت أن أسأل أباك عليه السلام فلم يقض لي ذلك ، فقال : و ما هو يا أحمد ؟ فقلت : روي لنا عن آبائك عليهم السلام

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص ١٨ ، و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) أخرج مسلم نحوه ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٦٥ . ومسلم ج ٢ ١٨٨ . وفي السنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٧ ومسند أبي عوانة ج ٢ ص ٢٩٨ ، ونقل عن الشيخ ابي بكر الاسماعيلي أنه قال : قال فيه بعضهم : لايمل من الثواب حتى تملوا من العمل ، والله عزوجل لايوصف بالملال لكن الكلام يخرج مخرج المحاذاة للفظ باللفظ وذلك شايع في كلام العرب .

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده من حديث محجن بن ادرع ص ١٨٣ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه بشر بن نمير وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٩ . و ليس فيه قوله : « هذه سنتي الخ » .

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٣ ص١٩ بلفظ آخر . و في صحيح البخاري مثله ، وفي الكافي ج٢ ص ٨٧ أيضاً مثل ما في السنن .

أنّ نوم الأنبياء عليهم السلام على أقفيتهم، و نوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم المنافقين على شمائلهم، ونوم الشياطين على وجوههم؟ فقال عليه السلام: كذلك هو، فقلت: يا سيّدي فإنّي أجهد أن أنام على يميني فلا يمكنني ولا يأخذني النوم عليها، فسكت ساعة ثمّ قال: يا أحمد أُدن منّي فدنوت، فقال: أدخل يدك تحت ثيابك فأدخلتها فأخرج يده من تحت ثيابه فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر، وبيده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرّات، قال أحمد: فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل عليه السلام ذلك بي ولا يأخذني عليها نوم أصلاً»(١).

وينبغي أن يتوسّد بيمينه كما يستفاد من صحيحة محمّد بن مسلم (٢) قال: قال لي أبوجعفر عليه السلام: «إذا توسّد الرّجل بيمينه فليقل: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، اللّهمّ إنّي أسلمت نفسي إليك - الدعاء - »(٣) وقد مرّ في أواخر كتاب الدّعوات.

«الثامن الدّعاء عند النوم».

أقول: و قد مرّ ذكره، وفي الكافي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «من قرأ هذه الآية: «قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً»(٤) سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النّور ملائكة يستغفرون له»(٥).

وفيه عن الصادق عليه السلام «ما من عبد قرأ آخر الكهف حين ينام إلّا استيقظ في الساعة الّتي يريد»(٦). و هذا من الأسرار العجيبة المجرّبة الّتي لاشكّ فيها و ليقرء آية

---

(١) الكافي ج ١ ص ٥١٣ في حديث تحت رقم ٢٧.

(٢) الفقيه ص١٢٣ باب مايقول الرجل اذا اوى الى فراشه، ورواه البخاري ومسلم وأحمد في ج ٤ ص ٢٨٥ عن البراء بن عازب.

(٣) بقية الدعاء «و وجهت وجهي اليك و فوضت أمري اليك و ألجأت ظهري اليك وتوكلت عليك رهبة منك ورغبة اليك لاملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت» ثم سبح تسبيح الزهراء عليها السلام.

(٤) الكهف: ١١٠.

(٥) الخبر رواه أيضاً الصدوق في الفقيه ص١٢٤، والشيخ في التهذيب ج١ ص ١٨٥.

(٦) الكافي ج ٢ ص٥٤٠.

الكرسيّ و خواتيم البقرة و التكاثر و الجحد و التوحيد كما ورد في الأخبار المعتبرة.

« **التاسع** أن يتذكّر عند النوم أنّ النوم نوع وفاة والتيقّظ نوع بعث قال الله تعالى: « الله يتوفّى الأنفس - الآية - » سمّاها توفّيا كما أن المتيقّظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قطّ بباله ولا شاهده حسّه ومثل النوم بين الحياة و الموت مثل البرزخ بين الدّنيا والآخرة ، و قال لقمان لابنه : « يا بنيّ إن كنت تشكّ في الموت فلا تنم ، فكما أنّك تنام كذلك تموت و إن كنت تشكّ في البعث فلا تنتبه فكما أنّك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك » . و قال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقّك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنّها وفاة . و قالت عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خدّه على يده اليمنى وهو يرى أنّه ميّت في ليلته تلك : « اللّهمّ ربّ السماوات السبع - الدّعاء - »[1] فحقّ العبد أن يفتّش عن قلبه عند نومه أنّه على ما ذا ينام وما الغالب عليه حبّ الله تعالى وحبّ لقائه أو حبّ الدّنيا ؟ وليتحقّق أنّه يتوفّى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفّى عليه فإنّ المرء مع من أحبّ ومع ما أحبّ .

العاشر الدّعاء عند التنبّه فليقل في تيقّظاته و تقلّباته مهما تنبّه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا إله إلّا الله الواحد القهّار ربّ السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار »[2] وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأوّل ما يرد على قلبه عند التيقّظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحبّ ، ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلّا ما هو الغالب عليه فليجرّب قلبه به فإنّها علامة تكشف عن باطن القلب و إنّما استحبّت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ ليقوم قال : « الحمد لله الّذي أحيانا بعدما أماتنا و إليه النشور »[٣] إلي آخر ما أوردناه من أدعية التيقّظ » .

---

(١) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢١ بادنى اختلاف .

(٢) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٢٠٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٦٠٧ ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ٤ .

أقول : و ينبغي أن يسجد أوّل ما ينتبه ثمّ يأتي بهذا الذكر لما روي « أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انتبه من نومه سجد »(١).

و في التهذيب عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون » قال : كان القوم ينامون ولكن كلّما انقلب أحدهم قال : الحمد لله ولا إله إلّا الله و الله أكبر »(٢).

« **الورد الرابع** يدخل بمضيّ النصف الأوّل من اللّيل إلى أن يبقى من اللّيل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجّد فاسم التهجّد يختصّ بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط اللّيل ، ويشبه الورد الّذي بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله سبحانه فقال : « و اللّيل إذا سجى »(٣) أي إذا سكن وسكونه وهدوّه في هذا الوقت ، فلا تبقى عين إلّا نائمة(٤) سوى الحيّ القيوم الّذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل : « إذا سجى » إذا امتدّ وطال ، و قيل : إذا أظلم ، و سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّ اللّيل أسمع ؟ فقال : جوف اللّيل »(٥) و قال داود عليه السلام : إلهي إنّي أُحبّ أن أتعبّد لك فأيّ وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أوّل اللّيل ولا آخره فإنّه من قام أوّله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوّله ولكن قم وسط اللّيل حتّى تخلو بي و أخلو بك و ارفع إليّ حوائجك .

و سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيّ اللّيل أفضل ؟ فقال : نصف اللّيل الغابر »(٦) يعني الباقي ، ومن آخر اللّيل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرّياح من جنّات عدن و نزول الجبّار إلى السماء الدّنيا (٧) وغيرها من الأخبار .

---

(١) مر في المجلد الاول . (٢) المصدر ج ١ ص ٢٣١ ، والاية في سورة الذاريات : ١٧ . (٣) الضحى : ٣ .

(٤) يعنى لاتبقى عين فى بلدنا وحوالينا الا وقد نامت والا أمر الليل والنهار لكل قوم نسبي لان الشمس لاتزال تغرب على قوم وتطلع على آخرين .

(٥) أخرجه البيهقى فى السنن ج٣ ص ٤ من حديث عمرو بن عنبسة .

(٦) أخرجه أحمد فى المسند ج ٥ ص ١٧٨ من حديث أبى ذر و زاد بعد قوله : « الغابر » « أو نصف الليل وقليل فاعله » وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة راجع مسند أحمد ج٤ ص١١١ . ويأتى نظيره عن الكافى .

(٧) مر سابقاً أنه محرف مع كلام المؤلف فيه .

و ترتيب هذا الورد بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءاً كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويستقبل القبلة ويقول ... ».

أقول : ولنذكر الأذكار والأدعية والوقت والصلوات على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول :

روى في الكافي بسند حسن عن الباقر عليه السلام قال : « إذا قمت بالليل فانظر في آفاق السماء وقل : « اللهم إنه لا يواري عنك ليل ساج ، ولاسماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات مهاد ، ولاظلمات بعضها فوق بعض ، ولا بحر لجي تدلج بين يدي المدلج من خلقك ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، غارت النجوم و نامت العيون و أنت الحي القيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، سبحان الله رب العالمين و إله المسلمين ، و الحمد لله رب العالمين » ثم اقرء الآيات الخمس من آل عمران « إن في خلق السموات والأرض و اختلاف الليل والنهار - إلى - إنك لاتخلف الميعاد »[1].

و ينبغي أن يتأسى بالنبي صلى الله عليه وآله في الاستياك و الرقود و القيام و تقليب البصر إلى السماء وغيرها كما مر في روايتي الحلبي وابن وهب.

و في الصحيح عن الصادق عليه السلام : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي ويدعو الله فيها إلا استجاب له في كل ليلة ، قيل فأية ساعة من الليل هي ؟ قال : إذا مضى نصف الليل إلى الثلث الباقي ، و في رواية اخرى صحيحة أيضاً « إذا مضى نصف الليل في السدس الأول من النصف الثاني » وفي ثالثة مابين نصف الليل إلى الثلث الباقي »[2].

و هذه الساعة و إن روتها العامة إلا أنهم لم يعرفوها كما اعترفو به و نحن بحمدالله عرفناها بتعريف أهل البيت عليهم السلام وفقنا الله لإدراكها.

فإذا توضأ وتعطر فليجلس مستقبل القبلة ويدعو بدعاء زين العابدين عليه السلام الذي كان يدعو به في جوف الليل « إلهي غارت نجوم سمائك ، ونامت عيون أنامك ، و هدأت أصوات عبادك و أنعامك ، و غلقت الملوك عليها أبوابها ، وطاف عليها حراسها ، واحتجبوا

---

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٤٥ في حديث تحت رقم ١٢ وفي الفقيه ص ١٢٧ مثله.
(٢) راجع الكافي ج ٣ ص ٤٤٧ ، والتهذيب ج ١ ص ١٦٨.

عمّن يسألهم حاجة، أو ينتجع منهم فائدة، وأنت يا إلهي حيّ قيّوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، ولا يشغلك شيء عن شيء، أبواب سمائك لمن دعاك مفتّحات، و خزائنك غير مغلّقات، و أبواب رحمتك غير محجوبات، و فوائدك لمن سألكها غير محظورات بل هي مبذولات، إلهي أنت الكريم الّذي لا تردّ سائلاً من المؤمنين سألك، ولا تحتجب عن أحد منهم أرادك، لا وعزّتك و جلالك، لا تختزل حوائجهم دونك، ولا يقضيها أحدٌ غيرك، اللّهمّ و قدترى وقوفي و ذلّ مقامي بين يديك وتعلم سريرتي وتطّلع على مافي قلبي، وما تصلح به أمر آخرتي و دنياي اللّهمّ إن ذكرت الموت و هول المطّلع والوقوف بين يديك نغّصني مطعمي ومشربي وأغصّني بريقي وأقلقني عن وسادي و منعني رقادي، كيف ينام من يخاف ملك الموت في طوارق اللّيل وطوارق النّهار، بل كيف ينام العاقل و ملك الموت لاينام باللّيل ولا بالنهار، ويطلب روحه بالبيات وفي آناء الساعات».

وكان عليه السلام يسجد بعد هذاالدّعاء يلصق خدّه بالتراب وهويقول: «أسألك الرّوح والرّاحة عندالموت والعفو عنّي حين ألقاك»[(١)].

ثمّ يفتتح صلاة اللّيل و يأتي في الركعة الأولى بالتكبيرات السبع مع أدعيتها ويقرء فيها بالتوحيد مرّة أوثلاثين مرّة، و في الثانية الجحد، وفي الستّ الباقية السور الطول على قدر الوقت فإن ضاق اقتصرعلى الحمد و إن ضاق عن جميع الصلوات اقتصر على ثلاث ركعات الوتر وركعتي الفجر و يقضي الباقي، و يقنت في كلّ ثانية بما شاء من الأدعية المأثورة.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أطولكم قنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة»[(٢)] ويفصّل كلّ ركعتين و أخيرة الوتر بتسليمة، والأولى أن يأتي بعد التسليم بذكر و دعاء ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة فيقول: «اللّهمّ إنّي أسألك ولم يُسأل مثلك أنت موضع مسألة السائلين و منتهى رغبة الراغبين أدعوك ولم يدع مثلك، و أرغب إليك ولم يرغب إلى مثلك، أنت مجيب دعوة المضطرّين وأرحم الراحمين أسألك بأفضل المسائل و أنجحها

(١) مصباح المتهجد ص ٩٢.

(٢) رواه الصدوق فى الفقيه ص ١٢٩ تحت رقم ٢ وزادفى آخره «فى الموقف».

و أعظمها يا الله يارحمن يا رحيم وبأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك الّتي لاتحصى و بأكرم أسمائك و أحبّها إليك و أقربها منك وسيلة و أشرفها عندك منزلة و أجزلها لديك ثواباً و أسرعها في الأمور إجابة و باسمك المكنون الأكبر الأعزّ الأجلّ الأعظم الأكرم الّذي تحبّه و تهواه وترضى به عمّن دعاك واستجبت له دعاءه و حقّ عليك أن لاتردّ سائلك ، وبكلّ اسم هولك فيالتوراة والانجيل و الزّبور و الفرقان العظيم ، و بكلّ اسم دعاك به حملة عرشك و ملائكتك وأنبياؤك ورسلك و أهل طاعتك من خلقك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن تعجّل فرج وليّك ، وتعجّل خزي أعدائه وأن تفعل بي كذاو كذا».

ثمّ يسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام ، ويدعو بعده بماشاء ، و يسجد سجدتي الشكر ، ثمّ يقوم إلى الركعتين أخريين ويقرء في ثلاث الوتر بالتوحيد أوفي الأولين بالمعوّذتين و في الثالثة التوحيد والجمع بين الثلاث في الثالثة أفضل و يطيل القنوت فيها باكياً أو متباكياً ، و يستغفر فيها سبعين مرّة أو مائة ، و يدعو للمؤمنين والمؤمنات و يستغفرلهم ، و يدعو بعد الرفع من الركوع بالمأثور ، وبعد الفراغ منها بدعاء الحزين المنقول عن سيّد العابدين عليه السلام (١).

قال أبوحامد : « وقد صحّ في صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باللّيل أنّه صلّى أوّلاً ركعتين خفيفتين ثمّ ركعتين طويلتين ، ثمّ صلّى ركعتين دون اللّتين قبلهما ثمّ ، لم يزل يقصّر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة »(٢).

الورد الخامس السدس الأخير من آخر اللّيل وهو وقت السحر قال الله تعالى : « و بالأسحارهم يستغفرون »(٣) قيل : « يصلّون لما فيها من الاستغفار » .

أقول : وفي الصحيح عن معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال : سمعته يقول « في قول الله عزّ وجلّ : « وبالأسحار هم يستغفرون » : في الوتر في آخر اللّيل سبعين مرّة »(٤).

(١) راجع في جميع أدعية الليل وصلاته مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي -رحمه الله- ص ٩١ الى ١٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم ج ٢ ص١٨٣ من حديث زيد بن خالد الجهني .

(٣) الذاريات : ١٨ .

(٤) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٣ ، والتهذيب ج ١ ص ١٧٢ .

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « من قال في وتره إذا أوتر : « أستغفر الله و أتوب إليه » سبعين مرّة و واظب على ذلك حتّى يمضي سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار و وجبت له المغفرة من الله عزّ وجلّ » [١].

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « استغفر الله في الوتر سبعين مرّة تنصب يدك اليسرى و تعدّ باليمنى الاستغفار ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله في الوتر سبعين مرّة و يقول : « هذا مقام العائذ بك من النار » سبع مرّات » [٢].

و في الصحيح عنه عليه السلام قال : « القنوت في الوتر الاستغفار و في الفريضة الدّعاء » [٣].

وفي الصحيح عن الرّضا عليه السلام « أنّه سئل عن ساعات الوتر فقال : أحبّها إليّ الفجر الأوّل ، وسئل عن أفضل ساعات اللّيل ، فقال : الثلث الباقي » [٤].

وعن الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : « ومن اللّيل فسبّحه و إدبار النجوم » [٥] هو الوتر آخر اللّيل ».

وسأل مرازم الصادق عليه السلام « متى أصلّي صلاة اللّيل ؟ فقال : صلّها آخر اللّيل » [٦].

ولنرجع إلى كلام أبي حامد قال : « وهو يقارب الفجر الّذي هو وقت انصراف ملائكة اللّيل وإقبال ملائكة النهار ، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدّرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره : فلمّا كان اللّيل ذهب أبو الدّرداء ليقوم ، قال سلمان : نم فنام ، ثمّ ذهب ليقوم فقال له : نم فنام ، فلمّا كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن فقاما فصلّيا ، فقال : إنّ لنفسك عليك حقّاً وإنّ لضيفك عليك حقّاً فأعط كلّ ذي حقّ حقّه

---

(١) الفقيه ص ١٢٩ . والمحاسن ص ٥٣ .

(٢) الفقيه ص ١٢٩ تحت رقم ٧ .

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٤٠ بتقديم وتأخير ، وفي التهذيب ج ١ ص ١٧٢ والفقيه ص ١٣٠ كما في المتن .

(٤) التهذيب ج ١ ص ٢٣٢ في حديث .

(٥) الاية في سورة الطور : ٤٩ . والخبر رواه الطبرسي ذيل الاية .

(٦) التهذيب ج ١ ص ٢٣١ .

و ذلك أنّ امرأة أبي الدّرداء أخبرت سلمان أنّه لاينام اللّيل قال: فأتيا رسول‌الله صلى الله عليه وآله فذكرا ذلك له فقال صلى الله عليه وآله: صدق سلمان»(١).

و هذا هو الورد الخامس و فيه يستحبّ السحور و ذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في‌هذين الوردين الصلاة فإذا طلع‌الفجر انقضت أوراد اللّيل ودخل أوراد النّهار فيقوم فيصلّي ركعتي الفجر».

أقول: أفضل أوقات هاتين الركعتين مابين الفجرين ولذا تسمّيان بالدّسّاستين لدسّهما في صلاة اللّيل.

وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام: «احش بهما صلاة اللّيل»(٢).

وفي الحسن «سئل الصادق عليه السلام أين موضعهما؟ قال: قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة»(٣).

وفي رواية أخرى صحيحة عنه عليه السلام «أنّهما قبل الفجر، أنّهما من صلاة اللّيل ثلاث عشرة ركعة صلاة اللّيل أتريدأن تقايس؟ لوكان‌عليك شهررمضان أكنت تتطوّع؟ إذا دخل عليك وقت الفريضة فابدء بالفريضة»(٤).

وينبغي إذا فرغ منهما أن يضطجع على يمينه مستقبل القبلة كالملحود ويضع‌خدّه الأيمن على يده اليمنى ويقرء الخمس آيات من آخر آل عمران إلى «إنّك لاتخلف الميعاد» ويقول: استمسكت بعروةالله الوثقى الّتي‌لاانفصام لها، واعتصمت بحبل‌الله‌المتين، وأعوذ بالله من شرّ فسقة العرب والعجم، آمنت بالله، وتوكّلت على الله، ألجأت ظهري إلى الله، وفوّضت أمري إلى الله، من‌يتوكّل على الله فهو حسبه، إنّ الله بالغ أمره، قد جعل الله لكلّ شيء قدراً، حسبي الله ونعم‌الوكيل، اللّهمّ من أصبح وحاجته إلى مخلوق فإنّ حاجتي ورغبتي إليك، الحمد لربّ الصباح، الحمد لفالق الإصباح - ثلاثاً -

---

(١) أخرجه البخاري ج ٢ ص ٦٣.

(٢) التهذيب ج ١ ص ١٧٣، والاستبصار ج١ ص ٢٨٣ و«احش» بالحاء المهملة والشين المعجمة على صيغة الامرمن حشا القطن فى الشيء جعله فيه.

(٣) و(٤) التهذيب ج ١ ص ١٧٢، والاستبصار ج ١ ص ٢٨٣.

« رواه » ، سليمان بن خالد في الصحيح عن الصادق عليه السلام »[١].

و ينبغي أن يدعو بعد ذلك بدعاء الصحيفة السجّادية الّذي كان عليه السلام يدعو به بعد صلاة اللّيل.

وفي التهذيب عن الهادي عليه السلام قال : « إيّاك والنوم بين صلاة اللّيل والفجر ولكن ضجعة بلا نوم فإنّ صاحبه لا يُحمد على ما قدّم من صلاته »[٢].

فصل

قال أبوحامد : « فهذا ترتيب الأوراد للعبّاد وقدكانوا يستحبّون ، أن يجمعوا مع ذلك في كلّ يوم بين أربعة أُمور : صوم ، و صدقة و إن قلّت ، و عيادة مريض ، وشهود جنازة ، وفي الخبر « من جمع بين هذه الأربعة في يوم غفر له » وفي رواية « دخل الجنّة »[٣] فإن اتّفق بعضها وعجز من الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيّته ، وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدّقوا ولو بتمرة أوبصلة أوبكسرة خبز لقوله صلى الله عليه وآله : « الرّجل في ظلّ صدقته حتّى يقضى بين الناس »[٤] ولقوله : « اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة »[٥] وكانوا لا يستحبّون ردّ السّائل إذكان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ماسأله أحدٌ فقال : لا[٦] لكنّه إن لم يقدر عليه سكت ، وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كلّ سُلامى من جسده صدقة - يعني المفصل - وفي جسده ثلاثمائة وستّون مفصلاً فأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وحملك عن الضيف صدقة ، و هدايتك إلى الطريق صدقة ، و إماطتك الأذى عن الطريق صدقة حتّى ذكر التسبيح والتهليل »[٧].

---

(١) و(٢) التهذيب ج ١ ص ١٧٤ .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ج ٤ ص ١٨٩ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٤٧ والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤١٦ .

(٥) أخرجه البخاري ج ٢ ص ١٢٩و١٣٠ ، والبيهقي في السنن ج ٤ ص ١٧٦ .

(٦) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٧٤ .

(٧) أخرجه أبوداود ج٢ص٦٥٠ والبيهقي في السنن ج٤ ص١٨٨ عن البخاري ومسلم .

✿(بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال)✿

اعلم أنّ المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لايخلو عن ستّة أحوال فإنّه إمّا عابد أوعالم أومتعلّم ، وإمّا وال أو محترف أوموحّد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره.

الاول العابد وهو المتجرّد للعبادة الّذي لاشغل له أصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطّالاً ، فترتيب أوراده ماذكرناه ، نعم لايبعد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر الأوقات إمّا في الصلاة أوفي القراءة أوالتسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستّمائة إلى ألف وأقلّ مانقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم و اللّيلة ، و كان بعضهم أكثر ورده القرآن ، وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرّة ورووي مرّتين عن بعضهم ، وكان بعضهم يقضي اليوم أو اللّيلة في التفكّر في آية واحدة يردّدها ، وكان كرزبن وبرة مقيماً بمكّة فكان يطوف في كلّ يوم سبعين اُسبوعاً وفي كلّ ليلة سبعين اُسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم و اللّيلة مرّتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ و يكون مع كلّ اُسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ ».

أقول : قدعرفت فيما سبق أن كثرة تلاوة القرآن وعجلته على هذا النحو مذموم.

وفي الفقيه عن الحذّاء ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : لعلك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : لابدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن و رجعت الروح فيه وفيه قوّة على العمل فإنّما ذكر كم الله تعالى فقال : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً » انزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا ينامون في أوّل اللّيل فإذا ذهب ثلثا اللّيل أو ماشاء الله فزعوا إلى ربّهم راغبين راهبين طامعين فيما عنده فذكرهم الله عزّ وجلّ في كتابه لنبيّه و أخبره بما أعطاهم وأنّه أسكنهم في جواره وأدخلهم جنّته وآمن خوفهم وآمن روعتهم ، قلت : جعلت فداك إن أنا قمت آخر اللّيل أيّ شيء أقول إذا قمت ؟ فقال : قل : « الحمد لله ربّ العالمين وإله المرسلين

الحمد لله الّذي يحيي الموتى و يبعث من في القبور » فإنّك إذا قلتها ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه إن شاء الله تعالى »[1].

وفي الفقيه أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّي لأمقت الرّجل يأتيني فيسألني عن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : أزيدكأنّه يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصّر في شيء »[2].

قال أبوحامد : « فإن قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد ؟ فاعلم أنّ قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبّر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ، و مقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به ، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشدّ تأثيراً فيه فليواظب عليه فإذا أحسّ بملالة منه فلينتقل إلى غيره و لذلك ترى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال من نوع منها إلى نوع لأنّ الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد أيضاً في ذلك يختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرّها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً فأحسّ لها وقعاً في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجدلها وقعاً .

الثاني العالم الّذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أوتصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنّه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدّة لها لامحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل مايشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدلّ على ذلك جميع ماذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم ، و كيف لا ؟ وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمّل ماقال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ، و ربّ مسألة واحدة يتعلّمها المتعلّم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلّم لكان سعيه ضائعاً ، وإنّما نعني بالعلم المقدّم على العبادة العلم الّذي يرغّب الناس في الآخرة ويزهّدهم في الدّنيا أوالعلم الّذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذ تعلّموها على قصد الاستعانة به على السلوك ، دون العلوم الّتي

---

(١) المصدر ص ١٢٧ تحت رقم ٦ .

(٢) مر الخبر سابقاً .

تزيد بها الرّغبة في المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسّم أوقاته أيضاً فإنّ استغراق الأوقات في ترتيب العلم لايحتمله الطبع فينبغي أن يخصّص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأوّل وبعد الطلوع إلى ضحوة النّهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكّر فيما يشكل عليه من علوم الدّين فإنّ صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر و قبل الاشتغال بهموم الدُّنيا يعين على التفطّن للمشكلات، و من ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف و المطالعة لاتتركها إلّا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرء بين يديه من تفسير أوحديث أوعلم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللّسان، وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة، وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة، وورده الرّابع بعد العصر في عمل السمع ليروّح فيه العين واليد فإنّ المطالعة والكتبة بعد العصر ربما أضرّتا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللّسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأمّا باللّيل فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي إذكان يقسم اللّيل ثلاثة أجزاء ثلثاً للمطالعة وترتيب العلم وهو الأوّل، وثلثاً للصلاة وهو الوسط، وثلثاً للنوم وهو الأخير».

أقول: بل الأولى أن ينام النصف الأوّل من اللّيل و يستيقظ النصف الأخير أوبعد مضيّ الثلثين فإنّ أواخر اللّيل و سيّما السحر أصفى وأشدّ بركة و كذلك كان يفعله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الأكثر وكان يرقد في أوّل اللّيل بعد العشاء الآخرة كما مرّ وأوّل النصف الآخر هو الساعة الّتي يستجاب فيها الدّعاء كما مضى وفي الثلث الأخير ينزل الملك إلى السماء الدُّنيا كلّ ليلة كما مرّ ذكره.

قال أبوحامد: «وهذا يتيسّر في ليالي الشتاء وفي الصيف ربما لايحتمل ذلك إلّا إذا أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبّه من ترتيب أوراد العالم.

الثالث المتعلّم والاشتغال بالتعلّم أفضل من الإشتغال بالأذكار و النوافل فحكمه

حكم العالم في ترتيب الأوراد ، لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة ، وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ، وترتيب أوقاته كما ذكرناه ، وكلّ ماذكرناه في فضيلة التعلّم والعلم يدلّ على أنّ ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلّماً على معنى أنّه يعلّق و يحصّل ليصير عالماً بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد الّتي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات ففي حديث أبي ذرّ أنّ حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة و عيادة ألف مريض وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إذا رأيتم رياض الجنّة فارتعوا فيها فقيل : يارسول الله وما رياض الجنّة ؟ فقال : حلق الذكر »[١].

أقول : وفي الفقيه قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : « با دروا إلى رياض الجنّة قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنّة ؟ قال : حلق الذكر »[٢].

و في الكافي مرفوعاً قال : قال لقمان لابنه : يا بنيّ اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فإن تكن عالماً نفعك علمك و إن تكن جاهلاً علّموك ولعل الله أن يظلّهم برحمته فتعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لايذكرون الله فلا تجلس معهم ، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبته فتعمّك معهم »[٣].

و المراد بالذكر العلم النافع كما دلّ عليه الحديث الثاني ، و في القرآن « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »[٤].

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام « لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة »[٥].

قال أبوحامد : « وعلى الجملة فماينحل من القلب من عقدة من عقد حبّ الدّنيا

(١) مر الحديث آنفا عن ابى داود وغيره .
(٢) المصدر ص ٥٨٨ ورواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٣٢١ .
(٣) المصدر ج ١ ص ٣٩ .
(٤) النحل : ٤٣ .
(٥) المصدر ج ١ ص ٣٩ .

بقول واعظ حسن الكلام زكيّ السير أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حبّ الدّنيا.

الرابع المحترف الّذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيّع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب، ولكن ينبغي أن لاينسى الله تعالى في صناعته، بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن فإنّ ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل، وإنّما لايمكن مع العمل الصلاة إلّا أن يكون ناطوراً[1] فإنّه لايعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه، ثمّ مهما فرغ عن كفايته فينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد، فإن داوم على الكسب وتصدّق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد الّتي ذكرناها لأنّ العبادة المتعدّية فائدتها أنفع من اللّازمة والصدّقة والكسب على هذه النيّة عبادة له في نفسه تقرّبه إلى الله تعالى ثمّ يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الأجر.

أقول: ومن طريق الخاصّة مارواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال»[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ملعون من ألقى كلّه على الناس»[3].

«**الخامس** الوالي مثل الإمام أو القاضي أو المتولّي للنظر في أُمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقّه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة باللّيل».

أقول: هذا إنّما يصحّ إذا كان أحد الثلاثة جديراً بمنصبه وبحقّ ارتكبه وأمّا إذا كان جائراً وكان من قبل أئمّة الجور فهو طاغوت، روى في الكافي عن الصادق عليه السلام

(١) الناطور والناظور - بالاعجام والاهمال - حافظ الكرم أو الزرع.

(٢) المصدر ج ٥ ص ٧٨ تحت رقم ٦.

(٣) المصدر ج ٥ ص ٧٢ تحت رقم ٧.

«أنّه سئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلُّ ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى طاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً و إن كان حقّه ثابتاً، لأنّه أخذ بحكم الطاغوت و قد أمر الله أن يكفر به، قيل: كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا وحرامنا، و عرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ و علينا ردّ، والرادُّ علينا الرادُّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله - الحديث -» (1).

قال أبو حامد: «وقد فهمت ممّا ذكرناه أنّه يقدّم على العبادات البدنيّة أمران: أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأنّ كلّ واحد من العلم و فعل المعروف عمل في نفسه وعبادة و يفضّل سائر العبادات بتعدّي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدّمين عليه.

السادس الموحّد المستغرق بالواحد الصمد سبحانه الّذي أصبح وهمومه همٌّ واحد، فلا يحبّ إلّا الله ولا يخاف إلّا منه ولا يتوقّع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلّا يرى الله تعالى فيه، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدّرجة لم يفتقر إلى توزيع الأوراد و اختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحداً و هو حضور القلب مع الله في كلّ حال فلا يخطر بقلبهم أمر، ولا يقرع سمعهم قارع، ولا يلوح لأبصارهم لائح، إلّا كان لهم فيها عبرةٌ وفكرةٌ ومزيدٌ فلا محرّك لهم ولا مسكّن إلّا الله تعالى، فهؤلاء جميع أحوالهم يصلح لأن يكون سبباً لازديادهم، فلا يتميّز عندهم عبادة عن عبادة وهم الّذين فرّوا إلى الله تعالى كما قال تعالى: «لعلّكم تذكّرون * ففرّوا إلى الله» (2) ومتحقّق فيهم قوله تعالى: «وإذا اعتزلتموهم ومايعبدون إلّا الله - الآية -» (3) وإليه الإشارة بقوله تعالى: «إنّي ذاهبٌ إلى ربّي سيهدين» (4) و هذه منتهى درجات الصدّيقين ولا وصول إليها إلّا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً فلاينبغي أن يغترّ المريد بمايسمعه من ذلك فيدّعيه

(1) الكافي ج ٧ ص ٤١٢ تحت رقم ٥.

(2) الذاريات: ٤٩ و ٥٠. (3) الكهف: ١٦.

(4) الصافات: ٩٩.

لنفسه، و يفترعن وظائف عباداته فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال، و أنى يرزق هذه الرتبة كل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه، وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى، قال الله تعالى: «قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً» (١) فكلهم مهتدون و بعضهم أهدى.

و في الخبر «الإيمان ثلاث وثلاثون و ثلاثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة» (٢).

وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة و ثلاثة عشر خلقاً بعدد الأنبياء المرسلين كل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك للطريق إلى الله تعالى فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط المستقيم «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب» (٣) فإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله و أقربهم إلى الله أعرفهم به و أعرفهم به لا بد أن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فإن المراد منه تغيير صفات الباطن و أحاد الأعمال تقل آثارها بل لا يحس بآثارها و إنما يترتب الأثر على المجموع و إذا لم يعقب العمل الواحد أثراً محسوساً ولم يردف بثان و ثالث على القرب انمحى أثر الأول و كان كالفقيه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهراً أو أسبوعاً ثم عاد وبالغ ليلة أخرى ثم ترك لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه، و لهذا السر قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله أدومها و إن

(١) الاسراء: ٨٤.

(٢) لم أجده الا أن في مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٦ من رواية أبي يعلى والطبراني في الكبير نحوه، وقال في المغني: أخرج ابن شاهين واللالكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبدالرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده «الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة، من وافى منهن شريعة دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي «ثلاثمائة وثلاثون» وفي اسناده جهالة.

(٣) الاسراء: ٥٧.

قلّ »[١] وسئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : « كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبته »[٢] ولذلك قال صلى الله عليه وآله : « من عوّده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى »[٣]

أقول : ومن طريق الخاصّة ما رواه زرارة في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال : « أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ما داوم عليه العبد وإن قلّ »[٤] .

وفي صحيحه الآخر عنه عليه السلام قال بعد ذكر الرواتب اليومية : « وإنّما هذا كلّه تطوّع وليس بمفروض إنّ تارك الفريضة كافرٌ وإنّ تارك هذا ليس بكافر ولكنّها معصية لأنّه يستحبّ إذا عمل الرّجل عملاً من الخير أن يدوم عليه »[٥] .

الباب الثاني

في فضيلة قيام اللّيل والأسباب الميسّرة له وكيفيّة إحيائه واللّيالي الّتي يستحبّ إحياؤها .

فضيلة قيام الليل أمّا من الآيات قوله تعالى : « إنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي اللّيل - الآية - »[٦] وقوله تعالى : « إنّ ناشئة اللّيل - الآية - »[٧] وقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »[٨] وقوله عزّ وجلّ : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً »[٩] وقوله : « والّذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً »[١٠] وقوله : « استعينوا بالصبر والصلوة »[١١] قيل : هي قيام اللّيل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٨٩ .
(٢) أخرجه أبو داود ج ١ ص ٣١٥ . ومسلم ج ٢ ص ١٧١ .
(٣) رواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة كما في المغني .
(٤) الكافي ج ٢ ص ٨٢ تحت رقم ٢ .
(٥) التهذيب ج ١ ص ١٣٥ .
(٦) المزمل : ٢٠ .
(٧) المزمل : ٦ .
(٨) السجدة : ١٦ .
(٩) الزمر : ٩ .
(١٠) الفرقان : ٦٤ .
(١١) البقرة : ٤٥ : ١٥٣ .

و من الأخبار قال ﷺ : « يعقد الشيطان على ناصية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كلّ عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ و ذكر الله سبحانه انحلّت عقدة ، فإن توضّأ انحلّت عقدة ، فإن صلّى انحلّت عقدة ، فأصبح نشيطاً طيّب النفس و إلّا أصبح خبيث النفس كسلان »[١].

و في خبر أنّه ذكر عنده رجل نام كلّ اللّيل حتّى يصبح ، فقال : « ذاك بال الشيطان في اُذنه »[٢].

في الخبر « أنّ للشيطان سعوطاً ولعوقاً و ذروراً فإذا أسعط العبد ساء خلقه و إذا لعقه ذرب لسانه بالشرّ و إذا ذرّه نام باللّيل كلّه حتّى يُصبح »[٣].

وقال ﷺ : « ركعتان يركعهما العبد في جوف اللّيل خيرله من الدّنيا ومافيها ، و لولا أن أشقّ على اُمّتي لفرضتهما عليهم »[٤].

و في الصحيح عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ من اللّيل ساعة لايوافيها عبدٌ مسلم يسأل الله بخير إلّا أعطاه إيّاه »[٥].

في رواية « يسأل الله خيراً من أمر الدّنيا والآخرة وذلك كلّ ليلة »[٦].

أقول : قد مضى أنّها أيّة ساعة هي .

قال : « و روي أنّه ﷺ قام حتّى تفطّرت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما

---

(١) أخرجه البخارى ج ٢ ص ٦٣ من الصحيح وفيه « على قافية رأس أحدكم » . ولمسلم وابن ماجه تحت رقم ١٣٢٩ مثله و رواه أحمد وابويعلى بلفظ آخر كمافى مجمع الزوائدج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ١٨٧ والبخارى ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) رواه الطبرانى باختلاف فى اللفظ فى الكبير وفيه الحكم بن عبدالملك القرشى وهوضعيف كمافى مجمع الزوائدج٢ص٢٦٢وذرالشىء نثره ورشه والذرور ما يذرفى العين .

(٤) أخرجه أدم بن أبى اياس فى الثواب ومحمدبن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية والديلمى فى الفردوس عن ابن عمر كما فى المغنى .

(٥) و(٦) أخرجهما مسلم فى صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ .

تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً »[١] ويظهر من معناه أنّ ذلك كناية عن زيادة الرّتبة فإنّ الشكر سبب المزيد قال الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنّكم»[٢].

و قال ﷺ : « عليكم بقيام اللّيل فإنّه دأب الصالحين قبلكم و إنّ قيام اللّيل قربة إلى الله تعالى و تكفير للذّنوب و مطردة للدّاء عن الجسد و منهاة عن الإثم »[٣].

و قال ﷺ : « ما من امرىء يكون له صلاة باللّيل فغلبه عليها نوم إلّا كتب له أجر صلاته و كان نومه صدقة عليه »[٤].

و قال ﷺ لأبي ذرّ - رضي الله عنه - لو أردت سفراً أعددت له عدّة فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبّئك يا أبا ذرّ ما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمّي قال : صم يوماً شديد الحرّ ليوم النشور ، وصلّ ركعتين في ظلمة اللّيل لوحشة القبور ، وحجّ حجّة لعظائم الأمور ، و تصدّق بصدقة على مسكين أو كلمة حقّ تقولها أو كلمة شرّ تسكت عنها »[٥].

و روي أنّه كان على عهد النبيّ ﷺ رجلٌ إذا أخذ الناس مضاجعهم و هدأت العيون قام يصلّي و يقرء القرآن و يقول : يا ربّ النّار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فقال : إذا كان ذلك فآذنوني ، فأتاه فاستمع فلمّا أصبح قال : يا فلان هلّا سألت الجنّة ؟ قال : يا رسول الله إنّي لست هناك و لا يبلغ عملي ذاك ، فلم يلبث يسيراً حتّى نزل جبرئيل عليه السلام و قال : أخبر فلاناً أنّ الله تعالى قد أجاره من النار و أدخله الجنّة »[٦].

---

(١) أخرجه الترمذى ج ٣ ص ٢٠٥ وللبخارى ومسلم مختصره كما فى سنن البيهقى ج ٣ ص ١٦ وفى الكافى ج٢ ص ٩٥. (٢) ابراهيم : ٧ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج١ ص ٣٠٨ ورواه الترمذى ج١٣ ص٦٤ وابن ابى الدنيا فى كتاب التهجد وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية عبدالله بن صالح كاتب الليث .

(٤) أخرجه أبوداود ج١ ص ٣٠٣ ، والنسائى ج ٣ ص ٢٥٧ .

(٥) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد من رواية السرى بن مخلد مرسلا والسرى ضعفه الازدى كما فى المغنى .

(٦) ماعثرت على أصل له .

و قال عليّ بن أبي الحسن: شبع يحيى بن زكريّا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتّى أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من داري؟ أوجدت جواراً خيراً من جواري؟ فوعزّتي يا يحيى لو اطّلعت إلى الفردوس اطّلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً، ولو اطّلعت إلى جهنّم اطّلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح».

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ فلاناً يصلّي باللّيل فإذا أصبح سرق، فقال: سينهاه مايعمل»[(١)].

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله رجلاً قام من اللّيل فصلّى ثمّ أيقظ امرأته فصلّت فإن أبت نضح في وجهها الماء، و رحم الله امرأة قامت من اللّيل فصلّت ثمّ أيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[(٢)].

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من استيقظ من اللّيل و أيقظ امرأته فصلّيا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[(٣)].

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام اللّيل»[(٤)].

فصل

أقول: و من طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه «قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا جبرئيل عظني فقال: يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت وأحبب ما شئت فإنّك مفارقه، واعمل ماشئت فإنّك ملاقيه، شرف المؤمن صلاته باللّيل،

---

(١) رواه أحمد فى المسند والبيهقى فى الشعب كما فى مشكاة المصابيح ص ١١٠ ورواه البزار ورجاله ثقاة كما فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) أخرجه ابوداود ج ١ ص ٣٠١ والنسائى ج ٣ ص ٢٠٥. ولابن ماجه تحت رقم ١٣٣٦ مثله.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٣٣٥.

(٤) أخرجه الدارمى ج ١ ص ٣٦٤ وفيه و«الصلاة فى جوف الليل».

وعزّه كفّ الأذى عن الناس »(١).

و روى بحر السقّاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ من روح الله عزّ و جلّ ثلاثة : التهجّد باللّيل ، و إفطار الصائم ، ولقاء الإخوان »(٢).

وقال أبو الحسن الأوّل عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله »(٣) قال : صلاة اللّيل ».

وقال الصادق عليه السلام : « عليكم بصلاة اللّيل فإنّها سنّة نبيّكم ، و دأب الصالحين قبلكم ، و مطردة الداء عن أجسادكم »(٤).

و روى هشام بن سالم عنه عليه السلام أنّه قال في قول الله تعالى : « إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأً و أقوم قيلاً »(٥) قال : « قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله لا يريد به غيره ».

و قال الصادق عليه السلام : « يقوم الناس من فرشهم على ثلاثة أصناف : صنف له ولا عليه ، وصنف عليه ولاله ، و صنف لا عليه و لاله ، فأمّا الصنف الّذي له و لا عليه فيقوم من منامه فيتوضّأ و يصلّي و يذكر الله عزّ وجلّ فذلك الّذي له ولا عليه ، و أمّا الصنف الثاني فلم يزل في معصية الله تعالى فذلك الّذي عليه ولاله ، وأمّا الصنف الثالث فلم يزل قائماً حتّى أصبح فذلك الّذي لاعليه ولاله »(٦).

و سأله عبد الله بن سنان ، عن قول الله عزّ وجلّ : « سيماهم في وجوههم من أثر

---

(١) المصدر ص ١٢٤ تحت رقم ١ ورواه الطبراني في الاوسط كما في الترغيب ج ١ ص٤٤١ .

(٢) المصدر ص ١٢٤ تحت رقم ٢ ، والروح - بالفتح - الفرج والتنفيس .

(٣) الحديد : ٢٧ ، والخبر في الفقيه ص ١٢٤ والتهذيب ج ١ ص ١٦٩ .

(٤) المصدر ص ١٢٤ رقم ٤ .

(٥) المزمل : ٧ وناشئة الليل اى النفس الناشئة التى تنشأ من مضجعتها الى العبادة «أشد وطأ» اى كلفة ومشقة . و«أقوم قيلا» اى أشد وأحكم وأثبت مقالا . والخبر في الفقيه ص ١٢٤ رقم ٥ ، وفي الكافي ج٣ ص ٤٤٦ .

(٦) الفقيه ص ١٢٤ تحت رقم ٦ .

السجود »[١] قال : « هو السهر في الصلاة » .

و روى عنه فُضيل بن يسار قال : « إنّ البيوت الّتي يصلّى فيها باللّيل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض »[٢].

و قال عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « إنّ الحسنات يذهبن السيّئات » قال : « صلاة المؤمن باللّيل تذهب بما عمل من ذنب النهار »[٣].

و مدح الله تعالى أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام في كتابه بقيام صلاة اللّيل فقال عزّ من قائل : « أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه » وآناء اللّيل ساعاته »[٤] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال : لولا الّذين يتحابّون بجلالي و يعمرون مساجدي و يستغفرون بالأسحار لولا هم لأنزلت عذابي »[٥] .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من كثر صلاته باللّيل حسن وجهه بالنهار »[٦] .

و جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه الحاجة فأفرط في الشكاية حتّى كاد أن يشكو الجوع فقال له أبو عبدالله عليه السلام : « ياهذا أتصلّي باللّيل ؟ فقال الرجل : نعم ، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال : كذب من زعم أنّه يصلّي باللّيل و يجوع بالنهار ، إنّ الله تعالى ضمن بصلاة اللّيل قوت النهار »[٧].

و قال أبوجعفر عليه السلام : « إنّ الله تبارك و تعالى يحبّ المداعب في الجماعة بلارفث ، المتوحّد بالفكر ، المتخلّي بالعبر ، الساهر بالصلاة »[٨] .

و قال النبيّ صلى الله عليه وآله عند موته لأبي ذرّ - رضي الله عنه - : « يا أبا ذر احفظ وصيّة نبيّك تنفعك ، من ختم له بقيام اللّيل ثمّ مات فله الجنّة ، والحديث فيه طول أخذت منه موضع الحاجة »[٩].

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ . والخبر في الفقيه ص ١٢٥ تحت رقم ٧ .
(٢) الى (٥) الفقيه ص ١٢٥ تحت رقم ٨ الى ١٥ .
(٦) الى (٩) الفقيه ص ١٢٥ والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ و١٦٩ .

و روى جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام «أنّ رجلاً سأل علي ابن أبي طالب عليه السلام عن قيام الليل بالقرآن، فقال له: أبشر من صلّى من الليل عُشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله قال الله تبارك وتعالى لملائكته: اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت في الليل من حبّة و ورقة و شجرة، وعدد كلّ قصبة وخوص و مرعى.

و من صلّى تُسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات، وأعطاه كتابه بيمينه.

و من صلّى ثمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النيّة وشفّع في أهل بيته.

و من صلّى سُبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث و وجهه كالقمر ليلة البدر حتّى يمرّ على الصراط مع الآمنين.

و من صلّى سدس ليلة كتب في الأوّابين و غفر له ما تقدّم من ذنبه.

و من صلّى خمس ليلة زاحم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في قبّته.

و من صلّى ربع ليلة كان في أوّل الفائزين حتّى يمرّ على الصراط كالريح العاصف، و يدخل الجنّة بغير حساب.

و من صلّى ثلث ليلة لم يلق ملكاً إلّا غبطه بمنزلته من الله عزّ وجلّ، وقيل له: اُدخل من أيّ أبواب الجنّة الثمانية شئت.

و من صلّى نصف ليلة فلو أعطى ملؤ الأرض ذهباً سبعين ألف مرّة لم يعدل جزاءه، وكان له بذلك عند الله عزّ و جلّ أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل.

ومن صلّى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل اُحد عشر مرّات.

و من صلّى ليلة تامّة تالياً لكتاب الله عزّ وجلّ راكعاً و ساجداً و ذاكراً اُعطي من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته اُمّه، و يكتب له عدد ما خلق الله عزّ وجلّ من الحسنات و مثلها درجات، و يثبت النور في قبره، و ينزع الإثم والحسد من قلبه، و يجار من عذاب القبر، و يعطى براءة من النار، و يبعث من الآمنين، و يقول الربّ تعالى لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليلة ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس، و له فيها مائة ألف مدينة في كلّ مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ولم يخطر

على بال سوى ما أعددت له من الكرامة و المزيد والقربة »(١).

قال و روى العلاء عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: « ليس من عبد إلّا و هو يوقظ في ليلة مرّة أو مرّتين فإن قام كان ذلك و إلّا جاء الشيطان فبال في أذنه، أو لا يرى أحدكم أنّه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام و هو متخثّر ثقيل كسلان »(٢).

و روى الحسن الصيقل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّي لأمقت الرجل قد قرأ القرآن ثمّ يستيقظ من اللّيل فلا يقوم حتّى إذا كان عند الصبح قام يبادر بصلاته »(٣).

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: « ما نوى عبد أن يقوم أيّة ساعة نوى فعلم الله تعالى ذلك إلّا وكّل به ملكين يحرّكانه تلك الساعة »(٤).

وروى عيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: « إذا غلب الرجل النوم وهو في الصلاة فليضع رأسه فلينم فانّي أتخوّف عليه إن أراد أن يقول: « اللّهمّ أدخلني الجنّة» أن يقول: « اللّهمّ أدخلني النار» (٥).

و روى زكريّا النقاض عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: « لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون » قال: منه سكر النوم» (٦).

قال: و روى أبو عبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: « تتجافى جنوبهم عن المضاجع» فقال: لعلّك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون؟ فقلت: الله ورسوله أعلم فقال: لابدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن و رجعت الروح فيه و فيه قوّة على العمل - الحديث - » وقد مضى تمامه (٧).

و روى في الكافي بسند حسن عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: « كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون » قال: كانوا أقلّ اللّيالي يفوتهم لا يقومون فيها » (٨).

---

(١) الفقيه ص ١٢٥، والتهذيب ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩.

(٢) الى (٦) الفقيه ص ١٢٦ تحت رقم ٨ الى ١٢ و « المتخثر » استيقظ خاثر النفس اى ثقيلها غير طيب ولا نشيط.

(٧) الفقيه ص ١٢٧ تحت رقم ٦.

(٨) المصدر ج ٣ ص ٤٤٦ تحت رقم ١٨

و في الصحيح عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إنّ رجلاً من مواليك من صلحائهم شكى إليّ ما يلقى من النوم ، فقال : إنّي أريد القيام إلى الصلاة باللّيل فيغلبني النوم حتّى أصبح ، و ربّما قضيت صلاتي الشهر متتابعاً و الشهرين أصبر على ثقله ، فقال : قرّة عين له والله ، قال : ولم يرخّص له في الصلاة في أوّل اللّيل و قال : القضاء بالنهار أفضل ، قلت : فإنّ من نسائنا أبكاراً الجارية تحبّ الخير وأهله وتحرص على الصلاة فيغلبها النوم حتّى ربما قضت و ربّما ضعفت عن قضائه فهي تقوى عليه أوّل اللّيل فرخّص لهنّ في الصلاة أوّل اللّيل إذا ضعفن و ضيّعن القضاء »(١).

☼(بيان الاسباب التى بها يتيسر قيام الليل)☼

اعلم أنّ قيام اللّيل عسير على الخلق إلّا على من وفّق للقيام بشروطه الميسّرة له ظاهراً و باطناً فأمّا الظاهر فأربعة .

الأوّل أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم و يثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كلّ ليلة و يقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا عند الموت كثيراً . و هذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال الّتي تعيى بها الجوارح و تضعف بها الأعصاب فإنّ ذلك أيضاً مجلبة للنوم .

الثالث أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنّها سبب للاستعانة على القيام باللّيل .

---

(١) المصدر ج ٣ ص ٤٤٧ تحت رقم ٢٠ و فيه رخصة ما و ان لم يرخص صريحاً ويومى آخر الخبر الى ان التقديم مجوز لمن علم أنه لايقضيها وهذاوجه جمع بين الاخبار قال فى المدارك ص ١٢٣ عدم جواز تقديمها على انتصاف الليل الا فى السفر أوالخوف من غلبة النوم مذهب اكثر الاصحاب ، ونقل عن زرارة بن اعين المنع من تقديمها على الانتصاف مطلقا واختاره ابن ادريس على مانقل عنه والعلامة فى المختلف ، والمعتمدالاول وربماظهرمن بعض الاخبارجواز تقديمها على الانتصاف مطلقاً و قدنص الاصحاب على ان قضاء النافلة من الغد أفضل من التقديم كما فى مرآة العقول .

الرابع أن لا يحتقب الأوزار بالنهار[1] فإنّ ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنّي أبيت معافاً و اُحبّ قيام اللّيل و أعدّ طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيّدتك ».

أقول : هذا من ألفاظ أمير المؤمنين صلوات الله عليه روى في الكافي عن عليّ بن النعمان عن بعض رجاله قال : « جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قد حُرمت الصلاة باللّيل ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك »[2].

قال أبو حامد : « و هذا لأنّ الخير يدعو إلى الخير ، و الشرّ يدعو إلى الشرّ ، والقليل من كلّ واحد منهما ينجرّ إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الدارانيّ : لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلّا بذنب ، و كان يقول : الاحتلام باللّيل عقوبة والجنابة بعد.

وقال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أيّ شيء تفطر فإنّ العبد ليأكل اُكلة فينقلب قلبه عمّا كان عليه ولا يعود إلى حاله الأوّل ، فالذنوب كلّها تورث قساوة القلب و تمنع من قيام اللّيل و أخصّها بالتأثير تناول الحرام و تؤثّر اللّقمة الحلال في تصفية القلب و تحريكه إلى الخير مالا يؤثّر غيره ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم : كم من اُكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، و إنّ العبد ليأكل اُكلة أو يفعل فعلة فيحرم قيام سنة و كما أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة و سائر الخيرات.

و قال بعض السجّانين بدينور : بقيت سجّاناً نيّفاً و ثلاثين سنة أسأل عن كلّ مأخوذ باللّيل أنّه هل صلّى العشاء في الجماعة فكانوا يقولون : لا. وهذا تنبيه على أنّ بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر.

وأما الميسرات الباطنة فأربعة :

الأوّل سلامة القلب عن حقد المسلمين و عن البدع و عن فضول هموم الدّنيا

---

(١) أي لا يجتمع الاوزار. (٢) المصدر ج٣ ص٤٥٠ ورواه الشيخ في التهذيب ج١ ص١٦٩.

فالمستغرق الهمّ بتدبير الدّنيا لايتيسّر له القيام وإن قام فلايتفكّر في صلاته إلّا في مهمّاته، ولايجول إلّا في وساوسه، و في مثل ذلك يقال: «وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم».

الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنّه إذا تفكّر في أهوال الآخرة ودركات جهنّم طار نومه وعظم حذره كما قال طاؤوس: إنّ ذكر جهنّم طيّر نوم العابدين وكما حكي أنّ غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم اللّيل كلّه فقالت له سيّدته: إنّ قيامك باللّيل يضرّ بعملك بالنهار، فقال: إنّ صهيباً إذا ذكر النار لايأتيه النوم، وقيل لغلام آخر وهويقوم كلّ اللّيل، فقال: إذا ذكرت النار اشتدّ خوفي وإذا ذكرت الجنّة اشتدّ شوقي فما أقدرأن أنام، ولذي النون المصريّ - رحمه الله - فيه شعر:

منع القرآن بوعده و وعيده * مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهمواعن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلل لكيما تخضعا

وأنشدوا:

يا طويل الرقاد و الغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات
إنّ في القبر إن نزلت إليه * لرقاداً يطول بعد [ال]ممات
و مهاداً ممهّداً لك فيه * بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو * ت و كم نال آمناً ببيات

الثالث أن يعرف فضل قيام اللّيل بسماع هذه الآيات و الأخبار حتّى يستحكم به رجاؤه و شوقه إلى ثوابه فيهيّجه الشوق لطلب المزيد والرّغبة في درجات الجنان كما حكي أنّ بعض الصالحين رجع عن غزوته و امرأته كانت تنتظر فراشه تلك اللّيلة فدخل المسجد ولم يزل يصلّي حتّى أصبح فقالت زوجته: كنّا ننتظرك مدّة فلمّا قدمت فصلّيت إلى الصبح؟ قال: والله كنت أتفكّر في حوراء من حورالجنّة طول اللّيل فنسيت الزوجة و المنزل فقمت طول ليلي شوقاً إليها.

الرابع وهو أشرف البواعث الحبّ لله تعالى و قوّة الإيمان بأنّه في قيامه لايتكلّم بحرف إلّا و هو مناج ربّه و هو مطّلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه و أنّ تلك الخطرات من الله سبحانه خطاب معه فإذاأحبّ الله تعالى أحبّ لامحالة الخلوة به وتلذّذ

بالمناجاة فتحمله لذة المناجات بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذة إذ شهدله العقل و النقل فأمّا العقل فليعتبر حال المحبّ لشخص بسبب جماله أوملك بسبب إنعامه و أمواله أنّه كيف يتلذّذ بالخلوة به و مناجاته حتّى لايأتيه النوم طول ليله.

فإن قلت: إنّ الجميل يتلذّذ بالنظر إليه، و إنّ الله تعالى لايرى. فاعلم أنّه لوكان الجميل المحبوب و راء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحبّ يتلذّذ بمجاورته المجرّدة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه وكان يتمتّع بإظهار حبّه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه و إن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده.

فإن قلت: إنّه ينتظر جوابه فيتلذّذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى. فاعلم أنّه إن كان يعلم أنّه لا يجيبه و يسكت عنه لبقيت له أيضاً لذّة في عرض أحواله و رفع سريرته إليه كيف و الموقن يسمع من الله تعالى كلّ مايرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذّذ به و كذا الّذي يخلو بالملك و يعرض عليه حاجاته في جنح اللّيل يتلذّذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حقّ الله تعالى أصدق، وما عندالله أبقى و أنفع ممّا عند غيره فكيف لا يتلذّذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات.

و أمّا النقل فتشهدله أحوال قوّام اللّيل في تلذّذهم بقيام اللّيل و استقصارهم لها كما يستقصر المحبّ ليلة وصال الحبيب حتّى قيل لبعضهم: كيف أنت واللّيل؟ قال: ما رأيته قطّ يريني وجهه ثمّ ينصرف وما تأمّلته بعد، وقال آخر: أنا واللّيل فرسا رهان مرّة يسبقني إلى الفجر ومرّة يقطعني عن الفكر.

و قيل لبعضهم: كيف اللّيل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتمّ بفجره إذا طلع ماتمّ فرحي به قطّ.

و قال عليّ بن بكّار: منذ أربعين سنة ماأحزنني شيء سوى طلوع الفجر.

و قال فضيل بن عياض: إذاغربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربّي وإذاطلعت حزنت لدخول الناس عليّ.

و قال أبو سليمان: أهل اللّيل في ليلهم ألذّ من أهل اللّهو في لهوهم، و لولا اللّيل ما أحببت البقاء في الدّنيا.

و قال أيضاً : لوعوّض الله تعالى أهل اللّيل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللّذّة لكان ذلك أكثر من أعمالهم .

و قال بعض العلماء : ليس في الدّنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنّة إلّا مايجده أهل التملّق في قلوبهم باللّيل من حلاوة المناجاة .

و قال بعض العلماء : لذّة المناجاة ليس من الدّنيا ، إنّما هو من الجنّة أظهرها الله لأوليائه لا يجدها سواهم .

وقال ابن المنكدر : ما بقي من لذّات الدّنيا إلّا ثلاث : قيام اللّيل ، ولقاء الإخوان و الصلاة في جماعة .

و قال بعض العارفين : إنّ الله ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقّظين فيملؤها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ، ثمّ ينتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين .

و قال بعض العلماء من القدماء : إنّ الله سبحانه أوحى إلى بعض الصدّيقين أنّ لي عباداً من عبادي يحبّوني و أحبّهم ، و يشتاقون إليّ و أشتاق إليهم ، و يذكروني و أذكرهم ، و ينظرون إليّ و أنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك ، و إن عدلت عنهم مقتّك ، قال : يا ربّ وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه و يحنّون إلى غروب الشمس كما يحنّ الطير إلى أوكارها ، فإذا جنّهم اللّيل و اختلط الظلام و خلا كلّ حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم ، و افترشوا لي وجوههم ، وناجوني بكلامي و تملّقوني بإنعامي ، فبين صارخ وباكي ، وبين متأوّه وشاكي ، بعيني ما يتحمّلون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبّي ، أوّل ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أُخبرعنهم ، والثانية لوكانت السماوات السبع والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتهالهم ، و الثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحدما أُريد أن أُعطيه ؟ .

و قال مالك بن دينار : إذا قام العبد فتهجّد من اللّيل قرب منه الجبّار ، قال : وكانوا يرون مايجدون في قلوبهم من الرّقة والحلاوة والأنوار من قرب الرّبّ جلّ جلاله من القلب ، و هذا له سرّ وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبّة إن شاء الله .

و في الأخبار عن الله تعالى « أي عبدي أنا الله الّذي اقتربت لقلبك و بالغيب رأيت نوري ».

و شكا بعض المريدين إلى اُستاذه طول سهر اللّيل و طلب حيلة يجتلب بها النوم، فقال اُستاذه: يا بنيّ إنّ لله نفحات في اللّيل و النهار تصيب القلوب المتيقّظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرّض لتلك النفحات، فقال: يا اُستاذ تركتني لا أنام باللّيل ولا بالنهار.

و اعلم أنّ هذه النفحات باللّيل أرجى لما في قيام اللّيل من صفاء القلب و اندفاع الشواغل.

و في الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: « إنّ من اللّيل ساعة لا يوافيها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلّا أعطاه إيّاه »(١).

و في رواية اُخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدّنيا والآخرة إلّا أعطاه إيّاه وذلك كلّ ليلة »(٢).

و مطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة اللّيل كليلة القدر في شهر رمضان و كساعة يوم الجمعة و هي ساعة النفحات المذكورة ».

أقول: بل هي معلومة لنا بحمد الله تعالى بتعليم علماء أهل البيت - صلوات الله و تسليماته عليهم - إيّانا وهي السدس الرابع من اللّيل كما مرّ ذكره في أخبارهم عليهم السلام ولكنّ العامّة عن بركة أمثالها لمعزولون.

(بيان طرق القسمة لاجزاء الليل)

اعلم أنّ إحياء اللّيل من حيث المقدار له سبع مراتب:

المرتبة الاُولى إحياء كلّ اللّيل و هذا شأن الأقوياء الّذين تجرّدوا لعبادة الله تعالى و تلذّذوا بمناجاته وصار ذلك غذاءً لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام و ردّوا المنام إلى النّهار في وقت اشتغال الناس، و قد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلّون الصبح بوضوء العشاء.

حكى أبوطالب المكّيّ أنّ ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن أربعين من التّابعين

(١) و(٢) رواهما مسلم في صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ وقدمرتا.

و كان منهم من واظب عليه أربعين سنة ».

أقول : الظاهر من طريقة أهل البيت عليهم السلام أنّ هذا ليس بمستحسن و أنّه إفراط ودعوى فضل على هدي رسول الله صلى الله عليه وآله في العبادة وظنّي أنّه محض فرض لا وقوع له ، وقد قال الله سبحانه : « وجعل اللّيل سكناً »[1] و قال عزّ وجلّ : « لتسكنوا فيه »[2] إلى غير ذلك في موضع الامتنان ومع صحّة الحكاية ففعل التابعين ليس فيه حجّة سيّما مع نفاق أكثرهم ، قال :

« المرتبة الثانية أن يقوم نصف اللّيل ، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف، و أحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأوّل من اللّيل و السدس الأخير منه حتّى يقع قيامه في جوف اللّيل ووسطه فهو الأفضل »

أقول : قد عرفت كراهة النوم في آخر اللّيل عند أهل البيت عليهم السلام في غير موضع ممّا أسلفناه كيف لا ؟ وقد مدح الله المستغفرين بالأسحار والسحر قبيل الفجر بالاتّفاق ولكنّ المخالفين لمحرومون عن أمثال هذه الخيرات ، قال :

« المرتبة الثالثة أن يقوم ثلث اللّيل فينبغي أن ينام النصف الأوّل والسدس الأخير و بالجملة نوم آخر اللّيل محبوب لأنّه يذهب النعاس بالغداة فكانوا يكرهون ذلك ويقلّل صفرة الوجه و الشهرة به فلو قام أكثر اللّيل و نام سحراً قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه .

وقالت عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أوتر من آخر اللّيل فإن كان له حاجة إلى أهله دنا منهنّ و إلّا اضطجع في مصلّاه حتّى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة »[3].

و قالت : « ما ألفيته السحر إلّا نائماً »[4] حتّى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبيل الصبح سنّة ، و كان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب و ذلك لأرباب القلوب و فيه استراحة تعين على الورد الأوّل من أوراد النهار ».

---

(١) الانعام : ٩٦ . (٢) يونس : ٦٧ .

(٣) أخرج مسلم ج ٢ ص ١٦٧ نحوه . والبخاري ج ٢ ص ٦٩ ، والنسائي ج٣ ص ٢٣٠ ، والبيهقي في السنن ج ٣ ص ٧ وص ٤٦ باختلاف في اللفظ .

(٤) أخرجه مسلم ج ٢ ص١٦٨ ، وأبوداود ج ١ ص ٣٠٣ .

أقول : الاستراحة تحصل بالضجعة و إن لم يكن معها نوم و قد عرفت استحبابها و تأكده من طريقة أهل البيت عليه السلام و أنه لا نوم فيها بل يذكر فيها و يتفكر في خلق السماوات والأرض كما يدل عليه استحباب قراءة الآيات الخمس من آل عمران فيها مع قوله صلى الله عليه و آله : « و يل لمن لا كها بين لحييه ولم يتدبرها »[١] فعليها يحمل قول عائشة « و إلا اضطجع في مصلاه » إن صح ، و كذا قولها « ما ألفيته السحر إلا نائماً » نظيره ما ورد في الحديث من طريقهم « أن لصلاة النائم نصف أجر القاعد »[٢].

روى في التهذيب باسناده عن الهادي عليه السلام قال : « إياك والنوم بين صلاة الليل والفجر ولكن ضجعة بلا نوم فإن صاحبه لا يحمد على ما قدم من صلاته »[٣].

و سئل الصادق عليه السلام « متى أصلي صلاة الليل ؟ فقال : صلها آخر الليل »[٤].

و أما ذهاب النعاس و صفرة الوجه فالظاهر عدم اختصاصه بنوم وقت دون وقت فإن سبب العلتين كثرة السهر ومزيلهما قلته فالأولى و الأفضل لصاحب هذه المرتبة أن يقوم السدس الرابع و السادس لينال بركتي الساعة المعهودة و السحر جميعاً فإن تعسر عليه التفريق و ضبطه تعين عليه قيام الثلث الأخير ، قال :

« المرتبة الرابعة أن يقوم سدس الليل أوخمسه وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه » .

أقول : قد عرفت ما فيه فقس حكم هذه المرتبة على ماقبلها ، قال :

« الخامسة أن لايراعي التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أولمن يعرف المنازل للقمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ، ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكن يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النو

---

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسير سورة الروم من رواية أبي جناب عن عطاء عن عائشة كما في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ذيل الايات في سورة آل عمران .

(٢) أخرجه النسائي ج ٣ ص ٢٢٣ من حديث عبدالله بن عمرو ، و ص ٢٢٤ من حديث عمران بن حصين ، وأبوداود ج ١ ص ٢١٨ .

(٣) المصدر ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) المصدر ج ١ ص ٢٣١ في حديث .

فيكون له في الليل نومتان و قومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال و أفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله و هو طريقة أولي العزم من الصحابة و جماعة من التابعين ، وكان بعض السلف يقول : هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله عيني ، فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن على ترتيب واحد من حيث المقدار بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي و دل عليه قوله تعالى في موضعين من سورة المزمل قوله عز وجل : «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه وثلثه»[1] فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه و نصف سدسه[2] فإن كسر قوله تعالى : «و نصفه و ثلثه» كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وثلثه ، وقد قالت عائشة : «كان صلى الله عليه وآله يقوم إذا سمع الصارخ - تعني الديك -»[3] و هذا يكون السدس فما دونه و روى غير واحد أنه قال : «راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال : «ربنا ما خلقت هذا باطلاً - حتى بلغ - إنك لا تخلف الميعاد» ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك و توضأ وصلى حتى قلت : صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت : نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة و فعل ما فعل أول مرة»[4].

أقول: وقد نقلنا عن الصادق عليه السلام في الصحيح و الحسن تفصيل قومات رسول الله صلى الله عليه وآله و صلواته و نوماته فلاحاجة إلى إعادتها ، قال :

«المرتبة السادسة وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل

---

(١) المزمل : ٢٠ . (٢) كذا وفى الاحياء «كأنه نصف سد سه» .
(٣) أخرجه مسلم فى الصحيح ج ٢ ص ١٦٧ وأبوداود نحوه ج ١ ص ٣٠٣ .
(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند والطبرانى فى الكبير والحاكم فى الكنى والبغوى فى معجم الصحابة عن صفوان بن المعطل السلمى باختلاف فى اللفظ كما فى الدر المنثور ج ٢ ص ١١٠ . وأيضاً رواه البغوى فى معالم التنزيل ذيل الايات بلفظ آخرعن ابن عباس .

برحمة الله و فضله و قد جاء في الأثر « صلّ من اللّيل ولو قدر حلب شاة »(١).

أقول : روى في التهذيب بإسناده الصحيح عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام أنّه سمعه يقول : « أما يرضى أحدكم أن يقوم قبل الصبح ويوتر ويصلّي ركعتي الفجر فيكتب له صلاة اللّيل »(٢).

و المراد بالوتر الركعات الثلاث كما يستفاد من الأخبار الأُخر لا الركعة الواحدة الواقعة بعد الشفع كما يوجد في عبارات متأخّري أصحابنا .

قال أبوحامد : « فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه يسيراً عليه و حيث يتعذّر عليه القيام في وسط اللّيل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشائين والورد الّذي بعد العشاء » .

أقول : قد عرفت سقوط هذا الورد عندنا والمختار من الوسط .

قال : « ثمّ يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً و يقوم بطرفي اللّيل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره ، و أمّا في المرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما إلى المقدار فليس يجري أمرهما في التقدّم و التأخّر على الترتيب المذكور ، إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالي والايام الفاضلة)

اعلم أنّ اللّيالي المخصوصة بمزيد الفضل الّتي يتأكّد فيها استحباب الإحياء في السنة خمسة عشر ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنّها مواسم الخيرات و مظانّ التجارات و متى غفل التاجر عن المواسم لم يربح و متى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح » .

أقول : و تلك اللّيالي عندنا هي مظانّ ليلة القدر كليالي الإفراد الثلاث من شهر

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط بالفاظ مختلفة كما في مجمع الزوائد ج٢ص٢٥٢ .

(٢) المصدر ج ١ ص ٢٣٣ .

رمضان أعني ليلة تسع عشرة و الإحدى وعشرين والثلاث وعشرين وخصوصاً ليلة الثلاث و عشرين و أربع ليال أخر في السنة و هي مارواه أصحابنا عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة وهي أوّل ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر» [1].

و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: «من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» [2].

و في هذه اللّيالي أعمال مخصوصة وصلوات مذكورة في مواضعها.

قال الشهيد - رحمه الله -: يحصل فضيلة الإحياء بمعظم اللّيل تنزيلاً لأكثر الشيء منزلته.

و عن ابن عبّاس أنّ الإحياء أن تصلّي العشاء في الجماعة، و لعلّه ينزل على إحياء ما بين العشائين و أمّا الأيّام الفاضلة الّتي يستحبّ مواصلة الأوراد فيها فقد مرّ ذكرها في كتاب أسرار الصيام فلا حاجة إلى الإعادة.

هذا آخر الكلام في كتاب ترتيب الأوراد و تفصيل إحياء اللّيل، وبتمامه تمّ ربع العبادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله في ربع العادات كتاب الأكل والحمدلله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلاة على محمّد وآله.

---

(١) رواه الشيخ فى مصباح المتهجد ص ٤٥٠.

(٢) رواه الصدوق فى ثواب الاعمال ص٧٥ وأخرجه الطبرانى فى المسند الكبير بسند ضعيف عن عبادة كما فى الجامع الصغير باب الميم.

فهرست ما فى هذا المجلد

رقم الصفحة	الموضوع
٣	الباب الرابع في الإمامة و القدوة .
١٤	الباب الخامس في فضل الجمعة و شروطها .
١٨	بيان شروط الجمعة .
٢٠	آداب الجمعة على ترتيب العادة .
٣٣	الباب السادس في مسائل متفرّقة .
٣٣	لكلّ من الصلوات الخمس وقتان .
٣٥	وقت صلاة الجمعة الزوال .
٣٦	معرفة زوال الشمس .
٣٧	لايجوز التأويل على الظنّ في دخول الوقت .
٣٧	يكره التنفّل بعد دخول وقت الفريضة .
٤٠	حكم من صلّى مع النجاسة جاهلاً .
٤٠	حكم من أحدث في الصلاة حدثاً .
٤١	حكم من ترك ركناً من أركان الصلاة .
٤١	حكم من نسي سجدة واحدة أو التشهّد الأوّل .
٤٢	حكم من شكّ في عدد الثنائيّة .
٤٢	لاشكّ للمأمومين مع حفظ الإمام .
٤٢	الوسوسة في نيّة الصلاة سببها الخبل .
٤٤	الباب السابع في سائر الصلوات .
٤٤	القسم الأوّل : الفرائض .

رقم الصفحة	الموضوع
٤٧	صلاة الآيات .
٤٩	صلاة الطواف .
٥٠	صلاة الجنازة .
٥٢	الصلاة الّتي أوجبها المكلّف على نفسه .
٥٣	القسم الثاني : النوافل اليوميّة و غيرها .
٥٦	صلاة تحيّة المسجد .
٥٦	صلاة الاستسقاء .
٥٧	صلاة جعفر بن أبي طالب و يسمّى صلاة التسبيح .
٥٩	صلاة الاستخارة .
٦٠	الصلاة في طلب الرزق .
٦٠	صلاة الحوائج .
٦٢	صلاة من خاف مكروهاً .
٦٢	صلاة الشكر .
٦٢	صلاة من أراد سفراً .
٦٣	صلاة من أراد أن يتزوّج .

كتاب أسرار الزكاة

رقم الصفحة	الموضوع
٦٤	في أهمّيّتها و أنّها من أركان الدين .
٦٧	أنواع الزكاة و أسباب وجوبها .
٦٧	زكاة المال .
٦٩	فصل النصاب والقدر .
٧١	زكاة الفطرة .
٧٢	الخمس و مايجب فيه .

رقم الصفحة	الموضوع
٧٤	شرائط وجوب الخمس .
٧٤	في الأداء وشروطه وآدابه الباطنة والظاهرة .
٧٧	بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة .
٧٧	بيان ثمان وظائف للمزكّي . الأولى فهم وجوب الزكاة .
٨١	الثانية معرفة وقت الأداء .
٨٢	الثالثة الإسرار في أداء الزكاة .
٨٤	الرابعة إظهار أدائه لترغيب الناس .
٨٤	الخامسة عدم جواز المنّ و الأذى في الصدقة .
٨٨	السادسة استصغار العطيّة .
٨٩	السابعة استحباب الإعطاء من أجود المال و أحبّه إليه .
٩٠	الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكوبه الصدقة .
٩٠	مراعات ستّ صفات .
٩٤	الباب الثالث في القابض و أسباب استحقاقه .
٩٤	أسباب الاستحقاق .
٩٥	صفات الأصناف الثمانية .
٩٥	الأوّل الفقراء .
٩٦	الثاني المساكين .
٩٨	الثالث العاملون عليها .
٩٨	الرابع المؤلّفةقلوبهم .
٩٩	الخامس في الرقاب وهم المكاتبون .
٩٩	السادس الغارمون و هم المدينون .
٩٩	السابع في سبيل الله كالجهاد وتعمير المساجد وغيرها .
٩٩	الثامن ابن السبيل .

رقم الصفحة	الموضوع
١٠٠	فصل في الخمس وسهامه .
١٠١	بيان وظائف القابض و هي خمسة .
١٠٧	الباب الرابع في الصدقة التطوّع .
١٠٧	فضل الصدقة من طريق العامّة .
١٠٩	فضل الصدقة من طريق الخاصّة .
١١٣	بيان إخفاء أخذ الصدقة و إظهاره .
١١٨	بيان الأفضل من أخذ الصدقة أوالزكاة .
١١٩	الباب الخامس في زكاة الجسد .

كتاب اسرار الصيام

١٢١	أحاديث في فضيلة الصوم من طريق العامّة .
١٢٢	أحاديث في فضيلة الصوم من طريق الخاصّة .
١٢٥	معنى قوله : « الصوم لله » .
١٢٦	الباب الأوّل في الشروط والواجبات والمكروهات والسنن واللّوازم با فساده .
١٢٦	الشروط .
١٢٧	الواجبات .
١٢٨	المكروهات .
١٢٩	السنن .
١٣٠	الباب الثاني في أسرار الصوم و شروطه الباطنة .
١٣٥	فصل في إشكال و جوابه .
١٣٧	الباب الثالث في التطوّع بالصيام .
١٣٩	فصل الصيام المتأكّد .
١٤٢	الصوم الحرام .

رقم الصفحة	الموضوع
	كتاب اسرار الحج ومهماته

رقم الصفحة	الموضوع
١٤٦	الباب الاوّل في فضيلة الحجّ .
١٥٢	فضيلة البيت و مكّة .
١٥٥	فضيلة المقام بمكّة و كراهته .
١٥٦	فضيلة المدينة و سائر البلاد .
١٥٩	شروط وجوب الحجّ .
١٦٢	الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة .
١٦٣	في سنن الحجّ من أول الخروج إلى الإحرام .
١٦٦	في آداب الإحرام من الميقات .
١٦٨	في آداب دخول الحرم إلى الطواف .
١٧١	في السعي بين الصفا والمروة .
١٧٣	في الوقوف بعرفات و ما قبله .
١٧٦	في الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام .
١٧٨	في الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى .
١٨١	في النفر من منى .
١٨٣	في زيارة المدينة و آدابها و زيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .
١٨٤	آداب التوجّه من مكّة إلى المدينة .
١٨٧	استحباب زيارة فاطمة عليها السلام .
١٨٩	**الباب الثالث في الآداب الدقيقة و الأعمال الباطنة .**
١٨٩	**بيان دقائق الآداب .**
١٩٦	**بيان الأعمال الباطنة .**
٢٠٧	رواية الصادق عليه السلام **في أسرار الحجّ .**

رقم الصفحة	الموضوع
	كتاب آداب تلاوة القرآن .
٢١٠	الباب الأوّل فضل القرآن و أهله .
٢١٧	ذمّ تلاوة الغافلين .
٢١٩	الباب الثاني في آداب ظاهر التلاوة و هي عشرة .
٢١٩	الأوّل حال القارىء .
٢٢٢	الثاني مقدار القراءة .
٢٢٣	الثالث وجه القسمة .
٢٢٣	الرابع تحسين كتابة القرآن .
٢٢٤	الخامس استحباب الترتيل .
٢٢٥	السادس استحباب البكاء مع القراءة .
٢٢٦	السابع رعاية حقّ الآيات
٢٢٧	الثامن الاستعاذة قبل القراءة .
٢٢٩	التاسع الجهر بالقراءة
٢٣١	العاشر تحسين القراءة وتزيينها .
٢٣٤	الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة ، وهي عشرة .
٢٣٦	الأوّل فهم أصل الكلام .
٢٣٦	الثاني التعظيم للمتكلّم .
٢٣٦	الثالث حضور القلب .
٢٣٧	الرابع التدبّر .
٢٣٨	الخامس التفهّم .
٢٤١	السادس التخلّي .
٢٤٣	السابع التخصيص .

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٤	الثامن التأثّر .
٢٤٦	التاسع الترقّي .
٢٤٨	العاشر التبرّي .
٢٤٩	فصل في كيفيّة قراءة القرآن عن الصادق عليه السلام .
٢٥٠	الباب الرابع في فهم القرآن و تفسيره بالرأي .
٢٦٠	في عدم تحريف القرآن .

كتاب الأذكار والدعوات

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦٦	الباب الأوّل في فضيلة الذكر .
٢٦٩	فضيلة مجالس الذكر .
٢٧١	فضيلة التهليل .
٢٧٤	فضيلة سائر الأذكار .
٢٧٧	فصل في إشكال وجوابه .
٢٨٢	الباب الثاني في آداب الدعاء .
٢٨٥	آداب الدعاء وهي عشرة .
٢٨٥	الأوّل أوقات الدعاء .
٢٨٧	الثاني اغتنام أحوال الشريفة .
٢٨٨	الثالث في استقبال القبلة حين الدعاء .
٢٩١	الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر.
٢٩٢	الخامس كراهية تكلّف السجع في الدعاء .
٢٩٣	السادس التضرّع والخشوع والرهبة .
٢٩٤	السابع الجزم بالاجابة .
٢٩٤	الثامن الإلحاح في الدعاء .

رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٦	التاسع افتتاح الدعاء بذكر الله تعالى .
٢٩٨	العاشر أدب الباطن في الدعاء وهو الأصل .
٣٠١	عشرة آداب أخرى للدعاء تستفاد من الأخبار .
٣٠١	الأوّل تسمية الحاجة .
٣٠٢	الثاني التعميم في الدّعاء .
٣٠٢	الثالث الاجتماع في الدّعاء .
٣٠٢	الرابع البكاء حالة الدّعاء .
٣٠٤	الخامس الاعتراف بالذنب قبل السؤال .
٣٠٤	السادس الإقبال بالقلب .
٣٠٥	السابع التقدّم في الدعاء .
٣٠٦	الثامن الدّعاء للاخوان والتماسه منهم .
٣٠٧	التاسع أنلا يعتمد في حوائجه على غيرالله سبحانه .
٣٠٨	العاشر ما روى عن الصادق عليه السلام .
٣٠٩	فصل في كراهية اللّحن في الدعاء .
٣١١	فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
٣١٤	فضيلة الاستغفار .
٣١٩	الباب الثالث في أدعية منتخبة محذوفة الأسناد .
٣٣١	أنواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
٣٣٢	الباب الرابع في الأدعية المأثورة عند كلّ حادث .
٣٤١	فصل في سؤال عن فائدة الدعاء والجواب عنه .

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

٣٤٣	الباب الأوّل في فضيلة الأوراد وترتيبها .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٦	بيان أعداد الأوراد وترتيبها .
٣٤٦	الورد الأوّل بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس .
٣٥٢	فصل في الأذكار المكرّرة .
٣٥٥	الورد الثاني مابين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار .
٣٥٦	الورد الثالث من ضحوة النهار إلى الزوال .
٣٥٨	الورد الرابع مابين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر .
٣٥٩	الورد الخامس مابعد ذلك إلى العصر .
٣٦٠	الورد السادس إذا دخل وقت العصر .
٣٦١	الورد السابع إذا اصفرّت الشمس .
٣٦٢	بيان أوراد اللّيالي وهي خمسة .
٣٦٢	الورد الأوّل إذا غربت الشمس .
٣٦٤	الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء .
٣٦٦	الورد الثالث النوم إذا روعيت آدابه .
٣٦٧	آداب النوم و هي عشرة .
٣٧٣	الورد الرابع يدخل بمضيّ نصف الأوّل من اللّيل .
٣٧٦	الورد الخامس السدس الأخير من آخر اللّيل .
٣٨٠	بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال .
٣٨٧	الباب الثاني فضيلة قيام اللّيل .
٣٩٠	فضيلة قيام اللّيل من طريق الخاصّة .
٣٩٥	بيان الأسباب الّتي بها يتيسّر قيام اللّيل .
٤٠٠	بيان طريق القسمة لأجزاء اللّيل .
٤٠٤	بيان اللّيالي والأيّام الفاضلة .

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University